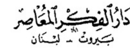
الدكتور عدنان ترسيسي

بلاد سبأ
وحضارات العرب الأولى

اليمن (العربيّة السعيدة)





بسم الله الرحمن الرحيم

بلاد سبأ
وحضارات العرب الأولى

اليمن (العربية السعيدة)

مع عرض جغرافي مصور وتسلسل العهود والأحداث

الدكتور عدنان ترسيسي

بلاد سبأ
وحضارات العرب الأولى

اليمن (العربية السعيدة)
ARABIA FELIX

مع عرض جغرافي مصور ومطالعات ذات صلة بمواضيع الكتاب وكشف بتسلسل العهود والاحداث ومرفقات لبعض الوثائق المعتمدة

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

رقم الكتاب ١٠
الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م

لبنان - بيروت - ساقية الجنزير، خلف الكارلتون، س . ت ٥١٤٩٧
ص . ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE

كلمة شكر

تفضل العلامة النبيل الدكتور حسين بن عبد الله العمري
بمراجعة هذا الكتاب وإدخال التعديلات الملائمة
على نصوصه ومواضيعه وعناوينه ،
ولقد حرصت كل الحرص أن أسجل شكري وتقديري
للدكتور العلّامة لمساهمته بإصلاح نواقص الكتاب
والاهتمام بتحسين إخراجه .

المؤلف

بين يدي الكتاب

قمت بجمع ونشر المعلومات التي احتواها هذا المؤلف للاعتبارات التالية :

- لكي يزداد اليمني اطلاعاً على أمجاده وإمكانات بلاده البشرية والطبيعية مما يدفع بـه لزيـادة في الطموح المشروع والمشرّف .

- ولكي يطلع العربي على حضارته القديمة ليفاخر بموطنه منبتاً لعرق متطور ، عرف كيف يخدم نفسه والعالم والدين الحنيف .

- ولكي يتـذكر المسلمون بـأن اليمني ترك بلاده ليسهم ببنـاء الإمبراطـوريـات الإسـلاميـة ودعمهـا ولينشر بنجاح دعوة الدين الحنيف في أرجاء العالم ومجاهله .

- ولكي تسجل الإنسانية بأن (بلاد العرب الخضراء) شكلت في تاريخها القـديم ينبوعـاً غزيراً من ينابيع الحضارات العالمية الخالدة .

- وليفاخر اليمني ويعتز لأنه بنى ويبني نهضته بجهده وثمرة عمله وليس بالاتكال على مامنّ الله عليه به من خير ، وكان حصوله عليه دون عناء ، بفضل الظروف المواتية . وهو الخير الذي كان استخراجـه من بـاطن الأرض ، والـذي يـأمل كل عربي أن يستمر استغلالـه عن وعي وإدراك ليتكامل بـالنشـاط وطلب العلم والمعرفة ، لتوظيفـه وتوظيف دخلـه لمصلحـة الأجيـال الصـاعـدة بتحقيق مصـادر إنتـاج متجدد ودائم .

وهو مما يمكن العرب من الحصول على المناعة الأمنية والاقتصاديّة لـدرء الخطر المحدق بهم والمتمثل بإشعال نار الفتن بينهم وهو مافعله ويفعله أعداؤهم لمنع العرب من تحقيق وحدتهم أو على الأقل اتحادهم مما يؤمن استعادة المجد التليد .

المؤلف

كتاب ثقافة عامة

ولما كنّا نميل لتعريف الثقافة العامة بأنها الزبدة القليلة التي يحصل عليها المرء نتيجة لمطالعاته واجتهاده العلمي المتنوع وفقاً لما كان تسجيله استناداً للمراجع الموثوقة ، الأمر الذي يؤدي إلى المعرفة الواضحة التي تظل عالقة بالذهن أو مدونة مع التلخيص ، بعد أن تكون التفاصيل قد استبعدت أو تبددت أو أهملت لأكثر من اعتبار .

وبالاستناد إلى هذا المفهوم أطلقنا على كتابنا هذا صفة كتاب (ثقافة عامة) نظراً لشموله على معلومات متنوعة متعلقة باليمن وهي بلاد سبأ التاريخية المعروفة أيضاً تحت اسم (العربية السعيدة) .

تمهيد وايضاح

أخرجت عام ١٩٤٧ م كتاباً باللغة الفرنسية تمت ترجمته للإنجليزية بعنوان (**اليمن**) كانت الغاية منه تعريف العالم على اليمن بعد أن أصبحت عضواً في **هيئة الأمم المتحدة** .

ذلك أن السواد الأعظم من الرأي العام العالمي ، وكذلك المؤسسات المختلفة ومتتبعي الأحداث كانوا آنذاك يجهلون **اليمن** جهلاً تاماً ، مما أظهر الحاجة لإصدار كتابي الأول عن **اليمن** بشكله المختصر إرضاءاً لنهم الآلاف من الأجانب المتشوقين للتعرف إلى العضو الجديد الذي تمّ انتسابه في أيلول / سبتمبر سنة ١٩٤٧ م **للمنظمة الدولية الكبرى** .

وكان الإمام **يحيى حميد الدين** ملك **اليمن** آنذاك بالغ التحفظ شديد الانعزال بالنسبة إلى كل ما يتعلق بخارج مملكته **المتوكلية** وكل ماله علاقة بالمفاهيم العصرية للحكم كما كانت أمانة سر **منظمة الأمم المتحدة** نفسها وأغلبية الحكومات تجهل الكثير عن **اليمن** .

وفي عام ١٩٦٢ م أصدرت كتاباً آخر تحت عنوان (**اليمن وحضارة العرب**) ، ثم كانت ترجمته إلى الإنجليزية مع إضافات عديدة تحت عنوان :

(**بلاد مملكة سبأ ـ اليمن ـ العربية السعيدة**) . THE QUEEN OF SHEBÁS LAND - YEMEN ARABIA FELIX

وأخيراً جاءت مناسبة الاحتفالات بالعيد الفضي لقيام ثورة **اليمن** المظفرة ، ٢٦ أيلول / سبتمبر سنة ١٩٨٧ م حيث كانت فرصة لرفع الستار كاملاً عن حقيقة هذا البلد العربي العريق والتعرف أيضاً على الإنجازات الكبيرة التي تمت بفترة وجيزة في العهد التقدمي الذي تتمتع به **الجمهورية العربية اليمنية** اليوم ، لكنه بقيت هناك جوانب عديدة مجهولة بعض الشيء ، وهي ما يتعلق بمساهمة **اليمن** بالحضارة ـ بمعناها العالمي المطلق ـ وهي ناحية لا تزال غير معلومة بكاملها ، ليس من الرأي العام الأجنبي وحسب ، بل من الرأي العام العربي ، بسبب العزلة المحكمة الحصار التي سبق أن فرضتها ظروف تاريخية مؤلمة وعهد الإمامة البائد ، علماً بأن العهد الجمهوري الجديد يعمل جاهداً وبنجاح لإزالة تلك العزلة الرهيبة .

وتنعم **اليمن** حالياً ، ومنذ ما يقرب من عشر سنوات ، بمرحلة نهضة شاملة في ظل استقرار

وبناء ، ونميل للاعتقاد بأنها بدأت الآن بمرحلة جـديـدة ، هي مرحلـة الانطلاق إلى الأمـام . ثم جـاء استثمار النفط الذي يتوقع أن يساعدها على تحقيق أمانيها في المرحلـة القـادمـة التي تحتـاج بـالـدرجـة الأولى لتحضير العناصر وخاصة الكوادر المؤهلة للنهوض بأعبـاء التقـدم عن علم ودرايـة ، ولا سيا وأن أية نهضة عصرية لا يمكنها أن تتحقق بدون المعرفة والعلم واستيعـاب التكنولوجيـا الجـديـدة المتقـدمـة والتي لا يمكن تحصيلها بالمال وحسب بل بالممارسة العلمية ، ذلك أن عالمنا قادم على قرن جديد ومفاهيم ومطالب متنوعة وهي على ازدياد وتطور ، عاماً بعد عام ، وبسرعة مذهلة .

ولما كانت أكثر من جهة علمية موقرة قـد طلبت مني أن أعيـد طبـاعـة كتـابي المـذكور آنفـاً بعـد إدخال التعديلات التي وردت في الترجمة الإنجليزية وتصحيح ما جاء بالطبعـة الأولى من أخطـاء وهي التي مر عليهـا ربع قرن ، وإضـافـة مـا استجـد من معلومـات وهي كثيرة ؛ قمت بتلبيـة هـذه الرغبـة يُشجعني على ذلـك الخطوات التي حققتهـا **الجمهـوريـة العـربيـة اليمنيـة** في عهـدهـا الجمهـوري المستقر الجديد ، حيث أن **اليمن** وثبت بفترة وجيزة وثبة عملاقة مكنتها إلى حـد كبير من التغلب على مرحلـة التخلف البغيض الموروث لتسابق الزمن وتتسابق مع مثيلاتها من الـدول العريقـة بـالحضـارة للسير في ركب المدنية العلمية العصرية دون التنكر لثروتهـا الأدبيـة والخلقيـة ودينهـا الحنيف وتراثهـا الحضـاري الباهر وهو ما يساعدها ، بل يحثها على استمرار النهضـة والعمران والأخـذ بكل مـا هو مستجـد في العلم والمعرفة لتعاود لعب دورها التاريخي المجيد .

وها أنذا أصدر كتابي هذا في ثوبه الجديد ، بكل ماتيسر من معلومات واجتهادات وإضـافـات ، وصور وخرائط توضيحية ، تقصيت مااستطعت في جمعها وبسطها وهو مـا كان متعـذراً قبل ربع قرن من الـزمن . فعسى بهـذا أكـون قـد أسهمت ببعض الـواجب نحـو وطن عربي شرفني بـالانتماء إليـه ، وبخدمته وتمثيله لأكثر من أربعين عاماً كلهـا شعور براحـة الضمير والاقتنـاع بمستقبل زاهر لبلـد مجيـد وشعب متوثب وقدير .

والله من وراء القصد .

الدكتور عدنان ترسيسي

جنيف في : ١٤١٠/١/١ هـ

بلاد سبا وحضارات العرب الاولى

اليمن

العربية السعيدة ARABIA FELIX

مع عرض جغرافي مصوَّر ومطالعات ذات صلة بمواضيع الكتاب
وكشف بتسلسل العهود والأحداث ومرفقات لبعض الوثائق المعتمدة

يتألف هذا الكتاب من أربعة اقسام

القسم الأول : التاريخ والمساهمة بالحضارة العالمية

القسم الثاني :الجغرافيا الطبيعية والبشرية

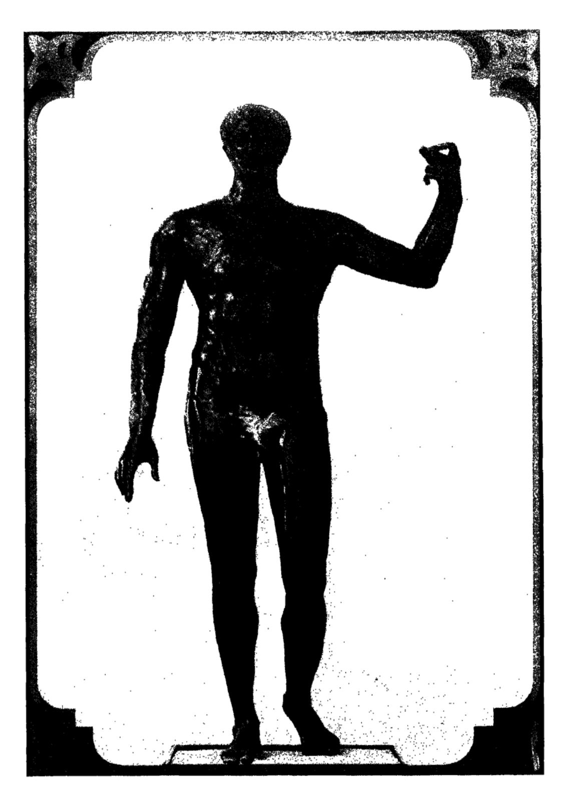
القسم الثالث : مطالعات واجتهادات وأبحاث ذات صلة بمواضيع الكتاب

القسم الرابع : تسلسل العهود والأحداث ويليه عدد من الوثائق للإيضاح

يتضمن كل قسم مواضيع مع عناوين رئيسية وفرعية مرفق بها الخرائط والمخططات والصور ذات الصلة .

القسم الأول

التاريخ القديم



تمثال من البرونز للملك الحميري (ذمار علي)
- وهل رغب أن يتشبه بأحد آلهة الإغريق -

العربية السعيدة

﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾

[سبأ : ١٥/٣٤]

اليمن : معين ، سبأ ، حمير ومنها قتبان وأوسان وحضرموت وسواها

« بلاد اليمان »

أطلق عليها **الإغريق** اسم (**العربية السعيدة - آرابيا فيليكس** ARABIA FELIX) ولقبها **الرومان** **ببلاد البخور والعطور والقصور** وعرفها **العرب** **باليمن الخضراء** أو **بلاد اليُمن والخير** . وهي **بلاد اليمين** بالنسبة لموقع **بيت الله** الحرام .

وقال عنها (**بلينوس**) ٧٩ م الذي نقل أخبار حملة **جاليوس** الروماني الفاشلة ضد **اليمن** (٢٤ ق . م) : « إنها بلاد ثروة ورخاء عجيبين وإنها موطن اللُّبان والطيوب ، وإن أهلها يحبون الحرية ويتمتعون بها كل التمتع » .

وكتب عنها **هيرودتس** المؤرخ اليوناني (٤٢٠ - ٤٨٤ ق . م) : « أنه تخرج من كامل البلاد روائح عطر البخور المنعش والمريح للنفوس وأن **بلاد العرب** هي البلاد الوحيدة التي تنتج اللّبان والأقاصيا (البلسم) والقرفة واللادن » .

وتفيد النقوش الفرعونية أن الملكة **حتشبسوت فرعونة مصر** أرسلت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بعثة إلى أرض **البونت** بحثاً عن مصادر البخور ويبدو أن بلاد **البونت** المذكورة هي **جنوب اليمن وساحل الصومال** لأنها كانت في عهد **هيرودتس** المنطقة الوحيدة في العالم أجمع التي تنمو فيها شجرة الأقاصيا (البلسم) التي تنتج اللُّبان الأبيض الزكي الرائحة وذو المنافع العديدة الذي يطلق عليه **الفرنسيون** اسم الصمغ العربي (GOMME ARABIQUE) وهو الذي اعتبره قدماء المصريين عنصراً هاماً لممارسة طقوسهم الدينية حيث كانوا يحرقونه في هياكلهم العظيمة وفي تحنيط موتاهم ، ونعتوه بعطر الآلهة .

وسجل **سترابون** العالِم الرّحالة اليوناني الذي رافق حملة (**جاليوس**) الرومانية بقصد احتلال **العربية السعيدة** ؛ قائلاً عن **مأرب** عاصمة **سبأ** (**السبأي أو العربية السعيدة** ARABIA FELIX) آنذاك بأن هذه المدينة كانت عجيبة مذهلة ، سقوف أبنيتها مكسوة بالذهب ومزينة بالعاج والحجارة الكريمة ، كما تحوي على القصور المزخرفة بالأحجار الثمينة ، وكتب **بلينوس** PLINY أيضاً نقلاً عن **جاليوس** المذكور أعلاه وهو القائد الروماني الفاشل : « فاقت **السبأي** الجميع ثروة بما كان يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري وهي تنتج العسل والشمع بكثرة .... فلو تحرّيت هذه الأقطار تماماً لعلمت بأنها أغنى بلاد الأرض قاطبة بما يتوارد إليها من كنوز **دولة الرومان ودولة الفرس** .

كما دوّن في مكان آخر قوله : « كسبت **بلاد العرب** نعت **سعيدة** لأنها فيّاضة بحاصلات يستعذبها أهل الترف ويباهون في اقتنائها جهازاً لموتاهم ، هكذا انصرف المترفون إلى حرق هذه الحاصلات أمام أجساد أعزائهم الراحلين إلى دار الفناء بعد أن كان استعمالها قبلاً ينحصر في مراسم العبادة لآلهتهم ... ولكن **بحر العرب** أحرى بكنية السعادة فهو مصدر اللؤلؤ ، وتبتز **الهند وقبائل سارا وعرب الجزيرة** من أموال إمبراطوريتنا مبلغ مئة مليون (سترسه ـ النقد الفضي أو البرونزي الروماني) كل حَول . وهذا على أقل حساب ، وتلك ثروة طائلة نبذرها على أهواء مترفينا ونسائنا » .

فما هي هذه **اليمن** أو **العربية السعيدة** ، ولماذا هذه الأوصاف ، وهل هي **سبأ** التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ؟ ﴿ وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ [النمل : ٢٧/٢٢]

اليمنيون هم الساميون الاول

الجزيرة مهد الجنس السامي

الجزيرة مهد الجنس السامي

أفادنا العلاّمة المرحوم الدكتور **حتي** ، رئيس قسم الدراسات المشرقية في جامعة **برنستون الأمريكية** في مؤلفه القيّم (**تاريخ العرب**) ، تحت عنوان الفصل الأول منه ما يلي : « **العرب ساميون** ، **الجزيرة** مهد الجنس السامي » ، إلى أن يقول : « ولمّا كانت **جزيرة العرب** هي مهد الجنس السامي على ما يرجح ، فإنها أنشأت الشعوب التي نزحت فيما بعد إلى **الهلال الخصيب** ـ هذه الشعوب التي أصبحت مع تعاقب الأجيال أمم **البابليين والآشوريين والفينيقيين والعبرانيين** » . وقوله نزحت فيما بعد إلى **الهلال الخصيب** يفهم بوضوح بأنه يقصد **عرب جنوب الجزيرة** ، ذلك أن **الهلال الخصيب** يشكل كامل **شمال الجزيرة العربية** .

كلمة (عرب) وبلاد الرافدين

يعتقد البعض أن أهل الهجرات المتتابعة نحو **بلاد الرافدين** هم من أبناء **الجزيرة** بشكل عام وأن سكان ما بين النهرين الأول أطلقوا اسم **عربي** أو **أعرابي** على الذي أتى من **الغرب** أي عن طريق الصحراء إلى **وادي الفرات وشط العرب** أي الطرف الأدنى من بلدان **الهلال الخصيب** الذي كان يستقبل هجرات أهل الجنوب الواصلين إليه في مرحلة أولى قبل أن يتوجهوا فيما بعد إلى أواسطه إما عن طريق الشرق أو عن طريق الغرب مروراً **بالحجاز** ثم بالعربية الصخرية كما سماها **الرومان** وهي الواقعة في الطرف الأعلى من **الهلال الخصيب** .

ثم إننا نميل للاعتقاد بأن المقصود بكلمة **أعرابي** هم أهل البادية الرحل **البدو** وهذا ما يفسره ألقاب التبابعة التي أضافوا إليها كلمة (**وأعرابهم**) في النجاد والسهول .

ونعلم أيضاً أنه ابتداء من حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، وربما قبل ذلك ، بدأت بعض القبائل السامية تهاجر إلى **العراق** واستقرت في **بلاد بابل** ولم يمض عليها عدة قرون حتى أصبحت صاحبة الأمر في البلاد ، وأسس الملك **سرجون الأول** حوالي عام ٢٣٤٠ قبل الميلاد مملكة **أكادّ** السامية التي اتسعت فتوحاتها حتى شملت **آسيا الصغرى** وشكلت إمبراطورية **الأكدّيين** .

وجاء قوله تعالى فاصلاً في تسمية **أهل البادية** الرحل (**البدو**) أعراباً : ﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق .. ﴾ إلى آخر الآية الكريمة [التوبة : ٩٨/٩] . ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق .. ﴾ إلى آخر الآية الكريمة [التوبة : ٩٩/٩] .

بلاد البونت : اليمن والصومال

كثيراً ما جاء ذكر **بلاد البونت** في أخبار **مصر الفرعونية القديمة** ، وقد تم الاتفاق لدى المستشرقين أن **بلاد البونت** هذه هي بلاد مصادر البخور وهي المجاورة **لمضيق باب المندب** على **الساحل الإفريقي الصومال** وعلى **جنوب الجزيرة العربية** . وأول ذكر منقوش لبلاد **البونت** يعود لعهد **ساحوراع** حوالي ٢٥٥٠ قبل الميلاد وهي واضحة على جدران معبده في **أبو صير** وأوضح دليل على علاقة **مصر** ببلاد **البونت** هو إرسال الملكة **حتشبسوت** لتلك البلاد ١٤٩٠ ق . م عدداً من سفنها أخذت طريقها إلى بلاد **البونت** عبر القناة التي كان قد تمّ فتحها قبل ذلك بأكثر من ألف عام . ويفيد النقش أن تلك الرحلة عادت موفقة ومحملة بخيرات تلك البلاد كالبخور والعطور والأخشاب الثمينة وبعض أنواع الأشجار التي زرعت في حديقة المعبد ، ويذهب بعض العلماء للاعتقاد بأن أصل **الفراعنة** وصلوا من **جنوب شرق مصر** أو من بلاد **البونت** وذلك عن طريق بلاد (**أكسوم - الحبشة**) وبلاد (**النوبة - السودان**) حيث ترعرعت أولى ممالك الفراعنة في **أعالي النيل** وهي ممالك **كوش** القديمة ، وهو ما يعيد تاريخ الحضارة إلى **جنوب جزيرة العرب** قبل وصولها إلى **جنوب وادي النيل** حيث بدأت فيه وترعرعت قبل سلوكها مع مجراه باتجاه **البحر الأبيض** في مرحلة سبقت وتعود لأكثر من خمسة آلاف عام بكل تأكيد نظراً لما أصبح معروفاً ومؤكداً من أن بناء **الأهرامات** المدّرجة الأولى تعود إلى ماقبل خمسة آلاف عام . وليس من المعقول أن تكون قد بدأت حضارة **أعالي النيل** ببناء **الأهرامات** لأن تصميها وبناءها يشكل بحد ذاته مرحلة متقدمة من مراحل المعرفة العالمية والحضارات . وهذا مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد إلى أن هناك مرحلة سبقتها ، ربما نشأت في بلاد **البونت** المقدسة ، وهذا يسمح لنا للتساؤل هل بدأت تلك المرحلة الأولى من الحضارات التي أصبحت معلومة حالياً في **وادي النيل** المجاور **لبلاد الحبشة وبلاد البونت** ؟ أم بدأت في **بلاد البونت** نفسها أي في **جنوب جزيرة العرب** التي تمتعت بالإقليم المناسب لحياة الإنسان وتوفرت فيه المياه حتى في أيام الصيف كما سنرى في عنوان لاحق ؟ .

الدول القديمة وحضارتها

الأدلة الأكيدة على الحضارة
الكتابة والعناية بها

تمكن العلامة **جرجي زيدان** بعد تعرفه على ماكتشفه **المستشرقون** وبعد اطلاعه خاصة على ماذكره **المؤرخون العرب الثلاثة : ياقوت** ، **والمسعودي** ، **والهمداني** من التوصل إلى الاستنتاج التالي :

« أهل **اليمن** حضر من أقدم أزمانهم ، فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهياكل وأثاث ورياش ، لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة ، واغترسوا الحدائق والبساتين » .

وقال **أغاثرسيدس** اليوناني :

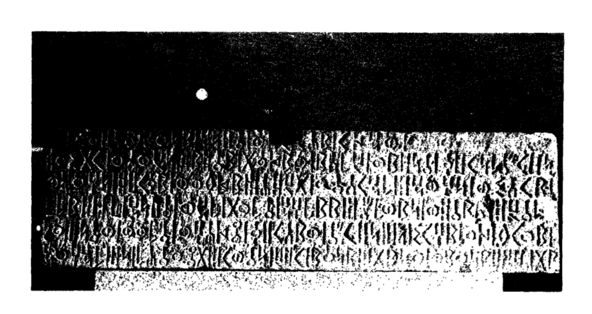
« **وللسبئيين** في منازلهم ما يفوق التصديق من الآنية والأوعية على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب ، وعندهم الأسرَّة والموائد من الفضة والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها » .

« قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المزينة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف مرصعة بالجواهر ، ويبذلون في تزيين قصورهم أموالاً طائلةً لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة » .

وأهم هذه الأدلة وأوضحها هي لاشك الكتابة والعناية بها كما سنرى تحت عنوان آخر .

هجرة أهل الجنوب إلى مصر وبلدان الهلال الخصيب

لاشك لدينا أن موقع **اليمن** الجغرافي وإقليمها الطبيعي في **المناطق الجبلية والداخلية** ومناخها المناسب لحياة **الإنسان** في منطقة تحميها طبيعتها وموقعها من غزوات الفاتحين وحصولها على موارد المياه اللازمة للعيش والزراعة حتى في أيام الصيف . لاشك لدينا أن هذه العناصر ساعدت **الإنسان** في تلك البلدان منذ أعماق التاريخ ـ الألف الرابع قبل الميلاد ، وقبله ـ على النمو والتكاثر والتمتع باستقرار في مسكنه حيث حافظت وتحافظ عليه الجبال الشاهقة التي يأوي إليها والصحارى الصعبة المنال التي تحيط بمساكنه والوديان والقيعان الصالحة للري والزراعة التي تؤمن له رزقه وعيشه ، وأيضاً



الخط المسند

مثال رائع لاستعمال الألفباء السبئية بشكل ممنق منسق منذ الألف الأول قبل الميلاد

احتواء تلك البلدان على سلعة اللبّان وسلعة المرّ وكذلك الذهب التي ازدادت الحاجة إليه بعهد **الفراعنة** منذ ما يقرب من ستة آلاف سنة .

ثم جاء في الألف الثاني قبل الميلاد التعرف على الجمل واستخدامه في تأمين المواصلات العسيرة عبر الصحارى (١٣٠٠ قبل الميلاد) . وهكذا أتى هذا العنصر الجديد وهو استخدام سفينة الصحراء للتنقل بين **المحيط الهندي والبحر المتوسط** عبر الصحراء الأمر الذي كان قبل التعرف على الجمل عسيراً ولا يتم ﴿ إلاّ بشق الأنفس ﴾ [النحل : ٧/١٦] .

لقد جاء هذا العنصر الهام ليساعد على إنشاء طريق صحراوي يؤمن التجارة العالمية ويشكل جسراً برياً صحراوياً يربط بواسطة قوافل الجمال المنظّمة بين **بلاد بحار الجنوب وبلاد بحار شمال الجزيرة** والتي نستطيع أن نشبهها في يومنا هذا بقوافل السكك الحديدية التي تربط **روسيا بالمحيط الهادي** عبر **سيبيريا** كما ربطت **شرقي الولايات المتحدة بغربها** وغيّرت معالم الاقتصاد والتاريخ في مناطق شاسعة من العالم .

ومن التأمل بهذه العناصر المواتية والتعرف على ما جاء ذكره عند **الإغريق والرومان** وما كان تدوينه في **التوراة** ثم ما كان اكتشافه من كتابات ونقوش تركها **الفراعنة** على آثارهم ؛ من كل ذلك تأكد رجال العلم **الغربيين** بأن **بلاد جنوب جزيرة العرب** لابد وأنها مهد للحضارات الأولى ويذهب البعض لاعتبارها مهد **الإنسان** المتحضر وعلى أي حال فهي منبع العنصر السامي ومركز قديم جداً

للعالم ولمفهوم الحضارة . الأمر الذي حمل أهل الاختصاص لمحاولة التعرف على هذه البلاد الخيّرة حيث كان أبناء هذه المعاقل الطبيعية يتحفظون من كل غريب خشية وقوعهم تحت رحمة هجماته وطمعه ، بما أنعم الله عليهم به . وكان لهم تجارب من **بلاد شمال الجزيرة** وتعرضها باستمرار لأطماع الغزاة وخرابها ، وخضوعها لهم مثالاً ومصدراً للتحفظ والقلق . كما أنهم كانوا أنفسهم ممن جابوا تلك البلاد المنخفضة وتعرفوا عليها وسكنوها سلماً أو حرباً كما استوطنوها نهائياً ، علماً بأنهم قلّما وصلوا غزاة ، بل مهاجرين اختلطوا بأبناء من سبقهم إليها سواء كانوا في الأصل من أبناء عرقهم أو من عرق آخر تزاوجوا معه .

وكان أول من هاجر إلى الشمال ذو المساحات السهلة المروية هم أبناء الجنوب وذلك وفقاً للاجتهاد الحديث حيث وصلوا إلى **مصر** عن طريق **غربي إفريقيا** (٤٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ قبل الميلاد) ، وكان ذلك قبل التعرف على الجمل واستخدامه . وعندما توجهوا إلى **مصر** عن طريق **شرقي إفريقيا** المجاور اختلطوا بالسكان **الحاميّين** في بلاد **أكسوم** .

ويؤكد المختص بتاريخ الإنسان (**جورج بارتون**) أن بني حام ليسوا من العرق الزنجي خلافاً لما هو شائع ، وقد شكل الساميون ـ الحاميون في جنوب **بلاد النيل** أولى المدنيات المصرية في بلاد (**النوبة**) ومنها مملكة (**كوش**) النوبية الراقية فشادوا فيها (**بأعالي مصر**) الأبنية الحجرية وأنشؤوا التقويم الشمسي .

وجدير بالإشارة هنا أن مدنية **مصر** المذهلة العريقة نمت وازدهرت أولاً في الجنوب ، أي **بأعالي النيل** بالقرب من بلاد **أكسوم** وذلك قبل أن ينزل **الفراعنة** مع اتجاه النيل شمالاً إلى **الدلتا والبحر المتوسط** وهكذا يكون أول **الفراعنة** من **الساميين الحاميين** قبل توحيد **مصر العليا والسفلى** في الألف الرابع قبل الميلاد أو قبله ، وهو مما يفسر اعتبارهم بلاد **جنوب الجزيرة** وهي وبلاد **البونت** بلاداً مقدسة كما ذكرنا . وقد اعتبر **الفراعنة** وحاشيتُهم الراقية العالمة أنهم من طينة مختلفة عن طينة أغلبية السكان الساحقة .

﴿ ورفعنا بعضكم فوق بعضٍ درجات ﴾ [الزخرف : ٤٣/٣٢] .

(ويؤكد علماء أصل **الإنسان** أن أول مخلوق مفكّر (**إنسان**) عاش منذ ثلاثة ملايين سنة في **القرن الإفريقي** المتصل آنذاك **بجنوب الجزيرة العربية** قبل انفصال **إفريقيا** عن آسيا عند **باب المندب والبحر الأحمر**) .

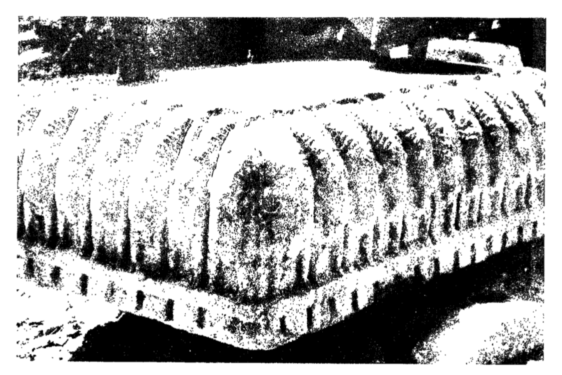
أما باتجاه الشرق فقد وصل أبناء هذا العرق السامي من **جنوب الجزيرة** إلى **بلاد الرافدين** (**ما بين بلاد النهرين**) حيث اختلطوا **بالسومريين** وأنشؤوا مع هؤلاء مدنية أخرى هي مدنية أهل

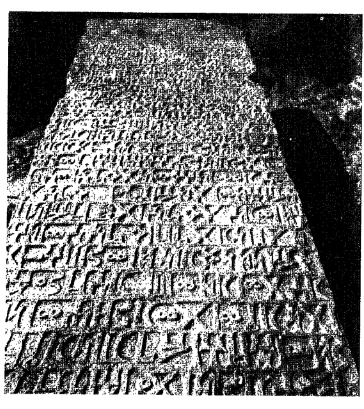
بابل (**البابليون**) ، وهكذا تعاون أبناء **جنوب الجزيرة** غرباً مع **الحاميين** لإنشاء مدنية مصر الفرعونية الأولى وكانت في **أعالي النيل** كما تعاونوا مع **السومريين** في **شرقي الجزيرة** لإنشاء مدنية أخرى تفرعت عنها عدة إمبراطوريات سامية شرقية .

ولا شك أن العالم الإغريقي والروماني وعالمنا الحاضر من بعده مدينون إلى هاتين المدنيتين العالميتين وإلى أصولهما وهي مدنية أهل **جنوب جزيرة العرب** التي لا نزال بحاجة للتعرف على حقيقتها المجهولة كما سنشير إلى ذلك في بحثنا حول قوم **عاد** و**ثمود** بأطراف **الربع الخالي** .

الأموريون والكنعانيون

ويبدو أنه في الألف الثالث قبل الميلاد حدثت هجرة أخرى من الجنوب إلى الشمال عبر الصحراء وأوجدت هذه الموجة الجديدة التي اتجهت إلى **شرقي وشمال الجزيرة** دون اجتياز **البحر الأحمر** أمة سامية عربية المعالم ولديها ركائز اللغة وهم **الآموريون** الذين تمركزوا في جميع أنحاء **بلاد الهلال الخصيب** ومنهم **الكنعانيون** وفروعهم الذين استوطنوا بشكل أعم ومكثف **ببلاد الشام** في **سورية والأردن** وخاصة **فلسطين** التي كانت تسمى بعهد **التوراة** **بلاد الكنعانيين** أي **الكنعانيون** الذين طمع ببلادهم **العبرانيون** واعتبروها هبة من الله إليهم لغناها وتقدم الحياة الحضرية فيها حيث توجد مدن مبنية محصّنة ومزارع خصبة ومراع فسيحة في الهضاب المجاورة لأعالي **نهر الأردن** وأصبحت بذلك « **أرض الميعاد** » بالنسبة للقبائل العبرانية التي هي أيضاً من العرق السامي . وكانت هذه القبائل العبرانية قد وصلت إلى **بلاد كنعان** من **جنوب شرقي الهلال الخصيب** أي من منطقة مدينة **أور** على ضفاف **نهر الفرات** . وهذا وفقاً لما يؤكده المختصون بتاريخ القبائل العبرانية ، وقد حصل ذلك قبل لجوء القبائل العبرانية إلى **مصر** ثم عودتها إلى **بلاد كنعان** بقصد الإقامة فيها بقيادة **النبي موسى** عليه السلام حيث اصطدمت مع « **الفلسطينيين** » والأقوام المنتسبة إلى **الكنعانيين** ذوي الأصول العربية ومنهم **المعابيون** الذي سجل أحد ملوكهم في القرن التاسع قبل الميلاد على « **حجر معاب** » المذكور والمنشورة صورته لاحقاً بهذا الكتاب ، أنه انتصر على إسرائيل وقضى عليها « **إلى الأبد** » راجع الصفحة ٢٤٤ تحت عنوان « **مسلة معاب** » .





تطلعنا أحجام هذه الاثار على مدى تطور الكتابة والعناية بها وهي على عامود ارتفاعه ١٢ مترا كما يصل ارتفاع الحرف إلى ٢٦ سنتيمترا. ونلاحظ ضخامة قاعدة العامود التي تدلنا على عظمة وأهمية المبنى الذي كان ولا بد يستند إلى عدد من الأعمدة الأخرى والتي ربما كانت مزيّنة بالرّقم المنسّقة وذات أهمية تاريخية أو تشريعية أو ثقافية.

فجر التاريخ والحضارة اليمنية

﴿ **بلدة طيبة ورب غفور** ﴾ [سبأ : ١٥/٣٤]

نقصد هنا بفجر التاريخ ، المرحلة التي اهتم بها الإنسان بالمنشآت ، فاطلعنا على آثارها وترك لنا النقوش فتعرفنا بفضل الكتابة على أخباره وفهمنا منها بأنه تمكن من تنظيم حياته ووضعها على أسس محددة معلومة .

اليمن في العهد القديم

معين ، سبأ ، حمير ، قتبان ، أوسان ، وحضرموت ، ويمنات ، ومنها إمارة سمعي وإمارة أربع

أطلق عليها **الإغريق** اسم **العربية السعيدة** (**آرابيا فيلكس** ARABIA FELIX) ولقبّها **الرومان** (ببلاد البخور والعطور والقصور) ، وعرّفها **العرب** (**بالعربية الخضراء**) أو بلاد اليُمْن والخير وهي بلاد **اليمين** بالنسبة لموقع **بيت الله الحرام** كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وقد كتب عنها المؤرخ اليوناني **هيرودوتس** من أهل القرن الخامس قبل الميلاد (٤٢٠ ـ ٤٨٤ ق.م) :

« أنه تخرج من كامل البلاد روائح عطر البخور المنعش والمريح للنفوس ، وأن **بلاد العرب (السبأي)** هي البلاد الوحيدة التي تنتج اللُّبان والأقاسيا والقرفة واللادِن » .

وسجلت النقوش الفرعونية قبل **هيرودوتس** بألف عام ، أن فرعونة **مصر (حتشبسوت)** أرسلت بعثة إلى أرض (**البونت**) حيث وصلت إلى تلك البلاد وعادت محملة بالبخور وسائر السلع النادرة ، وكان ذلك في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ونعلم أن بلاد (**البونت**) هي **جنوب اليمن وسواحل الصومال** ، وأن **الفراعنة** اعتبروا البخور (عطر الإله) .

وكتب **سترابون** (٥٨ ق.م ـ ٢٥ م) ، وهو المؤرخ اليوناني الروماني الذي رافق حملة (**جاليوس**) الفاشلة بقصد احتلال **العربية السعيدة** بالتعاون بين **الرومان والأنباط** ، قائلاً عن

مأرب عاصمة سبأ ما يلي :

« إن هذه المدينة كانت عجيبة ، مذهلة ، سقوف أبنيتها مكسوة بالذهب وهي مزيّنة بالعاج والحجارة الكريمة ، كما تحتوي على القصور المزخرفة الرائعة بزينتها » .

ثم قال عنها **بلينوس** PLINY المؤرخ اليوناني (٧٩ م) نقلاً عن **يوليوس جاليوس** الفاتح الروماني الذي فشل في احتلال مصدر البخور وسائر السلع :

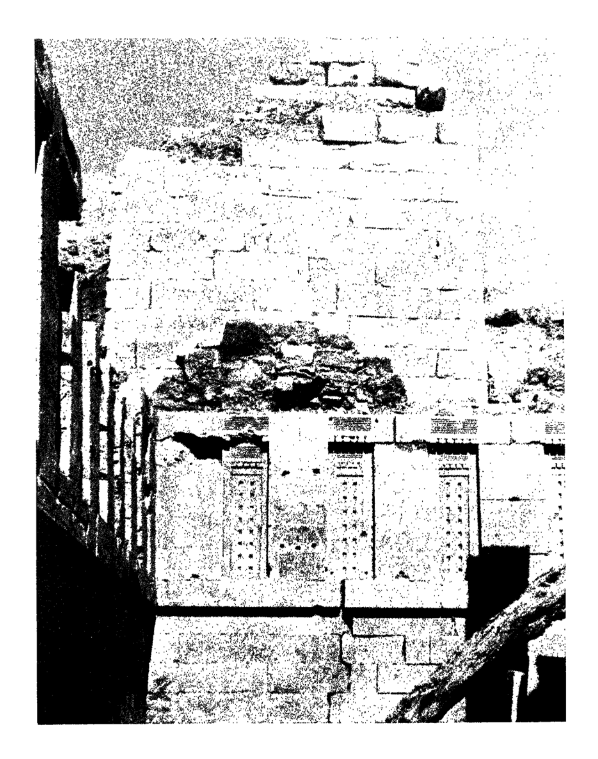
« إنها بلاد ثروة ورخاء عجيبين ، وإنها موطن الطيوب ، وإن أهلها يحبون الحرية ويتمتعون بها كل التمتع » .

كما كتب **بلينوس** أيضاً عن المصدر نفسه ، أي عن **يوليوس جاليوس** الذي وصل إلى **مأرب** مارويابه مسالماً بعد أن فشل محارباً (٢٤ ق.م) :

« فاقت **السبأي** الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري وهي تنتج العسل والشمع بكثرة ... فلو تحرّيت هذه الأقطار تماماً لعلمت بأنها أغنى بلاد الأرض قاطبة بما يتوارد إليها من كنوز **دولة الرومان ودولة الفرس** » .

التعرف على اليمن التاريخية

إذا أردنا أن نتعرف على **اليمن** في الألفين ونصف قبل الإسلام لنرى ما كانت عليه تلك البلاد من حضارة ورقي في تلك الحقبة من التاريخ في مهده **بجنوب الجزيرة العربية** ، وجب علينا أن نعود إلى المراجع القليلة التي وصفت أو ذكرت **جنوب جزيرة العرب** ، كما وجب علينا العودة إلى الآثار الظاهرة في تلك البقاع والكتابات أو النقوش التي تمّ العثور عليها ، مع العلم بأنه لم تحصل أية حفريات أو أبحاث أثرية تستحق الذكر في بلاد **اليمن** إلا القليل وخاصة في السنوات الأخيرة . وسنشير في نهاية هذا البحث إلى سجل المراجع التي أمكن الاستعانة ببعضها لاستعراض تاريخ **اليمن** القديم ، محاولين بالاستناد إلى تلك المراجع ودراستها رسم صورة عن سبأ التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ، أو **العربية الغنية** كما جاء ذكرها في التوراة ، أو **العربية السعيدة** ، كما سماها **الرومان** ، أو **بلاد العرب الخضراء** كما عرّفها **العرب** ، أو **البلاد المقدسة** كما جاء ذكرها عند **الفراعنة** ، أو **بلاد القصور** كما سماها **الأخباريون** ، أو **بلاد الطيب** كما سماها **سترابون** ، أو **بلاد العطور** كما سماها **الإغريق** ، أو **بلاد الهلال السعيد** كما رسمناها بهذا الكتاب باعتبارها مقابلة **لبلدان الهلال الخصيب** .



النوافذ الكاذبة

اهتم اليمني منذ أقدم العصور بتزيين مبانيه ، من الداخل والخارج ، ومنها المعابد والقصور ، وقد ابتكر اللجوء لبناء نوافذ كاذبة من الرخام أو الأحجار المرصوفة لإعطاء الجدر رونقاً جذاباً ، ونميل للاعتقاد بأن الثقوب التي بالنوافذ كانت مرصعة بأحجار ملونة .

طبيعة اليمن في العهد السحيق القديم

كانت جغرافية **اليمن** البشرية وحتى الطبيعيَّة في الألفين قبل الميلاد بشكلها الهلالي الواضح في **جبال السراة** تختلف عما هي عليه اليوم ، إذ إن المناطق الداخلية منها ، وهي شبه صحراوية ، أي **حضرموت** العليا ومنطقة **شبوه ومأرب وحريب وتُمنع** ، كانت في تلك المرحلة الطويلة من التاريخ لا تقل اخضراراً وازدهاراً عن مناطق الجبال المرتفعة التي تشرف على **تهامة** على **البحر الأحمر** وعلى السهول والهضاب الخضراء التي تحيط بها **جبال السراة** المتاخمة **للمحيط الهندي والبحر الأحمر** ، أي المنطقة التي تشكل **اليمن** الاقتصادية الخضراء ذات المنتوجات الزراعية والأمطار الموسمية الغزيرة وذات الواحات الزاهرة التي كانت قائمة في **الأحقاف وبلاد الزهور** وسواها قبل زحف صحراء **الربع الخالي** عليها وطمر بواديها ومعالمها والقضاء على حضاراتها التي تزامنت برأينا مع حضارة **وادي النيل** كما أشرنا إلى ذلك بمكان آخر من هذا الكتاب تحت عنوان **الربع الخالي** .

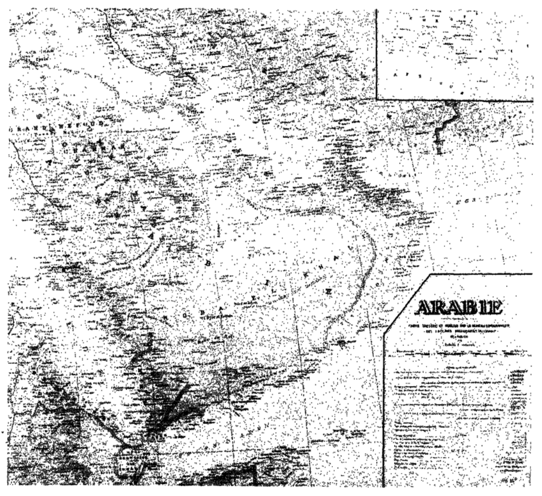
قلنا إنه كانت المناطق الجافة المجاورة **للربع الخالي** على جانب عظيم من الازدهار والعمران ، إذ كانت تقوم هناك على سفوح الجبال وباتجاه الصحراء الشاسعة التي سميت **بالبحر السافي** وخاصة في **الأحقاف** وهي المذكورة بالقرآن الكريم والمتصلة **بعاد** . كما يلي **الأحقاف** واحات عُرفت تحت اسم **بلاد الزهور** وهي الواقعة في **الأحقاف** الشمالية الغربية حيث قامت هناك مدن ذات مجد وثراء وعمران وخضرة وازدهار لا مثيل لها إلا ما جاء وصفه في الطرف الآخر من **جزيرة العرب** . فمثلما قامت على شاطئ **البحر الأبيض المتوسط** مدن عرفت بالحضارة والثراء والعمران والقوة والطموح كمدينة **صور وصيدا وجبيل** وغيرها ، قامت على شاطئ الصحراء - إذا صح التعبير - المعروفة **بالربع الخالي والأحقاف** مدن زاهرة كمدائن **قرنو ومأرب وتمنع وشبوه** وغيرها ، وكذلك الواحات التي اعتبرت مندثرة وربما كانت **وبار وإرم ذات العماد** مماثلة لتلك المدن وربما كانت أكثر حضارة وازدهاراً . وكما كانت في شمال الجزيرة موانئ على شاطئ البحر يرتبط مصيرها وازدهارها بمدى تعاملها مع البلاد الواقعة في الطرف الآخر من البحر وعلى قوة الأساطيل اللازمة لتأمين التعاون والاتصال والمحافظة على مسالك الطرق البحرية ، كذلك كانت تلك المدن موانئ على **شاطئ الصحراء** يرتبط مدى ازدهارها ونموها بدرجة تعاملها مع البلدان الواقعة في الأطراف الأخرى من الصحارى والبراري العربية ، وعلى القوافل المستعملة لتأمين النقل ، وعلى القوة والحكمة اللازمتين للمحافظة على مسالك الطرق البرية .

ولما كانت موانئ **البحر الأبيض المتوسط** الزاهرة والتي تقع على أطراف الصحراء بالشمال **كالبتراء وتدمر** ومدن **حوران** تستند في تموين تجارتها إلى ما يصلها بواسطة الصحراء من سلع بالإضافة إلى ما عندها من موارد ، كذلك كانت موانئ الصحراء في الجنوب ، كما سميناها ، تستند في تموينها إلى

ما يصلها من المحيط الهندي والبلدان المحيطة به ومما لديها من موارد طبيعية وأهمها في الماضي كان اللّبان والمرّ وغالباً الذهب الذي لا يحتاج إلى صهر كما ذكرنا وسنرى تحت عنوان **ذهب أوفير** .

وكما قامت أمواج البحر بتحطيم موانئه بعد أن تحولت طرق التجارة البحرية عنها ، لسبب أو لآخر ، ومسختها إلى قرى مهملة أو حولتها إلى أثر بعد عين ، كذلك فعلت الرمال بموانئ الصحراء وطمرتها كلياً أو جزئياً أو أزالتها من الوجود كلياً .

وكما أنه من المتعذر على من يرى **جبيل** الفينيقية على ساحل **لبنان** اليوم ، أن يتصور كيف كانت **بيبلوس** ـ وهو اسمها القديم ـ في الألف الأول قبل الميلاد وقبله ، كذلك من المتعذر على من يرى **قرنو** أو **مأرب** أو **تمنع** على ساحل صحارى الجنوب أو **البتراء** أو **تدمر** في الشمال ، أن يتصور كيف كانت هذه القرى الصحراوية الآن ، مدناً زاهرة ، وممالك عامرة ، ومراكز لحضارة برّاقة ذات



الخريطة الفرنسية وقد وضعت (الأحقاف) غربي (بحر السافي) كما وضعت (بلاد الزهور) شرقي (جوف اليمن) واعتبرت الخط الوهمي الذي كان يفصل بين النفوذين البريطاني والعثماني ملغياً ، واكتفت بتوضيح الخطوط حول الكويت وتحديد المنطقتين المحايدتين والخطوط المحيطة بالربع الخالي .

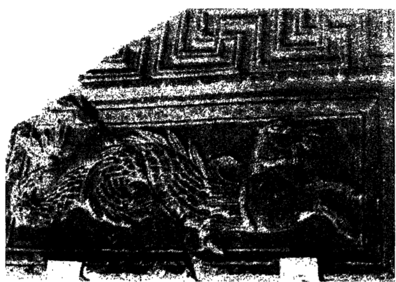
ثراء خيالي ومجد نادر ، مع العلم أن بعضها قد اندثر نهائياً ولم يعرف مكانها بالضبط إلا في القرن الماضي . وهذا ينطبق على مدن **ظفار وتمنع وقنأ ونشق وقرنو وبراقش** وغيرها كثير ، وعلى **البتراء وتدمر** في الشمال ، **وتيماء** ومدائن **صالح والعُلا بالحجاز** وهي التي لم يتم اكتشافها حتى القرن التاسع عشر الماضي .

الأمّة التي كونت الأصل السامي

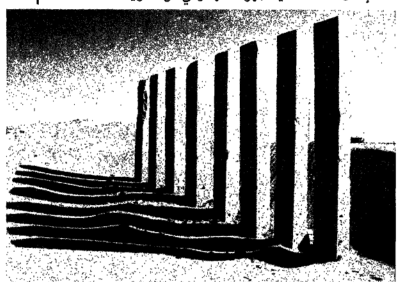
ولقد قال المستشرق **بروكلمن** عن **معين وسبأ وحمير** التي أسست هذه المدن ومراكزها على طرق تجارة القوافل العالمية ، والتي أنشأت تلك الحضارة : « بأنها الأمة التي كونت الأصل السامي الذي استوطن جنوب الجزيرة وأنشأ عمراناً مادياً رفيعاً » .

اسم اليمن وثروتها في العهد القديم

ورد اسم **اليمن** في النصوص السبئية القديمة **يمنات ويمنت** بما معناه الجنوب أو اليمين ، والعرب تحب التيمُّن وهو في **جزيرة العرب** الخير والبركة ، وهي التي عرّفها المؤرخون العرب **ببلاد اليمان** وما ترجمة الرومان إلى آرابيا **فيلكس** أي **العربية الخيرة أو العربية السعيدة** دلالة على غنى تلك البلاد ومدى حضارتها . وذكر المؤرخ **بلينوس الروماني** ، في القرن الأول للميلاد ، شرحاً يتعلق بتسميتها **العربية السعيدة (أرابيا فيلكس)** . قال المؤرخ : « كسبت **بلاد العرب** نعت (سعيدة) لأنها فياضة بحاصلات يستعذبها أهل الترف ويباهون في اقتنائها جهازاً لموتاهم » - ويقصد بذلك اللّبان والمرّ - إلى أن يقول : « هكذا انصرف المترفون إلى حرق هذه الحاصلات أمام أجساد أعزائهم الراحلين إلى دار الفناء بعد أن كان استعمالها قبلاً ينحصر في مراسم العبادة لآلهتهم . وتبتز **الهند** وقبائل **سارا وعرب الجزيرة** أموال إمبراطوريتنا مبلغ مليون (ستريسه - النقد الفضي والبرونزي الروماني القديم) في كل حول ، وهذا على أقل تقدير ، وتلك ثروة طائلة نبذرها على أهواء مترفينا ونسائنا » .



إحدى التحف الفنية المجهولة العهد وهي من محتويات متحف صنعاء ↑



معبد بلقيس في معاريس ↑

نوع الكتابة التي أنقذت من قصر ناعط ↓



تشكل هذه المسلّة وماكتب عليها
آخر ما تبقى من آثار معبد « عشتار »
وهو اسم كوكب الزهرة .



بعض بقايا قصر « ناعط »
بقايا معبد الإله (عشتار) (الزهرة) وأمامه المسلة التي حفرت عليها النقوش السبئية .

رقعة اليمن تاريخياً

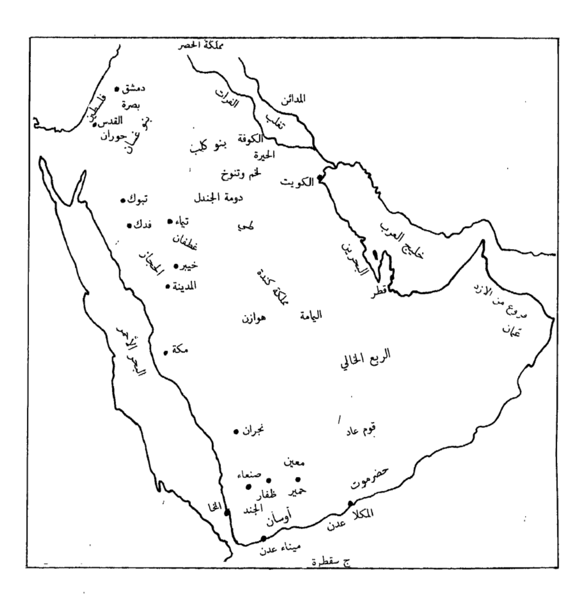
ورد في مروج الذهب لأبي الحسن المسعودي بالنسبة لمساحة اليمن وحدودها تاريخياً ما يلي :
« وبلد اليمن طويل عريض . حدّه مما يلي مكة إلى الموضع المعروف بصلحة الملك : سبع مراحل ، ومن صنعاء إلى عدن ، وهو آخر عمل لليمن على تسع مراحل . والمرحلة من خمسة فراسخ إلى ستة . والحد الثاني من وادي **وحا** إلى ما بين **مفاوز وحضرموت وعمان** : عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ماذكرنا أنه بحر القلزم والصين والهند ... فجميع ذلك عشرون مرحلة في ستة عشرة مرحلة ».

أما المستشرق النمساوي جلازر فقد حدد اليمن جغرافياً في عهدها القديم بكامل الرقعة في جنوب جزيرة العرب الممتدة من **عسير** إلى **المحيط الهندي** ومن **البحر الأحمر** إلى **الخليج** . وكان مَلك تلك البلاد في العهد الحميري يلقب بالتُبَّع ، **جمعها تبابعة** مضافاً إلى اسمه البلدان أو المقاطعات التابعة لملكه ، وهكذا أصبح يذكر كالتالي : **ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات** ، وبعد ذلك غلب اسم **يمنات** على المملكة ، ثم أصبحت **يمن** . ونميل للاعتقاد أن كلمة **يمنات** يقصد بها في العهد الحميري كامل المنطقة الشمالية الغربية وهي بلاد عسير وما يليها جنوباً من جبال ووديان وهي بلاد الأهنوم وحجة وما إليها مما يشكل شمال منطقة وادي **مور** حتى وادي زبيد ومنها إمارة **سمعي** وإمارة **أربع** ثم تبدأ جنوب الإمارتين في الجبال بلاد **ذي ريدان** وفيها قصر ريدان بالقرب من **يريم** ، وتليها قرب بلاد يحصب جنوباً التي تشرف عليها **ظفار** عاصمة **حمير** ، وهي المناطق التي تهطل فيها الأمطار الموسمية بكثرة وتشمل مناطق : **أب** ، **والعدين** ، **وبعدان** ، **والحجرية** ، وما إليها من جبال شاهقة ووديان باتجاه المحيط الهندي . وكان الملك في العهود القديمة يلقب أيضاً **مكرب** ، وتخضع لحكمه ولايات أو إمارات . ويعتقد أن كلمة **مكرب** يقصد بها المقرّب من الآلهة أو الموحد للدولة . ثم عمّ اسم **يمنات** أو بلاد يمان كامل العربية السعيدة لتصبح **اليمن** بعهد نبي الله ﷺ مما تؤكده الأحاديث الشريفة العديدة التي تذكر **اليمن** أو من **بلاد اليمن** .

أما في العهد الإسلامي فقسمت **اليمن** إلى مخاليف ، والمخلاف يشتمل على مدن ومحافد وقرى . وأشهر مخاليف اليمن (وعددها ٨٤) وفقاً لما جاء ذكرها بتاريخ **اليعقوبي** (وهو من أهل أواسط

القرن الثـالث هـ .) هي : مخلاف شبوه ، ومخلاف مـأرب ، ومخـاليف المعـافر ، **والسحـول وذي رُعين وجيشان ورداع وذمار والهان وحراز وهوازن وحضور وإقيان وخولان** وغيرهـا . وقد فصّلها الهمداني ـ توفي بعـد عـام ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م في مؤلفـه القيّم وصف جزيرة العرب في أوائل القرن الرابع للهجرة .

وسنرى فيما يلي رسماً تقريبياً لخريطـة اليمن وفقـاً لمـا جـاء بوصف الهمـداني .



العرب قبيل الإسلام

خريطة تقريبية لبلاد العرب قبل الإسلام وفي عهد الفراعنة ثم الرومان

ذكر العرب في النقوش والصحف الاولى وما كتب عنهم وبينهم ملكة سبا

ذكر لنا أهل الاختصاص أن أول إشارة ثابتة إلى العرب بهذه التسمية هي التي سجلت على نقش **شلمنصر الثالث** الآشوري الذي قاد حملة على ملك **دمشق** الآرامي حيث وقعت معركة طاحنة في **قرقر** شمالي **حماة** عام ٨٥٤ ق . م لافتين النظر إلى ماسبق من أن **البابليين والآشوريين** هم أنفسهم من الساميين الذين يعود أصل جنسهم إلى جنوب الجزيرة العربية .

وهذا بعض ماجاء بالنقش الذي سجل نتيجة تلك المعركة التي وقعت بين زعيمين من قادة الشعوب السامية العربية الأصول بشمال سورية . وقد سجل الملك الآشوري ما يلي :

« **قرقر** عاصمة ملكه ، أنا خربتها أنا دمرتها أنا حرقتها بالنار ، ١٢٠٠ مركبة ، ١٢٠٠ فارس ، ٢٠٠٠٠ جندي **لهدهاد عازر** صاحب آرام (**دمشق**) **العربي** هؤلاء الملوك الاثنا عشر ...» .

وكان **تغلبصار** الثالث الآشوري قد سجل أيضاً أنه في السنة الثالثة لملكه ضرب الجزية على **زبيبي** ملكة الأرض **الأربي** كما أنه في السنة التاسعة من عهده (٧٢٧ قبل الميلاد) أتته الجزية من قبيلة **مسّأى** ومدينة **تمأي** ذهباً وإبلاً وطيوراً . ويميل أهل الاختصاص إلى أن كلمة **أربي** يقصد بها **عربي** وكلمة **تمأي** يقصد بها واحة **تيماء** الشهيرة في مرتفعات الحجاز .

وأما **سرجون الثاني** ٧٢٧ ـ ٧٠٥ ق. م وهو من سلالة **سرجون الأول** السامي الأصل فقد سجل أنه أخضع قبائل **ثمود** وتلقى من **سمسي** ملكة بلاد العرب ومن **إيتا أمرا** زعيم سبأ وسواهما من ملوك مصر والبادية جزية من الذهب وحاصلات الجبل والحجارة الكريمة والعاج وبذور الأسفندان وأنواع الحشائش والخيل والإبل (جزية أدوها صاغرين).

ويعتقد الأستاذ **حتّي** أن **يثعمر** زعيم سبأ هو المكرب (**الملك يثع أمر**) الذي ورد ذكره في نقوش عرب الجنوب ، ثم يضيف العلاّمة **حتي** أن الادعاء بأن **يثعمر** قدم الجزية **لسرجون ملك آشور** فهو باطل لأن هذا **المكرب** تعامل معاملة « الند للند أو الحليف للحليف » ولم يكن ماسمي بالجزية سوى هدايا للإعراب عن المشاعر أو لتلافي العداء أو القتال وحماية مراكزه وطرقه التجارية ، ذلك أن

ملك آشور لم يصل مطلقاً إلى جنوب الجزيرة العربيـة وانحصرت فتوحـاتـه في شمالها ، بل اقتصرت في الجزيرة نفسها على الواحـات والمراكز المحيطـة **بـالعراق وسوريـة** وهي ممـا يسمى اليوم ببلـدان **الهلال الخصيب** .

وتحسن الإشارة هنا إلى التالي :

أولاً : أنه وقعت حروب في شمال الجزيرة ومراكزها التجاريـة في واحـاتهـا **بـالحجـاز** منـذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن الصراع بين مراكز تجارة **سبأ ومعين** على طريق التجـارة العـالميـة بين جنوب الجزيرة وشمالها كان قائمـاً في تلـك الحقبـة من الزمن ممـا يؤكـد على أهميـة الطرق التجـاريـة التي كان **المعينيون** ثم **السبئيـون** يسيطرون عليهـا مبـاشرة أو بـواسطـة عمـلاء كمملكـة **الأربي** والملكـة **سمس** المذكورتين .

ثانيـاً : إن الـذي يسجل التـاريخ أو بـالأحرى من يُكتب لـه التـاريخ هو المنتصر **دون سواه** ، فالتاريخ يسجل وفقاً لأهواء الغالب ، فما كان ظلماً منه وعدواناً صريحاً يعتبر بطولات وعظمـة وسمو وجرأة وإقدام وفتوحات مشروعة ونحو ذلك ، وأما المغلوب فهو الجبـان الخـائن المعتـدي على السلطـة المخادع أو الإرهابي الشرير الذي يعيث في الأرض فساداً وهو الـذي اقتضى الأمر تـأديبـه وحتى زوالـه من الوجود ومسح آثار وجوده وتحريم ذكر أخباره .

ولم تتبدل هذه المواقف في التاريخ وسرده حتى أيامنا هـذه ، فمن انتصر في الحروب الأخيرة لازال يكتب له التـاريخ وفقـاً لهواه بـالرغم من وجود جميع وسـائل التسجيل كالبلاغـات الخطيـة والإذاعـة والصورة التي تمكّن من التعرف على الحقيقـة المجردة وتسجيلهـا بوضـوح . ومـع ذلـك فـالـذي يحفظـه ويكرره المؤرخون هو ما كان لمصلحة الغالب وحسب ، فمسح المدن الآهلة بالمـدنيين وإبـادتهم من قبل الغالب هو « تدبير عسكري حكيم » ولم يحصل إلاّ للتـأثير على معنويـات المغلوب الـذي يوصف بـأنـه المعتدي على الحق والعدالة والمنتهك لحقوق الإنسان وهو المجرم الرهيب الذي يستحق الزوال ، كما ابتكر أهل القـانون والعـدالـة أخيراً تعبيراً جـديـداً وهو **مجرم ضد البشريـة** وهـذه الصفـة تطبق فقـط على الضعيف والمغلوب وأما الغالب فهو مُعفى من أي جرم مهما كان وحشياً ومسجلاً من قبل جميع الوسائل العصرية ومنها الصور والتلفزة . ورحم الله القائل :

والنـاسُ من يلقَ خيراً قـائلين لـه مـا يشتهي ولأم الفـاشـل الهَبَـلُ

والقول : أن للخاسرِ أبٌ واحدٌ وللمنتصر له ألف أب وأب .

فلا غرابة إذن أن تحول الرقم الآشورية الهدية المقدمة إلى **سرجون** في القرن الثـامن قبل الميلاد إلى

جزية قدمها **يثعمر** صاغراً ، وهو يظل تحريفاً جزئياً وطفيفاً بالنسبة لقلب الحقائق رأساً على عقب من قبل مسجلي التاريخ سابقاً وحاضراً .

كما جاء في النقوش التي سجلت فتوحات **سنحريب** الآشوري أنه أخضع **أدمو** قلعة بلاد العرب وأسر ملكتها ، لكن العلاّمة **حتي** يميل للاعتقاد بأن **أدمو** تقع في شمال الجزيرة ولا علاقة لها بجنوب الجزيرة جغرافياً أو سياسياً ، إنما نميل للاعتقاد أن **أدمو** كانت أحد مراكز التجارة بالقوافل التي كانت تعبر الصحراء من أدناها إلى أعلاها .

أما **دادان** التي جاء ذكرها في التوراة ، فيؤكد المستشرقون الأجانب وأيضاً العرب أنها واحة في شمال **الحجاز** وقد ظلت مدة من الزمن المقر الرئيسي لأهل **سبأ** في الشمال ، ثم اعتبر علماء الآثار أخيراً وبعد التدقيق من أن **دادان** هي مدينة **العُلا** المعروفة حالياً في الحجاز **بالمملكة العربية السعودية** .

كما يرى العلاّمة المذكور أيضاً بأن ملكة سبأ **بلقيس** لم يكن مقرها في **اليمن** ولا في **الحبشة** كما رأى البعض بل في أحد معاقل **سبأ** ومراكزها التجارية على خط القوافل . لكننا نميل للاعتقاد بأن من المعقول جداً أن تكون هذه الملكة العملاقة باتساع ملكها وغناها الأسطوري قد تحركت من عاصمتها في الجنوب من الجزيرة لتحقيق رحلتها مع حاشيتها التي كانت لا شك كبيرة كما روتها الأساطير والصحف الأولى وهو ما أكده القرآن الكريم مما لا يسمح بعد ذلك لأي مجال للشك . وربما كانت الرحلة على مراحل حيث أقامت في كل من محطات تجارتها الواسعة بين جنوب الجزيرة وشمالها لمدة قد تطول أو تقصر وفقاً للظروف والأحوال الجوية والأمن والسياسة وغير ذلك من عوامل تجعل مثل هذه الرحلة الملكية آنذاك تستغرق أشهراً عديدة وربما سنة أو سنوات ، وكانت آخر نقطة استراحة في أحد مراكز طرق إمبراطوريتها المترامية الأطراف في شمال الجزيرة في **دادان** أو في **خيبر** أو **تيما** أو حتى في واحة **تبوك** على سبيل المثال ، وربما كانت قد استقرت مدة أطول في مركزها الرئيسي في **دادان** التي قال عنها مؤلف تاريخ العرب ، « وظلت **دادان** مدة من الزمن المقر الرئيسي لأهل سبأ في الشمال ».

وهكذا يكون وصولها إلى شاطئ البحر الأحمر بالقرب من ميناء مملكة **سليمان الحكيم** قد تمّ بعد استراحة طويلة في **دادان** أو سواها وهذا مالا يتنافى مع اجتهاد الأستاذ **حتّي** لأن ملكات الشمال في **دادان** (**العُلا**) وفي الحجر (**مدائن صالح**) حالياً لم تنسب إلى سبأ بل إلى **الأربي** (العربي) وحسب .

حضارة جنوب جزيرة العرب
وتزامنها مع حضارة وادي النيل القديمة

هل نشأت في فجر التاريخ منذ أكثر من خمسة آلاف سنة دولة أو دول بجنوب جزيرة العرب وتحضرت وازدهرت بشكل خيالي بفضل تعاملها مع الفراعنة وتزويدهم بالذهب واللبّان والمرّ وذلك قبل نشوء طريق القوافل بأكثر من ألفي عام ؟.

وهل كانت حضارة أهل الجنوب مماثلة لحضارة الفراعنة القدماء أو حتى سبقتهم زمنياً ؟

نعلم علم اليقين ومنذ بداية القرن الماضي وبفضل تعرّف المستشرق **شمبوليون** الفرنسي على قراءة الكتابات الفرعونية أن حضارة مصر الفرعونية كانت قد وصلت إلى أوجها منذ ما يقرب من خمسة آلاف سنة ، ذلك أن هرم **كيوبوس** الأكبر يعود بناؤه إلى ٢٨٥٠ سنة قبل الميلاد .

وكان الفراعنة وعظماء ممالكهم يؤمنون بالتقمُّص ويلجؤون إلى تحنيط أجسادهم ، وقد عثر الغربيون بعد احتلال مصر على آلاف عديدة من المومياء حيث نقلوها إلى أوروبا وطحنوا بعضها لتقدّم علفاً للحيوانات في إنكلترا .

ونعلم أيضاً من شتى المصادر أن التحنيط كان يحتاج بالدرجة الأولى إلى مادة المرّ واللبّان التي لم تكن متوفرة بغير بلاد (**البونت**) وهي **جنوب جزيرة العرب وساحل الصومال** . (راجع الخريطة المنشورة على الصفحة ٥٦)

إذن كان على **آل فرعون** منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد أن يلجؤوا إلى تلك البلاد لتحصيل مادة التحنيط الأساسية والتي يميل البعض للاجتهاد بأن **الفراعنة** أنفسهم كانوا قد وصلوا أولاً إلى أعالي وادي النيل من الجنوب حيث تنمو الأشجار التي تستخرج منها **الميعة من اللبّان والمرّ** .

ربما كان **الفراعنة** قد حاولوا الاستيلاء على مصادر السلعة النادرة لكن بُعدهم عنها مع فاصل البحار وصعوبة مسالك تلك البلاد ومن البديهي أيضاً وجود دفاع سكانها عن مواطنهم وثرواتهم نقول لابد وأن كل ذلك حمل **قدماء المصريين** على التعاون التجاري مع مصادر السلع التي تتوفر في الجنوب ولاستيراد ما كان الجنوب يحصل عليه من سلع أخرى من البلاد القريبة من سواحله على **المحيط الهندي** والتي يتعذر على **آل فرعون** الوصول إليها وتحصيلها من أي مصدر آخر .

وهكذا كان طبيعياً أن يحصل أهل **جنوب الجزيرة** من أهل **بلاد النيل** على ما يطلبون مقابل تزويد **الفراعنة** بالسلعة أو السلع التي كانت بأيدي أبناء الجزيرة ومسيطرين عليها .

ويكفي هذا العامل الرئيسي بحد ذاته لقيام دولة أو أكثر وتنظيم أمورها على النحو القائم في **وادي النيل** ذو الحضارة التي لا تزال تدهش العالم أجمع .

ذهب جزيرة العرب : التبر الصافي الذي لا يحتاج إلى صهر

يضاف إلى تلك الثروة والصلات التي أمنّت الحضارة والتي ربما كانت مصدراً للحضارة آنذاك ، ما بلغنا من عدة مصادر أقدمها **ديودوروس** الإغريقي الذي أفادنا بأن ذهب تلك المناطق كان غزيراً وفي منتهى النقاوة حيث كان الحصول عليه لا يحتاج إلى تصفيته بواسطة الصهر . وقد أكد لنا فيما بعد **المقدسي** بكتابه **أحسن التقسيم** والهمداني بكتابه **صفة جزيرة العرب** ما كان قد ذكره **ديودوروس** ، كما جاء ذكر ذهب **أوفير** واضحاً في الصحف الأولى ، وقد أوردناه لاحقاً تحت عنوان ذهب **أوفير** ثم علمنا من مرافقي أول مكتشف بريطاني يعبر الربع الخالي عام ١٩٣١ وهو **برترام توماس** - المذكور بمكان آخر تحت عنوان **الربع الخالي** - أن أهل **البادية** من مرافقيه أخبروه نقلاً عن آبائهم أن واحة **وَبار** بأطراف تلك الصحراء العربية الجنوبية كانت تحتوي على **المعدن الأصفر** أي **الذهب** لكن الرمال طمرت تلك الواحة بعد أن غضب الله عليها لفساد أهلها وهو ما ذكره **الطبري** بتفسيره للآية الكريمة التي ذكرت ﴿ إرم ذات العماد ﴾.

ومن هنا وصلنا عامل إضافي يجعلنا نذهب للقول أن بلاد جنوب جزيرة العرب كانت منذ عهد الفراعنة وفجر التاريخ تحتوي على الذهب الصافي إلى جانب ما كان معتبراً أثمن وأهم من الذهب وهو **اللبّان والمرّ** وقد علمنا من **سفر الأخبار** أنه كان ذهب **أوفير** في عهد النبي **أيوب** مضرباً للمثل لكثرة وجود التبر في بلاد **أوفير** . راجع عنوان ذهب أوفير (بمكان آخر) صفحة ٣٤٠

وهكذا يمكننا القول أنه نشأت قبل دولة **معين** ثم دولة **سبأ** دول أخرى سبقتها بما لا يقل عن ألفي عام ازدهرت بتعاونها مع **الفراعنة** وكانت مصدراً إضافياً **لذهب الفراعنة** الذي استعملوه بسخاء ، وحتى كآنية لطعامهم . وهو ما كان يصلهم بحراً من مصدره **بأوفير (ظفار)** لذلك يسهل علينا تفسير بناء **سد مأرب** في حوالي عام ٨٥٠ ق.م لاعتبارنا أنه كان قد سبق قيام **سد مأرب** في بادية المشرق اليمني مدنيات مزدهرة كانت في مستوى رفيع من الحضارة المماثلة بالتقدم لما كانت عليه حضارة **الفراعنة** المذهلة والتي تمكنت من بناء **أهرام الجيزة** حتى ارتفاع ١٤٦ متراً بقطع من الصخور وزن الواحدة منها أكثر من عشرين طناً .

وعندما وصلنا لذكر ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ وأوصافها الخيالية اقتنعنا أن وجودها بالشكل الخيالي المفنّد من قبل مفسري القرآن الكريم وسواهم أمر لا شكّ مقبول حيث أن صاحب ﴿ **إرم ذاتِ العماد** ﴾ كان لابد أكبر مصدر للذهب واللبّان والمرّ والطيوب لآل فرعون ، وذلك منذ أن بدأ هؤلاء ببناء أهراماتهم وتحنيط عظمائهم ، أي قبل أكثر من خمسة آلاف عام .

وكما طمرت الرمال قصور ومعابد **الفراعنة** إلى عهد غير بعيد كذلك فعلت بمصدري السلع إليهم من **جنوب جزيرة العرب شرقي اليمن** .

وهذا الشرح الذي نميل لاعتماده يفسر لنا حصول الحضارة المعينية على تقنية استخدام المياه والبناء التي وصلت إلينا آثارها وبعض معالمها ، مع الاعتقاد بأن ماسيطلعنا عليه المستقبل كفيل بإيضاح ماكان خافياً حتى الآن ، وذلك استناداً إلى ماحصل بالنسبة للتعرف على آثار **الفراعنة** في **وادي النيل** التي ظل أغلب ماهو معروف الآن مطموراً تحت الأرض أو الرمال أو في باطن الأهرامات لآلاف السنين .

ومعلوم أن **مصر** فتحت أبواب التعرف على آثارها أمام العلماء منذ مئتي عام بعد حملة **نابليون** بينما لا تزال **اليمن** في بداية مرحلة التعرف على الآثار ، كما أن ضراوة رمال **الربع الخالي** وزحفها أشد بكثير من ضراوة زحف الرمال بوادي **بلاد النيل** لاتساع ماوراء الأولى من مساحات رملية شاسعة جعلت الربع الخالي يلقب بصحراء الصحاري كما سنرى .

نوع حضارة جنوب الجزيرة

ويبدو لنا استناداً إلى القليل جداً الذي وصل إلينا عن المرحلة السحيقة في القدم أن حضارة ومفاهيم الدول **السامية العربية** التي عاصرت عهد **قدماء الفراعنة** كانت متباينة ومختلفة تماماً عن حضارة **مصر القديمة** ، حيث كان الاهتمام والمعرفة المتقدمة المذهلة والمباني المدهشة في **وادي النيل** ، مقصورة على **فرعون** وآله ومقربيه بينما حضارة أهل الجنوب المعاصرة لقدماء المصريين كانت من نوع أكثر شمولية وواقعية ورغبة في الحياة والتمتع بها لوجود ـ على سبيل المثال ـ آلاف القصور في **إرم** وفقاً لما وصل للأخباريين ، وليس قصراً واحداً ضخماً أو معبداً هائلاً أو مدفناً يتغلب بضخامته وعظمته وبنيانه على العوامل الطبيعية والبشرية لمدة آلاف السنين وهو خاص بشخص واحد أو عدد قليل جداً من المقربين والخبراء بينما بناء آلاف القصور في **إرم** يمكن تفسيره بأن المدينة ومبانيها كانت معدَّة لمجموعات كبيرة من الناس يتمتعون جميعهم بما فيها من رفاهية وخير .

يتمتعون بالحياة كل التمتع

وكان المؤرخ اليوناني **أرنستنيس** (١٩٥ قبل الميلاد) قد ذكر عن بلاد **العربية السعيدة** بأن أهلها « يحبون الحياة ويتمتعُون بها كل التمتع » وهذا القول الذي نقله فيما بعد **بلينوس** (٧٩ م) يؤكد لنا أن فلسفة الحياة عند **أهل الجنوب** كانت مناقضة لمفهومها لدى أهل **وادي النيل** وفقاً لما سنأتي على ذكر ذلك لاحقاً .

فعندما كان سكان **وادي النيل** يقضون حياتهم في بناء المعابد والأهرامات كان أبناء الجنوب يبنون المدن والقصور . كما علينا التذكير بأن الرسالة السماوية السمحاء لم تحرِّم التمتع بالحياة وهي بالتالي لم تتعارض مع فلسفة الحياة لدى الأولين في **شبه جزيرة العرب** مع أنها نظمت الحياة وسمت بمفاهيمها الإلهية دون الابتعاد كلياً عن الحياة الدنيا وقوله تعالى بالآيتين الكريمتين : ﴿ إنما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ولهوٌ ... ﴾ [محمد ٣٦/٤٧] ﴿ ولا تنسَ نصيبك من الدنيا ...﴾ إلى آخر الآية [القصص ٧٧/٢٨] وهكذا تجدر الإشارة إلى أن الرسالة السماوية عندما نزلت على العرب والبشرية جمعاء لم تناقض مفاهيم الأولين في الجزيرة بالتمتع بالحياة ولو قليلاً حيث جاء قوله عز وجل : ﴿ كمن متعنَّاه متاع الحياة الدنيا ﴾ [القصص ٦١/٢٨] وقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنّكم مجرمون ﴾ [المرسلات ٤٦/٧٧] صدق الله العظيم (وقد حصل التفسير أن التمتع يجب أن يكون محدوداً وقليلاً دون إسراف) ..

طريق التجارة التي ربطت وادي النيل بجنوب الجزيرة بحراً قبل نشوء طريق القوافل عبر الصحراء بعد وصول الجمل إلى الجزيرة

قناة الفراعنة

لابـد كما رأينـا سـابقـاً أن **الفراعنـة** كانوا منـذ آلاف السنين على اتصـال ببلـدان **جنوب جزيرة العرب** لتحصيل اللّبـان والمرّ ومـا إليهما كالطيوب النـادرة والأخشـاب ذات الروائح العطرة التي كانت **جبال شرقي اليمن** مصدرها الأهم ، إن لم تكن الأوحد ، وكذلك الحصول على معدن الذهب من أطراف **الربع الخالي** .

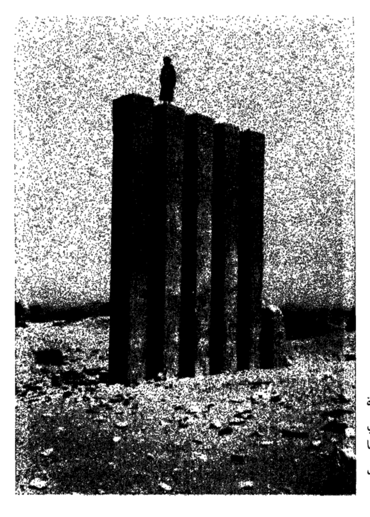
ولما كان الاتصال بين **مصر وبلاد البونت** أي جنوب **جزيرة العرب والصومال** كان يتم بواسطـة السفن في الآونـة التي سبقت وصول الجمل إلى **شبـه جزيرة العرب** عن طريـق **المديـانيين** وهم الـذين جـاؤوا إلى بلـدان **الهلال الخصيب** في القرن الثـالث عشر قبـل الميـلاد من مـواطنهم الأصليـة في آسيـا تصحبهم جمالهم التي غيَّرت محاور التجارة العالمية بعد ذلك .

قلنـا كان الاتصـال قبـل **سفينـة الصحراء** محصـوراً على استعمال السفن الشراعيـة ، وقـد لجـأ **الفراعنـة** لاستعمال هـذه الوسيلـة من المواصلات ليتمكنوا من تحصيل محتـاجـاتهم من اللّبـان والمرّ التي لا غنى لهم عنها لتحنيط موتاهم .

ولتيسير تلـك المواصلات لجأ **الفراعنـة** إلى شق قنـاة تربـط **النيل** بـ**البحر الأحمر** ومنـه تنتقل السفن إلى جنوب **جزيرة العرب** .

قناة الفراعنة وانعكاساتها الإيجابية على جنوب الجزيرة العربيـة وإعـادة فتحهـا بعهـد الخليفة عمر

وهكذا عمل **الفراعنة** على تقريب مواصلاتهم مع بلدان سواحل **المحيـط الهنـدي** ، **وأهمهـا** مـا كان يحتوي على اللّبان والمرّ وأيضاً الذهب ، وذلك بشق **قناة الفراعنة** حيث علمنا من مختلف المصادر أنـه حصل بعهد **السلالة الفرعونية الثانية عشر** ، أنه تم فتح هذا الممر المائي في المرحلـة بين عـامي ٢٠٠٠



آثار معبد القمر (المقه)
وقفت هذه الأعمدة السبئية صامدة بوجه عوامل الطبيعة لأكثر من ألفي عام ووقف ابن مأرب بأعلى إحداها معتزاً بأنها من منشآت الأولين من أجداده المبتكرين والطامحين

و ١٧٨٨ قبل الميلاد أي قبل وصول الجمل إلى **الجزيرة** بأكثر من سبع مئة سنة . وقبل فتح **قناة السويس** بأربعة آلاف سنة .

كما أخبرنا المؤرخون أن قناة **الفراعنة** طُمست في وقت ما ثم أعاد **البطالسة** وهم خلفاء **الإسكندر** في **مصر** فتح القناة التي كان موقعها فوق **بلبيس** المعروفة حالياً ، ثم طمست مرة أخرى ، إلى أن أعاد الخلفاء المسلمون فتحها وأطلقوا عليها اسم **خليج أمير المؤمنين** نسبة للخليفة **عمر** ٦٤٢ م ، ثم سميت قناة **الحاكمي** نسبة إلى الخليفة **الحاكم بأمر الله** ١٠٢١ م . واستمرت معمولاً بها حتى اكتشف **البرتغاليون** خط الملاحة الجنوبي عن طريق **رأس الرجاء الصالح** (١٤٩٧ م) والقضاء مؤقتاً على طريق اللبان والتوابل وسائر السلع الثمينة التي كانت بأيدي العرب اليمنيين والعُمانيين وبمراكز تجارتهم الزاهرة الموزعة على موانئ **المحيط الهندي** وهي التي تشمل موانئ **الصومال** و**الموزمبيق** و**مدغشقر** وسائر الجزر غرباً وفي شرقي **إفريقيا** وشواطئ بلاد **الملابار** في **الهند** حتى بلاد **التمول** وجزيرة

سرنديب (**سريلانكا**) أو (**سيلان**) وعلى جميع شواطئ **الهند** والجزر في هذا المحيط الـذي كان **العرب** قد سيطروا على تجارته من موانئهم في **جنوب الجزيرة** منذ آلاف السنين وصولاً بهم إلى **الصين** .

انتشار الدين الإسلامي حتى الصين وما يليها في المحيط الهندي بفضل التعرف على تلك البلدان منذ أقدم العصور

نعلم اليوم بفضل تطور المواصلات ، وانتهـاء عهـد الاستعمار الغربي ، الـذي كان قـد وضع ستـاراً معتّماً على ممتلكاتـه ، أن الـدين الإسـلامي الحنيف لا يـزال منتشراً وعلى نطـاق واسع في أقصى جـزر **أندونيسيا** ومنها سلطنة **بروناي** ، التي يحكمهـا الأمير المسلم ، الـذي اعتبر أغنى رجل في **العالم** بفضل منتجات بلاده من النفـط ، وهو الـذي قـدرت ثروتـه (١٧٠ ألف مليون دولار وفقـاً لمجلـة **فورتين** ـ FORTUNE أكتوبر ١٩٨٧) ويليه ملك مسلم آخر قدرت المجلة ثروته بـ ١٤٠ ألف مليون دولار .

كما علمنا أن نسبة المسلمين في جزر **الفليبين** كبيرة ، وقد تمكن هؤلاء من مقاومة السلطة المركزية وفرض وجودهم عليها بفضل القتـال المستمر للحفـاظ على شخصيتهم ودينهم ، وقـد أصبحنـا اليوم نسمع الكثير عن نضال مسلمي **الفيليبين** .

أما في **الصين** فقد اطّلعنا أنـه يوجـد في ولايـة **كنتون** بجنوب **الصين** مجموعـة كبيرة من المسلمين ، لديهم تقاليد دينية مختلفة تماماً عن المفاهيم الصينية التقليدية بحكم تمسكهم بدينهم وممارسة تعاليم القرآن الكريم والسنّة ، وكان **العرب** يسمون بلاد المسلمين هناك بلاد **خانفو** .

وقد وصلنا أنه يوجد في معهد **خانفو** أستاذ صيني مسلم ، متخصص بالتاريخ والفقـه الإسلامي ، وكان قد زار **الأزهر** كما أدى فريضـة الحج ، واتصل بـالعـديـد من رجـال الـدين المسلمين ، واسم هـذا الأستاذ المسلم **عبد الرحمن ناجونغ** وهو مدرس في **خانفو** بولاية **كنتون** .

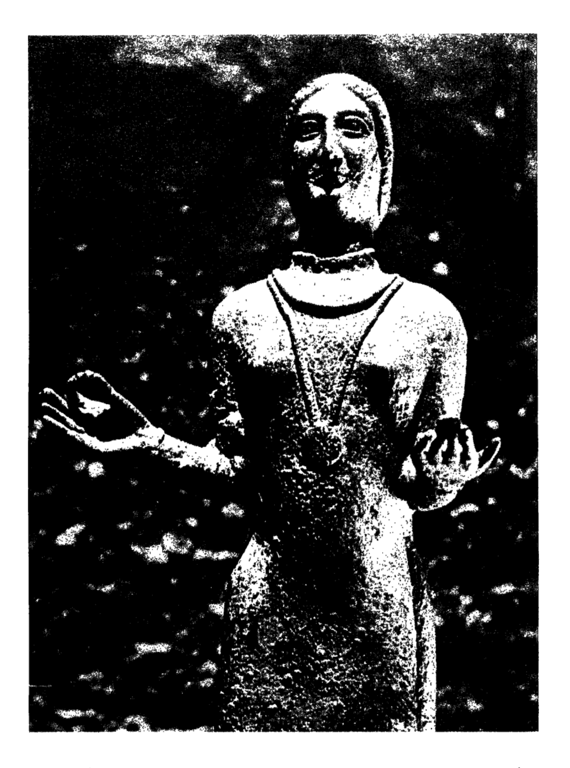
وهكذا نميل للاعتقاد بأن تجار **جنوب الجزيرة** وهم الذين كانوا على اتصـال بتلـك المنـاطق منـذ أقدم العصور ، قد عملوا على نشر الإسلام هناك بنجاح بعد اعتناقهم الـدين الحنيف كما أشرنـا إلى ذلـك بمكان آخر . إنما صلة أبناء الجنوب بتلك الأقطار فهي قديمة جداً ذلك أن الملاحة تعود لأكثر من خمسة آلاف سنة ، وقد استعملها **الفراعنة** منـذ تلـك المرحلـة السحيقـة في القـدم . ولا بـد أن أهل **الجنوب** سبقوهم باستعمالها لوقوع بلادهم على سواحلها وحاجتهم المـاسـة إلى مواردهـا ، بينمـا ملاحـة أهل **النيل** كانت محصورة بنهرهم العظيم الذي أطلقوا عليه حتى أيامنا هذه اسم **بحر النيل** وليس **نهر النيل** .



رأس من البرونز لأحد ملوك حِمير
من ممتلكات متحف صنعاء



مسكوكات.ذهبية تعود لعهد قتبان التي اندمجت بعهد حِمير تحت تاج التبابعة الذين وحَّدوا اليمن



لا بدّ أن التعبير الواضح عن الانشراح على وجه هذه التحفة الفنية له علاقة بما تمسكه هذه الملكة أو الكاهنة بين أصابعها ، وربما سيتمكن علماء الآثار من التعرف على ما ترمز إليه .

مكانة اليمن التاريخية

ذكر المؤرخون بأنها **مملكة سبأ** التاريخية ، و**بلاد القصور** ، و**البخور والعطور**
وهي التي أطلق عليها **الرومان** لقب **العربية السعيدة - آرابيا فيلكس ARABIA FELIX**

بلاد **اليمن** ، فريدة في نوع حضارتها ، وعريقة في المدنية والقدم ، وهي اليوم ناشئة فتية ، مملوءة بالحيوية والإنجازات الحضارية ، مع الرغبة في التطور السريع والتطلع إلى الرقي والازدهار . وهي تتوثب في عهدها الجديد لتحقيق هذه الأماني الغالية .

تاريخ ، وحضارة ، وتجارة

وردت أنباء عن **اليمن** (**بلاد مملكة سبأ**) في كتب التاريخ ، وفي الكتب السماوية المقدسة التي ذكرتها بكثير من التقدير والتبجيل ، كما ذكرت **سد مأرب** العجيب .

لقد جاء وصف هذا السد العظيم **سد مأرب** في القرآن الكريم موضحاً ﴿ لَقَدْ كانَ لِسَبأ في مَسْكَنِهِمْ آيةٌ جنَّتانِ عَنْ يَمينٍ وشِمالٍ ﴾ [سبأ ١٥/٣٤] والمقصود هو وصف الجنان التي كانت تحيط **بسد مأرب** الضخم عن يمينه وعن يساره ، بفضل المياه التي تتجمع فيه ، ويحصل توزيعها بواسطة وسائل فنية وقنوات محكمة ، وهو الذي أعيد بناؤه أخيراً كما سنأتي على وصفه تحت عنوان مستقل .

أكد علماء الآثار بفضل الكتابات العديدة المنقوشة على أحجار السد وسواها وبخط جميل منمق ومنسق ، أن بناء السد يعود إلى القرن التاسع (٨٥٠ ق.م) ، وأن آخر ترميم لهذا الإنجاز المثمر والأول من نوعه في العالم على المستوى الرفيع يعود إلى عام (٥٤٢ م) أي بعد ١٤٠٠ سنة من بنائه .

وتذكر النقوش المسجلة على منافذ السد ، أن أعمال ترميمه الأخيرة المذكورة استمرت لمدة إحدى عشر شهراً ، كما أن الإعاشة التي اقتضى تقديمها للعاملين على الترميم أدت إلى نحر ثلاث آلاف جمل وثور وإلى مئتين وسبعين ألف رأس من الغنم ، وغير ذلك من المؤن كثير ، وجميعها مدونة مفندة بواسطة النقوش التي لاتزال واضحة مقروءة محفوظ بعضها في المتاحف المتخصصة ، كما سنوضحه تحت العنوان الذي خصصناه لذلك بهذا الكتاب .

وسيتبين لنا بداهة أن **سد مأرب** لم يكن أول عمل إنشائي جليل حققته المدنيات القديمة التي تعاقبت على **اليمن** ، بل كان من بين إحدى الإنجازات الظاهرة لضبط المياه وتخزينها لحسن استعمال الري ، حيث سبق بناء هذا السد إنجازات متنوعة لا تزال آثارها ظاهرة أو مدفونة في أماكن عديدة من **اليمن** .

وبديهي بأنه لم تبدأ أعمال الاستفادة من تخزين المياه مع دقة توزيعها بإنشاء سد يناهز طوله ٦٥٠ متراً وعرض قاعدته ٦٠ متراً بل لا بد أن تكون قد سبقته منشآت فنية وهندسية مماثلة ربما كانت دونه في الأهمية والدقة . إذ لا يعقل أن يتم إنجاز عمل فني من هذا النوع دون أن تسبقه مراحل أخرى عميقة في القدم ، كما أننا سنرى في الفصل المخصص أن مدن منطقة **الجوف** الداخلية التي نرى آثار هندستها الرائعة وأسوارها الضخمة بفضل الصور الجوية والأبحاث الجارية حالياً قد أطلعتنا على المدى الذي كانت قد توصلت إليه حضارات **معين** وسبأ **وقتبان وأوسان وحميّر** وغيرها ، وذلك منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف عام . والتي أصبحنا نذهب للاعتقاد بأنها بدأت بل ازدهرت أيضاً قبل ذلك بكثير حيث لا بد وأنها تزامنت مع مدينة **الفراعنة** التي تعود إلى ما قبل الميلاد بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، أي منذ أكثر من خمسة آلاف عام قبل أيامنا . ذلك أن تقديس الجسد وتحنيطه وبناء المعابد الضخمة والأهرامات العجيبة من أجله اقتضت الحصول على المرّ واللّبان وهي المادة الرتنجية التي لم تكن توجد بغير بلاد **البونت** وهي : **الصومال واليمن** وفقاً لما سبق ذكره . ولما ازدهرت العلوم والحضارة في ذلك العهد السحيق من تاريخ البشرية في **وادي النيل** فكان لا بد لها من الازدهار في البلدان المتعاونة مع **وادي النيل** وذلك منذ ما لا يقل عن خمسة وربما ستة آلاف سنة ذلك أن الأهرامات المعروفة تعود إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وهي حتماً لم تنشأ من فراغ .

وتذكر الكتب المقدسة وسواها ، أن ملكة **سبأ** زارت الملك **سليمان** ـ الذي تبين للمؤرخين أنه عاش في القرن العاشر قبل الميلاد حيث تسلم الحكم في عام ٩٩٧ ق . م وأنجز بناء الهيكل عام ٩٧٥ ق . م ـ ومعها الهدايا الثمينة التي وصفت بشكل يبدو وكأنه من الخرافات . لكنه يزول العجب إذا علمنا بأن قوافل العطور والأطياب والبخور والتوابل والسلع العديدة النادرة كانت تأتي ليس من بلاد **اليمن** وحسب بل تأتي من بلاد **الهند وإفريقيا الشرقية** ومن جميع جزر **المحيط الهندي** ، ومنها **جافا** و **سومطره** و **سري لانكا** وحتى من بلاد **ماليزيا** و **كمبوديا** وسواحل **الصين** ، وجميع هذه السلع مفقودة في عالم **الشرق الأوسط وأوروبا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط** . كما أن بلاد **عاد وثمود** كانت غنية بالذهب الصافي الذي لا يحتاج تحصيله إلى صهر وفقاً لبعض المراجع كما سنرى تحت عنوان **ذهب أوفير أو ظفار** وهو ماسبق ذكره .

وعندما يعلم المرء بأن **اليمنيين** ظلوا منفردين بمعرفة الرياح الموسمية[1] والاستفادة منها لمدة لا تقل عن ألفي عام ، بطل العجب ، كما يبطل العجب إذا ما علمنا بأن بلاد **أكسوم - شرقي الحبشة - أثيوبيا اليوم ، وبلاد الطنب (الصومال)** ، كانت تابعة لممتلكات **سبأ وهي السواحل الإفريقية لبلاد البونت** التي كانت تشتمل على السواحل **الشرقية والغربية من باب المندب أي جنوب الجزيرة العربية والصومال** . وقد جاء في كتب **أثيوبيا** التقليدية ، (**كبرى نقشت**) بأن ملكة **سبأ** أهدت ابنها **منليك** مقاطعة **أكسوم** ، التي أصبحت فيما بعد مملكة **أكسوم الحبشية الراقية** التي سنأتي على ذكرها في الفصل المتعلق بامتداد مدنيات الجنوب .

ويذكر المؤرخون بأن القوافل **اليمنية** كانت تعد من ألف إلى ثلاثة آلاف جمل وناقة محملة بالسلع الغالية الثمن والخفيفة الوزن (وإذا اعتبرنا بأن المسافة بين رأس الجمل والجمل الذي يليه في القافلة نحواً من سبعة أمتار ، قدرنا أن طول بعض القوافل لا يقل عن اثنتي عشر ألف متر . الأمر الذي يبدو خيالياً مع أنه مطابق للواقع والحقيقة التاريخية المستندة إلى عدة مراجع).

وتفسر هذه السيطرة على أهم تجارة عالمية عرفها التاريخ ذلك الازدهار والغنى المنقطع النظير الذي أدى إلى تسمية **اليمن** من قبل **الإغريق والرومان** بأنها « **بلاد العرب السعيدة - آرابيا فيلكس** ARABIA FELIX » كما أنهم كانوا أيضاً يسمونها **بلاد القصور المزخرفة بالذهب والفضة والعاج وببلاد العطور والمرّ والبخور** وهي السلع التي كانت أكثر قيمة وأهمية من الذهب والفضة لأن المرّ والبخور كانت تستعمل لتحنيط العظماء ، كما كانت تستعمل في جميع المناسبات والطقوس الدينية . ولا غرابة أن يستمر استعمالها في مثل هذه المناسبات إلى يومنا هذا .

ثم كان لاستعمال اللبان والمرّ والتوابل أهمية نادرة في قيمتها لأن استعمال هذه السلع الخفيفة الوزن لا يقتصر على التحنيط وممارسة الطقوس الدينية بل كانت تستعمل كعلاجات ثمينة مضمونة الفائدة ، وبعضها لا يزال يستعمل إلى يومنا هذا ويباع في الصيدليات أو يضاف إلى العلاجات والمستحضرات العصرية .

كما أن استعمال التوابل كان حتى السنوات الأخيرة التي اكتشفت أثناءها وسائل تجميد الأطعمة ؛ الوسيلة الأهم التي تمكّن الإنسان بواسطتها من المحافظة على الأطعمة وخاصة منها اللحوم . ولولاها لما تمكنت السفن من تغذية بحّارتها باللحوم المجففة المحفوظة بالتوابل ، ولما استطاعت الجيوش نقل ما تحتاج إليه من طعام خفيف الوزن وذي قيمة غذائية عالية في مرحلة المعارك والقتال . وغني عن الذكر أن رغبة **أوروبا** في اكتشاف طريق أخرى للوصول إلى مصادر التوابل والسلع الاستوائية وتجنب المرور في عالم **الإسلام** هو الذي أدى إلى اكتشاف **أميركا** .

اليمن صلة وصل بين المدنيات

كما أن احتكار التجارة العالمية لمدة تزيد على ألفي عام ، بين جزر وسواحل **المحيط الهندي** بكامله حيث توجد التوابل وسواها ، وبين ممالك وإمبراطوريات **البحر المتوسط** وما حوله جعلت من **اليمنيين** صلة وصل بين مدنيات **الشرق الأقصى** ومدنيات **الشرق الأوسط** وأوجدت مدنية خاصة بهذا البلد الذي حمته جباله الشاهقة والصحارى الشاسعة التي أحاطت به من الطامعين . وكذلك **المحيط الهندي** الضخم الذي لم يعرف سر الملاحة في رياحه العاتية سوى أبناء ممالك **معين وسبأ وحميّر وقتبان وأوسان** ، أي أبناء **اليمن** ، هذا البلد الذي اعتبره **العرب** أنفسهم في الشمال **بلاد العربية الخضراء** أو بلاد **اليمن والميمنة** ، أي بلاد الخير والبركة .

وأما **نبي الله** ﷺ ، فقد قال عن **اليمن** : « الأيمان يمانٍ والحكمة يمانية » ومن البديهي أن تكون الأسفار إلى بلدان بعيدة تحتاج إلى الكثير من الثقة بالنفس ، ومن الدقة بالتنظيم ومن الكثير من الحنكة وبعد النظر ، ذلك أن الوصول إلى مصادر السلع المتباعدة وشراء عشرات الأنواع منها والبحث عنها في مختلف أنحاء بلاد **المحيط الهندي** وجزره العديدة والبعيدة والتفاهم مع أصحابها وتجّارها ، ثم نقل السلع في مواسمها مع مراعاة مواسم الرياح (الموسمية) التي تسير السفن بوساطتها ، وكذلك تصنيع العديد من هذه السلع عند وصولها إلى **اليمن** وفقاً لما يناسب رغبة وذوق المستورد لها في أعالي **جزيرة العرب** وما بعدها من بلاد **أوروبا** ، وكذلك التوضيب المناسب والحراسة اللازمة لاجتياز الصحارى الشاسعة الكثيرة الخطورة . كذلك كان من الضروري التفاهم مع القبائل والشعوب التي تمر القوافل اليمنية بأراضيها ، مع تأمين الحماية لهذه القوافل بالرجال والمعدات والعتاد ، وأيضاً عقد المعاهدات ودفع الرسوم مع تحديد طرق القافلة الآمنة وإنشاء محطات استراحتها وتزويدها بالمؤن والماء والإدارة السليمة . إن جميع هذه الأعمال التي تشبه إلى حد ما في عصرنا الحديث عملية تنظيم وإدارة الخطوط الحديدية التي تربط بلاداً متباعدة فيما بينها مع ما تحتاج إليه من علم ودقة في العناية وسعة في المعرفة ، كما تعتمد على المرونة في بعض الحالات وعلى الشدة في حالات أخرى ، وهذا برأينا ما أدى إلى صفة الحكمة التي جاءت على لسان سيد المرسلين ﷺ .

فإذا كان التوسع العسكري يحتاج إلى تنظيم وقوة وبطش ، فإن التوسع التجاري يحتاج إلى حكمة ودراية إلى جانب الاعتماد على النفس والمغامرة المدروسة مع سعة الاطلاع ومعرفة الرياح والفلك

والطباع واللغات والتقاليد وسائر العناصر الضرورية لتأمين سلامة العلاقات مع شعوب وبلدان متعددة المشارب والعقائد .

وهنا نعيد التساؤل : فما هي هذه البلاد ، بلاد (السبأي) أو العربية السعيدة ؟ ثم (اليمن) . ولماذا هذه الأوصاف ؟ وهل هي سبأ التي تردد ذكرها في القرآن الكريم :

﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِين ﴾ [النمل : ٢٢/٢٧] .

﴿ وَجَعَلنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى التي بارَكْنا فيها قُرىً ظاهِرَةً وَقَدَّرنا فيها السَّيْرَ ، سِيروا فيها لَيالِيَ وأيّاماً آمِنِينَ ﴾ [سبأ : ١٨/٣٤] .

وهو بنظر المفسرين إشارة إلى القرى المبنية بالحجارة ، وإلى الأمن والسلام اللذان تمتعت بها بلاد سبأ .

ثروة أهل اليمن

اليمن بلاد البخور والعطور

تقول المراجع الغربية واصفة أبناء **الجنوب العربي** ، نقلاً عن (**سترابون**) : « إنهم أغنى العرب ، يقتنون الرياش الفاخرة ويتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف ، ويكثرون من آنية الذهب والفضة والفراش الثمينة ، ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة » . وقال المؤرخ اليوناني (**أثارتيدس**) : « بأنهم أغنى أهل الأرض وسبب غناهم اتجارهم بغلال **بلاد العرب والهند** فيحملونها على القوافل إلى **الغرب** أو بحراً إلى **بابل** ولهم سفن ضخمة تسير في **المحيط الهندي** ومراكب تسير في الأنهر يصلون بها إلى **بابل** . وقد يصعدون في **دجلة** إلى مدينة (**أوبيس**) ومنها تنقل البضائع الهندية والعربية في بلاد **الميديانيين وأرمينيا** وما جاورها . ونميل للاعتقاد أن هذا الوصف يتفق مع واقع التجارة آنذاك أكثر من أي وصف آخر وصل إلينا عن تلك المرحلة .

كما أخبرنا أرنستنيس **اليوناني** (١٩٥ ق.م) ، **وبلينوس الإغريقي الروماني** (٧٩ م) : أن **بلاد اليمن هي بلاد ثروة ورخاء عجيبين ، وأنها موطن اللبان والطيوب الأخرى وأن أهلها « يحبون الحرية ويتمتعون بها كل التمتع » ، كما رأينا بمكان آخر .**

وفي عهد سابق (٤٥٠ ق.م) **قال هيرودتس** : « إن **بلاد العرب** كلها كانت تفوح بالعطر والطيوب لأنها البلاد الوحيدة التي تنتج المرُّ واللُّبان والأقاصيا والقرفة واللادن » . أما **سترابون** ، فدعا **جنوب الجزيرة** (**بلاد الطيب**) ، إذ قال : « **بلاد السبأي** بلاد مزدحمة السكان .. وهي أخصب تلك الأرض على الإطلاق ثمارها المرّ واللبان والقرفة ... » . ثم أضاف قوله : « أصبحت (**السبأي**)

و (**الجرهاي**) بما لها من نصيب في تجارة الطيب أغنى القبائل عامة ، فعندها مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة ومنها الأسرة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب وناهيك بمنازلهم الفخمة وقد تزينت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان وترصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة » .

وروى **بلينوس** عن **يوليوس جاليوس** (وهو الفاتح الروماني الذي فشل في حملته للاستيلاء على **اليمن** عام ٢٤ ق.م . وكان قد قصدها من **مصر** على رأس عشرة آلاف مقاتل بقصد السيطرة على طريق القوافل التي احتكرها أبناء **اليمن** ، وكانت حملته الفاشلة هذه أول وآخر حملة غربية) . قال **بلينوس** : « فاقت **السبأي** الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري ، وهي تنتج العسل والشمع بكثرة » ، إلى أن يقول : « فلو تحريت هذه الأقطار تماماً علمت أنها أغنى بلدان الأرض قاطبة بما يتوارد إليها من كنوز دولة **الرومان** ودولة **الفرثيين** » (**فارس** فيما بعد) .

المدنيات المتصلة تزدهر أكثر من المنعزلة
السبئيون الساميون اتصلوا بسواهم فابتكروا وأبدعوا

ولا بد أن يظل واضحاً بالذهن أن الأجناس كالمدنيات تتصل وتتواصل بما فيه خير للبشرية علماً أن **السومريين** وهم ساميون أي أن أصولهم هي واحدة مع **العرب** الذين أسسوا (**بابل**) وأن **البابليين الساميين** شاطروا **المصريين** في ابتكار الأسس للتراث الثقافي والعلمي وهو مما يعود للبشرية جمعاء حيث استحدث **البابليون الساميون** قبل سواهم هندسة القناطر وصنعوا العربات ذات العجلات ونظام المقاييس وغير ذلك . ولا يمكننا أن نحكم فيما إذا كانوا قد ابتدعوا جميع ما عرف عنهم أم نقلوا بعضه من مساكنهم الأولى في جنوب **جزيرة العرب** حيث أصولهم ثم طوروا معرفتهم وابتكروا تحسينات أدخلت عليها وهو ما يتفق مع قاعدة البنيان المتصل المتواصل للمدنيات والمعرفة .

وتجدر الإشارة العارضة هنا أن المدنيات العظيمة التي ترعرعت في **أمريكا الوسطى والجنوبية** كإمبراطوريات (**الأنكا**) و (**المايا**) وسواهما تمكنت من بناء المعابد والقصور والأهرامات التي تبهر بصر الزائر حالياً كمدينة **المكسيك** وسواها تقديراً لإبداع السكان الأصليين لمبانيها المدهشة .

قلنا إن هذه المدنيات المتقدمة والعريقة لم تتوصل - لانقطاعها عن مدنيات **الشرق الأوسط** وسواها من العالم القديم - لاختراع العجلة (الدولاب) الأمر الذي ساعد كثيراً على تسهيل النقل والمواصلات ، ولا تعرفوا على بناء القنطرة ؛ فلو حصل ذلك لربما وصلت تلك المدنيات الأميركية

القديمة التي قضى عليها **الإسبان** إلى مراحل متقدمة في مجالات أخرى نجهلها ومنها التعدين والطب والفلك ونحو ذلك ، كما أنه لم يعثر في فنّها المعماري المدهش على القناطر التي استعملها **اليمنيون الأنباط** منذ أقدم العصور لتركيز أقنية المياه عليها وجرها فوق المنخفضات وهي التي استعملها **الرومان** فيما بعد بكثرة خاصة بعد اتصالهم بمدنية **الأنباط** وتعرفهم على تفوق **الأنباط العرب** في هذا المجال .

ونلخص بالقول أنه لو عرفت مدنيات **أمريكا** الأصلية (العجلة) لربما كانت آثار **المكسيك** وسواها مختلفة عن الذي نراه اليوم لأن حرمان تلك المدنيات من العجلة ومن الخيل واستخدامها شكّل عقبة في تطوير تلك المدنيات المذهلة ، وهو ما يوضح أهمية الاتصال والمواصلات وهو ما حققه أهل **الجنوب** منذ أقدم العصور لربطهم **المحيط الهندي** ومدنياته بمدنيات **البحر المتوسط** ويؤكد على فائدة المدنية من الاتصالات ، ذلك أنه عندما تنقطع صلة المدنيات أو تندثر إحداها يخسر العالم والتطور مئات وربما آلاف السنين ، وهو ما حصل بالنسبة لاندثار المدنية الفرعونية وانقطاع المدنية الإغريقية والرومانية لمدة مئات من السنين ، وكذلك بالنسبة للمدنية الإسلامية العربية بعد انهيارها على يد **المغول** ومن ورثهم وعلى يد **الغربيين في الأندلس** ، مما جعل **العرب** بمرحلة طويلة من التقهقر والانحطاط إلى أن بدأت النهضة الحاضرة ، وهي وإن كانت لا تزال في المهد ، فإن عوامل عديدة عصرية وظروف مادية مواتية تحمل على التفاؤل بسرعة الخروج من المهد إلى الفتوة والنهضة والإبداع بمدة وجيزة ، فإن كان عنصر الزمن في الماضي بطيئاً فإنه في الوقت الحاضر مذهلاً بسرعته وبسهولة مواصلاته واتصالاته .

ممالك اليمن الاولى التي وصلت الينا اخبارها وبعض اثارها

معين وسبأ وسواهم ثم حِمْيَرْ والأحباش
عند المؤرخين والمستشرقين والأخباريين

يقول **سترابون** إن بلاد **اليمن** تشمل أربعة شعوب : **المعنيون** وعاصمتهم **قرنو (خربة معين)** ؛ والسبئيون وعاصمتهم **مأرب** ؛ **والقتابيون** وعاصمتهم **تمنع (هَجَر كحلان)** ، **والحضارمة** وعاصمتهم **شبوه** . كما يقول **سترابون** أن **المعنيين** يحملون التجارة إلى **البتراء** مدينة **الأنباط (شرقي الأردن)** . وقد اكتشف **هاليفي** مدينة **معين أو قرنو** في الجوف شرقي **اليمن** كما رأينا . وأما **براقش** فكان اسمها قديماً **يثل** وقد حدد **هاليفي** موقعها بالقرب من مدينة **السودة** المعروفة في أيامنا ، وتبين له أن **معين** هي **كرنوس CARNUS** عند **اليونان** ، كما اكتشف بأن مدينة **نشق** هي **نكسوس** كما سماها **اليونان** ، وأنها تسمى الآن **البيضاء** في وادي **الجوف** .

الدولة المعينية

سميت كذلك بالنسبة إلى مدينة **معين** وهي **قرنو أو خربة معين** المذكورة أعلاه ، وهي واقعة في المنطقة الشرقية من **الجوف** في اتجاه **الربع الخالي** ، وكانت هذه العاصمة قد اندثرت وضاعت آثارها إلى أن جاء المستشرق اليهودي الفرنسي **هاليفي HALEVY** عام ١٨٦٩ م ، واكتشف آثارها وحدد مكانها .

أمّا الدول التي سبقتها قبل وصول الجمل إلى **الجزيرة العربية** ١١٠٠ ـ ١٢٠٠ قبل الميلاد فلا نعرف عنها سوى ماذكره الأخباريون ومنها مملكة **شداد بن عاد** ، التي ربما تعود إلى آلاف السنين عندما تزامن ازدهارها مع ازدهار مدنية **الفراعنة** وفقاً لاجتهادنا المدرج تحت عنوان آخر في القسم الثالث .

وقد امتد نفوذ **المعينيين** ، ولا نقول حكمهم استناداً إلى تلك المصادر الغربية حتى وصل إلى شواطئ **البحر الأبيض المتوسط** وشواطئ **خيلج العرب** وجزر **بحر العرب** ، أي إنه شمل كل **جزيرة العرب** وما يحيط بها ، وكانت هذه الدولة ، كالدول **الفينيقية** ودولة **الأنباط** في الشمال ، دولة

تجارية لها طرقها ومستعمراتها الموزعة في كل مكان وميناء تحتاج إليه لتأمين مواصلاتها وضمان تجارتها الواسعة . كما أنه لابد لها من جيوش منظمة رهيبة لتحميها . وقد علمنا بالنسبة للشمال أن **الرومان** استعانوا بخيَّالة من مملكة **الأنباط** لاحتلال **الإسكندرية** .

ويذهب بعض المستشرقين إلى الاعتقاد بأن أصل **المعينيين** كان ممن أقاموا أولاً في **العراق** ، فلما ذهبت دولة **العرب** من بلاد **ما بين النهرين** بعد **حمورابي** ، استقر **المعينيون في جنوب الجزيرة** ، وأول عاصمة من عواصمهم المعروفة هي **صرواح** غربي **مأرب** . لكن مثل هذه الاجتهادات لا بدّ لها أن تنتظر نتائج ما ستطلعنا عليه النقوش والآثار التي لا تزال مطمورة ومجهولة حيث أننا نميل للاجتهاد عكس ذلك باعتباره هو الأغلب ، وقد تحققنا باجتهادنا الشخصي المستند على ما وصلنا من الأخباريين أن **معين** تعود أصولها إلى **عاد وثمود** وهم **العرب** البائدة الذين كانوا يقطنون أطراف وواحات **الربع الخالي** ، حيث كانت لهم مدن عامرة وحضارة زاهرة اندثرت بعد أن طمرتها الرمال . ومن كان منهم في **الجوف** أو لجأ إليه شكّل دولة **معين** التي بنت **سد مأرب** وما سبقه من منشآت لاستغلال المياه بعهد **شداد بن عاد** وهو المتزامن مع **ثمود** ، كما أن بعضهم اتجه إلى جبال **عُمان** حيث أسس ممالكَ عرفت كغيرها من الممالك مراحل ثراء وازدهار تلتها مراحل مناقضه لذلك هي القحط والجفاف المميت .

ونلفت النظر هنا إلى أن قبائل **حاشد وبكيل** وهي من أفخاذ وبطون **الأزد اليمنيين** يعيدون أنسابهم إلى **شداد بن عاد** ويحافظون على شرف نسبهم هذا إلى يومنا ، حيث يفاخرون به ويعتزون بانتاءاتهم القبلية إلى ملكٍ ساد المعمورة بالاستناد إلى ما ذكره مفسرو القرآن الكريم . كما أن سلاطين بلاد **عُمان** وما إليها يعيدون أنسابهم أيضاً إلى **الأزد وعاد** . لهذا رأينا أن نخصص موضوعاً في هذا الكتاب سجّلنا فيه ما وصلنا عن بعض القبائل **اليمنية** التي توزعت في وقت ما من التاريخ القديم إلى **أيدي سبأ** وذلك قبل انهدام السد نهائياً ، وقبله بكثير بعهد النبي **هود** . وعهده يعود للماضي السحيق بالقدم ، وللدلالة على قدمه جعله الأخباريون وريثاً لعهد **نوح** .

الممالك التجارية على سواحل وشرقي اليمن

وهي بلاد « البونت » عند الفراعنة

(حضرموت ـ أوسان ـ قتبان) ثم (جرهّا) على الخليج ، و (كندة) في الداخل

المراكز ـ السلع ـ القافلة

كان مركز ثروة اليمن التجارية بكامل هذا المعنى يقع على **الساحل الحضرمي** منها لاعتبارين أساسيين :

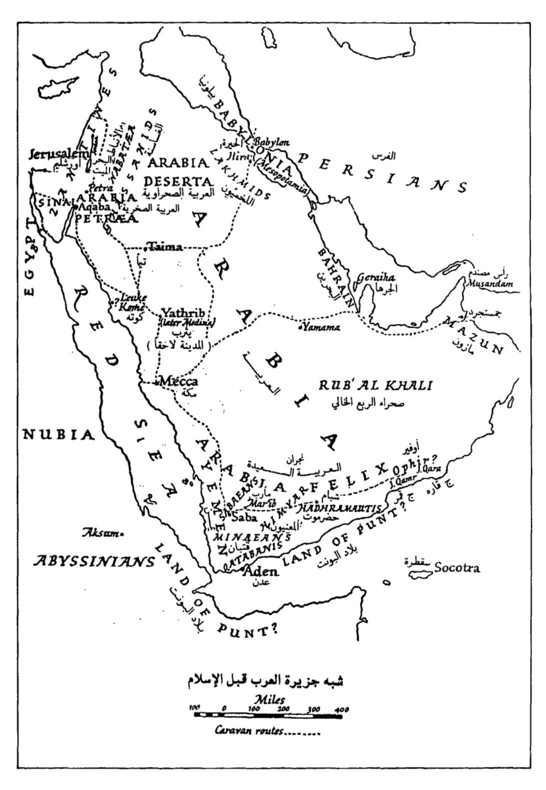
أولهما : أن اللُّبان الأبيض الذي كان أثمن من الذهب لا تنبت أشجاره إلاّ في **حضرموت وظفار** بالتحديد ، كما كان من المعتقد أنه لا ينبت في أي منطقة أخرى من العالم إلا على **الساحل الصومالي** . ويعتقد المحققون أن بلاد (**البونت**) التي اتصل بها **الفراعنة** منذ آلاف السنين هي المناطق التي تنتج البخور على الساحلين **الصومالي والعربي الجنوبي** .

ثانيهما : أن الاتصال المستمر على الشاطئ بحراً بين **حضرموت وإفريقيا** وجزرها **والصومال** من جهة وبين موانئ (**ملابار**) الهندية **وجزر الهند** كان يتم أيضاً على يد أبناء تلك المناطق .

وليس من المستغرب أن يحاول أبناء الساحل الجنوبي والساحل الشرقي في **قتبان** وعاصمتها **تمنع** (**هجر كحلان** حالياً) ، وفي (**أوسان**) ومراكزها : **عدن** ، **وقانا** وفي **حضرموت** وعاصمتها الداخلية (**شبوه**) ، تحقيق الاستقلال عن ممالك **السبئيين والحميّريين** الكبيرة التي تضم المناطق الجبلية والقيعان الزراعية والمتسعة في ما أسميناه ببلاد **الهلال السعيد** ، أي بلاد الجبال الخضراء وسهولها الغناء (القيعان) ووديانها الخصبة ومنها الجوف الذي ازدهر زراعياً ثم بفضل الطرق التجارية التي ساعدت في بناء المدن العامرة وقصورها التي لا تزال آثارها ظاهرة .

لكن غنى هذه الأطراف من **شرقي اليمن** بفضل اللُّبان ، وأيضاً المرّ ، وخاصة بفضل ما كانت تحصل عليه بحراً من موارد **الهند** وجزرها **وشرقي إفريقيا** والزنجبار وهي عديدة ومنها الذهب والتوابل والعطور والعاج والعديد من السلع النادرة الأخرى .

إن هذه الثروة لا تعطيها القوة العسكرية الكافية لإنشاء الممالك ذات الشأن والسلطان المرهوب



العرب قبل الإسلام وبلاد البونت عند الفراعنة

مما يمكنها من المرور ببلاد **الجوف** ثم الوصول إلى **الحجاز** وبلاد **ثمود** في **الحجاز** بعد انتقال **الثموديون** من **الجنوب** إلى **البتراء** والموانئ **الفينيقية** على **شرقي البحر المتوسط** . وكان على الممالك الصغيرة أن تخضع في وقت أو آخر لدولة عظمى ذات قوة عسكرية وسؤدد وهيبة تتجاوز حدودها تحمي طرق ومسالك تجارتها العالمية .

لهذا كانت هذه الدول الصغيرة قد أسست لها ممالك غنية لكنها لم تستطع الاستمرار باستقلالها وكان عليها أن تخضع بالنهاية إلى ملوك **سبأ** ، ثم **حميّر** ذات الباع الطويل في شمال الجزيرة والتي تسيطر على طرقها والمراكز الحصينة التي أنشأتها عليها منذ عهد معين وتنظيم طرق القوافل بعد وصول الجمل إلى **الجزيرة** ١١٠٠ قبل الميلاد كما سبق ذكره .

حضرموت وقتبان وأوسان

من الواضح أن **قتبان** و**أوسان** انضمت إلى ممتلكات **حمير** بعد التوسع الحميري عندما أصبحت هذه الممالك تضاف إلى ألقاب ملوك **حمير** كما سنرى وهي (**سبأ وذو ريدان وذوت. وذو ... وحضرموت وأعرابها ...**) .

وبالتالي يمكن اعتبار أن ممالك **حضرموت وقتبان وأوسان وكندة** وهي التي ازدهرت عندما انتسبت لحمير ، ولكنه بالرغم من غناها وتقدمها ، فلم تكن صاحبة شأن كبير إلاّ بتعاونها واتباعها إلى الممالك الكبرى : **معين** ، **وسبأ** ، **وحميّر** التي بيدها مفتاح طريق القوافل المؤدي إلى شمال الجزيرة .

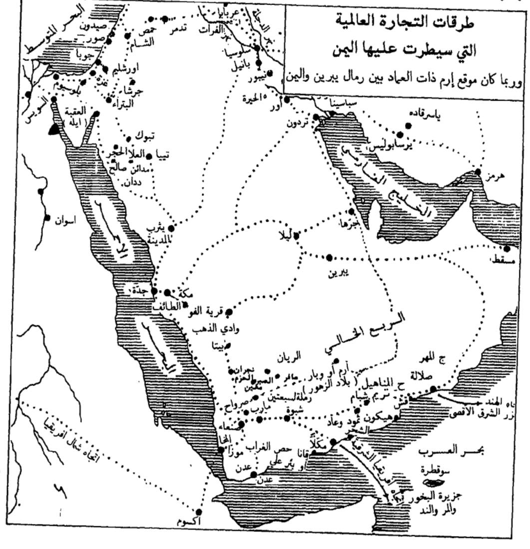
كما أن الممالك الكبرى لم يكن بإمكانها أن تحافظ على مكانتها التجارية العالمية إن لم تسيطر على موانئ تحصل على موارد تلك البقاع ، وهو (اللُّبان) و (المرّ) ، وأيضاً ما يرد لتلك المناطق التي كانت تصل السلع إلى موانئها **كعدن وقانا والمكلا والشحر** وغيرها مما كان أهل **أوسان وقُتبان والحضارمة** أنفسهم يحصلون عليها من جزر **المحيط الهندي** والبلاد الشاسعة المحيطة به وأهمها بلاد **الملابار غربي الهند وسرنديب (جزيرة سيلان أو سيريلنكا** حالياً) كما سبق شرحه .

وهكذا علمنا أنه كانت قد نشأت ممالك متقدمة باتجاه المحيط أصبحت ذات شأن عظيم في التجارة . كما استقلت مقاطعات أخرى تخضع لحاكم يُعرف باسم المنطقة التابعة له وأصبح صاحب القصر أو المحفد أو المقاطعة يعرف بكلمة (ذو) بمعنى مالك أو حاكم لما ستنسب إليه . فيقال : (ذو سلحين) ، و (**ذو ريدان**) ، و (**ذو غمدان**) ، ونحو ذلك ، وكان هؤلاء الـ (ذو) يشتد بأسهم أو يكبر نفوذهم ويمتد سلطانهم أو يتقلص بحسب الظروف وقوة الممالك الكبرى التي جاورتهم وهي : **معين** ، **وسبأ** ، **وحميّر** التي ذكرناها .

وجدير بالذكر بهذا الشأن ، أنه تم أخيراً اكتشاف تمنع (حجر كحلان حالياً) عاصمة قتبار على يد بعثة وندل فيليبس الأمريكية في منطقة (بيحان) بشرقي اليمن .

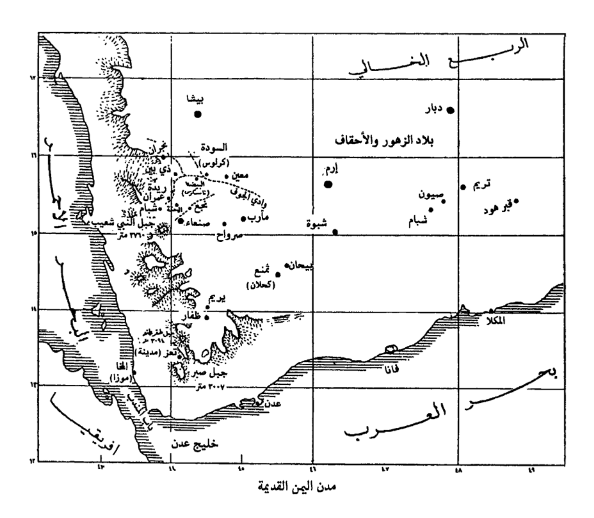
الجرهائيون

ربما كانوا طائفة أو قبيلة تجارية ذكرها (سترابون) بأنها أمة عربية ، قال بأنها أغنى العرب ، وقد أطلق عليها اسم (الجرهيين) ، ثم قال إن اسم مدينتهم (جرها) واقعة على بعد ٢٠٠ استادة من البحر - المقصود هو المحيط الهندي - وجاء في (وصف جزيرة العرب) للهمداني : « جرها مدينة



عرف اليمني كيف يحافظ على أسرار تجارته العالمية ويسيطر على طرقاتها وتنظيم أمورها
أما « إرم » المندثرة وربما « وبار » نسبة إلى « وبار بن إرم بن سام » وفقاً لما علمه « ياقوت » من أهل الأخبار وقيل أن « وبار » أو « إرم » كانت بين رمال يبرين واليمن

المفاخر وهي **لآل الكرندي** » . ومن الواضح أن موقع (**جرها أو جبها**) كان على الخليج واسم ميناءها اليوم هو **الجرهاء** . كما جاء ذكر **الأوسانيين** بأنهم حكموا الجنوب وسيطروا على تجارته وموارده من **عدن** إلى **قانا** (**بئر علي** حالياً) وهي التي اندثرت نهائياً وقد تم اكتشاف موقع **قانا** بفضل نقش حصل العثور عليه على تلة مشرفة أطلق عليها اسم (**حصن الغراب**) .



مدن اليمن القديمة

التجارة وكيفية الحصول على بعض السلع النادرة

لاشك أن الزراعة وحدها لم تكن السبب الرئيسي في ازدهار **اليمن** وغناها الخيالي المذكور في الألفين الأولين قبل الميلاد . بل إنه من المقرر الأكيد أن ازدهار **اليمن** وغناها في تلك الحقبة من التاريخ يعود بالدرجة الأولى إلى التجارة العالمية كما لخصنا ذلك سابقاً حيث عرف **اليماني** أصولها وطرق مسالكها ومواردها وعرف كيف يحتكرها ويحافظ على أسرار مصادر السلع ويختار الأنواع الصالحة منها للتجارة ونقلها عبر الصحاري والبراري دون أن تطغى تكاليف النقل الطويل على أسعار البضائع ، لذا نرى **اليماني** في عهد مجده العظيم في التجارة قد أحسن اختيار تلك السلع ، فحصر ما خف وزنه وارتفع ثمنه وتعذّر الحصول عليه بغير وساطته .

فقد احتكر التاجر **اليماني** البخور والمرّ (الراتنج) ، وهي من مواد الترف التي لاغنى عنها لدخولها في صناعات العطور والعجائن المستعملة للتجميل وللتحنيط ، وكذلك احتكر تجارة اللبان الطبيعي الأبيض ومصدره أشجار في **حضرموت والمهرة** وماإليهما ، وأيضاً الأخشاب الزكية الرائحة والتوابل على أنواعها ، والمعادن الثمينة كالذهب المتوفر بكثرة في **أوفير** (ظفار)، والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والجلود النادرة والرياش الفاخرة . وكان يجلب هذه من بلدان **إفريقيا وآسيا بالمحيط الهندي** وأهمها شبه جزيرة **جفنا بسيلان (سريلانكا أو سرنديب)** آنذاك .

ولكي نأخذ فكرة عن نوع تلك التجارة واحتكار **اليماني** لها في الألفين الأولين قبل الميلاد استمعنا مجدداً إلى بعض ماذكره **هيرودتس** ، قائلاً : « وبلاد العرب فيها وحدها البخور والمرّ والقرفة والدارصيني واللادِن ، والعرب يجنون كل هذه الأشياء بتعب جزيل ، إلاّ المرّ . ولاجتناء البخور يحرقون تحت الأشجار التي تولده صمغاً يسمى ميعة ، يأتي به **الفينيقيون** إلى **الأغارقة** فيحرقون هذا الصمغ تنفيراً لنوع من الحيات الطيارة التي تأوي إلى تلك الأشجار ولا تذهب منها إلاّ بدخان الميعة . **أما القرفة فحين يذهبون لجنيها يغطون أيديهم ووجوههم إلاّ الحدق بجلود الثيران والماعز . وأمّا القرفة فتنبت في بحيرة قليلة الماء تسرح حولها حيوانات كالخفافيش تصيح صياحاً هائلاً وهي شديدة الأذى ، فيتقي العرب أذاها بهذه الجلود ريثما يجنون القرفة . وأما الدارصيني فيجنى بطريقة أعجب من الأولى والعرب أنفسهم لا يعرفون من أين يؤتى به . ويزعم البعض أنه ينبت في البلاد التي تربى بها باخوس ، وأن طيوراً تحمل عيدان الدارصيني لتبني بها أعشاشها مع الطين في جبال وعرة بعيدة عن**

المدن لا يستطيع الإنسان الوصول إليها . فالعرب يقال أنهم يحتالون في الحصول على هذه العيدان بقطع من لحوم البقر أو الحمير ، يضعونها في أقرب مكان من العش ، فيأتي الطير ويحملها إلى فراخه ، وحالما يضعها في العش تثقله فيسقط فيتناول العرب عيدانه ويتجرون بها . أما اللادِن فطريقة جنيه أعجب من هذه ، لأنهم يجدونه في لحى التيوس والأعناز كالعفن الذي يتولد على الخشب ، فيدخلونه في تركيب طيوب كثيرة ، والعرب يتطيبون باللادِن خصوصاً .

وهكذا ، يبدو أن الغربيين كانوا يعلمون بأن **اليمني** مسيطر على هذه السلع الثمينة ، لكنهم جهلوا حقيقة مصدرها ، إذ إنهم كانوا يعتقدون على ما يبدو بأنها من منتوجات **اليمن** وحدها ، وهذا مما يدل على أن التاجر **اليمني** عرف مدة لا تقل عن ألف وخمس مئة إلى ألفي سنة كيف يحافظ على سر تجارته مما ساعده على احتكارها ، ونظن أيضاً أنه من العوامل التي ساهمت على حفظ أسرار التجارة وجود **اليمن في حصن طبيعي بالنسبة لطرق الفاتحين لأن الصحارى الشاسعة والأراضي الوعرة المحيطة باليمن** والممرات الصعبة في الجبال ، كل ذلك كان من عوامل حماية اليمن من الطامحين بها وبثروتها الخيالية واحتكارها للسلع المتعددة ، فمن حيث أراد الطامع **باليمن** أن يقتحم حدودها وجدها مخيفة عسيرة المسالك كخبة اللوز القاسية القشرة التي كثيراً ما يتخلى المرء عنها قبل الوصول إلى لبّها بعد أن تتعبه محاولات كسرها الفاشلة بأضراسه . وهذا ما حصل **ليوليوس جاليوس** القائد الروماني الذي هلك جنده في الصحارى المؤدية إلى **اليمن** قبل أن يصل إلى **مأرب** والذي اعتبر نفسه سعيداً فيما بعد بتمكنه من العودة هو وبعض أصحابه سلياً إلى **مصر** بعد معركة خاسرة خاضها مع **اليمنيين في الجوف** .

أما نفوذ **المعيني والسبئي** التجاري فكان واسعاً لأنها تمكنا من تأسيس المراكز التجارية في كل مكان على الطرق الرئيسية ، ولقد كشفت النقوش عن وجود دويلات **معينية وسبئية** كانت قائمة على ضفاف **الفرات الأسفل** وذلك في القرن السابع قبل الميلاد ، وكذلك تبين أن **معان مصرية** المجاورة **للبتراء ـ شرقي الأردن** ـ كانت في حوزة **سبأ** إلى عام ٦٤٠ ق . م .

ومن البديهي أن التجارة العالمية هذه تحتاج إلى ذكاء ودهاء وحسن إدارة وتدبير ومعرفة اللغات والعادات وتقدير لقيمة أنواع السلع ورغبة كل بلد فيها ، وكيفية المحافظة على سلامة الطرقات في بلاد شاسعة واسعة وعرة . فحيث لا تنفع السياسة ينفع المال ، وحيث لا ينفع المال يستعمل السلاح أو الشراكة في تأسيس المراكز المحصنة أو المستندة إلى الأحلاف ، وغير ذلك مما لا يستطيع تأمينه إلاّ من أوتي مقداراً عظيماً من النشاط وسعة الاطلاع والتوقعات والحكة ، **والحكمة يمانية** . وإننا نضع أهل التجارة في مثل هذه الظروف في مرتبة رجال الأعمال الناجحين في وقتنا الحاضر .

بعض التفاصيل حول السيطرة على طرق المواصلات وتأثيرها الإيجابي على ميل اليمني للاغتراب والسفر ونقل السلع وكذلك الفتوحات في العهد الإسلامي

ولتوضيح ماسبق حول طرق القوافل علمنا أنه كانت الطرق الشرقية تنتقل من سواحل المهرة إلى حضرموت العليا الداخلية ثم إلى منطقة صرواح وقرنو ومعين شرقي اليمن ، ثم تسير شمالاً حتى نجران ومنها إلى خميس مشط ثم غرباً إلى أبها أو شرقاً إلى بيشا ثم بالحجاز إلى مكة المكرمة أو ينبع ثم المدينة (يثرب) ، ومن المدينة المنورة تنتقل إما إلى تدمر أو إلى البتراء عن طريق مدائن صالح (حالياً الحِجر) ودادان (العُلا حالياً) ومن البتراء تتوزع إلى فينيقيا شمالاً أو إلى فلسطين وميناء غزة أو تتجه غرباً إلى إيلات ثم مصر . وقد ذكر بطليموس وبلينوس في القرن الأول للميلاد تفاصيل هامة عن تلك الطرق ومراحلها ومسافاتها .

الطرق البحرية :

أما الطرق البحرية فكانت تحاذي الساحل شرقاً ثم تتجه شمالاً إلى الخليج العربي حتى تصل إلى بابل بواسطة الملاحة النهرية أو تتجه غرباً وجنوب غربٍ إلى إفريقيا الشرقية التي أصبحت في وقت ما جزءاً من مملكتهم (يؤيد ذلك أصل الأحباش السامي وانتقالهم إلى إفريقيا (أثيوبيا) في القرن الأول قبل الميلاد حيث توالدوا ، إذ إنه من الثابت أن الساميين استوطنوا الحبشة وأقاموا فيها كطبقة حاكمة منذ ذلك التاريخ كما شرحنا بمكان آخر) . أما طرق البحر الأحمر فكان مركزها في الساحل اليمني موزا (المخا) . وكانت موزا هذه مرتبطة بخليج العقبة بميناء إيله (إيلات اليوم) . ويظهر أنه حصل تعاون تجاري مثمر في عهد الملك سليمان الحكيم صاحب أورشليم ، وحيرام صاحب صور وبين المملكة السبئية . وحافظت موزا على أهميتها التجارية أما علاقة اليمن التجارية بوادي النيل بحراً فتعود إلى رعمسيس الثالث إذ إن أخبار المصريين تفيد أن رعمسيس بنى أسطولاً في البحر الأحمر لارتياد بلاد البونت (أي جنوب الجزيرة والصومال) والأرض المقدسة ، أي اليمن ، وأنشأ طريقاً بحرية تجارية مع هذه البلدان بعد ذلك ، مما حمل الفرعون سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة على حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر ، لكن عدم ميل المصريين للأسفار سمح لليمنيين باحتكار

طرق البحر الأحمر إلى عهد النبي سليمان الحكيم حيث حصل التعاون المذكور . وبعد عهد سليمان الحكيم وبلقيس ملكة سبأ عاد أمر هذه الطرق البحرية إلى اليمنيين وحدهم . وهكذا استمرت سبأ في سيطرتها على طرق التجارة العالمية إلى أن تمكن الرومان من السيطرة على البحر الأحمر في العصر الحميّري والاتصال مباشرة بالمحيط الهندي ، مما أدى إلى ضعف السلطة اليمنية على التجارة ، وبدأ بذلك عصر الانحطاط الذي امتزج بالخلافات والحروب الدينية . وخشي الفرس على جنوب غربي إمبراطوريتهم ، فعاونوا اليمنيين على الأحباش ، إلى أن جاء الإسلام وتحولت الأنظار والطرقات إلى الفتوحات الإسلامية شمالاً وشرقاً وغرباً ، ووجد اليمانيون في تلك الفتوحات مجالاً ضخماً لإرضاء رغباتهم في الأسفار والاتجار واستغلال طاقتهم ومعلوماتهم وتفوقهم التنظيمي في الحروب ، كما استعملوا مواهبهم ومعرفتهم للزراعة ليستقروا في البلدان الزراعية التي ساهموا بفتحها ومنها بلاد المغرب والأندلس ، ثم صقلية التي حولوها إلى مملكة شملت الجزر الإيطالية ومناطق عديدة من شبه الجزيرة الإيطالية ، ثم امتدت سلطتهم لمرحلة قصيرة إلى سويسرا كما سنرى في الفصل المتعلق بحكم الكلبيين لجزيرة صقلية . ودخلت اليمن نفسها بعد ذلك في الظلام والخلافات الداخلية والطائفية ومبايعات الأئمة وحروب السلاطين وسواهم مما فكك البلاد وفتتها وفتح الباب أمام المماليك ثم آل عثمان وحروب الاستقلال التي استمرت إلى عصر النهضة الجديد كما سنرى في موضوع اليمن في ركب الإسلام .

مصادر السلع في مرحلة ازدهار (طريق التوابل والعطور) كما سماها الغربيون

كانت الهند وجزر المحيط مصدراً للذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والأفاويه كالبهار والفلفل وكذلك القطن ، وأيضاً المناطق الشمالية من اليمن واليمامة بالنسبة للذهب . أما إفريقيا الشرقية والحبشة فكانت مصدراً للعطور والأطياب وخشب الأبنوس وريش النعام والعاج وكذلك الذهب من زمبابوي .

وكانت جزيرة سيقطرة مصدراً للعود والند ، وشواطئ الخليج والبحرين مصدراً للؤلؤ ، علماً بأن اسم البحرين كان يطلق على كامل ساحل الخليج من جنوب الكويت إلى قطر . وتقع أمام هذه البلاد ومنها الأحساء الجزيرة المعروفة اليوم باسم البلاد المجاورة لها وهي بلاد البحرين . وقد تحولت بأيامنا الجزيرة المواجهة للأحساء ولبلاد البحرين إلى دولة مستقلة مرموقة المكانة . وكانت موانئ الجزيرة نفسها مركزاً لتجارة اللؤلؤ . وأما اليمن فكانت المصدر الرئيسي للُبان والبخور والمرّ واللادن وشمالها للذهب كما رأينا .

مقولة النبي حزقاييل والذهب

قال النبي **حزقاييل** في التوراة مخاطباً صور : « تجار شبا متَّجِّرون معك بأفضل كل طيب وبكل حَجَرٍ كريم و**بالذهب** أقاموا أسواقك ».

أما السلع التي كانوا يقايضون بها ويعودون بها جنوباً وشرقاً فهي المصنوعات **الفينيقية** والزيت والخمر من محصولات **الشام** . أما ما كانوا يتاجرون به مع **آسيا** فهو المنسوجات الكتانية والقطنية والأرجوان والميعة والزعفران والآنية من الحديد والصفر أي **النحاس** وسبائك **الفضة** . وكان طبيعياً أن يأتي الميزان التجاري لمصلحة أصحاب القافلة لأنهم كانوا يحصلون على الأرباح الطائلة نتيجة تحديد أسعار السلع وفقاً لما كانوا يقدّرون إمكان الحصول عليه وفقاً للحاجة والطلب وهو ما احتكروا تعيينه لعدم وجود من ينافسهم في ذلك وتحكمهم المطلق بالكميات المعروضة واختيار أوقات عرضها مما سمح لهم بجمع الأموال اللازمة لتشييد قصورهم الخيالية التي سنأتي على وصف بعض ما وصل إلينا عنها .

التجارة وتأثيرها المثمر على مراكزها

علمنا من ذكر التجارة بعهد سيد المرسلين **محمد** ﷺ أن القافلة التي كانت تابعة **لأبي سفيان** في غزوة بدر كانت تضم ألف جمل وتحمل ماقيمته خمسون ألف دينار . وإذا كان ما تحمله القافلة قيمته خمسون ألف دينار وربما هو قيمة حصيلة الرحلة من **مكة المكرمة** إلى **غزة** وكان الربح ديناراً لكل دينار كما أخبرونا فمعنى ذلك أن قيمة الرحلة لقافلة واحدة في الاتجاهين هو مئة ألف دينار .

فما هي التجارة التي تؤدي في أيامنا هذه ربحاً معادلاً لضعف قيمة السلعة وماهي التجارة التي تتناول في كل عملية نصف سنوية ما مجموعه مئة ألف جنيه ذهب **دينار** ؟.

لذا فإنه لاعجب أن تصبح البلدان التي تتعاطى أمثال هذه التجارة على جانب عظيم من الرخاء الذي غالباً ما ينعم به عدد قليل من الناس كما كان الحال في كل مكان وزمان مهما تعددت العقائد وحتى الأديان .

وهذا ما يفسر أيضاً محاولة الوسطاء في مراكز التجارة العالمية أن يستقلوا بحكم أنفسهم عن البلدان المصدرة والمستوردة مما يؤدي إلى حروب ثم تعاون معقول أو هدنة دائمة تسمح بقيام دويلات مزدهرة على طريق التجارة العالمية ، وهذا الواقع كان صحيحاً في الماضي كما ينطبق على الحاضر . فبلدان المرور أو **الترنزيت** كما يسمونها اليوم هي موسرة ومزدهرة بغض النظر عن مساحتها أو عدد سكانها أو سؤددها . ومعلوم أن الأرباح الطائلة يجنيها وسطاء التجارة أكثر من منتجي سلعها أو موزعيها . **ومتى تقهقرت التجارة لسبب أو لآخر لابد وأن ذلك يشمل الوسطاء لأنهم كانوا في مرحلة الازدهار أكثر المنتفعين .**

وهذه العلاقة بين البلدان المنتجة والمستهلكة ونموها أو انحسارها تفسر ازدهار الدول والمدن التي انتفعت منها ثم انحطاطها واندثارها بعد تحول التجارة عنها ، ولا عجب والحالة كذلك أن تتحول مدن **جوف اليمن** إلى خراب ومدن **وسط الجزيرة وشمالها** إلى آثار بعد أن اندثرت وعفا عليها الزمن . وينطبق هذا الواقع على جميع المدن التي ذكرناها في هذا الفصل . وما آثار **البتراء ومدائن صالح وجرش وتدمر وعربايا (الحتر) أو الحضر** شمال العراق سوى أدلة ساطعة على ذلك .

خريطة العربية السعيدة ـ كما وضعها بطليموس (في القرن الثاني للميلاد)
وقد شملت نجد والحجاز حتى سورية وفلسطين وهما العربيتان الصحراوية والصخرية



قسّم علماء الجغرافيا ، شبه جزيرة العرب في عهود الإغريق والرومان إلى ثلاثة أقسام :
العربية الصخرية : وهي التي نسميها اليوم بشرقي الأردن .
والعربية الصحراوية : وهي بين العربية الصخرية والخليج الفارسي .
والعربية السعيدة : وهي مايقع جنوبي العربيتين الصخرية والصحراوية .

بلاد يمان عند العرب والمستشرقين

ولنرى أولاً كيف ذكر العرب هذه الدول : قال **ابن خلدون** نقلاً عن **البيهقي** أن بناة هذه الدولة **معين** ينتسبون إلى **يعرب بن قحطان** ، ويعرفون بالعرب **المستعربة** ، ويعتقد **البيهقي** أن **يعرب بن قحطان** هو أول حاكم عربي عرف بأهميته وحمل لقب ملك ، وذلك بعد أن اشتد بأسه واتسع ملكه ، وأنه أول سيد حيّاه قومه تحية الملك ، كما قال **نشوان بن سعيد الحميري** (وهو من أهل القرن الخامس للهجرة ١١٧٧ م) في القصيدة **الحميّرية** ، ذاكراً **يعرب بن قحطان** أنه ولّى إخوته على جميع أعماله ، فولى جرهم على **الحجاز** ، **وعاد بن قحطان على الشحر** ، كما ولّى **حضرموت بن قحطان** على جبال **الشحر** ، **وعُمان بن قحطان** على مانسميه اليوم **عُمان** ، وذكر العرب بعد **قحطان عبد شمس** الملقب **بسبأ** ، وزعموا أنه سمي كذلك لكثرة سبيه ، ونسبوا إليه بناء السد الشهير بأرض **مأرب** ، واعتبروا أن بعهده تنتهي الدولة **المعينية** وتبدأ الدولة **السبئية** .

وهكذا يتبين أن الدولة الأولى الكبرى **المعينية** اتسعت من **الخليج** إلى شواطئ **الحجاز** . وقد **أعطى أولاد يعرب** أسماءهم لبعض المقاطعات حتى يومنا هذا **كعُمان وحضرموت** ، **ويظهر أن عبد شمس سبأ** ورث الدول المعينية التي أصبحت بعهده دولة **سبأ** وأوصلها إلى أوجها ببناء السد الشهير ، ثم انتقلت بذلك العاصمة من **معين** إلى **مأرب** بجانب السد العظيم . وهكذا تحولت دولة **معين** نسبة إلى الأخباريين العرب إلى دولة **سبأ** التي تمثل أوج الحضارة العربية قبل **الإسلام** ومدنيته الجيدة المعروفة ، مع ميلنا واجتهادنا بقيام وتطور مدنيات سابقة عاصرت مدنيات **وادي النيل** الأولى التي **تعود إلى ستة آلاف سنة أي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وفقاً لما سبق الاجتهاد بشأنه** .

الدولة السبئية

ذكر العرب **سبأ** ضمن أخبارهم بكثير من الفخر والاعتزاز . وكثيراً ما **سمّوا أولادهم سبأ** تمجيداً لهم . ولم يذكر اليونان دولة **سبأ** إلا حوالي الميلاد ، وحددوا بأن عاصمتهم هي **ماريابا أي مأرب** . كما أن **سترابون** ذكر الكثير عن صفات السبئيين . وجاء ذكر **سبأ** في **القرآن الكريم** مراراً ، كما أن إحدى سور كتاب الله الكريم أخذت تسميتها من **سبأ** كما هو معلوم .

لكن ذكر السبئيين جاء وفقاً للمستشرقين قبل ذلك بكثير على قرميدة من عهد الملك **سرجون الثاني ملك آشور** (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق . م .) ، حيث ورد فيها اسم **يثعمر السبئي** من حكام الأمم التي أدت الجزّية **لسرجون** . ويظهر أن **السبئيين** كانوا يدفعون لملك **آشور** رسوماً عن بضائعهم التي ينقلونها إلى ممتلكاته الشاسعة ، و **يثعمر** هو الذي جاء ذكره منقوشاً على **سد مأرب** بأنه بنى الصدف الأيمن للسد كما سنرى . ويميل رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة **برنستون** أن ماسجل على قرميدة **سرجون** كجزية ليست بالواقع سوى هدية أو ضريبة العبور أو الدخول كما هي الحال في كل مكان وزمان ، ذلك أن **يثعمر** كان نفسه من عظماء ملوك **سبأ** ولأن **سرجون** لم يصل مطلقاً إلى جنوب الجزيرة .

سبأ الاتحادية :

هنا وعند ذكرنا لدولة **سبأ** وجب أن نقف قليلاً للاستنارة بلوحة **جبل اللوذ** التاريخية التي عثر عليها في السنوات الأخيرة ضمن الآثار المكتشفة على ذلك الجبل المشرف على مدخل الجوف ، إذ يفهم من نقوش هذه اللوحة التذكارية أنه تم في وقت ما اتحاد بين دولتي **معين وسبأ** قبل أن تأخذ سبأ دور معين بكامله .

سبأ ومعين
اللوحة الاتحادية

لقد ترجم الأستاذ رايكمنز **RYCKMENS** من جامعة **لوفان البلجيكية** اللوحة المكتشفة بجبل **اللوذ** بما يلي :

« هذا الخط **لكرب إل وتر بن ذمار** على **مكرب سبأ** ، وقد نقرت هذه النقوش عندما احتشد الناس على شرف الرب ـ **عثتر ذو ذبيان** ـ وقدم بهذه المناسبة **كرب إل وتر** للرب قرباناً من البخور على مرأى من الناس ، وذلك بمناسبة تأسيس الوحدة بين الشعب والرب والحاكم وبمناسبة عقد الاتحاد والحلف بينه وبين رؤساء **معين** وعند ضمهم للاتحاد ».

ومن اكتشاف هذه اللوحة أخيراً تمكن المؤرخون من تسليط نور جديد على تاريخ الدولة **السبئية** التي يظهر أنها مرت مع **معين** بمرحلة اتحادية قبل أن تنفرد بالسلطة كما يستفاد من أولئك بأن دولة **معين** كانت قائمة لمدة من الزمن في المناطق الداخلية ومتمركزة بمنطقة **الجوف** عندما كانت **سبأ** في الوقت نفسه تسيطر على المناطق الأخرى ومنها مناطق الجبال الجنوبية ، **ذو ريدان وما** إليها ، ثم يظهر أن **معين قد تفككت** وجاء **الوتر بن ذمار علي** ، **ملك سبأ** ، إلى **الجوف** وهو ابن مؤسس مدينة **ذمار** على ما يعتقد ، فوحّد البلاد بتأسيس دولة اتحادية بينه وبين رؤساء **معين** .

وإنّا نعتبر هذا الحدث التاريخي القديم على جانب عظيم من الأهمية لأنه دلنا على قيام أول دولة اتحادية معروفة ، ولأنه برهان على أن اليمانيين قد لجؤوا إلى الحكمة في تدبير أمورهم وحكمهم ، إذ عندما تعذر على **كارب ع الوتر** السيطرة على رؤساء **معين** لجأ إلى حل حكيم وهو **الاتحاد** ، ذلك أن مناطق بلاد **الجوف** صعبة المنال ويظهر أن سكانها كانوا مستندين كما كانت الحال دوماً ومتمسكين بنظام القبائل ، لذلك لم يكن للملك **سبأ** من بدّ سوى اللجوء إلى عقد اتفاق اتحادي مع (رؤساء معين) كما ذكرت اللوحة . هذا ولما لم يظهر لقب مكرب سوى بعد تلك المرحلة الاتحادية لذا مال الأستاذ البلجيكي المذكور إلى الاعتقاد بأن كلمة **مكرب** معناها الموحّد وليس المقرب من الآلهة كما اعتقد البعض ، كما وقد يكون على مانظن بأن فوز هذا الملك في توحيد **اليمنيين المعنيين في الجوف والسبئيين في ذي ريدان** وسواها هو ما يمكن تفسيره من علائم النجاح والقرب من **الله** . فلو لم يكن الكارب ع **الوتر** مقرباً من **الله** لما تمكن من جمع قبائل **معين** المنتشرة في بلاد **الجوف** تحت سلطانه باهتدائه للحل الاتحادي . ونميل للاعتقاد أن المرور أولاً بمرحلة الاتحاد قبل الوصول إلى الوحدة أضمن وأجدى (**وما دراسة التاريخ إلا لأخذ العبر**) .

ولما عاش **يثعمر** في القرن الثامن قبل الميلاد وجاء ذكر ملك **سبأ** في أيام **سليمان الحكيم** الذي حكم حوالي ٩٧٠ ـ ٩٥٠ قبل الميلاد ، يمكننا اعتبار العصر الذهبي للحضارة العربية قبل الإسلام وأوج المدنية **اليمنية** المعروفة ، في أوائل الألف الأول قبل الميلاد . ويذهب البعض إلى وضع تاريخ معرفتنا لتلك المدنية إلى عام ١٢٠٠ ق . م . وقد تم بالنقل عن الآثار والنقوش التي عثر عليها تسجيلاً لأسماء ٢٧ حاكماً ؛ **بعضهم يلقب مكرب وعددهم ١٥ ، والبعض الآخر لقبه ملك وعددهم ١٢ ؛ وكانت ترافق** أسماءهم هذه ألقاب خاصة بكل منهم وهي مثلاً : **وتار** أي عظيم ، و **بيين** أي ممتاز ، و **درح** أي شريف ، و **يُهَنعم** أي المحسن ، و **ينوف** أي السامي ، و **اليفع** أي الشهير ، و **صدق** أي الصادق ، و **يثع** أي المنقذ .

وقد اتفقت كلمة المختصين على اعتبار دولة سبأ بأنها مركز ومصدر لتمدّن العرب قبل **الإسلام** ، وتنتهي هذه الدولة ، دولة **سبأ** ، عام ١١٥ ق . م ، بانتقال عاصمة الملك إلى بلاد **ذي ريدان** والعاصمة **ظفار** جنوباً بالغرب من **يريم** ، وبذلك تبدأ الدولة **الحميّرية** .

ومع ذلك نميل للاجتهاد أن مدنية معين شكّلت حصيلة لمدنيات سحيقة في القدم تزامنت مع مدنيات الفراعنة منذ الألف الرابع قبل الميلاد ، كما ذكرنا ذلك بمكان آخر .

مكانة سبأ وحضارة أهل الجنوب

قال **جرجي زيدان** عن العهد السبئي ما يلي : « كانت سبأ تنقل التجارة بين **الهند والحبشة ومصر والشام والعراق** حتى أصبحت في القرون الأولى قبل الميلاد أكبر وسائل الاتصال في تلك الأمم ، فكانت السلع والأطياب تأتي من **الهند والحبشة** إلى شواطئ **العرب** فينقلها **السبئيون** على قوافلهم إلى **مصر والشام والعراق** . ولم يكن عالم التجارة يستغني عنهم فزهت بلادهم ، واتسعت ثروتهم ، وامتدت سيادتهم إلى أطراف **الجزيرة** شمالاً وشرقاً ، واحتفروا الترع ، وبنوا السدود ، وحولوا الرمال إلى تربة خصبة ، وبنوا القصور والمحافد والهياكل ، وتفننوا في تزيينها وشادوا حولها الأسوار واغترسوا الحدائق حتى صارت البادية التي يهلك سالكها من العطش الآن جنة آهلة عامرة » .

وهكذا يتبين بوضوح أن الحضارة السبئية هي عمرانية بناءة . ولنترك للنقوش والرقم أن تنقل لنا أخبار هؤلاء الناس وأعمالهم لنحكم على نوع حضارتهم .

ونرى **السبئيين** يسجلون على الأغلب أعمالهم للتاريخ بقولهم أنا بنيت ، **أو وقفت** ، **أو رممت** ، أو أنشأت .

وكانت الدولة مؤلفة من قصور ومحافد كما رأينا ، وينسب القصر أو المحفد إلى صاحبه (ذو جمعها الأذواء) **ذو سلحان وذو جيشان وذو ريدان** إلخ ..

وقد تجتمع عدة محافد يتولى شؤونها أمير واحد يسمى **قيل** جمعه أقيال ويسمى مجموع المحافد مع ملحقاتها من قرى ومزارع **مخلاف** ، وأشهر هذه الولايات أو القصور : **غمدان** ، **ومعين** ، **وتلقم** ، **وناعط** ، **وصرواح** ، **وسلحين** ، **وظفار** ، **وشبام** ، **وبينون** ، **وبراقش** ، **وروثان** ، **وأرياب** ، **وجيشان** ، **وعمران** ، كما سنرى من العنوان الخاص بالقصور .

صرواح ، عاصمة سبأ الأولى

شكلت **صرواح** عاصمة ومركز عبادة لأهل سبأ قبل انتقال العاصمة إلى **مأرب** .

نقش النصر

أهم نقوش **صرواح** التي عثر عليها حتى الآن هو دون شك النقش الذي يغطي وجهي جدار مشيد من المرمر قائم في بهو المعبد ، ويعدّ من أهم مصادر التاريخ اليمني القديم . وذلك منذ أن رآه **أرنو** ثم حصل **جلازر** على طبعات من الورق لنقوشه . وقد ترجم هذا النقش ودرس مرات عديدة .

وأهم دراسة عن هذا النقش هي دراسة **رودوكناكيس** التي نشرها (Nikolaus Rhodokanakis ' Altsüdab'sche TexteIP.19ff) .

وقد عني بدراسة المدن المختلفة التي وردت في ذلك النص كل من **هومل وجلازر** وآخرون من الذين توصلوا للتعرف على صاحب هذا النقش وهو **كريب ـ ايل ـ وتار** الذي خلف **يثع ـ أمر ـ بيين** باني الجزء الجنوبي من سد **مأرب** عندما كان مكرباً **لسبأ** والذي قام بفتوحات كثيرة في البلاد المجاورة . ويذكر **كَرِب ايل وتار** ماقام بعمله لأجل مدينته وآلهتها ، ويشير إلى مشروعات الري المختلفة ويذكر أسماء خزانات المياه والجسور والقنوات التي أمر بإنشائها ، ويطيل في ذكر البلاد التي فتحها ودمرها ، ويذكر أنه في حربه ضد **أوسان** قتل ١٦٠٠٠ من أعدائه وأسر ٤٠٠٠٠ . ويقول أنه استمر في فتوحه حتى وصل إلى البحر ودانت أوسان وملكها **مارتو** لسلطانه .

وكان السبب في تلك الحرب أن **قتبان وحضرموت** كانتا حليفتين **لسبأ** ، فتقدم ملك **أوسان** فاستولى عليهما ، فرأى **كريب إيل وتار** نفسه مضطراً لمناصرة حلفائه . وبعد أن تم له إخضاع الجنوب اتجه ببصره نحو مدن **المعينين** فأخضعها واحدة بعد أخرى وقبل ملوكها دفع الجزية له ، وأن يكونوا من تابعيه ، وتحققت النبوءة القديمة التي قالت بأن مدينة **نشان (خريبة السودة)** سيحتلها **السبئيون** وأنه سيقيم فيها معبداً للآله **المقه** . ويشير في آخر هذا النقش إلى حملته على **نجران** . وعلى الوجه الآخر للجدار بيان بأعمال التحصينات التي قام بها هذا الملك لجعل مدن مملكته قوية منيعة ، ويذكر ممتلكات الملوك الذين دانوا لطاعته ، كما يذكر أيضاً خزانات المياه التي أصلحها أو شيدها ، وحدائق النخيل التي غرسها .

وإذا أحصينا عدد القتلى الذين ذكرهم **كريب إيل وتار** ، نجدهم يزيدون على ٣٠٠٠٠ شخصاً من أعدائه ، وهذا غير من قتلوا من رجاله . كما نرى أيضاً عدد الأسرى الذين استخدمهم بعد ذلك في تشييد مبانيه ، أو في زرع الأراضي المملوكة له ، أو للمعابد أنه لا يقل عن ٧٣٠٠٠ ، ولم يهتم هذا الملك بذكر ما استولى عليه من الحيوانات اللهم إلا مرتين إذ أخذ عند استيلائه على مدينة **معين** ١٥٠٠٠٠ رأساً من الماشية ، واستولى من **نجران** على ٢٠٠٠٠٠ رأساً .

وكانت حروب هذا الملك فاتحة عهد جديد في تاريخ **اليمن** القديم ، وأصبح **مكرب سبأ** ، الذي كانت عاصمته في صرواح ، ملكاً على **اليمن** بأكملها بما في ذلك **حضرموت** في الجنوب وما إليها في الشمال .

ونذكر هنا بهذا الصدد الدراسة التي نشرها المستشرق النمساوي المتعلقة بجغرافية **اليمن** في عهدها القديم وهي بالألمانية ، نشرت عام ١٩٥٣ م .

نوع الحكم والحياة في العهد القديم

إن الممالك اليمنية الأولى وخاصة **معين وسبأ** وما رافقها من ممالك تجارية كانت تستند إلى الإنشاء والزراعة والتجارة ، بحيث أنها حولت **اليمن** الطبيعية إلى منطقة ازدهار نادر يعتمد لدرجة كبيرة على تجميع الثروة التجارية التي عرف أهلها كيف يستغلونها لتطوير البلاد وتقدمها ، كما أتقنوا جميع وسائل جمع المياه والاستفادة منها بوسائل ومعرفة تقنية متقدمة . ونظراً لأهمية موضوع المياه ، وتقنية الاحتفاظ بها ، وحسن استغلالها ، فقد خصصنا لذلك عنواناً آخر .

الحكم

قال **جواد علي** ، إن الملوك الأول كانوا حكاماً وكهنة في آن واحد ، وهم يشبهون القضاة عند **العبرانيين** . وكانت عاصمتهم الأولى صرواح بالقرب من **مأرب** . وهؤلاء هم المقربون من الآلهة ، وأول من عرفنا منهم ويحمل لقب مكرب هو : المكرب **أسمع علي** ، ذكره **جون فيلي** الرحالة **الإنكليزي** ، واعتبر تاريخ حكمه في حوالي سنة ٨٢٠ ق.م . ويعتبرونه أول من بنى السدود العديدة ، وحقق سياسة استصلاح الأراضي وتوزيعها على الفلاحين لاستغلالها .

شورى بينهم

وتحسن الإشارة هنا إلى ما توصّل إليه البّحاثة اليمني العلامة **محمد حسين الفرح** من أن الحكم في العهد القديم ، كان يستند إلى الشورى حيث كان للشعب مجالس تسمّى **المساود** ، جمع مسود أي منتخب ، وأن **المساود** كانت تمثل المناطق ، كما أن **المساود** كانت تقترح القوانين وتضع اللوائح وتفاصيل أخرى توصل إليها العلامة المذكور ، مستنداً إلى مراجع الأخباريين اليمنيين ، وهو ما توصل إلى إقراره أيضاً مرجع تاريخ **اليمن** الأول والأعلم ، ونقصد به الدكتور **جواد علي** وموسوعته الفريدة التي ذكرناها مراراً بهذا الكتاب .

كما تؤكد المراجع عن نوع الحكم ما يلي : ويرأس الجميع ملك أو مكرب ، وهو مطلق الحكم ، لا يخرج من قصره إلا نادراً ، وكان **الملك** عندهم وراثياً بدليل تكرار الأسماء ، لكن **سترابون** ذكر بأن الحكم في **حضرموت** كان ينتقل إلى أول مولود من الأشراف ، كما أنه توجد أدلة تفيد بأن الابن كان يشارك أباه لقب الملك **مكرب** .

ولنا دليل آخر على نوع حضارة **اليمن** السبئية المتقدمة المعتمدة على التجارة وليس على الفتوحات أو الغزو هو الألقاب التي كانوا يشاركون أسماءهم بها كقولهم **بيين** أي الممتاز ، **ذرج** أي الشريف و**يوهنعم** أي المحسن و**ينوف** أي السامي . ولا نرى عندهم ألقاباً كهذه مثلاً القاهر أو الجبار أو الفاتح وغير ذلك مما اشتهر به ملوك الدول الغازية ، وهذه الملاحظات لا تنطبق على العهد **الحميّري الأخير** لأنه عرف أيضاً بالحروب والفتوحات . أما المرأة فيظهر أنه كان لها شأن عظيم في حياة **اليمن** الاجتماعية وقيل أنها كانت تتزوج من عدة رجال أو عدة إخوة وفقاً لما ذكره **سترابون** . وماذِكْرُ **ملكة سبأ** في التاريخ القديم وعظمتها ، إلا دليل على المكانة السامية التي وصلت إليها المرأة في تلك العصور . كما تعرفنا على اسم ملكتين حكمتا في مراكز طريق القوافل الزاهرة **بالحجاز** بعهد سلطة **معين** حيث علمنا من فتوحات **تغلتبلا صّار** الثالث الآشوري (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م) الذي ضرب الجزية على **زبيبي** ملكة **أرض العرب** ، وكذلك على ملكة أخرى اسمها **سمس** أو **شمسة** مما يدل على أن مدنية العرب الوثنية القديمة ، كانت تعادل المرأة والرجل بالحكم عندما تتوفر الكفاءة .

الحياة الاجتماعية

أقرّ المستشرقون ما كتبه **سترابون** ، وذلك وفقاً لما أطلعتهم عليها الرّقم حتى الآن ، واعتمدوا أيضاً تقسيم المواطنين إلى أربع طوائف تماماً كما ذكرها **سترابون** وهي :

١ ـ الجند المسلح لحفظ النظام وحماية القلاع والقوافل ـ دفاعي على الأغلب .
٢ ـ الفلاحون .
٣ ـ الصناع .
٤ ـ التجار .

أما مظاهرهم وملابسهم فنأخذها عن التماثيل التي وصلت إلينا وعن صورهم التي ضربوها على النقود ، وكانت هذه من ذهب وفضة ونحاس ، وقد ظهرت على أحد طرفيها صورة البومة أو صورة رأس الثور وعلى الطرف الآخر صورة أحد الملوك ، وهي تمثلهم ضافرين شعورهم جدائل على خديهم ، والملاحظ أن **يهود اليمن** كانوا حتى أيامنا هذه يضفرون شعورهم على هذا الشكل ، وكانت شعورهم المجدولة هذه علامتهم الفارقة عن غيرهم من **اليمنيين** . كما أن أهل الزرانيق في **تهامة** يضفرون شعورهم على هذا الشكل إلى يومنا .

طقوس الملك في العهد الحميري

وصف **تيوفانوس** البيزنطي كيفية استقبال ملك **حميّر** لوفد أرسله قيصر **القسطنطينية** برئاسة سفير **بيزنطة يوليانوس** ، وكانت الزيارة في بداية القرن السادس للميلاد ، حيث أفادنا عن السفير

أنه رأى الملك واقفاً على مركبة يجرها أربعة أفيال وهو يلبس مئزراً محوك بالذهب حول حقويه وأساور ثمينة في ذراعه ويحمل بيده ترساً ورمحين وحوله رجال من حاشيته وعليهم الأسلحة يتغنون بإطرائه وتفخيمه .

ميادين نشاط اليمني إبان مجده القديم

لا شك أن اليمني جمع بين اهتمامه بالزراعة والتجارة والتعدين والصناعة وساهم بتطويرها واستغلال كلٍ من هذه المجالات إلى حد كبير . لكنه من الواضح أن الفضل الأكبر لمجده وازدهار مدنيته يعود لسيطرته على تجارة اللبان والتوابل والعطور وسائر السلع التي تنتجها بلاد وجزر المحيط الهندي التي احتكرت أساطيله الوصول إليها . كما ساعدت اليمني أراضيه الخصبة كثيرة الأمطار في المناطق الجبلية في شمال الجنوب الغربي **يمنات** وجنوبه **ريدان** على الاستثمار الزراعي في الوديان العديدة المرتفعة منها والمنخفضة وكذلك السهول المنبسطة بين الجبال ، القيعان (جمع قاع) ، ثم ساعده غناه الناتج عن التجارة والصناعة للعناية بالمناطق الأخرى القليلة الأمطار والمناطق الداخلية الجافة وغيرها مما يمكن تحسين استثماره ، وذلك بالعمل على إنشاء السدود وشق الترع وحفر الآبار وبناء الصهاريج واستغلال كل نقطة ماء يمكن الحصول عليها بشكل أو بآخر لاستعمالها في الري .

وهكذا نعلم مما تبقى من هذه المدنية الزراعية إلى أيامنا بأن اليمني في المناطق المطرة يبني الجلول - أي المدرجات - من أعلى الجبل إلى أسفله ليستثمر كل شبر منه ويعيد بناء ماتهدمه السيول والأمطار الغزيرة بجد وهمة ويحفظ بالتوارث قواعد الزراعة ومواعيدها ، وعنده تقديرات لمواعيد الأمطار وكمياتها في كل منطقة ، وله مفهوم عظيم في معرفة أنواع المزروعات التي تناسب كل ارتفاع ومناخ . ونراه في المناطق الداخلية الجافة قد حفر الآبار العديدة إلى أعماق كبيرة ورفع المياه الجوفية المتجمعة فحول المناطق المحاطة بالآبار إلى بساتين غناء بفضل جده ومعرفته لأصول الزراعة وعنايته الفائقة بها وعلو همته ومساعدة المناخ الصحي له في المرتفعات .

وكذلك كنا نراه يستغل مياه الأمطار القليلة جداً في تلك الأصقاع الداخلية بشكل علمي مدروس ، فيخصص المياه التي تتساقط على مساحة كبيرة لاستغلال مساحة صغيرة محدودة ، فهو يختار من المساحة الكبيرة أرضاً صغيرة الحجم مناسبة الموقع ويحفر في الأراضي المجاورة لها أخاديد بحيث يتمكن من توجيه المياه التي تهطل على كامل المساحة الكبيرة إلى المساحة الصغيرة المعدة للاستغلال الزراعي . وهكذا فإن الخمسة أو عشرة سنتمتراً من الأمطار السنوية التي لا تكفي لإنعاش الزراعة قد تحولت إلى أضعاف أضعافها في مساحة محدودة ، وساعدت على ريها بالكمية اللازمة من المياه على حساب الأراضي المجاورة ، وهذا ما يزال مستعملاً في منطقة صنعاء إلى أيامنا ، ويصلح اقتباسه في المناطق القليلة الأمطار الأخرى من بلادنا العربية .

موقع بلاد سبأ

ثم تعرفنا على وصول الرومان إلى الهند بالنسبة لمفهوم الرومان بعهد بطليموس

نلاحظ لدى اطلاعنا على خريطة الجغرافي الروماني **بطليموس** التي نشرها بكتابه المصنف بين عامي ١٥٠ ـ ١٦٠ ميلادي ، والتي نقلناها في هذا الكتاب ، أنه وضع موقع **السبأي** في كامل جنوب وجنوب غرب **الجزيرة** وشمال شرق **الجزيرة** على الخليج ، حيث حدد مكان **الجرهاي** شمال **قطر** .

وأما في بلاد **السبأي** فقد وضع مدن : **المكلا** ، **وظفار** ، **وحميّر** ، **وموزا (المخا)** ، وبأواسط **السبأي** وضع : **ماريابا (مأرب)** ، ووضع بشمالها : **لنّه** ، **وثمالة أو أولافيا** .

وفوق خط فاصل شمالاً وضع : **مكورياه (مكّة المكرمة) ويثرب (المدينة المنورة) وسلمى** ، ووضع **ثمود** على الساحل الشرقي لما هو **الحجاز** ، وشرقي **ثمود** وضع : **الأنباط** ، **وتيما** ، **وعينا** ، **واستانه** ، شمال ماهو **الحجاز** حالياً . كما وضع خطان فاصلان بين **السبأي** والجنوب الشرقي ، أحدهما وضع تحته **عُمان** والآخر في شمال **عمان** وهو **قتبان** ، ثم وضع أمام الخليج الجنوبي كلمة **سخالين** ، وكلمة **خليج سخالين** على الخليج ، كما وضع فوق رأس بحري باتجاه الجنوب الشرقي كلمة **رأس سياجروس** (ولم يذكر على خريطته **حضرموت وأوسان**) . وقد نقلنا الخريطة ليس لإقرارها ولكن لإعطاء فكرة عن تصور **بطليموس والغربيين** إجمالاً لمواضع وشكل **الجزيرة العربية** الذي دام كذلك إلى عهد تاريخي يعتبر قريباً .

والخريطة المذكورة تعتبر أول مصور مبني على معلومات مستقاة من أهل التجارة والأسفار في أواسط القرن الثاني بعد الميلاد .

وتوجد خريطة **بطليموس** هذه في العديد من المراجع ، وكانت لقرون عديدة بعد القرن الثاني مرجعاً معتمداً لجميع المهتمين بالأسفار والأقطار والتجارة العالمية والرحلات البحرية ، والوصول إلى **بلاد اللبان والصومال وجنوب الجزيرة وبلاد الهند وجزيرة سريلانكا (سرنديب) وبلاد التمول** ذات الغنى المذهل بالنسبة لجميع السلع ، التي كان **اليمنيون** قد احتكروها قبل وصول **الرومان** إلى

المحيط الهندي ، وتعرفهم على حقيقة مصادر التوابل والعاج وجلود الحيوانات النادرة وريش النعام ، وغير ذلك مما كان أهل **البحر الأبيض** يظنون بأنه من إنتاج بلاد **سبأ** التي كانت محتكرة لتلك التجارة العالمية منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ، ولمدة تقدر بألف وخمس مئة سنة ، أي منذ تعرّف **المعينيون** على استخدام الجمل الذي وصل إلى الجزيرة مع **المديانيين** ١١٠٠ ـ ١١٥٠ قبل الميلاد إلى اكتشاف **الرومان** طريق التوابل وتعرفهم على أسرارها ، وأهمها التعرف على الرياح الموسمية وتمكنهم من استخدام الملاحة في **البحر الأحمر** للوصول إلى مصادر السلع في بداية القرن الثاني بعد الميلاد . وهو ما ألمحنا إليه تحت عنوان آخر .

ويطلعنا المتخصصون بجمع النقود القديمة أن عدد النقود الذهبية المسكوكة بروما في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد والتي عثر عليها في جنوب **الهند وبلاد التمول** يفوق عن أي عدد آخر تمّ العثور عليه من هذه النقود التاريخية ، وهو مما يؤكد أن تلك الحقبة من تاريخ **جنوب الجزيرة** الزاهرة انتهت بوصول المستهلك إلى بلد المنتج دون المرور بالوسيط ووسائل مواصلاته البحرية والبرية ، وهو ما يفسر تقهقر دولة **سبأ** التجارية المذهلة بغناها وثروتها الخيالية ، وتحويل مركز السلطة في **اليمن** من طريق السلع النادرة شرقاً إلى منطقة الجبال والوديان في جنوب غربي جزيرة العرب ، ولتنتقل من **بلاد سبأ** للتحول إلى الدولة الجديدة التي ورثت **سبأ** ، وأصبحت دولة **حمير** وعاصمتها **ظفار** في المنطقة التي قال عنها الشاعر :

وفي الجنـــة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء جاريا

وفي المنطقة الجنوبية الغربية الدائمة الاخضرار بفضل الأمطار واستغلال الثروة الزراعية ، مما ساعد على زيادة الاهتمام بجمع المياه النادرة شرقاً ، والاستناد إلى التجارة التي درت الأرباح الخيالية الطائلة على سبأ ومن إليها من مدن زاهرة وممالك متنافسة على خيرات اللّبان والسلع المستوردة الأخرى ، التي احتكرها تجار اللّبان وأوهموا مستورديها بأنها هي أيضاً من إنتاج بلادهم ، وبالتالي لا يمكن تحصيلها من سواهم ، وهو الأمر الذي كان على كل حال متعذراً لعدم تمكن أهل **البحر المتوسط** وشماله من الوصول إلى **المحيط الهندي** دون المرور **بجزيرة العرب** وبحارها ومضائقها .

أخبار اليمن وأوصافها عند الغربيين
حتى وصول تجارة الرومان إلى المحيط الهندي

خريطة بطليموس

كان أول من ذكر **سبأ** عند **الغربيين** ببعض التفصيل هو المؤرخ اليوناني **هيرودتس** (٤٨٤ـ٤٢٠ ق.م) حيث دوّن : « إن **بلاد العرب** كلها تفوح منها رائحة العطر والطيوب ، وأنها الوحيدة التي تنتج اللبان والأقاصيا والقرفة واللادن .. وتصون الأشجار التي تحمل اللبان حيات مجنّحة وهي صغيرة الحجم متنوعة الألوان تتدلى بأعداد لا حصر لها من كل شجرة .. وكانوا يحتالون لطرد هذه الحيّات بقدر من بلسم المستكا (الميعة) يشعله الذي يريد اجتناء اللبان فيصعد من دخانه ما يفرق شملها » .

كما ذكرها بعد ذلك الجغرافي الإغريقي ـ الروماني المعروف **سترابون** (٥٨ ق.م ـ ٢٥ ب.م) الذي رافق الوالي الروماني على مصر **يوليوس جاليوس** وكان قد حاول احتلال **بلاد سبأ** في حملة شهيرة جهّزها لتلك الغاية بالتعاون مع **الأنباط** المثلين بسفير **أبو داس** (عبيده) وكانت فاشلة عام (٢٤ ق.م) كما سنرى .

وكان **سترابون** قد رافق صديقه **يوليوس جاليوس** إلى **بلاد سبأ** وبالتالي أصبح الشاهد العيان الوحيد الذي يمكن اعتماده في وصف ما عرفه **الإغريق والرومان** عن جنوب **جزيرة العرب** (**بلاد السبأي**) . وقال **سترابون** عن **جنوب الجزيرة** التي نعتها أيضاً **ببلاد الطيوب** : « **وبلاد السبأي** ، بلاد مزدحمة بالسكان .. وهي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق ، ثمارها المرّ واللّبان والقرفة » وردد ما قاله **هيرودتس** بشكل أوضح قائلاً : « وفيها حيات ذات لون فاقع تبلغ الشبر طولاً وبوسعها القفز إلى علو خصر الآدمي ولا ينجح بلسعتها علاج » .

كما ذكر **سترابون** شيئاً عن شرائع وعادات أهل **سبأ** : « روعيت عندهم شريعة البكورة التي تحتم أن يستلم البكر مقاليد الزعامة .. وأن معظم نبيذهم من التمر وأنهم يعتاضون بزيت السمسم عن زيت الزيتون » .

ثم روى **بلينـوس** في وقت آخر عن **جـاليـوس** : « أنهم كانـوا يلبسـون القلنسـوة ويرخي بعضهم شعور رؤوسهم فيغنيهم طولها عن لباس الرأس ويحلقون اللحية تاركين الشاربين » .

ثم نقل **ديدروس الصقلي** هـذا الوصف عن مصـدره قـائلاً : « إن تلـك البلاد تثمر الطيوب بحيث كانت تربتها نفسها تعبق بالأريج » .

أما **بلينوس** الأغريقي ـ الروماني المتوفى (٧٩ م) الذي لخص ما وصل إليه **الرومـان** من معرفـة وتـاريـخ حتى عـام (٧٠ م) فقـد أضـاف مـدونـاً : « إن **السبـأي** هم أشهر قبـائـل الجـزيرة لغنـاهم باللّبان » .

كما أضاف هذا المدون الإغريقي ، الروماني صاحب مؤلفـات التـاريخ الطبيعي ، نقلا عن الوالي والقائد الروماني **جاليوس** الفاشل بحملتـه المـذكورة : « لقـد أصبحت **السبـأي والجرهـاي** بمـا لهما من نصيب في تجارة الطيوب أغنى القبائل عـامـه ، فعنـدهمـا مستحـدثـات الأدوات المصوغـة من الـذهب والفضة . منها الأسرّة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب وناهيك بمنازلهم الفخمة وقـد ازدانت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان وترصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة » .

هذا وإننا لو لم نعلم ونرى بأم العين ما توصلت إليه **الجزيرة العربية** في المرحلـة القصيرة الحـاضرة بفضل دخلها من النفط لما صدّقنا ما ذكره **سترابون** عن مشاهداتـه **لمأرب** ومـا إليهـا من بلاد **السبـأي** بفضل احتكار الإنتاج والاتجار بمادة نادرة وثمينة كالبخور والمرّ والعطور وهي ممـا لا غنى عنـه لممارسـة الطقوس الدينية وتحنيط الموتى والمعالجة وغير ذلك .

فهل اللّبان في تلك الحقبة الطويلة من الزمان يعادل أهمية النفط في الحقبة الحـاضرة من تـاريخ هـذه المنطقـة من العـالم ؟ ونعلم أن احتكار **معين وسبـأ** ومـا إليها مثل **حضرمـوت وقتبـان وأوسـان** وغيرهم دام أكثر من ألفي عام . فهل ستدوم أهميـة النفـط مئـة أو مئتي عـام وحسب ؟ .. ومـاذا بعـد ذلك .

كما نردد في هذا الباب ما روى لنـا المؤرخ اليونـاني **بلينوس** عن **يوليوس جـاليوس** الـذي تزامن مع عصره قائلاً : « فاقت **السبأي** الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري ، وهي تنتج العسل والشمع بكثرة .. فلو تحرّيت هذه الأقطار تماماً علمت أنها أغنى بلـدان الأرض قاطبة بما يتوارد إليهـا من كنوز دولـة **الرومـان** ودولـة **الفرس** » ، وهـذا مـاسبق ذكره تحت عنوان آخر .

وبـالنسبـة للـذهب ووجـوده آنـذاك بكثرة عنـد **العرب (السبـأي)** فيمكننـا العـودة إلى مـؤلف **الهمداني** ـ صفة **جزيرة العرب** ، **ليدن** ١٨٨٤ صفحة ١٥٣ ـ ١٥٤ الـذي أتى مراراً على ذكر غنى **جزيرة**

العرب بالذهب كما علمنا من الأخباريين أن التبر كان وفيراً في **أوفير** وهو ما جاء بالتوراة كما سنعرض ذلك تحت عنوان آخر **ذهب أوفير** .

أما فيما يتعلق بنوع حياتهم الاجتماعية وفلسفتهم الواقعية فيها فقد دون **ديدوورس** الصقلي الروماني مايلي :

« إن العرب يقدرون مالهم من حرية ويتباهون بذلك » .

كما روى **سترابون** عن مرجع يوناني سابق :

« إن **العرب** هم الأمة الوحيدة التي لم تبعث سفراءها إلى **الإسكندر الأكبر - ذو القرنين -** الذي كان قد صمّم أن يجعل **بلاد العرب** مركزاً لإمبراطوريته » .

ساد الرومان العالم ولكنهم لم يسودوا العرب

وننهي هذا العنوان بذكر العلامة **حتّي** حيث قال : « ساد **الرومان** العالم ولكنهم لم يسودوا **العرب** » .

المعلومات التي وصلت إلينا بفضل الحملة الرومانية

كان **الإسكندر الأكبر** قد ساد العالم شرقاً وجنوباً لكنه لم يصل إلى بلاد **العرب** السعيدة ويجعلها مركزاً لإمبراطوريته كما ذكر سترابون .

وكذلك أخضع **الرومان** العالم الجنوبي الشرقي المتحضر لكنهم لم يخضعوا **العرب** إلا في **بلاد الأنباط** في مرحلة لاحقة (١٠٥ بعد الميلاد) ولكنهم لم يتمكنوا . من إخضاع العربية السعيدة مطلقاً .

علماً بأنهم في عهد **أوغسطس** ، قيصر **روما** ، قام والي **مصر يوليوس جاليوس** بحملة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل وذلك بالتعاون مع **الأنباط العرب** الشماليين ، وقد تمثل هذا التعاون بشخص **سيلاوس** سفير **عبيدة** ملك **الأنباط** . وكان غرض هذه الحملة التي حصلت عام ٢٤ قبل الميلاد الاستيلاء على طريق العالمية التي تربط **بلاد الأنباط** وعاصمتهم **البتراء** ، **وبلاد سبأ** وعاصمتها **مأرب** (**مريابا**) وهو ماسبق ذكره بمناسبة أخرى .

وقد باءت هذه الحملة بالفشل لكن **الرومان** عزوا فشلهم إلى خيانة قائد **الأنباط** الذي ضلّل الحملة في طريقها لإخضاع (**مريابا**) **مأرب** ، وادعوا بعد هزيمتهم في **الجوف اليمني** بعد احتلالهم **نجرانا**

(**نجران**) أنهم وصلوا بقصد سلمي وتجاري ، يشهد على ذلك وجود **الأنباط** معهم وكذلك خمس مئة من التجار **اليهود** .

ويفيدنا المؤرخ المعروف اليوناني **سترابون** وكان صديقاً لقائد الحملة **يوليوس جاليوس** أن الحملة أقلعت من **السويس** وآزرها الأسطول البحري النبطي ، وبعد أن مضى عدة أشهر على توغلها بالجنوب ، صادفت فيه العقبات مما اضطرها إلى النكوص بعد أن فتكت بها الطوارئ فتكاً ذريعاً ، مما حملها على العودة إلى **نجرانا** (**نجران**) .

وقد ذكر **سترابون** الكثير عن هذه الحملة ، وترك لنا وصفاً فريداً لبلاد **سبأ** العجيبة آنذاك ، ودامت هذه الحملة وفقاً لما دونه مؤرخها اليوناني ـ الروماني سنتان .

كما أفادت بعض المصادر أن أهل **سبأ** ظنوا أن الحملة التي قادها **يوليوس جاليوس** والي قيصر **روما** على **مصر** باتجاه **مأرب** كان المراد منها توسيع سلطة **النبطيين** لتشمل مملكتهم **بلاد سبأ** في الجنوب بحيث تمتد مملكة **الأنباط** من شمال الجزيرة إلى أواسطها وجنوبها باعتبارها حليفة **لروما** أو واقعة تحت رعايتها وسلطانها ، وهي التي شمل حكمها آنذاك قبيل الميلاد كامل العالم المتحضر باستثناء جنوب **الجزيرة العربية** وما بعدها من بلدان **الهند** و**الصين** وما إليها ، وقد حصلت الحملة بناء على أوامر من قيصر **روما** آنذاك **يوليوس سيزر** أو **أوغسطس قيصر** عند **العرب** .

حصيلة التعرف على بلاد سبأ

نتيجة للحملة الرومانية النبطية عام ٢٤ قبل الميلاد

كانت إيجابيات هذه **الحملة الرومانية** التي كانت غايتها الأولى إخضاع بلاد **الطيوب** و **اللّبان** و **القصور** التي تتمتع بحياة اللهو والرخاء أنها سمحت للمؤرخ الروماني **سترابون** أن يصف لنا هذه البلاد الزاهرة آنذاك وفقاً لما نقلناه سابقاً .

وكانت **اليمن** تتعامل منذ أمد بعيد مع **عرب الشمال** وهم **الأنباط** الذين وصلوا إلى بلاد **كنعان** من الجنوب مع القوافل التجارية المستمرة الحركة حيث أسسوا في جنوب **فلسطين** وبأعماقها مدناً تجارية مدهشة كعاصمتهم **البتراء** التي تمّ اكتشافها في بداية القرن الماضي والتي شادت مملكة واسعة امتدت مابين **النيل** و **الفرات** .

ويبدو أنه نظراً لتعامل **الرومان** تجارياً مع **الأنباط** طمع **الرومان** بالوصول معهم إلى منبع تلك السلع الثمينة والسيطرة عليها وعلى طرقها ومراكز تلك الطرق التي استفادت من تجارتها العالمية .

وهكذا حصل تعاون بين **الأنباط** و**الرومان** لتجهيز حملة عسكرية مشتركة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل بعهد **قيصر** روما الشهير **أوغسطس قيصر** وبقيادة نائبه في ديار **مصر**الوالي **يوليوس غاليوس** المذكورين .

وتفيد المصادر أن الحملة اتخذت الطريق التجارية المعتادة برّاً ، وإنما آزرتها بذلك قوات الأسطول البحري المشترك بين **الأنباط والرومان** ، ومن الواضح مما علمناه من **سترابون** الذي رافق الحملة أن **روما** تمكنت من احتلال مراكز الطريق التجارية ومنها **نجران** (٢٤ قبل الميلاد) ، لكنه بعد توغل الحملة في **المناطق اليمنية الداخلية** صادفت العديد من العقبات والمقاومة ، مما حملها برأينا أن تعلن من أن مرادها في الوصول إلى بلاد **سبأ** لم تكن الاحتلال وإخضاع البلاد بل لاعتبارات تجارية ، وبالتالي فإن غايتها سلمية بحتة ، الأمر الذي جعلها تصل إلى **مريابا (مأرب)** ، ثم العودة إلى **نجران** ، ومنها عاد من بقي سالماً إلى قواعده . وكان ضمن الحملة خمس مئة من **اليهود** المعروفون من أهل **سبأ** بأنهم أهل تجارة ، فاقتنعوا بادّعاء **الرومان** ومعهم **الأنباط** وهم **العرب** المتعاملين تاريخياً مع **معين وسبأ** من أن الحملة كانت تجارية سلمية ، ولولا ذلك لما تمكنت من الوصول إلى **مأرب** وعودة من تبقى سالماً . وهذا مايؤكده لنا **سترابون** الذي ترك لنا وصفاً للمصاعب التي لاقتها تلك الحملة الفاشلة ، وما شاهده مؤرخ الحملة في بلاد **سبأ** مما سبق ذكره في الفصل السابق .

كما يبدو من أن أهل **سبأ** اعتبروا الغاية من الحملة هو توسيع نفوذ **الأنباط** ، وليس احتلال البلاد وضمها للإمبراطورية **الرومانية** ، لعلمهم بأن دولة **الأنباط** المتعاونة تجارياً وتاريخياً مع **معين وسبأ** كانت في تلك الآونة حليفة لـ(**روما**) وليست خاضعة لحكمها ، وهذا يتفق مع الواقع التاريخي ، ذلك أن **البتراء** ظلت مستقلة عن **روما** إلى أن فتك بها **الإمبراطور الروماني تراجان** عام ١٠٥ بعد الميلاد ، أي بعد نحو قرن وربع من الحملة **الرومانية النبطية** على **مأرب** .

ومن المؤسف أن **سترابون** وصف لنا بلاد **سبأ** كما رآها ، ولكنه لم يصف لنا مراكز التجارة على خطها الطويل وازدهار تلك المراكز آنذاك (**كمدائن صالح) الحِجر وددان والعُلا وتيما** ، ولم يذكر لنا شيئاً عن **البتراء** ومدن **الأنباط** الأخرى ، كمدينة **ريما** التي اكتشفت آثارها أخيراً على مسافة ٢٥ كيلو متراً شمال **العقبة** ، والتي يذهب البعض ـ خطأ برأينا ـ لاعتبارها المدينة المدهشة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ﴿ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ [الفجر : ٨/٨٩] .

كما أن **سترابون** لم يذكر عن **غزة** وموقعها الاستراتيجي وغناها آنذاك المنقطع النظير ، وهي التي شكلت مع الموانئ **الفينيقية** الممتدة على الساحل ، ومنها **صور وصيدا** مركزاً للتجارة العالمية عبر **البحر المتوسط** كما هو معلوم ، وعدم ذكر تلك المدن من قبل **سترابون** راجع بنظرنا إلى عدم زيارته لها ، مما يؤكد استقلال **الأنباط** الكامل آنذاك بالنسبة **للرومان** .

سترابون وما نقله عن أطماع الإسكندر بالنسبة لسبأ

ومما ذكره لنا **سترابون** وهو ما وصل إليه من أن **الإسكندر الأكبر المقدوني ـ ذو القرنين ـ** استلم الجزية والهدايا من كل الشعوب التي جاورت فتوحاته ، وهي التي وصلت إلى **الهند وجزرها** ، وقد امتنع **السبئيون** عن إرسال الهدايا والسفراء إليه فتوعد باحتلال بلادهم وجعلها مقرّاً له كما رأينا في فصل آخر ، لكنه توفي قبل محاولته تحقيق مخططه (عام ٣٢٣ قبل الميلاد) إنما ترك وراءه في بلاد **الهند وجزرها** ومنها **سقطرة اليمنية** عدداً من **اليونانيين** ، تعامل أحفادهم مع **العرب** في المراحل اللاحقة ، وربما كان أحفاد جنود **الإسكندر** ممن ساعدوا **الرومان** للتعرف على أسرار الملاحة المعتمدة على الرياح الموسمية ، كما أصبح معلوماً بعد ذلك ، وهو مما سمح للرومان بعد **الإسكندر** بأربعة قرون للوصول بأساطيلهم التجارية إلى بلاد **الهند** ، والتعامل معها مباشرة عن غير طريق القوافل التي احتكرت السيطرة عليه بلاد سبأ من قبل ، ومنذ أن وصل الجمل إلى **الجزيرة العربية** ربما ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد . ومعلوم أن **الإسكندر الأكبر** توفي في بلاد **ما بين النهرين** وعمره آنذاك ٣٢ عاماً وعشرة أشهر ، وفقاً لأصدق المراجع **الإغريقية** التي سجلت فتوحات **الإسكندر** وحياته تفصيلاً مدهشاً .

العربية السعيدة

والأنباط والإغريق قبل عهد الإسكندر الأكبر (ذو القرنين) وبعده

في القرن الرابع قبل الميلاد عام ٣٣٦ ق . م تربع **الإسكندر الأكبر** على **مملكة مقدونيا** شمال **اليونان** وكان فتياً . وكانت **اليونان (بلاد الإغريق)** في عزّ مجدها العمراني والثقافي والعلمي المشهود له ، والذي يعتبر تراثاً عالمياً ليومنا هذا . وكانت **اليمن** آنذاك معروفة من قبل **الإغريق** ببلاد **العرب السعيدة** وأنها مصدراً ليس للبخور والعطور فحسب ، ولكن لجميع السلع الثمينة التي كان أبناء **اليمن** يحصلون عليها من **الهند** وجزرها ، ومن شرقي **إفريقيا** ، وهي عديدة وغالية الثمن كما سنرى .

وكان في تلك المرحلة من الزمن بلد عربي آخر في **شمال الجزيرة** يتمتع بسمعة ورخاء ومدنية عظيمة هو مملكة **الأنباط ، وهي التي عاصرت مملكة سبأ** في الجنوب (منذ القرن السادس ق . م) ، ومن المسجل عنهم لدى **الإغريق** أنهم كانوا أكثر أهل الأرض معرفة ، ثم خضعوا لحكم **الإسكندر المقدوني - ذو القرنين** - باستثناء عاصمتهم **البتراء** وما إليها ، التي فشل **الإسكندر** ومن خلفه بالاستيلاء عليها ، وقد أفادوا فيما كتبوه أن **الإسكندر** كان يبغي بعد انتصاره على **الفرس** وسواهم احتلال بلاد **الأنباط** أولاً في الشمال ، ثم بلاد **العرب السعيدة** في الجنوب ، ليجعل من هذه الأخيرة مقراً لملكه الذي ظن أنه سيشمل الأرض بكاملها ، لكنه تراجع عن احتلال عاصمتهم ولم يسعده قصر عمره لمحاولة احتلال بلاد **العرب السعيدة** ، مع أنه أرسل قطعاً من أسطوله الذي كان قد أوجده في **الخليج العربي الفارسي** لاحتلال جزيرة **سقطرة** عندما وافته المنية عام ٣٢٣ ق . م .

وهكذا فإن **الإسكندر** الذي توفي في سن مبكرة لم يسعفه الحظ في تحقيق أحد أحلامه الكبرى ، وهو الاستيلاء على **العربية السعيدة** ذات الصيت الذائع ، وكان قد فشل **الإسكندر** عند مروره غربي **الهلال الخصيب** في **جنوب سورية** من إخضاع **المملكة العربية** الأخرى الذائعة الصيت أيضاً ، وهي عاصمة بلاد **الأنباط** التي كانت محصنة طبيعياً بالجبال الصخرية ، ولا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة

ممرّ ضيق ، وكانت مملكة **الأنباط** معتمدة لازدهارها وحيويتها على صلاتها التجارية مع جنوب **الجزيرة** . وكان **الأنباط** وهم قوم **عرب** يتكلمون لغة العرب ويكتبون بلغة سامية هي **الآرامية** التي كانت منتشرة آنذاك في سائر أنحاء **الشمال العربي** ، ونعلم اليوم كما سنشرح لاحقاً بأن لغتهم أصبحت لغة قريش والقرآن الكريم ، وهي التي تساعدنا في أيامنا هذه على حسن التعبير وبلاغته ، والتي أصبحت أخيراً إحدى لغات **الأمم المتحدة** الرسمية الستة .

والسؤال هو ، من هم هؤلاء **العرب الأنباط** ، وهل هم من **عرب الشمال** ، أي **عرب جنوب فلسطين وشمال الحجاز** ، أم أنهم من **عرب جنوب الجزيرة** ، الذين كانوا منذ مئات السنين قبل **الإسكندر** وربما منذ أكثر من ألفي عام يأتون إلى **شمال الجزيرة** بطرقهم التجارية عبر الصحراء العربية ليصلوا إلى أحد مراكزهم الأخيرة وهي **البتراء** ، لتتحول السلع منها إلى **مصر وميناء غزة** ، وإلى **الموانئ الفينيقية** شمالاً وإلى **سورية** وشمالها شرقاً ؟

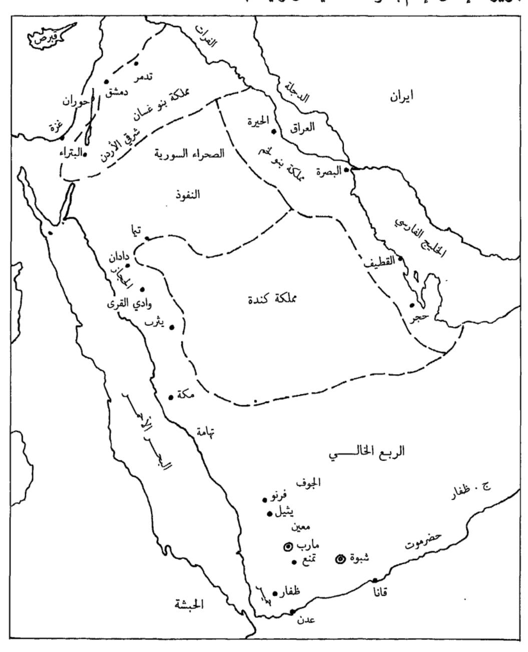
ونميل للاعتقاد بأن صلات أبناء الجنوب بالشمال لابدّ وأنها حصلت خلال القرون العديدة التي سبقت الميلاد ، وكان طول الأسفار وتعددها ، ولاعتبارات الأمن وتزاوج أبناء الجنوب مع أبناء مراكز تجارتهم وأهل **البادية** الذين يحمون طرقاتهم ، من العوامل التي جعلت أهل الشمال ، أي **الأنباط** ، مزيجاً من أعراب **الجزيرة** بكاملها ، ثم عرفوا **بالإسماعيليين** باعتبارهم ينتسبون إلى **إسماعيل بن إبراهيم** عليه السلام . وهم بالتالي أبناء عم **القحطانيين** الذين تأخروا في مساكنهم الأولى بعهد سابق سحيق في القدم .

وقد عرف قوم **الأنباط** من قِبل أقدم المؤرخين بأنهم عرب جاؤوا من **الحجاز** ليستقروا **بفلسطين** ، ومنها استولوا على ممالك **الأردن** الصغيرة التي كانت تتصارع في الماضي مع **العبريين** ، ثم أسسوا بين القرنين السادس قبل الميلاد وبداية الثاني بعد الميلاد مملكة عامرة ذات شأن عظيم في التجارة والزراعة والقتال ، وامتدت حدودها من **الحجر (مدائن صالح)** في **الحجاز** إلى **دمشق** ومنها إلى ضفاف **الفرات** .

وقد جاء في الإنجيل أن حاكم **دمشق** كان من **الأنباط** بعهد **عيسى المسيح** عليه السلام ، وكانت **دمشق** آنذاك تحت إمرة **الأنباط** وعاصمتهم **البتراء** ، وقد حاول **اليهود بدمشق** القبض على **بولس** الرسول بعد أن بدأ بحملة تبشيرية ، لكن مؤيديه ساعدوه على النجاة من فوق تحصينات المدينة ليلجأ إلى **البادية** ، ثم عاد إلى **دمشق في العربية الصخرية** ، وقد جاء بمؤلف العلامة **حتّي** (تاريخ العرب) حول تقسيم **شبه جزيرة العرب** كالتالي :

تقسيم جزيرة العرب عند الإغريق والرومان

« يقسم كتاب اليونان والرومان جزيرة العرب إلى ثلاثة أقسام : **العربية السعيدة** ، **والعربية الصخرية** (منطقة البتراء) ، **والعربية الصحراوية** ، أما **العربية الصحراوية** فمركزها سيناء ، **والصخرية** بلاد الأنباط وكانت عاصمتها البتراء ، واشتملت **العربية السعيدة** على بقية أنحاء الجزيرة ، إلا أن الإلمام بأحوالها الداخلية كان زهيداً جداً » .



الأنباط في الصحف الأولى ومراجعها

يعتبرون من العرب

وهذا ما يؤكده معجم الكتب المقدسة Dictionaire biblique الذي يقول أن **الأنباط** هم من أصل عربي استعملوا الكتابة ، وقد عرفوا بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد ، ثم احتلوا بلاد **الآدوميين والمعابيين (شرقي الأردن حالياً)** ، واستولوا على مدن تلك البلاد العامرة والمحصنة ، ثم وصل **الأنباط** إلى عزّ مجدهم في القرنين قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد ، ودام حكمهم مدة سبعة قرون مابين السادس قبل الميلاد إلى نهاية الأول بعد الميلاد كما ذكرنا . وهكذا فإن امتداد ملك **الأنباط العرب** من **الحِجر** (مدائن صالح فيا بعد) **بالحجاز** لتشمل **دمشق** شمالاً ومنها **حوران وسهل البقاع** ثم وصولها إلى **الفرات** جعلها أكبر دولة عربية صرفة عرفها التاريخ **بشمال الجزيرة** قبل الإسلام . ذلك أن إمبراطورية **تدمر** شملت شعوباً أخرى غير عربية ، ولم يطل عمرها إلا عدد قليل من السنوات ، وكانت عاصمة الأنباط البتراء منيعة عجز **الإسكندر** نفسه كما رأينا عن احتلالها ، كما فشل وريثوه من بعده عن الوصول إليها . وقد عرفتها الكتب العبرية تحت اسم **سلع** ويذكر التوراة بأن **سلع** كانت قصورها ومعابدها محفورة بالصخر الأحمر ، كما تفيد المراجع أن كلمة **سلع** معناها **الحرة** بالعبرية ، وكلمة البتراء تفيد المعنى نفسه **باليونانية** ، وتؤكد جميع المراجع التي تكلمت عن هذه المملكة الزاهرة بأنها تمتعت بمدنية منقطعة النظير في جميع العلوم والفنون ، وأهمها الفن المعماري والزخرفة ، وأيضاً الزراعة التي عرف **الأنباط** الكثير عن أسرارها، ومنها الاحتفاظ بالمياه لري أراضيها التي تبدو الآن شبه قاحلة في **حوران وشرقي الأردن** ، وقد وصل إلينا في العصر الحديث مخطوطة بالعربية العامية آنذاك عنوانها الزراعة النبطية ، ولغة هذه المخطوطة التي اطّلعنا عليها مفهومة لمن يتكلم العربية . وقد ذهل **الرومان** لما شاهدوه من مدنية عند اتصالهم بهذه المملكة واطّلاعهم على إتقان أبنائها استعمال الري بوسائل فنية مدهشة لم يكونوا على علم بها ، وكان **انتيوجوس** أحد خلفاء **الإسكندر** المذكورين قد حاول أكثر من مرة احتلالها ، وعاد خائباً مقهوراً بعد أن ارتد عن مخططه لاحتلال **الصخرة** أي **البتراء** كما سمّاها **الرومان** .

الطرق التجارية العالمية التي ادت الى ازدهار بعض الممالك والامارات والمدن

الوساطة بالنقل والتعامل ـ تعدد السلع

وصلت أسماء وأخبار ونقوش عن ممالك متوسطة المساحة ، لكنها عظيمة الشأن والأهمية لمساهمتها المسجلة في الحضارة والعمران والإدارة ونوع الحكم ، وذلك لتعرفها على مصادر السلع وتنميتها وحمايتها ، ثم السيطرة على طرقها بحراً وبرّاً من أجل تأمين التجارة ومواصلاتها ، ونعني هنا دولاً أو دويلات أو مراكز تجارية أو مدن مستقلة زاهرة كانت منفصلة أو انفصلت عن الممالك الثلاثة ، التي اشتهرت ودامت أكثر من سواها ، وهي التي ركزنا على ذكرها : **معين** ، **وسبأ** ، **وحمير** ، ويبدو أن الدولتين **معين وسبأ** تزامنتا إلى حدٍّ ما في فرض عنفوانها على جنوب **الجزيرة** وأواسطها بفضل التجارة التي دامت ما يقرب من ألفي عام . أما **حمير** فقد سيطرت بواسطة السلطة التي لا تدوم طويلاً بسبب الاقتتال عليها ومحاولة الحكام الاستئثار بها .

وقد علمنا أنه ازدهرت في الجنوب دولاً عديدة أهمها : **حضرموت** ، **وأوسان** ، **وقتبان** ، **وسمعى** ، **وأربع** ، ثم **كندة** ، لكن هذه الدول والإمارات لم تتمتع على ما يبدو طويلاً باستقلالها .

كما ازدهرت مدن في شمال **الجزيرة بالحجاز** ، تحولت إلى ممالك ذات شأن كمملكة **تيماء** ، وهي الواحة الرئيسية على طريق التجارة العالمية الغربي والأوسط ، وأيضاً مملكة **الدادان** على الطريق نفسه في داخل **الحجاز** . وأما **الهرم ونشان** فقد جاء ذكرهما كممالك تمتعت ببعض الشأن ، وهي التي ازدهرت **بوادي الجوف** ، ومنها **قرنو** وهي **خربة معين** ، وقد جاء ذكرها سابقاً وهي التي يُعتقد بأنها كانت عاصمة الدولة العريقة التي حملت هذا الاسم . ثم عُرفت هذه المدينة باسم **نشق** . وقد تحقق المختصون بأنها أصبحت في أيامنا معروفة باسم **البيضاء** . أما **نشان** فعرفت وتعرف باسم **السودة** ، وكذلك **براقش** التي ربما كانت معروفة باسم **يثل** ، وهناك **كمنة** ، **ورشوان** ، **ووهران** ، **ويفل وناعط** وكلها جاء ذكرها بالنقوش بمناسبة أو أخرى ، وتحتاج إلى بحث وتنقيب وتحقيق للتعرف هل

كانت مدناً استقلت وتحصنت في قلاعها وقصورها ، أم أنها قامت بمهمة الوساطة والنقل فازدهرت ثم ضعفت أو اندثرت لأسباب لها صلة بالتجارة ومواصلاتها ، أم نتيجة لفتن وحروب وهو ما عودنا عليه العالم في شرقه وغربه وجميع مراحله .

وهناك أسماء لمدن تاريخية اندثرت مع علمنا الأكيد أنها كانت عواصمَ لدول تمتعت بمكانة سامية **كظفار** عاصمة **الحميريين** وسواها ، وهناك مدن تاريخية تغلبت على الزمن ، إما بسبب موقعها أو لظروف سياسية واقتصادية وغيرها . ومن بين هذه المدن والأسماء **مأرب** ، **وشبام (كوكبان)** أو **شبام حضرموت** أو **شبام سخيم (الغراس)** ، **وشبوه** ، **وأزال** وهي اليوم **صنعاء** ، **وتمنع** وهي اليوم **حجر كحلان** ، **وصرواح** ، ولو أنها تحولت إلى آثار ظاهرة ، **وموزا** وهي اليوم **المخا** ، وبلدة **غيمان** ذات العلاقة **بالتبّع (أبو كرب أسعد كامل)** . كما أن الوادي المجاور لها يسمى بوادي **أسعد** . وأما **ظفار** عاصمة **حمير** المذكورة أعلاه ، فكان أول من اكتشف موقعها عضو البعثة الدانمركية **نيوبور** . وكان قد جاء ذكرها بعدة مراجع موثوقة ، وتقع في المنطقة الوسطى بالقرب من مدينة **يريم** حالياً . ثم اندثرت هذه العاصمة ، ولم يبق منها غير تلة تدل على موقعها ، ولا شك أن هذه التلة تخفي آثاراً أو بقايا آثار عاصمة **حمير** العريقة .

ومن المراكز التجارية باتجاه الشمال التي تصل بين بلاد **حضرموت** وجوف **اليمن** وحتى **البتراء** ثم **غزة** على **البحر الأبيض المتوسط** ، فهناك عدة مدن معروفة ، ولها مكانتها الهامة حيث أنها شكلت مراكزَ رئيسية لتجارة **معين وسبأ** ، ويبدو أنها كانت تستقل عن مصدر نموها الأول ، ولكنها لا تستغني عنه ولا تنقطع صلتها به . وأعظم هذه المدن شأناً كانت إحدى مراكز التجارة العالمية التي تمر **بالحجاز** وهي **مكة المكرمة (مكروياه)** ، وكذلك **تيماء** . وأما **نجران (نجرانا)** ، **ودادان** ، **وخيبر** في أعالي الحجاز ، فقد لعبت دوراً هاماً كمراكز لتموين قوافل الطرق العالمية عبر الصحراء ، وهي التي أشارت إليها المراجع الأجنبية العديدة تحت اسم **طريق القوافل والتوابل والبخور والعطور** ، ثم كان اختصار اسمها ليصبح **طريق التوابل** Route des epices ، وذلك بعد أن ضعفت أهمية **اللّبان** بعد زوال الفراعنة وتحنيط الموتى ، وزادت أهمية الحصول على التوابل بالنسبة للغربيين .

وأما في بلاد الشمال فكانت **طريق اللّبان** ثم **طريق الطيوب والتوابل** تصل عن طريق **خيبر وتبوك** إلى **البتراء** ثم **غزة** ، وكذلك كانت تتجه من هناك إلى الشمال والشرق ، لتصل إلى بلاد **الفرس** عن طريق **جرش (جراسا)** ، أو عن طريق **بيت المقدس (القدس الشريف أورشليم** بلسان **العبريين** أى مدينة **السلام)** ، ثم تمرّ **بحوران** ومدنه المندثرة حالياً ، وأهمها **بُصرى** أو **بسترا** وهي وما الشهير الذي سنأتي على ذكره ، ثم **جلق ودمشق** ، ومنها إلى واحة شمالها إلى مدن العاصي ، ثم **الفرات ودجلة** ، وإلى سائر **بلاد الرافدين** ،

حيث ازدهرت مملكة العرب وهي **الحضر** التي عرفها المستشرقون تحت اسم **الحتر** أو **عربايا** . وجدير بالذكر أن هذه المدن أصبح بعضها ممالك ، نظراً لما درّته التجارة العالمية عليها من خير وازدهار ، وهنا نرى العلاقة الوثيقة التي شكلت بوقت أو بآخر شبكة المواصلات العالمية ، التي ربطت في الماضي البعيد وحتى العهد الروماني جميع البلدان الممتدة من **المحيط الهندي** البعيد وموانئه التاريخية ، ومنها **الشحر** ، **وقانا** ، **وعدن** إلى شمال **الهلال الخصيب ومصر** . **وبين مصر وبلاد الرافدين** وما بعدها باتجاه **الصين** . ومن تعرفنا على هذه الشبكة من المواصلات البرية ، يمكننا أن نقدّر أهمية الدور الذي لعبته اليمن التاريخية بالانتفاع من سيطرتها على تلك الطرقات ، حيث إن موقع **اليمن** الجغرافي على **المحيط الهندي** أهّلها أيضاً لتكون لها طرق مواصلات بحرية تسير مع السواحل في **الاتجاهين** : الجنوب الغربي لتحصل على الموارد الإفريقية . والاتجاه نحو الجنوب الشرقي لتحصيل موارد **الهند وسرنديب (سيلان)** وسائر **الجزر الآسيوية** . ولولا السلع التي كانت تحصل عليها **اليمن من تلك البلاد الغنية والشاسعة** ، **وما تنتجه اليمن** من اللّبان والمرّ والذهب ، لما ازدهرت تلك الشبكة العالمية من المواصلات ، ولما سطع نجمها بفضل سفنها التي تجوب البحار ، وخاصة بفضل استخدام البعير ، سفينة الصحراء ، الذي يبدو أنه وصل إلى العالم العربي حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد .

ونورد تحت العنوان التالي بعض التفاصيل عن مراكز طرق القوافل التي سبق ذكرها .

مكانة مكة المكرمة قبل الإسلام واسم يمنات

كانت **مكروياه** أي **مكة المكرمة** مقدسة كما هو معلوم منذ قبل الرسالة السماوية . وقد أخبرنا **أبو الحسن المسعودي** بمؤلفه القيّم **(مروج الذهب)** أن **العرب** في الجاهلية كانوا يعتبرون **بيت الله الحرام** معبداً مكرساً للشمس والقمر والكواكب الخمسة . كما يخبرنا **عبد الوليد الأزرقي** وهو ممن عاصروا سيّد المرسلين **محمد** ﷺ وآمنوا برسالته السماوية السمحاء ، أنه كانت توجد في الكعبة المكرمة بين الهدايا التي كان أهل الجاهلية يقدمونها تقرباً من آلهتهم الوثنية شموس وأقمار مصنوعة من الذهب . كما تذكر دار **المعارف الإسلامية** بأنه كان من المتداول على ألسنة الناس في الجاهلية أن ملك **اليمن** التُّبَّع **أبو كرب أسعد الحميري** كان أول من غطّى الكعبة المكرمة بالكسوة .

ولا غرابة إذن أن يعتبر أهل **الحجاز** ومنهم أهل **مكّة المكرمة** المناطق الجبلية التي ترويها الأمطار وتسيل في وديانها الأنهر هي بلاد **الميمنة** الواقعة على يمين الكعبة المقدسة ، وهي بالتالي التي سماها أهل **حمير** أيضاً وهم يؤمنون بقدسية **مكروياه** بلاد يمان أي بلاد الخير . **واليمن واليمين** بالنسبة لموقع **بيت الله** الدائم الحرام . فلما أخضع **ملك سبأ ذو ريدان وحضرموت** الحميري **مناطق عسير**

والأهنوم وما هو جنوبها إلى حدود **ذي ريدان** أضاف بلاد **يمنات** إلى ألقابه . ولما كنا نعلم أين تقع **ذي ريدان** وعاصمتها **ظفار** بالقرب من **يريم** ، ونعلم موقع **حضرموت** ، أصبحنا نقدّر أن **يمنات** هي المناطق الواقعة جنوب **الحجاز** وشمال **ذي ريدان** . كما نميل للاعتقاد أن حدود بلاد **يمنات** كانت تشكل أحد الوديان الرئيسية التي تفصل بلاد **ذي ريدان** ، أي جنوب **جبال السراة** مع بلاد **يمنات** الواقعة على يمين **الحجاز** . وربما كان وادي **مور** أو وادي **سُردد** يشكل أحدهما الحد الفاصل بين **ذي ريدان** **ويمنات** وهو ماتشتمل على إمارتي **سمعي وأربع** .ثم عمَّم **أهل الحجاز** اسم **يَمَنْ** على كامل المناطق الأخرى ، لتشكل بمجموعها في عهد سيد المرسلين **محمد** ﷺ بلاد **اليمن** ، كما تؤكد ذلك الأحاديث الشريفة .

نجران ـ بلد الآبار السبعة

وقبل أن ننتقل إلى عنوان آخر ، نعود إلى ماتوصل إليه حديثاً علماء الآثار ، الذين اعتبروا **نجرانا** القديمة من أهم المدن الحضارية لوقوعها على طريق تجارة التوابل العالمية . وقد عثر مكتشفو الآثار على بقايا سور وموقع الأخدود ، وكذلك آثار القصور القديمة التي احتوت على لوحات فنية من الرسوم ونقوش **معينية وسبئية** .

ومعلوم أن الملك السبئي **كرب آل وتار** وهو من أهل القرن السابع قبل الميلاد قد غزا **نجران** في فتوحاته الواسعة النطاق ، كما سماها **سترابون** المؤرخ الروماني بلد **الآبار السبعة** .

كما كانت **نجران** أول مدينة تمكن **يوليوس جاليوس** القائد الروماني عام ٢٤ ق.م من احتلالها ، ثم عاد إليها بعد عودته من **مأرب** خائباً .

ومن الثابت من عدة مراجع ؛ أن **ذو نواس** الملك الحميري قد غزاها في القرن السادس (٥١٧ ـ ٥٢٥) وهو ماتشير إليه حادثة الأخدود في القرآن الكريم . وكانت **نجران** قبيل ظهور الدين الحنيف أبرشية للنصارى ، وكان من أشهر أساقفتهم **قس بن ساعدة الإيادي** الذي اعتبر أبلغ خطباء العرب قبيل الإسلام .

تيماء ومكانتها عند الكلدانيين

من الواضح أن الطريق الرئيسية كانت تأتي من بلاد **اليمان** ، ثم تصل إلى **بيشا ووادي الذهب** ، وعند وصولها إلى **الحجاز** تمرُّ أولاً **بمكة المكرمة** ، ومنها تتجه شمالاً بواسطة طريقين رئيسيين تصلان إلى **تيماء** عبر مرتفعات **الحجاز** . أما بداية طريق التوابل فكان يأتي عن طريق **جوف اليمن** من بلاد **حضرموت** ، حيث تكثر أدغال شجر اللّبان والمرّ ، وتتجمع في موانئها السلع التي كان تحصيلها من

البلدان المشاطئة **للمحيط الهندي** وهي عديدة . وعند وصول الطريقين إلى مركز **تيماء** التجاري **بالحجاز** ، يتفرع أحدهما باتجاه مراكز الشمال ، ومنها إلى **البحر المتوسط ومصر** عن طريق **البتراء وغزة** ، والآخر يتجه شرقاً إلى **بلاد الرافدين** . أما الطريق الشمالي الغربي الحجازي فيمر بعد **يثرب** بـ **دادان (العُلا)** ، ثم **الحِجر (مدائن صالح)** ، متجهاً إلى **تبوك** ، حيث يلتقي بالطريق التي أتت من الداخل بعد مرورها بـ **تيماء** .

وتحتوي واحة **تيماء** على صهاريج المياه التي أتقن أهل الجنوب تصميها وبناءها ، كما تحيط بهذه الواحة أراضٍ زراعية كانت مزدهرة في عهد **البكري** ، الذي ذكر أن « إنتاجها يتكون من نخيل البلح وكروم العنب وأشجار البرقوق ، وتُمارس فيها الفلاحة حيثما أخصبت الأرض بواسطة الآبار السطحية » . ونعلم أن **تيماء** تتمتع بمناخ معتدل نسبياً ، نظراً لارتفاعها عن سطح البحر بما يقرب ألف متر .

وقد عثر في **تيماء** على نقوش بالكتابة الآرامية النبطية ، تنبئ عن عظَمة المكانة التي تمتعت بها هذه الواحة العربية ذات المناخ الجيد ، لمدى ارتفاعها عن سطح البحر . كما أفادتنا المراجع الموثوقة أن **نبونيد** وهو آخر ملوك **الكلدانيين** (٥٥٦ ـ ٥٣٩ ق.م) . اتخذ من **تيماء** مقراً إقليمياً له حيث ابتنى له قصراً باهراً كالقصر الذي كان له في **بابل** ، وأما أهم نقش عثر عليه في **تيماء** فهو الذي اكتشف عام ١٨٨٣ وأصبح من ممتلكات متحف اللوفر في **باريس** .

ونميل لتفسير سبب إقامة **نبونيد** في **تيماء** بعيداً عن **بلاد الرافدين** الواسعة والغنية ، هو طلبه للصحة التي يصعب توفرها مع رطوبة سهول **دجلة والفرات** ، إلى جانب غناها الأسطوري ، حيث تكثر فيها المستنقعات بعد فترة الفيضانات الخيّرة للزراعة والمضرة للصحة ، وربما كان وباء الملاريا كان آنذاك منتشراً في بابل نفسها .

وأما الذي يؤكد لنا في الوقت الحاضر جودة مناخ واحة **تيماء** وصفاء جوها هو اعتماد رؤية الهلال في **المملكة العربية السعودية** من قبل سكان منطقة **تيماء** قبل سواهم .

خصائص حضارة اليمن

الملاحة ، وبناء السفن ، واستعمال الشراع ، وتنظيم تجارة السلع النادرة ،
وفن البناء ، إلى جانب تقنية حفظ المياه ، والري ، وبناء السدود ،
وهي التي شكلت بمجموعها خصائص حضارة اليمن

وأهمها الكتابة والعناية بنسقها

الملاحة

لا بدّ وأن يكون أهل الجنوب قد عرفوا المحيط الذي أطلوا عليه ، وحددوا بحاره ، وأعطوها أسماءها القديمة التي أصبحت اليوم تعرف **ببحر العرب** ، كما تعرفوا على موانئه ، بل بنوا بعضها وتمكنوا من السيطرة على الاستفادة من رياحه الموسمية العاتية (السموم) ، فاحتكروا تجارته لمدة ربما زادت على ألفي عام قبل الميلاد ، ولكنها انتعشت كثيراً بعد استخدام الجمل وفتح طرق القوافل (١٢٠٠ ق.م) حيث شمل هذا الاحتكار ، البر والبحر معاً ، إلى أن وصل **الرومان** إلى **المحيط** في القرن الأول بعد الميلاد ، وتعرفوا على أسرار الملاحة فيه ، وهي تنحصر بالتعرف على مواعيد الرياح الموسمية واتجاهاتها . وقد تم لهم ذلك نهائياً في بداية القرن الثاني للميلاد ، بعد أن احتلوا بلاد **الأنباط** وعاصمتهم **البتراء** (١٠٥ م) ، وأخذوا مكانتهم في التجول **بالبحر الأرتيري** ، وهو الذي كان يشمل **البحر الأحمر** ويمتد إلى جنوب **إفريقيا** مروراً **بمضيق مدغشقر** حالياً .

وقد ذكر لنا عالم الجغرافيا **كوبر** في مؤلفه (جغرافية النقل البحري) أن سكان سواحل جنوب **جزيرة العرب** أدركوا منذ القدم أهمية خيرات البحر والبلدان الواقعة وراءه ، فاهتموا ، عن تصميم وعناد ، لاختراق أسراره والتعرف على مجاهله ، فتأقلموا مع أمواجه واستغلوا معرفتهم لرياحه ومواسمها ، الأمر الذي مكنهم من السيطرة على طرق البحار الجنوبية **والمحيط الهندي** منذ أقدم العصور . وقد برز منهم سادة في الملاحة ، ونوابغ في علم البحار والفلك ، وتحديد نوع الأنواء واتجاه تدون ليلاً بالنجوم وحركاتها ، وفي النهار بمعالم البر وإشاراته ، وبلون شعابه .

أهل الجنوب من أبصر الناس بالبحر

وننقل عن **المقدسي** وصفه بحّارة أهل الجنوب العربي قائلاً : « ورأيتهم من أبصر الناس بالبحر وبمراسيه ورياحه وجزائره » .

كما أن تطوير السفن وإتقان استعمال الشراع من الأمور التي تنتج بطبيعة الأمر عن الأسفار البعيدة في **المحيط** وفي **البحر الأحمر** الكثير الأنواء الدقيق المسالك كما سنبحث ذلك تحت عنوان جديد .

صناعة بناء السفن ولوازمها

علمنا من **سترابون** وسائر كتّاب **الإغريق والرومان** أن أهل **سبأ** كان عندهم أحدث الأدوات المصوغة من الذهب والفضة ، كما نعلم من شتى المصادر أن السيف **اليماني** هو أفضل ما كان يمكن صناعته ، والجنبية اليمانية التي تزين رجولة كل يمني لأكبر دليل على اهتمام اليمني وعلمه بهذا النوع من صناعة المعادن الحادّة ، لكن أحداً لم يذكر لنا شيئاً عن صناعة بناء السفن وما تحتاج إليه هذه الصناعة من تجهيزات ولوازم ، مع أنه اتفقت المراجع على اعتبار جنوب **جزيرة العرب** الوسيط الأوحد لنقل السلع من بلاد **المحيط الهندي** والتعرف على الرياح الموسمية وحسن استغلالها قبل أن يكتشف **الرومان** أسرارها . أما **الفراعنة** الذين وصلوا إلى بلاد **البونت** فقد استعملوا حكماً السفن التي كانت صالحة للإبحار في **النيل** ومنه إلى **البحر الأحمر** ، وهي بالتالي من نوع وحجم وتصميم مختلف جداً عن السفن التي كان عليها أن تواجه عواصف المحيط وأنوائه العاتية ومسافاته الشاسعة .

ونميل للاعتقاد أن **الفراعنة** ضحّوا بالعديد من سفنهم في مغامراتهم للوصول إلى بلاد **البونت** بواسطة مراكبهم المصممة حُكماً للإبحار في نهر **كالنيل** لا تبتعد شواطئه عن المركب أكثر من عشرات الأمتار ، وهي بالتالي لا تهاب العواصف الهوجاء التي تعصف في **البحر الأحمر والمحيط** بشكل شبه دائم .

وهنا وجب علينا أن نفكر في وسيلة التنقل بين موانئ الجنوب العامرة **كعدن وقانا وصلالة والمكلا والشحر** وغيرها ، وكذلك **المخا (موزا)** على **البحر الأحمر** وبين موانئ **إفريقيا** الشرقية وحتى جنوبها ، وكذلك موانئ **الهند وسيلان (سرنديب)** وحتى بلاد **أندونيسيا والصين** .

ومن البديهي أن هذه الوسيلة تنحصر في استعمال نوع من السفن مختلف تماماً كما شرحنا عن سفن **الفراعنة** قبل عهد **مصر اليوناني** ، وكان عليها أن تكون في منتهى المتانة لتحمل مصارعتها للعواصف

وبأحجام تتناسب مع مهمتها وصراعها للعوامل الطبيعية ، وبتأمين معيشة ملاحيها مدة غير قصيرة من الزمن .

والعناية ببناء سفن من هذا النوع ليس بالأمر اليسير ، فهو صناعة وفن ، وتحتاج إلى علم وخبرة ودراية ، ذلك أن أي خطأ في التصميم أو البناء يؤدي حتماً إلى الغرق والهلاك وخسارة الجهد والمال والرجال نهائياً .

وهكذا كان على أبناء **أوسان** و**قتبان** و**حضرموت** وهم **اليمنيون** المشاطئون أكثر من سواهم ، أن يقوموا أولاً بحسن اختيار الموقع المناسب لبناء المرفأ وأحواض ورشات العمل لبناء السفن ، ثم معرفة أصناف الخشب وتحصيلها من مصادرها ، وكذلك تحضيرها ربما بالتجفيف وبكسوتها بالمواد الراتنجية وغير ذلك ، وأيضاً تأمين لوازم مثل تلك السفن من أشرعة وحبال متينة وصواري متناسبة ونحوه مما نجهله ، ولكنه ضروري لمثل تلك الصناعة الهامة والمعقدة ، كما نعتقد أنه كان لابد من وضع رسوم تفصيلية قبل الإقدام على البناء ، وهو مانسميه حالياً علم هندسة بناء السفن وصناعة تصاميمها .

ومع شديد الأسف فإنه لم يصلنا أي مرجع أو نقش يحتوي على رسم أو وصف لسفن بلاد **سبأ** بخلاف ماعرفناه عن بلاد **الفراعنة** الذين تركوا لنا رسوماً لسفنهم ، كما حصل اكتشاف سفينة مطمورة إلى جانب الهرم الأكبر . ولا نعتقد أن سفن أهل **سبأ** وما تبعها من دول جنوبية كانت كما أشرنا إليه مماثلة تماماً للسفن الفرعونية ، ذلك أن متطلبات الإبحار في **المحيط** من أقصاه إلى أقصاه غير متطلبات الإبحار في نهر **النيل** كما ذكرنا ، والبلاد المشاطئة لبلاد **مصر الفرعونية** وهي ليست معرضة للرياح الموسمية والرحلات الطويلة ، باستثناء ماجاء ذكره بالنسبة للسفن الفرعونية التي انتقلت من **النيل** عبر القناة التي شقها **الفراعنة** للوصول إلى **البحر الأحمر** ، ومنه إلى **الصومال** و**اليمن** ، وهي التي عرفت باسم بلاد **البونت** ، (وهي القناة التي أعاد **العرب** شقها مرتين ، وسميت أولاً بخليج أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** ، ثم عرفت هذه القناة تحت اسم **الخليج الحاكمي** نسبة للخليفة **الفاطمي** (١٠٢١ م) وفقاً لما شرحنا تحت عنوان منفصل .

أما بعد وصول **الإغريق** وبعهد **البطالسة** ثم **الرومان** فقد أصبح **لمصر** آنذاك عدد من الأساطيل العملاقة التي بناها **الفينيقيون** أولاً ثم **الإغريق** و**الرومان** .

إذن كانت هناك على شواطئ **المحيط الهندي** أحواض لبناء السفن المتينة الصنع الضخمة ، وأرصفة وعلم وفن متعلق بهذه الصناعة وتوابعها ، ومنها حياكة الأنسجة للأشرعة التي لاتتمكن رياح **المحيط الهندي** العاتية من تمزيقها واختيار تلك الأنسجة ونوع حياكتها ، وهو تقنية قائمة بحد ذاتها والعمل على تطويرها لا يزال مستمراً حتى أيامنا هذه .

علم الفلك والجغرافيا المرتبطين بالملاحة

وليست صناعة السفن ولوازمها وأحواض بنائها وموانئها بكافية لتأمين الملاحة في عرض البحار بالماضي عندما كانت معرفة الاتجاهات بواسطة النجوم ورصدها بدقة شرطاً أساسياً قبل اكتشاف البوصلة (الإسطرلاب الذي يعود للقرن الثاني بعد الميلاد ٧٧ م) تشكل عنصراً لا غنى عنه لخوض البحار الشاسعة ، والوصول إلى الجزر البعيدة والعودة إلى القواعد ، ومن هنا كان لا مفر لمحترفي الملاحة العالمية من تملّك علم الفلك والجغرافيا للتعرف على الطرق البحرية والبلدان والجزر التي كانوا يتعاملون معها ، وهذا ما كانت مدنية **وادي النيل** بغنى عنه .

وكان من التقاليد إلى عهد قريب الاحتفاظ بالخرائط والمعلومات الثمينة المتعلقة بالملاحة وجغرافية الشواطئ والبحار لاعتبارها من ممتلكات صاحب السفينة ، وكان ربّان السفينة وحده مسؤول عنها ، وعليه أن يحافظ عليها محافظته على حياته ، فهي تعتبر سرّية ويحتفظ بها في صندوق متين مقفل ، وكان القراصنة أول ما يهتمون بالحصول عليه عند تمكنهم من اقتحام إحدى السفن العملاقة التي تخوض البحار عبر المحيطات هو الاستيلاء على صندوق الخرائط والمعلومات . وهكذا فإن أكثر المعلومات الجغرافية النادرة آنذاك والثمينة للغاية التي استحصل عليها أهل الجنوب تضعضعت عندما ضعفت الأساطيل الخاصة بأهل الجنوب بعد وصول أساطيل **روما** التجارية ، وهي دائماً حربية ، إلى **المحيط الهندي** في القرن الأول للميلاد بفضل تعرفها على أسرار الرياح الموسمية . وكان **الرومان** قد قضوا على **الأنباط** وعاصمتهم **البتراء** عام (١٠٥ م) كما سبق وذكرنا ، وأخذوا منهم ومن أبناء الجنوب أسرار الملاحة في المحيط والاستيلاء على طريق التوابل بحراً وبراً . ولكنه من حسن الحظ أن قامت **الدولة العربية الإسلامية** ودحرت الروم بعد ذلك بخمسة قرون ، فاستعادت **اليمن** وجنوب **الجزيرة** الشيء الكثير مما كانت قد خسرته بعد زوال البتراء وعهد **الأنباط العرب** شركاء **سبأ** ، حيث ظلت الذاكرة الشعبية وممارسة الملاحة مستمرة ولو تقهقرت وبقي الكثير من أسرارها محفوظاً ، الأمر الذي ساعد أهل **جنوب الجزيرة** في العهد الإسلامي من استعادة سيطرتهم على طرق الملاحة العالمية في جنوب الكرة الأرضية ونشر الدين الحنيف كما سنرى في مكان آخر . كما نعتبر أن تقنية صناعة السفن من قبل أهل الجنوب ومعرفتهم لأسرار الملاحة شكّل ولا شك دعماً كبيراً للتوسع الإسلامي في بداية الفتوحات ، والتصدي بنجاح لأساطيل الروم ، ذلك أن أهل البادية من **العرب** كانوا يجهلون كل شيء عن الملاحة ، والعكس بالنسبة لورثة **سبأ** و**حمير** وخاصة من أهل **الساحل الحضرمي** وبلاد **قتبان** و**أوسان** في الجنوب والجنوب الشرقي وأهل **عُمان** في شرق جنوب **جزيرة العرب** حيث كانت صناعة السفن وممارسة الملاحة من النشاطات الحيوية لهم .

وسنرى عند الحديث عن **العرب** في **صقلية** أنهم وصلوا إليها في المرحلة الأولى عام ٦٥٢ ميلادي ،

وهي السنة التي دحر فيها **المسلمون** الأسطول **البيزنطي** . كما نعلم أن **عمرو بن العاص** قد أعاد شق القناة الفرعونية التي تصل بين **النيل** و**البحر الأحمر** . ويفيدنا **اليعقوبي** أنه قبل وفاة الخليفة **عمر** (٦٤٤) كانت عشرون سفينة قد اجتازت هذه القناة التي سُمّيت **خليج أمير المؤمنين** .

أهل الجنوب قادة أساطيل المسلمين حُكْماً في عهد الفتوحات الأولى

استنتجنا من الواقع المذكور بأن **العرب** تمكنوا منذ بداية الفتوحات من تنظيم أسطول تفوّق على أسطول **الروم** وهزمه ، كما احتل **العرب** **جزيرة قبرص** عام ٦٤٩ ، وفي عام ٦٥٥ قهر أسطول الإسلام الحديث العهد أسطول **الروم** المؤلف من ٥٠٠ سفينة أمام **فيليكس** .

فكيف يمكن تفسير احتواء **العرب** لمعرفة قيادة الأساطيل وبنائها وحسن استعمالها وشق القناة لو لم يكن من **العرب** أنفسهم قادة وربابنة وملاحون استطاعوا السيطرة على ما كان لدى الأقوام التي حكموها أثناء الفتح من سفن . ولمّا كان أهل الجنوب هم الملاّحون وأهل الخبرة بالأساطيل وقيادتها من بين **العرب** الفاتحين ، فمن المرجح أن يكون وجودهم على مستوى رفيع في الأسطول العربي هو العنصر الأساسي الذي سمح **للعرب** منذ بداية الفتوحات بالسيطرة على بحر **الروم** وتحقيق الانتصارات البحرية ، من قبل جيل تلك الفتوحات ، الذين هم من غير أهل البعير المعتزين بجمالهم وبطولاتهم في القتال ، لكنهم محترسين بالنسبة للبحار وعواصفها ووسائل الانتقال والحرب فيها ، بعكس أهل الجنوب المتصارعين مع البحار منذ أقدم العصور . ونظراً لأهمية هذا الموضوع خصصنا له عنواناً منفصلاً بهذا الكتاب .

اليمن صلة وصل عالمية

توسطت **اليمن** بلاد الحضارات القديمة بين **آشور ومصر وفينيقيا واليونان** من جهة ، وبين **الهند وجزرها وإفريقيا الشرقية** . فكانت لها موانئ بحرية وموانئ على الصحراء . أما موانئ **المحيط الهندي** فعديدة على **الساحل الحضرمي** وفي **عدن ومسقط** في الجنوب ، وكان على **البحر الأحمر** ميناء **موزا - المخا** اليوم - مركزاً للتجارة مع **إفريقيا** .

وأما الموانئ اليمنية على **المحيط الهندي** فكانت موزعة على كامل الساحل بين مضيق **ميون (باب المندب) وهرمز** على النحو الآتي : **عدن** ثم **قانا** وهي التي اندثرت كما رأينا ، وكان موقعها وهي على مصب **وادي الحَجَر** ، ثم **المكلا** ثم **الشحر** ثم **صيوت** على مصب **وادي مسيلة** الذي يمر بمدن **تريم وسيئون وشبام** .

كما كان لليمانيين مراكزاً لبناء السفن الكبيرة التي تجوب **المحيط الهندي** ، وكانت لهم معرفة بالرياح الموسمية التي تساعدهم على السير في اتجاهين متعارضين وفقاً للمواسم (رحلة الشتاء ورحلة الصيف) ، والرحلتان تنطبقان على البحر والبر لارتباط رحلة البر برحلة البحر المقيدة بموسم الرياح ، ومن البديهي أن أبناء **جنوب الجزيرة** كانوا متعاونين في ذلك مع **الهند** ، وربما مع **الصين** بالاشتراك مع أهل **الملابار والبنغال والملايو** ، وهي البلدان التي تم لهم استعمارها تجارياً واجتماعياً فيما بعد مما يسَّر دخول شعوبها في الإسلام .

وبالنسبة للطرق البرية والصحراوية فكان لهم عليها سلطان ، ولهم بها خبرة نادرة ، لدرجة أنه كان للقبائل في تاريخ ليس بالبعيد معرفة بطريق صحراوية تسير بموازاة **الربع الخالي** شمال شرق ، حتى تصل إلى بلاد **الخليج** ثم **العراق** ، وهو مما تأكد منه الرحالة البريطاني **برترام توماس** الذي تمكن من السفر عبر **الربع الخالي** مخترقاً **صحراء الصحارى** كما سموها فيما بعد ، بمدة ٥٨ يوماً مستعملاً قافلة الجمال بمساعدة **آل رشيد** ، وهم مجاورون **لظفار** وبلاد **المهرة** ويعيدون أنسابهم إلى **عاد** ، أي أنهم غير قبائل **آل رشيد** المقيمون بشمال **المملكة العربية السعودية** ، والذين قاتلهم الملك **عبد العزيز آل سعود** عندما كانوا متعاونين مع العثمانيين . وهو ما سنوضحه تفصيلاً في العنوان الذي خصصناه **للربع الخالي** . وما ازدهار وعظمة **مأرب ونشق وقرنا وتمنع** في بلاد **الجوف** وما إليها باتجاه المحيط أو باتجاه

الخليج ، **وجرها** المقابلة لبلاد **الفرس** حالّياً إلاّ أدلة على أهمية الوساطة بالتجارة إلى جانب التجارة بحد ذاتها ، تلك الوساطة التي تؤدي إلى الأرباح الطائلة والتي كثيراً ماتكون في مراكز تجميع السلع وليس على طرق نقلها . وكذلك الحال بالنسبة إلى **قانا** التي زالت وأصبحت نقطة على الخريطة غير مأهولة معروفة تحت اسم **بئر علي** ، تعلوها تلة صغيرة عثر عليها نقش تاريخي ساعد على التعرف بأنها كانت مشرفة على مدينة **قانا** ، وقد أطلق على هذه التلة اسم حصن الغراب ، وحمل النقش التاريخي الاسم نفسه كما رأينا سابقاً في مكان آخر .

النضال القومي ضد الأحباش وحكّامهم
(وهم يمنيو النسب)

حاول ملوك **الأحباش** في عهد الدولة **الحميرية** وهم من أبناء الجنوب كما أكده **جلازر** الذي أفاد أنهم كانوا يمثلون الطبقة الحاكمة في **أثيوبيا** بعد أن نزحوا إليها ؛ ثم حاول هؤلاء الحكام للمرة الأولى بعد استقلالهم **بالحبشة** العودة إلى **اليمن** وإخضاعها أو إعادة ضمها إلى ملك واحد وذلك في أوائل القرن الثاني للميلاد ، حيث حمل **النجاشي** (نجاشي تعريب نجوس بالأمهرية ، أي ملك) على شواطئ **اليمن** لكنه غلب على أمره ، بعد أن تعاون **اليمنيون** على قهره وتوالت الحروب بين **الأحباش واليمنيين** . وقد تمكن ملوك **الحبشة** أكثر من مرة من حكم ضفتي **البحر الأحمر** أي **اليمن والحبشة** .

كما نميل للاجتهاد أن بلاد **سبأ** بعهد الملكة **بلقيس** - التي زارت **سليمان الحكيم** بين ٩٧٠ - ٩٥٠ قبل الميلاد - كانت تضم كامل بلاد **البونت** التاريخية ، أي جنوب **الجزيرة وسواحل أثيوبيا والصومال** ، ثم أقطعت أحد أبنائها مملكة **أكسوم الحبشية** وفقاً للأخباريين من **الأحباش** وكتبهم المعتمدة بمرحلة لاحقة .

وكان قد ذكر لنا المستشرق **نيكولاس رودوكناكيس** في مؤلفه **تاريخ العرب القديم** .

إن الدولة **الإفريقية** التي كانت النواة لدولة **أكسوم** نشأت أصلاً من جاليات يمنية .

ونضيف ماقاله عنها المؤرخ اليوناني **بلينوس** بأن زعماءها جاؤوا من جنوب **الجزيرة العربية** حيث توجد أصولهم بالقرب من **عدن** ، وهو مما يمكن تفسيره بأنهم جاؤوا من دولة **أوسان** حيث شكلت **أكسوم** امتداداً لتلك الدولة الغنية المتقدمة ، والتي ربما كانت قبل استخدام الجمل تنافس في البحر أي عبر **البحر الأحمر** طرقات القوافل التي تحولت السيادة إليها وهي طريق الصحراء التي أصبحت أكثر أمناً من **البحر الأحمر** وأسلم ، وذلك بعد افتتاح طريق القوافل قبل الألف الأول للميلاد ، ذلك أن عواصف البحر الشديدة قد تقضي نهائياً على سفنها ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للبعير (سفينة الصحراء) الذي يعود وصوله إلى **الجزيرة العربية** لما بين عام ١٢٠٠ - ١٢٥٠ قبل الميلاد ، مع فتوحات **الميديانيين** الذين جاؤوا من أواسط آسيا عن طريق **بلاد الرافدين** . إذ عثر المنقبون على كتابات باللغة **الأمهرية** (نعتقد أن القلم الأمهري هو تحريف للقلم الحميري) مؤرخة بنهاية القرن الثالث تقول : « **ملك أكسوم وحمير وريدان وسلحين** » كما رأينا سابقاً .

ومما اتفق عليه المؤرخون ، كما شرحنا ، فإن ملوك **الأحباش** هم من **اليمانيين** الذين هاجروا إلى **الحبشة** حيث أسسوا لهم مستعمرة ، ويبدو أن بلاد **الأحباش** كانت في عهد الملكة **بلقيس** تؤلف مع **اليمن** مملكة واحدة ، وهذا ما يفسر انتساب أباطرة **الحبشة** إلى ذرية الملك **سليمان** بزواجه مع **بلقيس** التي زارت ملك **أورشليم** إبان مجد ازدهار التعاون التجاري بين جنوب **الجزيرة** وشمالها بواسطة **البحر الأحمر** بحراً والقوافل براً ، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد . كما اتضح أن ما كان **الفراعنة** يسمونها بلاد **البونت** هي البلدان المشاطئة لمضيق باب المندب ، وتمتد إلى الجنوب باتجاه **زمبابوي** ، وشرقاً إلى **عُمان** .

وقد نقل الدكتور **فؤاد حسنين** عن المستشرق **ديتلف نيكلسون** قوله :

« ليس **الساميون** الذين خلفوا لنا في بلاد **الحبشة** آثاراً وآداباً هم الذين ما زالوا حتى اليوم يقيمون في بلاد **أكسوم** الذي يتكوّن منه السكان الأصليون فيها ، بل هم فيما يعتقد أولئك الذين هاجروا إليها من بلاد **العرب** ، وذلك لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية ، وما تزال إلى اليوم قريبة من العربية ، بالرغم من وجود بعض العناصر الحاميّة فيها . أما اللغة وأما الخط وأما الثقافة فسبئية منذ البداية ، ذلك لأن المهاجرين من بلاد **العرب** الجنوبية نزحوا إلى البلاد فيما يظهر في قرون بعيدة قبل الميلاد ، وأسسوا هنالك مستعمرات ، ووضعوا الأسس لدولة **الحبشة** التي أخضعت فيما بعد ، في القرن السادس الميلادي ، بلاد **العرب** الجنوبية لسلطانها (عهد **أبرهة** كما نعلم) .

لكنه يظهر أن ملوك **أكسوم** لم يتمكنوا من الاستقرار في **اليمن** إلى أن جاء عام (٣٣٠ ـ ٣٤٥ ب . م) . حيث قام **العلي اسكندي** ملك **أكسوم** بمحاربة **الهدهاد** ملك **حمير** وأخته **بلقيس** الفارعة (وهي غير **بلقيس** التي زارت الملك **سليمان**) . ثم خلف **العلي اسكندي العلي عميدة** الذي تمكن بمساعدة قيصر **الروم** من الاستيلاء على **اليمن** (٣٤٥ ب . م) . وكان القيصر **قسطنطينوس** عاملاً على نشر النصرانية في العالم ، وعلى مناوأة الفرس في **جزيرة العرب** . ودام الملوك المتمركزون في **الحبشة** وعاصمتها **أكسوم** حكاماً على **اليمن** ، يعتبرونها من ممتلكاتهم من عام ٣٤٥ إلى ٣٧٤ م حيث عادت إلى أصحابها **الحميريين** على يد الملك **يكرب يوهنّعم** . وما زالت في قبضة **الحميّريين** هؤلاء ، وهم من عبدة **ذو سموت** (إله السماء الواحد) إلى أن ضعف شأنهم وعاد ملوك أكسوم عام ٥٢٥ ميلادية إلى **اليمن** ليجدوا فيها أميراً حميرياً ثائراً هو **سيف بن ذي يزن** الذي طلب نصرة كسرى **الزردشتي** ضد **الأحباش** النصارى المؤيدين من إمبراطور المسيحية المقيم في عاصمته **القسطنطينية** ، فنصره **كسرى** بعدد من جنده ليطرد **الأحباش** ، وعين قائداً لهم **وهرز** . وكتب **وهرز** بعد ذلك **لكسرى** يقول « إني قد ملكت للملك ، **اليمن** وهي أرض **العرب** القديمة التي تكون فيها **العرب** ملوكهم » . وملّك **سيف بن ذي يزن** **لاليمن** بعد ذلك ، وعمل انتقاماً وتقتيلاً بالأحباش حتى قتلوه غدراً . والأدب

العربي مليء بذكر هذه الحادثة القومية التي تتردد أخبارها في المحافل الشعبية بعواصم **العرب** بشكل روائي بديع ، وتقول بعض الروايات بأن **سيف بن ذي يزن** عندما وجد جيشه قد غُلِب على أمره دفع بجواده إلى البحر حيث مات بطلاً دون أن يتمكن العدو من إذلاله .

وقال **أمية بن أبي السلط** :

لا يطلب الثـــأر إلاّ كابن ذي يـــزن   في البحر خيّم لـــلأعـــداء أحـــوالا

وفي حكم ملوك **أكسوم** ومن بعدهم **الفرس والحميّريون** المتعاونون معهم انتقلت العاصمة إلى **صنعاء** .

ويعتبر **العرب** أن حكم **الأحباش** ، ملوك **أكسوم** ، دام ٧٤ سنة ، عشرين **لأرياط** و ٢٣ **لأبرهة** و ١٩ **ليكسوه** و ١٢ **لمسروق** (ويعتقد بعض المؤرخين أن ملوك **الأحباش** هم أصلاً من **اليمن** كما رأينا ، لكنهم بعد أن توالدوا **بإفريقيا** انفصلوا عنها وانفصلت عنهم ، ولما عادوا إليها فاتحين تحولوا إلى دعاة للمسيحية التي كانوا قد اعتنقوها في القرن الرابع الميلادي . وبعد طرد **الأحباش** بمعاونة **الفرس** ظلت البلاد في تأرجح بين النفوذ **الفارسي والأكسومي** مع الغلبة **لفارس** حتى عام ٦٢٨ ميلادية (السادس للهجرة) حيث اعتنق **بازان** ، عامل **الفرس** على **اليمن** ، الدين الإسلامي ، وأسرع اليمنيون لاعتناق دينٍ قوميٍ عربيٍ صرفٍ عالمي المفاهيم والفلسفة والأهداف ، وبذلك أظهروا ابتعادهم عن الأديان الغريبة عن وطنهم ، والتي وصلت مع وسائل الحكم الأجنبي **كالأحباش والفرس** أو المبشرين الأغراب **كاليهود** المطرودين من **أورشليم** . هذا وإن ديانة التبابعة الموحدين الذين يعبدون إله السماء **ذو سموت** ، جعلتهم يميلون بطبيعتهم إلى الديانة الإسلامية الموحدة السماوية . وقد يكون ظهور نبي منكم عربي عرقاً ولغة من عوامل الاعتزاز عند شعب فخور بأمجاده ، كما يمكن تفسير تأييد بعض اليمنيين بعد ذلك **للأسود العنسي** ناتجاً عن هذا العنفوان الإقليمي أو الوطني كما نسميه اليوم .

يستدل من كل ماتقدم بأن عصور الممالك اليمنية متشابكة ومتداخلة غير واضحة الحدود والعهود باستثناء بداية العصر **الحميّري** ١١٥ ق . م . ويعود هذا إلى جهلنا القسم الأكبر من حقيقة ذلك التاريخ ، ولوجود عدة ممالك في عصر واحد ، إذ أن **العرب** ذكروا ١٢٣ تبعاً مجموع حكمهم ١٧٠٠ سنة ، مما يؤكد بأنهم لم يحكموا بالتتابع ، بل حكم بعضهم أو أغلبهم في آن واحد لمناطق مختلفة ، كما أن كلمة سنة ليست لها عند **الأخباريين** المفهوم والحساب الذي نعلمه اليوم ، ونميل للاعتقاد أن بعضهم يعتبر الفصل سنة أو يسميه كذلك ، وهكذا يمكننا تقسيم ١٧٠٠ على أربعة فصول ليصبح العدد أكثر من أربع مئة بقليل (٤٢٥ سنة) ويظل مع ذلك هذا العدد غير معقول أو مقبول ، وقد يكون المقصود بكلمة سنة هو شهر ، وهنا يصبح العدد مبالغاً به ومرفوض علمياً .

وهناك من المؤرخين من يحدد مدة الدولة **المعينية** من عام ١١٠٠ ق . م . وهو تاريخ وصول

الجمل ونشوء طريق القوافل إلى ٥٦٠ ق . م . ودولة سبأ من القرن التاسع ق . م . إلى ١١٥ ق . م . مما يجعل التشابك بين وجود المعينيين والسبئيين وهو الأرجح ، وهذا ماتفسره لوحة جبل اللوز التي سبق ذكرها تحت عنوان (اللوحة الاتحادية) .

بقي أن نتعرف على المدنية في المرحلة التي سبقت دولة معين . وهذا مايتطلب من علماء الآثار التعرف عليه . كما أن كل هذا التشويش والتداخل ناتج كما رأينا وكما شرحنا ، إلى عدم كشف الآثار التي لاتزال مدفونة ، والتي لانتوقع الاطلاع على خباياها قبل مرحلة طويلة من الزمن ، ذلك أن أعمال البحث عن الآثار تتطلب دقة وحذراً شديداً ، مما يمنع استعمال الآليات الثقيلة الفعّالة الحديثة التي يؤدي اللجوء إليها إلى تحطيم المعالم الدقيقة والثمينة المطمورة تحت الرمال أو الأنقاض .



أكسوم والممالك الحميرية

الكتابة على المسلات وهي بخط ولغة جنوب الجزيرة العربية

لازالت إحدى مسلات العهد الحميري قائمة ، وقد تهدمت المسلات الأخرى وحوّلها الطلاب إلى استراحات وأماكن للدراسة والتأمل . عرفت مجدها بين القرن الأول والسادس بعد الميلاد وكانت علاقتها وثيقة باليمن والحجاز

التشريع في العهد القديم

لا شك أن تنقل **اليمنيين** بين مشرق الأرض ومغربها منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، وربما قبل ذلك بكثير ، جعلهم يطلعون على مدنية **الهند وفارس وبلاد ما بين النهرين والبحر المتوسط** معاً ، ويعملون على نقل خير ما عند الطرفين للآخر لا من السلع وحسب بل من الأفكار والفنون ، مما ساعد على تبادل الفن والمعرفة في جميع المجالات وعلى نطاق واسع لا يمكن حصره ، هذا إلى جانب ما هو منطقي من تركيز زبدة ما في المدنيات المختلفة في أفكارهم ومفاهيمهم وانصهارهم في حياتهم ، مما جعلهم في منصب القيادة للمدنية حقبة طويلة من الزمن لا تقل عن ١٢٠٠ عام قبل الميلاد ، وهي المرحلة التي احتكروا فيها تجارة القوافل عبر الصحراء بعد وصول الجمل إليها مع **الميتانيين** .

ولما أنهم احتكروا مدة ثلاثة عشر قرناً التجارة بين **المحيط الهندي والبحر المتوسط** ، وتعاملوا بطبيعة الأمر مع المدنيات المعروفة وجمعوا فضائلها ، مما جعلهم حتماً في مكانة الصدارة بالعالم في التطور الذهني والتقني ، وأكبر دليل على تطورهم الإنساني هو ما وصلوا إليه في التشريع .

علماً بأننا أصبحنا نميل للاعتقاد أن مدنية أهل الجنوب سبقت مرحلة تجارة القوافل وعاصرت مدنية **الفراعنة** الأولى .

ولنسمع في هذا المجال المؤرخ العلامة الدكتور **فيليب حتّي** : **العرب** (صفحة ٦٦ - ٦٧) ، قال :

« وهناك بضع وثائق شرعية هامة وهي قوانين شرطة منقوشة على أعمدة منصوبة في مداخل الهياكل وما يحاكيها من الأندية العمومية ، وفيها إنذار للشعب أن يمتنعوا عن منكرات معينة وإلاّ فينزل بهم العقاب ، وهذه الوثائق تنم عن تطور في الحياة الدستورية ، فشريعة **حمورابي** وشريعة **موسى** نزلتا من فوق ، وليست شرائع **الحثيين** إلاّ مراسيم أصدرها ملوك مسيطرون ، أما شرائع **عرب الجنوب** فتمتاز بصفات النضج الشرعي والبلوغ السياسي ، وتدل على نظام دولة تلوح من خلاله أوضاع الحكم النيابي ، وربما لم يكن في آثار القدم السحيقة ما يدانيها رقياً » .

وقد علق المستشرقون على ما اطلعوا عليه من الرقم التي تحتوي على تشريعات متقدمة للمفاهيم ، أنه كان يسود الدولة والمجتمع اليمني القديم نظام اجتماعي ديمقراطي يستمد احترام الناس وتقديسهم له

من شرعيته وعدالتـه . إذ كانت كل القوانين تعـد من قبل المجـالس الشعبيـة وترفع إلى الملـك لتوقيعهـا وإصدار أوامره إلى اللجان التنفيذية المنبثقة عن تلك المجالس لتنفيذها . كما أنهـا كانت تنشر في أمـاكن بارزة كالميادين والأسواق ودور الحكومـة والمعـابـد ، وتسجل في مسـانيـد حجريـة شهود على صحتهـا لتوكيد شرعيتها من قبل جماعـة مختـارة من الأعيـان والرؤسـاء وممثلي المنـاطق . كما كان هنـاك أيضـاً قوانين رسمية للتوظيف ، وعقود عمل بين الحكومـة وموظفيهـا وملتزمي الضرائب وعـائـدات ملكيـات المعابـد والـدولـة من الزراعـة والتجـارة ، وكانت توجـه عـادة إلى جميع المواطنين بكل فئـاتهم رجـالهم ونساءهم من هذه القوانين .

وهناك قانون مفصل عثر عليه مع الرقم العديدة التي نقلها **جلازر** وبينها مـا يوضح كيفيـة تقسيم الأراضي على المواطنين في إطار جماعي كالقبيلة أو العشيرة أو الجماعة من الفلاحين (الخراج والضمان) ، وكيفية استثمارها ، وتنظيم وتوزيع الري بصورة هندسية وديمقراطية .

وقوانين أخرى متعلقة بالعقوبـات والجزاءات ، ويلاحـظ أنهـا قـد تجـاوزت عقوبـة القصـاص في القتل العمد إلى الحكم بالطرد على القاتل ، فإن وجد بعد ذلك فمن حق أي مواطن أن يقتله .

وقوانين تنظيم البيع والشراء وشروط صحتها أو بطلانها ، وتنظيم العلاقة التجاريـة مع الآخرين في الأسواق اليمنيـة المحليـة ، كما يتعلق أيضـاً بشؤون وواجبـات حـاكم السوق (المحتسب في الإسلام) . وينص القانون هذا بعدم الجمع بين عملين في وقت واحد مثل تحريم الاتجار في المـدن والأريـاف معـاً ، ويستفاد منه تدخل الدولة المباشر في توزيع الأعمال .

وعلى هذا النمط من التفكير والتقنين والتربية ، نجد الأسرة تمثل الخليـة الصغيرة أو النموذج المصغّر للمجتمع **اليمني** الـديمقراطي ، إذ كان أفراد الأسرة شركاء في الأعمـال والفوائـد والممتلكات ، وكان لـلأب والأخ الأكبر فيها صفة القـائـد والمسؤول الأول كما كانت الأم والمرأة بشكل عـام بمكان إجلال وتقـديس الجميع ، وهو ما حملهم لإسناد عرش الملك إلى من استحقه من النساء . ونعتقـد أن موضوع المقـام الـذي تمتعت به المرأة في العهود القديمة والذي مـازلنا نلمس بقاياه عند بعض القبائل يحتـاج إلى بحث ودراسـة عميقة لربما تساعـد الرّقم المكتشفـة للآن ، والتي سيتم التعرف عليهـا مستقبلاً لتطلعنـا على مجتمع مختلف تماماً عن مجتمعنا الحاضر ..

« الألفباء » الكتابة والحرف
ونشأتها في جنوب الجزيرة العربية

أصبح علماء الآثار وأصول الكتابة بالأحرف يعتقدون بأن الحرف الأول كان استعماله من قبل **العرب** في شبه **جزيرة سيناء** ، ثم انتقلت (الألفباء السينائية) العربية **إلى جنوب الجزيرة** حيث تعدّل بشكل مستقل ، واستعمل في الرّقم **المعينية** منذ ١٢٠٠ قبل الميلاد .

ومن جنوب الجزيرة انتقل الحرف (الألفباء) إلى **الفينيقيين** ، وكان الادعاء حتى المرحلة الأخيرة بأن **الفينيقيين** هم أول من ابتكر الألفباء واستعملها ، وهو مما لا يتفق مع الاكتشافات الأثرية الأخيرة (الصفحة رقم ١٠٧ من تاريخ **العرب**) ، وكانت هناك دعوة في **لبنان لإقامة** نصب تذكاري لابتكار الحرف من قبل **الفينيقيين** وكذلك في **اللاذقية على الساحل السوري** .

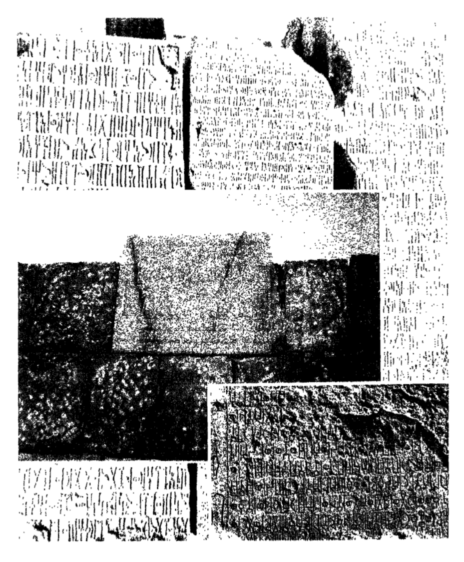
أما الآن فلم يعد أصل الحرف فينيقياً بل سينائياً ، إنما يحق للمرء أن يتساءل ، هل انتقل الحرف من **سيناء** إلى **معين** أم أن العكس هو الصحيح ولماذا ؟

معين هي بلاد الحضارة المتزامنة اضطرارياً من حضارة قدماء **الفراعنة** لحاجتهم إلى سلعها ، وهي التي كانت تنقل السلع إلى الشمال وعبر **سيناء** إلى **مصر** الفرعونية ، ولم تكن **سيناء** بلاد حضارة مطلقاً بل منطقة مرور صحراوية .

إنما حدث أن تيسر لعلماء الآثار العمل بحرية كاملة في الشمال ، فتمكنوا من العثور على مااعتبروه (الألفباء) الأولى ، ولكنه لم يتيسر لهم البحث والتنقيب في **جنوب الجزيرة** وفي بلاد **معين** ، أي جوف **اليمن** ومدنها القديمة وآثارها المتراكمة ، مما يمكنهم من التعمق بالدراسة والاستقراء والاستنتاج ، حيث أن كل ماوصل للعلماء الغربيين وسواهم عن مدنيّة **اليمن** القديمة هو ماتمكن مستشرقون قلائل جداً من الحصول عليه خلسة ودون بحث وتنقيب ، عندما كان ذلك محظوراً كلياً وخطيراً حيث لم يتم البدء في البحث عن الآثار في **اليمن** إلاّ في عهدها الجمهوري الحديث وبالأخص بعد عام ١٩٧٠ م وعودة السلام والطمأنينة إلى البلاد .

الاعتقاد بأن (الألفباء) نشأت في جنوب الجزيرة وليس في سيناء بشمالها

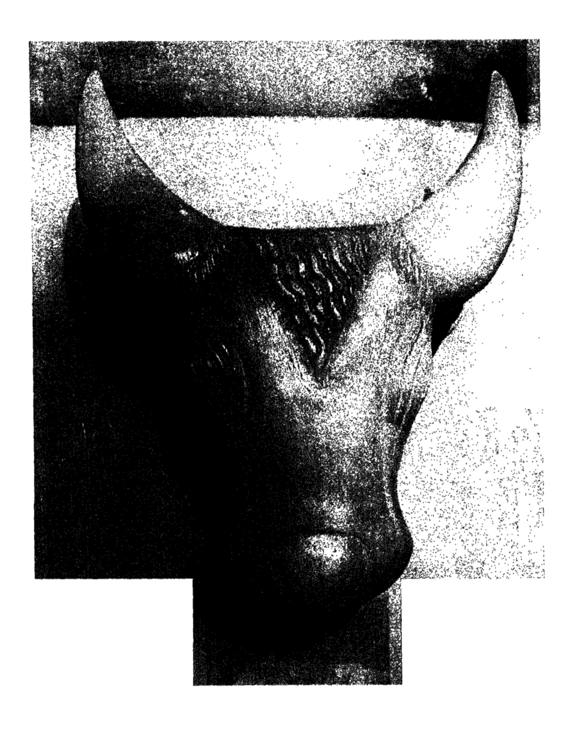
كما أفادنا المستشرق هاري فيلبي أحد أشهر خبيرين بالنسبة للتعرف على **الجزيرة العربية** ، (أولهما **جلازر** النمساوي) ، أنه يميل للاعتقاد استناداً إلى دلائل عديدة أن الكتابة بالحرف والألفباء نشأت في **جنوب الجزيرة** العربية ، ثم انتقلت إلى **فينيقيا** وسائر بلدان **شمال الجزيرة** ومنها منطقة **سيناء** ، حيث عثر على أول نقش بالألفباء سمي فيما بعد من قبل المستشرقين (الألفباء السينائي) كما ذكرنا .



الرقم السبئية والحميَرية

بالخط المسند المنسّق المنمق والتي تحتوي معانيها ليس على تسجيل الأحداث وحسب ، بل على التشريع وكل ما يمت إليه بصلة .

﴿ الذي علّم بالقلم ☆ علمَ الإنسان مالم يعلم ﴾ [العلق : ٩٦/٤ ـ ٥]



أفادنا الخبراء بأن رأس الثور هذا يرمز إلى الإله ألمقه إله القمر
يشير الشكل الهلالي للقرنين إلى المقه أي إله القمر

هل فضّله أهل الجنوب على الإله الشمس ، وهم أصحاب تجارة القوافل التي كانت تفضّل السفر ليلاً لتفادي حرارة الشمس ولسهولة الاهتداء بواسطة النجوم والكواكب ومنها القمر والزهرة .

اللغات السامية والكتابة التي لاغنى عنها في المعاملات التجارية الواسعة

قسّم علماء اللغات السامية وخطوطها - لغة العرب - إلى ثلاثة فروع : الفرع الأول وهو الشمالي الآرامي النبطي الذي اشتقت منه لغة قريش ، والتي أصبحت لغة القرآن الكريم كما ذكرنا تحت عنوان آخر ، وهي الفصحى التي لها جذور واضحة مع الكنعانية والمعابية والآرامية والفينيقية وفصائل اللغة العبرية . وكانت الآرامية هي الشاملة ولغة المراسلات والتسجيل كما سنرى ، وهي التي مازالت في منتهى الحيوية إلى يومنا هذا وإلى أبد الآبدين ، لكونها لغة القرآن الكريم الذي لايجوز التحوير والتبديل بأي من كلماته السماوية الشريفة .

والفرع الثاني : هي لغات وخطوط الجنوب العربي وهي المعينية والسبئية والحميرية واللهجات المهرية ، التي وإن كانت قد زالت من التعامل ، لكنها بقيت على السنة بعض المناطق النائية الأمر الذي ساعد عدداً من العلماء الذين تعرّفوا عليها في جنوب اليمن الشرقي واستندوا في كتاباتهم التاريخية لنشر مااطلعوا عليه منها وهو قليل .

ويفيدنا أهل الاختصاص بأن اللغات السامية كانت تكتب من اليمين إلى اليسار كما هي عليه في أيامنا . لكن بعضها وهو قليل اتبع خطة الدوران حيث يبدأ السطر التالي تحت نهاية السطر الأول .

وقد لاحظنا أنه كان الخط حتى نهاية عهد الأئمة الأخير يدور بنهاية كتابة الورقة حولها من اليمين إلى اليسار ويستمر كذلك بشكل دائري . وذلك بتحويل الورق « البياض » حول القلم وليس العكس .

ويبدو بديهياً أن تجارة أهل الجنوب مع الشمال على نطاق واسع اقتضت التسجيل والشرح والتعاقد بواسطة الكتابة بلغة وخطوط متقاربة ، أو تقاربت بفعل استمرار التعامل ، وهي كتابة أهل الجنوب التي تحولت بالشمال إلى الآرامية والنبطية ، وهي متشابهة بأصولها وبما يسمى حالياً (باللغات السامية) .

أخبار استخراج المياه وتقنية حفظها للري وبناء السدود استناداً إلى ماأطلعنا عليه الهمداني (المتوفى عام ٩٧١ ميلادي)

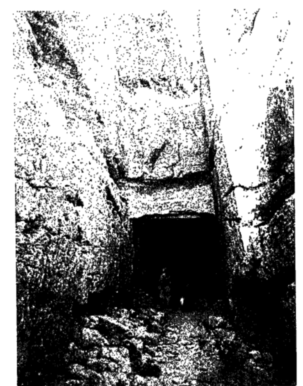
رأينا مما تقدم أن اليمني عرف كيف يهتم بأرضه ويستغلها ببناء المدرجات على الجبال وكيف يبني المدن الشاهقة ، ولنرى كيف جمع بين اهتمامه بالزراعة ومعرفته بشتى فنون البناء ليشيد الخزانات المائية (الكرف جمع كريف) - خزان ماء - وحفر الأقنية المائية والأنفاق ، استناداً إلى ماوصفه لنا المؤرخ اليمني وفقاً لمشاهداته التي تعود إلى ألف عام مضت .

وذكر **الهمداني** (٧٨ ج ١) قال : « منها مصنعة وحاظة وكريفها اسمه درداع مساحته ٦٠٠ ذراع في مثلها » . وقال « للقلعة طريقان ، على كل طريق ماء . فالطريق الجنوبي عليه كريف يسمى (الوفيت) منقور في الصخور عمقه في الأرض خمسون ذراعاً وعرضه عشرون وطوله خمسون ، والماء الثاني من شمال الحصن على الباب الثاني في جوبة من صفاء كالبئر مطوي بالبلاط ودرج ينزل فيه من رأس الحصن بالسرج في الليل والنهار على مسيرة ساعة حتى يؤتى إلى الماء ، ولا يعلم من يكون على البئر من فوق » .

أما في **بينون** فقد قطع بعض ملوك **حمير** الجبل حتى أخرج فيه سبيلاً من بلد ورائه إلى أرض **بينون** . وهكذا يكون صاحب **بينون** قد حفر نفقاً لجر المياه إليها من وراء الجبل . وقد ذكرنا صهاريج **عدن** و**باب عدن** المقطوع في عرض الجبل كمثال لدى التقدم الذي أحرزه **اليمانيون** في مثل هذه الأعمال الهندسية الإنشائية الجبارة .

أما حفر الآبار فكان إلى عهد النهضة ودخول الآليات من التقاليد اليمنية التي أنعشت مناطق بكاملها ولا حياة لها لولا استخدامها المياه الجوفية ، ومنها مدينة **صنعاء** نفسها التي كان يرتوي سكانها من الآبار . وتروى أكثرية بساتينها العامرة بوساطة رفع المياه الجوفية بالوسائل القديمة منذ عشرات القرون ، وذلك إلى جانب غيلين (أي نبعي ماء) صار جرهما إليها للمساهمة بسقاية بساتينها ، وهما **الغيل الأسود** و**غيل آلاف** اللذان كانا يساهمان مع المياه الجوفية في إنعاش **قاع صنعاء** .

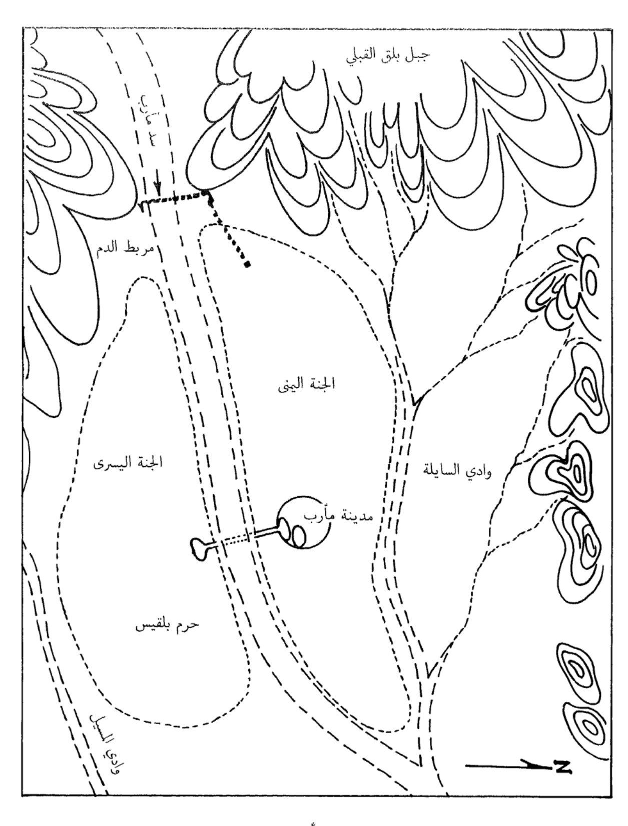
وسنأتي إلى ذكر السدود وتخزين المياه وحسن استغلالها مجدداً في الجزء الخاص بالجغرافيا الاقتصادية .



حفر الأولون هذه القناة لجر المياه في الصخر الأصم بالقرب من قصر « بينون » في بلاد الحدا بوسط المنطقة الجبلية



بناء السدود على أنواعها وخزانات المياه في السهول والوديان
وفي مراكز التجارة العالمية ومراحلها هي من اختصاص اليمني منذ أقدم العصور وها هو يشيد الصهاريج في أعالي الجبال


جبل بلق القبلي
سد مأرب
مربط الدم
الجنة اليمنى
الجنة اليسرى
وادي السايلة
مدينة مأرب
حرم بلقيس
وادي السيل
N

سد مأرب

سد مأرب العظيم
عَلَمٌ في مفهوم الحضارة

ذكرنا كيف حقق أهل **اليمن** في قديم الزمان العديد من المنشآت التي ساعدتهم على حسن استغلال المياه ، ويطلق **اليمنيون** بلغة **قريش** التي أخذت مكانة لغة **سبأ** و**حمير** القديمة كلمة **سد** على المنشآت التي أدت إلى حسن استخدام المياه ، علماً بأن كلمة **سد** لا تنطبق على العديد من الإنجازات القديمة في هذا المجال .

فعندما ذكر الشاعر سدود **يَحصُب** في بداية العهد الإسلامي قائلاً :

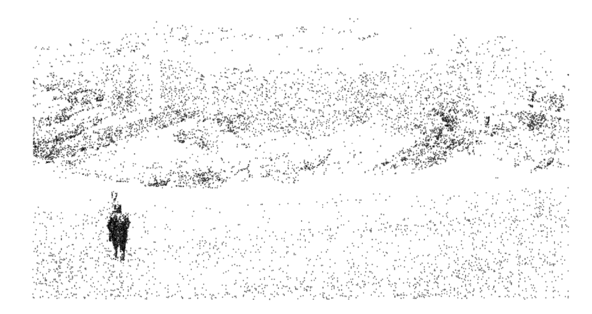
وفي الجنـــة الخضراء من أرض يحصب   ثمانون ســداً تقـذف المـاء جـاريـاً

فإن هذه الكلمة هنا تعني بنظرنا أنواع المنشآت التي أدت إلى تخزين المياه والسيول أو تحويلها أو تجميعها لاستخدامها للزراعة وسواها ، ومنها الصهاريج المتسعة ، والدليل على ذلك أن خزانات المياه في **عدن** وهي تحفة فنية كما رأينا يطلق عليها تسمية **صهريج الطويلة** مع أنها ليست بالسد بمفهومه العصري ، وإنما خزانات أو صهاريج للاحتفاظ بالمياه وليس لاستعماله للري على نطاق واسع .

لذا يصعب علينا في الوقت الحاضر وقبل إجراء مسح حقيقي وعلمي أن نتعرف على ما هو العمل الهندسي والفني الذي يستحق هذه التسمية في **اليمن** ، وما هو الذي يستحق تسمية أخرى كحاجز لتحويل السيول أو غير ذلك كخزان أو مجموعة صهاريج وغيره . وقد أقيم أغلب السدود لكي تتحكم في توجيه السيول وضبطها خشية إغراق الأراضي والمساكن والمزارع وجرف التربة . وجدير بالذكر أن الزراعة بواسطة الري الفني اقتضت إجراء دراسات قام بها بعض العلماء ومنهم البحاثة **Baton Bowen** الذي حاول التعرف على أصول الري والزراعة في جنوب الجزيرة منذ الألف الثاني قبل الميلاد .

ونبدأ بهذا التعليق لأن مؤرخنا الجليل **الحسن بن أحمد الهمداني** ذكر أيضاً في الجزء الثامن من مؤلفه **الإكليل** وفي **صفة جزيرة العرب** :

« أن سدودهم كانت تزيد على مئة سد ، وهي التي ساعدت على ازدهار **اليمن** وحسن استغلالها زراعياً » .



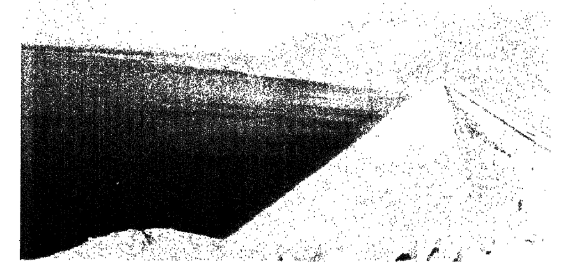
بعض بقايا آثار سد مأرب العظيم ، ويعود بناؤه لبداية الألف الأول قبل الميلاد

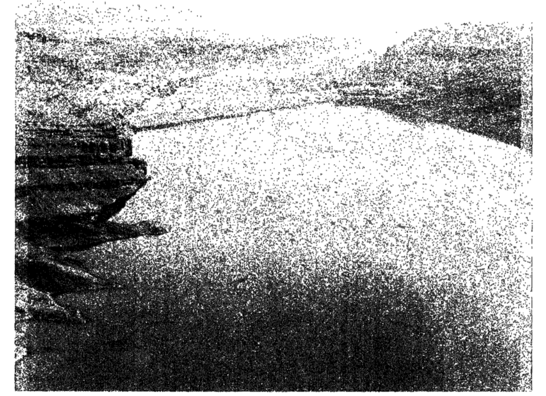
أجمع علماء الآثار على اعتبار سد مأرب أقدم مشروع من نوعه في العالم أجمع .

☆ يعود بناء السد للقرن العاشر قبل الميلاد وكان يحجز المياه على امتداد ٦٥٠ متراً وتروي مياهه عشرات آلاف الهكتارات في منطقة شبه قاحلة .وهو ما جاء ذكره بالقرآن الكريم مع الجنتين اللتين ازدهرتا عن يمين ويسار .

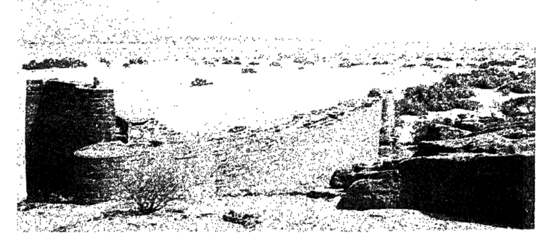
☆ وكانت أخباره بالنسبة للغربيين وكأنها أسطورة إلى أن أكتشف بقايا جوانبه الصيدلي الفرنسي « أرنو » في القرن الماضي ، ولولا ذكره في القرآن الكريم لما اقتنع العرب أنفسهم بوجوده .

☆ وجدير بالذكر أنه أعيد بناء السد في مكان يسمح بالاحتفاظ بآثار السد القديم ، وكان الاحتفال بإنجاز السد الجديد في نهاية عام ١٩٨٦ بعهد النهضة الجديدة ورئاسة العقيد علي عبد الله صالح .





« سد مأرب » الجديد وقد امتلأ بالمياه بفترة وجيزة



من آثار سد مأرب ـ ما بقي من أحد الصدفين المعدين لتوزيع المياه

السدود التي وصلت أسماؤها إلينا

وكان قد ذكر لنا الهمداني المشار إليه آنفاً أسماء بعض السدود منها سد الخانق بصعدة ، ٩ريعان على مقربة من شمال غرب صنعاء ، وصبوه في أضرعه من بلاد عنس وقصعان قرب قرية ذي صارف ، وقتاب وشحران وعراش وطمحان وغيرها كثير في أرض يحصب ، وكذلك سد بيت كلاب في همدار ، وسد خيره في ظاهر دعان ، وكذلك سد شبام . أما الحواجز أو الصهاريج التي أشادها اليمنيون على مراكز طرقهم التجارية عبر الصحراء فعديدة ، نذكر منها سد الحصيد جنوب خيبر بأعالي الحجاز .

أما أسماء السدود التي وصلتنا ، باستثناء المجموعة التي تشكل سد **مأرب** ، والذي سنخصه بوصف كامل ، فهي كثيرة تقوم الجهات المختصة بالتعرف على مواقعها ، وتعمل على تشييد العديد مما كان قائماً وسواها . ونذكر السدود الأخرى العديدة التي وصلت أسماؤها إلينا وهي التالية :

سد أرحب أو رحيم ، وهي من مجموعة **سد مأرب** ، **سد قصعان** ، **سد ربوان** ، **وهو سد قتاب** ، **سد شجران** ، **سد طمحان** ، **سد عاد** ، **سد سحر** ، **سد ذي رعين** ، **سد نضار وهران** ، **سد الشعباني** ، **سد المليكي** ، **سد النواتي** ، **سد لحج وهو سد عرايس** ، **سد ذي شهال** ، **سد نقاطة** ، عند **قرية ذي ربيع** ، **سد المهباد** ، **سد الخانق بصعدة** خربه **إبراهيم بن موسى العلوي**(☆) بعد هدمه صعدة في نهاية القرن الثاني ، **سد ريعان** ، **سد سيان** .

ويستند العلامة **جرجي زيدان** إلى ما اطلع عليه في **الإكليل** وسواه من مراجع موثوقة ليستنتج بفضل هذه السدود وغير ذلك من أسباب الحضارة قائلاً :

« أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم ، فهم أهل مدن وقصور وهياكل وأثاث ورياش ، لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحدائق والبساتين » .

والإشارة إلى اغتراس الحدائق والبساتين يفهم منها بالضرورة الحصول على المياه في جميع المواسم ،

(☆) هو الملقب بالجزار لإسرافه في القتل والتخريب ، أرسله إلى اليمن الإمام محمد بن إبراهيم طباطبا سنة ١٩٩ هـ/٨١٤ م والتف حوله شيعة اليمن ، وجرت بينه وبين والي المأمون معارك شديدة ، وتمركز في صعدة بعد أن خربها وهدم عدداً من سدود اليمن وآثار حمير راجع (الإكليل ١٣١/٢ و١١٥/٧ ، وغاية الأماني) .

وبالتالي وجود حواجز لحفظها ، ثم استعمالها عند الحاجة لها لتأمين اغتراس الحدائق والبساتين .

وبما أنه لا يوجد لدينا أي شك حول انهدام السد بعد سيل العرم المذكور في القرآن الكريم ، فيحسن بنا أن نتعرف على هذا العمل الحضاري الرائع الذي يعطي للمدنية اليمنية مركزاً قيادياً في الحضارة والتراث العالمي ، ذلك أن سد مأرب تم إنشاؤه على الأغلب في بداية القرن العاشر قبل الميلاد حوالي عام ٩٥٠ ق.م . كما سنرى ، وبما أننا لا نعلم بإنشاء أي عمل فني من هذا النوع في أي بلد آخر قبل ذلك التاريخ وحتى لمدة طويلة بعد ذلك التاريخ نستطيع القول أن اليمن كانت رائدة في هذا المجال منذ نحو ثلاثة آلاف عام ، وربما أكثر من ذلك بأكثر من ألفي عام أخرى ، لا سيما إذا أخذنا بالاعتبار المعلومات التي تناقلها الأخباريون عن إرم ذات العماد بأطراف الجوف ، وجر المياه إليها في نفق تحت الأرض .

التخلف بالنسبة للأولين

وبعد أن نطلع على تفاصيل هذا السد ، سنحكم حتماً بأن مثل هذا العمل الجبار الذي يتطلب تكنولوجيا متطورة قد سبقته أعمال أخرى عديدة ولمدة طويلة من الزمن ، لأن بناء سد بهذا الحجم والإتقان الفني ليس من الأمور التي يمكن الوصول إليها قبل مراحل وتجارب وتطورات استمرت لا شك مئات عديدة من السنين ، وها نحن اليوم وفي نهاية القرن العشرين وبعد حصولنا على جميع ما توصلت إليه الثورة الصناعية والنهضة العلمية والعمرانية في القرون الثلاثة الماضية وخاصة الوثبة التقنية المذهلة في هذا القرن ووسائلها العجيبة وآلياتها المعقدة الفعالة ومنها الحالات والحفارات الآلية الضخمة ، نقول وها نحن اليوم عندما تسمح لنا الظروف في أي بلد من بلدان العالم الثالث (والتي تضم أكثر من مئة وثلاثين عضواً في الأمم المتحدة) وتساعده تلك الظروف لبناء سد أو حتى جسر كبير أو أي مشروع تعادل أهميته أهمية السد ، نضطر للجوء إلى مرجع هندسي متخصص في إحدى دول العالم المتقدم ، لإجراء دراسة أولية لاختيار الموضع وحساب مصادر المياه وقياس كمياتها وقوة ضغطها وغير ذلك من دراسات أولية ، ثم يقرر هذا المرجع الأجنبي الفائدة من إنشاء السد وإمكانية تنفيذ مشروعه ، ثم تأتي جهة أخرى من أحد بلدان العالم المتقدم أيضاً أو البلد نفسه المتقدم الأول ، لإجراء دراسة أخرى وثانية وربما أكثر ، وجميعها تتعلق بإنشاء السد وإمكان وجدوى ذلك ، وعندما يقرر التنفيذ نرى أن البلد صاحب المشروع يطلب من المؤسسات الإنشائية المتخصصة في الخارج القيام بالأعمال المقررة من قبل الخبراء الأجانب على أنواعها ، وكثيراً ما يقتضي اللجوء إلى أكثر من مؤسسة خارجية ومنتسبه لأكثر من بلد متقدم ، وحتى الصيانة لا زلنا بحاجة إلى سوانا لتأمينها .

وهكذا نرى أنفسنا في الوقت الحاضر وبعد نحو ثلاثة آلاف سنة عاجزين عن تنفيذ مشروع مستقلين به عن خبرة الآخرين بالرغم من أن الأجنبي مستعد لبيعنا الآليات اللازمة الحديثة ، ومنها

وسائل الحمل والنقل والنقب المتقدمة ، بينما السد الذي وفقنا الله بإنجازه أخيراً بفضل قيادة حكيمة بعيدة النظر وغيورة على عز البلاد ونهضتها ، كان أبناء **اليمن** في العهد القديم والقديم جداً قد نفذوا مثله بخبرتهم وعلمهم وتكنولوجيتهم مستقلين بذلك ومنفردين . وهذه المقارنة تظهر لنا المكانة التي تمتع بها أهل **اليمن** في القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد عندما بنوا **سد مأرب** العظيم دون لجوئهم إلى أية جهة أخرى لأنه لم تكن هناك في تلك الحقبة من الزمن من يستطيع تنفيذ هذا الإنجاز الفني والعمراني والاقتصادي غير أهل **معين** وسبأ أنفسهم ، لأنهم كانوا لا شك في مركز القيادة ، وربما في مركز الاحتكار في هذا المجال كما كانوا في مجال تنظيم التجارة عبر الصحراء .

كما يمكننا التأكيد بأن تكنولوجيا بناء السدود والخزانات وما إليها كانت وقفاً على أبناء جنوب **جزيرة العرب** . وإذا كان لهذه التكنولوجيا أن تصدَّر آنذاك فإن مُصدِّرها وجب وجوباً أن يكون من أهل الخبرة الذين تفوقوا عملياً بتنفيذ مثل هذه المشاريع مما يسمح بالقول : « ها هي آثارنا تدل علينا فهل هناك من يستطيع دحضها ، ويثبت لنا أن العالم من أقصاه إلى أقصاه قد حقق عملاً متقدماً في تكنولوجيا السيطرة على المياه واستغلالها قبل نحو ثلاثة آلاف عام » . والجواب هو سلباً ، لأننا أصبحنا اليوم على علم بالحضارات العالمية الأولى بكاملها ابتداء من **الصين** ومروراً **ببلاد الفرس والرافدين والإغريق والفراعنة** وهؤلاء هم الأوائل حتماً ومع ذلك لم يعرفوا أو يحاولوا بناء السدود مع أنهم فاقوا العالم أجمع بالمباني الضخمة المدهشة ، وتقدموا في مختلف مجالات العلوم والفنون على سواهم ، ذاكرين أن مدنية **الإغريق والرومان** لم يتعرف عليها العالم إلا بعد ألفي سنة من بناء الأهرامات التي لا تزال تشكل معجزة هندسية ، مع لفت النظر إلى أن منجزات الفراعنة المدهشة كانت لتقديس الذات وتأمين خلود الحكام وإرضاء آلهتهم ، أما مدنية أهل **جنوب الجزيرة** التي ربما جاءت متأخرة عن بناء الأهرامات فإن غايتها كانت واضحة ، وهي رفع مستوى حياة الإنسان وتأمين رفاهيته ومصادر معيشته باستصلاح أراضيه وتنظيم حياته الاجتماعية وحقوقه ، كما ذكرنا ذلك تحت عنوان آخر يتعلق بالتشريع وبأخبار إرم **ذات العماد** المندثرة .

تفاصيل عن سد مأرب وتاريخه

ننقل أولاً ما جاء حول **سد مأرب** في مؤلف رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة **برينستون الأمريكية**، قائلاً :

« لقد أشار **الهمداني** في **الإكليل** إلى ثلاث قلاع **بمأرب**، ولكن البناء الذي أكسب المدينة شهرتها هو سدها العظيم **سد مأرب** .

فقد كان من عجائب الفن الهندسي ، مما ينم عن مجتمع محب للسلام عريق في الحضارة لا في الأمور التجارية وحسب ، بل في الأعمال الفنية الرائعة أيضاً . وشيدت أقسام السد القديمة في أواخر العصر السبئي الأول .

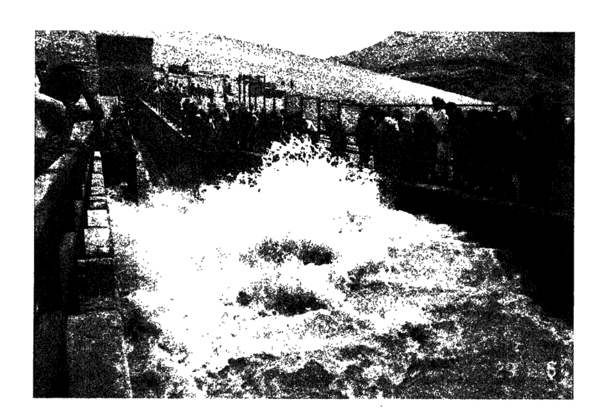
ولقد أبانت النقوش أن المقام الأول بين بناة السد ناله **يثعمر بيّن** وأبوه أسمه **علي ينوف** . وتشير هذه النقوش إلى بعض الترميات التي أجريت بعهد **شرحبيل يعفر** (٤٤٩ ـ ٤٥٠ م) و **أبرهة الحبشي** (٥٤٣ م). كما أشار **الهمداني** ومن جاء بعده من مؤرخي العرب أمثال **المسعودي** (**بمروج الذهب**) ، **وياقوت الحموي** (**بمعجم البلدان**) بأنهم يحسبون أن **بانيه** هو رجل اسمه **لقمان بن عاد** . وربما أن **لقمان** هو من رجال الأساطير .

هذا ، ونعلم الآن استناداً إلى دراسات للنقوش التي تأمّل المستشرق **جلازر** نصوصها ومعانيها أن آخر ترميم للسد حصل بعهد **أبرهة الحبشي** كما هو موضح ، ولم تحصل أية إشارة إلى السد بعد ترميمه من قبل **أبرهة** ، ويبدو أنه ما أن تمّ ترميمه حتى جاءه سيل العرِم وأتى عليه وفرّق من كانوا حوله **أيدي سبأ** .

مخطط السد

﴿ لقد كانَ لسبأٍ في مسكنهمْ آيةٌ جنتانِ عن يمينٍ وشمالٍ ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفورٌ ﴾ [سبأ ١٥/٣٤] .

إن الإشارة إلى **سد مأرب** وانهدامه في **القرآن الكريم** بالغة على أهمية هذا السد وعظمته ، وهو الذي أدى إلى وجود جنتين عن يمينه وشماله ، اندثرتا مع انهدامه وتفرق القوم بعده **أيدي سبأ** .



تدشين « سد مأرب » بنهاية عام ١٩٨٦ م .

أما هذا السد الضخم فكان مؤلفاً على ما يظهر من عدة سدود منها سد رحب أو رحيم وحبيض أو حبيضة ويعود إلى بداية عهد ملوك سبأ الملقبين بمكرب ، وقد عثر على أبنية السد كتابات تؤكد بأن عدداً من ملوك سبأ ساهموا في بنائه أو توسيعه أو ترميمه ، فعلى الصدف الأيمن منه وجدت الكتابة التالية التي لخصها لنا المستشرق مولر : « أن **يثعمر بيين بن سمة علي ينوف مكرب سبأ** خرق جبل **بلق** وبنى مصرف رحب لتصريف الري » وعلى الصدف الآخر كتابة هذا معناها « **أن سمة علي ينوف بن ذمر علي مكرب سبأ** اخترق **بلق** وبنى رحب لتسهيل الري » ويبدو أن هذا هو والد **يثعمر بيين** وكلاهما من أهل القرن الثامن قبل الميلاد .

وهكذا يمكن التأكيد من أن السد كان قائماً في القرن الثامن قبل الميلاد عندما أدخلت عليه تحسينات لتسهيل الري . لذا يقدر أن السد بني في بداية الألف الأول ق . م . أو على الأغلب في القرن التاسع بين ٨٥٠ و ٩٠٠ ق . م .

التأكد من صحة أخبار السد (الصيدلي الفرنسي أرنو)

كان **الهمداني** أول من رأى أنقاض السد (توفي بعد عام ٩٧١ م) وقد وثق العلماء من صحة رواياته وأخباره بعد مشاهدة أنقاضه التي لاتزال قائمة حتى الآن .

قال **الهمداني** : وهي (أي **سبأ**) كثيرة العجائب والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان . والغامر هو العافي وإنما عفتا كما اندحق السد فارتفع من أيدي السيول إلى أن يقول : ورأيت بناء أحد الصدفين وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحالة على أوفق ما يكون ولا يتغير إلى أن شاء الله وإنما وقع الكسر في العرم ، وقد بقي من العرم شيء مما يصل إلى الجنة اليسرى ، ويكون عرضة أسفله ١٥ ذراعاً .

وفي عام ١٨٤٣ تمكن الصيدلي الفرنسي **أرنو** من الوصول إلى **مأرب** ، **ورسم له خريطة نشرت في المجلة الآسيوية ١٨٧٤ م** ، **ثم زار مأرب** بعد **أرنو هاليفي** اليهودي الفرنسي ، **وجلازر** النساوي الذي أتيحت له الفرصة أكثر من سواه للتعرف على السد ودراسته والكتابة عنه .

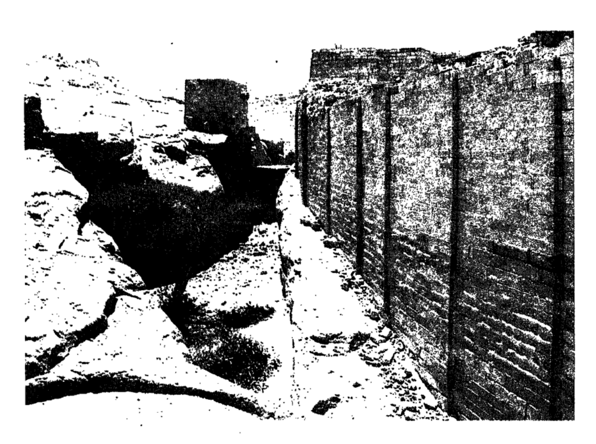
مصادر مياه السد

تقوم في الجنوب الشرقي من **صنعاء** الواجهة الشرقية من سلسلة جبال **السراة** التي تمتد أكثر من مئتي ميل ، وتتعرض إلى الأمطار الموسمية الغزيرة ، وتقع بين هذه الجبال وديان **الميزاب** الغربي الذي ينصب في وادي **مور** وسواه باتجاه **البحر الأحمر** .

وشعاب **الميزاب** الشرقي كثيرة ، وهي بلاد **خولان العالية والحدا وذمار** شرقي **يريم ورداع** ، وعند تجمع مياه هذه المناطق في **الميزاب** الشرقي وتصل إلى **وادي أذنة** على ارتفاع أكثر من ألف متر عن سطح البحر تسيل فيه إلى مكان قبل **مأرب** بأربعين كيلو متراً حيث تصل بعد ذلك إلى مضيق بين جبلين يقال لهما **جبل بلق** ، وبعد هذا الممر الضيق يتسع الوادي ويؤلف سهلاً فسيحاً مساحته نحواً من ثلاث مئة ميل مربع ، وفي طرف هذا الوادي الفسيح أي على بعد ١٢ كيلو متراً من الممر تقوم مدينة **مأرب** التي سمي باسمها .

وصف مفصل لسد مأرب التاريخي ولترميمه مراراً استناداً إلى مطالعات المستشرقين

السد عبارة عن **عرم مسنّم** يمتد من الشمال إلى الجنوب ست مئة متر ويعلو عن مستوى ممر السيل نحو ١٥ متراً وعرض **العرم** ٨٠ متراً ، وبطرف هذا **العرم** مصرفان مبنيان بناءً ضخماً حيث تنكسر حدة السيل في **العرم الكبير** لكي تخرج المياه من المصارف التي عن يمين وشمال **العرم** من فتحات يقدر عرض



مخطط السد القديم

كل فتحة بأربعة أمتار . وتسيل المياه من المصارف إلى قنوات ، ثم إلى خزانات أخرى بعيدة من السد ، ومن هذه الخزانات توزع المياه من فتحات إلى جهات متفرقة من الجنتين ، وللفتحات التي في جانبي السد مغالق من الأخشاب تلقم في البناء الكبير لتخفيف حدة مياه السيل وخروجها بالقدر المطلوب قلة وكثرة ، وقد تزال بعض الأخشاب المعترضة لمضاعفة المياه الخارجة إلى أي الجهتين ، وهذه الآثار ماتزال قائمة كأنما فرع منها أخيراً ، ولم يذهب من السد الذي هو **العرم** المواجه للسيل إلاّ الثلثان وهما المقابلان لمجرى السيل من وادي **أذنة** .

والمعتقد أن سبب خراب السد هو حدوث طوفان بمياهه على **العرم** ، وضاقت عنه المخارج القوية ، وطغى على مدينة **مأرب** المقابلة له من الشرق الشمالي فطمّها ، وقصرت أيدي أهلها إعادته .

أما الثلث الشمالي من العرم فما يزال محتفظاً بكيانه قائماً بذاته ، وتدل آثاره أنه قد بني عدة مرات في عصور مغرقة في القدم ، ودخلت عليه تحسينات في عهد **يثعمر وسمعهلي** قبل الميلاد بثلاث مئة سنة فأكثر ، ثم رمم مراراً ، وآخر ترميم حصل في زمن **الأحباش** ثم انهدم وبقي على حالته الحاضرة .

وقد عثر النقابون على نقوش بالحرف المسند وماتزال باقية إلى اليوم استدلوا منها على بنائه .

كما اطلعوا على نقوش أخرى قرؤوا منها « أن **كرب إيل بيين بن يثعمر مكرب سبأ** بنى .... » وعلى جزء آخر من السد اسم **ذمر علي ذرج مكرب سبأ** ، وفي محل آخر **يدع أيل وتار** ، وعلى السد الأيسر مما يلي الجنة اليسرى عدة نقوش بهذا المعنى ، مما يدل على أن السد لم يستأثر به ملك واحد كما هي العادة في الإنجازات الكبرى في كل زمن .

انهدام السد والنقش المتعلق بترميمه وتكاليف الترميم الأخير

أما تهدُّم السد فالعرب يقولون أنه حدث فجأة ، فتفرقت قبائل **الأزد** ومنها **الأوس والخزرج** وغيرها في **جزيرة العرب** إثر ذلك ، وعلى الأغلب إثر انفجار آخر بعد ذلك . ويؤخذ من أقوالهم أنه وقع في حوالي تاريخ الميلاد أي مع ظهور دولة **حمير** بعهد ملوك **سبأ وريدان** وانتقال عاصمة **السبئيين إلى ظفار** ، ويظهر أنه تصدّع للمرة الأولى فرمموه وظلوا خائفين ، وتحولت عنايتهم إلى **ظفار** ، وقلّ تمسكهم **بمأرب** فصاروا ينزحون بطوناً لأسباب مختلفة ومنها القحط وتبدل الطرق التجارية العالمية . وأخذت **مأرب** في التقهقر ، وكلما انفتق السد من ناحية رمموه إلى قبيل **الإسلام** فتهدم وأهملوه . ووفق **جلازر** في أثناء زيارته **لمأرب** لاكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدم السد بعد دخول **اليمن** في حوزة **الأحباش** ، أحدهما مؤرخ سنة ٤٢٠ ميلادي والآخر سنة ٤٥٠ ميلادي ، وهما من أهم ما وقفوا عليه من آثار تلك الدولة لما فيها من الإشارات التاريخية والاجتماعية والعلاقات السياسية ، أحدهما كتبه **أبرهة الحبشي** عام ٥٤٣ ميلادي وهذه خلاصته :

« بحول (بقوة) الرحمن الرحيم ومسيحه الروح القدس أن **أبرهة عزيز الأحباش الأكسوميين ملك أراحميس ذابِيَمّن ملك سبأ ذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في نجد وتهامة** ، قد نقش هذا الأثر تذكاراً لتغلبه على **يزيد بن كبشة** عاملة ، الذي كان ولاه **كندة وذي رعينه قايدا** ، ومعه **أقيال سبأ الصحاريين** وهم **مرة وثمامة وحنش ومرثد وخنفر ذو خليل واليزنيون أقيال معدي كرب بن السميفع وهعّان** وإخوته أبناء **الأسلم** ، فأنفذ الملك إليه الجراح **ذا زنبور** فقتله يزيد وهدم قصر **كدور** ، وحشد من أطاعه من **كندة وحريب وحضرموت** ، وفر **هجان الذمار** إلى **عبران** . وبلغ الملك الاستصراخ ، فنهض بجنده **الأحباش والحميريين** ألوفاً في شهر **ذو القياط** من سنة ٦٥٧ من تاريخ **اليمن** ، نزل أودية **سبأ** فجأة **يزيد** وبايع وخضع للملك **بيين** يدي القواد ، وهم في ذلك جاءهم النبأ بتهدم السد الحايك والحوض والمصرف في شهر **المذرج** سنة ٦٥٧ ، فأمر بالعفو وبعث إلى القبائل بإنفاذ الحجارة للأساس ، والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب لترميم السد في **مأرب** ، فتوجه **أولاً** إلى مأرب صلى في كنيستها ، ثم عمد إلى الترميم ، فنبشوا الأنقاض حتى وصلوا إلى الصخر وبنوا عليه .

وعلم وهو في ذلك أن القبائل تضايقت من العمل ، ورأى أن إعدامهم يعود بالضرر ، فعفا عنهم أحباشهم وحميرهم وأذن بانصرافهم . ورجع الملك إلى **مأرب** بعد أن عقد تحالفاً مع الأقيال الآتي ذكرهم **أكسوم ذي معاهر بن الملك ، ومر جزف ذو ذرناح وعادل ذو فايش ، وأذوأ شولمان وسفيان ورعين وهمدان والكلاع**) إلخ ..».

وجاء إليه وفد **النجاشي** ووفد ملك **الروم** ورسول من **المنذر** وآخر من **الحارث بن جبلة** ، وآخرون جاؤوا بعون **الرحمن** ، يخطبون مودته في آخر شهر داوان ، وبعثوا إليه من غلة أراضيهم لترميم ما تصدع من البناء ، فرمموه ووسعوه حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعاً وارتفاعه ٣٥ ذراعاً .

وإذا صح هذا الخبر المدون فيصبح بنظرنا أول مناسبة حضارية يجتمع فيها أهل الحل والعقد من **العرب** على مستوى رفيع قبل الإسلام .

ثم ذكر ما أنفق فيه من الحجارة ومن الأطعمة للعمال والحيوانات ، واستغرق العمل أحد عشر شهراً و١٨ يوماً ، وكان الفراغ منه في شهر ذو معان ٦٥٨ ، وهذه السنة تعادل في حسابات **الحميّريين** سنة ٥٤٣ للميلاد ، لأنهم كانوا يبدؤون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد .

وقد حقق الدكتور **فخري** في كتابه **اليمن ، ماضيها وحاضرها** ما أنفق في سبيل العمل مما جاء في هذا النقش كما يلي : ٥٠٨٠٦ كيساً من الدقيق ، ٢٦ ألف حمل من البلح ، وثلاثة آلاف ثور وجمل ومئتا ألف وسبعة آلاف رأس من الغنم لتغذية العمال . وهذه النفقات تساوي نصف مليون جنيه استرليني في العصر الحاضر تقريباً وفقاً لتقدير الدكتور **أحمد فخري** .

وقد ذكر **الويسي** في كتابه حوالي عام ١٩٥٥ أنه رأى هذا النقش في عمود ملقى على ظهر جبل منقسم إلى قطعتين ومعرض لعبث العابثين به .

ونختم هذا الشرح والوصف المفصل **لسد مأرب** بما كتبه العلامة **جواد علي** في مؤلفه القيّم : **تاريخ العرب قبل الإسلام** : أن هذه الأعمال الهندسية التي قام بها هذان **المكرّبان** للإستفادة من مياه الأمطار هي من أهم المشروعات العالمية التي ظهرت في ذلك الحين ، إنها ثورة في عالم الهندسة والتفكير ، مكنت الإنسان من الاستفادة من الطبيعة ، وقد ظل هذا المشروع قروناً عدة مصدر خير ورفاهية **لليمن** ، ولسنا نجد في التاريخ القديم سوى ممالك قليلة فكرت في مثل هذه المشاريع الإنشائية للتحكم في الطبيعة للاستفادة منها في خدمة الإنسان . لقد حول هذا السد منطقة **أذنة إلى** جنان ترى آثارها حتى الآن ، إنها مثل حي يرينا قدرة الإنسان على الإبداع متى شاء واستعمل عقله وسخر يده ، وليست هذه القصص والحكايات التي دونها لنا الأخباريون باطلاً . إنها صدى ذلك

العمل العربي الكبير . إن جنـان **أذنـة** وجنـان وادي **الخـارد** في **الجوف** ، جنـان **المعينيين** مفخرة من مفاخر العالم القديم .

اجتهاد حول جر المياه بحفر نفق تحت الأرض بعهد عاد وثمود

ونضيف هنا اجتهـادنـا الشخصي وهو أن الأولين في عهـد **عـاد وثمود** كانوا قـد حصروا الميـاه التي تخرج من شرقي **اليمن** ليسوقوها في نفق أو أكثر إلى واحة أو واحات في **الأحقاف** وأطراف **الربع الخالي** حيث كان تشييد مدينة **إرم ذات العماد** كما سنرى تحت العنوان المخصص لهذا الموضوع ، علمـاً بـأن بعض الأخباريين يعيدون تشييد السد إلى أحد أبناء **عاد** وهو **شداد بن عاد** .

اليمن في العهد الاسلامي
واليمنيون في ركب الاسلام

- خلفيات الكفاءة العربية التي سخرها الله سبحانه وتعالى للمساهمة بنشر الرسالة السماوية .
- اليمنيون في العهد الإسلامي .
- نوع حكم اليمن في العهد الإسلامي .
- المستشرقون واليمن .
- التعرف على الآثار والتراث اليمني ومصيره .
- المخطوطات .

خلفيات الكفاءة العربية التي سخرها الله سبحانه وتعالى للمساهمة بنشر الرسالة السماوية

عرب الشمال وعرب الجنوب

سنرى لاحقاً أنه في عهد إمبراطورية **تدمر** وقبلها وبعدها كانت هناك مملكة اللخميين **بنو المنذر** في **الحيرة** ، التي تزامنت معها وربما سبقتها في تكوين نفسها كمملكة ، إذ إن **الحيرة** لم تكن **كتدمر** واحة ومحطة للتجارة العالمية ، بل كانت منطقة واقعة غربي الفرات وسهوله الفسيحة المعروفة بخصوبة أرضها والملايين العديدة من شجر النخيل التي تنمو حول **الفرات** ، وخاصة في **الجنوب وشط العرب** .

وإن تهدمت **مملكة تدمر** التي دكها إمبراطور روما **أورليانوس** بعد أن كانت قد استولت على ما يقرب من نصف إمبراطورية الرومان في نهاية القرن الثالث للميلاد ، فإن مصير **الحيرة** لم يكن كذلك كما رأينا ، حيث استمرت إلى العهد الإسلامي وانضوت تحت رايته .

وكذلك كانت الحال لمملكة عربية يمنية متقدمة وصلنا الكثير من أخبارها وآدابها ومنجزاتها في جميع المجالات وهي مملكة **بني غسان** المتأخرة نسبياً . ويبدو أن هؤلاء اليمنيين هم العرب الذين قال فيهم الخليفة **عمر** رضي الله عنه : « إنهم أصل العرب ومادة الإسلام » .

أما العلامة المؤرخ **فيليب حتّي** فقد ذكر بمؤلفه القيّم حول الانتساب العربي ما مفاده : أن العرب ينقسمون إلى جماعتين تمايز الواحدة عن الأخرى :

عرب الشمال فيعيشون في **نجد والحجاز** ، وأما عرب الجنوب فأكثرهم من الحضر يقطنون **اليمن وحضرموت** وما جاورهما من السواحل .

ولغة الشمال هي لغة القرآن الكريم ، أما أهل الجنوب فقد كانت لهم لغة سامية قديمة .. هذا كما نعلم أن سكان **المهرة** وهي إحدى محافظات الشطر الجنوبي من **اليمن** تتكلم حتى يومنا هذا لغة أهل الجنوب السامية القديمة ، مما يؤيد نظريتنا من أن **العرب البائدة** لم يُبادوا نهائياً ، لكنهم انتشروا في أنحاء **الجزيرة العربية** وتفرقوا (أيدي سبأ) ، لكن بعضهم حافظ على أمكنته ومساكنه القديمة في أطراف الجنوب الشرقي ، واستمر باستعمال لغته القديمة التي لم تندثر ، بخلاف ما حصل للغات القديمة الأخرى إن في **بلاد ما بين النهرين وفارس ، أو في وادي النيل** .

ذروة المدنية وحضارة وطنية راقية

كما أفادنا أيضاً رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة **برنستون** أن عرب الشمال على الغالب **مستطيلو الأقحاف** ، أما بنو الجنوب فستديروها عموماً . كما يقول : « وقد سبق عرب الجنوب إخوانهم من أهل الشمال في بلوغ ذروة المدنية ، فأنشؤوا حضارة وطنية راقية » .

ثم يفيدنا العلامة المذكور بأن **العرب** يقسمون أنفسهم إلى قسمين : العرب البائدة ومنهم **عاد وثمود** . وثانياً العرب الباقية . ثم يقسم النسّابون العرب الباقية إلى دوحتين : العرب العرباء أو العاربة وهم أهل **اليمن** أو **بنو قحطان** وهم سكان البلاد الأصليون ، والعرب المستعربة وهم **الحجازيون والنجديون والأنباط وأهل تدمر** وينتسبون إلى سلالة **عدنان** وهو من سلالة **إسماعيل** عليه السلام .

ذكر معين قبل سبأ وسواها وصلتها بشمال الجزيرة حتى العقبة

ذكر المؤرخ الروماني **بليني** (٧٩ م) بمؤلفه المتعلق (بطبيعة التاريخ) واجتهاداته حول ذلك والمعلومات التي وصلت إليه عن طريق الإغريق الذين سبقوه بمئات السنين ، أن **اليمن** (العربية السعيدة) كانت تضم عدة دول أو تسميات لعدة دول أولها **معين** وكذلك **قتبان وسبأ وحضرموت وأوسان** .

وحدد هذا المؤرخ مواطن **معين** بجوار **حضرموت** ، وأنهم يسيطرون على طريق البخور التي تمر بمضيق في الوديان بتلك المناطق .

وقال إن أهل **معين** وهي التي تعرَّف عليها **هاليفي بوادي الجوف** ، كانوا أكثر أقوام تلك البلدان عدداً وأخصبهم أرضاً **بلاد الجوف** ، وأغناهم نخلاً وأكثرهم امتلاكاً للأراضي وللمواشي ، وقد امتدت سلطتهم لتشمل **نجران** (نجرانا) ، وتمتد إلى شمال بلاد **العرب** وحتى **العقبة** وميناءها **إيلات** ، وهو مما يفسّر اتساع تجارتهم عبر الصحراء .

جرجي زيدان : (أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم)

وقد تمكن العلامة **جرجي زيدان** بعد تعرفه على ما اكتشفه المستشرقون ، وبعد اطّلاعه على ما ذكره المؤرخون العرب ، وخاصة **ياقوت والمسعودي والهمداني** ، حيث يفيدنا إلى القول بأن **الهمداني** توصل إلى الاستنتاج التالي :

« أهل **اليمن** حضر من أقدم أزمانهم ، فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهياكل وأثاث ورياش ،

لبسوا الخز وافترشوا الحرير ، واقتنوا آنية الذهب والفضة ، واغترسوا الحدائق والبساتين » ، وفقاً لما سبقت الإشارة إلى ذلك .

كما قال **أغاترسيدس** اليوناني :

« **وللسبئيين** في منازلهم ما يفوق التصديق من الآنية والأوعية على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب ، وعندهم الأسرَّة والموائد من الفضة والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها .

قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المزينة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف مرصعة بالجواهر ، ويبذلون في تزيين قصورهم أموالاً طائلة ، لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة » .

الحضارة اليمنية القديمة ثم مساهمتها في مرحلة الفتوحات بتنظيم الإمبراطورية الإسلامية

يبدو من كل ما تقدم ، بأن **اليمن** كانت بلاد مدن عظيمة وحضارة عالية الشأن . فسكانها رجال تجارة وصناعة وتعدين وزراعة وعمران وفنّ وأعمال إنشائية ، يملكون الأساطيل ويعرفون أسرار الملاحة ، ويؤسسون المراكز التجارية والممالك البعيدة ، فهم أهل حضر وأصحاب محافد وقصور ، وألقاب ملوكهم تستند إلى ممتلكاتهم المتحضرة .وعندما انضم أهل البادية الذين كانوا يسمُّون أعراباً أصبح يضاف إلى ألقابهم التي كانت : ملك **سبأ** ثم أصبحت ملك **سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات** إلى أن صار يضاف إليها وأعرابهم في **النجاد وتهامة (طودم وتهامة)** ، ويظهر أن المراد بكلمة **أعرابهم** هو القبائل الرحل التي تتجول في المناطق الداخلية والساحلية .

ورأينا كيف أن **اليونان والرومان** الذين اتصلوا **باليمنيين** قد أدهشتهم ثروتهم الطائلة وما هم عليه من مدنية ورخاء ، حيث قال عنهم المؤرخ اليوناني **أغاثرسيدس** : « **للسبئيين** في منازلهم ما يفوق التصديق ، من الآنية والأوعية على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب ، وعندهم الأسرة والموائد من الفضة ، والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها ، قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المزينة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف الذهب مرصعة بالجوهر ، والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة » .

وهكذا يتبين لنا بأن عصر الجاهلية الذي سبق العهد الإسلامي في بلاد العرب ، لم يكن عصر جهل وتأخر بالمعنى البدائي المفهوم ، لذا فإننا نقرّ التفسير الذي أورده العلامة الدكتور **حتّي** التالي :

« تفسّر كلمة الجاهلية بعصر الجهل والهمجية ، ولكنها في الحقيقة تعني تلك الفترة التي كانت فيها **الجزيرة العربية** خالية من أي قانون أو نبي موحى إليه أو كتاب منزّل » .

كما تحسن الإشارة هنا إلى مؤلف الدكتور **نيكولايس رودوكناكيس** تحت عنوان : (تاريخ العرب القديم) الذي استعرض فيه ماامكنته النقوش من التعرف عليه في النواحي الإدارية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ، التي كان أبناء **جنوب الجزيرة** يتعاملون على أساسها ومفاهيمها ، وهي شرائع وأنظمة وفنون إنشائية ومفاهيم دينية وفلسفية ، مما يشكل مجموعة ثقافية ومدنية قائمة بذاتها ، انتقلت مع أبناء الجنوب إلى سائر أنحاء البلدان المجاورة منها شرقي إفريقيا **كالصومال وأريتريا** وخاصة بلاد **أكسوم** .

وإننا نعيد من يرغب بالتعمق في بحث هذه المدنية إلى مؤلفات الدكتور **جواد علي** الموسوعية « العرب قبل الإسلام » وإلى ماكتبه وشرحه **نيكولاوس** المذكور ، وهو على وعي عميق في التحليل والتعليل والتفسير ، مما يحملنا على الاقتناع بأن الدور الذي لعبه أهل **جنوب جزيرة العرب** قد ساهم بقسط وافر في تقديم الخدمات ، ووضع لبنة أو أكثر في مبنى الحضارة العالمية ، كما ساعد على تفهم المدنية الإسلامية المستندة إلى التعاليم السماوية للتجاور ، وتقضي على عصر الجاهلية الذي لا يستند إلى كتاب منزّل ونبي موحى إليه وأركان ثابتة سامية .

أغلب المتحضرين كانوا من جنوب الجزيرة أو انتسبوا إليها

جاء نور الهدى برسالة سماوية تنظم حياة البشر وحكمهم ، وتضع لذلك الشرائع العادلة التي من شأنها حماية الحقوق وتحديد الواجبات ، مما يتفق مع متطلبات الحضارة والمدنية .

ولما كانت ـ بنظرنا ـ **الأوس والخزرج** ، وهم من سلالة **اليمنيين الأزد** الذين سبق لهم أن تمتعوا طويلاً في الجاهلية بنعمة الحضارة والتشريع والمدنية السبئية العريقة ، وجدوا برسالة سيّد المرسلين ضالتهم المنشودة وآمنوا بها وبتفوقها ، فأسرعوا بمناصرته وكانوا (الأنصار) كما نعلم .

وكما نعلم أيضاً ، بأن **اليمن** كان أول قطر يسرع لاعتناق الدين الحنيف وينضوي تحت لوائه ، مما يفسر بأن درجة الحضارة التي كان أبناؤه قد وصلوا إليها بعد آلاف السنين من الحياة المنظمة ، ومنها ممارسة التجارة بين الأقطار والدول جعلتهم يتفهمون بسرعة مدى أهمية رسالة النّبي العربي ﷺ ويؤمنون برسالته وبالشريعة الإسلامية السمحاء دون تردد .

وهل يمكن أن ننسى بأن **قريش** وهي أشرف قبائل **العرب** كانت حضرية تمارس التجارة على

نطاق واسع ، وأن سيّد المرسلين صلوات الله عليه رافق عمه **أبا طالب في رحلة تجارية إلى بلاد الشام** ، وأن زوجة النّبي ﷺ **خديجة** سيدة المؤمنين هي قرشية أيضاً كانت صاحبة تجارة ومال وافر .

وجاء في كتب الأحاديث الشريفة :

وصلت إلى سيد المرسلين وفود القبائل **اليمنية** من **الهضبة وتهامة ومن حضرموت ومن بلاد مأرب والجوف** وقد عبّر النّبي ﷺ عما يظنه فيهم فقال :

« أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة » .

« الإيمان يمان والحكمة يمانية » .

كما نعلم أن **الأعراب** كانوا قبل الإسلام من غير أهل الحضارة .

ويبدو أن المتحضرين لم يكونوا معتبرين من الأعراب الرحل غير المقيدين بأنظمة وشرائع كإخوانهم من أهل الحضارة والشرائع والأنظمة الاجتماعية المعتمدة ، إلى أن انضم الأعراب إلى لواء الإسلام وشريعته السماوية ، ليسيروا بعد ذلك في ركاب أهل الحضارة والدين الحنيف ، ولينتسبوا فيما بعد إلى المدنية الإسلامية وشرائعها التي ضمنت للجميع المساواة بالمعاملة والحقوق . وقوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة ٩/٩٩] ، صدق الله العظيم .

أما الذين عاد نسبهم إلى **اليمن** ولعبوا دوراً قيادياً حاسماً في المرحلة الأولى من تاريخ التوسع الإسلامي فهم عديدون ، ومنهم على سبيل المثال الناصر المنتصر **أبو موسى الأشعري** . ولا بدّ أنهم كانوا من طينة متفوقة ، سبق لها أن قدرت أهمية الشرائع وضرورة احترامها لتنظيم الحياة الاجتماعية من جميع وجوهها ، وظل الأمر كذلك إلى أن وحّد الله المسلمين ولم يميّز أحداً على آخر إلا بالتقوى .

اجتهاد الدكتور أحمد فخري :

ومن الأمانة أن نعيد تسجيل ما كتبه الأستاذ العلاّمة الدكتور **أحمد فخري** في مؤلفه القيّم (اليمن ماضيها وحاضرها) ، حيث كتب حول هذا الموضوع :

« أصبح لزاماً علينا أن ندرس بإمعان هذه الحياة الاجتماعية في **جنوبي الجزيرة** ، وندرس أيضاً ما كان سائداً فيها من أديان وآداب ، لأن هذه الحضارة وتلك الآراء والتقاليد هي التي كوّنت عقلية ونفسية **العرب** قبل أن ينتشر بينهم الإسلام . ولن يستطيع مؤرخ منصف أن يقول من الميسور لأي باحث أن يوفي هذا الدين الجديد ، وهذا النّبي العربي ﷺ ، وهذا الشعب الذي كوّن إمبراطوريته العظيمة في زمن قصير ، لا يمكن للباحث أن يوفي ذلك كله حقه إذا لم يلم بما كان في **بلاد العرب** من

ديانات وتقاليد وحضارة قبل ظهور الإسلام ، بل إنه من الواجب علينا لكي ندرس حياة النّبي العربي الكريم ﷺ ونقف على مواطن القوة والعظمة في خلقه وفي دعوته ، أن نلم بشيء عن الحياة الاجتماعية والدينية التي نشأ فيها وتفتحت عليها عيناه قبل رسالته الكريمة .

ولهذا فإن دراسة تاريخ وآثار بلاد العرب قبل الإسلام ليست دراسة عادية لبلد من البلاد ، بل إن هذه الدراسة كبيرة الأهمية لا للعرب فقط بل لجميع المسلمين في العالم »[1] .

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض النقوش التي عثر عليها بين آثار **صرواح** ، والتي تعود إلى **يدع إيل ذريح بن سمهو علي** مكرب سبأ ، حيث أن أحد هذه النقوش التي تمتد إلى أكثر من ١٢ متراً على الأعمدة ، تشكل مرسوماً ملكياً ينظم أمور البلاد ويحدد الضرائب ويشرح أنواع الحياة العامة وشرائعها ، ومنها الأحكام والطقوس الدينية الوثنية ، وغير ذلك مما يؤكد وجود حياة مقيدة بأنظمة ومدنية معتمدة إلى الشرائع ، ومنها تقسيم المواطنين إلى طبقات . ونذكر هنا أن **صرواح** كانت عاصمة سبأ الأولى قبل انتقال العاصمة إلى **مأرب** . ويعود الفضل للتعرف على مثل هذه النقوش إلى المستشرق (**رودوكاناكيس** RHODOKANAKIS) وإلى ما كتبه عن ذلك **نلسون** تحت عنوان آثار **بلاد العرب** في العصور القديمة .

---

(١) فخري (د . أحمد) : اليمن ماضيها وحاضرها .

حضارات الجاهلية وانصهارها في بوتقة الإسلام

نأمل أن يؤدي ماسبق من استعراضنا لحضارات **اليمن** الأولى ليتلاقى كل مفكر مع الاجتهاد الذي توصل إليه من سبقنا ، وهو أن الله عزّ وجلّ هيأ لدعوة سيّد المرسلين ﷺ قوماً من ذوي الحضارة ، إن في **مكة المكرمة** أو **المدينة المنورة** أو من **بلاد اليمن** ، سواء أكانوا أعراباً من أهل البادية أو حضراً من سكان المدن ، وكان عليه الصلاة والسلام نبيّاً عربياً منهم ، حيث أسرعوا لمناصرته ، وساهموا برفع راية الدين الحنيف ، بعد أن آمنوا واهتدوا واستوعبوا شرائعه ، ليصبحوا الدعامة الأولى للإمبراطورية الإسلامية الناشئة ، تجمعهم لأول مرة عقيدة سماوية واحدة ، مما رفع مكانة حضارة أهل الجاهلية إلى مرتبة المدنية الإسلامية العالمية المكانة والمفاهيم والأركان .

ثم انصهرت حضارات عرب الجاهلية في بوتقة الشرائع السماوية السمحاء مع حضارات الأمم والشعوب التي دخلت الإسلام ، لتشكل بوتقة الإسلام مدنية عالمية مستقلة هي المدنية الإسلامية المتميزة بشرائعها ، التي تنظم حياة البشر من جميع وجوهها ، مما أعطى هذه المدنية مسحة بارزة ومجتمعاً مستقلاً ، له خصائصه وثقافته الظاهرة التي اتصف بها المؤمنون ، حيثما وجدوا في كل مكان وزمان ، ذلك أن الإسلام دنيا ودين .

اليمنيون في العهد الإسلامي وجذورهم العميقة في القدم

كانت **اليمن** عند ظهور الإسلام قد خسرت الشيء الكثير من مكانتها السابقة ، وذلك بعد أن اضمحلت تجارتها العالمية ، وانشغل **الحميريون** بالقتال والفتوحات ، خاصة حروبهم مع **الأحباش** ، الذين سيطروا على **اليمن** عقب الخلافات الدينية التي قامت بين الوثنية والنصرانية واليهودية ، ثم تدخل **الفرس** . وما انهدام **سد مأرب** الأخير في هذه الفترة قبيل ظهور الإسلام وهجرة القبائل اليمنية وتفرقها **أيدي سبأ** إلا الدليل على فقدان الاستقرار واضطراب الأحوال . ويمكننا اعتبار الانهدام الأخير للسدّ كرمز لانهدام الحضارة **اليمنية** القديمة الرائعة ، مما أدى أيضاً إلى انهيار السدود العديدة الأخرى والمنشآت الزراعية والصناعية وغيرها من الإنجازات التي كانت قائمة في فترة الازدهار الطويلة ، التي قد تعود بداياتها إلى ما يقرب من ألفي سنة قبل الميلاد ، وربما إلى أكثر من ذلك بكثير ، إذا أضفنا إلى حضارة **اليمن** القديمة حضارة **عاد وثمود** ، وهم أيضاً كانوا من المشرق اليمني ، قبل

أن تطمر مـواطنهم الرمـال ، وفقاً لما وصلنـا عن بعض الأخبـاريين ، وهم الـذين نعتـوهم **بـالعرب البائدة** ، بينما هم بنظرنا زبدة ماسمي **بالعرب الباقية** .

كما يمكننا أن نتصور بسهولة المأساة التي كان يعيشها **اليمني** في المرحلة التي غلب فيهـا على أمره في العهد **الحبشي والفارسي** قبيل الدعوة السماوية ، وخاصة بعـد انتفـاضـة **سيف بن ذي يزن** وفشلهـا ، والتي لاتزال أخبارها تؤثر في النفوس اليمنية ، وأيضاً في سائر الأقطار العربية إلى أيامنا هذه .

وهكذا عندما قام النّبي العربي ﷺ بـدعوتـه السماويـة ، فرّج الكرب عن صـدر **اليمنيين** ، وكان أول من ناصره قبيلتي **الأوس والْخَزْرج** من الأزد اليانيين ، وهم من الـذين نزحوا إلى **المدينـة المنورة** بعد حادثـة **سيل العرِم** ، ثم أصبحوا يعرفون **بـالأنصـار** . ونـذكر هنـا أن **الغسـاسنـة** الـذين نـاصروا الـدولـة الإسلاميـة في مرحلـة لاحقـة ، ينتسبون أيضـاً إلى قبـائل **الأزد** اليمنيـة ، كما سنرى في الفصل المتعلق بدولة **بني غسان** .

وقد أشاد النّبي ﷺ **باليمنيين** بمناسبات عـديـدة . ومن أقوالـه عليـه الصلاة والسلام التي يسرنـا إعادة التذكير بها :

« الإيمـان يمـان ، والحكمـة يمـانيـة ، وإني لأجـد نفس الرحمن من صـوب اليمن » . كما جـاء في الأحاديث الشريفة أنه وصلت سيّد المرسلين ﷺ وفود من القبائل **اليمنيـة** من **الهضبـة وتهـامـة** ومن **حضرموت وبلاد مأرب والجوف** ، وقد عبَّر النّبي ﷺ عما يظنه فيهم ، وهو مانشرناه في بدايـة هـذا العنوان .

هذا وإننا سنأتي لاحقاً على مـاذكره **ابن خلـدون** عن وفـد **الأزد** لمبـايعـة سيّـد المرسلين ﷺ ، ونصرة أهل **اليمن** للـدين الحنيف ، حيث قـال عنهم سيِّـد المرسلين : « كادوا من بـلاغتهم أن يكـونـوا أنبياء » .

بداية دخول اليمن في الإسلام

وما جاء العـام السـادس للهجرة حتى وصل الإمـام **علي بن أبي طـالب** رضي الله عنـه مبعوثـاً من النبي ﷺ **إلى نجران وهمدان** ، فأسلم أهلها ثم تبع **علياً** رضوان الله عليـه عـدد من المبعوثين إلى مختلف المنـاطق اليمنيـة ، التي أسرعت جميعهـا لاعتنـاق الـدين الحنيف ومبـايعـة رسول الله ﷺ . وفي هـذه المرحلة تم بناء المسجدين اللذين لا يزالان قائمين في **اليمن** ، وهما مسجد **صنعاء** الكبير ، ومسجد **الجند** في **اليمن** الأوسط بمدينة **الجند** التاريخية .

ومع سير **اليمن** في ركب الإسلام انضوت قوى العرب المتمـدنين ذوي الحضـارة العريقـة تحت لـواء

الدين الجديد ، وأصبحت **اليمن** سنداً لهذا الدين السماوي الحنيف ، ودرعاً عظيم الأثر في انتشار الإسلام وتنظيم أمور المسلمين وإمبراطوريتهم الشاسعة ، بفضل خبرتهم الواسعة التي أكسبتهم إياها سياسياً ممالكهم الزاهرة السالفة ، أو حربياً ممالك **حمير** القريبة العهد . لذا يمكننا القول أن سير **اليمن** في ركب الإسلام منذ فجره ، أعطى لقافلة الدين الحنيف قوة ومنعة ، إذ أضاف إلى زخم العقيدة والإرادة الإلهية عنصر الخبرة والمعرفة الحضرية ، والنظام الحربي الذي كان متبعاً في دولة **حميّر** وما سبقها ، ومعلوماً من إخوانهم الصاعدين معهم إلى بلاد **الروم** ، مضافاً إلى ذلك معرفتهم وخبرتهم بالملاحة التي كانت مجهولة تماماً من أهل البادية ، شاهداً على ذلك ما كتبه الخليفة **عمر** رضي الله عنه إلى **عمرو بن العاص** وهو في **مصر** « لا تجعل بيني وبينك ماء ، وانزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتي وأصير إليكم فعلت » .

ونفهم من أوثق المراجع أنه ما جاء عهد **أبي بكر** بعد وفاة الرسول ﷺ حتى وصل إليه من **اليمن** واحد وعشرون ألفاً من المجاهدين ، ألّفوا الركيزة الأولى لجيوش الإسلام المنظمة ، وقد وجه **أبو بكر** نصف هذا الجيش إلى **العراق** ، والنصف الآخر إلى **الشام** . كما تؤكد المراجع أن غالبية الجيش الذي رافق **عمرو بن العاص** في فتح **مصر** كانت من أهل اليمن ، وأن كثيراً منهم استقروا في **الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا** . ذلك أنه عندما تمت انتصارات **المسلمين** الأولى اتجهت أنظار جميع **اليمانيين** ، وهم الذين اعتادوا الأسفار الحربية منذ الفتوحات الإقليمية بعهد **الحميريين** . إلى البلدان الخاضعة للإسلام لنشر الرسالة السمحاء ، وللاشتراك بالغنائم ، ولمتابعة المساهمة في الفتوحات والأعمال التنظيمية لها ، وكذلك إنشاء الممالك في مختلف الأنحاء ، وكانوا قبل الإسلام قد أسسوا لهم قواعد ارتكاز أو مراكز استقلال اقتصادي بعضها في **تدمر** ، بأطراف بلاد الروم التي حولوها فيما بعد إلى مملكة **زاهرة** ، قويت واتسعت لتصبح بدورها إمبراطورية فاتحة ، كما أسسوا دولة **بني غسان** في **حوران وشرقي الأردن** ، وغيرها في **العراق** على يد **بني لخم** ومن سبقهم إلى بلاد **الحيرة** وسائر أنحاء بلاد **ما بين النهرين** ، ومنهم **بنو تميم وبنو مضر** ، وكذلك في **نجد** على يد **بني كندة** ، كما رأينا في الفصول الأخرى ، وكذلك المنتسبون إلى **قضاعة** الذين شادوا مملكة **الحضر** بشمال **العراق** .

وإذا استعرضنا سيرة عباقرة **المسلمين** في صدر الإسلام ، لوجدنا صلة وثيقة بين عباقرة **الحجاز** ونوابغ **اليمن** ، مع خبرتهم الحضارية ، ثم كان من حسن طالع **بني أمية** أن يستند خلفاء **دمشق** إلى خبرة **اليمني** في الحرب والأعمال الإدارية ، وكذلك في النشاط الزراعي والصناعي ، أيضاً في الملاحة وقيادة الأساطيل التي تصدت لأساطيل الروم وانتصرت عليها . وقد اعترف بهذا الواقع المؤرخ **جرجي زيدان** حين قال في مؤلفه القيّم **التمدن الإسلامي** : « إن أكتاف **اليمانية** هي التي رفعت عرش

الدولة الأموية » . ذاكرين أن بعض القبائل اليمنية انقسمت على نفسها عندما انشطرت مملكة الإسلام .

وبالرغم من ذلك فلم يمنع استناد **الأمويين** على **اليمانية** من استمرار الخلاف بين **القيسيين واليمنيين** قروناً عديدة ، ولم يحصل هذا الخلاف لاعتبارات مذهبية بل لانتسابات قبلية موروثة ، ولم تنته هذه الخلافات والحروب في **سورية ولبنان** إلاّ في القرن الماضي .

تأثير التوسع الإسلامي على اليمن وانتشار اليمنيين على مختلف الأقطار العربية

من الواضح أن **اليمن** التي أسرعت باعتناق الإسلام وتوحدت إدارتها في القرنين الأولين للإسلام ، بخضوعها لعمال **الخلفاء الراشدين** ، ثم لعمال **الأمويين** ، لم تجن خيراً كبيراً من تلك الوحدة ، ولم تستعد شيئاً من ازدهارها ومجدها السابقين . وتفسيرنا لذلك ؛ هو أن الإمبراطورية الإسلامية التي امتدت حدودها بسرعة خيالية إلى أطراف الدنيا المعمورة ، كانت بأشد الحاجة إلى أبنائها **العرب** أصحاب الكفاءة في مختلف الميادين . ولما كان ابن **اليمن** من أكثر **العرب** خبرة ورغبة في الاغتراب ، ومعرفةً للشعوب المجاورة ، وربما للغاتها ، فمن البديهي أن تكون العناصر الطموحة من أبناء **اليمن** هي التي رافقت الانتصارات الإسلامية ، واستوطنت مناطقها الزاهرة الغنية ، واحتكرت تجارتها الواسعة ، واستثمرت أراضيها ، وهي التي بنت الأساطيل وقادتها إلى النصر . ذلك أن أهل البادية يعتزون بقولهم أنهم **أهل البعير** ، ولا يذكرون بأنهم **أهل الشراع** ، لكن أبناء الجنوب بخلاف أهل البادية كانوا **كالفينيقيين** في الشمال بناة للسفن ، ومستفيدين من تسيير الأساطيل ، بقصد التجارة وحمايتها .

وبعد أن استقرت الدولة الأموية ، وازداد استناد **بني أمية إلى اليمنيين** أكثر من سواهم ، حصلت إحدى مشاكل الانقسامات الداخلية للإمبراطورية الإسلامية التي أشرنا إليها سابقاً ، ثم عادت الخلافات العربية الموروثة التي لم يتمكن انتشار الإسلام من القضاء عليها نهائياً ، والتي شجع وجودها حصول استيلاء **بني أمية** على الخلافة .

ولا شك لدينا أن الممالك التي تعود جذورها إلى **اليمن** ، هي التي سبق أن انتشرت في شمال الجزيرة ، وكانت على درجة واسعة من الرقي وحسن التنظيم . ومن هذه الممالك التي سبقت الإشارة إليها : **مملكة تدمر** التي تحولت لإمبراطورية وممالك **بنو غسان في سورية ، وبنو المنذر في العراق** ، كذلك **كندة في نجد** ، وكانت تنتسب هذه الممالك إلى قبائل **يمنية** هاجرت بعد تهدم السد عقب **سيل العرم** ، أو في مراحل أخرى سابقة لانفجار السد الأخير ، وربما لأسباب متعددة غير انفجار السد ، لأن هذا العنصر بمفرده لا يفسّر الهجرات . ذلك أن نسبة المتضررين من انفجار السد تظل قليلة إذا ما قورنت بكامل السكان . ويظهر أن الهجرات الأولى المعروفة يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد ، ذلك أن السد لم ينهدم نهائياً إلا قبيل الإسلام ، وكان **أبرهة الحبشي** قد رمم السد

قبيل انهدامه الأخير ، كما رأينا في الفصل الخاص بتاريخ **اليمن** قبل **الإسلام** . ويجب ألا ننسى إمبراطورية **أذينة والزباء بتدمر** التي كانت متصلة مع **اللخميين** ، ومنهم **بنو المنذر** . وقد توصل النسابون وفقاً لما تعرف عليه العلاّمة **جرجي زيدان** إلى أن **اليمنيين** الذين هاجروا في أواسط القرن الثاني للميلاد ، أي قبل عهد **أبرهة** بثلاثة قرون ، تفرقوا على النحو التالي : **الغساسنة** وقد استقروا في **بلاد الشام** ، والمناذرة في **العراق** ، **والأوس** في **المدينة المنورة** ، **والأزد في منى** ، **وخزاعة** بجوار **مكة المكرمة** ، وقد علمنا من مصادر أخرى ، أن **قضاعة** في شمال **العراق** ، وهم من قبائل **طيء** **اليمنية الكلبية** ، التي كانت مساكنها أولاً جنوبي وشرقي **العراق** .

ونسترسل بالتفسير ، معتبرين أنه ربما عاد سبب استناد **الأمويين** المناصب القيادية ، بصورة خاصة ، إلى **اليمنيين** الذين كانوا قد وصلوا حديثاً من **اليمن** ، أو الذين كانوا قد استوطنوا الممالك المجاورة **للشام** في القرون السابقة ، هي حاجة **بنو أمية** للاعتماد على غير **الهاشميين** ومؤيديهم ، وكذلك استغلالهم للخلافات الموروثة بين القبائل ، لتدعيم سلطانهم في **دمشق** ، كذلك لمعرفة **بني أمية** ، وهم الذين اتصفوا بالحنكة مع إتقان **اليمنيين** لأصول القتال بواسطة جيوش منظمة ، وهي غير التي كانت متبعة في مرحلة الغزو التقليدي في البادية ، والمعتمدة بشكل خاص على **الإقدام** والشجاعة وعنصر المباغتة .

ويحسن بنا أن نذكر بهذه المناسبة بعض أسماء الأسر اليمنية المشهورة التي استقرت في شمال الجزيرة ، وحافظت على أنسابها ، ومنهم الأمراء المعنيين ، وأشهرهم الأمير **فخر الدين** الذي استولى على **سورية ولبنان** قبل انتقام **العثمانيين** منه لاستقلاله عن سلطتهم ، ومنهم أيضاً : **بنو عاملة** ، وهم سكان **جبل عامل** في جنوب **لبنان** ، وآل **أرسلان** وآل **علم الدين** وآل **أبي اللمع** في **جبل لبنان** ، **وبنو الثعل** في **عريش مصر** ، **وجزام بمصر** ، **وعرب بني صخر والجبارات بشرقي الأردن وفلسطين** ، ومن **المسيحيين** المنتسبين إلى **الغساسنة آل المعلوف والغريزات وعطية ونادر** . كما أن أغلبية اللاجئين تاريخياً إلى **جبال لبنان وجبال العلويين بسورية** الطبيعية يعيدون أنسابهم للقبائل **اليمنية** التي سبق لها أن سكنت في العمق السوري أو في **الحيرة** ، أو حتى بشمال **العراق** .

وفي منطقة **تلكخ** ، **الدنادشة آل الشريف وآل الغنام** وهم في وادي **خالد** بشمال **لبنان** ، كما يعيد قبائل سهل **البقاع** أنسابهم إلى أهل **الحيرة** ، أو إلى أهل **تدمر** ، وهم **الكلبيون** ، ولا تزال تقاليدهم القبلية متبعة إلى يومنا هذا . وكذلك في **حمص** وجوارها حيث تنتسب أغلب الأسر العريقة إلى القبائل **اليمنية** . وفي ضواحي **دمشق** توجد قرى زراعية يعود أصل كامل سكانها إلى أسر يمنية ، ولا يزال البعض يحتفظون بتفاصيل تاريخهم وحسبهم ونسبهم الذي يعود غالباً **لآل غسان** .

كما أن أغلبية اللاجئين تاريخياً إلى جبال **لبنان** وجبال **العلويين بسوريا** الطبيعية يعيدون

أنسابهم للقبائل **اليمنية** التي سبق لها أن نزحت عن الجنوب واستقرت إما في **الحيرة** أو حتى **بأواسط الجزيرة** أو حتى **بشمال العراق** حيث ازدهرت مملكة الحضر .

أما الأسر والقبائل التي استوطنت شمالي **إفريقيا** ، أو التي كانت قد استقرت في **الأندلس** **وصقلية** وعادت إلى شمال **إفريقيا** فعديدة جداً ، وتستحق دراسة خاصة .

لذا يمكننا القول : إن **اليمني** الذي ساهم بالتفرقة وعانى من عواقبها ، يظل من أحق **العرب** بالدعوة إلى الوحدة العربية الشاملة ، استناداً إلى مفهوم عنصري قومي بدأ انتشاره قبل الإسلام ، ثم كان الإسلام عاملاً في توسيع رقعة انتشاره ، ومن اليسير علينا أن نلاحظ واقع انتشار اللغة الفصحى ولهجاتها ، وقد انحصرت ضمن الإمبراطورية الإسلامية على البلدان التي كان العنصر السامي العربي منتشراً فيها منذ العهد الفينيقي ثم النبطي والآرامي ، وكذلك فإن الموجات الأخيرة التي صعدت من الجنوب في القرن الثاني ، ثم بعد انهدام السد بآخر مراحل ترميمه قبيل الدعوة السماوية هي من العنصر نفسه **العربي الباقي** ، مع الملاحظة أنه لم تنتشر اللغة العربية لدى الشعوب الإسلامية التي لم تكن من سلالات غير سامية عربية ، مع أن تمسك الشعوب الأخرى بالإسلام لم يكن بأقل مما عليه تمسك **العرب** بالدين الحنيف ، وهذا الواقع لا يزال ملموساً حتى أيامنا هذه .

اليمانيون الذين اشتهروا في العهد الإسلامي

وقبل أن نقفل هذا الفصل رأينا من الواجب أن نذكر تفصيلاً بعض من تعرفنا عليهم من أعلام العرب المنتسبين **لليمن** ، ونخص أولاً بالذكر نسبة لأهل السيف والإدارة ، الأسماء التالية :

معاوية بن حديج المعافري الحميري

أخبرنا **الطبري وابن الأثير** بأنه انطلق على رأس جيش من الفرسان والرجال من منطقته وحاضرتها آنذاك مدينة **الجَنَد** بأواسط جنوب **اليمن** ليساهم بفتوحات **الشام** ، كما ساهم بفتح **الإسكندرية** ، ثم تابع تقدمه غربي **مصر** باتجاه **قرطاجنة** ، حيث احتل هذه العاصمة التاريخية **(تونس حالياً)** ، ثم عاد إلى **مصر** ليتولى إمارة **بلاد النيل** ، مع ما سبق له أن احتله من **إفريقيا** ، وكان أول من خطط مدينة **القيروان** ، وقد توفاه الله عام ٦٠ هجرياً .

وكذلك لمع اسم **السمح بن مالك الخولاني** الذي لعب دوراً رئيسياً في **الأندلس** ، وهو الذي نقل دار الإمارة من **إشبيلية إلى قرطبة** .

وكان **السمح الأمير** الرابع من سلالة الأمراء **الهمدانيين** ، وفي عهده تصدى له أمير يمني آخر هو **يوسف بن عبد الرحمن الفهري** (من ذرية **عقبة الفهري** الذي حكم **القيروان** ٧٤٦ م) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القتال بين **قيسي ويمني** اشتد بعهد هذين الأميرين اليمنيين ، عندما

تزعم الأول الفريق **اليماني** ، وتزعم الآخر الفريق **المضري القيسي** ، إلى أن تم الاتفاق على أن تكون الإمارة **بقرطبة** سنة لفريق وسنة للفريق الآخر .

أما بالنسبة لأهل العلم والقلم فنخص بالذكر :

جابر بن حيان المتوفى عام ٧٤٦ م

ويعود نسبه إلى قبيلة **الأزد** ، وقد زها في **الكوفة** ، واعتبر أكبر وأعظم علماء الكيمياء في العصور الوسطى ، كما لقبه الغربيون بأبي الكيمياء العربية . ومن مآثر كتاباته الثابتة أبحاثه في التكليس ، وإرجاع المعدن إلى أصله بالأوكسجين ، كما حسَّن أساليب التبخر والصهر والتبلور ، وقد نقلت كتبه التي جاوزت المئة إلى اللغات الأوربية في عصر النهضة الغربية .

هشام الكلبي الكوفي ت عام ٨١٩ م

حرر (١٢٩) مؤلفاً تحتوي على نقل أخبار الجاهلية ، ولم يصلنا منها سوى ثلاثة إحداها كتاب **الأصنام** ، نشر في **القاهرة** عام ١٩١٤ م .

الحسن بن أحمد الهمداني

الحسن بن أحمد الهمداني ، مؤلف **الإكليل ووصف جزيرة العرب** وغير ذلك ، والمتوفى بعد عام ٣٦٠ هـ/٩٧١ م .

أبو العلاء المعري ٩٧٣-١٠٥٧ م

ولد في **معرة النعمان** . وهو من قبيلة **تنوخ اليمانية** ، التي سبق أن زهت في **الحيرة** ، وقد اعتبر فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة حيث اتخذ العقل وحده هادياً له .

كما نذكر اثنين من العباقرة المنتسبين إلى **اليمن** :

الأمير رَوْح بن زنباع الجزامي

الذي قال عنه **عبد الملك بن مروان** « جمع روح طاعة **الشام** ، ودهاء **العراق** ، وفقه **أهل الحجاز** » .

عبد الرحمن عمرو الأوزاعي

صاحب المذهب الذي يحمل اسمه . ولد في **بعلبك** ٧٠٧ م . وتوفي في **بيروت** عام ٧٧٤ م . وقد دفن في جنوب **بيروت** في المكان المسمى **بالأوزاعي** ، حيث يوجد للإمام مقام ومسجد ، وقد عمل

أهل الشام بمذهب الإمام **الأوزاعي** أكثر من مئتي سنة ، وكان أمره **بالشام** أعزّ من أمر السلطان .

الكندي : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي

ولد في **الكوفة** في منتصف القرن التاسع ، وزها اسمه في **بغداد** ، حيث أكسبه أيضاً نسبه العربي الصريح لقبائل **كندة** من أهل الجنوب . وقد لقب بفيلسوف العرب لسعة علمه واطلاعه ، وله بين كتبه العديدة (٣٦١) مؤلفاً ، ومنها مصنف فريد في علم البصريات ، حيث جمع فيه بين الآراء الفلسفية والهندسة ، وله رسائل في الموسيقى هي أيضاً فريدة من نوعها . وعلمنا أن **الفارابي** نقل عن **الكندي** نظرياته وأبحاثه وجدد بها ، كما أضاف إليها الطب والتنجيم ، ثم تلاه **ابن سينا** أبو علم الطب والفلسفة .

أبو الطيب : أحمد بن حسين الملقب بـ(المتنبي) ٩٠٥-٩٦٥ م

أشهر شاعر عند **العرب** . وقولهم عنه : أما شعره فهو في النهاية (ترك **سيف الدولة** ولبى دعوة **كافور** ثم انقلب على **كافور**) .

الحمدانيون

بنو حمدان من **الشيعة** في شمال **سورية** ، وهم الذين نافسوا **الأخشيدية بمصر** ، وينتسب **الحمدانيون** إلى **حمدان بن حمدون** من قبيلة **تغلب** الحجازية ، وأصبح **سيف الدولة** أشهرهم ٩٤٤-٩٦٧ م . بفضل أشعار **المتنبي** ، وكان **التغلبيون** ينسبون أنفسهم إلى **الأزد** .

عبيد بن شرية اليماني (ت ٦٧ هـ/٦٨٦ م)

لقد جاء **بالأغاني** أنه كان **لمعاوية** ولع بالأشعار والنوادر وقصص الرواة والتاريخ والأخبار القديمة ، لاسيما أخبار **جنوبي الجزيرة** . وقد استدعى **عُبيد بن شرية** من **اليمن** ، وهو من **الأخباريين** القدماء ، ليقص عليه أخبار الأبطال الغابرين من أهل الجنوب .

اليمنيون قادة الأساطيل في فجر الإسلام

كتب الخليفة **عمر بن الخطاب** إلى **عمرو بن العاص** وهو في **مصر** ماسجلناه سابقاً :

« لا تجعل بيني وبينك ماء ، وانزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتي وأصير إليكم فعلت » .

كما أن الخليفة **عثمان** لم يسمح **لمعاوية** بغزو **قبرص** إلاّ بعد أن يركب البحر ومعه امرأته ، لتخوفه من أن تكون حملة **معاوية** مغامرة وحسب .

ومع ذلك استولى **العرب** على جزيرة **قبرص** عام ٦٤٩ ، وفي عام ٦٥٢ انهزم الأسطول البيزنطي قبالة **الإسكندرية** ، وعام ٦٥٥ بعث **معاوية جنّادة بن أبي أمية الأزدي** لغزو **جزيرة رودس** ، ثم كان الفتك بأسطول بيزنطي مؤلف من ٥٠٠ مركب بالقرب من شواطئ **فينيسيا** .

كيف يمكن تفسير سيطرة **العرب** على البحر بهذه السرعة إن لم يكن لديهم من يحسن الملاحة لقيادة الأساطيل ، التي لا شك أنها كانت من صناعة **سورية ومصرية** وأغلب ملاحيها من بلدان تلك البلاد .

وسنفرد عنواناً خاصاً بالملاحة وصناعة السفن في المحيط الهندي منذ فجر التاريخ على يد أهل **الجنوب العربي** ، وذلك نظراً لأهمية الدور الذي لابد وقد لعبته الملاحة في **المحيط الهندي** منذ القدم أولاً ، لتأمين الحصول على السلع النادرة مما أهلّهم لقيادة أساطيل الإسلام في **بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)** بالتعاون مع ملاحي **سورية** الطبيعية **ومصر** كما ذكرنا ، وذلك بعد انضوائها تحت لواء ناشري الدعوة السماوية والمناضلين في سبيل إعزازها .

اليمنيون بالأندلس وصقلية
وبالأرض الكبيرة = إيطاليا وفرنسا

اليمنيون أمراء بالأندلس
ثم ملوكاً بـ« صقلية » وبـ« الأرض الكبيرة = جنوب إيطاليا وفرنسا »

من الثابت أن أول أمير تولى الحكم في **إشبيلية** كان **عبد العزيز بن موسى بن نصير** وهو يماني النسب ، وقد قتل عام ٧١٦ م ثم نقل خلفه بالإمارة **السمح بن مالك الخولاني** ـ نسبة **لخولان في اليمن** ـ دار الإمارة إلى **قرطبة** ، وهو الذي أعاد بناء الجسر في **قرطبة** على النهر الكبير ، كما أمر بمسح البلاد ، وأحدث نظاماً للضرائب ، ثم تمكن الأمير **عبد الرحمن** حفيد **هشام بن عبد الملك** الذي كان قد نجا بنفسه من مذابح **العباسيين** في **بلاد الشام** باحتلال مركز مرموق في **بلاد الأندلس** ، وأصبح من كبار القادة **العرب** فيها حيث لقب **بصقر قريش وبعبد الرحمن الداخل** . وقد واجه هذا الأمير المتاعب التي كان **المسلمون** يعانون منها ، وهي الخلافات التقليدية بين **بني مضر واليمانيين** ، ولكنه تمكن من التغلب عليها ، وكذلك على الخلافات التي نشأت بين **العرب والبربر** ، وكان الحكم في **الأندلس** ٧٥٥ م لما وصل **عبد الرحمن** حفيد **هشام** لبلاد **الأندلس** معقوداً لأحد **المضريين** وهو **يوسف بن أحمد عبد الرحمن الفهري** . ونظراً لكراهية **السوريين** وخاصة أهل **حمص ليوسف المضري** سرعان ما انضموا إلى **عبد الرحمن الأموي** ، وكذلك أهل **دمشق وقنسرين** ، فانضم هؤلاء إلى **اليمانية** الذين كانوا دائماً من أنصار **بني أمية** . ولما وقعت الحرب بين **يوسف الفهري أمير قرطبة** الشرعي وهو مضري ، وبين الأمير **عبد الرحمن** الطامع باحتلال **قرطبة** تقدم يوسف المضري إلى **إشبيلية** وحقق أمنيته .

هذا كما يفيدنا العلامة **حتّي** أن **بني عباد** أصحاب **إشبيلية بالأندلس** (١٠٢٣ ـ ١٠٩١) أرجعوا نسبهم إلى ملوك **الحيرة اللخميين** .

أبو الصباح اليحصبي

وهنا لعب **اليمنيون** دوراً تاريخياً حاسماً في بلاد **الأندلس** حيث كانت **إشبيلية** بأيدي **اليمانيين** ، وقبل نشوب المعركة التي كان قد أعد لها الطرفان كل إمكاناتها الهائلة ، آنذاك خرج زعيم اليمانية **أبو الصباح يحي اليحصبي** (نسبة لبلاد **يحصب في جنوب اليمن**) ، ورفع عليها راية خضراء معلناً

تأييده **لعبد الرحمن** ، وهكذا تمت الغلبة للأمير **عبد الرحمن** ثم احتلاله **لقرطبة** بفضل **اليحصبي** ، كما أصبحت الراية الخضراء التي حملها **أبو الصياح** لتأييد **عبد الرحمن** راية **الأندلس** .

لكن انتصار الأمير الأموي ودخوله ظافراً **إشبيلية** ثم **قرطبة** لم يضع حداً للفتن التي كانت قائمة والتي أضرمها **العباسيون** في صفوف **اليمانية** أنفسهم ، الذين انقسموا إلى سنّة وشيعة .

كما أن الزعيم اليماني **أبو الصباح اليحصبي** صاحب **إشبيلية** وحامل الراية الخضراء انقلب على **عبد الرحمن** ثم قُتل في الثورة التي قام بها ضد الأمير الأموي الظافر .

بنو نصر ، بنو الأحمر

قامت دولة **بني نصر بالأندلس** بين عامي ١٢٣٢ و ١٤٩٢ م . أي لمدة تزيد على قرنين ونصف . ويرجع أصل **محمد بن يوسف بن نصر** مؤسس هذه الدولة الزاهرة إلى قبيلة **الخزرج** ، وهي التي تنتسب بدورها لقبائل **الأزد** . وكما نعلم أن قبيلة **بني الأحمر** المعروفة إلى يومنا هذا في شرقي **اليمن** ، وهي من قبائل **حاشد** التي تنتمي أيضاً إلى الأزد وإلى **شداد بن عاد** كما سنرى بمكان آخر . كما نعلم أن دولة **بني نصر** هذه سميت بدولة **بني الأحمر** . واتخذ **محمد بن الأحمر** (١٢٣٢ ـ ١٢٧٣ م) لقب **الغالب** وجعل **غرناطة** مقراً لحكمه .

غرناطة

أصبحت **غرناطة** بعهد **بني الأحمر** من أشهر المدن في العالم وقد شبهوها **بدمشق** . وتقول المراجع العربية وسواها ، وأهمها **لسان الدين بن الخطيب** المتوفى ١٣٧٤ م . وصفاً رائعاً لما كانت عليه هذه العاصمة والجنات التي كانت تحيط بها من ازدهار ومجد .

حسن استغلال المياه بالأندلس

ذكر العديد من المراجع التي اهتمت بدراسة **الأندلس** في عهدها العربي أن **العرب** اختطوا فيها السواقي وحفروا الآبار وتلقوا مياه الجبال المتساقطة في صهاريج ضخمة بلغت مساحة بعضها خمسة كيلو مترات مربعة ، تختزن المياه لوقت الحاجة ، حيث تخرج في قنوات متعددة توزعها على الحقول ، كما عمروا مرتفعات وسفوح الجبال في أمكنة لم يكن أحد يظن أنه بالإمكان زراعتها لشدة جفافها شبه الدائم .

ونحن نرى يد اليمني وخبرته في هذا المجال ، واعتبارها الجهة الوحيدة التي كانت تتقن هذا النوع من الإنجازات التي رافقت اليمني منذ أكثر من ألف عام قبل الميلاد ، وهي التقنية التي سيطر عليها دون سواه ، كما رأينا ذلك في باب آخر من هذا الكتاب .

ومن هنا فلا نغالي إذا اعتبرنا الفضل في ازدهار الزراعة ببلاد **الأندلس** يعود إلى **اليمنيين** أحفاد **سبأ** ، الذين سبق لهم أيضاً أن حولوا العمق **السوري** إلى جنات خضراء في عهد **الأنباط** ومن جاء بعدهم من **بني سليح وغسان** في الحقبة الرومانية وماقبلها .

وعندما زار مؤلف هذا الكتاب **غرناطة** عام ١٩٥٨ م . كانت الحكومة الإسبانية آنذاك قد أعلنت عن تخطيطها لمشاريع إصلاحية في سهول **غرناطة** لتعيدها ، كما ذكرت ، إلى ما كانت عليه تلك السهول والبساتين في أيام مجد **غرناطة** العريق بعهد **بني الأحمر** .

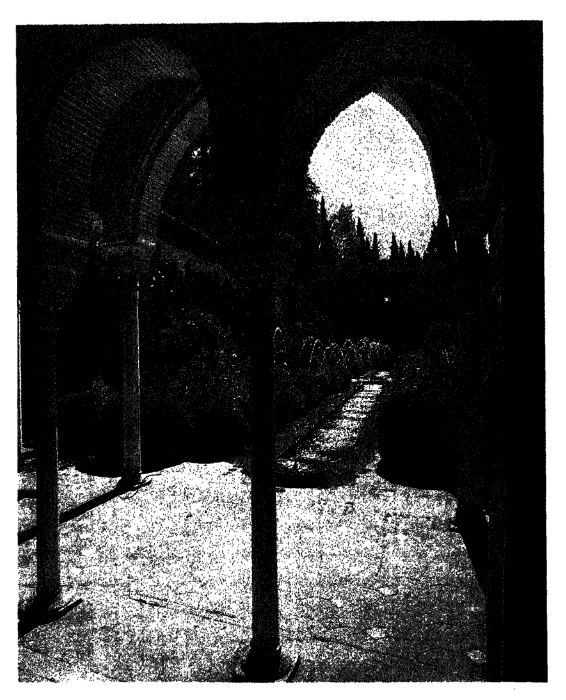
الكلبيون بعد الأندلس أنشؤوا مملكة صقلية في أوربا ووصلوا إلى حدود النمسا

لعب **بنو كلب** دوراً هاماً في عهد الإمبراطورية الإسلامية في المشرق على يد الخلفاء **الأمويين** الذين تزاوجوا من **بني كلب** ، ونذكّر مجدداً بهذا الصدد مادوّنه المؤرخ **جرجي زيدان** في مؤلفه **التمدن الإسلامي** قائلاً : « إن أكتاف **اليمانية** هي التي رفعت عرش الدولة الأموية » . ثم تعرفنا على قبيلة **بني كلب** اليمنية في جميع مراحل التوسع الإسلامي ، وخاصة في **شمال إفريقيا** حيث توجد حالياً بالقرب من مدينة **تونس** مدينة أخرى اسمها **الكلبية** نسبة لهؤلاء القوم . ولمدينة **الكلبية** هذه تاريخ مسجل في الحروب التي واجهها **المسلمون بشمال إفريقيا** مع **الإسبان** ، حيث تمكن **الإسبان** من احتلالها ثلاث مرات ، كما تمكن **المسلمون** من استعادتها وإعادة بنائها بعد كل مرة ، وهي لا تزال قائمة بالقرب من العاصمة **تونس** .

أما أخبار **الكلبيين** في **الأندلس** فعديدة ، إنما الحدث التاريخي الأهم بالنسبة لأبناء هذه القبيلة هو وصول زعامتها إلى الملك في جزيرة **صقلية** ، وتشييد مملكة زاهرة لا زالت أخبارها وآثارها باهرة وظاهرة كما سنرى لاحقاً .

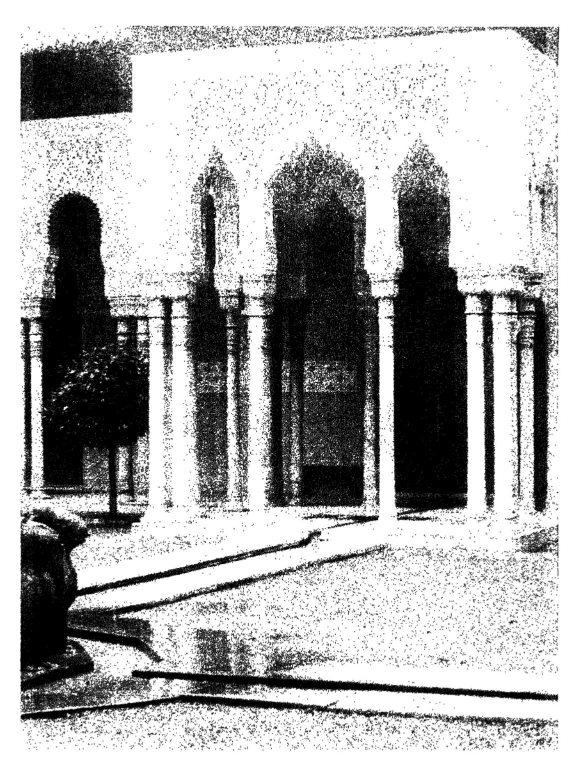
وقبل التحدث عن استقلال **الكلبيين في صقلية** ، لابد لنا من ذكر بعض الأسماء والمواقع **بالأندلس** التي تذكر **اليمنيين** ببلادهم ومنها قلعة **همدان في قرطبة** ، **ويحصب في إشبيلية** ، **وخولان في غرناطة** . والتي تذكرنا أيضاً **باليمنيين** في جوهرة الإمبراطورية الأموية . ومن أسماء مشاهير **اليمانيين : عبد الرحمن الغافقي** اليماني أحد أبطال الفتح الإسلامي ، **والسمح بن مالك الخولاني** مؤسس إمارة **قرطبة** (٧١٦ م) .

وكنا قد ذكرنا في مكان آخر ما كانت عليه مكانة **أبو الصباح يحي اليحصبي** ، ورفع رايته الخضراء التي ساعدت **عبد الرحمن الفاتح** على احتلال **قرطبة** (٧٥٦ م) .



قصر الحمراء

روعة فن العمارة وزخرفتها في غرناطة عندما كانت عاصمة لبني الأحمر الذين أعادوا أنسابهم إلى قبيلة الأزد اليمنية . ولنا أن نتساءل هل ينتسب مشايخ آل الأحمر الذين يقيمون الآن في أعالي وادي الجوف شرقي اليمن أيضاً إلى قبيلة الأزد التي انتسب إليها بنو غسان في بلاد الشام والكلبيون أمراء صقلية . كما انتسبَ إلى الأزد قبيلتا الأوس والخزرج أنصار سيد المرسلين ﷺ . (راجع ما نقلناه عن القبائل اليمنية صفحة ...) .



الفن المعماري بعهد (بني الأحمر) بالأندلس

الكلبيون في صقلية

كان **العرب** قد احتلوا أحد موانئ جزيرة **صقلية** في عهدها البيزنطي عام ٦٥٢ م . بعد أن تمكنوا سابقاً من تدمير أسطول الإمبراطور **قسطنطين** بالقرب من **قبرص** في **البحر المتوسط** ، ولم يدم احتلالهم آنذاك طويلاً . لكن هذا الحدث سمح بالتعرف على ميناء **سرقوسة** التاريخي والاستيلاء على كنوزه وخيراته الكثيرة .

وبعد قيام دولة **الأغالبة** وهي نسبة **لإبراهيم بن الأغلب** الذي عقد له **هارون الرشيد** عام ٨٠٠ م . على **إفريقيا الصغرى** . أي **تونس** يومنا هذا ، استقل **الأغالبة** بهذه المقاطعة وجعلوا **القيروان** عاصمة لهم ، وأصبحت **القيروان** في **جنوب تونس** تعتبر وريثة **لقارطاجنة** ، التي كان قد درسها **الرومان** قبل الميلاد كما هو مشهور ، وهو ما ذكرناه بمكان آخر عن الحروب **البونية** التي تنافست فيها **قارطاجنة** أو **قرطاج** مع **روما** في السيطرة على بلدان **البحر المتوسط** ، وحيث وصل القائد الفينيقي **هانيبال** إلى شمال **روما** ، بعد احتلاله **لإسبانيا** و**فرنسا** ، واجتيازه **جبال الألب** ترافق جيوشه مجموعة من الفيلة الجبارة التي أرهب بها الإمبراطورية الرومانية .

ودام حكم **الأغالبة** **لتونس** حتى عام ٩٠٩ م . أي ما يزيد على قرن كامل ، مما مكنهم من نشر سيادتهم على منطقة واسعة من بلاد غربي **البحر المتوسط** ، ومنها جزيرة **صقلية** ذات السهول الخصبة والجبال المشجرة والمدن والموانئ الزاهرة ، ومنها مدينة **باليرمو** عاصمتهم الحالية (**بَلَرمُ** عند **العرب**) .

وبعد احتلال **صقلية** من قبل **الأغالبة** ، انتصر **الفاطميون** على **الأغالبة** وطردوهم من **القيروان** ، ثم استعمل **المنصور** الخليفة الفاطمي على **صقلية** (**جوهرة البحر المتوسط**) وموانئها المنيعة الأمير **الحسن بن علي بن الحسين الكلبي** (المتوفى ٩٦٥ م) ، فأقر هذا العاهل اليمني النسب السلم في هذه الجزيرة الغنية ، وأنشأ فيها مُلكاً مستقلاً ثابت الأركان ، ثم وسع سلطانه على المناطق الإيطالية المجاورة ، فازدهرت في **صقلية** العلوم والثقافة العربية الواصلة إليها من **الأندلس** ، وارتفعت هذه المملكة **الكلبية** إلى أوج مجدها بعهد أحد كبار الزعماء **العرب** المحبين للآداب والعلوم والفنون ، وهو **أبو الفتح يوسف بن عبد الله الكلبي** (٩٨٩-٩٩٨ م) .

وتتفق جميع المراجع على حصول ازدهار الحضارة في **صقلية** بهذه المرحلة من تاريخها الطويل ، حيث عاش ملوك صقلية (**الأمراء الكلبيون**) عيشة مماثلة لأهل **الأندلس** ، اتصفت بالترف والرخاء

إلى جانب الفن والأدب والعلوم ، حيث أنشؤوا المجالس الراقية ، وأصبحت هذه المملكة على جانب عظيم من الرقي والتمدن ، وفقاً لما وصفه لنا الرحالة **ابن حوقل** ٩٤٣-٩٧٧ ، إن مدينة **بَلرَم** عاصمة هذا الأمير زاهرة تحتوي على ثلاث مئة مسجد ومئة وخمسين حانوتاً للقصابين . وقد ذكر لنا العلامة **حتّي** مايلي : « وعاش الأمراء **الكلبيون** عيشة الترف والرخاء في قصورهم الأنيقة ، وأنشؤوا المجالس الراقية في مدينتهم العامرة » .

واستمر حكم **الكلبيين** لبارم (**باليرمو** اليوم) حتى عام ١٠٧١ ، عندما استولى عليها **النورمانديون** الذين جاؤوا من **شمال أوربا** على سفنهم الكبيرة المدهشة ، ولم يتم استيلاء **النورمانديين** على كامل الجزيرة حتى عام ١٠٩١ .

الحضارة العربية في صقلية

لم يعمل **النورمانديون** للقضاء على الحضارة في **صقلية** ، وكانوا مقاتلين ليس لهم من الثقافة والعلوم والفنون شيئاً ، إنما هم من بناة السفن الكبيرة المعروفة باسمهم **سفن الفايكنز** ، ومن أشد المحاربين إقداماً وأكبرهم جثّةً ، مما يساعدهم على استعمال الأسلحة الثقيلة الوزن والسيوف الطويلة وغيرها من وسائل القتال الفعّالة .

ولما استتب الأمر لهؤلاء **النورمانديين** وجدوا أنفسهم بحاجة إلى علوم وفنون وإدارة **الكلبيين** المثقفين ، فلجؤوا إليهم في هذا المجال تماماً بنظرنا كما فعل أهل **الحجاز** عندما استولوا على **بلاد الشام** ، ووجدوا فيها من سبقهم في هذه المجالات ، وهم **الغساسنة وبنو لخم** اليانيون المتحضرون آنذاك أكثر من سواهم ، أو من كان منحدراً من **الأنباط** ذوي الحضارة الراقية ، وهي التي كانت قد وصلت إلى الشمال عن الطريق الغربية الشمالية للتجارة السبئية العالمية منذ القدم كما رأينا .

لما وصل القائد النورماندي **روجير الأول** إلى الحكم المطلق بالجزيرة (توفي ١١٠١ م) ، أي بعد سقوط كامل الجزيرة بيده من يد **الكلبيين** بثلاث سنوات ، وكان قد ذهل من روعة البناء ومدى التقدم الثقافي والعلمي لأهل الجزيرة العربية ، فاستعان بتلامذة عهد **الكلبيين** للحفاظ على ما تبقى من تراثهم الحضاري ، وهكذا عاد له الفضل التاريخي بحماية العلوم والفنون التي كانت قد ترعرعت قرابة قرنين (٨٠٠ - ١٠٩١) قبل احتلال **النورمانديين** لها .

وتفيد المراجع وما تؤكده بقايا القصور والمعالم العمرانية ومنها الكنائس المزخرفة على الطراز العربي ، والمزينة بالكتابات العربية بالخط الكوفي المنمق ، أن حضارة **صقلية** في عهد **النورمانديين** النصارى ظلت عربية ، وكذلك بقيت التجارة والزراعة بأيدي **العرب** المسلمين الذين احترمهم **النورمانديون** وسمحوا لهم باستمرار ممارسة عقيدتهم الدينية .

وما ازدهار الزراعة ووسائلها وعلومها إن في **الأندلس** أو في **صقلية** سوى الدليل على أن عرب الجنوب اليانيين هم الذين أدخلوها إليها . ذلك أنهم كانوا متفوقين في المجال الحضاري منذ آلاف السنين ، ولهم باع كبير في حضارتها منذ عهد **المعنيين والسبئيين** وعلى الأغلب قبل ذلك بكثير ، ومن علامات تلك الحضارة ـ وهو ما ذكرناه ـ من حسن استعمال الري وحفظ المياه واستغلالها وتشييد المباني حتى في القرى . وجاء قوله تعالى بالنسبة **لأهل سبأ** الذين انحدر منهم **الكلبيون** :

﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ [سبأ ١٨/٣٤] . صدق الله العظيم .

هذا ما أوضح أن الحضارة الريفية الزراعية كانت معروفة منذ القديم حيث كانت قراهم مباركة ظاهرة وآمنة ليل نهار .

ويفيدنا الخبراء أن **العرب** (**الكلبيين**) ومن إليهم أدخلوا إلى **صقلية والأندلس** قصب السكر والقطن (العطب) والزيتون وغير ذلك من الزراعة .

وكانت **صقلية** لا تزال تتمتع بما تركه **العرب** فيها من خير وحضارة وما وصلت إليه في مجال الزراعة والحرف ، عندما زارها عام ١١٨٤ **ابن جبير** الذي أشار بنوع خاص إلى أغراس الكرمة وغيرها من الأشجار المنصوبة في صفوف متناسقة .

ويوجد لدى المختصين بجمع النقود والمسكوكات القديمة نقود من عهد الملك النورماندي **روجير الثاني** سُكَّ عليها نقش عربي ويعود تاريخها إلى عام ١١٣٨ م . أي بعد جلاء الحكم الكلبي العربي نهائياً عنها بأكثر من أربعين عاماً .

المستشرقة **هونكه** تسجلّ تقديرها لما عرفته عن أعمال **العرب** في **صقلية** .

أما المستشرقة **سيجريد هونكه** فكانت أكثر إيضاحاً لأعمال **الكلبيين** في **صقلية** حيث قالت :

« لقد حولوا خرائب **صقلية** إلى حدائق غناء ، واستوردوا لها من بلادهم أشجار النخيل ، وزرعوا فيها أشجار البرتقال والفستق والمر والموز والزعفران وكذلك القطن وقصب السكر ، وأصبحت بلداً يزخر بالخيرات ، وزينوها بالمساجد ، وكذلك بالقصور الرائعة التي كانت تعج بالشعراء والمغنين والفلاسفة والأطباء وعلماء الرياضة والطبيعة » .

ولم ينس أهل **صقلية أرض الوطن** كما سموها بعد رحيلهم عنها على يد **النورمانديين** حيث قال شاعرهم **ابن حميدس** واصفاً حنينه إليها بأكثر من قصيدة رائعة ، ومنها قوله :

ذكرت **صقلية** والأسى ... يهيج للنفس تذكارها

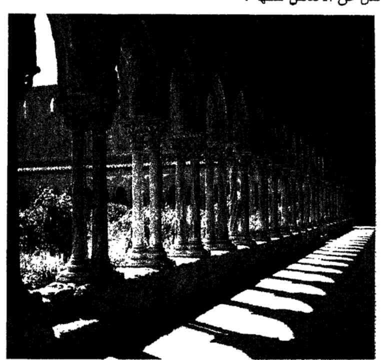
فإن كنت قد أُخرجت من جنة ... فإني أحدث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البكاء ... حسبت دموعي أنهارها

وقد علمنا من العديد من الشهود والمصادر والأدلة الملموسة والآثار أنه ظل كثير من الصناع المسلمين ورجال الفن يمارسون صناعتهم في **صقلية وجنوبي إيطاليا** إلى ما بعد تحول الملك فيها إلى حكومة مسيحية ، كما تشهد بذلك أشكال الفسيفساء والنقوش في **دير البلاتين** PALATINA ، وكان معمل الحياكة المشهور الذي أنشأه **الكلبيون** يجهز العائلات الملكية في **أوربا** بالملابس الرسمية وقد طرزت عليها الكتابات العربية ، واستمد صناع الأنسجة الأول في **إيطاليا** فنهم من الرسوم التي كان **عرب صقلية** قد أبدعوها .

كما انتقل فنانو **صقلية** فيما بعد إلى مدن **البندقية (وبيزا وفرارا)** ليعلِّموا أبناء تلك المدن التي ازدهرت آنذاك ويدربوا أهل الحرف الفنية على ممارسة الفنون والعلوم التي كانت قد توصلت إليها **صقلية** .

واتفقت كلمة المختصين الغربيين باعتبار الدورُ الذي لعبته **صقلية** في نقل العلوم والفنون إلى الغرب بمرتبة لا تقل عن **الأندلس** نفسها .



دير (مونرياليه) في صقلية

مثال لفن العمارة العربي بصقلية في عهد الكلبيين

أجمعت المصادر على اعتبار الفن المعماري الرائع الذي تحلت به صقلية يعود إلى عهد ملوكها من بني كلب اليمنيين ، وقد استمر هذا الفن مزدهراً بعد وصول الحكم إلى النورمنديين الذين كانوا محرومين من العلم والفن ، وحافظوا على ما وصل إليهم من العرب ، واستمروا بالتعامل معهم ، والانتفاع بعلمهم وفنهم وإدارتهم ، وحتى بناء الأديرة والكنائس والقصور .

امتداد مملكة الكلبيين وسلطتهم خارج صقلية وحكمهم في بلدان « الأرض الكبيرة »

العرب في إيطاليا وفرنسا وسويسرا حتى حدود النمسا

لم يكتف **العرب** وأشهرهم **الكلبيون** الذين حكموا **صقلية** مدة ١٨٩ سنة بامتلاك أكبر جزيرة في **البحر المتوسط** وأغنى جزره ، بل استولوا على **جنوب إيطاليا** بكامله ، وامتدت سلطتهم إلى **شمال إيطاليا** حيث طرقوا أبواب روما واستلموا الجزية من البابا **يوحنا** وسيطروا على **جنوب فرنسا** وكذلك **سويسرا** ، وقد أطلقوا على كامل هذه البلاد اسم **الأرض الكبيرة** . وللتعرف على حكم **عرب صقلية** لتلك المناطق كان لا بد من اللجوء إلى المراجع الأجنبية التي ذكرت وجود **العرب** في بلادهم ، إما عرضاً بمناسبة ذكرهم للأحداث ، أو بالعودة إلى المراجع القليلة التي ركّزت على الحكم العربي في عهد مملكة **صقلية** في أعالي **إيطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا** ، حيث أسسوا لهم عاصمة كما سنرى .

وقام الأمير **شكيب أرسلان** بتتبع أخبار الحكم العربي في **فرنسا وإيطاليا وسويسرا** ، كما نخص هنا بالذكر أربعة مراجع غربية جاءت على ذكر **العرب** في تلك المناطق التي اتصلت جغرافياً وبشرياً **بصقلية** .

أول هذه المراجع هو كتاب بالألمانية صادر في **زوريخ بسويسرا** عام ١٨٥٦ م لمؤلفه **كيلير** وعنوانه **غارة العرب على سويسرا** .

VON DR.Ferdinand Keller :

Der Einfall der Sarazenenen in Die Scweiz.

وذكر المؤلف **كيلير** في إحدى فقرات كتابه المحايد ما يلي :

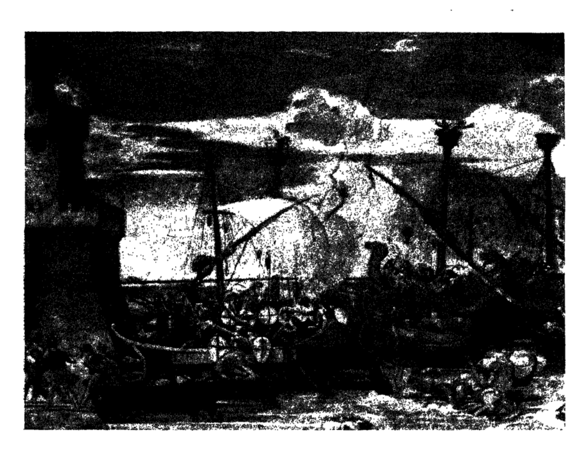
« وكان المسلمون (في القرن العاشر) يتجولون في أنحاء **سويسرا** بلا معارض وكأنهم في ديارهم ، وتقدموا إلى أن صاروا على ضفاف بحيرة **كونستنس** : (تشكل هذه البحيرة حالياً الحدود بين **سويسرا والنمسا**) .

أما المرجع الثاني لمؤلفته **سنجريد هونكه** وعنوانه الأخير **تراثنا العربي** وهو المذكور بمكان آخر

لوحة فنية بريشة (روفايللو)

تمثل معركة (أوستيا) ميناء روما وقد رسمها على إحدى صالات الفاتيكان . وقعت هذه المعركة بين عرب صقلية والإيطاليين عام ٨٤٩ م بعهد البابا (ليُّو الرابع) وقد رسمها الفنّان الإيطالي (روفايللو) العالمي الشهرة في القرن السادس عشر ، أي بعد سبع مئة سنة من وقوعها ، ووفقاً لما روي له عنها وما أوحى له خياله بها .

وتجدر الإشارة أن بابا (رومية) أدى الجزية لعرب صقلية حتى عام ٨٨٢ م . عندما تمكن (باسيل الأول) قيصر الروم من إنقاذ روما ورفع الجزية عنها .



وتفيد المراجع الغربية أن عرب صقلية غزوا روما بعهد البابا يوحنا الثامن واستولوا على كنوز كاتدرائية الفاتيكان وكنيسة القديس بولس والقديس بطرس خارج أسوار المدينة .

في هذا الكتاب ، فقد اهتم بالناحية الفنية والإدارية والهندسية التي وصلت إلى **أوربا** عن طريق **صقلية** وممتلكاتها وقد نقل قبل سنوات إلى اللغة العربية .

لكن الأستاذ السويسري **رينو** REINAUD ١٧٩٥ـ١٨٦٧ م ذكر عن **العرب (السرازان)** أنهم وصلوا إلى أبواب مدينة **سان غال** SAINTGALL ، وهي **شرقي سويسرا** حيث قال أيضاً : « وكانوا قد ألفوا سكنى الجبال والسير في الأوعار حتى قال عنهم البعض أنهم أصبحوا أشبه بالماعز نسبة لخفة أقدامهم وسهولة سيرهم في طرق الجبال » . ويحسن الظن هنا إلى أن الغربيين لم يشيروا إلى **العرب** بهذه التسمية بل سموهم **المسلمون** أو **المور** أي الذين جاؤوا من **مراكش** ، أو **السرازان** أي القراصنة . أما في كتب التاريخ العربي الذي سجله الرهبان ، وهي أكثر المراجع المعتمدة سابقاً في الغرب ، فكانت الإشارة إلى **العرب** تحت اسم **الأنفيدال** أي الكفار ، وهذا ما أشرنا إليه بمناسبة أخرى .

أما المؤرخ الأوربي الأصل الشيخ **محمد الخانجي البوسني** فقد روى أن **عرب صقلية** استولوا على **الفاليه** VALAIS : وهي اليوم إحدى ولايات **سويسرا** القريبة من ولاية **جنيف** . **كما تقدموا إلى أواسط غريزون** : وهي ولاية أخرى حالياً من الولايات الشرقية للاتحاد السويسري : GRISONS .

كما روى المؤرخ الألماني **سبريشر** SPRECHER أن **العرب (السرازان)** وصلوا **لوار** ، وهدموا الكنيسة ، وقال : إن **المطران والدو** WALDOU شكا من تواصل الغارات العربية سنة ٩٤٠ م على **سويسرا** ، وقد عوَّض عليه الإمبراطور **أتون** بإقطاعه ممتلكات أخرى .

كما يذكر هذا المؤرخ أن **العرب** كانوا قد استولوا على مدينة **غرونوبل** GRENOBLE **وهي الآن** كبريات المدن الفرنسية الواقعة في أواسط **جبال الألب** ، كما احتلوا وادي **أوستة** AOSTA وهو الممر الطويل الذي يصل **إيطاليا بفرنسا** ، وكان **للعرب** آنذاك عام ٩٤٥ م وفقا للمراجع الإيطالية حصناً كبيراً يشرف على نهر **البو** PO الذي أنشئت على ضفافه عدة مدن إيطالية شهيرة في الشمال ، وكان اسم الحصن العربي هذا عند الإفرنج PENESTRALLE .

امتداد سطوة صقلية وفقاً للمراجع الغربية

ذكرت المراجع الغربية أن **فضل بن جعفر الهمداني** وهو القائد الذي سبق أن احتل **إشبيلية** تجاوز **صقلية** إلى الأرض الكبيرة .

كما ذكرت أن **أبا الغانم بن الحسن الكلبي** احتل **بارة** أي ميناء **بارى** المعروف على **بحر الأدرياتيك** ، **وتارنت (تورنتو)** ، وبنى بمدينة **ريو** مسجداً ، وجميع هذه المدن تقع **جنوب إيطاليا** .

وتفيدنا المراجع الغربية أنه عام ٨٤٨ احتل المسلمون **مرسيليا** وجميع السواحل حتى **جنوة** . ومعلوم أن **مرسيليا** هي اليوم أكبر ميناء فرنسي على **البحر المتوسط** ، وكذلك **جنوة** هي اليوم أكبر ميناء إيطالي ، وكان في وقت ما مركزاً لمملكة **جنوه** الزاهرة . وتضيف هذه المراجع ، وهي إيطالية تستند إلى ثلاثة مؤرخين إيطاليين هم : **بيني** PINGGNE **وديبينه** DEBENE **ودورندي** DURANDI أنه حصل عام ٩٠٦ م أن اجتاز **العرب** ممرات **الدوفينيه** DAUPHINE **وجبل مون سيني** MONT CENIS ، وفر السكان من هذه البلاد (وهي اليوم فرنسية) ليلجؤوا إلى **برينسون** BRIANCON : هذه المدينة تقع في المنطقة الشرقية من **فرنسا** وفيها جامعة شهيرة .

وأضافت هذه المراجع أن **العرب** اعتقلوا قسماً من أهل تلك البلاد وساقوهم إلى **تورينو** (**وتورينو** هذه تقع على نهر **البو** المذكور أعلاه ، وهي الآن من أكبر وأشهر المدن الإيطالية ومركز صناعات شركة **فيات**) .

كما يطلعنا هؤلاء المؤرخون أنه في عام ٩١١ م قطع **العرب** جميع المواصلات بين **فرنسا وإيطاليا** في **جبال الألب** ، ولجأ السكان إلى بلاد **الفاليه** بسويسرا ، ثم جاء **العرب** ودخلوا الوادي واكتسحوه . **والفالية** هي الآن إحدى مقاطعات **الاتحاد السويسري** كما ذكرنا وعاصمتها **سيون** وهي تحيط بوادي **نهر الرون** وتعلو فوقها أشهر منتجعات ومراكز الرياضة الشتوية **بسويسرا** ، ومنها **مونتانا كران** ذات الشهرة العالمية ، وقد بنى فيها بعض أثرياء **العرب** شاليهات فخمة .

بابا (روما) يقدم الجزية للعرب حتى عام ٨٨٢ ميلادي

وقبل أن يصل **العرب** من **صقلية** إلى **فرنسا وسويسرا** عن طريق الشرق ، كان عليهم أولاً أن يحتلوا جزيرتي **سردينيا وكورسيكا** منذ عام ٨٢٩ ، وكذلك سائر الساحل الإيطالي حيث كانوا قد تمركزوا بجنوبه في **كلابريا** (ربما تعود هذه التسمية إلى الكلبيين بعد تحريفها) .

ومن هناك احتلوا مدينة **سافينا** SAVENA عام ٨٨٥ م . وكذلك **أوترنته** OTRANTE ، وكانوا قد احتلوا عام ٨٧١ م . مدينة **بيزا** PIZA وهي الشهيرة ببرجها المائل ، كما كانوا قبل ذلك عام ٨٤٦ م . قد هددوا **روما** ، ووصلت فيالق **العرب** إلى **أوستيا** وهو مرفأ **روما** البحري ، لكنهم احترموا مكانة **البابا يوحنا**الدينية الذي استقبلهم على مشارف المدينة ، فابتعدوا عنها واكتفوا بعد ذلك عام ٨٧٢ م باستلام **الجزية** من رئيس الكنيسة ، ودامت **روما** خاضعة للنفوذ العربي حتى عام ٨٨٢ م . حيث تمكن الإمبراطور البيزنطي **باسيل الأول** عام ٨٨٠ م . من استعادة بعض المدن التي أخضعها **العرب** لسلطانهم المتمركز في **بلرم** (**باليرمو** اليوم) عاصمة **صقلية** . وفي عام ٨٨٢ م أنقذ

باسيل الأول روما من خضوعها **للمسلمين** ورفع عنها تسليم الجزية **للعرب الصقليين** في العام المذكور ٨٨٢ م .

وقد سجلت ريشة الفنان الإيطالي العالمي الشهرة **رفاييللو** في القرن السادس عشر وصول **العرب** إلى **أوستيا** ميناء **روما** بإحدى لوحاته الفنية . لكنه سجل بطبيعة الأمر بأن الغلبة في الموقعة كانت لجانب الأسطول الإيطالي ، وأما الأسطول العربي فقد عصفت به الرياح . والمهم أن **رفاييللو** سجل وصول **العرب** إلى ميناء روما عام ٨٤٩ م . وكان قبل ذلك بنصف قرن تقريباً عام ٨٣٧ م . قد احتل **عرب صقلية** مدينة **نابل** وهي **نابولي** ، التي أصبحت فيما بعد مركزاً لأحد الممالك الإيطالية والواسعة الشهرة .

عرب صقلية في جنوب فرنسا

كان لا بد لهؤلاء **العرب (المور أو السارزان)** ، أي : القراصنة ، بنظر من كتب عنهم من الإفرنج ، أن يكون لهم مركزاً أو عاصمة إقليمية ، بعد أن احتلوا كامل جنوب شرقي **فرنسا والرفييرا** أي مدن وموانئ **مرسيليا ونيس وكان وسان ريمو** إلى **جنوة** الإيطالية .

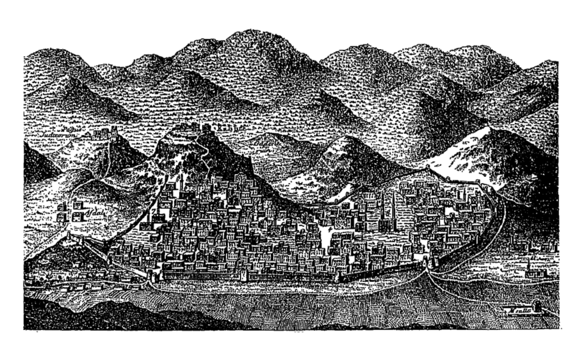
ولاعتبارات لا بد وأن تكون استراتيجية اختاروا لهم ميناء طبيعياً آمناً على الساحل الفرنسي في بلاد **البروفنس** فوجدوا ضالتهم عام ٨٨٩ م . بميناء **سان تروبيز** SAINT TROPEZ الشهير حالياً لأنه أصبح أحد أشهر منتجعات أصحاب الملايين ونجوم السينما ويخوتهم الفاخرة .

وتحيط بهذا الميناء غابات كثيفة تمتد على مسافة كبيرة منتشرة على الجبال المواجهة **للبحر الأبيض المتوسط** ، وتسمى هذه الجبال حالياً بجبال **المور** MAURE أي **جبال العرب** .

وعلى رأس إحدى هذه الجبال وفي مكان مشرف على الميناء اختاروا عاصمتهم التي عرفها المؤرخون تحت اسم **فركسينيتوم** FARXINATUM ومن **فركسينيتوم** هذه كان **العرب الصقليون** يديرون شؤون ملكهم ويوجهون غزواتهم ، التي امتدت كما رأينا إلى أعماق **سويسرا** وحدود **النمسا** على بحيرة **كونستنس** وفقاً للمراجع السويسرية ، كما وصلوا إلى مدينة **غرونوبل** الفرنسية ، كما سبق البيان عن ذلك ، حيث عثر على حجر يحتوي على نقش يؤكد على وجود العرب فيها عام ٩٥٤ م . ودام حكمهم هذا لتلك المناطق واقتتالهم مع ملوك بلاد **البروفنس** التي هي اليوم جزء من **فرنسا** ، ولم تكن كذلك في القرن التاسع إلى أن تمكن ملك **البروفنس الكونت هوجز** HUGUES من القضاء على هذا المعقل المنيع الرابض في أعلى الجبل وكان ذلك عام ٩٤٢ م . أما **فركسينيتوم** اليوم فهي مدينة صغيرة اسمها GARDE FREINET . ومعلوم أن **بلاد البروفنس** الفرنسية حالياً لم تنضم **لفرنسا** حتى عام

١٤٨١ م ، أي بعد ما يقرب من خمسة قرون ونصف القرن لاحتلال العرب لهذه المملكة ، وجدير بالذكر أن أبناء هذه المقاطعة الفرنسية حالياً لا زالوا يتكلمون في حياتهم الخاصة لغتهم الأصلية ويذكرون تاريخهم الذي يفاخرون به قبل انضمامهم لبلاد الإفرنس ، ويتباهون بأن أحد ملوكهم هوجز المذكور دحر العرب الصقليين وهم بنو كلب اليمنيون كما نعلم .

أطلق الفرنجة على العرب عدة تسميات منها : « المور » وهم الذين وصلوا عن طريق المغرب نسبة لمراكش وأيضاً « السارازان » أي القراصنة ، أما رجال الكنيسة ومن إليهم فقد أطلقوا على العرَب اسم « الأنفيدال » أي الكفار كما سمُّوهم « المحمديون » .



مدينة تعز (عدينة) كما رسمها (نيوبور) عضو البعثة العلمية الدانمركية عام ١٧٧١ م

مراكز اليمن وعُمان التجارية في أطراف المحيط الهندي وحتى المحيط الهادي

علمنا من عنوان آخر أن حضارة **أكسوم** التي شملت شرقي **الحبشة** وبلاد **التيجرية** وما إليها ، هي حضارة عربية يمنية ازدهرت بين القرنين الأول والخامس بعد الميلاد ، وكان ملوك **أكسوم** ملوكاً **لليمن** وسواحلها حتى **حضرموت** في فترتين من تلك المرحلة .

كما نلاحظ بأنه لم تخصص دراسات كاملة عن المراكز المزدهرة التي أنشأها **اليمنيون** عبر البحار لتجارتهم العالمية ، والتي شملت **شرقي إفريقيا** بكامله ، والعديد من موانئ **المحيط الهندي** على شواطئ **الهند** ، في بلاد **الملابار** شمالاً وفي الجنوب وأقصى الشرق إلى **سريلانكا** المعروفة عند **العرب** باسم **سرنديب** ، **وهي جزيرة سيلان** ، ومنها شبه جزيرة **جفنة** التي كانت من أهم مراكز الجنوبيين في **سرنديب** ، ثم وصلت تجارة **جنوب اليمن** إلى **أندونيسيا والصين والفليبين** حيث نشر **العرب** بعد الإسلام الديانة السمحاء كما ذكرنا . ويمكن اعتبار هذا التوسع امتداداً للحضارة العربية القديمة التي دامت حتى القرن السادس عشر ، وكانت قد تواصلت هذه الحضارة العربية من قبل الدعوة إلى ما بعدها ، حيث انتعشت في العهد الإسلامي ، وقد اتخذت طابعاً إسلامياً ببناء المساجد ودور العلم والفقه ونشر الدين الحنيف ، إلى أن أوقفها الاستعمار البرتغالي وفرض ديانته عليها ، ودك تلك المراكز ، ليحوّل معالمها إلى حصون تحمي سفنه التجارية والحربية ، وبعضها كان مخصصاً للقرصنة التي مارسها الاستعمار الغربي بعد القرن السادس عشر ضد السفن التي كانت تتجول في **المحيط الهندي والخليج العربي** لتربط بين بلاد العالم الإسلامي في **شرقي الجزيرة** وبين أماكنه المقدسة في **الحجاز** ، حيث لم يكتف **البرتغاليون** ومن جاء بعدهم من **أسبان وهولنديين وبريطانيين وفرنسيين** من الاستيلاء على مراكز التجارة العربية القديمة ، ووضع اليد على تجارة التوابل وسائر السلع التي تنتجها **بلاد الهند وشرقي إفريقيا** وجزرها ، بل كان أهل الاستعمار ونشر الديانة المسيحية يعتبرون القرصنة ضد المسلمين أمراً مشروعاً ومقدراً ، وهو مما يُفاخَرُ به ، لذلك كان قلّما تتمكن السفن المسلمة التي تغامر بنقل الحجاج من **بلاد الفرس** عن طريق البحر **وبلاد الهند وماليزيا وأندونيسيا** دون أن يعترضها القراصنة من المستعمرين ليستولوا على سفن الحجاج وما بها ومن عليها ، وكان من اليسير عليهم

التعرف على مواعيدها السنوية ، وكانت سفن القراصنة من الغربيين تتجمع عادة على مدخل الخليج بين **عُمان وهرمز** ، وهي المناطق التي كان يطلق عليها الغربيون إلى أمد قريب جداً شواطئ (**القراصنة** COTE DES PIRATES) وقد تحول اسمها الآن وحكمها إلى الأصل وأصبحت : **سلطنة مسقط وعُمان** هذه الدولة العريقة بالحضارة والمجد من بلاد جنوب شرقي **جزيرة العرب** ، والتي نصّبَت في أطراف **المحيط الهندي** الأمراء والسلاطين ، ومنهم سلطان **زنجبار** الذي امتد حكمه ونفوذه ليشمل مساحة شاسعة في كامل بلدان **شرقي إفريقيا** وجزرها .

الطريق العربية الأخيرة للتوابل وسلع المحيط الهندي والبن اليمني

وهنا وجب أن نذكر عرضاً لبعض ما وصل إلينا من المراجع الغربية عن تلك المراكز العربية القديمة التي أسلمت بعد الدعوة السمحاء وأصبحت عربية إسلامية قبل قضاء الاستعمار وخاصة الاستعمار البرتغالي عليها ومسحها ، ثم الاستيلاء على التجارة التي كانت محتكرة لها منذ آلاف السنين ، عندما كانت تنقلها إلى **شواطئ قتبان وأوسان وحضرموت جنوب بلاد سبأ** في الماضي البعيد ، قبل وصول الجمل إلى **جزيرة العرب** وتنظيم تجارة القوافل ، وبعد تنظيم تلك التجارة التي ازدهرت بعهد **سبأ** .

أما بعد الإسلام فكانت سلع تلك المراكز تنقل عبر **البحر الأحمر** بعد وصولها إلى ميناء **عدن** ثم **المخا** ومنها إلى **القاهرة والإسكندرية** ، ومن **الإسكندرية إلى أوروبا** ، وعندما ازدهرت تجارة البُن بعد القرن السادس عشر تقدمت **المخا** على **عدن** ، كما سنرى عند الحديث عن البن تحت عنوان منفصل .

وجدير بالذكر أنه عندما اشتد القتال بين بلاد الإسلام وبلاد النصارى في الحروب الصليبية وانقطعت طرق التوابل ، أفادت بعض المصادر الغربية أن الفلفل وهو أشهر مادة التوابل أصبح يُباع بالحبة الواحدة وليس بالوزن في **لشبونة** وغيرها من مدن الإفرنج ، علماً بأن البهارات والتوابل ، وأهم أنواعها وأهمها الفلفل ، شكّل العنصر الأساسي للاحتفاظ بالمأكولات واللحوم المجففة التي لم يكن الاستغناء عنها قبل اكتشاف وسائل التعليب ، وأخيراً التبريد لحفظ المأكولات .

دعوة الهاشميين

عندما استقلت **اليمن** عن **بغداد** بعهد **المأمون** على يد **بني زياد** في الجنوب ، وكان **بنو يعفر** في الشمال ، بدأ تفكك البلاد ، وقيام الممالك المختلفة فيها ، بحيث أصبحت مرتعاً للفوضى والاضطرابات والخلافات القبلية والقتال المستمر ، مما حمل بعض الرؤساء في الشمال على دعوة **الهادي يحيى بن الحسين** وهو من الأشراف **الهاشميين** لتولي أمرهم عام ٢٨٠ هـ . وإنقاذهم من الفوضى التي كانوا فيها ، لكن **الشريف الهادي** عاد أدراجه بعد أن وجد مدى المتاعب التي تجابهه ، وشدة الخلاف القائم بين الناس ، وعدم حصوله على البيعة الكاملة والنصرة اللازمة .

وبعد أربع سنوات ٢٨٤ هـ ولما لم يصل القوم إلى نتيجة فيما بينهم عادوا إليه مجتمعين ونصبوه إماماً عليهم في **صعدة** ، وبعد عشر سنوات ٢٩٤ هـ . استدعاه أهل **صنعاء** إليهم .

لكن إدخال هذا العنصر الجديد بقصد حل الخلافات الداخلية لم يؤد إلى زوالها ، بل كان مع الزمن عاملاً جديداً من عناصر الخلاف كما سنرى .

بداية حكم الأئمة

ومنذ بداية عهد الأئمة ، اضطر الإمام الهادي **يحيى بن الحسين** الذي نادى باتباع مذهب زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب مؤسس المذهب الزيدي الذي يسمى أتباعه الآن في **اليمن** (**الزيود**) ، لدخول المعارك العديدة ضد **آل يعفر وآل الضحاك وآل طريف** وغيرهم ، وقد عدد المؤرخون ثمانين معركة من المعارك التي خاضها هذا الإمام مع الحكام والزعماء المحليين .

ولم يكتف **الهاشميون** ومؤيدوهم **الزيود** بالقتال في المناطق الداخلية ، بل دخلوا المعارك ضد الكثير من السلاطين في الجنوب كما سنرى ، ومنهم **علي بن الفضل القرمطي** الداعي للطريقة الباطنية الإسماعيلية ، وكذلك ضد جميع الدول الأخرى التي قامت في **اليمن** بعد استدعاء **الهاشميين** . ومنها الدول أو أصحاب المذاهب الآتية أسماؤهم وعهودهم .

الحكّام في العهد الإسلامي

الولاة

توالى على حكم **اليمن** في عهد النبي ﷺ ، ثم في عهد **الخلفاء الراشدين** ، ومن بعدهم **الأمويين** ، عدد كبير من الولاة ، وكذلك في عهد **العباسيين** . ففي عهد النبي ﷺ وصل عدد الولاة إلى ٢١ ، وفي عهد **بني أمية** وصل عددهم إلى ٢٢ ، (من ٦٦١ ـ ٧٥٠ م) وأما في عهد **العباسيين** فناهز عددهم الأربعين عاملاً ، وقد استقل أحدهم وهو **محمد بن عبد الله بن زياد** .

بنو زياد ٢٠٥ـ٤٠٢ هـ/٨٢١ـ١٠١٢ م .

لما استلم الخلافة العباسية **المعتمد بن المتوكل** ٢٥٦ـ٢٧٩ هـ/٨٧٠ ـ ٨٩٢ م عين عاملاً جديداً له على **اليمن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي الحميري** ٢٦٣ هـ . لكن **يعفر** لم يستطع السيطرة على البلاد ، لا سيا وأن العامل بعهد **المأمون محمد بن عبد الدين زياد** كان قد استقل بالحكم ، وأنشأ مدينة **زبيد** عاصمة في **تهامة** ، بعد أن اختطها لنفسه ، واستقل بها عن سلطة **بغداد** ، وخلفه أبناؤه من بعده ، وهكذا انقسمت **اليمن** بين **بني زياد** و**بني يعفر** .

بنو يعفر ٢٢٥ـ٣٩٣ هـ/٨٤٠ـ١٠٠٣ م .

وبينما كان **بنو زياد** يحكمون في **تهامة** تمكن **بنو يعفر** من حكم المناطق الداخلية الشمالية باسم **العباسيين** ، حيث تمركزوا في **شبام** ثم في **صنعاء** .

بنو نجاح ٤٠٣ـ٥٥٥ هـ/١٠١٣ـ١١٥٠ م .

لما انتهت دولة **بني زياد** بقيام الأمير **نجاح مولى بني زياد** وهو من الأحباش بالاستيلاء على دولة **بني زياد** ، تمكن من تأسيس مملكة في **تهامة والجنوب** سيطر عليها هو وذريته نحواً من مئة وخمسين عاماً وارثاً بذلك **بني زياد** .

الأئمة

تعدد الأئمة أو الذين ادّعوا الإمامة، بحيث تعذر على المؤرخين حصرهم بالضبط، وربما وصل عددهم إلى سبعين إماماً، لذا سنكتفي هنا بذكر أشهر الأئمة، وجميعهم من الهاشميين والداعيين للمذهب الزيدي، وقد تمكن بعضهم من حكم مساحة واسعة من اليمن، وعلى الأخص في المناطق الداخلية، وقد زاد حكم بعضهم على ٢٥ عاماً بالرغم من اقتتالهم فيما بينهم، وخاصة بمناسبة الخلافات على البيعة، وكذلك اقتتالهم مع الحكام الآخرين، مما هو واضح في كشف هذا الكتاب حول تسلسل الأحداث، مع الملاحظة أيضاً بأن عدة أئمة حكموا مناطق مختلفة في وقت واحد كما هو ظاهر أدناه، فهم حسب التسلسل التاريخي كالآتي:

٢٨٤ ـ ٢٩٨ هـ/ ٨٩٤ ـ ٩١١ م	الهادي يحيى بن الحسين (الرّسي)نسبة لمكان في الحجاز قبل دعوته إلى اليمن
٣٢٥ ـ ٣٦٦ هـ/ ٩٣٤ ـ ٩٧٦ م	المنصور بن يحيى بن الناصر
٣٦٦ ـ ٤٠٣ هـ/ ٩٧٧ ـ ١٠١٢ م	يوسف بن يحيى بن الإمام المنصور
٥٨٣ ـ ٦١٤ هـ/ ١١٨٥ ـ ١٢١٧ م	المنصور عبدالله بن حمزة
٦٩٧ ـ ٧٢٨ هـ/ ١٢٩٨ ـ ١٣٢٧ م	المهدي محمد بن المطهر
٧٩٣ ـ ٨٤٠ هـ/ ١٣٩٣ ـ ١٤٣٦ م	المنصور علي بن صلاح الدين
٧٩٦ ـ ٨٣٠ هـ/ ١٣٩٦ ـ ١٤٢٧ م	الهادي علي بن المؤيد
٨٤٠ ـ ٨٧٩ هـ/ ١٤٣٧ ـ ١٤٧٥ م	المتوكل المطهر الحمزي
٨٦٦ ـ ٩٠٨ هـ/ ١٤٦٢ ـ ١٥٠٣ م	المؤيد محمد بن الناصر
٨٨٠ ـ ٩١٠ هـ/ ١٤٧٦ ـ ١٥٠٥ م	محمد بن علي الوشلي
٩١٢ ـ ٩٦٥ هـ/ ١٥٠٦ ـ ١٥٥٨ م	المتوكل يحيى شرف الدين
١٠٠٦ ـ ١٠٢٩ هـ/ ١٥٥٩ ـ ١٦٢٠ م	القاسم بن محمد (مؤسس الدولة القاسمية ـ بيت القاسم
١٠٢٩ ـ ١٠٥٤ هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٦٤٤ م	المؤيد محمد بن القاسم
١٠٥٤ ـ ١٠٨٣ هـ/ ١٦٤٤ ـ ١٦٧٦ م	المتوكل إسماعيل بن القاسم
ـ ١٠٩٢ هـ/ ـ ١٦٨١ م	المهدي أحمد بن الحسن (سيل الليل)

١٠٩٨ ـ ١١٣٠ هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٧١٨ م	المهدي محمد أحمد بن الحسن (صاحب المواهب) الذي زاره طبيب وربّان سفينة فرنسيان في عاصمته المواهب شرق ذمار
ـ ١١٦١ هـ/ ـ ١٧٤٨ م	المنصور حسين بن القاسم
١١٦١ ـ ١١٨٩ هـ/ ١٧٤٨ ـ ١٧٧٥ م	المهدي عباس بن المنصور حسين بن القاسم
١١٨٩ ـ ١٢٢٤ هـ/ ١٧٧٥ ـ ١٨٠٩ م	المنصور علي بن المهدي
١٢٢٤ ـ ١٢٣١ هـ/ ١٨٠٩ ـ ١٨١٦ م	المتوكل أحمد بن المنصور علي
١٢٣١ ـ ١٢٥١ هـ/ ١٨١٦ ـ ١٨٣٥ م	المهدي عبدالله بن أحمد
١٢٥١ ـ ١٢٧٤ هـ/ ١٨٣٥ ـ ١٨٥٧ م	المنصور علي بن المهدي عبدالله (خلع عدة مرات)
١٢٥٢ ـ ١٢٥٦ هـ/ ١٨٣٧ ـ ١٨٤٠ م	الناصر عبدالله بن حسن
١٢٥٦ ـ ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٠ ـ ١٨٤٣ م	الهادي محمد بن المتوكل أحمد
١٢٦١ ـ ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٥ ـ ١٨٤٩ م	المتوكل محمد بن يحيى
١٢٦٤ ـ ١٣١٢ هـ/ ١٨٤٨ ـ ١٨٩٤ م	المنصور أحمد بن هاشم (معارض)
١٢٦٩ ـ ١٣٠٧ هـ/ ١٨٥٣ ـ ١٨٩٠ م	المنصور أحمد بن عبدالله
١٣٠٧ ـ ١٣٢٢ هـ/ ١٨٩٠ ـ ١٩٠٤ م	المنصور محمد بن يحيى حميد الدين
١٣٢٢ ـ ١٣٦٧ هـ/ ١٩٠٤ ـ ١٩٤٨ م	المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين
١٣٦٧ ـ ١٣٨٢ هـ/ ١٩٤٨ ـ ١٩٦٢ م	الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين
	ابنه البدر محمد من ١٩ سبتمبر حتى فجر يوم الثورة المباركة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م وإعلان قيام الجمهورية العربية اليمنية

أشهر سلاطين وحكام اليمن
من غير الأئمة

٢٠٥ ـ ٤٠٢ هـ/٨١ ٢ ـ ١٠١٢ م	بنو زياد
٢٢٥ ـ ٣٩٣ هـ/٨٣٠ ـ ١٠٠٣ م	بنو يعفر
٤٠٣ ـ ٥٤٥ هـ/١٠١٣ ـ ١١٥٠ م	بنو نجاح
٤٣٧ ـ ٥٣٣ هـ/١٠٤٥ ـ ١١٣٨ م	بنو الصليحي
٤٧٠ ـ ٥٣٣ هـ/١٠٧٨ ـ ١١٣٨ م	بنو زريع
٤٩٤ ـ ٥٦٩ هـ/١٠٩٩ ـ ١١٧٤ م	بنو حاتم
٥٥٣ ـ ٥٦٩ هـ/١١٥٨ ـ ١١٧٤ م	بنو مَهْدي
٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ/١١٧٤ ـ ١٢٢٩ م	الأيوبيون
٦٢٦ ـ ٨٥٨ هـ/١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م	بنو رسول
٨٥٨ ـ ٩٣٣ هـ/١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م	بنو طاهر: وفي عهدهم الجراكسة من مصر
٩٤٤ ـ ٩٧٥ هـ/١٥٣٨ ـ ١٥٦٨ م	الاحتلال العثماني الأول
٩٧٧ ـ ١٠٤٦ هـ/١٥٦٩ ـ ١٦٣٦ م	الاحتلال العثماني الثاني
١٢٦٥ ـ ١٣٣٨ هـ/١٨٤٩ ـ ١٩١٩ م	الاحتلال العثماني الأخير

الأئمة واستمرار الحروب الأهلية
بين الأئمة أنفسهم والخلافات المذهبية

أولهم الإمام الهادي يحيى بن الحسين ٢٨٤ هـ/ ٨٩٤ م

اعتبر المؤرخ اليمني **أحمد شرف الدين** عدد الذين تولوا الحكم منهم ستة وستين إماماً ، من أشهرهم **المتوكل يحيى شرف الدين** وابنه **المطهر** ، **والمنصور القاسم بن محمد** وابنه **المتوكل إسماعيل بن القاسم** الذي توحدت **اليمن** الطبيعية في عهده في الربع الأخير من القرن السابع عشر الميلادي .

وما وصلت **اليمن** إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م) ، حتى كانت بعد تعاقب الحكام على أجزائها مثالاً للخلاف والفوضى ، فبنو **يعفر** المستندون إلى **العباسيين** ، وبنو **نجاح** من **الأحباش** ، وبنو **الصليحي** الفاطميو المذهب والتبعية ، وبنو **زريع** من بعدهم ، وبنو **حاتم** في الجبال ، **والرعيني** في **زبيد** ، ويضاف إليهم **علي بن معن** في **عدن** **ولحج** ، **والكرندي الحميري** في منطقة **صبر** **والعدين** ، **وعبد الله بن حسين التبعي** في شرقي **بعدان** ، وبنو **وائل** في منطقة **حُبيش** وبنو **المناحي** على **الْجَنَد** وغيرهم كثر .

كما يضاف إلى ذلك كله ، الخلافات على مبايعة الأئمة في الشمال أو مبايعة عدة أئمة في وقت واحد ، والخلافات المذهبية الأخرى ، ومنها مذهب **علي بن الفضل** ، ومذهب الإمام **محمد بن إبراهيم طباطبا** على يد السيد **إبراهيم بن موسى** الذي خرَّب **صعدة** **وسدّها الحميري** ، والمذهب الفاطمي الباطني ، والمذهب الإسماعيلي . وفي أعقاب هذه الفوضى وعدم الاستقرار ، دخل عنصر جديد خارجي وهو إرسال **صلاح الدين الأيوبي** أخاه **توران شاه** الذي احتل **زبيد** ثم **عدن** ثم **إب** **وجبلة** ثم **صنعاء** ، وبعد عودته أرسل أخاه الآخر **طغتكين** .

بعد وفاة **المكرم بن علي الصليحي** (٤٨٤ هـ/ ١٠٩١ م) أي ابن مؤسس الدولة التابعة للفاطميين **بمصر** مذهبياً واسمياً ، وكان قد أسند الوصية في الملك إلى زوجته السيدة **أروى بنت أحمد الصليحي** ، وفي الدعوة لإمامة المذهب الفاطمي إلى أحد أعوانه - ابن عمه - **سبأ بن أحمد بن المظفر** . وبعد أن تزوج **سبأ** السيدة **أروى** أرملة **المكرم** وعاش معها نحواً من ثماني سنوات مات ، واستقلت السيدة الملكة **أروى** بالملك . (ولقبها البعض **ببلقيس الصغرى**) ، واختارت لها عاصمة في

أجمل مناطق **اليمن** وأخصبها **ذي جبلة** على بعد ٨٠ كيلومتراً من **تعز** ، وقد جمعت هذه السيدة بين الدهاء وسداد الرأي والإقدام ، فدبرت مقتل **سعيد الأحول** من سلاطين **آل نجاح** الذي عاد لاحتلال **زبيد في تهامة** ، بعد أن نظمت ضده معركة ظافرة مدبرة ، كما جهزت جيشاً على **ابن نجيت الدولة** قدّر بعشرين ألفاً ، وانتصرت عليه بعد تمرده وسيق إليها طائعاً مستغفراً .

توفيت السيدة **أروى** عام ٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م بعد حكم دام نحواً من أربعين عاماً كان حافلاً بالأعمال الجليلة والمباني والإنشاءات العامة كالطرقات ومشاريع جرّ المياه وعمارة المساجد والمعاهد والمنشآت والأعمال الخيرية العديدة .

وخضعت لها كما خضعت لزوجها ووالده مؤسس الدولة من قبله أغلبية **المناطق اليمنية** الجنوبية ، وقد يكون حكم هذه المرأة الفريدة هو أفضل حكم عرفته **اليمن** في العهد الإسلامي .

وقد أوصت هذه الملكة الحكيمة الصالحة بالملك من بعدها إلى عمالها آل **زريع** الذين كانوا يحكمون **عدن** وما حولها من مقاطعات كانت خاضعة بالسابق **لأحمد بن جعفر الصليحي** والد السيدة **أروى** .

بنو زريع ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ ـ ١١٧٤ م :

كانوا يحكمون **عدن** باسم خليفة مصر تحت حكم **الصليحيين** ، إلى أن أوصت لهم السيدة **أروى** بالْمُلك فاتسع سلطانهم بعد وفاتها ٥٣٢ هـ/ ١١٣٨ م .

بنو الصليحي (٤٣٩ ـ ٥٣٢ هـ/ ١٠٦٦ ـ ١١٣٨ م)

أولهم **علي بن محمد الصليحي** ٤٣٩ ـ ٤٥٨ هـ . وهو من أصل حميري وينتمي إلى **كهلان** ، وقد قام بالدعوة إلى الخلفاء الفاطميين **بمصر** في عهد الخليفة **المستنصر** (٤٣٧ ـ ٤٨٧ هـ) .

وبدخول **الصليحي** ، ومن ورائه الفاطميين ، المعركة **باليمن** ازداد التشعب في المذاهب والفوضى في الحكم ، وتحصن **الصليحي** بجبل **مسار بحراز** ، وتحصن **الهاشميون** ومؤيدوهم **بصنعاء وذمار** ، وبنو **يعفر** في قمم الجبال ، وبنو **نجاح** في **تهامة** .

لكن **الصليحي** تمكن من فتح **صنعاء** ، والتغلب على بني **يعفر** في الجبال ، كما احتل **زبيد** بعد قتل سلطانها الأمير **نجاح** بواسطة السّم ، وكذلك تمكن من فتح **ذمار وإب وتعز وعدن** .

وفي عام ٤٤٤ هـ انتصر **الصليحي** على الإمام **أبو الفتح الديلمي** بعد عدة معارك دامية ، قتل الإمام **أبو الفتح** في آخر تلك المعارك ، واستتب الأمر **للصليحي** إلى حدّ كبير ، وقد ولاه **المستنصر** أميراً على **مكة** بالإضافة إلى **اليمن** .

ويمكننا القول أن **علي بن محمد الصليحي** ، هو أول من تمكن من السيطرة ولو رمزياً على مساحة واسعة من الأراضي **اليمنية** بعد آل **زياد ويعفر** ، مع العلم بأنه لم يتمكن من القضاء على أخصامه العديدين وخاصة مؤيدي **الهاشميين** ومذهبهم الزيدي الذي عاد أتباعه إلى محاربة **الصليحيين** بعد وفاة السلطان **علي** ، فحاربوا ابنه **المكرم بن علي** ٤٥٨ ـ ٤٨٤ هـ ، ثم **سبأ بن أحمد بن المظفر** ، واستمرت بذلك الحروب الأهلية .

حكم السيدة أروى بنت أحمد الصليحي

وفي عام (٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩ م) وصل إلى الحكم أول امرأة في العهد الإسلامي ليس في **اليمن** وحسب ، بل في العالمين العربي والإسلامي ، تلك هي **سيدة بنت أحمد الصليحي** زوج **المكرم بن علي** ، وكان ذلك حدثاً تاريخياً نادراً ، ذاكرين هنا عرضاً أن آل **نجاح** الذين حكموا بعد ذلك في **تهامة** حوالي عام ١١٥٠ م وهم من أصل **حبشي** ، عاد الحكم في عهدهم إلى ملكتهم واسمها **أم فاتك** كما سنرى عند ذكر حكم **بني مهدي** .

حكم الأئمة الهاشميين وسجالهم مع الحكام الآخرين

ذكرنا سابقاً أن الأئمة **الهاشميين** ومؤيديهم من **الزيديين** تحاربوا مع مختلف الدول التي قامت في **اليمن** ، ومنها دولة **بني زريع** ومن سبقهم من **الصليحيين** ، ومن عاصر هؤلاء وغيرهم ، وكان حكمهم يمتد ويتقلص نحو الداخل ، فإما أن يكون مركزهم الرئيسي **صعدة** ، أو يكون عند امتداد حكمهم **صنعاء** ، وفي هذه المرحلة كانت قد قامت دولة **بني حاتم** واستولت على **صنعاء** ، ثم استولى عليها الإمام **المتوكل بن سليمان** ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م . وهي سنة وفاة السيدة الملكة **أروى** .

بنو حاتم ٤٩٤ ـ ٥٦٩ هـ / ١٠٩٩ ـ ١١٧٤ م

قامت هذه الدولة في منطقة **صنعاء** ، وكانت في سجال دائم مع الأئمة ، ثم توسعت جنوباً بعد أن طلب آل **زريع** النجدة من بني **حاتم** ضد حركة **عبد النّبي بن مهدي** ، ووصلوا إلى **إب والْجَنَد وتعز** منتصرين ، واستمر سلاطين بني **حاتم** يحكمون المقاطعات الوسطى ، حتى وصل السلطان **توران شاه الأيوبي** ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م إلى **اليمن** واحتلها ، وأخضع جميع سلاطينها لحكمه ، باستثناء **الزيديين** في أقصى الشمال والشمال الغربي .

بنو مهدي ٥٥٣ ـ ٥٦٩ هـ / ١١٥٨ ـ ١١٧٤ م

أسس هذه الدولة أحد رجال التقى والورع **علي بن محمد الرعيني** ، وهو من المناطق الجبلية المجاورة **لتهامة** ، وقد ساءه أن يكون الحكم في **زبيد** بيد آل **نجاح** وهم من **الأحباش** ، فقام بالدعوة



مدينة (جبلة) عاصمة أروى بنت الصليحي الرابضة في موقعها الحصين بين الجبال والوديان الخيّرة ، وقد اختارتها السيدة أروى بنت الصليحي . وقد اشتهر حكم السيدة أروى بالحكمة والشجاعة والإصلاح

ضدهم ، وبعد موت ملكتهم **أم فاتك** التي سبقت الإشارة إليها بمناسبة ذكرنا للملكة **أروى** ، تمكن من الاستيلاء على **زبيد** .

وخلفه ابنه **مهدي بن علي** ، وبعد وفاة هذا خلفه أخواه **عبد النّبي وعبد الله** اللذان حاربا **آل زريع في عدن** ، وانتصر لهما **آل حاتم** من **صنعاء** ، إلى أن قامت دولة **الأيوبيين** .

بنو أيوب ٥٦٩ ـ ٦٢٦ هـ / ١١٧٤ ـ ١٢٢٩ م

وفي عهد **الأيوبيين** هدأت الأحوال نسبياً في **اليمن** ، وتوحدت السلطة لاسيما في الجنوب . واستمر الحال كذلك إلى تحسين وتقدم في عهد خلفاء **بني أيوب** من أهل **اليمن** وهم **بنو رسول** .

بنو رسول ٦٢٦ ـ ٧٥٨ هـ / ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م

اتسعت مساحة سلطتهم حتى شملت كامل **جنوب اليمن وحضرموت** ، ولولا حروب **الرسوليين** مع بعض الأئمة في **الجوف** ، وخاصة الإمام **المهدي** وولده **المظفر** ، لأمكننا القول أن **بني رسول** وحّدوا **اليمن** لفترة من الزمن ، بعد أن كانت مجزأة مدة أربعة قرون ، وتلاهم في حكم الجنوب ومحاولة حكم الشمال عمالهم على **عدن** الذين ورثوهم وهم **بنو طاهر** .

ونظراً للدور الذي لعبه بنو رسول في توحيد **اليمن** وازدهارها ، رأينا تخصيص عنوان لهم بعد هذا وهو : مجد بني رسول .

بنو طاهر ٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م

ثاروا على **آل رسول** وحاربوا سلطان **الشحر (حضرموت)** ، كما حاربوا الأئمة في الشمال ، وخاصة الإمام المنصور **الناصر بن محمد** الذي حصلت بينه وبين الظافر الأول **عامر بن طاهر** حروب عديدة جاءت لمصلحة **الظافر** . الذي أخرج الإمام **الناصر** من **ذمار** ومن **صنعاء** ، لكنها انتهت بمقتله في **صنعاء** بعد معركة حامية بويع بعدها الإمام **محمد بن الناصر** إماماً على **صنعاء** .

وفي عهد **عامر عبد الوهاب** تعددت حروبه مع أبناء عمه وقبائل تهامة **الزرانيق** وغيرهم ، وكان ظافراً فيها كما تمكن من احتلال **صنعاء** على رأس ١٧٠ ألف مقاتل (٩١٠ هـ) .

وإذا كان **آل رسول** قد حكموا كامل **جنوب اليمن وحضرموت** وقسماً من الشمال ، فإن الظافر **عامر عبد الوهاب** تمكن من حكم **اليمن** الطبيعية بأغلبيتها ، ولم يخرج عن طاعته إلا بعض المناطق الغربية المحصورة ، حيث كان يقيم الإمام المتوكل **يحيى بن شرف الدين** .

وقبـل أن نـذكر حكم **الأتراك لليمن** في **المرحلـة الأولى** التي دامت مـدة قرن كامـل (١٥٣٨ - ١٦٣٦ م)يحسن بنا أن نأخذ صورة عن أوضاع **اليمن** قبل وصول **المماليك** ثم **الترك** ، في مرحلة حكمها الطويل من قبل **بني رسول** ثم **بني طاهر** الذين ورثوا **الرسوليين** وملكهم الزاهر .

وجدير بالذكر أن هذه المرحلة من تاريخ **اليمن** دامت أكثر من أية مرحلة أخرى ، حيث بـدأت بعد عهد **الأيوبيين** مباشرة عام ١٢٢٩ م ، وانتهت بـدخول **الجراكسـة** ١٥١٧ م ، ثم **الأتراك** ١٥٣٨ م ، أي أنها دامت ثلاثة قرون كاملة ، ودام **بنو طاهر** فيها لمدة خمسة وستين عاماً .

وبـالرغم من أن النزاعـات الـداخليـة والقتـال مع الأئمـة وسـواهم لم تنقطـع تمـامـاً ، لكن مراحـل الاستقرار والثراء الذي تمتعت به البلاد بهذه الفترة بفضل الاكتفـاء الـذاتي للمنطقـة التي حكموهـا ، إلى جـانب مـا كان يؤمنـه دخل الموانئ **كعـدن والمخا** وسواهـا ، حيث استمر تـدفق السلع من **بلاد المحيـط الهنـدي** بـاتجـاه **القـاهرة** ، وكان لابـدّ للسفن وتخزين السلع وتبـادلهـا من أن تتمركز في أحـد المـوانئ المتصلـة **بـالبحر الأحمر** قبل إبحـارهـا إلى **مصر** ، ذاكرين أن مركز حكم **بني رسول وبني طـاهر** كان دائماً في الجنوب ، أما مدينة **تعز** (وكانت تسمى أيضاً : **عدينة**) أو بمدينة **زبيدفي تهامـة** ، وهي التي تشكل المناطق الغنية زراعياً ، بفضل خيرات تربتها وعنايـة سكانهـا بـالزراعـة ، إلى جـانب **التجـارة** والمرافئ .

لـذلـك زهـا حكم **آل رسول** ، وعلى الأخص بعهـد الملـك **الأشرف الثـاني** ، حيث صكّت النقـود الذهبية والفضية ، وتمتع الملك بمكانـة سـاميـة ، وكان مهتمـاً بـالعلوم والفنون ، وقـد أخبرتنـا **المؤرخـة** الألمانية **سنجريد هونكه** في مؤلفها المـذكور بمكان آخر وعنوانـه : شمس العرب تسطع على أوروبـا : تراثنا العربي ، أنـه بعهـد الملـك **المؤيـد** المتوفى عـام ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م . (**وهو من آل رسول**) **كانت** تحتوي مكتبته في **تعز** على مئة ألف مخطوطة ، ويستخدم عشرة مترجمين يعملون دون انقطاع .

كما أن المـؤرخ **الخـزرجي** أخبرنـا أن **الأشرف الثـاني** ، المتـوفى عـام ٧٧٨ هـ / ١٣٧٥ م ، وصلتـه الهدايا من عدد من الملوك والأمراء ، ومنها هدية من الإمام **صلاح الـدين** تتـألف من خمس من الإبل محملة بالنفائس ، وخمس من الخيل ، وهدية من صاحب بيت **حسين** وهو من أعيان **اليمن** ، تتألف من فيلين وزرافتين ونعـامـة وأسـد صغير وحمـار وحش وعشر من الإبل وعشر من الجـوار الحسـان وعشرة عبيد يحملون السلاح ، وكذلك وصلته هدية من ملـك **مصر** ، تتـألف من ثلاثين غلامـاً تركيـاً واثني عشر رأساً من الخيل ، وعدد من الجواري الروميات والأرمنيات . وهدية من ملـك **سيلان** ، وتتـألف من أربعة فيلة وتحف كثيرة .

ويحسن بنا أن نذكر بأن هذه المرحلة من تاريخ اليمن عرفت بداية عهد تجارة البن الذي أصبح من السلع الثمينة المطلوبة باهتمام من قبل سلاطين **آل عثمان** ووجهاء وأعيان وأثرياء **القسطنطينية** ، التي كانت في تلك المرحلة قد أصبحت أعظم وأغنى عواصم العالم أجمع .

ولما تمكن أنصار البن من إقناع رجال الدين المتزمتين أن القهوة ليست من المسكرات ، أصبح تناولها علناً وازداد الإقبال على شرب (نبيذ الإسلام) الغالي الثمن ، والذي لم يكن له مصدر آخر غير البن اليمني ، كما سنرى في باب خصصناه لهذه السلعة وشجرتها .

أما الملك **المجاهد** المتوفى ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ، فقد دام حكمه أكثر من إحدى وأربعين عاماً ، وكان إلى جانب خصاله العديدة أديباً شاعراً ، وهو القائل :

نحن بنينا العز بأطراف القنا ليس بالعجز المعالي تقتنى
نحن بالله ملكنا اليمنا كل فخر يدعي الناس لنا
أعرق العالم بالملك أنا

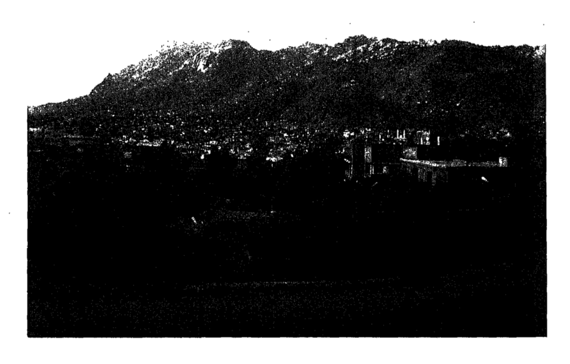
ومن آثار **آل رسول** في عاصمتهم الرئيسية **تعز** الجامعان الرائعان اللذان يحمل كل منهما اسم بانيه أحدهما : **الأشرف** والآخر **المظفر** .

وصول الجراكسة من مصر

لكن وحدة الحكم واتحاد البلاد في **اليمن** وفي العالم العربي لم تكن من الأمور اليسيرة ، إما لشدة الأنانية في عصور الازدهار ، وإما الجهل في عصور الانحطاط أو للاثنين معاً . وقد شاء سوء حظ **اليمن** أن يدخل عنصر جديد آخر يعمل على الإساءة على هذه الوحدة النادرة التحقيق ، فما أن خضعت البلاد بأغلبيتها لحكم **الظافر عامر عبد الوهاب** ، حتى وصلت قوات السلطان **قانصوه الغوري** من **مصر** واحتلت الساحل اليمني ، وكانت مزودة بالأسلحة النارية المجهولة عند **اليمانيين** ، وساهمت الخلافات الداخلية والمطامع في نشوب حرب طاحنة .

وفي حرب **الظافر** هذه مع **الجراكسة** غير المتكافئة بسبب الأسلحة النارية ، كانت الغلبة **للجراكسة** في جميع المعارك التي خاضها **عامر** ، خاصة التي جرت مع قائدهم الأمير **برش باي** ، وبعد مطاردة طويلة للسلطان اليمني في طول البلاد وعرضها ، تمكنت قوات **الإسكندر بن محمد** من القبض على هذا البطل وذبحه عام ٩٢٣ هـ .

وبعد السلطان **عامر بن داود** الذي انحصرت سلطته في الجنوب وهو آخر **آل طاهر** بدأ تدخل **الأتراك** المترك اليمني .



(بنو رسول)
١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م

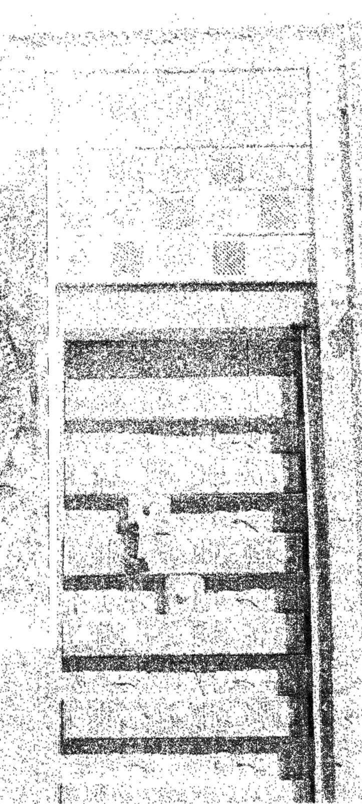
تعز

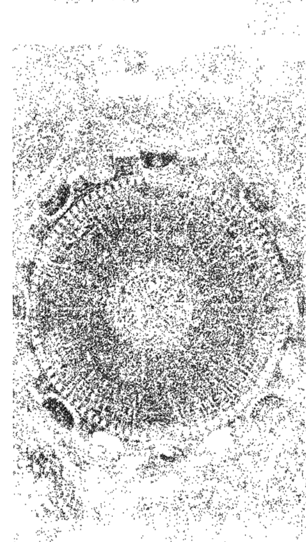
عاصمة (بني رسول) الذين حكموا في إحدى المراحل كامل اليمن الطبيعية ، وتعتبر (تعز) العاصمة الثانية لليمن كما كانت تسمى (عُدينة) . ترتفع تعز ١٤٠٠ متر عن سطح البحر ، وتتوسط مع مدينة (إب) المناطق الخضراء ويعلوها جبل (صبر) الذي تتناثر عليه القرى وارتفاعه ٣٠٧٠ متراً .

تضم (تعز) جامعين ، ويعتبران من معالم اليمن لرونق هندستها وزخرفتها ، حيث يمثلان روعة الهندسة المعمارية بعهد آل رسول .

وكما أن **المتوكل** المحصور في الغرب والمغلوب على أمره أمام **الظافر** ، قد لجأ لطلب العون من المماليك وهم **الجراكسة** والكتائب المصرية ضد **الظافر عامر عبد الوهاب** . السلطان اليمني ، فعل **عامر بن داود** بالنسبة إلى الإمام **شرف الدين** الذي حاصر آل **طاهر** في أقصى الجنوب ، حيث طلب **عامر بن داود** بدوره معونة الأتراك ضد الإمام ليتمكن من استعادة ملك **آل طاهر** . وإن استعان **المتوكل بالجراكسة** من مماليك **مصر** ضد منافسه فلقد استعان **عامر بالأتراك** وأدخلهم البلاد بعد أن كانوا قد احتلوا **مصر** عام ١٥١٧ م ، وأخذوا المكانة التي كانت تعود للماليك بالنسبة لبلدان **البحر الأحمر** ، وحمايته من العدوان البرتغالي الذي كان يهدد الثغور العربية ، منذ وصول أساطيل **البرتغال** إلى **المحيط الهندي** ، بعد اكتشاف طريق **الرجاء الصالح** عام ١٤٩٧ م .

فن الزخرفة
سلاسة خشب الأبواب لا تخلو من العناية برونقها ليعطي المدخل مسحة الترحيب.



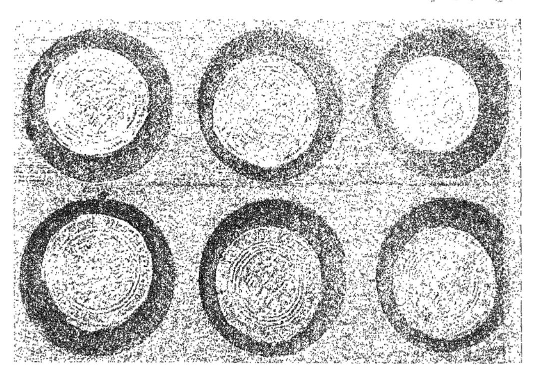


الفن المعماري والعناية بالزخرفة وبالمعرفة
أعلاه - زينة سقف قبة جامع (الأشرفية) بمدينة (تعز) عاصمة آل رسول الذين كانت لهم بعهد الملك المؤيد ١٣٢١ م مكتبة ضمت مئة ألف مخطوط وعشرة مترجمين .

الأشرفي

([illegible] ثلاثة من [illegible] الأشرفي)

نماذج من المسكوكات الذهبية التي ضربت بعهد آل رسول ، مما يؤكد ازدهار اليمن في مرحلة حكمهم الذي امتد إلى حضرموت ، وكان يطلق على الوحدة النقدية الذهبية اسم (أشرفي) نسبة للملك الثاني الذي حكم في القرن الرابع عشر الميلادي .



يبدو أن العرب في العهد الحميري وما قبله اعتبروا الفضة أثمن من الذهب لوفرة التبر الذي أنتجته البلاد إن [illegible] اليمن ومشرقها بمنطقة (أوفير) كما شرحنا في النص ، أو في الحجاز ومنه وادي الذهب .

وكانت المسكوكات من العملة بعهد سيد المرسلين ﷺ في أغلبها من الفضة ، حيث ذكرت المراجع التي تحدثت عن الحجاز أن النقود التي كانت متداولة آنذاك هي الفارسية ومسكوكات الروم وخاصة النقود (الفضية الحميرية) ، وكانت الفضة مفضلة على الذهب . وقد ذكر ابن الطقطقي أن العرب الذين ساهموا بفتح بلاد فارس ، حيث وجدوا ثراء منقطع النظير ، كان أحدهم يأخذ بيده الذهب الأحمر ويقول : من يأخذ الصفراء ويعطيني البيضاء ، ومن الواضح أن الصفراء يعني الذهب ، والبيضاء هي الفضة المفضلة لدى الأعرابي ، حيث كانت متداولة ومعتمدة في بلاده منذ العهد الحميري .

تصدِّي المدنية اليمنية الإسلامية
لأول موجات الحروب الصليبية والاقتصادية
في المحيط الهندي

مساعدة انتشار الدين الحنيف عن طريق الدعوة والمثل الصالح ، واعتماد الشريعة الواحدة في المحيط الهندي قبل وصول المستعمرين بسفنهم المجهزة بالمدفعية إلى بلدان الإسلام ، وبداية عهد الاستعمار

كان **اليمنيون** قد استعادوا مكانتهم التاريخية القديمة في السيطرة على التجارة العالمية في **بلدان المحيط الهندي** ، بعد أن قطع الإسلام الطريق على الروم عقب احتلالهم **مصر** وأصبحت تجارة التوابل تمر **بالقاهرة والإسكندرية** .

ثم تمكن **اليمنيون** من نشر الدين الحنيف ولغته العالمية ، بفضل الاستناد بالتعامل لأول مرة إلى لغة واحدة وشريعة سماوية معتمدة ، من قبل المنتج والتاجر والمستهلك على السواء ، ذلك أن لغة **القرآن الكريم** وتعاليمه السماوية التي تحدد العلاقات والشرائع أصبحت لغة عالمية جامعة ، وهي وإن لم تكن مستعملة ومفهومة بكاملها لكنها أصبحت مرجعاً يمكن الاستفادة منه للتفاهم ، وأيضاً أساساً معتمداً للتعامل وفقاً لشريعة عادلة ، مستندة إلى كتاب سماوي مقدس . وهذا العامل أوجد حاجة لرجال الفقه الذين شكلوا المرجع القانوني المعتمد لحل الخلافات ، وكان هؤلاء في المرحلة الأولى على الأقل مِنْ **العرب** الذين تحوَّلوا مع الوقت إلى مراجع محترمة ، وبالتالي أصحاب جاه وسلطة ومال .

وقد أدى هذا الاطمئنان والاستقرار لأهل الأعمال والتجارة والملاحة البحرية المنتظمة إلى تطوير مراكز التعامل والأسواق وازدهارها وتحسين موانئها ، فسادت المدنية والرخاء في العديد من بلدان سواحل **آسيا وإفريقيا** ، ووصل إلى سدة الحكم للاعتبارات المذكورة سادة من **العرب** المثقفين دينياً وأصبحوا سلاطينَ لمقاطعات عديدة ، وحكاماً مسموعي الكلمة إن في شرقي المحيط أو غربه ، لاسيا وأن بعضهم كان هاشمياً أو ادعى نسبته لسيد المرسلين ﷺ .

ودامت الحال كذلك في المحيط الدافئ الغني غرباً وشرقاً ، واستمر العمران والازدهار والرقي في مراكز المسلمين ، إلى أن اكتشف **البرتغاليون رأس الرجاء الصالح** ، ووصلوا إلى مصادر السلع النادرة على سفنهم الضخمة المزودة بالمدفعية التي لم يكن لأهل **المحيط الهندي** شيئاً منها أو معرفة بها ، مما أوقعهم في موقف الضعيف أمام القوي .

وهنا بدأ الخراب والتدمير والفظاعة والانتقام من المسلمين الذين سبق لهم أن حكموا **إسبانيا والبرتغال** ، واحتكروا مختلف سلع المحيط الهندي ، وهكذا تحول وصول **البرتغاليين** لتلك السواحل والموانئ إلى حرب صليبية ضد المسلمين ، دون تفريق بالعرق أو الجنس بالنسبة للمستعمرين الواصلين من **شبه الجزيرة الأيبرية (إسبانيا وممالكها والبرتغال)** ، وأخبار ظلم **البرتغاليين** وتعسفهم وتدميرهم لمدن المسلمين ومعالمهم كثيرة ، وقد اعتز المستعمرون المبشرون بسردها ، عندما كان المسلم يخيّر بين التشويه ثم الموت ، وبين اعتناق الديانة الكاثوليكية المسيحية .

وجدير بنا التنويه إلى الفارق في طريقة التوسع في **المحيط الهندي** وما يليه بالطرق السلمية وبواسطة تجار أهل **جزيرة العرب : اليمن وعُمان** ومنهم أهل **حضرموت** على الأخص ، **الحضارمة** ومن رافقهم من أهل العلم والدين والفقه الإسلامي ، وبين ما حصل بعد ذلك من نشر الديانة المسيحية على يد قادة أساطيل المستعمرين من **إسبانيا والبرتغال** في المرحلة الاستعمارية الأولى .

البرتغال ثم الإسبان في المحيط الهندي
معاهدة (توردیلاس)

التشابه بين نوع الاحتلال والتبشير الذي استعمله الإسبان في أميركا بعد اكتشافها ونوع الاحتلال والتبشير البرتغالي في المحيطين الهندي والهادي
تصدي اليمنيين للمستعمر البرتغالي في عدن والبحر الأحمر

حصل بعد اكتشاف **(كريستوف كولمبوس) أميركا** وهو إسباني برتغالي المولد ، واتساع نطاق الاستعمار **البرتغالي** على **شواطئ إفريقيا الغربية** ، أن احتدّ النزاع بين **البرتغاليين والإسبان** على احتلال البلدان الجديدة وإخضاعها واستغلالها ، وفرض الديانة المسيحية على سكانها .

ولما وصل هذا النزاع إلى أوجه ، وتبين للطرفين أن بلاد الله حول المحيطات المكتشفة واسعة تدخَّل الرئيس الروحي الأكبر للديانة المسيحية المنتصرة آنذاك ضد المسلمين في **الأندلس** وحتى في بعض نواحي **إفريقيا** ، وكان هذا الرئيس العالمي الأهمية وهو البابا **الإسكندر السادس** رجلاً حليماً لا يريد للمسيحيين أن يقتتلوا فيما بينهم حيث جمع بين الطرفين عام ١٤٩٣ م ، ووزّع عليهم عالم البحار واضعاً على كرةٍ تقريبية لجغرافية العالم ، الذي أصبح معروفاً إلى حدّ ما ، خطاً فاصلاً ، وأمر بأن يتوسع **البرتغاليون** شرقاً لنشر الدين وفرض الإيمان عليه وإخضاعه للطاعة واستغلاله ، كما أمر بأن يتوسع **الإسبان** غرباً للغاية نفسها ، ثم كان تسجيل هذا التوزيع بواسطة معاهدة عقدت بين **الإسبان والبرتغاليين** في (TURDELLAS توردیلاس) عام ١٤٩٤ م ، وأخذت هذا الاسم .

وبعد اكتشاف **رأس الرجاء الصالح** ، ووصول **البرتغاليين إلى المحيط الهندي** ، وجدوا المراكز التجارية الزاهرة فيه بيد عرب الجنوب المسلمين الذين كانوا مسيطرين بالاشتراك مع أبناء البلاد ممن أسلموا سيطرة كاملة على تجارة الذهب والفضة والتوابل والعاج والأخشاب الثمينة وغير ذلك من موارد **إفريقيا الشرقية** . حيث كان استغلالها من قبل **عرب الجنوب** يعود إلى أمد بعيد جداً كما سنرى في الفصل عن ذهب (أوفير) في (ZIMBABWE زمبابويه) ، كما كانت لهم قواعد تجارية هامة على شواطئ تلك البلاد أهمها **سوفالا** جنوب **الموزمبيق** ، **وكلوة** المواجهة لجزيرة **مدغشقر** والتي اعتبرت

جوهرة المحيط ، وكذلك عدد من المواقع على سواحل **الصومال** حيث تنبت أنواع من شجر السنط ، ومنها أنواع الشجر الذي يستخرج منه اللبان ، وكذلك جزيرة **الزنجبيار** وتوابلها ، وخاصة كش القرنفل والبلسم والدارصيني واللادن والقرفة وسائر أنواع العطور والبخور ، وفي جنوب **جزيرة العرب** ، وكانت **عدن وقانا والشحر والمكلا وهرمز** مراكز عربية صرفة غنية وزاهرة ، ولم يقضِ عليها زوال دولتي **سبأ وحمير** ، وانقطاع الطريق الصحراوي القديم لاستمرار تعاملها مع موانئ **المحيط الهندي** وبلدان **الخليج العربي الفارسي** .

وكذلك كانت **جوى وكلكوتا** على ساحل الملابار في **الهند** ، ومثلها على جزيرة سريلانكا **سرنديب وبلاد التمول** ، وكذلك **بلاد البنغال** وسائر البلاد في اتجاه **الصين** التي كانت المصدر الوحيد للحرير ، كما كانت **ملقا** في **ماليزيا** من أهم المراكز التجارية الإسلامية العالمية ، ومصادر التوابل والعطور والجوهرات والسيوف الهندية المرصعة ، وغير ذلك مما كان قد ذكر بعضه مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأرتيري) ، ولما وصل القائد البرتغالي الفاتح أمير البحر (**ألفونسو البوكرك = أبو القرق** عند العرب) إلى تلك المراكز التجارية ، ولديه المدفعية التي كانت مجهولة في تلك البقاع ، تمكن من احتلال المراكز **اليمنية** الإسلامية وتدميرها واحدة بعد الأخرى ، ولم تصمد بوجهه غير **عدن** . كما سنرى بمناسبة ذكر احتلال **جزيرة ميون** عام ١٥٠٩ م ، وتسميتها **بجزيرة صليب فيرا** .

والذي نرغب بتسجيله في هذه المناسبة ، هو أن القائد البرتغالي **البوكرك** لم يهتم إلا بأمرين : أولاً ؛ نهب كل ما يمكن الحصول عليه من ذهب ومعدن ثمين ولؤلؤ وتوابل وسلع نادرة خفيفة الوزن غالية الثمن ، وثانياً ؛ قتل المسلمين دون هوادة ، ومحاولة الوصول إلى أراضيهم المقدسة لتدميرها نهائياً ، كما جاء ذكر ذلك عند التحدث عن فشله باحتلال **عدن** ، وكذلك فشله في محاولة وصوله إلى **جدة** والأماكن المقدسة .

أما بالنسبة لمركز (**جوى** GOA) فقد استولى عليها **البوكرك** ثم قتل جميع رجالها من المسلمين ، وظلت تابعة للبرتغال حتى عام ١٩٦١ م ، عندما انضمت أخيراً إلى **الهند** . وكذلك بالنسبة إلى **هرمز** ومضيقها الشهير فقد قتل **البوكرك** من قتل ، ثم شوه العديدين من المسلمين بفقع أعينهم أو قطع أيديهم وأنوفهم ، وغير ذلك من وسائل التشويه ، أو في أفضل الحالات إعدامهم حال اعتناق ديانته النصرانية ، وكان يرسل المشوهين إلى أعماق البلاد لإدخال الذعر والرعب إلى أفئدة الهاربين من سطوته ، وقد فرض على من تبقى من النساء الديانة الكاثوليكية ، وأمر بحارته بالزواج منهن ، ثم حوّل الجوامع إلى كنائس ، ودكّ القصور وبنى بحجارتها الحصون التي ما زال بعضها قائماً على **سواحل**

عُمان وغيرها ، وكان إذا ماقبل البعض باعتناق ديانة المسيح وقبّل الصليب أمر حالاً بقطع رأسه رأفة به ورحمة ، لكي لا يعطيه الفرصة بالعودة عن عقيدته الجديدة ، ويخسر بذلك حقه بدخول الجنة .

وهنا نلاحظ الفارق بين طريقة نشر إحدى الديانات السماوية والطريقة التي اتبعها أهل اليمن بإعطاء المثل الصالح ونشرالدين الحنيف في سائر أنحاء **المحيط الهندي** شرقاً وغرباً ، ونجاح الطريقة السمحة فعلاً ، وبين طريقة العنف والظلم ودكّ معالم الحضارة وهدم المساجد والقصور التي كان المسلمون قد أنشؤوها في جميع تلك الأمصار ، ومنها لؤلؤة الشرق جزيرة ومدينة **كلوة** غرباً على الساحل الإفريقي **الموزمبيق** حالياً وكذلك في **جوي** على شاطئ **الملابار** الهندي شرقاً .

وعندما نذكر هذه المرحلة من تاريخ الاستعمار البرتغالي الأول ذي الصبغة الصليبية البحتة ، وقضائه إلى حدّ كبير على معالم الإسلام ومدنيته في **المحيط الهندي** ، ودكّ مدنه العامرة ، لابدّ لنا من الإشارة عرضاً إلى مافعله **الإسبان** كما ذكرنا بالمرحلة نفسها في الاتجاه الغربي الذي خصصه لهم البابا **الإسكندر السادس** عام ١٤٩٣ م كما ذكرنا . حيث قام القائد الفاتح الأسباني (PIZARRO) بتصرفات فظيعة مماثلة لما فعله القائد البرتغالي الرهيب (**الفونسو البوكرك** ALBUQUERQUE) .

ونشير هنا للمقارنة وحسب أنه في عام ١٥٣٣ م ، وصل **الإسبان** إلى بلاد الغرب التي قطعها البابا لهم ، وهي القارة الأميركية التي سبق أن اكتشفها **كريستوف كولومبوس** (كما هو مقرر ولكنه غير مؤكد) ، ولما دخل إلى أميركاالجنوبية **البيرو** قائد إسباني لا يقل ظلماً وتعسفاً عن نظيره البرتغالي وهو **فرانسيسكو بيزارو** الذي تمكن من اعتقال إمبراطور مملكة بلاد **الأنكا** ذات المدنية العريقة التي كانت مزدهرة قبل وصول **الإسبان** إليها ، والغنية جداً بالذهب والسلع الأخرى التي كانت قليلة الأهمية بالنسبة **للإسبان** الذين ركزوا اهتمامهم على جمع معدن الذهب الثمين دون سواه ، والتي كانت بلاد **البيرو** غنية جداً به ، أصبح بعد تلك المرحلة ذكر ذهب البيرو يعتبر مثلاً للغنى الفاحش في العالم أجمع . وبعد أن اعتقل الفاتح الإسباني كما ذكرنا وهو (**فرنسيسكو بيزارو** PIZARRO) إمبراطور **الأنكا** واسمه (**أتاهواليا** ATHAHUAURA) فرض عليه أولاً أن يملأ مكاناً معيناً بالقصر بالذهب ، ثم يرتد عن ديانته القديمة ويعتنق النصرانية ، وامتثل إمبراطور **الأنكا** ، حيث جمع من جميع أنحاء البلاد مامكّنه من ملء المكان المعين بالقصر بالذهب ، ثم كان عليه أن يقبّل الصليب ويعتنق الدين الجديد ، وبعد تردد امتثل للأمر لكنه لم ينقذ نفسه من الموت حيث أعدمه **بيزارو** شنقاً ، رحمة به ليدخل جنة أهل الدين المستورد من بلاد البابا **الإسكندر السادس** خشية عودته إلى ديانته القديمة وحرمانه من رحمة الله عزّ وجلّ .

وهكذا اندثرت الديانات الوثنية القديمة أو كادت في **أمريكا اللاتينية** ، وأصبحت جميع هذه

البلدان نصرانية الديانة المفروضة في بداية عهدها عليهم ، وهم الآن من أكثر المتمسكين بها دون التخلي عن بعض بقايا دياناتهم الأصلية .

أما بالنسبة للشرق أي **بلاد المحيط الهندي** فلم تَلْقَ ديانة المستعمرين النجاح نفسه باستثناء **جزر الفيلبين** ، بالرغم من القسوة والإرهاب ، ذلك أنه كانت هناك ديانات من نوع آخر وهي البوذية في **الهند** وسواها ، وخاصة ديانة أهل الرسالة الإسلامية وانطلاقها بواسطة الاقتناع والإيمان والمثل الحسن . لذلك لم يتمكن المستعمرون **البرتغال** ولا من تبعهم من القضاء على أتباع الدين الحنيف ، وهو الذي انتشر سلمياً وبصورة رئيسية على يد **اليمنيين** ، وعلى الأخص أهل **حضرموت وعُمان** ، ووصل حتى **الصين** وبعض **جزر الفيليبين** وكامل **جزر أندونيسيا وماليزيا والبنغال وغربي الهند** وسوى ذلك كما سبقت الإشارة إليه .

وهكذا شاهدنا بعد زوال الاستعمار ظهور البلاد الإسلامية بقوة وبأعداد كبيرة من السكان يفوق بكثير عدد المسلمين في **بلاد العرب** أو التي تعربت ، كما نلاحظ تمسكهم بالعقيدة والدين الحنيف أكثر من سواهم ، نظراً لشدة حرصهم على تراثهم الديني أثناء اضطهادهم ، حيث كان تمسكهم حصناً منيعاً دون ابتعادهم عن جذورهم العقائدية ، ووسيلة فعالة لمناوءة الحاكمين ، كما تعرفنا على أمراء المسلمين ، وسلاطين لم نكن نعرفهم من قبل في العهد الاستعماري ، ومنهم على سبيل المثال سلطان **برونية** صاحب المليارات التي تدرها عليه بلاده الغنية بالنفط والغاز ، والتي كانت تحت الحكم البريطاني إلى أن استقلت عام ١٩٧١ م ، وكانت **برونية** تابعة لجزيرة **بورنيو الأندونيسية** ، وكذلك سلطنة الصباح التابعة **لاتحاد ماليزيا** المسلمة ، أما بالنسبة **لليمن** فإنها لم تخضع مطلقاً للاستعمار في مناطقها الداخلية ، بل كان ضمها في بعض المراحل إلى إمبراطوريات أو حكام مسلمين ، ولم يتمكن **الإنجليز** من الاستيلاء على **عدن** إلا في القرن الماضي .

عُمان واستعادة بعض ممتلكاتها الإفريقية

أما سلطنة **عُمان** التي ذاقت الأمرين في سواحلها من قبل **البرتغاليين** ، فما أن تمكنت من تحصيل الأسلحة الحديثة عن طريق **العثمانيين** ، حتى استعادت بعض ممتلكاتها السابقة على شواطئ **إفريقيا الشرقية** ، بعد صراع بطولي عنيف ، ثم تمكنت سيدة البحار **بريطانيا** العظمى من وضعها تحت نفوذها دون استعمارها بالمفهوم التقليدي الواضح ، مما قلّص المكانة الرفيعة التي تمتعت بها بعد تغلبها على المستعمرين الآخرين ، قبل أن تتخذ **إنجلترا** مكانتهم على طول الطريق المؤدي إلى **الهند** والتي شكلت مصدر الثراء وأصبحت تعتبر لؤلؤة التاج البريطاني وهي التي أدت لتعاظم سلطانه في القرن التاسع عشر بعد حروب **إنجلترا** مع **نابوليون** وانهزام الأخير ، وانفراد **إنجلترا** باستغلال مصدر التوابل والمعادن وطرق المواصلات العالمية الرئيسية .

اليمن ومواجهة الدول الاستعمارية

حاولت أغلبية دول الاستعمار السيطرة على **اليمن** لكنها فشلت جميعها ، ولم تفز بمأربها إلى حدّ ما ، سوى زعيمة الدول الاستعمارية : **بريطانيا العظمى** .

البرتغاليون والهولنديون

وقبل أن تتزعم إنكلترا السيطرة على البحار ، قام **البرتغاليون والهولنديون** بمحاولات فاشلة للتمركز **بميناء المخا** على **البحر الأحمر** ، وكذلك حاولوا التمركز **بجزيرة كمران وميناء ميون بجزيرة بريم في باب المندب** ، وجميع ذلك دون نجاح يذكر .

ونورد هنا ما وصلنا عن أول محاولة استعمارية فاشلة قام بها **البرتغاليون** ، وكان أول من حاول احتلال **اليمن** أو على الأقل موانئها القائد البرتغالي أمير البحر **البوكرك** الذي كان قد احتل المراكز العربية الممتدة على **الساحل الإفريقي** ابتداء من **جنوب الموزامبيق** حالياً إلى **بلاد الصومال** .

ثم وصل إلى **جنوب اليمن** حيث فشل فشلاً ذريعاً عند محاولته احتلال **عدن** ، وخسر في اقتحام أسوارها المنيعة اثنين من كبار قواده ، لكنه تابع محاولته باقتحامه مدخل **البحر الأحمر** ووصوله بالقرب من **جدة** ، قاصداً دكّ أماكن الإسلام المقدسة تنفيذاً لأوامر ملك **البرتغال** الصارمة حيث اعترضته عاصفة هوجاء فتّت أسطوله وبعثرته ، كما نرى في الدراسة المرفقة التي سبق أن أعددناها بالنسبة **لجزيرة ميون** ، وإننا ننشرها هنا دون مستنداتها للتخفيف .

كان **ألفونسو البوكرك** يبغي احتلال **مكة المكرمة والمدينة المنورة** والاستيلاء على قبر الرسول ﷺ .

كما كان يأمل ويخطط للوصول إلى **الحبشة** المسيحية للتعاون معها لتحويل مياه **النيل** إلى **البحر الأحمر** ، ليتمكن من القضاء على **مصر** . وذلك بالاستناد إلى وثائق ومراجع معلومة ومسجلة بتاريخ الاستعمار **البرتغالي** .

هزيمة البرتغال أمام عدن بعد حصارها وتبعثر أسطولهم في البحر الأحمر :

بدأ الفشل يحالف **البوكرك** منذ محاولته الاستيلاء على **عدن** ، حيث عاد عن محاصرتها بحرياً خائباً ، بعد أن خسر اثنين من كبار أعوانه ، وعدداً من جنوده ، وذلك عند اقتحامه أسوارها المنيعة عام ١٥١٣ م كما ذكرنا .

لكنه بعد هزيمته أمام **عدن** استناداً إلى المراجع نفسها ، اتجه (**البوكرك = أبو القرق**) إلى مدخل **البحر الأحمر** ، وكان هذا المضيق يعرف باسم **باب المندل** (باللام) ، وكانت الجزيرة الجرداء القاحلة التي تتوسطه تسمى (**ميوم** أيضاً باللام) .

وعندما وصل إليها أمر بنصب صليب عليها يكرس احتلاله لها ، وأطلق عليها اسم (**صليب فيرا** VERA CRUZ) تخليداً لاسم أحد أعوانه في الحملات السابقة (DA VERA) الذي توفي قبل ذلك عام ١٥٠٨ م ، وأما كلمة (CRUZ) فمعناها الصليب .

وقد ورد ذلك في رسائل الرحالة الإيطالي (ANDREA CORSALI) الذي عاصر تلك الأحداث عام ١٥١٦ م ، واحتوت تلك الرسائل على تفاصيل لحملة **البوكرك** ، ولما قاساه بحارة ذلك الأسطول من متاعب وآلام بعد توغله في **البحر الأحمر** حيث واجهته عاصفة هوجاء ردته على أعقابه بعد أن اقترب من سواحل **الحجاز** متجهاً إلى **جدة** . وقد أفاد **كورسالي** بأن عدداً من بحارة الأسطول أصيب بالجنون أو شرب مياه البحر ثم الموت نتيجة لفقدان المياه في السواحل المجاورة ، ونفاذ مخزون الأسطول منها . وقد تبعثرت سفن الأسطول فرمت الرياح ببعضها على سواحل **أرتيريا** القاحلة والمعادية ، والبعض الآخر لجأ إلى جزيرة **كمران** حيث قضى البحارة على العديد من شجر النخيل التي كانت تغطي الجزيرة .

كما أطلقت بعض المصادر على جزيرة **بريم** اسم (**ميان** = MEYAN) .

وهكذا فشل **البوكرك** في محاولته احتلال **عدن** ، وكذلك في الوصول إلى بلاد **الراهب يوحنا** بقصد التعاون مع إمبراطوريته لتحويل مجرى **النيل** كما كانوا يتوهمون إلى بحر (**أرتيريا = البحر الأحمر**) .

ويدلناهذا الاعتقاد على مدى جهل **أوروبا** آنذاك لجغرافية تلك الأقطار .

كما فشل في الوصول إلى **جدة** التي لم تكن محصنة باتجاه البحر ، مع أنه كان قد اقترب من سواحلها ، وبالتالي لم يحقق أمنيته الكبرى ، وتنفيذ أوامر ملك **البرتغال** للاستيلاء على أماكن الإسلام المقدسة ، وبينها قبر **رسول المحمديين** لإذلالهم وهدم معنوياتهم .

كما فشل في الإبقاء على تسمية جزيرة **ميون** باسم جزيرة **صليب فيرا** كما سبق . ويبدو أنه لم يعرفها بهذا الاسم سوى **البرتغاليين** آنذاك .

ولم نعثر مع الأسف على أي مرجع كامل لنص ماكتبه **كورسالي** عن تلك الحملة الفاشلة التي ضمت عشرين سفينة حربية و ٢٥٠٠ بحار ومقاتل .

ولم نطلع على أي مستند لشرح كيفية تحويل اسم **ميون** إلى اسم **بريم** ، وربما كان اسم **ميون** يطلق على الميناء ، **وبريم** على الجزيرة بكاملها أو العكس ، علماً بأن أهل **اليمن** يطلقون عليها اسم **ميون** ويسميها الأجانب **بريم** .

لكن **البرتغاليين** بعد فشلهم في عام ١٥١٣ عادوا إلى **ساحل البحر الأحمر** ، وكانوا قد يئسوا من احتلال **عدن** الحصينة التي كانت لاتزال ذكرى هزيمتهم أمامها ، عالقة بأذهانهم وتاريخ استعمارهم الهدّام للحضارات ومعالمها حافزاً لأبناء **اليمن** ، للاستماتة بالدفاع عنها .

وهكذا أرادوا احتلال **اليمن** عن طريق **البحر الأحمر وميناء المخا** بالذات ، باعتباره أقل مناعة من **ميناء عدن** المحصن طبيعياً ، لكن **البولكرك** أجل ذلك إلى مابعد تنفيذ الأوامر باحتلال أماكن الإسلام المقدسة ، بقصد القضاء عليها نهائياً وإضعاف معنويات ومكانة المسلمين ، لكن الفشل الذريع كان حليفه . ثم وصلت أساطيل الهولنديين والبرتغاليين في عام ١٠٨١ هـ/١٦٧٠ م ، أي بعد نحو قرن ونصف من هلاك حملة **البولكرك** أمام **جدة** إلى **البحر الأحمر** مجدداً ، وهددت **ميناء المخا** الهام آنذاك لكن نضال **اليمنيين** للدفاع عن مينائهم العامر أجبرهم على الجلاء العاجل بعد هزيمة نكراء .

احتلال اليمن لميناء زيلع على الشاطئ الإفريقي

وليتمكن **اليمنيون** من الدفاع عن بلادهم بحماية الطرق التي تمر بها سفن **البرتغاليين** وسواهم ، فقد تابعوا انتصارهم على **البرتغاليين** باحتلالهم عام ١٦٩٥ م **ميناء زيلع** على الشاطئ الإفريقي ، وحصّنوه وبنوا فيه مسجداً وأقاموا به حامية مزودة بالمدفعية وحولوه إلى مركز لتجارتهم الزاهرة مع **إفريقيا** ، كما كانت الحال قبل وصول الاستعمار **البرتغالي** وسواه إلى **إفريقيا الشرقية** وسواها .

آل عثمان في مرحلة احتلالهم لليمن بعد عام ١٥٣٨ م
ومقاومة اليمن المستمرة لحكمهم
١ ـ الشعلة العربية

ذكرنا كيف أن **الأتراك** تمكنوا من احتلال **اليمن** وقد يسّر لهم ذلك الصراع الداخلي الذي كان على أشده منذ عهد **المماليك** عندما كان هؤلاء بدورهم في قتال بحري مستمر مع **البرتغاليين** أمام موانئ **البحر الأحمر والمحيط الهندي** ، وكانت جزيرة **كمران** تجاه **الحديدة** التي كان أسطول البوكرك المبعثر قد لجأ إليها أحد مراكزهم ، ثم استغلوا خلافات الحكام في **اليمن** ، ليدخلوا إليها لنصرة الملك **الظاهر** أحد حكامها وبناءً لطلبه ، ثم جاء العهد العثماني الذي أخذ مكانة **المماليك** في **مصر** بعد عام ١٥١٧ ، وكان القتال لازال على أشده بين **آل طاهر** ورثة **آل رسول** وبين الإمام **شرف الدين** المنتصر على **بني طاهر** ، ولما استنجد هؤلاء بدورهم **بالأتراك** ضد الإمام وصل القائد العثماني **سليمان باشا الأرناؤوطي** فاحتل **عدن** أولاً ، لكنه قضى على **آل طاهر** الذين دعوه لمناصرتهم ضد الإمام عام ١٥٣٨ ، ومن ثم بدأت الحرب بين **اليمنيين** إجمالاً **والعثمانيين** . وفي عام ١٥٤٧ احتلت القوات العثمانية **صنعاء** ، ولجأ الإمام **شرف الدين** إلى **كوكبان** وابنه **المطهر** إلى **ثلا** ، وهنا بدأت الحروب بين **الأئمة والعثمانيين** ، وتحول الغزو العثماني إلى حرب قومية عربية ضد الأجنبي ، وأصبحت كلمة **تركي** كأنها شتيمة ، وأصبحت المقاومة رمزاً للوطنية اليمنية والقومية العربية.

وبالرغم من تفوق **الأتراك** بالمعدات الحديثة وحسن النظام ، فقد خسروا بالنهاية الحرب مع **اليمنيين** الذين استعادوا عاصمتهم **صنعاء** بعد معارك وقتال عنيف وبطولات خارقة ، ولاحق **المطّهر الأتراك** المهزومين إلى **تعز وعدن** (١٥٦٨ م) ، لكن أسياد **القسطنطينية** وسائر المشرق أعادوا الكرة على **اليمن** بعد أن جمعوا قواتهم المرابطة في **مصر** ، ولم يكن **الأتراك** ممن يقبل الاندحار في تلك المرحلة من تاريخ **آل عثمان** كما سنرى ، فاحتلوا **صنعاء** مجدداً عام ١٥٧٠ بعد معارك طاحنة خاضوها ضد **المطّهر** في طريقهم إلى **صنعاء** ، تبعتها معارك أخرى بعد احتلالها ، ودامت الحرب بين الطرفين إلى أن توفي **المطّهر** (١٥٧٣ م) .

ولنتمكن من الحكم على أهمية القتال العنيد بين **الأتراك واليمنيين** وما رافقه من بطولات

وتضحيات خارقة وصمود ، وجب علينا أن نلقي نظرة على الدولة العثمانية وما كانت عليه في مرحلة غزوها **لليمن** عام ١٥٣٨ وما بعده .

في عام ١٥٢٠ كان قد وصل إلى سدة الإمبراطورية العثمانية السلطان **سليمان الأول** الملقب بالقانوني الذي ورث إمبراطورية العالم الإسلامي وإمبراطورية **الروم** . وقد استمر متربعاً على عرش **القسطنطينية** عاصمة إمبراطورية **الروم** الشرقية التي كان قد احتلها **آل عثمان** منذ عام ١٤٥٣ حتى وفاته عام ١٥٦٦ ، وبقيت إلى يومنا هذا بيد **الأتراك** ورثة **آل عثمان** ، وهو مما حوَّل عاصمة **الروم** إلى عاصمة للإسلام بشكل نهائي .

وكانت آنذاك دولة **بني عثمان** قد أصبحت أكبر وأعظم إمبراطورية في العالم أجمع ، (وهي التي دامت ستة قرون من عام ١٣٠٠ إلى عام ١٩١٩ ، وسيطرت على خمس مساحة الكرة الأرضية) حيث وصلت في عهد **سليمان الأول** ثم ابنه **سليم الثاني** ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤ إلى أوج مجدها ، وكانت جيوشها البرية وأساطيلها البحرية مثالاً للنظام والانقياد والتضحية وأسلحتها أكثر الأسلحة تقدماً ، وأصبحت كلمة **تركي** ولا تزال إلى يومنا هذا عند الفرنجة مرادفة لكلمة **قوي** ، حيث يقال بالفرنسية عند وصف أي شخص متين البنية عنيد **قوي كالتركي** ، ومع ذلك وفي عهد **سليمان وسليم الثاني** ناهض **اليمنيون الأتراك** ، تساعدهم على ذلك طبيعة بلادهم وقوة شكيمتهم . كما يحسن بنا التعرف على مجد **القسطنطينية** في مرحلة تصدي **اليمنيين** لغزوها .

أجمعت المصادر على اعتبار **القسطنطينية** (**بيزنطة**) في عهد **سليمان الأول** وابنه عاصمة المناعة والقوة والفخامة بآن واحد ، وازدادت أهمية إمبراطوريتها عما كانت عليه ، لاسيما وأن عاصمة إمبراطورية **البيزنطيين** (**الروم**) أصبحت عاصمة الإسلام كما رأينا . ففي هذه المرحلة كان سلطانها قد امتد من جنوب **فيينا** عاصمة **النمسا** التي حاصرها **سليمان** حتى شلال **النيل الأول** ، ومن نهر **الدانوب وأوديسيا جنوب أوكرانيا وروسيا وشبه جزيرة القُرم** حتى بلاد **الأدريتيك** المواجهة **لإيطاليا** غرباً ، ومنها بلاد **بوسنيا والصرب** التي تشكل **يوغوسلافيا** حالياً ، وجنوباً حتى **دجلة وبغداد** ، وإلى عاصمة **الفرس** (**تبريز**) ، وكانت أساطيلها تسيطر على **البحر المتوسط** (**بحر الروم**) ، وكذلك **جنوب الجزيرة** حتى وصل أمير البحر التركي **بيري رئيس** إلى **مسقط** عام ١٥٥١ م ، بعد أن تمركز في **عدن** عام ١٥٤٧ ، كما غزا **العثمانيون شواطئ الهند** . وكانت بلاد **شمال إفريقيا** قد أصبحت تابعة للهلال العثماني باستثناء **المغرب** .

أما العاصمة (**القسطنطينية**) نفسها فقد أضيفت إليها أروع تحف البناء ، بعد أن تحولت كنيستها **آياصوفيا** إلى جامع ، وبعد أن بنى فيها السلطان **سليمان** جامع **السليمانية الأزرق** ، الذي

أراد أن يجعله أعظم من آياصوفيا التي ورثها عن البيزنطيين ، وكان له ماأراد ، حيث زاد ارتفاع قبة جامع السلطان **سليمان** عن **آياصوفيا** بخمسة أمتار ، وقد أخذ الهلال العثماني الإسلامي مكانة الصليب الرومي على جميع الأبنية الخمسة الموروثة من العهود السالفة ، وشمل العمران سائر أنحاء الإمبراطورية ، واشتهر المهندس المعماري الفنان المعروف باسمه المفرد (**سِنان**) .

وكان في تلك المرحلة على السلطان **سليمان** أن يحافظ على أمجاده ، ولا يتهاون بمحاولات استيلائه على **اليمن** بكاملها ، لاسيا وأنه أدخلها في ألقابه ، وعددها بين ممتلكاته ، كما نرى من نص الرسالة التاريخية المحفوظة في مكتبة جامعة (**كمبردج**) البريطانية ، والموجهة إلى ملك فرنسا **فرنسيس الأول** وهذا نصها :

كتاب سلطان السلاطين إلى فرنسيس ملك بلاد فرنسا :

« أنا سلطان السلاطين ، وملك الملوك ، مانح التيجان للملوك على وجه البسيطة ، ظل الله في الأرض ، سلطان البحرين الأبيض والأسود وخاقان البرين ، وملك **الروملي والأناضول** وبلاد **الكرمان** وبلاد **الروم وزلكلوريا ، وديار بكر وكردستان وأذربيجان وفارس ودمشق وحلب والقاهرة ، ومكة والمدينة والقدس** ، وكل البلاد العربية ، **واليمن** وبلاد كثيرة أخرى افتتحها آبائي الأشراف وأجدادي الأمجاد ، نوَّر الله مراقدهم ، بقوة سلاحهم ، وجعلتها جلالتي المعظمة تابعة لسيفي الملتهب ومهندي المنتصر . أنا السلطان **سليمان خان** ابن السلطان **سليم خان** ابن السلطان **بايزيد خان** أبعث إليك أنت **فرنسيس** ملك بلاد فرنسا ... » .

كما أصبح خطباء الجوامع في **مصر** ينهون خطبهم بالدعاء للسلطان « وانصر اللهم السلطان ابن السلطان مالك البرَّين والبحرين ، وكاسر الجيشين ، وسلطان العراقين ، وخادم الحرمين الشريفين ، الملك المظفر **سليمان شاه** ، اللهم انصره نصراً عزيزاً وافتح له فتحاً مبيناً ، يامالك الدنيا والآخرة يارب العالمين » .

قلنا ، وبالرغم من عظمة الدولة العثمانية وهيبتها ودكها الحصون في **أوروبا وبلاد المماليك** في ربوع **سورية وإفريقيا** ، فإن الشعلة الوطنية القومية العربية لم تنطفئ بموت **المطهر** وبسقوط **صنعاء** . ويمكن القول أيضاً الشعلة المذهبية ، لأن القوم في الداخل شيعة والأتراك سنة ، فقام عام ١٥٩٨ م الإمام **المنصور القاسم بن محمد** بحشد القبائل وتعددت المعارك ضد الأتراك في الشمال ، وتعددت البطولات ، وغُلب الأتراك أسياد الأرض على أمرهم للمرة الثانية (١٦٣٦ م) ، وكان ذلك بعهد الإمام **محمد بن القاسم** الذي طرد العثمانيين ، وتابع ولده **المؤيد** ثم **المتوكل** رسالته ، فوحدا اليمن الطبيعية إلى حد كبير ، ووصل نفوذ الأخير إلى **حضرموت** .

ومـا أن تخلصت اليمن من الأتراك وبـدأ الأمل بـاستمرار الوحـدة الـوطنيـة مجـدداً ، حتى عـادت الخلافات الداخلية وخاصة الخلافات حول البيعة للإمامة ، إذ قلما تمكن إمـام واحـد من الحصول على بيعة كاملة ، وقد حصلت مبايعات لعدد من الأئمة في وقت واحد ، كما بويع في إحدى الحـالات خمسـة أئمة ، وذلك بعد وفاة المهدي **عبد الله بن المتوكل أحمد** عام ١٢٥١ هـ .

ودخلت **اليمن** مجدداً في خلافاتها التقليدية وتفككها وعدم استقرارها المؤلم .

وظلّ الأمر كذلك إلى أن عاد **العثمانيون إلى اليمن** (١٨٤٩ م) ، وأعادوا الكرة مجـدداً بـالحروب مع أهل اليمن الذين لم يخضعوا لهم وخاصة في شمال البلاد بالمناطق **الزيديـة** ، حيث اضطر **الأتراك** في النهاية لتوقيع صلح مع الإمام **يحيى بن حميد الدين** (١٩١١ م) .

وحصل ذلك بعد خسارة **الأتراك** لمعركـة (**شهـارة**) التي غنم فيهـا اليانيون الكثير من الأسلحـة والعتاد ، لذا اضطر (الباب العالي) أن يرسل إلى **صنعاء** المشير **عزت باشـا الألبـاني** ، ليفـاوض أهل اليمن على الصلح ، وتم الاتفاق بين الإمام **يحيى** المقيم **بشهارة** ، وهي المعقل اليمني الـذي انـدحر الأتراك أمامه ، وبين المشير **عزت باشا** على إجراء المفاوضات في نقطة وسط بين **صنعاء وشهـارة** تمَّ اختيـارهـا في (**ذعان**) بالقرب من **عمران** ، وقد أدت تلك المفـاوضـات إلى عقـد اتفـاقيـة (**دعـان**) التي تعطي للإمام حق الإشراف على شؤون القضاء والأوقاف وتعيين الحكام والمرشدين وتشكيل هيئة شرعيـة ، كما تقرر مبدأ جباية الواجبات (العشور) وغيرها على الطريقة الشرعية ، ونصت الاتفاقية على مـا يظهر بلزوم دفع مبلغ من الجنيهات الذهبيةو شهرياً إلى الإمـام ، مقـابل هـذا الصلح الـذي أطلقت بـه يـد الإمام في المجالات المحددة وفي المناطق الشمالية التابعة للمذهب **الزيـدي** الـذي يجعل من الإمـام رئيسـاً روحيـاً للزيود ، مع العلم بـأن هـذا التـدبير العثمـاني لم يحرم السلطـة في **صنعـاء** من ممـارسـة الشـؤون الإدارية على كامل **اليمن** وخاصة المناطق الجنوبية منه ، ولم تسقط هذه السلطة الإدارية فعلاً إلا بعـد معاهدة فرساي عـام ١٩١٩ م عنـدمـا اضطر الأتراك للنزوح عن **اليمن** بطريق **عـدن** تلبيـة لأوامر من **الآستانة** .

وبنضال اليمنيين ضد الغزو العثمـاني وحروبهم المستمرة غير المتكافئـة مـدة تزيـد على مئـة وخمسين عاماً ، وعلى عدة مراحل حصل أهل **اليمن** على سمعة مشهود لهم بها في الوطنيـة والبطولات الخـارقـة ، واشتهرت **اليمن** بأنها (مقبرة الأتراك) بعد أن دفعت لذلك ثمناً غالياً .

ويمكننا مع ذلك تسجيل الملاحظات التالية :

أولاً : ابتعاد الكثير من العناصر الطموحة الممتازة عن الوطن ، واستيطانها بلاد الإسلام الواسعـة

عندما كانت كتائب المسلمين الأولى تؤلِّف في كثير من الأحيان على يد اليمنيين وحدهم ، وخاصة بالنسبة إلى الحملات باتجاه شمال **إفريقيا** ، حيث كانوا يقيمون نهائياً في بلاد الفتوحات ، ذلك أن اليمنيين هم الأعراب الذين يتقنون الزراعة والصناعة والتجارة ، ويحسنون الإدارة ، وفيهم أشهر رجال القضاء ، فهم الذين تمركزوا بالمدن الإسلامية الجديدة ، واستغلوا الأراضي الزراعية خاصة في **صقلية والأندلس** في العهد الإسلامي ، وفي **سورية** الطبيعية قبل الإسلام وبعده .

ثانياً : إن عضد الأمويين كان في استنادهم إلى اليمنيين بميادين الإدارة والجيش ، وكانوا الدعامة الشعبية لهم عند الأزمات السياسية ، الأمر الذي شجعهم على استمرار السير في ركب الفتوحات بمساندة بني **أمية** .

ثالثاً : صعوبة المواصلات بين عواصم الإسلام **واليمن** وبعدها عنها ، وشعور اليمني بتفوقه كانت كلها من عوامل الاستقلال والاستقرار في الأماكن التي تؤمن له السيادة .

رابعاً : طموح اليمني وعنفوانه من عوامل الطمع بالحكم والانفراد بالسلطة ، مع أن هذه الصفة تنطبق على طبيعة كل إنسان ولكن بدرجات مختلفة ومتعددة .

صفة الانفرادية وسلبياتها :

كل هذه العوامل حملت اليمني على العمل للانفراد بالسلطان والقتال من أجله أكثر من سواه ، علماً بأن مثل هذه العوامل أدت إلى تفكك وحدة إمبراطورية الإسلام وتقسيمها ، وأفقد **اليمن** نفسها الاستقرار وبالتالي الازدهار ، وجعل الكثيرين ممن لم يهاجروا لشدة تعلقهم بأرضهم يقدمون على الهجرة بعد التردد للابتعاد عن الفوضى والشغب ، ولبناء أمجاد لهم خارج وطنهم ، كما فعل أجدادهم من قبلهم ، بعد أن تهدم **سد مأرب** بسيل العرِم ، وقبل ذلك بكثير ، عندما أسسوا الممالك في شمال **الجزيرة** وأواسطها ، وفي **أكسوم** وشواطئ **المحيط الهندي** وجزره العديدة الغنية ومراكز تجارته المزدهرة .

وها هم في عهد اللإسلام يشيدون مملكة لهم في جزيرة **صقلية** على يد **الكَلْبيين** ، تشهد معالمها للآن على مدى تفوقهم ، كما أشادوا لهم سلطنات لا يزال بعضها قائماً في جزر **الشرق الأقصى وإفريقيا الشرقية** .

لكن تفكك اليمن واستقلال بني **الأحمر** في **غرناطة** (وكانوا يعيدون أنسابهم إلى **الخزرج** وبالتالي إلى **الأزْد**) وكذلك استمرار الصراع اليمني الحديث العهد بالهجرة مع من سبقهم وهم **القيسيُّون** . ناتج بنظرنا عن هذه الروح الانفرادية (الأنانية) والتي لم تكن من خصائص **اليمن** وحدها ، بل شملت

العالم العربي بكامله ، وأدت إلى تأخره ثم استعماره ، ويظهر أن الانفرادية المتطرفة وشدة الأنانية هما من خصال العربي الموروثة والناتجة عن مشاعر العنفوان . فهل تتمكن التوعية القومية والتربية المدنية من الحد من هذه الطبيعة الموروثة ، وهي الممتازة والمؤدية لتحقيق الطموحات عندما تكون معتدلة وواقعية ، والتي تشكل خطراً في حالة جموحها ؟

ونلفت النظر في هذا المجال لتأمل ماذكره الأجانب عن الانفرادية العربية ، كما سجلناه في هذا الكتاب ، تحت عنوان (القبيلة) وعلى لسان المستشرق (**انجرامس**) .

فإن تمكن الإسلام وانتصاراته في بداية عهده من تقييد هذه النزعات الانفرادية المجبولة بطبيعة العربي ، فهل نتمكن بفضل الوعي والتنبه والشعور بشدة الأخطار المحدقة بهذه الأمة والتحديات المستمرة من تحقيق الوحدة المنشودة أو الاتحاد لهذه الأمة العربية العريقة ، ببنائها على الأسس الواقعية التي لا تتجاهل في مرحلتها الانتقالية والتحضيرية خصائص كل فئة وكل قطر ، على أساس اتحادي خشية تصدع الوحدة المنشودة ، إذا ماتمت دون الأخذ بواقعية شخصية الأقطار التي تشكلها ، الأمر الذي قد يؤدي إلى تفككها من جديد . لذلك كان لابد بنظرنا أن تكون اللحمة بين عناصر البناء في منتهى الليونة والواقعية الاتحادية ، ليعمل الزمن على تقوية اللحمة المرنة وليس العكس ، وفقاً لما أثبتته التجارب المؤلمة .

اليمن ومواجهة الاستعمار
المرحلة الأخيرة للمحاولات الاستعمارية

الإيطاليون

مامن ريب في أن **موسوليني** رغب في السيطرة الاقتصادية والسياسية على **اليمن** . وكانت **إيطاليا** من قبل قد حاولت مساندة **الإدريسي** في **شمال تهامة** ، لكن شدة انشغال الاستعمار **الإيطالي** فيما بعد **بأرتيريا والحبشة** ومعارضة **الإنكليز** لهم ، حال دون تطور الجهد الاستعمار **الإيطالي** بالنسبة **لليمن** ، واكتفت **إيطاليا** الفاشية بإرسال بعثات طبية واقتصادية ، ومحاولة إغراء بعض **اليمنيين** وتقديم الأسلحة بسخاء إلى الإمام **يحيى** ، ومنها المدفعية الثقيلة لحماية **باب المندب** لمناوأة **إنكلترا** في تلك المنطقة .

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية بتغيير الأوضاع في **إيطاليا** ، تحولت تلك الأطماع الاستعمارية إلى تعاون ودي ، وانتهت أحلام **موسوليني** الاستعمارية **باليمن** قبل أن تتبلور وماتت بوفاته .

إنكلترا واحتلالها لعدن والمحميات والمناطق المجاورة

أما الاستعمار الذي كتب له النجاح في جنوب **اليمن** وسائرأطراف **الجزيرة العربية** خلاف **البحر الأحمر** فهو الاستعمار **البريطاني** الذي أبعد **البرتغاليين** أولاً عن **الخليج العربي** ، وتابع العمل على تأمين طريق **الهند** درّة التاج البريطاني في أوج ازدهاره الاستعماري ، وحصر همه في السيطرة على جنوب **اليمن** بكامله .

فبعد أن احتلت **إنكلترا ميناء عدن** التاريخي في الجنوب عام ١٨٣٩ م ، وهو الميناء الطبيعي الذي يعتبر المنفس الوحيد على **المحيط الهندي** لكامل المنطقة **العدنية** من **اليمن** ، التي تعتبر أغنى مقاطعات جنوب **بلاد العرب** ، استغلت **لندن** انشغال **اليمن** بمحاربة **العثمانيين** وحرص **الآستانة** على عدم إغضاب **الإنكليز** خوفاً من **الفرنسيين** في ذاك الحين ، فبدأت **بريطانيا** العظمى بتوسيع سلطانها على المناطق المجاورة **لعدن** وجميع البلدان التي تقع بجنوب **اليمن** على طريق الهند من **باب المندب** إلى **عُمان** ، فكان لها ماأرادت على مراحل وبطرق استعمارية فيها الكثير من الدهاء والمرونة . ومنها عقد معاهدات لتقييد المشايخ والسلاطين المحليين . ولم تعف **الجزر اليمنية** من مخططها الاستعماري ، ثم

حملت الإمام **يحيى** عام ١٩٣٤ م على توقيع معاهدة قاصدة من ورائها التركز على الأراضي **اليمنية** في الجنوب إلى الأبد ، كما نصّت عليه بعض المعاهدات غير المتكافئة التي وقعت **بريطانيا** مع بعض الزعماء المحليين أو بعض الأشخاص الذين جعلت منهم **بريطانيا** حكاماً وسلاطين ، ذاكرين أن **إنجلترا** أسرعت عام ١٨٠٢ م باحتلال **جزيرة بريم** أو **ميون** على مدخل **البحر الأحمر** في مضيق **باب المندب** ، وذلك في مرحلة حروب **إنجلترا** مع **نابليون** الإمبراطور الفرنسي كما سنرى لاحقاً ، وكانت **فرنسا** قد سبقتها في احتلال **ميون** عام ١٧٣٨ م .

الانتفاضة والاستقلال

لكن انتفاضة الشعوب المستعمرة ، وانتباه الرأي العام ، وعزمه على تخليص العالم المتطور من عار الاستعمار ، ومنها الحركات الثورية التي قام بها أبناء **اليمن** في الجنوب المحتل ، واتساع الوعي القومي عند بعض الزعماء المناضلين ، وتأسيس الأحزاب السياسية القومية والمنظمات العمالية المناضلة ، وازدياد الفئات المثقفة ، كل ذلك جعل الوثائق (الأبدية) التي سننشر نموذجاً منها في القسم الرابع وهي التي أصبحت عديمة الأهمية ومدعاة للسخرية والهزل . وأخيراً ، ولما قررت الأمم المتحدة تصفية الاستعمار ، وأرسلت لجنة تقصي الحقائق في جنوب **اليمن** المحتل ، اضطرب الاستعمار **الإنكليزي** ومنع اللجنة من الدخول إلى الأراضي المحتلة ، وبدأ بإعطاء المنطقة الواقعة تحت سيطرته صفة البلد المستقل بصورة سطحية تضمن استمرار سيادته غير المعلنة عليها ، كما أن خوف **بريطانيا** من تفشي الحركة التقدمية الواعية في البلد الأم بعد قيام **الجمهورية العربية اليمنية** كان من أسباب مناهضة الحركات القومية ، وهو ما يفسّر تأخر اعتراف **إنجلترا** بالعهد الجمهوري الجديد في الشطر الشمالي لأنه أصبح يمثل خطراً واضحاً على استمرار حكم **بريطانيا** للجنوب واحتلالها له ، والإبقاء على سلخه عن أصله وتجزئة البلد الواحد ، خاصة بعد أن سار العالم العربي والبلدان المتحررة منه في طريق التضامن ضدّ كل مستعمر ، إن في آسيا أو **شمال إفريقيا** وسواها .

تأخر إنجلترا عن الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية خشية انفجار الوضع بعدن والمحميات

ومن البديهي أن عدم اعتراف **المملكة المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية** التي كانت قد أصبحت عضواً في **الأمم المتحدة** منذ عام ١٩٤٧ م ، جعل معاهدة عام ١٩٣٤ م فاقدة المفعول ، وأعطى **للجمهورية العربية اليمنية** الحق القانوني إلى جانب حقها الطبيعي بالمطالبة بالجزء المحتل من أراضيها ، وهكذا كانت **اليمن** هي الدولة الوحيدة في الأمم المتحدة التي امتنعت عن تأييد القرار الذي من شأنه إعطاء الاستقلال للمناطق **اليمنية** التي كانت خاضعة للحكم **البريطاني** ، وذلك خشية أن

يؤدي هذا النوع من الاستقلال إلى تكريس فصل الجنوب عن الشمال ، وتأخير تحقيق الوحدة المنشودة التي كانت جميع الفئات المناضلة بالجنوب متمسكة بها دون قيود أو شروط .

والجدير بالذكر هنا أن **بريطانيا** كانت قد حاولت أيضاً عقب الحرب العظمى احتلال **الساحل التهامي على البحر الأحمر** ، فأنزلت بعض قواتها بعد الحرب مباشرة في **اللّحية** وفي **الحديدة** ، لكنها عادت عام ١٩١٩ للانسحاب من **اللّحية** ، وعام ١٩٢١ انسحبت نهائياً من **ميناء الحديدة** ، إنما استقرت في **جزيرة كمران** على مقربة من **الحديدة** .

محاولات إنجلترا التوسع باتجاه المشرق اليمني وتصدي اليمن لذلك

كما أنه بعد العثور على النفط بكميات ضخمة في **المملكة العربية السعودية** وتوسع أعمال البحث عن الذهب الأسود في مناطق قريبة من **الربع الخالي** الداخلية ، حاولت **إنكلترا** مدّ نفوذها إلى المناطق الشرقية من**اليمن** باتجاه **الربع الخالي** ، مما جعلها تصطدم عسكرياً مع المراكز **اليمنية** ، الأمر الذي حمل على عقد مؤتمر في **لندن** عام ١٩٥٠ م ، وأدى إلى توقيع اتفاقية كانون الثاني / يناير ١٩٥١ م . كما هو مذكور في فصل آخر من هذا الكتاب ، ثم أعطت **إنكلترا** الدليل ، خاصة في عهد حكم حزب العمال بأنها تستطيع تكييف نفسها وفقاً للواقع ، ذلك أنها أعطت **الهند** استقلالها بعد أن تأكدت بأن تيار الحركة القومية أصبح جارفاً ، وكذلك فعلت بالنسبة إلى **قناة السويس** ، ولم ينفع تعنت المحافظين باستعادة سلطتها على القناة العربية حيث وقف العملاق العربي يسانده الرأي العام العربي المتيقظ ، وأعطى درساً لرئيس الحكومة البريطانية لم تتلقه **إنكلترا** من **نابليون** ، وهو الأمر الذي أودى بخليفة **تشرشل** العظيم إلى الهجرة والموت السياسي ، وقد سجل هذا الحدث الهام نقطة تحول تاريخية بالنسبة للتفكير السياسي في الشرق الأوسط الذي كان قبل ذلك يبني جميع مخططاته بشكل يتفق مع رغبة **إنكلترا** والدول العظمى . فإن عرفت **إنكلترا** كيف تقبل خسارة جواهر مستعمراتها الثمينة **كالهند وسيلان وقناة السويس وإفريقيا الشرقية** فلم يعد من المستبعد أمر مقدرتها على ضبط أعصابها من القبول بخسارة **عدن** والسوار الذي صنعته من حولها قبل أن يجرف نفوذها التقليدي تيار القومية العربية الصاعد وهو الذي أقلقها هديره بعد عدوانها الفاشل على **بور سعيد** ، وذلك بتبديل علاقاتها مع جميع البلدان العربية بما فيها **عُمان وإمارات الخليج** من علاقات المسيطر المستغل إلى علاقات التعاون المتكافئ مع المارد العربي الذي كان قد بدأ يسير بخطى إلى الأمام ، باتجاه التقارب والاتحاد والتحرر وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وكان لها من تعنت **فرنسا بالهند الصينية وبالجزائر** المجاهدة درساً وعبرةً مكّنها من الاستفادة منها .

وهكذا حصل يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م أن حققت شرارة الثورة المسلحة في جنوب **اليمن** المحتل

هدفها بفضل منظمة واعية متعاونة مع أبناء الشطر الشمالي وقادة ثورته الظافرة ، مما أكره الدولة المستعمرة للتخلي عن الإحتلال الذي كان قد دام أكثر من قرن وربع القرن ١٨٣٩ ـ ١٩٦٧ م . ولما اقتنعت **إنكلترا** المستعمرة أن عهد السيطرة قد ولّى دون رجعة ، وبعد محاولات فاشلة أرادت من ورائها تحويل الاستعمار إلى تعاون القوي مع الضعيف اضطرت إلى الرحيل النهائي عن البلاد بعد هزيمتها العسكرية والسياسية أمام انتفاضة الشطر الجنوبي ، الأمر الذي سمح بتأسيس حكم وطني مستقل اتخذ تسميته **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** التي قامت يوم ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧ بصفتها دولة ذات سيادة كاملة مستقلة مع إعلان مخططها وهدفها الشعبي والرسمي وهو قيام الوحدة الوطنية مع **الجمهورية العربية اليمنية** باعتبارها الشطر الشمالي من **اليمن** بالنسبة للشطر الجنوبي وهو الهدف السامي الذي يعمل لتحقيقه الشطران المستقلان ، والذي أدى إلى توقيع اتفاقية الوحدة بين الشطرين : الشمالي وهو **الجمهورية العربية اليمنية** والجنوبي وهو **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** ، لكن مثل هذا الموضوع يحتوي على خفايا وتشعُّبات ليست لدينا خلفياتها وتفاصيلها ، وهي كما سبق أن ذكرنا خارجة عن نطاق هذا الكتاب ، ويوجد من حسن الحظ من أعطاها عنايته .

تاريخ بداية تحرك إنكلترا لاحتلال الجنوب :

أما **إنكلترا** سيدة البحار فلم تحاول في اتجاه **البحر الأحمر** أن تلجأ إلى القوة ، لاسيا وأنها كانت على علم اليقين بالمتاعب التي لاقاها **الأتراك** وعانوا منها ، لذا اكتفت سيدة البحار بإرسال أمير البحر **ولسون** ليفاوض الإمام **المنصور** عام ١٧٩٩ للترخيص له بوضع بعض قواته على الأراضي **اليمنية** لكنه فشل في مهمته ، حيث رفض الإمام **المنصور** عقد أي اتفاق مع **إنكلترا** التي كان **نابليون** الإمبراطور الفرنسي يهددها بكل مكان .

ونظراً لأهمية جزيرة **ميون** على مدخل **البحر الأحمر** ، وبالتالي طريق **الهند** التي كانت تمرّ أيضاً **بالقاهرة** في جزئها البري ، اكتفى **ولسون** باحتلال **الجزيرة** وهو الذي دام إلى عهد استقلال **عدن** وما يتبعها من ممتلكات يمنية كانت **إنكلترا** قد سلختها عن البلد الأم في مرحلة توسع سلطانها في **المحيط الهندي** وجزره وما إليها ، مستعملة شتى الوسائل ، ومنها عقد اتفاقيات هزيلة نصّاً ومعنى أطلقت عليها فيا بعد اسم معاهدات .

نوعية الاتفاقيات « المعاهدات » مع مشايخ الجنوب

ولأخذ فكرة عن نوعية تلك المعاهدات التي كانت تعقد في بعض الحالات بين **بريطانيا العظمى** وأحد المشايخ الذي لا يملك سوى عدة رؤوس من البعير ولا يسيطر على أكثر من عدة قرى وأراضٍ

شبه قاحلة مقابل عدة جنيهات تقدمها **بريطانيا** العظمى لأحد حلفائها في المناطق الجنوبية المجاورة **لعدن** والممتدة على **ساحل المحيط الهندي** ؛ نورد هنا بعض ما جاء في نصّ إحدى الاتفاقيات التي أطلقت عليها **إنكلترا** آنذاك اسم معاهدات . وقد نصّت المادة الثالثة على سبيل المثال من معاهدة الحماية مع مشايخ البرهمي على ما يلي : يتعهد مشايخ البراهمة المذكورون آنفاً بالأصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن أقاربهم وورثتهم وخلفائهم إلى الأبد بأن لا يبيعوا أو يرهنوا أو يتنازلوا أو يؤجروا أو يعطوا **بلاد البرهمي** أو أي جزء منها في أي وقت كان لأي دولة غير الحكومة **البريطانية** . كما نورد أيضاً المثال التالي :

« يدفع والي **عدن** دائماً إلى الشيخ **مطهر علي** ، وذلك من لطف حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية خلف البحار وقيصر الهند سبعة ريالات في كل شهر اعترافاً منها بصداقته وبالخدمات الجلية التي يؤديها للحكومة مع التمسك الدائم بصداقة وطاعة حكومة صاحب الجلالة » .

وتوجد أيضاً أمثلة عديدة عن تلك الأوراق التي أطلق عليها اسم معاهدات ، ربطت فيها **إنجلترا** بعض الرؤساء المحليين في الجنوب **اليمني** المحتل ، وهو الذي وافقت الأمم المتحدة على تسميته في المرحلة الأخيرة من عهد الحكم البريطاني **الجنوب العربي المحتل** وهو الذي اعترضت **اليمن** عليه في نطاق الأمم المتحدة .

الفرنسيون

كان قد تمكن **الفرنسيون** عام ١٧٣٨ من احتلال **جزيرة ميون** ، كما حاولوا في مرحلة لاحقة أن يؤسسوا لهم موطئ قدم على مدخل **البحر الأحمر** على الساحل المواجه **لبريم** ، حيث بنوا مناراً لهداية السفن في الرأس البحري بمنطقة **شيخ سعيد** ، وادعوا ملكية تلك المنطقة ، ثم استحصلوا على وثائق محلية على الطريقة التي اتبعتها **إنكلترا** في **الجنوب اليمني** لتدعيم سلطتهم على موقع **شيخ سعيد** . لكنهم نزحوا عنه بعد فشل مشروعهم الرئيسي وهو استعمار **اليمن** اقتصادياً بواسطة إنشاء سكة حديدية تربط منطقة **رأس الكثيب** قرب **الحديدة** على **ساحل البحر الأحمر** بالعاصمة **صنعاء** ومنها بمدينة **عمران** ، مستغلين آنذاك ضعف الإمبراطورية العثمانية وفرض أطماعهم على ما يعتبرونه من ممتلكاتها كما سنذكر ذلك لاحقاً . أما بالنسبة **لجزيرة ميون (بريم)** فقد احتلتها **إنكلترا** في مرحلة صراعها مع **فرنسا** كما أشرنا إلى ذلك والذي كان قد وصل إلى نقطة خطيرة بعهد **نابليون** بعد احتلاله **لمصر** .

مصير مشروع السكة الحديدية الفرنسية

بعد أن قام **الفرنسيون** في بداية هذا القرن بدراسة كاملة لمشروع السكة الحديدية المذكورة والممتدة من **رأس الكثيب** إلى **صنعاء** ومن **صنعاء** إلى **عمران** ، وهو المماثل للمشروع الذي حققوه في الجهة المقابلة **لليمن** على **الساحل الإفريقي** بين **جيبوتي** **والحبشة** . وبعد وصول المعدات لبناء الخط والمباشرة بمدّ العوارض والقضبان الحديدية في منطقة **تهامة** ، هاجمه الوطنيون وأتلفوه ، ثم وقعت الحرب العالمية الأولى ، فتبعثرت المعدات ومات المشروع وماتت معه أحلام **فرنسا** الاستعمارية نهائياً في **اليمن** . ولم يبق من ذلك المشروع سوى خريطة دقيقة بالفرنسية لجميع المناطق التي تمر بها السكة الحديدية ، وكنا قد عثرنا عليها في المدرسة الثانوية **بصنعاء** ، إنما نظن بأن بنك الهند الصينية الذي كان عليه تمويل المشروع لا يزال يحتفظ بين وثائقه القديمة بتلك الخريطة المفصّلة لخطّ السكة الحديدية ، الذي قضت عليه الحرب العالمية الأولى كما ذكرنا ، دون أن نستبعد أن يكون **لإنجلترا** يد في القضاء على ذلك المشروع الحيوي المندثر .

نهاية الحكم العثماني
١٩١١ - ١٩١٩ م

مرحلة اتفاقية (دَعّان) وما تلاها من أحداث واستقلال

النضال ضدّ الحكم التركي

لم يرضخ **اليمنيون** للحكم العثماني مرة واحدة في مراحله الثلاث التي أشرنا إليها سابقاً ، واستمروا بنضالهم الذي أدى لطرد **الأتراك** أكثر من مرة ، إلى أن وصلوا به في بداية القرن الحاضر لتحقيق انتصارات موجهة **للأتراك** ولجيشهم المشهود له في العالم أجمع .

وأصبح علينا أن نوضح هنا إلى أن جهاد **اليمنيين** ضدّ الحكم **العثماني** في مرحلته **الأخيرة** ، أدى بعهد الإمام **يحيى حميد الدين** لحصول المناطق الداخلية من **اليمن** على الحكم الذاتي المحدود على الطبيعة ، والمقيّد بالصلاحيات التي حصل عليها بموجب اتفاقية **دَعّان** ، ومع أن هذه الاتفاقية محدودة بالنسبة لمفهوم الاستقلال ، إلا أنها كرّست نضال **اليمنيين** على مدى عشرات السنين مما حمل (الباب العالي) على قبول الأمر الواقع وفقاً لنصوص هذه الاتفاقية كما سنرى من النصوص .

خلفيات اتفاقية (دَعّان)

لم ترضخ الدولة العثمانية وتتراجع عن سياستها وحروبها مع **اليمن** إلا بعد خسارتها الرهيبة في محاربة **اليمنيين** بالشمال ، وأهمها معركة **شهارة** التي سبق ذكرها حيث كان النضال اليمني مستمراً ضدّ الحكم التركي ، لكن حرص الإمبراطورية العثمانية للإبقاء على وجودها في الأراضي الإسلامية المقدسة وعلى مقربة منها ، وآمالها باستعادة **مصر وقنال السويس** ، ولمنع **إنكلترا** من الاستمرار في السيطرة على طريق **الهند** جعلها تضحي بالعديد من قواتها في محاربة **اليمنيين** الذين أذاقوا تلك القوات الأمرّين لدرجة أن المراقبين للأحداث اعتبروا **اليمن** (مقبرة للأتراك) أو (مقبرة الأناضول) .

وبالرغم من بذل الجهود العسكرية المضنية ، وتزويد الحاميات التركية بالمدفعية الجديدة ، تجمعت قوى القبائل في الشمال ، وهي **بَكيل وحاشد وهمدان** ومَنْ إليهم وغيرهم ممن عُرفوا بالاستماتة في القتال ، وهزمت هذه القوات **اليمنية** القبلية العساكر **التركية** التي أخلت **صنعاء** ولجأت إلى **تهامة**

وحاضرتها مدينة **زبيد** . وهكذا تمكن الإمام **يحيى بن محمد حميد الدين** من دخول **صنعاء** لأول مرة ٢٣ محرم عام ١٣٢٣ هـ /٢٦ مارس ١٩٠٥ م .

وبعد أن جمعت **الدولة العثمانية** قواها مجدداً ، وحصلت على المزيد من الرجال والعتاد ، أرسلت قائدها المدرب والخبير بشؤون اليمن **فيضي باشا** ، على رأس جيش متكامل مؤلف من عشرة طوابير ، مما حمل الإمام على مغادرة **صنعاء** ليلجأ إلى معقله الحصين في **شهارة** .

وأمام جبال **شهارة** وحصنها المنيع انهزمت القوات التركية شرّ هزيمة ، واغتنم **اليمنيون** الأسلحة والمؤن التي تركها الجيش التركي المهزوم وارتفعت المعنويات اليمنية إلى أقصاها .

الخسارة بشهارة والمتاعب العثمانية الدولية

كانت **إيطاليا** في تلك المرحلة قد دخلت في حرب مع **الدولة العثمانية** باحتلالها **طرابلس الغرب** (**ليبيا**) ، وقصفت العديد من الموانئ التابعة **لتركيا** ، كما أرسلت أسطولها إلى **البحر الأحمر** الذي خرّب الموانئ اليمنية وأهمها **المخا** و**الحُديدة** كما خرَّب ميناء **الصّليف** الذي كانت شركة السكك الحديدية الفرنسية قد أنشأته ، وباشرت بتمديد الخطوط الحديدية ، وهو الذي كان من المتفق عليه مع **الدولة العثمانية** ليصل بين **الصليف** و**صنعاء** **ثم عمران** مما سبق ذكره ، وذلك أسوة بما حققته **فرنسا** في **جيبوتي** حيث ربطت هذا الميناء الذي أوجدته على الشاطئ الإفريقي لمواجهة **عدن** التي كانت قد أصبحت قاعدة بريطانية ، ولتصل **جيبوتي** بأعماق بلاد **الحبشة** حتى العاصمة **أديس أبابا** ،وهكذا تمكنت **فرنسا** من جعل **جيبوتي** ميناء حربياً واقتصادياً ومنطلقاً للتوسع الاستعماري في **إفريقيا** . وفي هذه المرحلة كانت الدولة العثمانية مضطربة ، لاسيما وأن **الإيطاليين** كانوا عام ١٩١٢ م بعد اتفاقية **دعّان** قد جلبوا **السيد الإدريسي** لجانبهم ، وهو المسيطر آنذاك على **عسير** فزوّدوه بالمال والأسلحة ومنها المدفعية لمحاربة **الأتراك** في الساحل اليمني والجبال الواقعة تحت سلطة الإمام المتعاقد الآن مع **الدولة العثمانية** .

الحرب العالمية ومحاولة استيلاء الأتراك واليمنيين على عدن

يفيدنا فيما نحن بصدده أن ننقل هنا ما كتبه العلامة المؤرخ المرحوم **أحمد فخري** في مؤلفه (اليمن ماضيها وحاضرها) .

« بدأت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ م ، وأصبحت **تركيا** في ناحية **والإنكليز** في ناحية أخرى ، وأخذ كل منهما يسعى إلى اجتذاب الإمام في صفه ، ولكنه آثر موقف الحياد بين الفريقين المتنازعين .

كان **الأتراك** فيما سبق قد غضوا الطرف عما كان يفعله **الإنكليز** في **عدن** ، ولم يحركوا ساكناً عن توسعهم فيما يقع خلفها من بلاد ، بل إنهم قبلوا بين أعوام ١٩٠٢ و ١٩٠٥ القيام بعمل خطوط تحديد لحدود المحميات الغربية . فلما قامت الحرب العالمية الأولى أراد **الأتراك** أن يسببوا المتاعب **للإنكليز** في المحميات ، وأن يعيدوا سيطرتهم على تلك المناطق ، فأرسلوا جيشاً بقيادة اللواء **سعيد باشا** للاستيلاء على **لحج وعدن** ، وقد كان مع **الأتراك** بضعة آلاف من قبائل **القماعرة وتعز والعدين وجبلة وإب والحجرية والحواشب** فهاجموا **مدينة لحج** ، وانتصروا على الحامية الإنكليزية واحتلوا في **يوم ٥ يوليه سنة ١٩١٥ مدينة الحوطة عاصمة السلطنة** ، ففرّ سلطان لحج ومعه بعض أتباعه إلى **عدن** ، فظنتهم القوات الإنكليزية طلائع جيش الأتراك فأطلقوا عليهم النيران ، وأصيب السلطان بجرح مات متأثراً منه .

فلما وضعت الحرب أوزارها وأعلنت الهدنة في عام ١٩١٨ م ، طلب **الإنكليز** تسليم الجنود الأتراك الذين كانوا في **اليمن** وما معهم من أسلحة ومهمات ، ولكن الوالي التركي فضل تسليم البلاد إلى أهلها كما أعطى الإمام أيضاً ما لدى الجيش من مهمات ، أما اللواء **سعيد باشا** فقد استسلم للبريطانيين ، وبذلك عاد إليهم ما كان قد استولى عليه في عام ١٩١٥ م .

وأنزل **الإنكليز** جنودهم إلى **ميناء الحديدة** بعد أن هاجموها بأسطول مكون من خمس عشرة سفينة ، وطلبوا من الإمام **يحيى** تسليم الجنود ، فرفض أن يفعل ذلك ، ولكن الأوامر وصلت من **استانبول** إلى قائد القوة القومندان **أحمد توفيق** بالتسليم ، ففعل ذلك ولكن الوالي **محمود نديم** وبعض الموظفين آثروا البقاء في **اليمن** ، وشغل القليلون منهم بعض الوظائف ، ورتّب الإمام لهم ولغيرهم مرتبات تصرف لهم .

وأخيراً ترك الإمام **يحيى** الإقامة في **شهارة** للإقامة نهائياً في **صنعاء** » .

رفض الإمام يحيى الاعتراف باتفاقية إنجلترا مع تركيا حول الجنوب

لم يطل احتلال الإنكليز **للحديدة** ، ولكنهم لم يريدوا أيضاً ترك الإمام **يحيى** في هدوء ، لأنه لم يهمل أمر المحميات ، إذ أعلن منذ توليه **اليمن** بعد انسحاب **الأتراك** أنه لا يعترف بأية اتفاقية عقدها **الأتراك** مع **الإنكليز** حول الأراضي اليمنية ، وأنه لا يتقيّد بشيء منها إذ إنها باطلة لحصولها من غير صاحب الحق .

ثم أراد **الإنكليز** المساومة على إخلاء **الحديدة** مقابل الاتفاق على حدود المحميات ، وأرسلوا وفداً لذلك برئاسة الضابط **جاكوب** ، ولكن القبائل قبضت على أعضاء **الوفد** في **باجل** وفشلت تلك المحاولة .

الخط الجنوبي

وتحسن الإشارة هنا إلى أن الخط الذي رفض الإمام الاعتراف به هو الذي كانت **إنجلترا وتركيا** قد وضعتاه **جنوب اليمن** والذي يبدأ في **وادي بنا** بالقرب من **قَعْطَبة** شرقاً إلى **حصن مراد** بالقرب من **باب المندب** ، وقد اعتبرت **اليمن** أن هذا الخط يقسم **اليمن** الطبيعية وهو صادر عن جهتين أجنبيتين على أراضٍ لا يملكانها ، وهو الموقف الذي استمرت **اليمن** بالتمسك به كما رأينا في مناسبات أخرى بهذا الكتاب .

وعند ذلك أراد **الإنكليز** خلق المشاكل فسلموا **الحديدة** إلى **الإدريسي** ، وأمدّوه بالسلاح والمال مما شجعه على إعلان نفسه إماماً على عسير وتهامة .

هجوم القوات اليمنية على الجنوب

وأراد الإمام **يحيى** في عام ١٩٢٠ أن يعود للتفاهم مع **الإنكليز** ولكنهم صمّوا آذانهم ، وفي عام ١٩٢١ م شنت قوات الإمام **يحيى** هجوماً على الحدود في مناطق المحميات ، في بلاد **الضالع والشعيب والأجعود والقطيب** ، ولم يسكت **الإنكليز** على ذلك ، فأرسلوا الطائرات للإغارة على الحاميات اليمنية ، وسبب ذلك خسارة كبيرة في الممتلكات والأرواح ، واضطرت تلك الحاميات إلى إخلاء بعض المناطق المتنازع عليها .

الإدريسي ولجوءه إلى الملك عبد العزيز ، وبداية النزاع بالنسبة للحدود الشمالية

توفي **الإدريسي** في عام ١٩٢٣ م ولم يكن نجله **الحسن** قادراً على تحمل الأعباء ، وغيّر كثيراً من رجال أبيه ، وكانت نتيجة ذلك انصراف الكثيرين عنه ، وانتهز الإمام **يحيى** هذه الفرصة ، فأرسل قوة كبيرة إلى **تهامة** ،فهزمت الأدارسة في عام ١٩٢٥ م ، وسيطرت وحاصرت مدن **عسير** ، خصوصاً وأن **الإنكليز** كانوا قد انصرفوا عن مساعدتهم ، فالتجأ **الإدريسي** إلى الملك **عبد العزيز آل سعود** الذي أعلن بدوره الحماية على **عسير** بموجب اتفاقية عقدها مع **الإدريسي في مكة** في ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ / ٢١ أكتوبر ١٩٢٦ م .

وأرسل السعوديون على أثر ذلك في عام ١٩٢٦ م وفداً إلى **صنعاء** لعمل خط الحدود بين **اليمن وعسير** ، ولكن الإمام تمسك بأن **بلاد عسير** ليست إلا جزءاً لا يتجزأ من المخلاف السليماني اليمني وأن **الأدارسة** قد اغتصبوا **عسيراً** من **اليمن** ، عندما كانت تحت حكم **العثمانيين** ، ففشلت المفاوضات وعاد الوفد السعودي إلى بلاده .

وحاول **الإنكليز** من ناحية أخرى أكثر من مرة حمل الإمام على الانتهاء من موضوع تخطيط الحدود الجنوبية المحتلة دون أي نجاح يذكر .

حكم الإمام يحيى كما سجله
الأستاذ العلامة أحمد فخري

استكمالاً للفائدة نستمر هنا بالنقل والاقتباس عن كتاب المؤرخ الثقة الدكتور أحمد فخري (اليمن ماضيها وحاضرها) :

« سار الإمام **يحيى** على سنّة أبيه في مناهضة **العثمانيين** ، ولم يكن ذلك بدافع من أي دولة أجنبية كما أراد أن يصوره البعض ، ولكن الإنصاف للرجل يقضي بذكر الحقيقة ، وهي أنه كان يسير في ذلك على سنّة من سبقه من أئمة الزيدية .

قضى السنوات السبع الأولى في جهاد مستمر بينه وبين **الأتراك** العثمانيين ، فتارة يتغلب عليه الأتراك ، وتارة يحرز نصراً عليهم ، وأخيراً بدأت مفاوضات للصلح بين الإمام **يحيى** والوالي **أحمد عزت باشا** في عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، واعترف الأتراك بحق إمام الزيدية في تعيينه حكاماً لمذهب الزيدية في بلاد الزيديين ، وأن يتقبل الإمام ما يرسله إليه أتباعه من هدايا سواء مباشرة أو بواسطة مشايخ الدولة والحكام . وكان على الإمام أن يدفع عشر حاصلاته للحكومة ، كما اشتملت شروط الصلح على صدور عفو عام عن الجرائم السياسية ، وعدم جباية الضرائب لمدة عشر سنوات من أهالي **أرحب وخولان** لما أصاب بلادهم من خراب .

ثم تعددت الفتن في **تهامة وعسير** ، وكان **لإيطاليا وإنكلترا** أصابع بها ، ذلك أن كلاً من هذين البلدين كانت له رغبة في احتلال شواطئ **البحر الأحمر** الشرقية المواجهة **لأريتريا** الخاضعة للاستعمار الإيطالي ، وهي المشرفة على طريق الهند الحيوية بالنسبة للإمبراطورية البريطانية ، ولهذا حصلت بعد الحرب فتنتان ، إحداهما في منطقة قبائل الزرانيق التي انتهت بسلام ، والأخرى في **عسير** بمرحلة لاحقة . التفت الإمام **يحيى** آنذاك إلى إخضاع من لم يكن قد خضع له حتى ذلك الوقت من أجزاء **اليمن الشرقية** البعيدة عن المحميات ، فتمكنت قواته في عام ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ م من تثبيت سلطته على بلاد **الجوبة وحريب وبيحان** ورتّب لها الموظفين اللازمين . وبعد ذلك بعامين أرسل عدداً كبيراً من الجنود لتركيز ممثليه في جميع مناطق **مأرب والمشرق اليمني** ، ثم ذكر الأستاذ **أحمد فخري** في الصفحة ١٠٩ من مؤلفه أن جيش الإمام هزم رجال قبيلة **عبيدة** فدخلوا في طاعته .

ثم كان دخول الجيش الإمامي إلى **نجران** ، وهذا الأمر متصل بموضوع **الإدريسي** مما كان سبباً لقيام الحرب مع **المملكة العربية السعودية** التي انتهت بعقد معاهدة **الطائف** الملحق نصها في القسم الرابع من هذا الكتاب .

اتفاقية دعّان واستمرار الحكم على أساس مفهومها الأول عند توقيعها

لاشك أن اتفاقية **دعّان** تعتبر الركيزة الأولى لاستقلال **اليمن** عن الحكم العثماني ، وتوجت نضال **اليمنيين** وتضحياتهم وبطولاتهم ، فشكلت بذلك خطوة إيجابية إلى الأمام في سبيل الاستقلال الناجز التام .

إنما احتوت هذه الاتفاقية على عنصر سلبي يؤدي حتماً إلى التخلف ، وزرع بذور الاختلاف مع تكريس ، وربما تعميق التفرقة ، وبالتالي إلى الانفجار لتحقيق العدالة والمساواة والأخذ بالمفاهيم التقدمية العصرية والوحدة الوطنية بعيداً عن التفرقة المذهبية وسواها ، ذلك أن **دعّان** وضعت الحكم بيد الإمام على أساس طائفي محض ، وهي تؤكد هذه الصفة الطائفية أو المذهبية وفقاً للمادة الأولى من اتفاقية **دعّان** وهذا نصّها :

« ١ ـ ينتدب الإمام حكّاماً للمذهب الزيدي وتبلغ الولاية (أي الحكومة التركية المحلية) بذلك ، وهذه تخبر **الآستانة** لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب » .

ويلي هذا البند الأول من الاتفاقية عدة بنود كما يرى نص اتفاقية **دعّان** المرفق ، وهي تركّز على الناحية المذهبية ، وتجعل من الإمام حاكماً طائفياً واسع الصلاحيات ضمن نطاق الحكومة العثمانية وسلطانها ، وتجعل صلاحياته شبه معدومة بالنسبة لغير المنتسبين للمذهب الزيدي في جنوب البلاد .

وإننا نورد هنا نص اتفاقية **دعّان** بكاملها نظراً لتحديدها نوع حكم الإمام وانعكاسها سلبياً على نوعية حكم الإمام بعد استقلاله النهائي وجلاء العثمانيين عام ١٩١٩ م .

نص وثيقة الاتفاق الذي تمّ بين الإمام يحيي
واللواء أحمد عزت باشا
(اتفاقية دعّان)

١ ـ ينتخب الإمام حكاماً لمذهب الزيدية وتبلغ الولاية ذلك ، وهذه تخبر **الآستانة** لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب .

٢ ـ تشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التي يعرضها الإمام .

٣ ـ يكون مركز هذه المحكمة **صنعاء** ، وينتخب الإمام رئيسها وأعضاءها وتصدق على تعيينهم الحكومة .

٤ ـ يرسل الحكم بالقصاص إلى **الآستانة** للتصديق عليه من المشيخة ، وصدور الإرادة السنية به ، وذلك بعد أن يسعى الحاكم في التراضي ولا يفلح ولا ينفذالحكم إلا بعد التصديق وصدور الإرادة بشرط أن لا يتجاوز أربعة أشهر .

٥ ـ إذا أساء أحد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة يحق للإمام أن يبين ذلك للولاية .

٦ ـ يحق **للحكومة أن تعين حاكماً للشرع من غير اليمانيين** في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي .

٧ ـ تتشكل محاكم مختلفة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى المذاهب المختلفة .

٨ ـ تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى لفصل الدعاوى الشرعية ، وذلك دفعاً للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب إلى مراكز الحكومة .

٩ ـ تكون مسائل الأوقاف والوصايا منوطة بالإمام .

١٠ ـ الحكومة تنصب الحكام للشافعية والحنفية فيما عدا الجبال .

١١ ـ صدور أمر عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف والضرائب الأميرية التي سلفت .

١٢ ـ عدم جباية التكاليف الأميرية لمدة عشر سنوات من أهالي **أرحب وخولان** لفقرهم وخراب بلادهم ، على شرط أن يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة .

١٣ ـ تؤخذ التكاليف الأميرية بحسب الشرع .

١٤ ـ إذا حصلت الشكوى من جباة الأموال الأميرية لحكام الشرع أو للحكومة ، فعلى هذه أن تشترك مع الحكام في التحقيق ، وتنفذ الحكم الذي يحكم به عليهم .

١٥ ـ يحق للزيدية تقديم الهدايا للإمام إما توّاً ، وإما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام .

١٦ ـ على الإمام أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة .

١٧ ـ عدم جباية الأموال الأميرية من **جبل الشرق** .

١٨ ـ لمدة عشر سنوات يخلي الإمام سبيل الرهائن الموجودين عنده من أهالي **صنعاء** وما جاورها **وحراز وعمران** .

١٩ ـ يمكن لمأموري الحكومة وأتباع الإمام أن يتجولوا في أنحاء **اليمن** بشرط ألاّ يخلوا بالسكينة والأمن .

٢٠ ـ يجب على الفريقين أن لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط .

وهكذا حكم الإمام المناطق التي أخضعتها اتفاقية **دعان** لسلطته على أساس مذهبي طائفي ، ودام هذا الوضع من عام ١٩١١ م حتى عام ١٩١٩ م عندما اضطرت القوات العثمانية للانسحاب من **اليمن** نهائياً تنفيذاً لمعاهدات الصلح التي وقعتها **تركيا مع الحلفاء أولاً ومع إنكلترا** منفصلة .

الإمام يحيى يرث المناطق التي كانت تابعة للسلطة العثمانية

ولما ذهب **الأتراك** وحصل فراغ في الحكم كان الإمام حاضراً لملء هذا الفراغ ، فاستولى على أغلبية المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني المباشر ، ذلك أن **عسير وتهامة** ظلت خارجة عن سلطانه ، لاعتبارات دولية لها علاقة بالصراع الذي كان قائماً بين **إيطاليا وإنكلترا في البحر الأحمر** .

وها هو الإمام وبظروف ناتجة عن الحرب العالمية وخسارة **تركيا** لممتلكاتها ، يتصرف بمملكة واسعة ، وبالأراضي الجنوبية الخصبة وأهلها النشيطين بأعمال الزراعة والتجارة ، وها هو يحارب

بنجاح لضم **تهامة** إلى ملكه ، لكنه فشل في ضم الجنوب إلى الوطن الأم ، وقد اتضح للإمام بأنه أصبح ملكاً كامل الصلاحيات ليس عليه بعد الآن أن يأخذ موافقة **الآستانة** على تصرفاته الهامة ، وليس عليه أن يسلم عشر حاصلاته للحكومة (أي العثمانيين) ، لكنه لم يتضح له بأنه أصبح من المتوجب عليه أن يهتم بجميع شؤون الدولة ، ويؤسس ملكاً مع جهازه الكامل وفقاً لمتطلبات العصر وأماني الشعب .

وهكذا استمر الإمام (إماماً وحسب مع تعديل متواضع في اقتباس أجهزة الحكم التركي المتخلف) ، كما اعتبر أن المناطق التي كانت خاضعة للحكم العثماني جزءاً من بلاده ، وقد أصبحت تابعة له مع ارتياح أغلبية أهلها لتخلصهم من الحكم التركي البغيض ، ولتمسكهم بوطنهم **اليمن** ، فأرسل الإمام لتلك الأنحاء الخيِّرة من يحكمها من حاشيته أو المنتسبين إليه ، وحصل ظلم وتعسُّف وخِطاط وتنفيذ وابتزاز مما زرع بذور النقمة والتطلع إلى حكم يتماشى مع متطلبات ومفاهيم العصر ، ومع وطن يمني أصيل موحد ومتطور يحق لبنيه الاعتزاز به .

وإننا نعتبر هذه المرحلة الهامة من **اليمن** المعاصر لاتزال بحاجة إلى دراسات محايدة قام بهاالبعض ، لكنها لن تصبح كاملة إلا بعد مراجعة الوثائق والتحقيق من الأحداث وخلفياتها ، ومثل هذه المواضيع تعود دراستها إلى الجهات الجامعية الأكاديمية والمتخصصة بتاريخ **اليمن** الحديث ، وهذا ما يقوم به العهد الحاضر باهتمام .

الصراع بين الإمبراطوريتين العثمانية والبريطانية
والخطوط الفاصلة بينهما في الجزيرة العربية ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥
وانعكاساته على مرحلة استقلال اليمن

تحفظ اليمن المستقل في الأمم المتحدة

كان النزاع في بداية هذا القرن العشرين على أشده ما بين الإمبراطورية العثمانية التي كانت قد أصبحت متداعية ويسمونها **الرجل المريض** ، بعد أن كانت قد سيطرت مدة امتدت لست مئة سنة على ما يقرب خمس الكرة الأرضية ، وبين الإمبراطورية البريطانية التي كانت قد وصلت إلى عزّ مجدها ، وأصبحت تلقب بالإمبراطورية التي لاتغيب الشمس عن ممتلكاتها .

وبالنسبة **لليمن والجزيرة العربية** إجمالاً فإنه كان كلما تقلص نفوذ الأولى اتسع نفوذ الثانية .

وفي عام ١٩٠٢ توصلت الإمبراطوريتان إلى وضع خط على الخريطة يحدد نفوذ كل منهما ، وقد أطلق على هذا الخط الفاصل بين الإمبراطوريتين العملاقتين آنذاك اسم الخط الأحمر ، ذلك أنه خُطط بشكل مستقيم باللون الأحمر .

ثم حصل تعديل أول لهذا الخط ووضع على الخريطة نفسها باللون الأزرق ، وكذلك أدخل عليه تعديل إضافي لاستثناء **الكويت** بخط نصف دائري أحمر ، ثم أضيف إليه حول منطقة **الكويت** خطاً أزرقَ مستقيماً باتجاه الجنوب ، ثم نصف دائري باتجاه **الخليج** شرقاً ووقعت **اليمن** الداخلية ضمن غربي الخط الأحمر وجنوبي الخط الأزرق الذي أضيف على الأحمر وهو ما يعود للنفوذ العثماني ، بينما بقي جنوب **اليمن** خارجاً عن الخط الأحمر تحت الحكم البريطاني ، وكذلك سائر أنحاء **الجزيرة** جنوباً وشرقاً على **شواطئ الخليج** ، حيث قسّمت **إنكلترا** تلك المناطق إلى **إمارات ومشيخات** تتصرف بأمورها وفقاً لمصلحتها ، ودام ذلك كما هو معلوم ، إلى أن تحولت المناطق الواقعة على **الخليج** إلى دول مستقلة ذات شأن ، وهي الآن تتقدم بخطوات عملاقة ، كما أنها دائبة الدعم لسائر العالم العربي والإسلامي ، وذلك بعد أن أصبحت من دول النفط الميسورة والمحترمة الجانب .

وكان موضوع تخطيط مناطق النفوذ **البريطانية والعثمانية** متعدد الجوانب كألوان الخطوط الفاصلة التي سجلوها على الخرائط ، الأمر الذي جعلنا نخصص لذلك عنواناً منفصلاً مستنداً إلى تلك

الخرائط ، حيث شرحنا المراحل التي مرَّ بها هذا الخط والخطوط الوهمية الأخرى المتفرعة عنه قبل زوالها نهائياً .

انقسام اليمن ومحاولات توحيدها

وباعتماد الخط الوهمي انقسمت **اليمن** الطبيعية إلى شطرين ؛ الأول : وهو الأعلى عاد لنفوذ **الآستانة** ، والجزء الأسفل إلى حكم **لندن** بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، واعتبر جزءاً من مستعمراتها المتنوعة التسمية ، وبعد الحرب العالمية الأولى استعادت **اليمن** العليا (الشمالية) استقلالها بعد حروب ومعارك عديدة ضدّ **العثمانيين** ، وضمّت إليها الجزء الذي كان تابعاً للنفوذ **العثماني** كما رأينا . ولما حاولت استعادة الشطر الذي كان تابعاً للحكم **البريطاني** تصدّت **إنكلترا** للمحاولة **اليمنية** واستعملت الطائرات للاحتفاظ بما كانت قد استولت عليه ، وهكذا ظلت **اليمن** مقسومة إلى **يمنين** ؛ أحدهما مستقل وعاصمته **صنعاء** ، والآخر خاضع **لبريطانيا** العظمى ومركز الحكم فيه ميناء **اليمن** الطبيعي على المحيط وهو **عدن** الحصينة .

ولم تعترف **اليمن** المستقلة يوماً من الأيام وتحت مختلف أنواع الضغط والقتال بأي حدود تؤدي إلى تقسيمها ، واعتبرت أن الخط الذي وضع على الخريطة للفصل بين نفوذ الأجانب **العثماني والبريطاني** مرفوضاً ولا يمكن بأي شكل من الأشكال وبأي ظرف من الظروف ، أن يشكل حدّاً يقسم البلد الواحد الذي يقطنه شعب واحد ويدمجه دين واحد وتقاليد واحدة وعنصر أصيل غير مُفرَّق .

وبعد أن فشلت **اليمن** المستقلة في استعادة الأجزاء التي فصلها الخط الوهمي القائم في الجنوب والمستند إلى الأمر الواقع عن البلد الأم بلجوئها إلى القتال الحربي كما ذكرنا ، لعدم تكافؤ القوى ، لاسيما وأن **إنكلترا** استعملت الطائرات التي لاتملكها **اليمن** ولا تستطيع استعمالها لمرورها بعهد تخلف مرير مثل الإمبراطورية العثمانية التي كانت تابعة لها قبل الحرب العالمية الأولى .

لذا لجأت **اليمن** لاستعادة المناطق التي سلخت عنها باستعمال الوسائل السياسية وقد بدأت عام ١٩٣٩ م بتوجيه رسالة احتجاج من ملك اليمن الإمام **يحيى** إلى الملك **جورج السادس** كما سنرى . وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية انضمت **اليمن** إلى جامعة الدول العربية ، لتحصل منها على سند ، ولاقتناعها بأن توحيد كلمة **العالم العربي** سيعطيها القوة اللازمة لتحقيق وحدتها الطبيعية ، كما لجأت إلى منظمة الأمم المتحدة بحثاً عن سند دولي قانوني ، وطالبت في الأمم المتحدة بعناد واستمرار ضمن نطاق لجنة الوصاية أولاً ، ثم لجنة تصفية الاستعمار لاستعادة المناطق المنسلخة عنها بعهد حكم الإمبراطوريتين اللتين زالتا من الوجود بهذه الصفة . وناضل أبناء المناطق **اليمنية** الخاضعة للحكم البريطاني وضحوا وتغلبوا على ألاعيب الاستعمار ، وأفشلوا المخططات التي كانت **إنكلترا** قد وضعتها

لجعل **جنوب اليمن** دويلات مستقلة اسماً ، وخاضعة لها عملياً ، لعدم توفر عناصر الاستقلال التام لها ، لكنها فشلت في النهاية من خلق دويلات هزيلة مرتبطة بها مثلما كانت قد حققته بعهود وظروف أخرى بأطراف **الجزيرة** . ثم نجح النضال الوطني اليمني في الجنوب الرامي لتحقيق الوحدة ، وقد أدت ظروف النضال لقلب الأوضاع السياسية رأساً على عقب ، وزوال الحكم والنفوذ **البريطاني** نهائياً ، لكنه أبقى حتى الآن **اليمن** الطبيعي مقسماً إلى شطرين ، وهكذا بقي على **اليمنيين** أن يحققوا وحدتهم دون الاكتفاء باستقلالهم عن السيطرة والاستعمار ، وهذا ما يعملون من أجله بانتظار الظروف الدولية المواتية لمساعدتهم للوصول إلى هدفهم المنشود السامي .

وجدير بالذكر أنه عندما وصلت الأمور في الأمم المتحدة إلى تقرير استقلال المناطق الجنوبية من **اليمن (عدن والمحميات)** وكذلك التسمية الأخرى التي لجأت إليها **بريطانيا** المستعمرة وهي : **اتحاد إمارات الجنوب العربي** وكانت قد عقدت معاهدة مع **الاتحاد** وضمت **عدن** إليه ، لكنها لم تفلح بخططها الاستعماري الجديد ، ذلك أن **اليمن** المستقل كانت قد أصبحت جمهورية عصرية المفاهيم وأعطت مثالاً ودعماً للحركة الاستقلالية في الجنوب ، يساندها بذلك موجة النهضة القومية التي تزعمتها **مصر** برئاسة الرئيس **جمال عبد الناصر** ووسائل إعلامه الملهبة لمشاعر العزة والسيادة الناجحة ، ومنها إذاعة صوت العرب ، ومساندته الفعّالة عسكرياً **لليمن الجمهوري** . وقد عاصر **المؤلف** تلك المرحلة وساهم بتطوراتها حيث كان له شرف تمثيل **اليمن في الأمم المتحدة في ٣٦ دورة من دوراتها** كما كان وراء إقناع **الإمام يحيى** في الانضمام إلى **الأمم المتحدة** عام ١٩٤٧ .

الأمم المتحدة والجنوب العربي بدلاً عن جنوب اليمن المحتل

وقد أدى هذا الواقع والنضال الشامل في الجنوب وتأييد الأمم المتحدة للحركات الاستقلالية ، وكذلك إنشاء لجنة تصفية الاستعمار . أدى هذا التيار إلى خضوع **إنكلترا** لرغبة الشعب ونضاله في الشطر الجنوبي وقبول قرار الأمم المتحدة وقبول استقلاله المنشود . وكان قد حصل التوصل في نطاق الأمم المتحدة لتسمية المنطقة **الجنوب العربي** ، بينما كان **اليمن المستقل** يطالب بتسميته **الجنوب اليمني المحتل** .

تحفظ اليمن بالنسبة لقرار استقلال الجنوب العربي لأنه لم ينص على توحيد اليمن .

ولما كان قرار الأمم المتحدة بالاستقلال لا ينص على عودة الشطر الجنوبي للشمال وانضمام الشطرين ليشكلا بلداً واحداً ، فقد انفرد آنذاك مندوب اليمن المستقل (الجمهورية العربية اليمنية) بتسجيل موقف اليمن من قرار الاستقلال والتحفظ على القرار بالشكل الذي صدر فيه .

نص الموقف بالحرف الواحد عندما كان لمؤلف هذا الكتاب شرف تمثيل الجمهورية العربية اليمنية .

ترجمة حرفية للأصل ، وهو بالفرنسية قبل اعتماد اللغة العربية كإحدى اللغات الرسمية للمنظمة الدولية :

الأمم المتحدة
الجمعية العامة للدورة الواحد والعشرين
الاجتماع ١٤٩٠ الاثنين ١٢ ديسمبر ١٩٦٦ م الثانية بعد الظهر
من الفقرة ٢٥ :

« إن وفدي لم يؤيد القرار الخاص بعدن الذي تم التصويت عليه الآن ، لأننا نؤمن إيماناً راسخاً بأن تحرير بلادنا الحقيقي والكامل لن يتحقق إلا إذا اكتملت وحدة اليمن الأساسية في داخل حدوده الطبيعية ، وأعيدت لكامل شعبنا وحدته التي مزقها الاستعمار ، ونود أن نعبر عن قناعتنا بأن وحدة أرضنا وشعبنا هي الوحيدة القادرة بأن تضع حداً نهائياً للاستعمار في جميع أشكاله . إن هذه الوحدة إذ تأخذ بالاعتبار تطلعات شعبنا الطبيعية لاتعني بأي شكل من الأشكال بأن الجنوب يجب أن ينضم للشمال أو العكس إذ إن الشعب اليمني بأكمله يتطلع للوحدة القومية في جميع أنحاء البلاد سواء كانت محتلة أم حرة . إن التجزئة التي فرضها الاستعمار على شعبنا هي التي جعلت منه شعباً بلا دفاع وعرقلت تقدمه وتطوره » .

وقد كان تسجيل الموقف المذكور أعلاه في الاجتماع ١٢٧٧ الفقرة ١١٦ ، وهو منشور بنصه الرسمي مع مرفقات الكتاب .

التعرف على الآثار والتراث اليمني ومصيره

نبذة عن التراث اليمني الذي تمكن الغربيون من تحصيله وحفظه والاحتفاظ به ودراسته

بداية عهد المستشرقين ١٧٦١ م

أشهر من زار اليمن من المستشرقين :

بعد مرحلة انقطاع طويلة جداً بين بلاد الغرب وبلاد مملكة **سبأ** دامت نحو ١٢٠٠ سنة ، أي منذ أن زارها **سترابون** عام ٢٤ قبل الميلاد ، وذكرها مؤلف (الطواف حول البحر **الأرتيري** ٥٠ ـ ٦٠ ميلادية) ، ثم زارها **تيوفانوس** سفير إمبراطور **بيزنطة** في بداية القرن السادس ميلادي . اتسع أثناؤها المجال للأساطير عن ذكر بلاد **الطيوب** ومملكة سبأ وبلاد الراهب **يوحنا (أثيوبيا)** ، ثم اهتمت المحافل الغربية الراقية بالتعرف على بلاد اللُّبان والعطور والمعادن الثمينة ، ومحاولة التفريق بين ما هو حقيقي وما هو من نسج الخيال ، ومن قبل مدوني ومبتكري الأساطير الشيقة . وكان الاهتمام الغربي بدافع العلم والمعرفة وهو المعلن والمتفق إلى حد ما مع الواقع بالنسبة للعلماء . لكن الاهتمام غير المعلن كان محصوراً برغبة الاستعمار استغلال موارد تلك البلاد ، وهو حتماً الدافع الأعمق والأصح خاصة في بداية عهد الاستعمار . والطريق بالنسبة لبلاد الراهب **يوحنا (أثيوبيا** حالياً) هو اعتقاد نصارى الغرب أن باستطاعتهم إذا ما تمكنوا من الوصول إليها هو التعاون مع ملوكها لتحويل نهر **النيل** إلى **البحر الأريتري (الأحمر)** والقضاء على **مصر** وعاصمتها **القاهرة** التي تجفُّ وتعطش ، وهو مما سنذكره تحت عنوان آخر .

بعثة فريدريك الخامس ملك الدانمرك ١٧٦١

كان هذا الملك وفقاً للمصادر الغربية مولعاً بجمع المعلومات العلمية التاريخية والنباتات ، واطلع على ما جاء بالتوراة ، وما ذكره **هيرودوتس** عن **سترابون ويوليوس جولوس** القائد الروماني (٢٤ قبل الميلاد) ، وكذلك ما جاء ذكره بكتاب (الطواف حوال البحر **الأرتيري**) كما ذكرنا ، لذا ألَّف بعثة من خمسة علماء اختصاصيين ينتسبون لعدة جنسيات للتعرف على العربية السعيدة ومنتجاتها ، وخاصة للتعرف على مصدر اللُّبان والمرّ .

وقصة هذه البعثة منشورة بعدة لغات ومنها العربية ، وذلك لأهمية ما اطلعت عليه ، ولوصف المتاعب التي لاقتها ، والأمراض التي عانى منها أعضاؤها ، ووفاة أربعة منهم أثناء تأديتهم مهمتهم

الشـاقـة العمـلاقـة . ولم يعـد من أعضـاء هـذه البعثـة من العلمـاء غير مـوفـد واحـد اسمـه (**كارستن نيوبور**) ، وسنرى لاحقاً موجزاً لهذه الرحلة وهو ماسبق أن نشرناه بالإنكليزية .

كارستن نيوبور CARSTEN NIEBUHR الألماني الجنسية (١٧٦١ ـ ١٧٦٧)

وصلت البعثة المذكورة في بداية رحلتها إلى (**أزمير ثم استنبول = إسلام بول**) ثم **مصر** ، ومنها إلى ميناء (**اللّحية**) في **اليمن** ، ومنه إلى مينـاء (**المخـا**) مصـدر البن اليمني الشهير ، حيث توفي (**فون هافين**) رئيس البعثة الدانمركي وتلاه (**فورسكال**) عالم النبـات ، وعنـدمـا كان **فورسكال** في طريقـه إلى **صنعاء** لاقى حتفه في (**يريم**) قبل الوصول إلى عاصمة **اليمن** ، وهكذا بقي ثلاثة من خمسـة واصلوا طريقهم إلى **صنعـاء** ، ثم عـادوا إلى (**المخـا**) ليتـابعـوا سفرهم منهـا إلى **الهنـد** ، وفي الطريـق إلى (**بومباي**) مات ثالثهم أمام جزيرة (**سوقطرة**) ، ثم مات رابعهم بعد وصوله إلى (**بومبـاي**) ، ولم يعد سالماً غير الشاب العـالم الألمـاني (**نيوبور**) ، وكان من اختصـاصـه أيضـاً وضع الخرائـط . وقـال (**نيوبور**) بعد عودته إلى (**كوبنهـاغن**) العـاصمـة حيث سجل مـا كان قـد اطلع عليـه هو وزملاؤه الأربعة في كتاب نشره بـالألمـانيـة عـام ١٧٧٢ تمت ترجمتـه إلى الفرنسيـة عـام ١٧٧٣ والإنجليزيـة عـام ١٧٩٢ م ثم أعيدت طباعته بهذه اللغات . كما وضع عدة رسوم يدوية لمدينة (**تعز**) ، وكذلك لمدينـة (**يريم**) ، وأيضـاً لإحـدى مقـابلات الإمـام ، ونشرت هـذه الرسوم في الكتـاب المـذكـور . وهكـذا أصبحت هذه البعثة أول من نقل إلى العالم الغربي بعد انقطاع دام اثني عشر قرنـاً من الزمن معلومـات قيمة موثوقة ورسوم يدوية كما ذكرنا ، وكذلـك سجلت معلومـات أكيـدة وعلميـة دقيقـة مرفقـة بـأول خريطة تقريبية ، كان هذا الاختصاصي قد وضعها عن بلاد العرب السعيدة .

وكان عـالم النبـات (**فـورسكال**) قـد تعرف على شجرة السنـط أو الفتنـة التي أطلـق عليهـا اسم (البلسم) وكان قد صادفها وهو في طريقـه إلى (**يريم**) قبيل وفـاتـه ، وهي شجرة المرُّ التي أصبحت تحمل اسم مكتشفها (**فورسكال**) لدى علماء النبات ومعاجمهم .

كما كان **نيوبور** أول من اطلع على حجر أثري يحتوي على نقش كتب بلغة جنوب الجزيرة التي لم يكن (**نيوبور**) يعرف عن كتابتها شيئاً ، وفقاً لما دونه .

ولأهمية مشاهدات هذه البعثة الأوربيـة الأولى التي تعود إلى نهـايـة القرن الثـامن عشر رأينـا أن نخصص لها العنوان التالي :

مشاهدات البعثة الدانمركية ، وهي الأوربية الأولى ، في اليمن

منذ دخول الإسلام إلى **اليمن** وحتى نهاية القرن الثـامن عشر لم يتمكن أي زائر أوروبي من زيـارة **اليمن** ، وكان **الإسكندر المقـدوني** قـد خطـط في القرن الرابع قبل الميلاد لاحتلال العربيـة السعيـدة ،

لكنه توفي قبل أن يحاول تحقيق أمنيتـه ، أمـا القـائـد الرومـاني (**يوليوس جـاليوس**) فقـد فشل في محاولته فتح **اليمن** عسكرياً (عام ٢٤ قبل الميلاد) .

وهكذا اضطر الأوربيون الانتظار حتى بداية العهـد الاستعماري ، لكي يتمكنوا من تكوين صورة صحيحـة عن **اليمن** على أسس علميـة . حيث لم يكن العـالم الغربي يعرف أي شيء عن منبـع حضـارة العرب القديمـة ولا ثرواتهـا ولا منـاخهـا ولا معـالمهـا الجغرافيـة ولا إنتـاجهـا الزراعي بمـا فيـه البلسم والبخور ، وحتى نوع حكمها . كان كل ذلك لغزاً وكـذلـك مختلف جوانب الحيـاة . ولهـذا السبب كان المثقفون الأوربيون وبشكل خـاص العلمـاء يتوقون للاطلاع على حقيقـة هـذه البـلاد الشهيرة ، والتي نقل بعض الأخبار عنها التجار والسجناء في بداية القرن السادس عشر .

وخـلال القرن الثـامن عشر ، وهـو القرن الـذي سُمي بعصر النـور في أوروبـا ، كانت معظم الجامعات الرئيسية تسعى للتعرف وللاطلاع على أحوال (العربية السعيدة) ، وكـذلـك لتفسير بعض النقاط الغامضة التي جاءت في الكتب المقدسة عنها ، كما كانت السلطات الأوربيـة تتنـافس في السعي وحتى القتال بقصد فتح أسواق جديدة أمام منتجـاتهـا وتحصيل سلع غير متوفرة بـأوروبـا . وكـذلـك اكتشاف إنتاج البن والبخور الذي كان يعتبر من نوع الأسرار ، أما التوابل ومنتجات **إفريقيـا والهنـد وآسيا** ، فكانت قـد أصبحت بـأيـدي المستعمرين بعـد وصولهم إلى **المحيـط الهنـدي** منـذ بـدايـة القرن السادس عشر . لكنه بالرغم من محاولات عديدة بذلتها الدول ، وأيضاً بعض التجار ، أو المغامرون من **البرتغال وهولندا وإنكلترا ثم فرنسا** ، لم يكن هناك أي معلومات علمية جـديرة بـالثقـة عن المنـاطق الداخلية في **اليمن** في مملكة **سبأ** القديمة .

لجميع هذه الاعتبارات قرر ملك الدانمرك إرسال البعثة العلمية المذكورة لاكتشاف حقيقـة **اليمن** ، وذلك تلبية لطلب ملح صدر عن عالم فقه ومستشرق ألماني هو (**دافيد ميكايلس JOHANN DAVID MIKAYLES**) من جـامعـة (غوتنفن) وقـد تمكن الأستـاذ **ميكايلس** من تحقيـق هـدفـه مـع وزير خارجية **الدانمرك** ، حيث تم تنظيم أول بعثـة أوربيـة علميـة لزيـارة بلاد **اليمن** السعيـد ، بلاد البخور والبلسم والمرّ . وقد بارك (الملك **فريدريك الخامس**) المبادرة ، وأمر بتمويلهـا ، وكانت هـذه البعثـة مؤلفة من خمسة أعضاء كما ذكرنا سابقاً وهم :

١ ـ الأستاذ فون هافن — دانمركي ، عالم بفقه اللغات .
٢ ـ الأستاذ فورسكال — سويدي ، عالم فيزيائي وعالم نباتات .
٣ ـ المهندس نيوبور — ألماني ، عالم في الرياضيات والفلك ورسّام للخرائط .
٤ ـ الدكتور كرامر — دانمركي ، طبيب وعالم فيزيائي .
٥ ـ السيد باورنفايند — ألماني ، فنان وخطاط .

ويرافقهم خادمهم (**برغرن**) .

شكلت هذه (الرحلة العربية) كما سميت فيما بعد ، بالنسبة للغرب أول اتصال علمي مع بلاد مملكة (**سبأ**) ، وقدمت لأوروبا صورة حية عن الحياة اليومية في **اليمن** قبل أكثر من ٢٠٠ عام .

مسيرة الرحلة إلى اليمن

كان وصول البعثة إلى ميناء **اللّحية باليمن** في خلال شهر كانون الثاني / يناير من عام ١٧٦٣ م ، ولكن لم يتمكن من العودة إلى الدانمرك سوى رجل واحد فقط ، هو الألماني (**نيوبور**) الذي وضع أول خريطة **لليمن** ، وقدم تقارير علمية صادقة عن الأوضاع التي كانت سائدة في **اليمن** آنذاك كما ذكرنا سابقاً . أما زملاؤه الخمسة الآخرون فلقد توفوا جميعاً ، ودفن اثنان منهم في **اليمن** ، وبفضل تلك الرحلة التي دونت أخبارها بعدة لغات تعرفت أوروبا بعض الشيء على بلاد **سبأ** .

نباتات اليمن

اكتشف عالم النباتات السويدي (**فورسكال**) عام ١٧٦٣ شجرة (البلسم) بين **تعز وبيت الفقيه** . ولقد وصف (**فورسكال**) هذا الاكتشاف لزميله الأستاذ (**ليني**) في رسالة بعثها إليه في شهر نيسان/أبريل ١٧٦٣ وقال : « لقد اكتشفت شجرة البلسم الحقيقية ... إن هذه الشجرة تنبت في **اليمن** ، ولكن السكان الأصليين لا يعرفون طريقة استخراج البلسم منها » .

كما اكتشف هذا العالم عدداً كبيراً من أنواع النباتات في **اليمن** ، ولكن اكتشافه للبلسم كان يرتدي أهمية بالغة ، وقد تمكن من إرسال عدد من النماذج المكتشفة للأستاذ (**ليني**) في جامعة (**أوبسالا**) السويدية .

السكن

لقد وصف **نيوبور** المساكن في **صنعاء** وقال عنها أنها مريحة ، « يتضمن كل منزل عدداً من الغرف الفسيحة ، وهو محاط بحديقة مليئة بكل أنواع الفاكهة والأشجار ، والبناء وفقاً للطراز العربي تكثر فيه أحواض المياه » .

البلاط الملكي والضيافة اليمنية

جاء في كتاب (**نيوبور**) الوصف التالي عن البلاط اليمني والضيافة .

« جرت المقابلة في قاعة واسعة ومستطيلة سقفها على شكل أقواس ، وفي الوسط نافورة تقذف الماء إلى ارتفاع ١٤ قدماً . وضع العرش على مرتفع خلف النافورة ، وكانت الأرض مغطاة بالسجاد

العجمي ، أما العرش فكان على شكل منصة مربعة ملفوفة بالحرير ، وضعت عليها ثلاث وسادات كبيرة ، واحدة خلف الإمام ، وواحدة على يمينه ، وأخرى على يساره » .

« وكان الإمام يجلس على عرشه على الطريقة الشرقية مرتدياً (ثوباً) أخضر ، وعلى يمينه أولاده ، وعلى يساره أشقاؤه ، وأمامه وزير الدولة السيد الفقيه أحمد . وقف أعضاء البعثة أمامه يحيط بنا عدد كبير من زعماء العرب . تقدمنا من الإمام وقبلنا يده اليمنى من الجانبين ، وكلما كان يلمس أحدنا يداه ، كان يصيح أحد المنادين كلمات تعني (حفظ الله الإمام) ، وكان جميع الحاضرين يكررون هذه العبارة بكل مالديهم من قوة » .

تلقت البعثة هدية نقدية من الإمام بمبلغ ٩٩ خماسية . قال **نيوبور** عن هذه الهدية التالي :

« قد يبدو أمراً غريباً ، أن يرسل لنا الإمام هدية نقدية على شكل قطع معدنية فقط ، ولكن طالما يتعين علينا أن نشتري كل شيء من الأسواق وأن ندفع نقداً ، ربما كانت هذه الهدية لفتة بارعة من الإمام كي يسهل علينا التعامل التجاري في الأسواق » .

ملاحظة لطرافتها على هامش الهدية

ذكر لنا بعض من تلقى هدايا نقدية من الإمام **يحيى** ، وخاصة من الإمام **أحمد** بأن المبلغ الذي كانت تحتوي عليه (الصرة) كان يتراوح بين ٩٨ و ٩٩ قطعة . ويبدو أن المكلف بِعَد القطع ووضعها بـ (الصرة) كان يحتفظ بقطعة أو قطعتين لنفسه ، وهو من الأمور التقليدية عند الحاشية ، إذ إنه من غير المنطقي أن يكون الإمام قد حوّل ٩٩ قطعة بل مئة ، وكان المكلف بهذه المهمة يتقاضى شيئاً قليلاً من (الهدية) لتأكده بأن المستلم لن يُراجع أو يلفت النظر لذلك .

القبطان (لاغرولوديير LA GRELAUDIERE) والطبيب (باربيه BARBIER) الفرنسيين ١٧١٢ م

كان وصولهما إلى داخل اليمن قبل البعثة الدانمركية بنصف قرن ، لكنّ هذه الزيارة لم تكن علمية إنما جاءت عرضاً بسبب مرض الإمام ، ـ كانت إحدى السفن الفرنسية قد وصلت من ميناء (**سان مالو**) وهو على المحيط الأطلسي إلى **المخا** للتجارة في عام ١٧١٢ م ، ولم يكن آنذاك يسمح لأي أجنبي بتجاوز حدود ميناء **المخا** ، لكنه لما عرف بها الإمام **محمد بن أحمد بن الحسن** باني مدينة **المواهب** وكان آنذاك مريضاً ، طلب وصول طبيب السفينة إليه لمعالجته ، فوصل القبطان والطبيب إلى قصر الإمام ، وتركا لنا وصفاً دقيقاً لما كان عليه الحال في القصر الإمامي والمراسم التي رأينا نشر ترجمة بها أدناه وفقاً لما جاء تحت قلم الفرنسيين المذكورين ، ونقلته إلينا الكاتبة (**جاكلين بيرين**) :

وصف القصر الملكي :

« القصر الملكي الذي بُني في العاصمة الجديدة (المواهب) بسيط للغاية ، الحديقة هي في الواقع مزرعة بُن . ثياب الملك مصنوعة من قماش جيد ، ولكنها بلون واحد ، ودون أي زخرفة ، ولا يميز الملك عن غيره سوى غطاء من الحرير الأبيض الناعم » .

ولقد شعر (**لاغرولوديير**) بأن هذه البساطة في الحياة اليومية ترتكز على أساس ديني ، وكان أول من اكتشف الطابع الخاص لأي مملكة عربية ، وهو أن الإمام أو الشريف ينحدر من نسل النبي ﷺ ويجسد في التقاليد الدينية والسلطة الزمنية نفسها . أما الصلاة يوم الجمعة . فهذا هو وصف لها كما أتانا به (**لاغرولوديير**) :

« إن الاستعراض داخل المسجد يبدأ بمرور ألف جندي سائرين على الأقدام بنظام كامل بعد أن أطلقوا النار عند باب القصر ، ويحمل عدد منهم أعلاماً كتب عليها (**محمد و علي**) ، يتبعهم فوراً مئتا فارس من الحرس الملكي مدججين بالسلاح . ثم يدخل أهل البلاط راكبين على خيولهم والملك على حصانه الأبيض الجميل ، بجانب ولديه على أحصنة رائعة مزخرفة . ويسير فارس أمام الملك ، ويحمل القرآن الكريم ، ممتطياً حصانه أيضاً . في حين أن فارساً آخر يحمل الأعلام الملكية المصنوعة من قماش الدامسكو الأخضر والمزخرفة بكتابات عربية ذهبية ، وأحد الحراس يحمل سيفاً مزخرفاً ومنقوشاً . وتسير أيضاً الفرقة الموسيقية بالطبول والمزامير ، كما يتقدم ركب الملك خمسون فرساً من أحسن الأنواع من إسطبله الرئيسي في ذمار ، وكذلك خمسون جملاً بكل تجهيزاتهم وزخرفاتهم » .

حصيلة المستشرقين

نعتبر من الأمانة الاعتراف أن أعمال المستشرقين كانت إيجابية ومفيدة للتعرف على التراث الوطني ، وحفظ ماتمكنوا من تحصيله من آثار ومخطوطات ثمينة ، بغض النظر عن أنواع الغايات التي دفعتهم لذلك . وبينهم من ضحى بحياته لتحقيق أمنيته النبيلة .

توماس آرنو THOMAS ARNAUD ١٨٤٣

كان هذا الشاب آنذاك صيدلياً فرنسياً في خدمة الوالي العثماني **بصنعاء** . وقد غامر : (**آرنو**) بالسفر مع إحدى القوافل إلى (**مأرب**) حيث أقام ثلاثة أيام . وهكذا وبفضل قوافل نقل الملح من أطراف الربع الخالي إلى **صنعاء** ، تمكن هذا الصيدلي من زيارة **مأرب** وآثارها وبقايا سدها العظيم ، كما زار آثار (**صرواح**) ونقل ٥٦ نقشاً ، وحرر مذكرات دقيقة لرحلته أرسلها إلى **فرنسا** عن طريق القنصل الفرنسي **فرسنيل** M. FRESNEL .

وكان **آرنو** هذا أول غربي يرى آثار **صرواح وسد مأرب** التي كان الكثيرون يميلون لاعتبارها أسطورية لولا ذكرها بالقرآن الكريم . وتمكن **آرنو** من إرسال حصيلة ما اطلع عليه وجمعه لها إلى فرنسا عام ١٨٤٥ م حيث نشرت رسالته في الجريدة الآسيوية ، ولا نعلم فيما إذا كان وصف هذه الرحلة الأجنبية الأولى لبلاد **الجوف ومأرب** قد نقلت إلى العربية بكاملها أم حصل الاكتفاء بالإشارة إليها .

جوزيف هاليفي JOSEPH HALEVY ١٨٦٩

كان على الغرب والمستشرقين المهتمين بالتعرف على آثار بلاد مملكة **سبأ** أن ينتظروا نحو ربع قرن بعد مغامرة الصيدلي الفرنسي **آرنو** ، قبل أن يحصلوا على معلومات إضافية دقيقة ومذهلة لأهميتها ، والطريقة التي استعملت للحصول عليها . ففي عام ١٨٦٩ تحققت تطلعات المختصين بفضل رحلة قام بها عالم يهودي فرنسي بمساعدة أكاديمية الفنون الجميلة في **باريس** ، عندما لجأ هذا المستشرق للحصول على المعلومات المنشودة إلى طريقة غير عادية .

سافر هذا العالم المتفاني في تأدية مهمته إلى **عدن** ، حيث اتصل باليهود اليمنيين ولبس ملابسهم ، واصطحب معه أحد وجهائهم هو **حاييم حبشوش** ، وهكذا تمكن **هاليفي** رفيق **حاييم حبشوش** من التجول في جميع المناطق التي رغب في التوجه إليها بصفته يهودياً يمنياً ، وكان **اليهود في اليمن** مطلقي الحرية بالتجول وممارسة الأعمال التجارية والمهنية وسواها ، وهم بالأصل يمنيون اعتنقوا الديانة

اليهودية كما علمنا ، ولا يختلفون بالسمة عن سواهم ، إنما حافظوا على تزيين شعر الرأس ونوع اللباس التقليدي القديم ، ومع ذلك فقد واجه **هاليفي** مصاعب عديدة تغلب عليها بشكل أو بآخر ، وخاصة بالحيلة حيث كان يعطي الانطباع بأنه نائم بالقرب من الأحجار الأثرية ليتمكن من نقل نقوشها .

كما أن **هاليفي** علّم **حبشوش** على كيفية نقل النقوش بواسطة ـ المولاج ـ وسجل **هاليفي** وصفاً لكل ماشاهده من الآثار العديدة التي زارها ، ونشر حصيلة ماتوصل إليه في الجريدة الآسيوية عام ١٨٩٢ م . كما أن **حاييم حيشوش** نفسه روى قصته مع **هاليفي** نشرت بعد ذلك في القدس عام ١٩٤١ م .

وكانت حصيلة **هاليفي** إلى جانب وصفه للآثار وتعليقاته نقوشاً تاريخية هامة عددها ٦٧٦ نقشاً ، بينها إحدى عشر نقشاً كان **آرنو** قد قام بنقلها ، وهكذا حصل على ٦٦٥ نقشاً جديداً جاءت إضافية وركيزة علمية هامة للتعرف إلى حد ما على آثار بلاد **معين وسبأ وحمير** وسائر الدول التي رافقتها على طريق تاريخ الحضارة بجنوب جزيرة العرب .

أدوارد جلازر EDWARD GLAZER ١٨٨٢ ـ ١٨٩٢

قام هذا المستشرق النساوي بأربع رحلات ، وذلك بعد أن تعلم أولاً اللغة العربية . كانت حصيلة تلك الرحلات العلمية ولا تزال أكبر عمل يأتي لمصلحة التعرف على تراث **اليمن** التاريخي الطويل الأمد .

وكان هذا المستشرق تلميذاً على يد عالم مستشرق اسمه **موللر** MULLER ، وكان **موللر** أحد كبار المختصين بدراسات الآثار الشرقية في **فيينا** عاصمة الإمبراطورية النمساوية الراقية ، والتي كانت عظيمة الاهتمام بالآثار الشرقية لتنافس بهذا المجال **لندن وباريس** . وكان العالم **موللر** قد ترجم إلى **الألمانية** الجزء الثامن من **الإكليل** لمؤلفه اليمني **الحسن بن محمد الهمداني** من أهل القرن العاشر ميلادي ، وهو المؤلف القيم الذي نشره **نبيه أمين فارس** في **برنستون** عام ١٩٤٠ م . **وللهمداني** مؤلف آخر هو **صفة جزيرة العرب** نشره **موللر** في **لندن** عام ١٨٨٤ م . ولابد أنه اطّلع عليه ودرس محتوياته ، مما زاده شغفاً وتطلعاً للتعرف على بلاد **الهمداني** .

وقد تمكن **أدوارد جلازر** بعد المتاعب التي صادفها في رحلته الأولى من تحصيل عدد كبير جداً من كل ما يتعلق بتاريخ **اليمن** وحضارتها ، حيث كان يعود **لأوربا** عن طريق **القاهرة** بعد كل رحلة من رحلاته التي دام بعضها أكثر من سنتين . وقد جمع العديد من النقوش والقطع الأثرية والمخطوطات النادرة ، وتواصلت رحلات **جلازر** بين عامي ١٨٨٢ و ١٨٩٢ م .

ونعتقد أن أحداً من العلماء المختصين في العالم لم يطلع على ماعرفه ودققه هذا المستشرق العملي

عن جنوب **جزيرة العرب** ومدنياتها . وكان رجلاً واقعياً يبيع في القاهرة وفي مختلف عواصم **أوروبا** ما كان قد جمعه عقب كل رحلة من رحلاته الأربع .

ونظراً لاقتناع مصنف هذا الكتاب بأهمية حصيلة **جلازر** وما حرره أو نشره عن رحلاته ، وتفسير ما توصل إليه من معلومات أثرية ، وأيضاً ما كتب عن **جلازر** زار المؤلف عام ١٩٨٣ م مكتبة المخطوطات في القصر الإمبراطوري القديم **بفيينا هوفبورغ** حيث اطلع على فهرس لحصيلة المخطوطات التي باعها **جلازر** في حينه إلى حكومة الإمبراطورية **النمساوية** ، وهي جزء مما كان **جلازر** قد حصل عليه وباعه في عواصم أخرى .

حصيلة المستشرق النمساوي
أدوارد جلازر

فهرس المخطوطات

كان **أدوارد جلازر** هو المستشرق العالم الـذي تمكن من زيـارة **اليمن** في أواخر القرن المـاضي عـدة مرات ، وأقام بها نحواً من عشر سنوات حيث تمكن من جمع مئـات من النقوش من التحف الأثريـة كما ذكرنا .

وقام **جلازر** بدراسة كل مـا وصل إليـه من معلومـات ، وسجل الأحـداث والمشـاهـدات ، وحرر العديد من الأبحاث العلمية عن **اليمن** وتاريخها القديم ، لذلك نعتبره المستشرق الأوحـد الـذي تيسر لـه التعرف على جزء كبير من تراث **اليمن** .

لهذا رغبنا أن نتعرف على ماتيسر من تلك الحصيلة وبينها ٢٥١ مخطوطة كان **جلازر** قـد بـاعهـا إلى الحكومة النمساوية التي تحتفظ بها في مكتبتها الثمينة الخـاصـة بـالمخطوطـات في القصر الإمبراطوري بفيينا وهو قصر **هوفبورغ** .

كما استحسنـا الاطلاع على مـا وصلنـا عن رحلات **جلازر** وهو قليـل ، معتبرين أنـه قبـل أن يتم التعرف على كل ماسجله ودونه ونقله وبـاعـه **جلازر** من مخطوطـات وحرره من دراسـات وتعليقـات وحصل عليـه من آثـار ونقوش . قلنـا قبل أن يتم ذلـك ، ستظل معرفتنـا بتراث **اليمن** نـاقصـة ، مهما حصل عليه الحاضرون والـذين سيلحقون بهم ، نتيجـة للأبحـاث الأثريـة وسواهـا الجـاريـة حـاليـاً أو مستقبلاً ، ذلك أن حصيلة **جلازر** كبيرة ومتشعبة وموزعـة على عـدة عواصم ، ووقعت أيضـاً بحيـازة بعض هواة الآثار والمخطوطات وأصبح من المتعذر جداً التعرف عليها .

ونظراً لأهمية **جلازر** بالنسبة لمـا حصلـه من التعرف على تراث **اليمن** القـديم ، نلخص أدنـاه ذكر رحلاته وما ذكره عن حصيلته .

ملخص عن رحلات جلازر الأربع

وصل **جلازر** إلى **الحديدة** عام ١٨٨٢ م ، بعد أن أقام مدة قصيرة **بتونس** ، ثم تمكن من مقابلة **عزت باشا** الوالي العثماني آنذاك في **صنعاء** ، الذي منعه من التجول لمدة عام ، ذلك أن **جلازر** لم يكن مرسلاً من أية جهة علمية أو رسمية نمسوية أو غيرها .

وفي عام ١٨٨٣ أرسله الوالي العثماني مع بعثة تركية إلى **السودة** ، ليضع خريطة لمنطقة الجوف وما حولها ، وسمح له بالتعرف على الآثار وجمع ما أمكن منها .

الرحلة الأولى

وقد جمع **جلازر** من هذه الرحلة الأولى ٢٧٦ نقشاً وفقاً لما هو مدون ، أما الذي حصل عليه **جلازر** ومرافقوه من الأتراك من تحف ثمينة ونحو ذلك فسيظل على الأرجح مجهولاً . ونعلم أن **جلازر** وصف ما جمعه في كتاباته عن **اليمن** وتاريخها القديم .

وفي العام الثاني ١٨٨٤ م ، زار **جلازر** بلاد **أرحب وحاشد** وجمع منها ٢٠ نقشاً ، كتبت عنها آنذاك الأكاديمية الفرنسية تحت عنوان Corpus Inscriptionum Semiticarum وقد أعارت الأكاديمية **جلازر** بعد ذلك اهتمامها وأمدته بعونها .

الرحلة الثانية :

وفي رحلة ثانية قام بها عام ١٨٨٥ زار **جلازر** منطقة يريم وآثار ظفار حيث عثر على ١٢٥ نقشاً باعها إلى متحف لندن ، كما تمكن من العثور وفقاً لما هو معروف على نقش **حدقة** الهام ، الذي باعه مع ٢٥٠ مخطوطة إلى متحف **برلين** ومكتبتها الملكية .

الرحلة الثالثة

كان الصيدلي الفرنسي **آرنو** كما هو معلوم أول أجنبي يصل إلى **مأرب** عام ١٨٤٣ حيث نقل ٢٤ نقشاً أو أكثر ، ثم تلاه العالم الفرنسي اليهودي **يوسف هاليفي** عام ١٨٧٠ حيث نقل متخفياً ٦٧٦ نقشاً معروفاً كما ذكرنا سابقاً ، وربما أكثر من ذلك بكثير .

ولما كانت المجلة الآسيوية في **باريس** قد نشرت بحثاً عن تلك النقوش ، قرر **جلازر** بتشجيع

جديد من أكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية القيام برحلة إلى **مأرب** حيث وصلها عام ١٨٨٨ ، وزار آثار سدها العظيم ، وكذلك **حرم بلقيس** ، وأيضاً آثار **صرواح** ، حيث جمع من هذه الرحلة ٣٩١ نقشاً سبئياً ومعينياً ووصفاً طبوغرافياً لطبيعة المنطقة ، وكذلك وصفاً لآثارها .

وقد تمكن عقب تلك الرحلة من بيع ٦٣٢ نقشاً و ٤٣٦ مخطوطة تجمعت في **لندن** . كما جمع عدداً من الأحجار المنقوشة ، ومنها نقش **صرواح** الهام المعروف بنقش النصر ، وهي ما باعها لمتحف **برلين** ، ومنها النقش المتعلق **بسد مأرب** وترميمه . كما أن المؤرخين اليمنيين المعاصرين وهما من المدققين ، الأخ **أحمد حسين شرف الدين** والأخ المرحوم **محمد يحيى الحداد** ، نشرا بعض التفاصيل عن النقوش المتعلقة **بسد مأرب** وترجمة كاملة لأهمها .

الرحلة الرابعة ١٨٩٢ ـ ١٨٩٤

وفي رحلة **جلازر** الرابعة كان قد قرأ ما كتبه **الهمداني** واصفاً **اليمن** ، مما ساعده على التعمق بالبحث في منطقة **تعز** ، وكذلك اكتشافه مئة نقش تتعلق بمملكة **قتبان** . وقد جمع في تلك الرحلة ٢٥١ مخطوطة وهي التي اشترتها منه المكتبة الوطنية النساوية ، وبينها مخطوطة **نشوان بن سعيد الحميري** ، كما هو موضح بهذا الكتاب .

وإننا سننشر في ملحقات هذا الكتاب صورة فوتوغرافية عن فهرس حصيلة المستشرق **جلازر** ، وهي التي تفنّد المخطوطات اليمنية التي باعها إلى مكتبة الإمبراطورية النساوية في حينه ، وأصبحت اليوم من ممتلكاتها ، وتحافظ عليها بعناية فائقة . معلنة استعدادها الكامل لأخذ أفلام عن تلك المخطوطات غب الطلب من أية جهة رسمية أو علمية وقد أخذ المؤلف فلماً عن مخطوطة لمؤلفها العلامة نشوان بن سعيد الحميري ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م

عنوانها

خلاصة السير الجامعة لعجائب الملوك التبابعة وغيرهم من ملوك الأيام (وهي مطبوعة بتحقيق العالمين إسماعيل بن أحمد الجرافي والمرحوم علي المؤيد)

ثم كان إرسال الفلم المذكور إلى الجهات العلمية المختصة **بصنعاء** مع فلم لصورة فهرس المخطوطات الـ (٢٥١) التي تحتفظ بها المكتبة المذكورة .

المستشرقون والرحالة الآخرون

هناك عدد من الرحالة والمستشرقين غير **هاليفي وجلازر وفيلبي** وهم بنظرنا الأعلام ممن زار **اليمن** وتعرف على أعماق تاريخ **اليمن** القديم ودوله الرئيسية أو الثانوية الهامة ، **كدولة قتبان وحضرموت وأوسان** . ويعتبر هؤلاء الثلاثة أشهر من وصل إلى اليمن وتعرف على آثارها ، وجمع العديد من القطع والنقوش .

لكن هناك عدد من الرحالة والمستشرقين الذين لم تتيسر لهم الظروف أو لم يحاولوا الوصول إلى أعماق **اليمن** ، أو اكتفوا بالوصول لأطرافها في نهاية عهد **العثمانيين** ، ومنهم المستشرق العلامة **هوجرت** الذي وضع كتاباً مخصصاً ، لخّص فيه جميع أعمال وتاريخ الرحالة الغربيين أو الذين تفرغوا لدراسة مدنيات جنوب الجزيرة وذلك عام ١٩٠٤ م ، ثم جاء بعد ذلك العالمان **كارل راثينس** CARL RATHIENS **وفون ويسمن** VON WISSMANN عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ لإضافة معلوماتها إلى من ذكرهم **هوجرت** ، ثم وصلت عام ١٩٥١ بعثة **وندل فيليبس** ومعها المستشرق البلجيكي **البرايت** ALBRIGHT حيث ساهم هؤلاء وسواهم بإضافة نقوش جديدة ومعلومات وتعليقات واجتهادات أخرى علمية . ثم أصدر **جام** A.JAMME مؤلفين حول الآثار والنقوش اليمنية أحدهما خصصه **لمأرب** ، والآخر لكل ما تمكن من جمعه حول الرقم السبئية في محرم **بلقيس** وسواه .

ومن بين أهم المتخصصين بدراسة لغات الجنوب وآثارها نذكر **هومل** HOMMEL **ورودوكناكيس** RODOKANAKIS **وفريسنيل** FRESNEL **ومارتن هارتمن** MARTEN HARTMAN **وموليز** S.MULLER .

كما نذكر من بين الرحالة أو المستشرقين الذين وصلوا إلى **عدن** والمناطق المتصلة بها بفعل الحكم البريطاني ثم عادوا منها ببعض الآثار أو النقوش : الضابط البريطاني **ولستد** WELST والرحالة HANTUN الذي عاد ومعه أيضاً ٦٨٦ نقشاً والدكتور MACHELL عام ١٨٣٦ الذي تمكن من زيارة **صنعاء** ، وعاد منها بعدد من النقوش السبئية و GRUTTENDEN عام ١٨٣٨ ، **وبول بورتا** عام ١٨٤٠ ، والكولونيل **كوجلان** COGHLAN الذي جمع ٢٥ لوحة برونزية . وفي عام ١٨٨٢ عندما قام **جلازر** برحلته الأولى إلى **اليمن** كان قد وصل إليها أيضاً عالم نمساوي آخر **لنجر** S.LANGER حيث حصل على عدة نقوش ، ولكنه قتل في **وادي بنا** أثناء رحلة أخرى . ثم وصل **برترام توماس**

عام ١٩٣١ ، وكان أول من انتقل من الجنوب إلى الشمال الشرقي عبر **الربع الخالي** ، كما سنرى في الفصل الخاص **بصحراء الصحاري** كما سماها في الترجمة الفرنسية والمقصود بها **الربع الخالي** . ثم زارها بقصد التعرف على حقيقة أوضاعها الرحالة **هوج سكوت** H.SCOTT البريطاني صاحب كتاب **في اليمن العليا** IN THE HIGH YAMEN عام ١٩٣٧ م . **وهارولد انغرامز** W.H.INGRAMS عام ١٩٣٦ مؤلف كتاب **العربية والجزر** والبروفسور الإيطالي **سيزاري أنسالدي** CESARE ENSALDS مؤلف كتاب **اليمن** ١٩٣٤ بالإيطالية . وبالرغم من الأعداد الكبيرة للنقوش التي جمعها المستشرقون وانكبوا على دراستها ، يتوجب علينا أن ننتظر وقتاً طويلاً مع استمرار التنقيب والأبحاث قبل أن تظهر لنا صورة أوضح عن تاريخ **اليمن** القديم .

إنما يمكننا التأكد مما وصلنا حتى الآن من أن مدنية **اليمن** القديمة عريقة وتعود إلى آلاف السنين ، وهي حضارة ومعرفة وعمران ، والذي ينقصنا هو التفاصيل ، أما الصورة العامة فهي واضحة جليَّة .

هذا وقد صدر في الأعوام القليلة الأخيرة مؤلف من ثلاثة أجزاء بالفرنسية لصديقنا العلامة **يوسف شلهوب** تحت عنوان : **العربية الجنوبية** L'ARABIE DU SUD نشرته **الدار الفرنسية في باريس** MAISONNEUVE ET LAROSE وتحتوي على المراجع الهامة وعددها ١١٢٩ مرجعاً . وبالاختصار فإنه لم يتمكن أحد من الرحالة أو المستشرقين من الوصول إلى ما وصل إليه **جلازر** بالنسبة **لليمن** . ويأتي بعد **جلازر** خبير العالم العربي المستشرق الرحالة والعالم **هاري سان جون فيلبي** .

هاري سان جون فيلبي H. St. JOHN PHILBY

لا شك أن **فيلبي** علَمٌ من أعلام الرحالة والمستشرقين الناجحين في مجالات عديدة بغض النظر عن مآربه وأهدافه الاستعمارية المعروفة . وقد سهل عليه تقربه من الملك **عبد العزيز آل سعود** تأدية مهمته وإرواء ظمئه للتعرف على **العرب** من جميع الوجوه تاريخياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً . وقدم للسعودية خدمات يذكرها له الجميع ، كما قدم لحكومة بلاده خدمات جليلة لا تقدر .

أما بالنسبة **لليمن** فإن **فيلبي** زار أطرافها شرقاً وشمالاً حيث تعرف على مناطق **حضرموت** ومنها **الشحر** وكذلك **شبوة وتريم** . كما قام برحلة أخرى استعمل فيها السيارات مرّ بواسطتها على **أبها** في **عسير** وكذلك **نجران** وتعرف أثناءها على الحدود الشمالية التي نصت عليها اتفاقية **الطائف** المعقودة عام ١٩٣٤ بين **اليمن والمملكة العربية السعودية** ، وأثناء تجواله في أطراف **اليمن** ، وكان على ما يبدو مطلعاً على الكثير مما نقله **جلازر** وسواه عن تاريخ **اليمن** ، فقد استطاع هذا الرحالة المستشرق الذي عرفناه شخصياً أن يجمع أكثر من عشرة آلاف نقش أثري .

ومما عثر عليه **فيلبي** وخاصة في الرحلة التاريخية الهامة التي انتقل بها من **جدة** على **البحر الأحمر** إلى **شاطئ المحيط الهندي** مخترقاً بعض المناطق اليمنية بأطراف **الربع الخالي** عثر هذا المستشرق الفذ على ثلاثة آلاف كتابة أثرية سبئية ، ومنها نقش **لذي نواس** الحميري ، وآخر **لأبرهة الحبشي** المعروف ، وكذلك عثر **فيلبي** على نقش هام للتُبَّع الحميري **أبو كرب أسعد** في موقع الداودمي على الطريق بين **الرياض ومكة المكرمة** .

وتُعتبر كتب **هاري سان جون فيلبي** وهي حديثة العهد ، لكتابتها بعد أواسط هذا القرن ، من أوثق المراجع وأكثرها دقة . ومع ذلك فهي لا تغني مطلقاً عن التعرف إلى ما توصل إليه **جلازر** ، لا سيا وأن **فيلبي** تمكن من التوصل إلى استنتاجاته نتيجة اطلاعه على النقوش والآثار والمعلومات التي جمعها ، وتعرف على مواقعها محلياً على الطبيعة . ولا بد أنه لو لم يستعن **فيلبي** كما شرح ذلك شخصياً بما عرفه بفضل كتابات **جلازر** لما تمكن من تدوين المعلومات التاريخية القيمة التي وردت في كتبه وبينها كتابان متعلقان **باليمن** وهما :

بنات سبأ SHEBAS DAUGHTERS .

والأراضي العربية المرتفعة THE HIGH LANDS OF CENTRAL ARABIA . كما ألف **فيلبي** كتاباً عن **الربع الخالي** ذكرناه بمكانه تحت هذا العنوان : THE EMPTY QUTER .

اهل بلاد سبا
والمساهمة بالحضارة العالمية

العهد القديم وعلوم الزراعة وأصولها ومتطلباتها

حماية التربة وحسن استغلالها تتطلب جهداً ومعرفة

علوم الزراعة وأصولها

إن علوم وفنون الزراعة التي وصلت إلى **اليمن** المعاصر من سلالة مدنيته الزاهرة كثيرة ، منها كيفية المحافظة على التربة وأصول التسميد ، ومكافحة الآفات الزراعية بالوسائل التقليدية والعناية بالكرمة وتعريشها على الشرع كأحدث ماوصل إليه علم الزراعة والتلقيح وحفظ قواعد زراعية موروثة تنسب إلى **علي بن زيد** ، ويظهر أنه العالم الزراعي التقليدي الذي جمع ماعرفه الأقدمون من علوم وفنون الزراعة واختصر التعليمات المتعلقة بها بحكم أو كلام مأثور يستند إليه المزارعون إلى يومنا هذا . وقد ذكرنا في مكان آخر عن انتقال تعريش الكرمة إلى **إيطاليا** عن طريق **صقلية** .

ومن الطبيعي أن العلم الحديث جعل هذه المعلومات الموروثة قليلة **الأهمية** وقد يخالف بعضها ، لكنه من المؤكد بأنه قبل وثبة العلم الأخيرة منذ بداية القرن الماضي كانت للمعلومات هذه أهمية كبرى ، وقد يكون العالم الحديث بحاجة لمعرفة بعضها ليتبناه أو يعمل على تحسينه .

أنواع الزراعات القديمة

وأنواع المزروعات عديدة في **اليمن** ولا زال أشهرها في أيامنا البّن الذي أعطى اسمه للعالم **أجمعُ بن المخا** نسبة للميناء على **البحر الأحمر** وهو من منتوجات المناطق المطرة المعتدلة المناخ . هذا إلى جانب الحمضيات والموز والعنب والقطن (العطب) . أما فاكهة الحقبة الأولى من التاريخ القديم فجهولة لدينا باستثناء العنب . باعتبار أن البن والحمضيات لم تصل إلى **اليمن** إلا من عهود ليست ببعيدة . وأما في المناطق المرتفعة فتجد إلى جانب الأعناب المختلفة العديدة من أنواع الفاكهة . وقد ذكر **الهمداني** بأن عدد أنواع العنب عشرون وهي لاتقل اليوم عن هذا العدد وبينها العاصي والفاخر والعيون والخالي من البذور والبياض والرازقي والأسود وغيرها كثير . والعناية بالكرمة فائقة وهي على الغالب ممتدة على أشرعة ، أي على أعمدة متصلة بعضها بأسلاك تحمل العريشة وتتدلى منها العناقيد بحيث يمكن للمزارع رعايتها بسهولة ومحاربة آفاتها وقطفها دون عناء ، ويظهر أن هذه الطريقة التقليدية القديمة في **اليمن** هي أحدث ماوصل إليه الفن الحديث بالعناية بالكرمة في المناطق المشمسة .

وقد انتقلت هذه الطريقة إلى **إيطاليا** بعد وصول **اليمنيين** بعهد **الكلبيين** **لصقلية** وامتداد حكمهم لكامل **الجنوب الإيطالي** . أما في المناطق الشمالية التي لاتتمتع بحظ وافر من أشعة الشمس فقد لجأ **الأوروبيون** إلى تقليم العريشة سنوياً لتتعرض عناقيدها إلى ماأمكن من أشعة الشمس .

أما مكافحة الآفات والأمراض الزراعية فلها أصول موروثة في تلك الحقبة من الزمن وأتربة معينة ترش على الأعناب في مواعيد منظمة ، ويظهر أن هذه التربة المعينة تحتوي على المواد المعدنية المؤدية إلى مكافحة الحشرات وغيرها .

وذكر **الهمداني** « أصناف العضاة من الخوخ **الحميَري** **والفارسي** والخلاسي والتين والبلس والكمثرى التي ليس لها في الأرض مثيل ، والأجاص والبرقوق (أي المشمش) والتفاح واللوز والجوز والسفرجل والرمان » . هذا وتوجد الآن في **اليمن** جميع هذه الفواكه ويعمل **اليمانيون** على إدخال أنواع حديثة من التفاح الجديد وأنواع الفواكه المولدة الأخرى كما سنرى لاحقاً . أما الرمان الموجود في منطقة **تعز** حيث تحتفظ الشجرة بأوراقها طيلة العام فهو من أحسن الأصناف وألذها وكذلك ما يسمى بعَنْب الفلفل أي (البابايا) وجميع أنواع الحمضيات الحديثة الاستيراد والخضروات الجديدة كالطماطم والأرض شوكي ونحوها وهو ماسنعرضه في الجزء الخاص بالجغرافيا الاقتصادية .

كتاب الزراعة النبطية

ولا نختتم البحث في هذا الموضوع دون الإشارة إلى مخطوطة (الزراعة **النبطية**) التي تمّ العثور على أكثر من نسخة عنها مكتوبة بالخط واللغة **النبطية** القريبة جداً من لغتنا المتعامل بها حالياً والمستندة إلى **القريشية القرآنية** .

وقد اهتم العلماء المختصين بهذا المرجع القديم وقسموه إلى جزأين وإننا نعتبر المعرفة التي احتوى عليها كتاب (الزراعة **النبطية**) هي ماكان قد توصل إليه أهل الجنوب من تقنية وخبرة في هذا المجال ثم انتقل معهم إلى بلاد **الأنباط** وهم **العرب** الذين استقروا بالشمال كما رأينا في مكان آخر .

كيفية حفر الآبار والوسائل التي يمكن اللجوء إليها لزيادة كميات مياهها

وجدير بالذكر أن مخطوطة الزراعة **النبطية** خصصت فصلاً كاملاً عن حسن استغلال المياه ، حيث ذكرت على سبيل المثال : وسائل حفر الآبار ، وكيفية رفع المياه منها ، وكيفية العمل على زيادة كمية المياه في الآبار والينابيع ، وحتى كيفية إصلاح طعم المياه . وجميع هذه المعلومات والمعرفة كانت مستندة بنظرنا إلى تجارب أهل الجنوب التي سبقت **الأنباط** بآلاف السنين في هذا المجال . وهي التي انتقلت مع السلع بواسطة طريق القوافل والطيوب والتوابل .

أهمية حسن استخدام المياه
خاصةً في البلدان الجافّة

السائل الذي لا يقدر بثمن - خاصة في البلدان الجافة

لمحة عن لب الموضوع

تحسن الملاحظة أن حضارة **بابل** وسائر **بلاد الرافدين** التي اعتمدت الزراعة وكذلك حضارات **مصر وسورية** استغلت مياه الأنهار الجارية ، بينما تميزت حضارة **اليمن** وسائر البلاد التي أسست **اليمن** فيها مراكز لطرقها التجارية العالمية ببراعة فائقة بفضل حسن استخدام المياه القليلة والنادرة بواسطة تكنولوجيا فريدة يمكن اعتبارها بمفهومنا العصري تقنية متقدمة ، وذلك بمختلف المجالات المتعلقة بهندسة الري واستغلاله للزراعة كتشييد السدود والصهاريج والخزانات العامة وإقامة أنظمة ري فائقة العناية ، مما ساعد الإنسان **اليمني** ومن تعلّم على يده من تطويع الطبيعة ، ومنها بناء المدرجات للزراعة على السفوح مما يحمل المزارع على دوام اهتمامه بأرضه ومصارعة العوارض التي تهددها سنوياً بالانهيار في مواسم الأمطار الموسمية والعواصف وسائر الكوارث الطبيعية التي من شأنها جرف وتحويل الجبال الخضراء إلى أرض صخرية حفراء نفراء . وأهم ماأتقنه وطوّره واستغله **اليمني** كان لاشك حسن الانتفاع بالمياه بوسائل متعددة ، أهمها السدود وجر المياه في الأنفاق تحت الأرض وحفر الآبار وفقاً لما وصلنا عنها في العهد **النبطي** ، كما سنرى لاحقاً ، وكذلك بناء الكرف وتحويل المياه إليها والخزانات العديدة المتنوعة . لذلك كان لابد لنا من تخصيص باب لهذا الموضوع الهام .

والملفت للنظر أن الشعوب التي عاشت في محيط تتسير فيه المياه بغزارة والتي تكون مهددة لتذهب ضحية زيادتها بفيضان الأنهر مثلاً لاتستطيع تقييم أهمية الحصول على مياه الشرب العذبة ، ولا تعي بأن نقطة الماء الواحدة بنظر من هو محروم منها أو مهدد بالحرمان من تحصيلها تشكل ثروة لاتعادلها ثروة أخرى . فنقطة الماء عند الحاجة الملحة إليها تظل أثمن من أي شيء في الدنيا على الإطلاق ، حيث تفقد الحياة بسرعة ، بفقدان الهواء أولاً وبفقدان الماء ثانياً ، فكل خلية في جسم الإنسان لاتستغني أو تحيا بدون نقطة الماء ، وليس الأمر كذلك بالنسبة لأية مادة أو سلعة أو ثروة مهما عظمت .

ونعلم من النقوش والآثار والأخبار ومن واقع المدن والقصور أن **اليمني** بنى خزانات المياه في كل مكان مناسب وبشكل هندسي وبواسطة معرفة فنية متقدمة . ذلك أنه حتى في أيامنا هذه وبوسائلنا الحديثة وموادنا الجديدة كالإسمنت على أنواعه كثيراً ما يفشل المهندسون المختصون ببناء الخزانات التي يحصل فيها رشح المياه مما يؤدي مع الزمن إلى خرابها ، لذلك تُفرض على خزانات المياه رقابة مستمرة وترميات وإصلاحات لاغنى عنها .

أما في الماضي بعهد **اليمن** القديم فقد تمكن أهل **جنوب الجزيرة** من السيطرة على هذه المعرفة والفن أو بالأحرى على هذه التقنية بمفهومنا الحديث ، ثم نقلوا هذا العلم معهم إلى مراكز طريقهم التجاري الجاف لتصل معرفتهم مع قوافلهم إلى بلاد **الأنباط** وإلى **العمق السوري** شمال وغربي **الجزيرة** ، وإلى **الأنبار والحضر (عربايا)** شمال وشمال غربي **العراق** .

وقد اطلعنا في مكان آخر على **مسلة معاب** كيف أن الملك المنتصر على **إسرائيل في معاب** عام ٨٥٠ قبل الميلاد أمر ببناء الخزان وجر مياهه إلى وسط المدينة كما أمر كل مواطن أن يبني له حوضاً خاصاً به .

فالمياه في البلاد الجافة أو شبه الصحراوية هي مماثلة للحياة في كل مكان ، وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الأنبياء : ٢١/٣٠] .

أما نوعية هذه الخزانات وهندسة بنائها واختيار المكان المناسب لذلك فقد وصلنا مثل كامل عليها ، وهو يبدو لأول وهلة وكأنه غير واقعي حيث لا يزال قائماً بجميع معالمه في ميناء **عدن** . ومن الأمانة الاعتراف بأن الفضل في ترميمه يعود إلى **البريطانيين** الذين قدّروا هذه التحفة الفنية في البناء والتكنولوجيا وحافظوا عليها . (صورة سد الطويلة **بعدن**) .

والواقع أنه عندما نعلم بأنه قلما تهطل الأمطار في عدن أكثر من مرة أو مرتين في العام بكامله ، يتساءل المرء كيف كان بإمكان أهل الميناء الطبيعي أن يؤمنوا شرابهم ويموّنوا سفنهم بما تحتاجه من المياه العذبة المفقودة تماماً في عدن ، وذلك قبل حفر الآبار العميقة بمنطقة لحج وضخ المياه منها وجرّها بالمواسير بفضل المضخات العصرية .

وهكذا تمكن الأولون في مرحلة قديمة جداً أن يبنوا خزانات تجمع القليل من مياه السماء التي ينعم الله عليهم بها نادراً جداً . وبنظرة واحدة إلى هذه التحفة الفنية في الصورة المرفقة نميل عند التأمل بهذا الإنجاز لتقدير أهمية بناء الخزانات في العصور القديمة على يد أهل الجنوب ونقتنع بأنهم **كانوا** أول من أتقن هذه المعرفة لشدة الحاجة إليها وانتصارهم على المصاعب والتغلب على ما كان يبدو مستحيلاً قبل إنجازها .

كا نميل للاعتقاد بأن المياه الثمينة التي كانت تتجمع في هذه الخزانات المدهشة وأمثالها كان لا بد وأن مصمميها قد توصلوا إلى طريقة لحماية المياه من التبخر الهائل الذي يحصل في تلك البقعة الجافة ، والتي تزيد الصخور السوداء الصماء على جفافها جفافاً آخر ، فلذلك نرى بأن هذه الخزانات كانت مغطاة بشكل أو بآخر وإلا تبخرت مياهها بسرعة . أما كيف كانت تغطى لحمايتها والحفاظ عليها فهو ما نجهله لكننا نتصور أن المياه كانت مغطاة بعوامات بصورة مستمرة على سطح المياه ، وربما كانت مشكلة من قصب الفزّار أو بعض ألواح الخشب الخفيف المطلي بأنواع من الصمغ وغير ذلك من وسائل تغطية سطح المياه وحمايتها من سرعة التبخر . أما كيفية تحضير الطينة المؤلفة من الخامات المانعة للنشّ فكان أهل اليمن يعرفونها ويستعملونها في أحواضهم وقنواتهم إلى أن جاء الإسمنت أخيراً ليأخذ مكانها .

وموضوع هذه الخزانات التي أنشأها **اليمنيون** في **جنوب الجزيرة** وفي المراكز التجارية والمناطق التي استقروا فيها بالشمال يحتاج إلى دراسات وتحقيق ، حيث امتد إنشاؤها من أنحاء **الجنوب اليمني** إلى **شمال الجزيرة شرقي الأردن وشماله** ، وسائر أنحاء أطراف **الجزيرة العربية** وهي التي أنشأ عليها **الرومان** ما سموه باللِيميس LIMES الخط الحامي لإمبراطوريتهم ، وهو الخط الملاصق للصحراء ، والذي جلبوا إليه أهل الخبرة ليس بالقتال وحسب ، وإنما ممن كانوا يحسنون استغلال المياه القليلة على أطراف الصحراء **السورية الأردنية** وهم حُكماً من أبناء **الجنوب والأنباط** ومن جانسهم وتعلّم منهم **كالمعابيين** وغيرهم من أهل **كنعان** المتعاملين مع **المعينيين والسبئيين** منذ القدم .

زبدة موضوع حسن
استخدام المياه

ويمكننا التلخيص بهذا الموضوع عندما برع أهل **اليمن** في تحصيل المياه وتخزينها واستغلالها بشتى الوسائل التي ابتكروها وطوروها ليتمكنوا من استثمار المناطق الجافة قدموا للبشرية بذلك خدمة كبرى ، استفادت منها بلدان عديدة ، مما ساعدها على المساهمة بالحضارة والتمدن والرقي ، حيث يكفي لبلد أو منطقة أن تحرم من المياه لمدة سنتين أو ثلاثة للتحول إلى أرض جرداء خالية خاوية حيث تموت أشجارها وتفنى زراعتها وتطمرها التربة والرمال وتندثر معالمها لتصبح أثراً بعد عين ، كما حصل للعديد من زراعات وحواضر العالم في المناطق الجافة . والعكس من ذلك صحيح فعندما تتيسر المياه تتيسَّر الحياة . ونردد قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [الأنبياء : ٣٠/٢١] .

خزانات عدن

لا شك لدينا بأن أهل جنوب **جزيرة العرب** من عهد **معين** وقبل ذلك بكثير عرفوا كيفية جمع المياه وتخزينها واستغلالها أكثر من أي شعب وأهل مدينة أخرى . ذلك أن بلاد المدنيات الأولى في **الرافدين ووادي النيل** لم يكونوا بحاجة لتجميع المياه بل باتقاء أخطارها . وقد حصروا همهم وعنايتهم الفنية في هذا المجال بفتح الترع وتوجيه مياه الأنهار إلى أراضٍ لم تكن مياه النهر تصل إليها بالطبيعة ، كما توصلوا في **مصر** إلى فتح ترعة تصل بين **النيل والبحر الأحمر** مما سمح لهم بوصل **البحر المتوسط بالبحر الأحمر** قبل **قناة السويس** بما يقرب من أربعة آلاف سنة . وكانت الملكة **حتشبوت** (١٥٠٠ قبل الميلاد) ترسل سفنها إلى **البحر الأحمر وبلاد البونت** عن طريق تلك الترعة .

إنما فَتحُ الترع لتحويل مياه الأنهار لري مساحات جديدة إن في **بلاد الرافدين** أو **وادي النيل** لا تحتاج إلى تكنولوجيا متقدمة جداً بمعيار الماضي ، أما في جنوب **جزيرة العرب** حيث تستند الزراعة والحياة نفسها على مياه الأمطار الموسمية ومياه الآبار ، فكان لا بد لحصر المياه وتجميعها وتخزينها وحمايتها من التبخر وبناء الأقنية التي لا ترشح منها المياه وخاصة بناء السدود العديدة **كسد مأرب** العظيم .

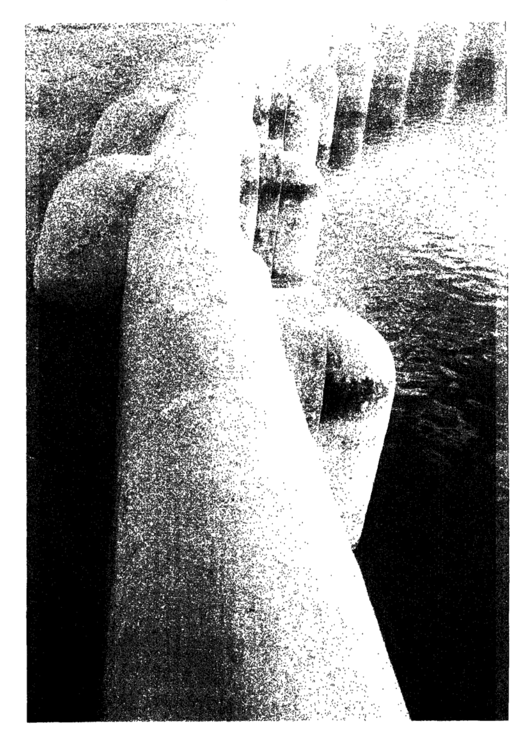
أما بالنسبة **لسد مأرب** وأخباره وانعكاسات تشييده وانهدامه على الحضارة وهجرة شعوبه فرأينا أن نخصه بعنوان منفصل نظراً لأهميته ولاعتباره من معالم الحضارة العالمية .

وكذلك الحال بالنسبة إلى قانا وهي أشهر ميناء ومركز تجاري مزدهر في الماضي القديم ، فقد زال وأصبح نقطة على الخريطة غير مأهولة معروفة تحت اسم بئر علي تعلوه تلة صغيرة عثر عليها نقش تاريخي ساعد على التعرف بأنها كانت مشرفة على مدينة وميناء قانا . وقد أطلق على هذه التلة اسم حصن الغراب وحمل النقش التاريخي الاسم نفسه ، كما رأينا بمكان آخر ، كما أن تلة حصن الغراب احتوت على آثار لأقنية المياه التي ربما كانت مبنية لتأمين وصول المياه إلى ميناء قانا من خزانات اندثرت .



سد (الطويلة) المشرف على عدن

من يتأمل هذه التحفة في كيفية التصميم والهندسة والبناء يتأكد من أن أهل جنوب الجزيرة توصلوا منذ أكثر من ألفي سنة بعهد مملكة (أوسان) ثم (حمير) للسيطرة على تقنية حفظ المياه وحسن استغلالها والانتفاع بكل نقطة من مياه السماء النادرة جداً في هذه المنطقة التي تعتبر محرومة أو شبه محرومة من الأمطار ، مع اجتهادنا أن حسن استغلال المياه يعود في شرقي اليمن إلى مرحلة سحيقة في التاريخ تزامنت مع عهد بناء الأهرامات بأعالي وادي النيل .



أحد خزانات المياه التي تغلبت على الزمن في مراكز تجارة القوافل ، وقد أطلعتنا على أحد نماذج تكنولوجيا حفظ المياه المتقدمة منذ القدم لتأمين حاجة طريق التوابل

الطب في العهد القديم

نقل اليمني عن أجداده الكثير من معرفة خصائص النباتات وغيرها لمعالجة الأمراض ولسرعة التئام الجروح ونحو ذلك . وعلى سبيل المثال يحتفظ كثير من البيوتات اليمنية في أيامنا بأحجار خاصة لامتصاص سم لدغة الأفعى . وهذه الفصوص والأحجار هي كناية عن رواسب متحجرة توجد في أحشاء بعض الحيوانات .

كما يحتفظ بنوع من السمن مغطى بالعفونة يستعمل على الجروح لمساعدتها على سرعة الالتئام ربما يكون نوعاً من (الأنتي بيوتيك) أمثال (البنسلين) .

أما التسمم والحصول على مناعة منه فهو معروف ، وكذلك علاجات عديدة عرفها الأولون ولا يزال يتناقلها البعض إلى أيامنا ، وهي تحتاج إلى دراسة علمية عصرية لمعرفة حقيقة فوائدها . وهي على كل حال من تراث العلم الطبي القديم المندثر .

هذا ولا شك أن مستحضرات التجميل كانت منتشرة . وقال تعالى ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب : ٣٣/٣٣] . مذكرين أن اللّبان والمرّ ومصدرهما اليمن منذ فجر التاريخ استعملها الفراعنة والرومان في المستحضرات الطبية والتجميل ، كما سنرى في الفصل المخصص لشجرات اليمن التاريخية .

تربية الحيوان

من الواضح أنه كانت توجد عناية خاصة بالحيوانات الداجنة ومنها الماشية ، مما يدل على تطور موروث في هذا المجال . والجدير بالذكر أن اليماني كان يهتم بعلف الخرفان بطريقة قديمة تبين أخيراً بأنها أفضل ماتوصل إليه علم العناية بعلف الحيوان في أيامنا هذه ، وتقضي هذه الطريقة بأن يوضع الحيوان في مكان صغير مظلم ، ويقدم إليه الطعام الشهي باستمرار بحيث لا يأتي الحيوان المعد للعلف بأية حركة أو يشغل انتباهه أي منظر ، فلا هم له ولا عمل سوى تناول الطعام في الظلام وهكذا يزداد وزنه ويلين لحمه .

أما الأبقار اليمانية فمعروفة بكثرة ردّها واحتمالها الجوع والعطش أكثر من مثيلاتها ، مما يدل على العناية بتناسل الأفضل والأصلح للإقليم . أما الماعز وهو أنواع فقد تمكن اليمني من الحصول على أفخر أنواع الفراء المسماة (يمن) في أسواق الفراء العالمية وهي مأخوذة من جنين بعض أنواع الماعز قبل ولادتها الطبيعية .

وتربية الخيل والجمال والعناية بها هو تقليدي وضروري لدى أمة احتكرت مدة قرون عديدة طرق التجارة العالمية البرية في مختلف أنواع الأراضي الصحراوية وغيرها . ومعلوم أن لليمني طرق تقليدية في معالجة أمراض حيوانات النقل هذه والعناية بها . وسنأتي لاحقاً على ذكر الجواد الكُحيلان والجمل الذلول اللذان اشتهرت بتربيتها اليمن في قاع يريم بالنسبة للجواد والجوف بالنسبة للهجين الذلول .

المعادن وصناعتها

من الذي لم يقرأ في الأدب العربي القديم نثراً أو شعراً أو وصفاً أو اعتزازاً بالمهنَّد اليماني .

ـ يعرف العالم الأهمية التي أعطيت للأسلحة الحادة **اليمانية** في العصور الأولى ، ونحن نرى اليوم بأن **اليماني** لا يزال يصهر الفولاذ المصقول الممتاز لصناعة خنجره التقليدي الجنبية ، ولا نظن بأن صناعة الآلات الحادة قد تطورت كثيراً أو قليلاً منذ أن استولى **اليماني** على سر تلك الصناعة الدقيقة حتى الآن .

ومن الذي لم ير إلى يومنا هذا **يمنياً** يتحلى بجنبيته (خنجره) المصقولة التي لا تفارقه أو يسمعه متباهياً بها وبتاريخها ؟ مما يؤكد بأن صناعة الفولاذ المصقول هي من تقاليد **اليمن** العريقة . وأي زائر وصل إلى **صعدة** في الشمال لم يلفت نظره أمر استخراج الحديد وصهره بالطرق القديمة الموروثة ؟

والواقع أن صناعة تعدين الحديد على مستوى مهني باعتبارها حرفة تقليدية هي الصناعة الوحيدة التي استمرت ولم تندثر مع الأيام . وكان المؤرخ الروماني **سترابون** قد أبدى إعجابه بمهارة أهل **سبأ** لحذقهم في صناعة المعادن .

كما جاء ذكر المعادن وصناعتها بكتابين هما : **(صفة جزيرة العرب) للهمداني** ، و **(معجم البلدان) لياقوت** .

وقد ذكر **الهمداني** معدن **قضاعة** ، ومعدن **بيشا** في مخاليف **اليمن** ، وكذلك معدن **خولان** بقوله « وناهيك بذهب **خولان** وهو الوارد في التوراة باسم **حويلة** » . كما جاء ذكر مناجم الذهب في **عسير** بالمخلاف السليماني . والمراد بكلمة معدن هو الذهب في اصطلاح **العرب** ، أما المعادن الأخرى فيقال عنها مثلاً معدن الصفر أي النحاس ، معدن الفضة ، معدن الحديد إلخ ... حتى الأحجار الكريمة فيقال عنها معدن كذا ومعدن كذا . والظاهر أن منطقة المعادن الثمينة هي في الشرق بمنطقة **هيلان** **وبالشمال بمنطقة صعدة** (تقرير **الأمم المتحدة**) . ويذكر **الهمداني** معدن الفضة في الرضراض ومعادن حديد غير معمولة في **نقم وغمدان** ومعدن **العوسجة ببطن السرداح** . أما الجواهر أو الأحجار الكريمة فهي معدن العقيق ، وهو المشهور بعقيق صنعاء الأحمر بجبل **أنس** و**السعوانية** بجانب **صنعاء** ،

وكذلك مـاذكره **الهمـداني** عن فص أسود فيـه عرق أبيض معـدنـه **بشهـارة وعيشـان والحمش** في شرقي **همدان** ، وكذلك « المسنى » الذي تصنع منه قبضان السكاكين . وأما العقيق الأحمر والأصفر والموشى ، فهو **أنواع** نسبـة إلى مصـدره ، فمنـه النقمي (نسبـة لجبل **نقم** بجـانب **صنعـاء**) ، **والسعواني** (نسبـة لوادي **سعوان** قرب **صنعاء**) ، **والضهري** (**وادي الضهر**) ، **والخولاني** ، **والجرني** .

وذكر **الهمداني** معدن (الشذب) الذي تعمل منه قوائم السيوف قـائلاً أنـه لا مثيل لـه إلا في بلاد **الهند** ، علماً بأن **الهندي** هو بعُرف واحد .

والمعتقد أن **اليماني** أتقن صناعة المعادن التي حصل عليهـا من بلاده أو التي استوردهـا من **الحبشـة والهند** وغيرها . وأما مدينة **صنعاء** فكان اسمها **أزال** ثم تحولت إلى **صنعاء** نسبة إلى أنها مركز صنـاعي على أقرب تقدير . وكان **اليهود** فيها مع غيرهم من مهرة الصناع **اليمنيين** يعملون على صنـاعـة الأواني الفضية التقليدية والحلي الدقيقة إلى أيامنا هذه .

فن الطبخ الموروث من علامات الحضارة

اتفقت كلمة رجال العلم والفن معاً لاعتبار الطباخة عند الأمم ماضياً وحاضراً فناً من الفنون الجميلة وليس علماً ومعرفة . ذلك أن الفن يحتاج إلى علم وخبرة ومعرفة لكنه يفوق على ذلك لأنه يحتوي على عنصر رابع هو الإبداع والتجديد .

ولذلك اعتبروا فن الطباخة من الأدلة على الحضارة وبالتالي المدنية عند الأمم . ويستدلون على ذلك من تعداد الكتب المتخصصة بفن الطباخة منذ عهد النهضة الأوربية وتزايدها بشكل منقطع النظير في المرحلة الحاضرة ، حيث يصدر سنوياً عن أعظم دور النشر العديد من المؤلفات المتخصصة بهذا الفن ، وتكرس له المكتبات الكبرى جناحاً خاصاً به .

وجدير بالذكر أن أهل **اليمن** توارثوا العناية بهذا الفن ، ذلك أن المطبخ اليمني هو أيضاً كالفن المعماري والزخرفة فريد من نوعه .

فالطبق اليمني وإن كان لا يصل إلى مستوى الطبق الصيني الذي ينافس أو يمتاز على الطبق الفرنسي ، فيحق له أن يحصل على مرتبة راقية تضعه على مرتبة فن الطباخة التركي الموروث عن اليوناني العريق وعن الفارسي المميز .

ولا يكتفي اليمني حالياً بطباخة الأرز واللحم وتنويعه وإضافة التوابل إليه لكنه يضيف إلى مائدته العديد من الأطعمة المعقدة في كيفية تحضيرها وطهيها .

فالمائدة عند أهل الحضر تحتوي أولاً على أنواع المقبلات **السلطة** ، كما تحتوي على أنواع متعددة من أطباق **الحلبة** والخضروات المطهية مع اللحم ومع الصلصة المتنوعة المحتوية على مختلف التوابل وفقاً لما يتفق مع مذاقها ، كما تحتوي على **الشفوت** وسواه وجميعها تحتاج على إتقان **ونفس** وهو الذي نعتبره فناً .

كما أن الحلويات عديدة ، وكثيراً ما تعتمد على العسل الممتاز الذي اشتهرت **اليمن** بإنتاجه وتصديره منذ العصور الأولى .

أما على الساحل فتتعدد أنواع الصلصة التي تضاف إلى السمك **الحوت** ، ويخصص لكل نوع من أنواع السمك كيفية طهي خاصة به ، وكذلك تنويع التوابل التي تتناسب مع مذاقه . ولا نظن أن أي بلد يعنى بإضافة التوابل **كاليمن** . فاليمني احتكر معرفة أصناف التوابل واحتكر تجارتها مدة تقرب من ألفي عام .

التجارة عبر الصحراء
وأثرها المادي والحضاري
مكروياه - يثرب - نجرانا

ولكي نأخذ فكرة عن أهمية تلك الطرق التجارية بفضل قوافل البعير، نعود إلى كتاب (المغازي) الذي نشر في **كلكوتا** عام ١٨٥٥ حيث قال أنه في غزوة بدر (١٦ آذار / مارس ٦٢٤ م) « كانت قافلة **للمكّيين** راجعة من **غزّة** فيها ألف بعير ومعها من المال خمسون ألف دينار على ما رواه **الواقدي** ... وراجت تجارة **مكة** فقامت **قريش** بتوطيد مركزها في **البلد الحرام** فسنّت رحلتي الشتاء والصيف ، رحلة الشتاء إلى **اليمن** ورحلة الصيف إلى **الشام** » .

كما يطلعنا هذا المرجع أن تجار **مكّة المكرمة** كانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً ، ولا بدّ أن ما وصلنا يعتمد تفسيره إلى مستوى واقع التجارة عبر الصحراء ونوعها وأهميتها .

أهمية موقع مكة المكرمة أو (مكروياه) والمدينة المنورة (يثرب) على طريق القوافل

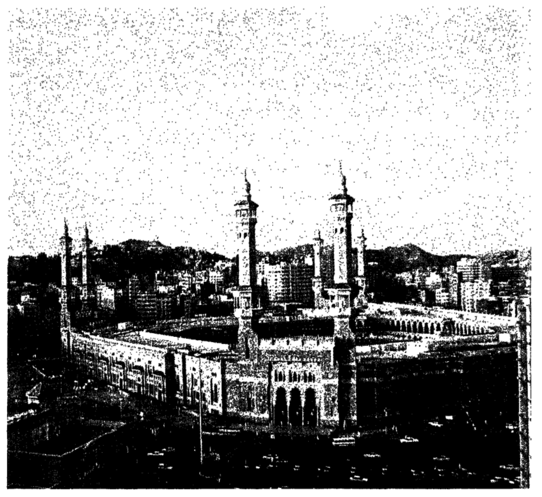
لم تتمتع **مكة المكرمة** بمكانتها السامية لوقوعها على الطريق التجارية العالمية بسبب موقعها على طريق القوافل فحسب ، بل لأهم من ذلك ، فإنها كانت منذ القدم تسمى (**مكروياه**) أي الأرض المكرمة أو المحرّمة وفقاً لما ذكر عنها **الإغريق والرومان** نقلاً عن **السبئيين** ، ثم جاء الدين الحنيف ليكرس مكانتها الشريفة السامية ، ولتصبح أقدس مدن العالم قاطبة ، كما أصبح اسمها عند **الغربيين** يرمز إلى الهدف الأسمى للتجميع وهو لفظة (مكا) أو (لاميك) .

وكذلك **نجران** أو **نجرانا** المذكورة سالفاً ، فكانت عند **الرومان** وعند الأقدمين محطة رئيسية ، ولعبت دوراً كبيراً لأنها شكلت وتشكل الممر المحتوم بين بلاد **جوف اليمن** ، وفيه مراكز وعواصم **معين وسبأ** وبين **مكة المكرمة** مروراً بعدة مراكز أخرى منها بيشا ووادي الذهب ثم **الطائف** .

وتأتي بعد **مكة المكرمة** مدينة **يثرب** وهي **المدينة المنورة** أو **يثرب** في خريطة **بطليموس** ، ثم **دادان وهي العُلا** حالياً ، ثم **الحِجر وهي مدائن صالح** التي تقع إلى الجنوب من واحة **تيماء** المعروفة ، والتي لعبت دوراً كبيراً في عهد **الديبونيين** حيث استقر فيها الملك **نبونيد البابلي** قبل أن يصل إليها من شرقي الرافدين عن طريق العمق السوري .

وعند وصول طرق القوافل إلى البتراء (عاصمة الأنباط العرب) كانت طرق القوافل والألبان والتوابل تتوزع إما باتجاه البحر إلى غزة شمالاً أو إلى (أيلة - العقبة) أيلات حالياً على الخرائط الغربية ومنها إلى بلاد النيل ، أو تتجه نحو الشرق إلى تدمر وبلاد الرافدين وما إليها ، وهي التي أصبحت طريق الحرير التي تصل براً إلى بلاد الصين أو التي تتجه إلى بلاد الفينيقيين : صور (تير) وصيدا (صيدون) .

وكان لابد للطريق الشرقي من المرور بـ جرش أو (جراسا) شرقي الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية) وهي التي ازداد ازدهارها في العهد الروماني وفاقت بأهميتها التجارية بيت المقدس .



(مكروياه) عند الأقدمين أي مكة المكرمة ، وهي :

مكة المكرمة : أشرف وأقدس مكان بالنسبة لما يقرب من ألف مليون مسلم ، وكانت (مكروياه) قبل الرسالة السماوية أشهر وأعظم مركز لتجارة القوافل عبر الصحراء لمكانتها الدينية الدائمة . وذلك أن الملك الحميري (التبّع) أبو كرب أسعد ، كان أول من غطى الكعبة المكرمة بالكسوة ، بعد انتصاراته في بلاد الرافدين وما بعدها من بلاد ماوراء النهر (فارس) .

مملكة الحضر « حترا » عند الرومان
أو بالعربية « عربايا » عند أهل الجزيرة

مملكة الحضر (عربايا) وازدهارها في شمال بلاد الرافدين ونسب ملوكها إلى تنوخ وهم من قبائل قُضاعة وهي التي جاء ذكرها عند الغربيين تحت اسم (الحترا HATRA)

يتوجب علينا قبل الحديث عن مجد **تدمر** التي تحولت إلى **إمبراطورية عربية** أن نذكر ما وصلنا عن **مملكة عربية** أخرى زهت في شمال بلاد **ما بين النهرين** جنوب **الموصل** . علماً بأنها لم تتمتع بأية مكانة عظمى كالمكانة التي توصلت إليها **مملكة تدمر** التي زهت في مرحلة معاصرة إلى حد ما ، وهي في النصف الأول للقرن الثالث بعد الميلاد بينما كان عصر **تدمر** الذهبي قد وصل إلى أوجه في النصف الثاني من القرن الثالث كما سنرى ٢٦٠ ـ ٢٧٢ .

حضارة (عربايا) العربية وآلهتها وخطها ونسب حكامها

وصلت للمستشرقين عن الأخباريين **العرب** بواسطة **المسعودي** أوصاف مذهلة لمملكة عربية نمت وازدهرت بمنطقة شبه صحراوية تقع في شمال بلاد **ما بين النهرين (دجلة والفرات)** ، عرفها الغربيون تحت اسم **حترا HATRA** ، وعرفها أبناء البلاد في سائر أنحاء شمال **جزيرة العرب** وسواهم تحت اسم **عربايا** .

ثم اندثرت هذه المملكة بعد أن عرفت مجداً وازدهاراً منقطع النظير مماثل لما حصلت عليه **البتراء** أولاً ثم **تدمر** بفضل التجارة العالمية التي كانت قائمة بين الشرق الأقصى في **الصين** وبلاد **البحر المتوسط** ، وهي الطريق التي عرفت باسم السلعة الرئيسية التي أنعشتها وهي سلعة الحرير ، وذلك عندما كانت **الصين** البلد الوحيد في العالم القديم الذي احتكر إنتاج الحرير وتصديره .

وكانت **الحضر** عاصمة **عربايا** تواجه إلى الشمال الشرقي من بلاد **الأنبار السورية** وهي التي توحدت بوقت ما مع **الحيرة** غربي **الفرات** .

ولا شك أن طريق الحرير كان العامل الأول إن لم يكن الأوحد الذي ساعد على نشوء ونمو واحة

الحضر ، وقد تمتعت هذه المملكة العربية الصغيرة بقوة عسكرية رهيبة كمثيلتها **تدمر** ، واستطاعت بواسطتها الحفاظ على استقلالها ونموها بين الدولتين العظميين في القرنين الثاني والثالث للميلاد ، واللتان كانتا متطاحنتين دون هوادة لأربعة قرون ، وهما إمبراطورية **الفرس** وإمبراطورية **الرومان** . ولا شك لدينا أن (عربايا) **كالبتراء والحيرة وتدمر وتيماء وإمارات الأهواز** ، ومنها **المحمّرة** شرقي **شط العرب (عربستان)** هي في الأصل إحدى مراكز التجارة العالمية التي سيطر عليها أهل جنوب **الجزيرة** بقوافلهم وخبرتهم لمدة لاتقل عن ألفي عام ، والتي كانت موجات الهجرة من الجنوب تنتقل إلى تلك المراكز بمناسبات مختلفة ، منها انهدام **سد مأرب** لأسبابه الطبيعية أو السياسية ، وثم انتعشت تلك الممالك بصورة خاصة في مرحلة تعاظم الصراع بين العملاقين في المرحلة التي امتدت قبل الميلاد إلى مابعده لوقوع تلك الممالك جغرافياً على أطراف الإمبراطوريتين المتحاربتين .

أما الأدلة الظاهرة على تجانس مدنية **الحضر** ، **العراقية** بأيامنا هذه ، مع مدنية أهل الجنوب هو وحدة الآلهة ، حيث عثر علماء الآثار **العراقيين** منذ عام ١٩٥١ على تماثيل ونقوش تؤكد أن الشمس والقمر كانا الإلهين الرئيسيين المعبودين ، وهما أقدس وأعظم آلهة **العرب** قبل الإسلام ، لاسيما وأنه عثر على ما يؤكد ذلك في **بيت الله الحرام** قبل الرسالة السماوية السمحاء ، كما رأينا ذلك تحت عنوان آخر عند ذكر التبّع الحميري **أبو كرب أسعد** وتقديمه الكسوة للكعبة المكرمة . كما عثر علماء الآثار في **الحضر** (**حترا** عند الغربيين) على تماثيل عديدة ، أعجبها تمثال يصور الشمس المشرقة بإشعاعها الخيّر بصفة وجه حسن جميل التقاطيع ، وربما يمثل هذا التمثال القمر أيضاً وهو عند **أهل الجنوب** يقدّم على الشمس وسائر الكواكب ، علماً بأن القمر (المقه) هو الإله الموهب للصحة ، وأما الشمس فهي زوجته ، وكوكب الزهرة (عشتر) هو ابنها . وأما كتابة مملكة **الحضر** فكانت الآرامية ، وهي أصل الكتابة العربية في الشمال وهي التي تعددت خطوطها بالنسبة لمواقعها ، وكانت لهجات الآرامية ومنها النبطية عديدة قبل الرسالة ، وفي بداية انتشار الدين الحنيف حيث عرف من الخطوط الآرامية العربية الخط النبطي الذي تطور وأصبح الخط الحجازي ، وكذلك الخط الأنباري والخط المكي والخط المدني والخط الكوفي والخط الحميري وجميعها متصلة متجانسة مع الخطوط السبئية الحميرية ولو تباعدت شكلاً في بعض الأحيان ، فبينما اعتمد أهل الجنوب المسند المستقيم المشابه للاتينية المنقوشة ، اعتمد أهل الشمال الأحرف المعوجة التي سماها الخبراء (الخربشة) .

أما بالنسبة للعبادة فمن المؤكد أن **العرب** الذين انتقلوا من الجنوب إلى سائر أنحاء الشمال نقلوا معهم الاعتقاد بآلهتهم ، وظل الأمر كذلك إلى عهد اعتناقهم دين الله الحنيف حيث ابتعدوا عن دياناتهم الوثنية وأصنامهم الصماء ، وقد جاء قوله تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس

والقمر ، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [فصلت ٣٧/٤١] (صدق الله العظيم) .

وقد وضعت هذه الآية الكريمة حداً نهائياً لعبادة الشمس والقمر لدى المؤمنين وللمرحلة السابقة لاعتناقهم دين الله ورسوله والقضاء المبرم على جهل الجاهلية .

أما كيف زالت **مملكة الحضر** التي أشاد بها **المسعودي** ، فيبدو أنه بعد أن زهت **عربايا** في القرن الثالث وهو القرن الذي أينعت فيه أيضاً **تدمر** ووصل فيه إلى سدة **الإمبراطورية الرومانية** ستة قياصرة من العرب ، والذي مثل أيضاً المرحلة التي سيطرت فيها دولة **حمير** على العديد من البلدان .

ويبدو أنه في نهاية هذه المرحلة وهي القرن الثالث بعد الميلاد ، تمكن أحد ملوك العملاقين المتحاربين دون انقطاع والمجاورين **للحضر** وهو **سبور الفارسي** من الاستيلاء عليها ودكّها عام ٢٤١ ميلادي ، ثم اندثرت **عربايا** وطغت عليها الرمال حيث نامت تحتها إلى عام ١٩٥١ عندما أبعدت الجهات **العراقية** المختصة تلك الرمال عن بقايا **الحضر** وأظهرت للعالم من جديد إحدى ممالك **العرب** القديمة التي لا شيء يفسر وجودها وازدهارها سوى تجارة القوافل التي عرف **أهل الجنوب** كيف يستغلونها ويحافظون عليها وعلى أسرارها ، مع تأمين المنعة العسكرية اللازمة لحمايتها .

ومن الأدلة الأثرية الأخرى على تقارب **الحضر** من حضارة أهل الجنوب هو ما عثر عليه من تخطيط المدينة حيث تبين أنها كانت مبنية ضمن سور دائري مما يذكرنا بالسور الدائري الذي كان يحيط **بمأرب** كما صوّره لنا المستشرق **جلازر** ، والذي نشرنا مخططه في مكان آخر من هذا الكتاب عند الحديث عن **مأرب** .

أما ملوك **عربايا** الذين وصلت إلينا أسماؤهم من النقوش المشتقة من **الآرامية والنبطية العربية** فهي واضحة في انتسابها حيث حمل بعضهم اسم **عبد سميا (عبد شمس)** ، **وعبد سمين** ، وقد لقّب أحدهم نفسه بالملك المظفر ملك العرب أو ملك بلاد العرب .

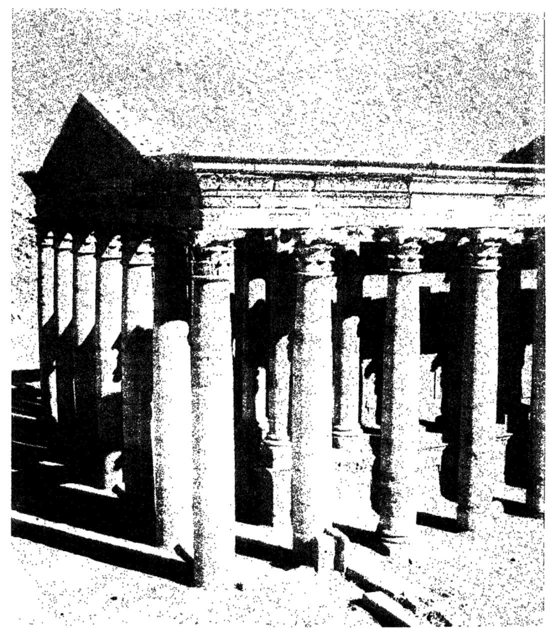
هذا وقد عثر المنقبون عن الآثار على قساطل لجر المياه وعدد من الآبار ، وكذلك خزان للمياه ، مما يذكرنا بامتلاك **أهل الجنوب** لتقنية حفظ المياه وحسن استغلالها .

أما المسعودي فقد ذكر عن **الحضر** أن **سبّور الفارسي** لما سار إلى بلاد **الحيرة** عدل عن طريقه فنزل الحصن المعروف **بالحضر** ويقال له **(أياجر)** من بلاد **الموصل** ، كما يفيدنا **المسعودي** بأن (الساطرون) أو (السيطزون) هو لقب كان يحمله ملك **الحضر** الذي ذكره الشعراء ، لعظم ملكه وكثرة جيوشه وحسن بنائه لحصن مملكته ، كما قيل أن **النعمان بن المنذر** هو من ولد **الساطرون** وهو

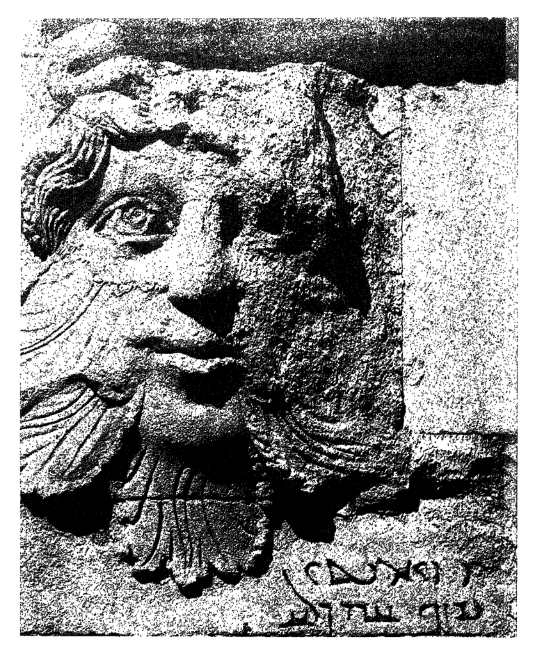
ابن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر . وقد أعاد **المسعودي** أنساب ملوك **الحضر** إلى **قبائل قضاعة اليمنية** .

علاقة أهل الحيرة والأنبار والحضر

إن كنا لا نعلم بالتحقيق نوع العلاقة التي كانت قائمة بين عرب شرقي الجزيرة لأربعة أو خمسة قرون قبل الإسلام ، إنما الذي وصل إلينا عن ازدهار ممالكهم وصلاتها مع جيرانهم **الرومان** غرباً **والفرس** شرقاً في القرنين الثاني والثالث للميلاد تجعلنا نميل للاعتقاد بأن **أهل الجنوب** الذين هاجروا شرقاً باتجاه **الخليج** عبر **الربع الخالي** أو بحراً استقروا في الأراضي التي تمكنوا من استغلالها بفضل معرفتهم لتقنية حسن استثمار المياه أكثر من سواهم في الأراضي الجافة والمروية على السواء ، وهكذا ازدهر عهدهم في **الحيرة** التي جروا المياه إليها من **الفرات** ، أما في **الأنبار والحضر** فقد لجؤوا إلى بناء الخزانات وحفر الآبار وحسن استغلال المياه وجرها بعناية خشية ضياعها ، وإن كانوا لم يتمكنوا من تأسيس ملك ثابت في بلاد **الأهواز (عربستان)** حالياً ، فالأمر يعود في نظرنا إلى مناخ تلك المناطق الغنية بزراعتها وأرضها المؤلفة من الطمي لكنها محاطة بالمستنقعات المائية حيث تنتشر الأمراض وتزداد الرطوبة التي لم يألفها **اليمني** ، وكان الحال على عكس ذلك في شمال وغرب **بلاد الرافدين** حيث استقروا وازدهر ملكهم . كما علمنا بأنهم بنوا سداً عظيماً في أعالي **الأهواز** قضت عليه السيول فيما بعد ، وكان موقع السد في المكان نفسه الذي بنيت فيه مدينة **الأهواز** ، وهي التي ازدهرت أخيراً بسرعة مذهلة بفضل خروج النفط من أعماق أراضيها .



آثار مملكة الحضر (عربايا) في بلاد الرافدين
شمال شرقي (الأنبار) التي كانت لها صلة بمملكة (الحيرة) العربية
تم اكتشاف معالمها الرائعة على يد علماء الآثار العراقيين عام ١٩٥١ ، ومن الواضح تأثر مبانيها بالهندسة الرومانية ، وقد ازدهرت (الحضر) في القرنين الثاني والثالث للميلاد عندما كانت الحرب بين الفرس والرومان مستمرة مما ساعد أهل التجارة العرب من تأسيس ممالك ذات شأن وسؤدد بين العملاقين . وقد نسب الأخصائيون ملوك (حترا) إلى قبيلة قضاعة التي استقرت أولاً في (الحيرة) و (الأنبار) .



مملكة الحضر (عربايا) العربية كانت في جنوبي غربي الموصل

عبدت كسائر العرب الآلهة (اللات) الشمس والقمر والزهرة وكانت لغتها وكتابتها الآرامية المتصلة بالعربية وتم اكتشافها أخيراً بعد أن رفع عنها علماء الآثار العراقيون الرمال التي غطتها منذ زوالها كمملكة عام ٢٤١ ميلادي على يد (سابور) الفارسي مثلها مثل (البتراء) التي دكّها القيصر (تراجان) الروماني عام ١٠٥ ميلادي و (تدمر) التي قضى عليها قيصر روما أورليانوس عام ٢٧٣ ميلادي . وكان قد ذكرها المسعودي ونسب ملوكها إلى قبائل قضاعة اليمنية . إن الخط الآرامي النبطي يختلف هنا عن المسند الجنوبي وسُمّي (المخربش) ويبدو أن الخط الكوفي قد استمد شكل تكوينه من (المخربش) الشمالي بينما الخط اللاتيني استمد تنسيقه من الخط المسند الجنوبي .

مسلّة مُعاب وما ذكرته
حول جر المياه وتخزينها وهي تعود للقرن التاسع قبل الميلاد عندما قضى الملك المعابي على إسرائيل « إلى الأبد »

العرب الكنعانيون بفلسطين « ومسلة معاب »

وهي المسلة التي توضح مدى عناية **المعابيين العرب** بتخزين المياه ، وجرها إلى وسط المدينة بأقنية مع بناء الصهاريج اللازمة .

نعلم أن بلاد **الكنعانيين (فلسطين)** تعرضت منذ الماضي السحيق لحملات عديدة جاءت من البحر ومن البر في مراحل النزاع على **سورية** الطبيعية من قبل **الحثيين والفراعنة والبابليين والمديانيين والميتانيين والآشوريين** . كما تعرضت بلاد **الكنعانيين** في القرن الرابع عشر قبل الميلاد لهجمات من **العبرانيين** الذين كان من الواضح أنهم لم يتمكنوا آنذاك من التغلب على السكان الأصليين (**الآراميين** أهل **كنعان**) حيث تابعوا طريقهم إلى **مصر الفرعونية** ، وكانوا قد جاؤوا إلى أرض **الآراميين** من أطراف جنوب **الفرات** حيث كانت تقوم هناك مدينة عريقة اسمها **أور - UR** وكان **العبريون** قبائل بدوية تعيش على أطراف **أور** ثم رحلت عنها إلى أطراف أواسط **الهلال الخصيب** ، ثم تابعت مسيرتها إلى غربه إلى أن دخلت إلى **مصر** قبل عودتها بعد ذلك هرباً من **الفراعنة** لمحاولة السيطرة على بلاد **كنعان** . وبعد أن رحل **العبريون** عن **مصر** بقيادة النبي **موسى** عليه السلام الذي كان قد عاش وترعرع في قصر **فرعون** ، ثم وصلوا بعد ذلك إلى المناطق الداخلية بالنسبة **للفيليستيين أي الفلسطينيون** وهي بلاد **الكنعانيين CANAEENS** أو **بلاد الآراميين ARAMEENS** ومنهم **الأدميون EDOMITES** وبينهم **المعابيون MOABITES** وكان لا بد لهم أن يصطدموا معهم بقتال وحروب متواصلة دامت إلى أيام حفيد **سليمان الحكيم** . وكان **الملك سليمان** قد حكم حوالي عام ٩٧٠ أو ٩٥٠ ، أي أقل بألف سنة بقليل ، قبل الميلاد ، ثم حصل قتال وسجال بعهد **آشاب ACHAB ابن عُمري OMRI** حيث تمكن آنذاك (حوالي عام ٨٥٠ ق.م . أي بعد نحو مئة عام بعد عهد **سليمان الحكيم**) أحد ملوك أفخاذ **الآراميين الدينوبيون DENOBITES** من التغلب على ملك **إسرائيل** وفقاً لما نصت عليه مسلّة **معاب** التي عثر عليها عام ١٨٦٨ الراهب الفرنسي **KLEIN** في جنوب **الأردن** ، والمحفوظة حالياً في متحف **اللوفر بباريس** .

ترى إلى جانبه صورة المسلّة الملقبة **بحجر معاب** ، نقلاً عن صورة الصفحة التي نشرت الصورة والنقش مع ترجمته من الفرنسية والتي جاء بها ما يلي :

ترجمة النص الفرنسي المنقول عن اللغة الآرامية الكنعانية التي كُتبت على المسلّة

١ ـ أنا **ميشا بن كيموش** .. ملك **معابْ الديبوني** .

٢ ـ حكم والدي عشرين عاماً على **معاب** ثم أصبحت ملكاً

٣ ـ بعد والدي . وقد بنيت هذا المحج في **قره KRHH** ليشكل تحية له

٤ ـ لأنه أنقذني وأنقذ معي جميع الملوك وجعلني أنتصر على جميع من عاداني أو كرهني

٥ ـ **عُمري** ملك **إسرائيل** ظلم **المعابيين** مدة طويلة ذلك أن **كيموش** كان غاضباً على بلده

٦ ـ وقد ورثه ابنه وقال بدوره سأظلم **معاب** بعهدي وقال ذلك ..

٧ ـ لكنني انتصرت عليه وعلى آله وقضي على **إسرائيل** إلى الأبد وكان **عُمري** قد استولى على كامل بلد

٨ ـ **ما يحدبا وإسرائيل** أقام هناك طوال حياته وحياة أبنائه أربعون عاماً ولكن

٩ ـ **كيموش** أعاد البلد إلينا بعهدي وبنيت **بعل ميون** وبنيت فيه خزان الماء وبنيت

١٠ ـ **قريتيم** ورجال **جاد** كانوا يسكنون **أتاروت** منذ القدم وقد بنى ملك **إسرائيل أتاروت** لنفسه

١١ ـ وقد هاجمت المدينة واستوليت عليها وقتلت جميع سكان المدينة ليتمتع بذلك **كيموش** من أجل **معاب**

١٢ ـ واستوليت على موقع المذبح **لدودح** وجرّيته

١٣ ـ أما **كيموش** في **قريوت** وأسكنت مكانهم رجال **نسارن (سارون)** ورجال من

١٤ ـ **مقرات** وقال لي **كيموش** : اذهب إلى **نيبو** في **إسرائيل** ليلاً

١٥ ـ وذهبت ليلاً ودخلت معه في معركة منذ الفجر حتى الظهر واستوليت على **نيبو**

١٦ ـ وقتلتهم جميعاً ، سبعة آلاف رجل و .. والنساء و ..

١٧ ـ والخدم لأني كنت قد نذرت ذلك وحرمته من أجل **عشتر كيموش**

١٨ ـ وأخذت الأنية الخاصة **بيهوه (إله اليهود)** وجرَّيته أمام **كيموش** وكان ملك **إسرائيل** قد بنى

١٩ ـ **ياحات (جاحاتس)** حيث كان يقيم عندما كان يقاتلني لكن **كيموش** طرده من أمامي

٢٠ ـ وأخذت مئتي رجل من رؤساء **معاب** وتوجهت معهم ضد **ياحاس** وفتحتها

٢١ ـ وضميتها إلى **ديبون** . أنا الذي بنى **كوره (كورخا)** جدران الحدائق والسور

٢٢ ـ الذي وراء المدينة وأنا الذي بنى الأبواب والقلاح (**النوبات**)

٢٣ ـ وأنا الذي شيدت القصر الملكي وبنيت الحواجز المائية للخزانات التي تزود وسط المدينة بالمياه

٢٤ ـ .. ولم يكن في وسط المدينة خزانات قبل ذلك في **قره KRHH** وقلت لجميع السكان

٢٥ ـ على كل ساكن أن يبني خزان ماء في بيته . وحفرت خنادق مياه على أيدي الأسرى

٢٦ ـ **الإسرائيليين** . وأنا الذي شيدت **اروير** وشقيت الطريق إلى **أرنون**

٢٧ ـ وأنا الذي شيدت **بيت ماموت** لأنها كانت قد اندثرت . وأنا الذي بنيت **بيتير** التي كانت قد تهدمت

٢٨ ـ .. وذلك مع رجال من **ديبون** وعددهم خمسون وجميع أهل **ديبون** يطيعون أمري وملكت

٢٩ ـ على مئة في المدن التي استوليت عليها . وقد شيدت ..

مسلّة معاب

وهي من ممتلكات متحف (اللوفر) بباريس

وترجمة ما سجل عليها بالآرامية إلى اللغة الفرنسية . وقد كتبت تحتها بالفرنسية الرقيم الذي أخبر به الملك ميشا عن ثورته الظافرة بعد وفاة (أشاب)



Pierre de Moab.
Inscription du roi Mesha racontant sa révolte victorieuse après la mort d'Achab (2 R. 1. 1; 3. 4-5).

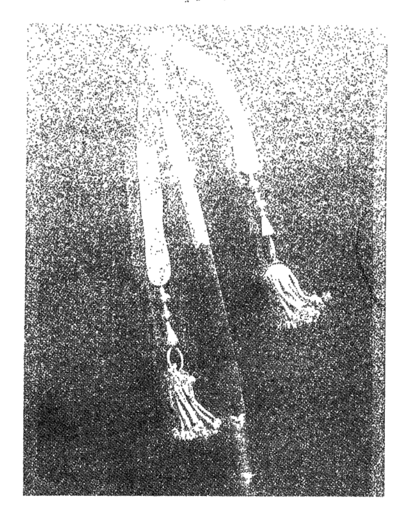
au sommet arrondi; elle mesurait à peu près 1,13 m. de hauteur, 70 cm. de largeur, et 35 cm. d'épaisseur. L'inscription comportait 34 lignes horizontales de caractères inconnus, disposées à env. 3 cm. d'intervalle. M. Klein prit quelques notes et informa de sa découverte le Consulat Prussien de Jérusalem. L'année suivante, M. Clermont-Ganneau, du Consulat de France, fit faire un estampage de l'inscription, et les 2 Consulats offrirent un prix élevé pour acheter la pierre. Le gouverneur turc et les Arabes se querellèrent à ce propos. Ces derniers allumèrent un feu sous la stèle, puis la firent éclater en l'arrosant d'eau froide. Ils pensaient en tirer un meilleur parti par la vente des fragments aux plus offrants. Un nombre considérable de ces morceaux ont pu être récupérés (669 des 1100 caractères de l'inscription) et la pierre à peu près entièrement reconstituée, grâce à l'estampage pourtant pris à la hâte dans de mauvaises conditions. La stèle est actuellement au Louvre, à Paris, et un montage de plâtre remplace ce qui manque. Malgré quelques lacunes, l'inscription est parfaitement intelligible. Elle provient de Méscha (ou Mésa), roi de Moab, mentionné dans 2 R. 3. 4-27; en voici le texte :

1. Je suis Méscha, fils de Kémosch... roi de Moab, le Di-
2. bonite. Mon père a régné 30 ans sur Moab, et je suis devenu roi
3. après mon père. Et j'ai érigé ce sanctuaire pour Kémosch dans Ḳrḥh... en signe de salut,
4. car il m'a sauvé de tous les rois et il m'a fait triompher de tous ceux qui me haïssaient, Omr-
5. i, roi d'Israël, opprima longtemps Moab, parce que Kémosch était irrité contre son pa-
6. ys. Et son fils lui succéda; et lui aussi dit : « Je veux affliger Moab. » De mon temps, il l'a dit...
7. Mais j'ai triomphé de lui et de sa maison, et Israël a péri pour toujours. Or Omri s'était emparé de tout le pa-
8. ys de Mehēdeba et (Israël) séjourna là durant ses jours et la moitié des jours de ses fils, 40 ans; mais
9. Kémosch nous l'a rendue de mon temps. Et j'ai bâti Ba'alme'on et j'y ai fait le réservoir (?) et j'ai bâti
10. Ḳiriathān (Ḳiryathaim). Et les hommes de Gad habitaient le pays d'Ataroth de toute antiquité et le roi d'Israël avait bâti pour lui-même
11. 'Ataroth. Et j'attaquai la ville et la pris et je tuai tous les habitants de
12. la ville, spectacle pour Kémosch et pour Moab. Et je m'emparai de l'autel de son foyer de Daudoh (?) et je le traînai
13. devant Kémosch à Keriyyoth (Kerioth). Et j'y établis les hommes de Srn (Saron) et les hommes de
14. Mhrth (Makharath). Et Kémosch me dit : « Va, prends Nebo à Israël » et j'y
15. allai de nuit, je lui livrai bataille de la pointe du jour jusqu'à midi, et je la pris
16. et les tuai tous, sept mille hommes et... et les femmes et...
17. et les servantes; car je l'avais vouée à l'interdit pour 'Ashtar-Kémosch, et j'enlevai de là les ustensiles
18. de Yahvé et je les traînai devant Kémosch. Or le roi d'Israël avait bâti
19. Yahas (Jahats), et il y demeurait pendant qu'il luttait contre moi. Mais Kémosch le chassa de devant moi. Et
20. je pris deux cents hommes de Moab, tous ses chefs; je les menai contre Yahas et je la pris
21. pour l'annexer à Dibon. C'est moi qui ai bâti Ḳrḥh (Korkha), la muraille des jardins et la muraille
22. de l'arrière-ville. C'est moi qui ai bâti ses portes et ses tours. Et
23. c'est moi qui ai construit le palais royal et fait les vannes (?) du réservoir (?) pour l'eau au milieu
24. de la ville. Et il n'y avait pas de citerne au milieu de la ville, à Ḳrḥh. Et j'ai dit à tout le peuple : « Que
25. chacun fasse pour soi une citerne dans sa maison. » Et j'ai fait creuser les fossés de Ḳrḥh par les prisonniers
26. d'Israël. C'est moi qui ai bâti 'Aro'er et fait la route de l'Arnon.
27. C'est moi qui ai bâti Beth-Bamoth, car elle était anéantie. C'est moi qui ai bâti Beṣer, qui était en ruines,
28. ... avec les hommes de Dibon, au nombre de cinquante, car tout Dibon m'obéit. Et j'ai régné
29. sur cent dans les villes que j'ai annexées au pays. Et j'ai construit

المساهمة بالخدمات الفكرية والحضارة العالمية قبل الاسلام وبعده

لا نعلم بغير الاستقراء والاستنتاج وما شرحه لنا الدكتور **نيكولاوس** المذكور آنفاً ، حقيقة نوع الخدمات الفكرية والرسالات الفلسفية التي لا بدّ أن يكون اليمني قد قدمها في الماضي السحيق إلى الشعوب التي كان دائم الاتصال بها قبل الإسلام وامتثاله لشرائعه السماوية المثلى . ذلك أنه من المنطقي والمعقول أن يكون ابن **اليمن** الذي اطلع في آن واحد على عدة مدنيات ، كما رأينا من أسفاره التجارية في **الهند وفارس وبلاد ما بين النهرين وسورية وفينيقيا ومصر** وأيضاً في **جنوب الصين** ، قد تكونت عنده مفاهيم وفلسفات واسعة الأفق ، ناتجة عن تجمع عدد أكثر مما عند سواه من العناصر الفكرية التي أدخلها في بوتقته وأخرجها ممزوجة بطابعه الخاص . أما في عهد الإسلام ، فنعلم بأن **اليمنيين** كانوا أول من ناصر **النبي العربي** ﷺ في المدينة ، وأن دخول **اليمن** في الإسلام كان تلقائياً وفقاً لاجتهاد العقلانيين الذين يميلون لتفسير المعجزات بوجود الظروف المواتية لتحقيقها ، وهم يعتبرون أن الإنسان اليمني كان مهيئاً فكرياً ثم عاطفياً لاعتناق ديانة عميقة مبنية على رسالة سماوية شاملة القواعد ، وقد جاءت مساهمته فعّالة وملموسة عندما قدم قادة من المشاهير في الحروب وهم الذين لم يقل شأنهم بحقل الفكر وحسن الإدارة عن نشاطهم العسكري ومقدرتهم على التنظيم ، وأصبحوا يُعتبرون من العباقرة الذين يقتدى بهم قولاً وعملاً ، ومن المعتمدين في مجالي العلم والحكمة . ولا مجال هنا لتعداد العباقرة من **اليمنيين** ممن اعتُبروا أعلام القادة **المسلمين** ورجال الفكر في القرون الأولى للهجرة ، حيث ذكرناهم تحت عنوان آخر ، لكنه من اليسير علينا أن نلاحظ بأن **العرب** الذين استقروا بالأراضي الزراعية في **المغرب والأندلس** هم على الأغلب من **اليمنيين** ، ذلك أنهم كانوا من أهل المعرفة والزراعة ، فلما وجدوا مخلفات **الرومان** من الأعمال الزراعية والإنشائية اهتموا بها وتمركزوا في مناطقها وطوروها لتطعيمها بمعرفتهم وخبرتهم ، فكانت منهم المدنية التي ازدهرت في **الأندلس** بفضل ما جلبوه معهم من طاقات وتقنيات . وقد سجلنا للدلالة على ذلك بعض آثار المنشآت اليمنية في **الأندلس** ، وهي قلعة **يحصب** وقلعة **همدان** في **غرناطة** ، وقلعة **خولان** في **إشبيلية** ، وغير ذلك مما أوردناه بالفصل المتعلق **بالأندلس وصقلية** وسواهما .

المهند اليماني



السيف المهنّد اليماني الذي اشتهر في العالم أجمع لحدته وصلابته مع الليونة في وقت واحد مما يحول دون انكساره ، ولا يتجاوز طوله المتر ووزنه أقل من نصف وزن سواه من سيوف الغربيين . وكانت اليمن ودمشق أشهر مصادر المهنّد اليماني ، ونعتقد أن كلمة مهنّد تعود لانتقال صناعته أو تصميمه من بلاد الهند التي كانت مشهورة بصناعة الأسلحة الحادة . وكما أطلعنا الأخباريون أن غزو سيد المرسلين لواحة تبوك بشمال الحجاز كانت ترمي لتحصيل السيوف اليمانية المهنّدة التي كانت تصنّع أيضاً بدمشق الشام .

ثم اعتبر المؤرخون الحربيون أن من عوامل نجاح الفتوحات العربية إلى جانب العقيدة والإيمان هو استعمال العرب للجمل الذلول السريع الحركة وسهل القيادة لطبيعته وخفته ، وقد اشتهر جوف اليمن بتربيته ، كما يعود الفضل كذلك للحصان الكحيلان ـ العربي الذي تميز ولا يزال عن سائر الخيول بسرعته ونباهته وتجاوبه . وقد توالد الكحيلان في قيعان اليمن وخاصة في قاع يريم وذمار ثم اشتهر في العالم أجمع . أما الإنتاج الذي اشتهر أكثر من سواه فهو ولا شك المهند اليماني الخفيف الوزن والفعال الذي كان أقسى وأقطع من سيوف الروم والفرس الثقيلة وسهلة الانكسار لشدتها ، وهناك من يميل لاعتبار صنعاء ثم صعدة من مراكز التفوق بصناعته ، ولا بد من لفت النظر إلى أنه حصلت أخيراً دراسات قيّمة عن الصناعات التقليدية والحرف والمدن أو المناطق التي تأصلت فيها هذه المهن التي أعطت لليمن شهرتها في صناعة الأسلحة الحادة أكثر من سواها .

أما الخدمات العميقة الأثر التي قدمها **اليمنيون** بعد الإسلام إلى جانب مساهمتهم الواعية ونضالهم المستميت في الفتوحات ، فهي نشر الدين بالطرق التبشيرية المستندة على المنطق والمثل الصالح بالتعامل الشريف وبواسطة الاتصال الشخصي والإقناع التي تيسرت وسائله عن طريق التجارة ، فإذا اعتبرنا أن ثلث المسلمين في العالم أي أكثر من ثلاث مئة مليون مسلم من أصل ألف مليون تقريباً هم من أهل **أندونيسيا** والجزر المحيطة بها ، ومن أهل **الملايو والبنغال** (**بنغلاديش** حالياً) وما إليها ، ومن أهل **الصومال وأرتيريا والحبشة** ، ومن **الزنجبار ومدغشقر وأواسط إفريقيا الشرقية** حتى **الكونغو** . ومتى علمنا بأن اعتناق الإسلام من قبل هذه العشرات والمئات من الملايين التي تؤلف اليوم دولاً عديدة من أعضاء الأمم المتحدة يعود الفضل فيه إلى حد كبير **لليمنيين** الذين قاموا بأعمالهم التبشيرية على أساس إفرادي في غالبيته لاقتنعنا بصحة تقدير العدد . حيث يعود الفضل في انتشار الدين الحنيف بأطراف **المحيط الهندي** وتطبيق تعاليمه وفلسفته ونوع حكمه إلى أمراء الحكم ورجال الفقه من اليمنيين ومنهم أهل **عُمان وحضرموت** ، وهو مما يطلعنا على قيمة الرسالة الفكرية الإنسانية الضخمة التي قدمها **ابن اليمن** المرتبط جغرافياً **بالمحيط الهندي** ، عن طريق الفتوحات الحربية في المرحلة الأولى التي لم تشتمل على ما كان بعيداً عن جنوب **جزيرة العرب** أو واقعاً شرقي **الهند** ، ولا أدل على الأهمية التي يتمتع بها اليمني في **أندونيسيا وجزرها والملايو** اليوم ، من وجود عدد كبير من السلاطين ورجال المال والزعامة من أصل يمني ومن أسر وقبائل معروفة لا زالوا على اتصال بها ، وهم بصورة خاصة من جنوب **اليمن** ومن مقاطعات **حضرموت أو من عُمان** وهي التي لعب أهلها مع الحضارمة دوراً هاماً وعميقاً تمكن من مقاومة الضغط الاستعماري التبشيري ، الذي اعتمد على القوة والقهر ، وهو الذي لجأ إليه **الغربيون** وخاصة **البرتغاليون** بعد اجتيازهم رأس **الرجاء الصالح** بنهاية القرن الخامس عشر وتدميرهم مراكز الإسلام مادياً ، لكنه فشل بتدمير مكانة **العرب والمسلمين** الروحية التي امتدت **إلى الصين وجزر الفليبين** ، بدليل استعادة مسلمي تلك الأقطار مكانتهم الأصلية بعد انحسار التأثير الاستعماري ثم زواله .

فن العمارة المتقدم والفريد

المدن والقصور

فن العمارة منذ العهد القديم

إن وجود طبقة ثرية جداً ونشاط تجاري واسع جعل الاهتمام بالمدن وبنيانها وتحصينها أمراً ضرورياً . ويظهر أن نوع العيش المترف والغنى الفاحش ، حمل أهل **اليمن** على بناء القصور والقلاع ليتمتعوا فيها بالترف وتستقر نفوسهم بالأمن ضمن نطاق أسوارها ، الأمر الذي حمل المؤرخ اليوناني **بلينوس** للقول كما رأينا في مكان آخر : « إن أهلها يحبون الحرية ويتمتعون بها كل التمتع » . ومهما كانت الأسباب ، فإن فن العمارة في الألف الأول قبل الميلاد كان على جانب عظيم من الرقي . وقد توارث أبناء **اليمن** الشيء الكثير من خصائص هذا الفن إلى يومنا هذا ، إذ إن فن العمارة الحاضر في اليمن ذو طابع خاص به لا مثيل له في أي مكان آخر من البلدان العربية وسواها .

أما فن بناء السدود الذي كان من خصائص أهل **اليمن** ، فقد اندثر تماماً مع اضمحلال هذا البلد المجيد ومدنيته القديمة .

وكانت المدن محاطة بأسوار شأنها شأن جميع المدن القديمة ، ويظهر أن بعض تلك الأسوار كانت مستديرة أو شبيهة بالشكل المستدير عندما كانت طبيعة الأرض تسمح بذلك ، ونلاحظ اليوم أن أغلبية الأبراج في **اليمن** تميل إلى المحافظة على الشكل المستدير . أما الحصون فهندستها مختلفة وهي التي نقلها أهل سبأ إلى شمال **الجزيرة** ومنها إلى **أوروبا** كما سنرى تحت عنوان مخصص للحصون .

ناطحات السحاب

علمنا أن أول ناطحة سحاب في العالم كان ارتفاعها مئتي ذراع وتضم عشرين دوراً ، تم تشييدها حوالي القرن الأول قبل الميلاد **بصنعاء** ، وكان اسمها **قصر رغدان** ، وعلمنا بأن **اليمن** كانت تسمى أيضاً **بلاد القصور** .

ويكفي أن نلقي نظرة على أبنية **اليمن** العديدة الطبقات في أيامنا لنرى طراز بناء خاص **باليمن**

لا مثيل له في أي بلد آخر . فالأبنية مزخرفة من الخارج وتحتوي على النوافذ الكاذبة لإعطاء البناء شكلاً فاتناً متناسقاً في الجدران التي لا يحسن فتح نافذة فيها . كما نرى أبنية عديدة في **صنعاء** ومختلف المدن ذات طبقات تتجاوز السبع والثمان طبقات ، ونلاحظ في الدور الأعلى مكاناً خاصاً للراحة والتأمل والاجتماع يشرف على المدينة وعلى المناظر الطبيعية المجاورة يسمى **بالمفرج** وهو مزيَّن بالألواح الزجاجية الملونة وبالقمريات وهي المغطاة بألواح من المرمر . وقد يكون هذا المفرج الأعلى من بقايا فن عمارة **قصر رغدان** الذي وصفوه لنا بأنه كان يحتوي على صالة في أعلاه مسقوفة بالمرمر الشفاف . هذا واستعمال المرمر الشفاف (الألباسترو) لا يزال كثير الانتشار في الأبنية الحاضرة حيث يستعمل لتغطية « القمريات » كما سيأتي شرحه لاحقاً ، ذلك أن **الألباسترو** يقوم مقام الزجاج في تزيين القسم العلوي من النوافذ بين أسفل قوس النافذة وأعلاه . وإلى جانب **المفارج العليا** نرى مفارج أخرى مستقلة مشيَّدة في الحدائق ، وقد تبنى أمامها أحواض ماء تحتوي على نافورة محاطة بالأزهار ومغطاة بالعرائش أو الورود والزهور المعرّشة .

والذي تجب ملاحظته لدلالته على رقي اجتماعي كبير لا مثيل له الآن حتى في بعض البلدان الراقية ، هو تخصيص اليمني حتى في الأرياف الدور الأول للحيوان والأدوار العليا لسكن الإنسان ، مع أننا نعلم أن سكان الأرياف كثيراً ما يسكنون إلى جانب حيواناتهم أو على مستوى واحد معها . لذا فإن أول ما يلفت نظر الزائر للقرى اليمنية في الجبال هو ارتفاع أبنيتها الحجرية لعدة أدوار لا للتشبه بأبنية المدن وحسب ، بل للارتفاع بسكن الإنسان عن المكان الخاص بالحيوانات الداجنة التي لا غنى عنها في الحياة الريفية . وفي هذا دليل على رقي ملموس في الحياة الاجتماعية حتى في الأرياف .

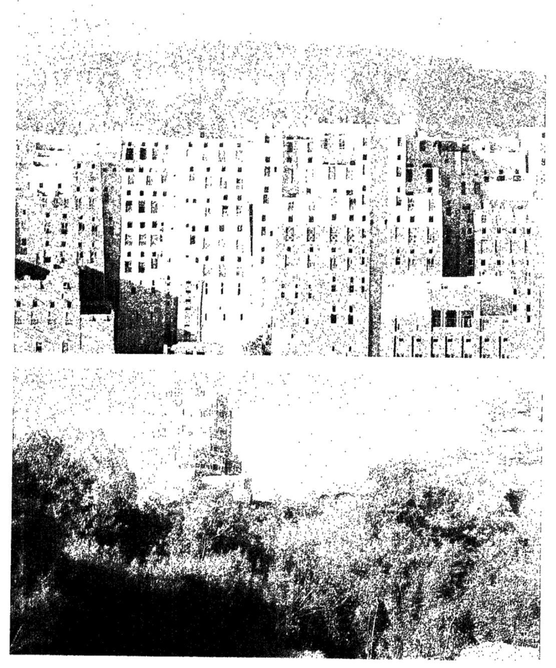
والذي يسترعي الانتباه أيضاً في الأبنية اليمنية الحاضرة هو انخفاض أسفل النوافذ في الأدوار العليا بحيث يتمكن الجالس على الأرائك من رؤية الطبيعة أمامه دون أن يحجب عنه الجدار الذي تحت النافذة من المشاهد كما هي الحال في النوافذ العادية .

وأجمل ما ترك لنا الفن المعماري القديم في **اليمن** والذي اندثر استعماله الآن إلا في بعض الأبنية الحديثة جداً في العالم هو استعمال الأعمدة المربعة الشكل والتي لا تقل رونقاً عن الأعمدة الاسطوانية .

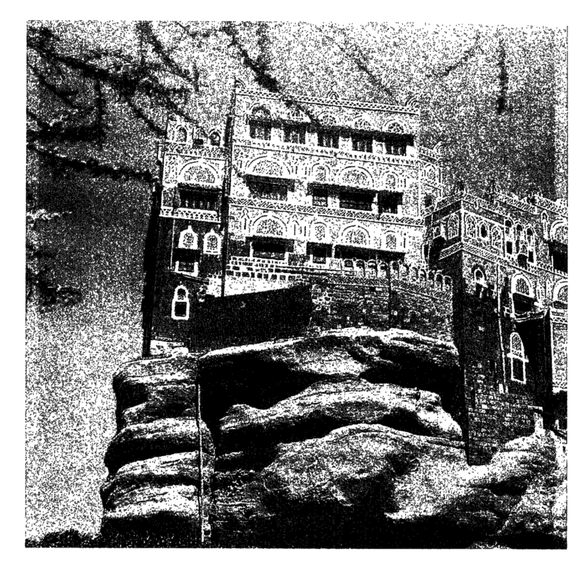
وأما في مدن المناطق الداخلية أو الشرقية من الجنوب فنوع الفن المعماري مختلف شكلاً وتصميماً ، وهو بخلوه من الزخرفة الخارجية ، واعتماده الشكل الأملس من الأسفل إلى الأعلى ، وارتفاعه إلى ما يزيد على اثني عشر دوراً يشبه إلى حد ما نوع المباني المرتفعة العصرية التي اعتمدت الحديد والزجاج ومنها ناطحات السحاب .

فن العمارة العمودية في جنوب المشرق اليمني ، حيث يزيد ارتفاع أكثر الأبنية في المدن الرئيسية على ١٢ دوراً ، ويتصف هذا الفن المعماري بخلوه من الزخرفة الخارجية ، مما يزيده شبهاً بناطحات السحاب العصرية المنتشرة حالياً بالدول المتقدمة .

ـ أما قصر (غمدان) التاريخي المندثر بصنعاء فكان يرتفع إلى عشرين دوراً .



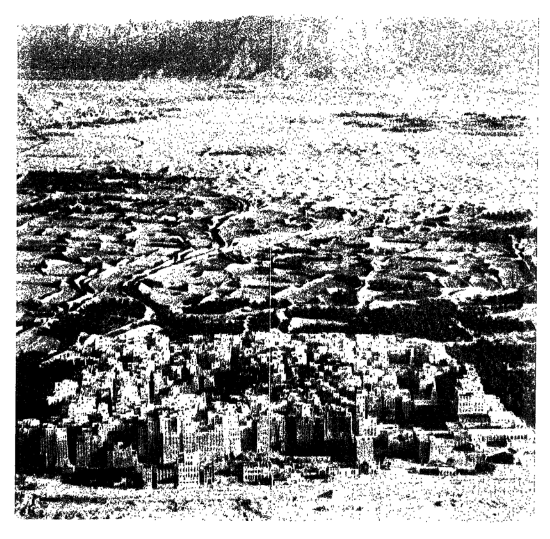
ـ وإن كانت الأبنية المرتفعة في الجنوب خالية من الزخرفة الخارجية ، فالأمر على نقيض قصر الحجر بالقرب من صنعاء المتميز كسواه بالشمال بالزخرفة الخارجية .

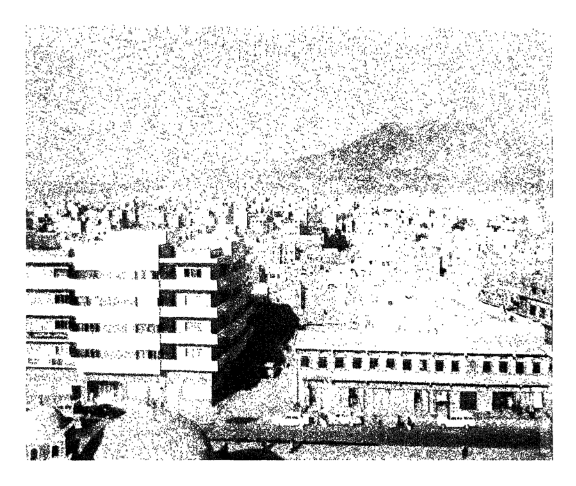


زخرفة قصر الحجر

إن انسجامه مع محيطه الطبيعي فوق تلة صخرية مفخرة ، لم تمنع مهندسيه من زخرفة كل نوافذه وحتى السطوح .

تميز الفن المعماري بالمناطق العليا (الصنعاني) بتزيين الواجهات حتى أعالي الجدران فوق النوافذ بإضافة (القمريات) وتشكل (القمرية) نافذة مقفلة بالمرمر الشفاف (القمري) الذي يؤمن دخول النور دون الرياح والغبار ، تماماً كالزجاج الشفاف الذي يؤمن الضوء دون وضوح الرؤية - وربما يعود استعمال المرمر القمري للمرحلة التي سبقت اكتشاف الزجاج من قبل الفينيقيين - كما علمنا من أن قصر غمدان بصنعاء الذي ارتفع إلى عشرين دوراً كان سقفه الأعلى مغطى بشكل يسمح بدخول النور ورؤية الطير إذا ما حام فوقه .





صنعاء القديمة وكانت الأبنية الحديثة قد بدأت تطغى عليها ، ثم جاءت منظمة (اليونسكو) لاعتبارها من التراث الحضاري العالمي ، لتساهم بحمايتها والحفاظ على معالمها وهندستها المعمارية الفريدة .



باب اليمن

يشكل هذا الباب الذي لم يتأثر بالعوامل والهدم ، أحد ركائز السور الذي كان يحيط بكامل مدينة صنعاء القديمة ، وقد تهدم السور بكامله تقريباً في المرحلة الأخيرة قبل اعتبار صنعاء من قبل (اليونسكو) من تراث الحضارة العالمية .

وكانت أبنية صنعاء المتينة التي صممت لتقاوم الدهر محاطة بأغلبيتها بالبساتين الخاصة ، وكان لكل مبنى رئيسي بستان ، ولا تظهر البساتين على هذه الصورة حيث أن الأبنية هنا تحاط بالأسواق القديمة التقليدية ، ومنها سوق الملح وسوق البقر وحارة الذهب وغيرها من الأسواق والمساجد العديدة .

أما المنطقة السكنية الرفيعة المستوى فكانت قد انتقلت إلى ما وراء السايلة (الخندق) وهي التي تعرف (ببئر العزب) حيث أن جميع المساكن تقريباً هناك متعددة الطبقات وتحتوي أيضاً على مفرج مستقل في البستان الخاص بالمبنى ، وغالباً ما يكون أمام المفرج المستقل والمحاط بالزهور خزان ماء تزينه نافورة مياه .

وللتعرف على شكل صنعاء القديمة وأسوراها ، وضعنا في الصفحة المقابلة مخططاً قديماً لهذه العاصمة العربية الفريدة من نوعها .

مخطط مختصر لصنعاء القديمة ومركز معالمها التاريخية القديمة

وكانت تقع بكاملها ضمن سور مرتفع ويخترقها مجرى ماء . بقي السور قائماً حتى بعد الثورة عام ١٩٦٢ م ، وظل ظاهراً حتى عام ١٩٧٠ م ، والذي أُنقذ من السور هو (باب اليمن) وما حوله وسوى ذلك قليل .

أما المباني القديمة فبقيت سالمة نسبياً ويحصل حالياً ترميمها بعد أن تقرر اعتبار صنعاء من التراث العالمي .

موقع **قصر غمدان** التاريخي الذي يعود للقرن الأول بعد الميلاد .

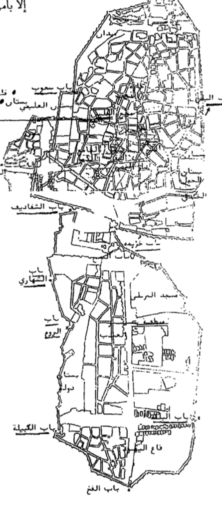
كان القصر يرتفع إلى عشرين دوراً ارتفاع كل منها عشرة أذرع وهو ما يعادل ١٥٠ متراً ، أي ما يقرب ارتفاع نصف (برج إيفل) في باريس وأعلى بقليل من أهرام (كيوبوس) بالجيزة (١٤٦) م وهو أعلى أهرامات مصر .

كان القصر يشكل حصناً منيعاً لضخامة ركائزه وجدرانه ، وكان الملك وحاشيته يقطنون بالأدوار العليا ليتعذر الوصول إليهم .

وقد أطلعنا (المسعودي) على التالي : « أقام معد مكرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن ، واصطنع عبيداً من الحبشة حرابه يمشون بين يديه بالحراب فركب في بعض الأيام من باب قصره المعروف **بغمدان** بمدينة صنعاء ، فلما صار إلى رحبتها عطفت عليه الحرّابة فقتلوه بحرابهم » .

كامل المنطقة الواقعة بين **باب السبح** وهو داخلي **وقاع اليهود** تسمى **بئر العذب** ، وكانت مؤلفة من قصور تحيط بها بساتين ولكل منها بئر خاص .

كما كانت تروى بعض بساتين صنعاء وجميع ضواحيها بغيلين (ساقيتي ماء) .



كان لصنعاء تسعة أبواب كما هو ظاهر على المخطط وكانت الأبواب تغلق مساء كل يوم ولا يمكن فتح إحداها ليلاً بسبب طارئ إلا بأمر خطي من الإمام .

موقع **القليس** وهو المكان الذي بنى عليه أبرهة الحبشي قبيل ظهور الإسلام (أجليز) أي (كاتدرائية) .

تقول المصادر أن أبرهة بالغ في تزيينها وإتقانها فنقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وصنوف الجواهر لمحاولة توجيه الحج إليها وصَرْف العرب عن التوجه إلى مكروبا (مكة المكرمة) .

وكان ذلك بعهد (عام الفيل) عندما ارتد أبرهة على أعقابه بعدما اقترب من مكة المكرمة كما هو معلوم .

ملاحظة

كان تسجيل مواقع الأسواق وسواها تقريباً نظراً لصغر القياس ، أما مواقع الأبواب والسور فهي دقيقة وبأماكنها الأصلية

مدن اليمن القديمة

مدن **اليمن** القديمة اندثر أغلبها ومـا بقي منهـا فهو قليل وأكثره في طور النزاع أو مسخ إلى درجـة القرية .

مدن الجوف

وقـد وصل إلينـا أسماء بعضهـا ، وهي التي كانت عواصم لـدول أو كانت مراكز لتجـارة وحضـارة زاهرة . ومن هذه المدن مـا كان قـائمـاً في وادي **الجوف** حيث نجـد أسماء مثل **لكسوس وبراقش ومعين ويثيل ونشان وقرنو** . ويبدو أن **براقش ويثيل** هما اسمان لمدينة واحـدة ، كما أن **معين** حملت أيضـاً اسم **قرنو** ، وإليها انتسبت الدولة **المعينية** القديمة .

وقد ذكر الهمداني بمؤلفـه القيّم (**الإكليل**) قـائلاً : « محـافـد **اليمن : براقش ومعين** وهمـا بـأسفل **الجوف** الرحب متقابلتان ، **فمعين** بين مدينة **نشان** وبين **درب شراقة** » .

براقش : تطل على **معين** وهي من عواصم **المعينيين** وكانت على ما يبدو مركزاً دينياً .

أما **نشان** : فيظهر أنها اندثرت وتقوم على أنقاضها اليوم مدينة **السودة** . وقال **مـالـك بن حريم الدلاني** :

ونَحْمِي **الجـوف** مـادامت **معين** بـــأسفلـــه مقـــابلـــة **عرادا**

وإن علمنا موقع **معين** فنحن بانتظار علماء الآثار واكتشافاتهم للتعرف على موقع **عرادا** .

وقال **علقمة** :

وقـد أسـوا **براقشَ** حين أسـوا ببلقعـــة ومنبســـط أنيـق
وحلَّـــوا من **معين** حين حلَّـــوا لعـزهم لـــدى الفـج العميـق

وقد تبين لعلمـاء الآثـار القلائل أن **براقش** هي **يثيل** القـديمـة ، **ونشـان** هي **السوده** حـاليـاً كما أشرنا . ويعود الفضل إلى **هاليفي** بتحديد مواقع هذه المدن المنـدثرة ، حيث نقل ٧٩ نقشـاً في **معين** ،

و ١٥٤ في **براقش** ، و ٧٠ في **السوده (قرنو أو نشان)** ، كما تحقق من أن **نكسوس** عند **اليونان** هي البيضاء اليوم .

مدن المشرق

مأرب :

التي انتقل إليها المجد في عهد **السبئيين** فهي المدينة المجاورة للسد المشهور باسمها ، وهي اليوم مبنية على أنقاض المدينة التاريخية التي كانت تحتوي على الأبنية والقصور ، ومنها **قصر سلحين وقصر الهجر وقصر القشيب (الهمداني)** .

كما قال **علقمة** :

ومنا الذي دانت له الأرض كلها　　　**بمأرب** يبني الرخام ديارا

وقال أيضاً :

وقصر **سلحين** قد عفاه　　　ريب الزمان الذي يريب

كما قال :

ومأرب قد نطقت بالرخام　　　وفي سقفها الذهب الأحمر

وقال **الطحان** :

أما ترى **مأرباً** ما كان أحصنه　　　وما هو عليه من سور وبنيان

وإلى شرقي مدينة **مأرب** يوجد **أذنة** ليسقي ما بين يديها وما حولها ، وعليه بنى سد **مأرب** العظيم الذي سنأتي على ذكره تفصيلاً .

صرواح :

إحدى العواصم **المعينية** المندثرة ، تحتوي على آثار قديمة ويظهر أن بانيها هو **عمر ذو صرواح** وهي غير بعيدة عن **مأرب** وآثارها وآثار **مأرب** متقاربة في التصميم الهندسي ، ويبدو أن **صرواح** شكلت عاصمة **لسبأ** قبل انتقال الملك إلى **مأرب** ، وربما كان بناء السد هو الداعي لانتقال مركز السلطة إلى قربه .

صنعاء

من المدن التاريخية القليلة التي حافظت على مكانتها هي **صنعاء** عاصمة **اليمن** . وكان اسمها **أزال** وتحتوي **صنعاء** على مواقع الأبنية التاريخية كقصر **غمدان** في مكان اسمه **القصر** ومنطقة اسمها اليوم **القليس** نسبة إلى الكنيسة التي بناها **أبرهة الحميري** نائب **النجاشي** التي سبقت الإشارة إليها .

جزء من تراث الحضارة العالمية

وبالنظر لهندسة **صنعاء** وفنها المعماري الفريد من نوعه في العالم ورونقه وطرازه وخشية زواله بتأثير انتشار الأبنية الحديثة لتأخذ مكان القديمة ، قررّت منظمة **اليونسكو** بالاتفاق مع الحكومة اليمنية اعتبار **صنعاء** القديمة من تراث الحضارة العالمية التي يجب الحفاظ عليه كما سنذكر ذلك لاحقاً .

نجران وحيران وميفع وهي من مدن **اليمن** التي اشتهرت قبل الإسلام **نجران** . وكانت مع غيرها مراكز على طريق التوابل . وقد حافظت **نجران** على مكانتها السالفة كممر رئيسي في الطريق الداخلي إلى **بلاد الحجاز** .

موانئ المحيط الهندي

قانا :

كان ميناء **قانا** أشهر موقع تجاري ومركز للملاحة على **المحيط الهندي** . اندثرت هذه المدينة نهائياً ، وقد تمّ التعرف على موقعها أخيراً بعد اكتشاف آثار **حصن الغراب** الذي كان يشرف على موقعها ، ويعرف هذا المكان الأثري الآن **بحصن الغراب** . أما موقع المدينة المندثرة فيطلق عليه في يومنا هذا **بئر علي** ، وقد وصلت شهرة ميناء **قانا** إلى بلدان **البحر الأبيض المتوسط** حيث ذكرت في الإنجيل ضمن إصحاح **حزقاييل** كما جاء وصفها أيضاً في كتاب حول البحر الأرتيري عندما كانت مركزاً لتجارة اللُّبان والمرّ والبخور .

عدن :

لعبت عدن دوراً كبيراً في التجارة مع **المحيط الهندي** باعتبارها مركزاً رئيسياً لمملكة **أوسان** التي كان لها علاقة خاصة بالنسبة لبلدان **إفريقيا الشرقية** ومنها **الصومال وأثيوبيا** ، حيث أسس أبناء

مملكة **أوسان** على ما يبدو مملكة **أكسوم** التي اتسمت بطابع ولغة وكتابة أهل **أوسان وباسم** إحدى قبائل منطقة **عدن أبين** ولغتها الجعزية .

المُخا ، أو موزا ، أو موزع

وهو ميناء **اليمن** التاريخي على **البحر الأحمر** وربما كان قربها من وادي **موزع** هو الأصل في تسميتها ، وهي اليوم ومنذ القرون الوسطى تعرف تحت اسم **المخا** ، فبعد أن تمّ القضاء عليها في بداية هذا القرن على إثر قصفها بمدفعية الأسطول الإيطالي ١٩١٢ في الحرب مع العثمانيين ، عادت إلى الحياة أخيراً بعد بناء رصيف في البحر ، وكذلك بعد ربطها بشبكة الطرقات الرئيسية بفتح طريق عريضة عصرية لتصلها مع **تعز وإب** إلى **صنعاء** طولها ٣٣٠ كيلو متر ، ولنردد بهذه المناسبة ما قاله مؤلف الطواف حول **البحر الأرتيري** ، واصفاً **المخا** في القرن الأول للميلاد .

« كان يردها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية ناعمها وخشنها وألبسة خيطت على الزي العربي ذات أردان قد تكون بسيطة أو مطرزة أو موشاة بالذهب والزعفران وقصب الزريرة وأنسجة القطن الشفافة والأعبئة والأحرمة - وهي ليست كثيرة - بعضها بسيط وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية ومناطق ذات ألوان عديدة ودهون عطرية بكميات معتدلة والخمر وقليل من الحنطة ، لأن البلاد لاتنتج من الحنطة إلا اليسير على أنها تفيض خمراً .. وتصدر البلاد حاصلات أرضها : فاخر المرّ والصمغ المعيني والرخام اللين (المرمر) » .

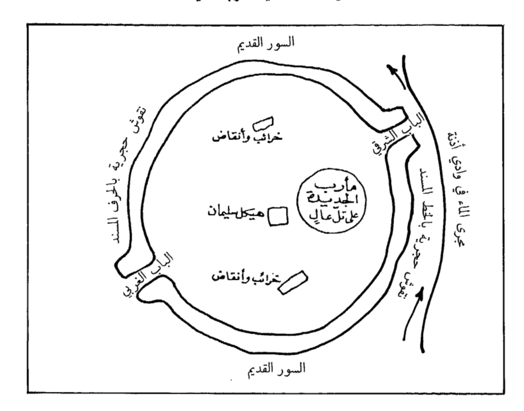
وحافظت **المخا** على صفتها كميناء **لليمن** على **البحر الأحمر** حيث أصبحت في القرنين السابع عشر والثامن عشر أنشط مراكز التجارة بتعاملها مع شركات الملاحة والتجارة الأوربية ، وكان يومها حينذاك **البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون** وسواهم ينقلون منها البن اليماني الفاخر الذي سمي باسمها بن **المخا** وأصبح معروفاً في العالم الغربي بكلمة **موكا** إلى يومنا هذا .

مدن جنوب الشرق

تمنع :

عاصمة **القتبانيين** فقد نقبت عنها بعثة **وندل فيليبس** في **بيحان** وعثرت على بعض آثارها . وتعرف اليوم باسم **كحلان أو هجر كحلان** .

لوحة مخطط مدينة مأرب القديمة



١ ـ كانت تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صنعاء .

٢ ـ كانت عاصمة لدولة سبأ من القرن الثامن من قبل الميلاد إلى ١١٥ ق . م .

٣ ـ كانت مستديرة الشكل وحولها سور له بابان أحدهما نحو الغرب والآخر نحو الشرق .

٤ ـ وكان يتوسطها هيكل يسمى الآن بهيكل سليمان .

٥ ـ وعثر في أطلالها على الكثير من النقوش الحجرية القديمة .

٦ ـ قال فيها (سترابون) المؤرخ والرحالة اليوناني الروماني : « مأرب مدينة عجيبة ، سقوف أبنيتها مصفحة بالذهب ومطعمة بالعاج والأحجار الكريمة ، وفيها من الأبنية العظيمة ما يبهر العقول » .

شبوه :

أو **سبوتا** في أخبار **اليونان والرومان** فهي لا تزال **كأرب** محتفظة باسمها ، وهي اليوم مدينـة على الطريق الداخلية بين **مأرب وحضرموت** .

تريم :

لا تزال قائمـة في وادي **حضرموت** المجـاورة **للبحر السـاقي** ، وجميع هـذه المـدن اليمنيـة الآن كانت تشكل المـوانئ الـزاهرة ، ومنهـا **مــأرب وتمنـع** لـوقـوعهــا على أطراف الصحراء كالمـوانئ على أطراف البحار .

شبام :

هناك أكثر من مدينة تعرف بهذا الاسم في أيامنا والمشهورة هي في **حضرموت** وكانت عـاصمتهـا . وتتميز **شبام** حتى أيامنا هذه بمبانيها التي ترتفع إلى عشرة أدوار أو أكثر .

وتوجد مدينة أخرى بجانب **كوكبان** تحمل اسم **شبام** في الشمال ، ولا تزال **شبـام** الجنوب عـامرة وتتميز بفن عمارتها المتعددة الأدوار ، وربما كانت مع **صنعاء** أول مكان بنيت فيه نـاطحـات السحـاب وذلك إذا اعتبرنا أخبار **إرم ذات العماد** مبالغ فيها وهو مما سنأتي على ذكره .

ظفار :

عاصمـة **حميّر** . فقـد انـدثرت ولم يبق منهـا غير تل مستـدير بشكل قمـة بجوار مـدينـة **يريم** على الطريق بين **إب وصنعاء** (أول من أشار إليها العالم **ينبور** الذي زار اليمن عام ١٧٦٤ ـ ١٧٧١) .

القصور
وأشهرها كوكبان وغمدان

ذكر **سترابون** أنه يوجد في مدينتي **ناجية وتمنع** ٦٥ هيكلاً ، وفي **شبوه** ٦٠ هيكلاً . ولا غرابة إذن إذا دُعيت **اليمن** أيضاً **ببلاد القصور** ، ويظهر أن الحكام الأثرياء كانوا بحاجة إلى أبنية ضخمة ينعمون بحياة الترف ضمن جدرانها ، كما ذكرنا في الكلام عن المدن ، كما كانوا بحاجة إلى معاقل منيعة تحميهم من غارات القبائل وأصحاب السلطان المجاورين .

أما هذه القصور فعديدة جداً ، ذكر العرب منها العشرات ، ولم يبق منها إلى يومنا غير الأسماء والأنقاض .

وأشهر هذه القصور هي ماجاء بوصف مؤرخي العرب وهم : **ياقوت والمسعودي والهمداني** المذكورون آنفاً وهم من أهل القرنين العاشر والحادي عشر ميلادي .

قصر كوكبان :

عاش **الهمداني** في بداية القرن العاشر الميلادي وقد توفي في الغالب بعد عام ٣٣٤ هـ/٩٧١ م . عندما كانت أنقاض القصور والهياكل والسدود لاتزال ظاهرة ، وقد شاهد بعضها كما ذكر في **(الإكليل وصفة جزيرة العرب)** . كما أن أخبار تلك المنشآت الفنية كانت لاتزال متداولة مع تفاصيلها .

وقد ذكر لنا **الهمداني** عن **قصر كوكبان** أنه كان مؤزراً من الخارج بالفضة المرصعة بالحجارة الكريمة وداخله مزين بالعرعر والفسيفساء والجزع وصنوف الجواهر .

قصور عدن المندثرة :

لم تندثر **عدن** ، وذلك بفضل مينائها الطبيعي الفريد بأهميته الاستراتيجية ومناعته ، ولسهولة الدفاع عنه ، ونظراً لكونه يشكل المنفذ الطبيعي لمنطقة جنوب اليمن الغنية بزراعتها ومنتجاتها . **وتحتوي عدن على أحد أروع أعمال هندسة صهاريج تخزين المياه المعروف بسد الطويلة الذي أتينا على ذكره في الفصل الذي خصصناه لتقنية حسن استغلال المياه ، ومن البديهي أن من قام بإنشاء هذه الصهاريج المذهلة بروعة بنائها أنشأ فيها قصوراً تتفق مع مكانتها وثروتها في العهد القديم مستعملاً التقنية نفسها التي استند إليها في بناء السدود .**

قصر غمدان :

لا شك أن **قصر غمدان** كان يشغل بنظرنا أهم معالم صنعاء المندثرة ثم يليه **القليس** ، ويُعتقد أن

القصر بُني في القرن الأول للميلاد . ومن الثابت أنه كان لا يزال قائماً في أوائل القرن الأول للهجرة أيام الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه ، وقد شاهد **الهمداني** (٩٧١ م) بقاياه تلاً عظيماً كالجبل . ويوجد اليوم بناء عسكري في طرف **صنعاء** بسفح **جبل نقم** اسمه **القصر** وقد يكون مبنياً على أنقاض **قصر غمدان** .

وكان يتألف هذا البناء الشامخ من عشرين طابقاً ، والمسافة بين كل سقفين عشرة أذرع : أي أن ارتفاعه مئتي ذراع . وهكذا فإنه يشكل أول ناطحة سحاب دوَّن التاريخ أخبارها . أما حجارته فكانت غرانيت وبرفيري ورخام . وقد ذكر **الهمداني وياقوت** من بعده بأن صاحب **غمدان** كان يجلس في الطبقة العليا التي أطبق سقفها برخامة واحدة ، فكان يستلقي على فراشه فيمر به الطائر ويعرف الغراب من الحدأة وهو تحت الرخام ، وقد يبدو هذا الوصف غير حقيقي لولا معرفتنا بوجود رخام **الألبستر** الشفاف المعروف **باليمن** باسم **القمري** الكثير الانتشار والاستعمال في الأبنية اليمنية في أيامنا ، حيث يصير تزيين القسم الأعلى من النوافذ بهذا النوع من المرمر الذي يسمح بدخول النور من خلاله دون السماح بالرؤية الواضحة كالزجاج المغشى .

وزيادة في روعة هذا القصر العظيم هو ما ذكرنا من أنه كانت على كل ركن من أركانه الأربعة تماثيل لأسود من نحاس مجوفة ، رجلا الأسد في الدار ورأسه وصدره خارجان من القصر . وتوجد ما بين فمه ومؤخرته حركات مدبَّرة ، فإذا هبَّت الريح ودخلت أجواف الأسود سمع لها زئير كزئير الأسد . ولهذا القصر أوصاف كثيرة . ويظهر أنه كانت تعرف اتجاهات الرياح من نوع زئير كل أسد من الأسود بحسب اتجاه موقعه . وقيل أيضاً عند مدخل كل باب من أبواب القصر غرفة يرأسها تمثال نحاس إذا هبَّت الريح زأر ، كما قيل أن الأسود كانت تنار بالقناديل فترى من بعد وبشكل عجيب . وذكرنا أنه كان في تلك الغرف ستور لها أجراس إذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الأصوات من بعيد ، وقيل في هذا القصر شعراً : (الإكليل : ١٧/٨)

يَسْمُو إلى كَبِد السماء مُصعّداً — عِشْرين سقفاً سمكها لا يقْصُرُ
ومن السحاب معصَّب بعمامة — ومن الغمام منطق ومؤزّرُ
متلاحكاً بالقطر منه صخرة — والجزع بين صروحه والمرمر

كما قيل أن للقصر أربعة أوجه ، منها وجه مبني بحجارة بيضاء ، ووجه بحجارة صفراء ، وثالث بحجارة خضراء ، والرابع بحجارة حمراء . ولا غرابة ، ذلك أن الحجارة والرخام الملوَّن متوفر جداً في العديد من أنحاء **اليمن** ، ونظراً لأهمية هذا القصر ومكانته عند الأخباريين سنعود إلى وصفه تحت عنوان منفصل .

شرح لأوصاف قصر غمدان ومصيره

(المذكور تحت عنوان القصور)

يعود بناء هذا القصر العجيب إلى الملك الخامس من الملوك الذين حملوا لقب ملك **سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات** وهو الشرع **يحصب بن فرع بنهب** (٢٥ ـ ١٥ قبل الميلاد) .

اتفقت كلمة المطلعين على أوصاف **قصر غمدان** على أنه يعتبر بحق أول ناطحة سحاب حصل تشييدها في العالم ، وذلك قبل المباني الحديدية المدعومة بالإسمنت المسلح والمزودة بالمصاعد الكهربائية بألفي عام ، لذا رأينا أن نخصص له هذا الباب نظراً لما وصلنا عن وصف هذا القصر الذي شكّل معجزة فنية بنهاية القرن الأول قبل الميلاد .

تقول المصادر التي وصفت **قصور اليمن** وأشهرها مؤلفات لسان اليمن **الحسن بن أحمد الهمداني** المولود **بصنعاء** المتوفى **بريدة** بعد عام ٩٧١ م ، **والمسعودي** المتوفى ٩٥٦ م ، ثم **ياقوت** المتوفى ١٢٢٩ م . بما يثير الدهشة والإعجاب .

لقد أعطانا **الهمداني** وصفاً كاملاً ودقيقاً لما كان عليه هذا القصر الآية في الإبداع والفريد من نوعه في العالم أجمع . ويبدو أن هذا المبنى الرائع الذي اعتبر تحفة بفن العمارة كان لا يزال قائماً في أوائل القرن الأول للهجرة أيام **عثمان بن عفان** ، أما **الهمداني** الذي وصل إليه وصف القصر ونقله إلينا بدقة استناداً إلى ما وصله عن القصور أن هذا القصر كان قد تهدم في عهده وأصبح يشكل تلاً عظيماً كالجبل .

هذا ويوجد اليوم بناء عسكري في طرف **صنعاء** بسفح جبل **نقم** المشرف على **صنعاء** ، ويطلق على هذا المبنى العسكري اسم **قصر السلاح** ، ويبدو أنه بني على أنقاض **قصر غمدان** مستعملاً حجارته ، ويتألف القصر استناداً إلى أوثق الرواة عشرين دوراً ارتفاع كل دور عشرون ذراعاً .

وإذا اعتبرنا طول الذراع الواحدة هو ٦٥ سنتيمتراً فيكون ارتفاع كل دور ١٣ متراً ، وبالتالي يكون ارتفاع القصر ٢٦٠ متراً ، وللمقارنة فإن ارتفاع **برج إيفيل** بباريس هو ٣٠٠ متر ، ويبدو أن الملك الحميري كان يقيم في الدور الأعلى أو الأدوار العليا وحسب ، ويقوم الخدم والعبيد بالصعود والنزول لتأدية الخدمات وتبليغ الأوامر ونحو ذلك ، أما الملك نفسه فكان على غالب التقدير يُحمل أثناء صعوده إلى طبقات سكنه العليا على مقعد خاص به ومقاعد خاصة بكبار أعوانه .

وبالنسبة لتأدية الخدمات بين الأدوار العليا والسفلى فإننا نعلم في أيامنا هذه وقبل تركيب المصاعد الكهربائية في الأبنية القديمة المتعددة الطبقات المرتفعة والتي يصل بعضها إلى ثلاثين متراً ، فكانت العادة تقضي بوجود خدم من صغار السن نسبياً بين التاسعة والثالثة عشر يُطلق على الواحد منهم اسم **دويدار** فهؤلاء **الدويداريون** هم الذين يصعدون الدرج وينزلون منها بخفة ورشاقة مع مايحملون من حاجيات أسياد الدار نساءً ورجالاً ، أضف إلى ذلك أن البعض معتاد بطبيعة بلاده على الصعود والنزول فهو لا يرى حرجاً ولا يشكو من صعوده إلى أعلى الجبل حيث يقيم عادةً ويعمل في الغالب بالوديان السحيقة حيث مجاري المياه والبساتين ، وبالتالي يعتبر صغار القوم أن صعودهم الدرجات أو السلالم شيئاً طبيعياً ومألوفاً .

هذا ونذهب للاعتقاد أن الأدوار الوسطى من **قصر غمدان** كان يشغلها الموظفون وأهل البلاط الملكي ، والأدوار السفلى للعسكر والحرس ، ولا بدّ أن مثل هذا القصر ـ القلعة ـ كان محاطاً بسور خارجي وحدائق خاصة به كما هي العادة في المباني التقليدية في **اليمن** إلى يومنا هذا .

خبر اغتيال المكرب معديكرب ابن بطل اليمن سيف بن ذي يزن ملك اليمن وخبر خروجه من معقله المنيع قصر غمدان

ونحن بصدد الحديث عن غمدان نعود إلى مانقله إلينا **المسعودي** عندما يقول : « وأقام **معديكرب بن سيف بن ذي يزن** ملكاً على **اليمن** واصطنع عبيداً من **الحبشة** حرَّابة يمشون بين يديه بالحراب . فركب في بعض الأيام من باب قصره المعروف **بغمدان** بمدينة **صنعاء** ، وفيما صار إلى رحبتها عَطفتْ عليه الحرّابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم ، ودامت مدة ملكه أربع سنين ، وهو آخر ملوك **اليمن** » .

ويتبين لنا من هذا الحادث أن حرص الملوك والميسورين على تشييد للمباني المرتفعة والسكن بأعلاها ناتج عن الحذر ، وبقصد الحماية والتحصن ، حيث يتعذر على مجموعة كبيرة الصعود بالدرجات الضيقة إلى الأدوار العليا دون التعرض إلى مواجهة دفاعية يسيرة لمن أقام في الأعالي ، وعسيرة جداً على المقتحمين للدار الحصينة . وهكذا يمكن اعتبار مثل هذه القصور كمكان مأمون للراحة وكذلك كمعقل تسهّل حمايته ، وهو مااعتمدته الحصون التي انتقلت هندسة تصميمها لأوروبا كما شرحنا ذلك تحت عنوان **الحصون** .

قصر ناعط :

وهو محفد مؤلف من عدة قصور . قال **الهمداني** في وصفه أنه مصنعة بيضاء مدورة **منقطة في رأس جبل تنين بهمدان** . وضمن **قصور ناعط** قصر الملكة الكبير الذي يسمى **يعرق** ، ومنها قصر **ذي لعوة** المكعب بكعبات خارجة في معازب ، حجارته على هيئة الدرق الصغار . قال : وذرعتُ في معزب منه سبعة أذرع إلا ثلثاً . وبها غير هذا القصر ما يزيد على عشرين قصراً كباراً ، سوى أماكن الحاشية ، وكان عليها سور ملاحك (مبني) بالصخر المنحوت ، وما فيها قصر إلا وتحته كريف للماء (صهريج) مجوف في الصخر ، فيبتلع الماء الذي ينزل من السطح ، وفيه الأسطوانات العظيمة طول كل نيف وعشرون ذراعاً ، لا يحضن الواحدة منها إلا رجلان . وفيها بقايا مسامير حديد ، قيل أنها كانت مراقي إلى رؤوسها ، وأنها كان ينفث عليها الشمع إذا أرادوا الصرخة (أي الاستنجاد) فتنظر النار من **جبل سفيان** ومن **جبل حضور ورأس مدع** وغيرها . وفيما يقول **الهمداني** ، على حدّ الخبرة ورأي العين ، ويصف ما شاهده عليها من التماثيل والصور :

فمن كان ذا جهل بأيام حمير　　وآثارهم في الأرض فليأت ناعطا

يجد عمداً تعلو القنا مرمرية　　وكرسي رخام حولها وبلائطا

ملاحكها لا ينفذ الماء بينها　　ومبهومة مثل القراح خرائطا

كما قال **أبو علكم المراني** :

وناعط نحن شيّدنا مخالفها　　وقصرها وقرى **نشق ونوفان**

قصر ريدة أو تلقم :

قال **الهمداني** : « **قصر ريدة** من أقدم قصور **اليمن** ، وهو **قصر تلقم** . وليس من قصور **اليمن** قصر في أصل جبلة بئر سوى **تلقم** ، وماؤها أعذب مياه **اليمن** وأغزرها » . وقال : « حدثني بعض أهله أنه يوجد حجر في **تلقم** مكتوب عليه : بناه **يريم** » . فإذا صح ذلك كان هذا القصر من بناء أواسط القرن الأول قبل الميلاد . وأصبح هذا القصر بعد الإسلام داراً للعلويين .

وقال **أبو علكم المراني** :

وتلقم البون والقصرين من خمر　　وتنعما وقرى شرح ودعـــانـــا

قصر مدر : « وفيه أساطين ليس في المسجد الحرام مثلها »

هو محفد مؤلف من ١٤ قصراً ، شاهدها **الهمداني** وقال عنها بأنها عديدة .

ومنها ماهو عامر . أما قصرها العامر فقد دخلته ، وهو بوجوه من الحجارة البلوطية خارجة ، ومثله في داخله ، وقد أجرى عليه الماشق فلست ترى عليها فصلاً مابين الحجرين ، حتى لوكان داخله كريف للماء ماخان وما نفذ . وفيها أعداد تلك القصور كرف للماء ، بأعمدة من حجارة طوال ، مضجعة على أعمدة قيام ، بضعة عشرة ذراعاً مربعة . ويوجد في مسجد **مدر** أساطين مما نُزِع من تلك القصور ، ليس في المسجد الحرام مثلها ، وهي أطول منها وأكثف ، وأحسن نجراً ، كأنها مفرغة في قالب . وقبالة قصر الملك منها بلاطة مستقبلة للشرق عليها صورة الشمس والقمر يقابلانه إذا خرج » .

قصر بينون :

قال الشاعر :

واسأل **بينون** وحيطانها   قد نطقت بالدرر والجوهر

قصر روشان :

قال **أبو علكم** :

براقش ومعين نحن عامرها   ونحن أرباب **صرواح وروشانا**

قصور : سلحين والهجر والقشيب

هي من أبنية **مأرب** . وقد جاء ذكر قصور **أرباب وبراقش وريدان** وامتزج ذكرها بذكر المدن التي تحمل أسماءها .

قلعة وحاضة وقصرها العظيم

قال عنها **الهمداني** : « بينها ساعة من نهار وفيها أي في وحاضة ، قصر عظيم يقصر عنه الوصف » .

قصر ريان :

وذكر أنه يوجد أمام باب هذا القصر حائط فيه بلاطة عليها صور الشمس والهلال وهما مع **عشتار** الآلهة السبئية الثلاثة .

القليس = ال + كليس Ecclesia = الكنيس .

هو الكنيسة الضخمة أو **الكاتدرائية** التي بناها **أبرهة الحبشي الحميري في صنعاء** والتي لا يزال

مكانها يعرف إلى أيامنا **بالقليس** ، ومن الواضح أن كلمة **القليس** أو **الكليس هي نقلاً بالعربية للكلمة اليونانية أكليز** أي كنيسة . قال **ياقوت** (١٧١ ش ٤) يحدثنا عن هذه الكاتدرائية قائلاً :

« بنى **أبرهة** في **صنعاء** كنيسة كبيرة سماها **الكليس** وبالغ في تزيينها وإتقانها ، فنقشها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر وجعل منها خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ، ولوّنها بأنواع الأصباغ وجعل على خارج القبة برنساً ، فإذا كان يوم العيد كشف البرنس فيتلألأ رخامها مع ألوان الأصباغ حتى تكاد تلمع البصر ، وكتب عليها بالمسند : « بنيت هذا لك من مالك ليذكر فيه اسمك وأنا عبدك » .

وكتب **أبرهة** إلى **النجاشي اليسباس** وهو الذي عينه **أبرهة** على **اليمن** ما يلي :

« بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبنِ مثلها لملك كان قبلك ولست بمنصرف حتى أصرف إليها حج العرب » .

وهكذا يبدو واضحاً أن أبرهة عامل الدولة **الأكسومية** التي قامت قبل الإسلام كان يريد من تشييد كاتدرائيته المدهشة منافسة **مكة المكرمة** وصرف **العرب** عن الحج إليها في الجاهلية .

العناية بحدائق القصور والزخرفة

أما مباني **اليمن** المحاطة بحديقة فهي كثيراً ما تحتوي على **مفرج** وهو صالة للاستقبال والمجالس . وتكون هذه المباني ، مؤلفة كما أشرنا إليه من سبعة أدوار أو أكثر ، ويضاف إليها مفرج آخر مستقل عن المبنى ، وبذلك فهي تختلف تماماً عن **الفيلا** الحديثة التصميم والتي انتشر بناؤها في أطراف المدن بالبلدان الميسورة .

كما يمتاز فن العمارة اليمني في المناطق الجبلية بالاهتمام بزخرفة المبنى من الخارج ، فالمبنى معد بالدرجة الأولى للسكن والراحة والاستقبال بالمفرج ، لكنه يجب أن يكون جميلاً مزخرفاً من خارجه ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المباني المتعددة الأدوار يوجد منها الكثير في الجنوب حيث يرتفع بعضها إلى اثني عشر طبقة أو أكثر كما هي الحال في مدينة **شبام** شرقاً . والفارق بين المباني المتعددة الطبقات في مرتفعات **اليمن** وجنوبها هو في الزخرفة الخارجية التي يعنى بها أهل الجبال أكثر من سكان الجنوب الذين تكون مبانيهم المتعددة الأدوار ملساء من الخارج خالية من الزخرفة بعكس مباني الشمال كما هو واضح في الصورة المرفقة .

ميزة الزخرفة الخارجية :

ومن ميزات الزخرفة الخارجية هي إضافة شكل نافذة في الأمكنة التي لا تحتاج من الداخل لوجودها ، لكن إضافتها للمبنى من الخارج يضفي عليها جمالاً ، حيث تصبح إضافتها في بعض الحالات ضرورية للحفاظ على تنسيق المظهر الخارجي ، ذلك أن الجدار الخالي من النوافذ تنقصه الزينة المتمثلة بالنوافذ ، ويشكل خلوه منها حاجزاً لا يرضي النظر ، إنما إضافة شكل النافذة يؤدي إلى تناسق في واجهة المبنى . وهكذا نرى في **اليمن** نوافذ في شكلها الهندسي لمراعاة التنسيق والرشاقة بالمظهر وهي في حقيقتها زخرفة لتزيين الجدران ، وقد لاحظنا وجود مثل هذه النوافذ الكاذبة حتى في آثار القصور والهياكل التي لا تزال آثارها ظاهرة . كما هو واضح في الصورة المرفقة .

نوع العمارة في بلاد القصور و « المَفْرج »

رأينا أن أول ناطحة سحاب في العالم التي كان ارتفاعها مئتي ذراع تمّ تشييدها حوالي القرن الأول قبل الميلاد **بصنعاء** وكان اسمها **قصر غمدان** وأن **اليمن** كانت تسمى **بلاد القصور** .

ويكفي أن نلقي نظرة على أبنية اليمن العديدة الطبقات في أيامنا لنرى طراز بناء خاص باليمن لا مثيل له في أي بلد آخر كما ذكرنا سابقاً ، فالأبنية مزخرفة من الخارج وتحتوي على النوافذ الكاذبة لإعطاء البناء شكلاً فاتناً متناسقاً في الجدران التي لا يحسن فتح نافذة فيها . كما نرى أبنية عديدة في صنعاء ومختلف المدن ذات طبقات تتجاوز السبع والثمان طبقات ، ونلاحظ في الدور الأعلى مكاناً خاصاً للراحة والتأمل والاجتماع يشرف على المدينة وعلى المناظر الطبيعية المجاورة يسمى المفرج وهو مزين بالألواح الزجاجية الملونة . وقد يكون هذا المفرج الأعلى من بقايا فن عمارة قصر غمدان الذي وصفوا لنا بأنه كان يحتوي على غرفة في أعلاه مسقوفة بالمرمر الشفاف . هذا واستعمال المرمر الشفاف الألباسترو لا يزال كثير الانتشار في الأبنية الحاضرة ، كما ويقوم الألباسترو مقام الزجاج في تزيين القسم العلوي من النوافذ بين أسفل قوس النافذة وأعلاه كما ذكرنا ، وإلى جانب المفارج العليا نرى مفارج أخرى مستقلة تشاد في الحدائق أمامها بركة ماء أي نافورة محاطة بالأزهار ومغطاة بالعرائس أو الورود والزهور المعرشة .

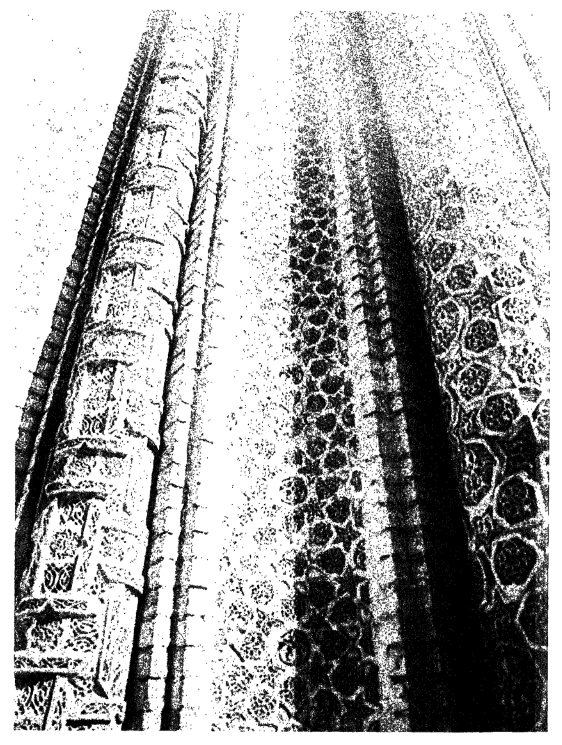
الزجاج المتعدد الألوان والأشكال :

وتعلو النوافذ عادةً قناطر مقفلة بالزجاج المتعدد الألوان ، وهو مصمم بشكل هندسي يحتوي على العديد من القطع المتنوعة المتصلة ببعضها ليؤلف مجموعها لوحة فنية متعددة الأشكال والألوان ، تبهر النظر عند عكسها لأشعة الشمس نهاراً وهو أجمل وأروع ليلاً عندما تشعشع منها الأنوار فتضفي على المبنى بهجة وعلى المدينة بكاملها أضواء ملونة ساحرة .

القمريات : جمع قمرية وهي النوافذ الصغيرة المقفلة بالرخام المرمري الشفاف الذي سنأتي على وصفه لانفراد اليمن باستعماله كالزجاج .

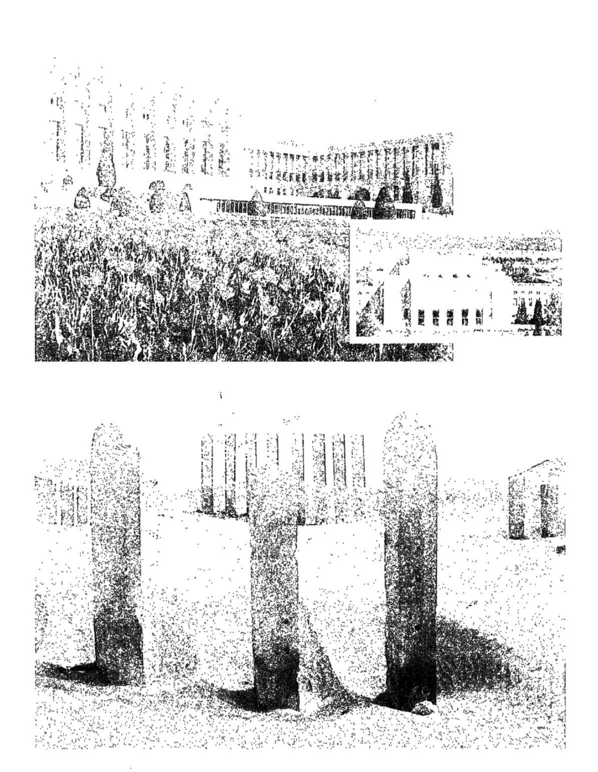
زينة الجدران الخارجية :

ولم يكتفِ الفنان المعماري اليمني بتزيين جدران المباني من الخارج بإضافة النوافذ الكاذبة وتزيين النوافذ الأخرى بلوحات زجاجية ملونة حيث لجأ لصناعة الياجور (قطع من الطوب المجفف) بعضها ملون ليستعملها في القسم العلوي عادةً من المبنى بحيث يضفي عليه روعة إضافية ، ذلك أن قطع (الياجور) وهو الطوب تأخذ أشكالاً هندسية متناسقة وهي في منتهى الجمال والروعة . وجدير



الزخرفة الخارجية

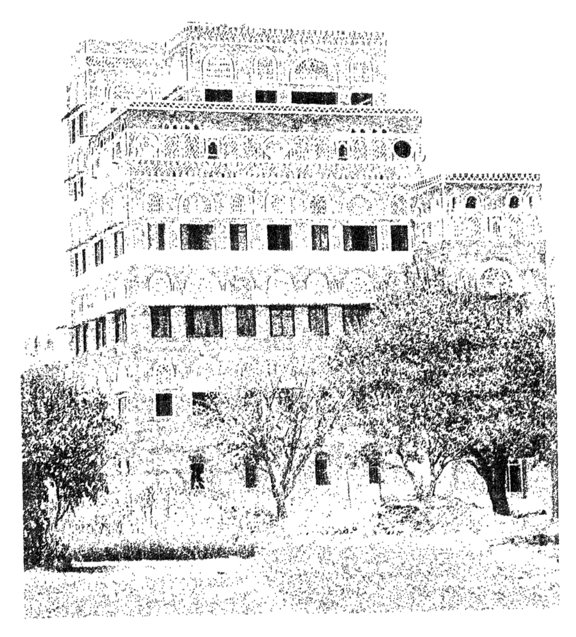
دأب الفنان اليمني على زخرفة المباني من الخارج ونقل فنّه إلى الحيرة حيث طبّقها على اليـاجور ومنهـا انتقلت في العهد الإسلامي إلى بغداد حيث تطورت وتألقت بالخط الكوفي الرائع



تذكرنا هندسة قصر الأمم المتحدة في جنيف وأعمدة واجهتها الرئيسية بهندسة البناء السبئية التي سبقتها بأكثر من ألفي عام

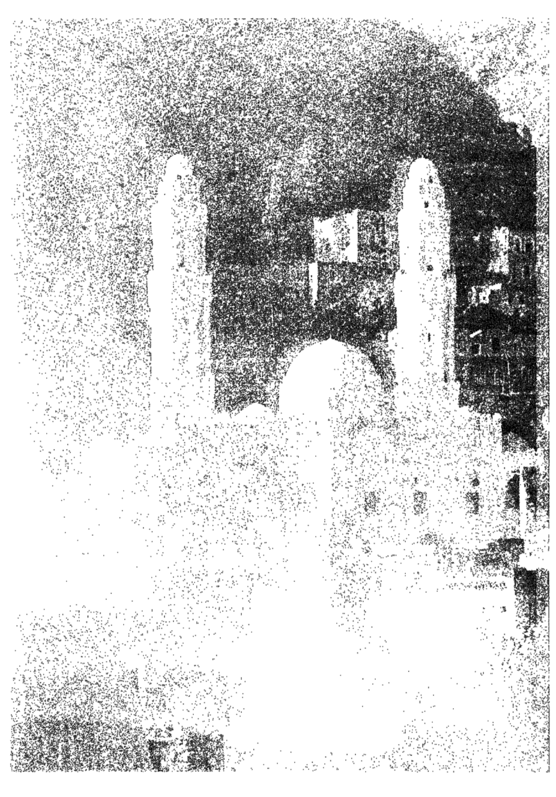
تألف العامود السبئي من قطعة واحدة ارتفاعها ١٢ متراً وتتألف أعمدة قصر الأمم المتحدة من عشرات القطع

و يذهب المستشرقون للاعتقاد بأنه حصل نقلها من أعالي بلاد النيل



نموذج من فن العمارة اليمني في المناطق الجبلية

ويشكل الدور الأعلى الصالة التي تسمى (المفرج) وهي صالة الاستراحة النفسية والجسدية ، كما تتحول إلى صالة للاستقبال ومجالس العلاقات الاجتماعية والأدبية ، وكذلك تدخين المداعة وخاصة مضغ القات المنبه والمنعش والمرغوب بالرغم من جوانبه السلبية المعترف بها ، وقد اعتبر أقل ضرراً على الصحة من التدخين .



استقل جامع الأشرفية في تعز بهندسته المعمارية المتميزة عن أي طراز آخر
ويعود بناء هذا الجامع إلى عهد بني رسول الذين حكموا في اليمن لمدة زادت عن قرنين بين عامي ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م .

بالذكر أن هذا النوع من الزخرفة المعمارية بواسطة قطع الطوب المجفف (الياجور) انتقل إلى **بلاد الرافدين** بعهد العباسيين عن طريق **الحيرة** عاصمة **بني لخم** ، حيث زيَّن قصور الخلفاء بعد صقله فأضفى على **بغداد** بهجة الألوان والأشكال الهندسية المنسقة كما هو ظاهر في الصورة المرفقة .

الحصون العامودية وسواها المصممة أصلاً لحماية الملك والمقربين :

نظراً لأهمية نوع تصميم هذه الحصون وانتقاله إلى **أوروبا** عن طريق **سورية** أولاً ثم **إفريقيا وصقلية** في عهد مملكة **بنو كلب اليمنيين** ، فإننا سنتعرض لاحقاً لما كتبته المستشرقة **هونكه** حول هذا الموضوع تحت عنوان : (شمس الشرق تسطع على الغرب) .

الكتابة وتنسيق الخط والنقوش والمسكوكات
وفنون الزينة تعتبر من وسائل
التعرف على مدى الحضارة

اللغات والخطوط السامية ـ مسلة معاب ـ حجر تيماء
الصحف الأولى وكتاباتها

درس المستشرقون اللغات السامية وتعرفوا على أقلامها قبل اكتشافهم **الهيروغليفية المصرية** على يد العالم **شمبوليون** الفرنسي ، ذلك أن لغة **الفراعنة** اندثرت وزالت عن ألسنة الناس وانعدم من يستطيع تفهم رموزها ومغانيها . أما اللغات السامية فقد استمرت ألفاظها معروفة بفضل استمرارية استعمال قلمين من أقلامها ولغتين أصليتين منتسبتين إليها هما **العربية والعبرية** ، علماً بأن الأولى حافظت على أصولها **القريشية** وأصبحت من اللغات العالمية .

وهكذا أصبح من يعرف إحدى هاتين اللغتين وقراءة قلمها يتيسر له أكثر من سواه دراسة وقراءة ثم محاولة فهم معاني الأقلام الأخرى السامية لقرابتها من بعضها والانتساب إلى أصولها المعروفة .

أما القلم الذي استعمله أبناء **الجنوب** قبل **الإسلام** فقد زال استعماله وانتهى بعد أن قضى قلم ولغة أهل وسط **الجزيرة** على كل ماسبقها ، مما ساعد على وحدة الأمة ، إنما الذي عثر عليه مدوناً في الرقم والنقوش العديدة التي اكتشفت في **اليمن** وفي مراكز التجارة **اليمنية** من **حضرموت** إلى بلاد **الأنباط** ، وكذلك اللغة نفسها ، فقد حافظت العامة على العديد من كلماتها وحتى التكلم بها بالنسبة للغة **الأنباط** شمالاً ، وأيضاً في جنوب **الجزيرة** ببلاد **المهرة** وجزيرة **سوقطرة** ، حيث لا يزال هناك من يستعمل لغته القديمة **المهرية** .

وهكذا فإن الخط الذي ساد سائر الخطوط السامية في النقوش فهو مايسميه علماء الخط **الأبيغرافيون** بالخط المسند ، والمسند ـ أي المنقوش على أعمدة ـ يستند إليها هو لاشك أكثر الأقلام السامية انتشاراً قبل الإسلام وأقدمها ، وقد استعمله في جنوب **الجزيرة** أهل **معين** ، كما استعمله في

شمالها **الكنعانيون** منذ قبل الألف الأول قبل الميلاد . أما الأقلام المتفرعة عن **المعينية - السبئية** فهي ما استعمله **الأوسانيون والقتـابيون وأهل حضرموت** ثم **الحميريون** ، وكـذلـك مـا انتشر منـه في بلاد **أكسوم والسواحل الإفريقية** وجميعها متفرعـة أو متصلـة بقلم ولغـة **معين** ، وخـاصـة دولـة **أوسـان** في الجنوب وبلاد **كنعان** في الشمال . أما فن الكتابة التي روعي فيها الجمـال والتنسيق يظل بنظرنـا الخـط المسند **الحميّري** المتكامل الرونق ، وهو وريث **للسبئي المعيني** الذي سبقه ، علمـاً بـأن رونق وتنـاسق الخط **الحميّري** لا يعني مطلقاً أن مـا سبقـه من رقم ونقوش كانت خـاليـة من الترتيب والعنـايـة ، وأكبر دليل على ذلـك هو النقش الـذي عثر عليـه المستشرق النمسـاوي **جلازر** في **صرواح** والـذي لقبـه أهـل الاختصاص بنقش النصر . وقد اعتنى المستشرق بدراسة ما جـاء بهذا النقش معنى وشكلاً ، وهو الـذي كان قد قام بتدوين مـا جـاء بـه نقلاً أميناً عن الكتـابـة التي كانت محفورة على جـدار خـارجي لقصر **صرواح** أو لمعبد **صرواح** ، وطول هذا النقش اثني عشر متراً ونصف وارتفاع السطر فيه يزيـد على ربع متر ، وهو ما يطلعنا على أن صاحب النقش أصبح ممن يعرفون فيما بعـد بلقب **مكارب** المعـادل بنظرنـا لكلمة إمبراطور نظراً لسعة الممالك التي أخضعها **المكرب** لسلطـانـه ، ونفهم من هـذا النقش إلى أن هـذا الملك الإمبراطور أو أحد **مكارب** سبأ وقد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد ، وأما اسمه فهو **يدع سمهو علي** ، وقد سيطر على جميع البلدان المجاورة **لسبأ** ، أي أنـه عـاصر بـدايـة عهـد الانتفـاع بسـد **مـأرب** وأمثاله وما سبقـه من منجزات قـد تكون شبـه خيـاليـة كما سنرى في الحـديث عن **إرم ذات العماد** وهو الذي وحد كامل جنوب **الجزيرة** وأواسطها وأخضعها لسلطته .

ونظراً لتقارب الخط **المعيني والسبئي** والخط **الحمْيَري** ، فيمكننا اعتبار الخـط المسنـد **الحميري** هو تطور للخط الذي سبقه ، وعلى الحـالين فـإن التنسيق هو المشترك الأفضل بين هـذه الخطوط القـديمـة التي كان أهل جنوب **الجزيرة** يميلون لاستعمالها كنقوش تزين معـابـدهم وقصورهم ، وكـذلـك الأبراج والسدود وجميع المنشآت العامة .

اللغة الآرامية

يستفاد مما سبق أن اللغـة **الآراميـة** كانت اللغـة السـائـدة في كامل شمال **الجزيرة** ، ولـدى علمـاء الآثار والكتابة (الأبيوغرافيا) أدلة عديدة تؤكد على مدى اتساع رقعة استعمال اللغة الآراميـة لتشمل بلدان **الهلال الخصيب** بكامله ، أي **سورية** الطبيعيـة لـذا سميت هـذه اللغـة **السريـانيـة** . وهي التي كانت لغة **عيسى المسيح** عليه السلام ولغة التعامل والأدب إلى جانب اللغات **اليونانية واللاتينية** . واستمر الحال كذلك إلى أن خلفتها لغة **الأنباط** العرب المشتقة من **الآرامية** ، الـذين استمروا مع ذلـك بـاستعمال **الآراميـة** ، ونعلم من عـدة مراجـع أن **الآراميـة** كانت لغـة التـدريس في بـلاد **فـارس** حتى

احتلال العرب لتلك البلاد ، ولا تزال الآرامية (السريانية) أي لغة المسيح عليه السلام تستعمل في بعض الأديرة المسيحية في المشرق العربي وبالقرب من دمشق ، وتسمى السريانية نسبة لسورية كما ذكرنا ، ويطلق على أتباع المذهب المسيحي المحافظ في سورية الطبيعية كله « السريان » .

لغة الأنباط وكتابتها هي اللغة التي أنزل فيها القرآن الكريم وألفاظها ألفاظ المعلقات . ولما نزل القرآن الكريم بلغة أهل الحجاز عندما كانت النبطية منتشرة في جميع أنحاء شمال الجزيرة الخارجة عن سلطة الروم أصبحت هذه اللغة الشريفة هي اللغة السماوية التي خاطب الله بها عبده ﷺ .

اللغة الأمهرية ولغات الجنوب

يميل البعض لاعتبار اللغة الأمهرية المنتشرة بالحبشة مع فروعها المختلفة بأنها مشتقة أصلاً من لغة أهل الجنوب العربي ، وأن كلمة (أمهرية) مشتقة من كلمة حِميرية ، ذلك أن الأحباش يلفظون الحاء بـ هاء ، فكلمة حمير تصبح بلفظهم همْيَر وتحولت الهميرية إلى أمهرية . كما أصبحنا نميل للاجتهاد بأن بلاد المهرة في الجنوب الشرقي من اليمن من بقايا الحميريين ، وقد تحرّف الاسم بفعل لفظ اللغة كما لاحظنا في اليمن نفسها ولدى المثقفين أنفسهم ، دمجاً ظاهراً بين حرفين آخرين هما الضاد والظاء .

عاد وثمود

إن كنا لا نعلم غير القليل عن قوم عاد ومنهم شداد بن عاد باني إرم ذات العماد وعلمنا أيضاً من قوله تعالى بأن عاد هي في الأحقاف ، كما يعيد أبناء محافظة المهرة بالجنوب أنسابهم إلى عاد حتى يومنا هذا . لكننا نعلم أن أهل ثمود قد أقاموا في مرحلة لاحقة بالمنطقة الواقعة شمال الحجاز غرباً ، وربما هي التي شملت واحات الخيبر والحجر (مدائن صالح حالياً) و دادان (العُلا حالياً) و تيماء و تبوك جنوب بلاد الأنباط ، وهي مراكز لطرق التجارة العالمية المعينية ثم السبئية بين جنوب الجزيرة وشمالها . وكان لا بدّ للقوافل أن تسترضي القبائل التي كانت تسكنها وأن تتعامل معها ، ولا يوجد أي دليل على أن ثمود كونت دولة بهذا المعنى في بلاد الحجاز ، لكنه من المعقول والطبيعي أن هذا القوم الذي جاء ذكره في القرآن الكريم قد تزاوج وتجانس مع الآراميين ، ذلك أنه على مر السنين والقرون فإن أبناء ثمود الذين نميل للاجتهاد ، كما سنرى لاحقاً ، بمناسبة ذكر العثور على رقيم في الحجاز كتب « بخط أهل الجنوب إنما كان بلغة أهل الشمال » ، وهذا ما يساعد على الاجتهاد بأنهم وصلوا إلى تلك الأراضي بعد خروجهم من أطراف الربع الخالي في مرحلة سحيقة من التاريخ لأسباب مجهولة ، وكانوا متقاربين مع عاد ليصبحوا من العرب البائدة ، وكانوا قد انتقلوا إلى المناطق شمالاً

حيث توجد الزراعة والتجارة والمرعى ، فاندثروا بهذه الصفة الأصليـة ، لكنهم شكلوا بعـد أن انـدمجوا كما ذكرنـا مـع **الآراميين** وأفخـاذهم وبطـونهم قـوم **النبطيين** أو **الأنبـاط** ، وأصبحـوا يعرفـون عنـد المستشرقين **باللِّحـانيين** من سكان غربي **الحجـاز** ، ثم كان منهم **الـديـنوبيون** الـذين ينتمي إليهم ملـك **مُعاب** الذي ترك لنا **مسلّة معاب** المكتوبة **بالآرامية** والتي ذكرناها ونشرناها في مكان آخر .

اللغة الآرامية « حُجر تيماء » في الحجاز وصلة الشمال بالجنوب

عثر عام ١٨٨٣ على نقش تاريخي هـام لقبـه المستشرقون بحجر **تيماء** وهو الآن من ممتلكات متحف **اللوفر بباريس**

وأهمية هذا الحجر أنه يحتوي على نقش واضح مكتوب باللغة **الآراميـة** المعروفـة ويعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وينص هذا النقش على أن أحد الكهنة استقدم إلهاً جديداً إلى هذه الواحة الهامة آنذاك ، التي شكلت ـ كما سنرى لاحقاً ـ مركزاً تجارياً له علاقات مع ملك **معاب** ، الذي ترك لنا نقشاً على **حجر معـاب** المـذكور ، وهو المسلّـة التي سجل عليهـا الملـك **ميشـا الـديبوني** بـأنـه انتصر على بني **إسرائيل** وقضى عليهم إلى **الأبد** ، وأنه بنى خزانات المياه لجرها لوسط المـدينـة ، ممـا يؤكـد تعرّفـه على تقنية تخزين المياه وجرها ، وهي مما احتكرت **معين وسبأ** المسيطرة عليهما ، الأمر الذي يوضح الصلـة التي كانت قـائمـة بين حضـارة أهل الجنوب وأهل الشمال ، بفضل طرق التجـارة العـالميـة عبر الصحراء وتقارب الخط واللغة السامية .

وأكبر دليل على أهمية **الآرامية** هي دوامها بعد سعـة انتشـارهـا ، حيث لا تزال تتلى الصلاة عنـد بعض الطوائف المسيحية الشرقية باللغـة **الآراميـة السريـانيـة** كما ذكرنـا وهي اللغـة التي تخـاطب بهـا **عيسى المسيح** عليه السلام كما نوهنا إلى ذلك ، وجـدير بنـا أن نشير أيضـاً إلى مـا وصلنـا عن الصحف الأولى في معجم **اليهودية والنصرانية** DICTIONNAIRE BIBLIQUE الذي نشر أيضـاً صورة **مسلّـة معاب** المذكورة والمنقولة إلى جانب هذه الصفحات ، حيث كتبت باللغة والخط **الآرامي** بالاستناد إلى ما أكده المعجم المعتمد المذكور .

الصحف الأولى التوراة والتلمود ولغتها

جاء في المصدر الدقيق وهو المعجم المـذكور أعلاه أن الكتب الـدينيـة الأولى كانت مؤلفـة من ٣٩ (تسعة وثلاثين كتاباً) سبعة عشر منها تتعلق بـالتـاريخ وخمسـة كتب تعتبر من القريض لأنهـا ذات صبغة شعرية ، وسبعة عشر أخرى تتعلق بالنبوءات وأخبارها .

ويفيدنا هذا المصدر أن الصحف الأولى كانت مكتوبة بعضها **بالآرامية** والبعض الآخر **بالعبرية** ، وتقول أن اللغتين كانتا متشابهتين .

تاريخ جمع الصحف الأولى ولغتها الآرامية والعبرية

اهتم حكماء **اليهود** بجمع ونسخ ووضع حركات على **التوراة والتلمود** ، وكانت مؤلفة من مخطوطات عديدة مبعثرة حصل جمعها في مرحلة دامت مايقرب من ثلاث مئة عام بين القرن السابع بعد الميلاد حتى القرن العاشر . وكانت بعض وثائقها تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ، **أما مركز عمل** جامعي التوراة فكانت مدينة **طبريا بفلسطين** .

ومن هنا نلاحظ أنه لم يتم جمع التوراة والتلمود إلا بالعهد الإسلامي ، أي بعد جمع المصحف الشريف الذي بدأ في السنة التي تلت وفاة سيد المرسلين ، أي بسنة ٦٣٣ ـ ٦٣٤ **ميلادي مما حال دون** اختلاف النصوص كلية كما هو حاصل بالنسبة للصحف الأولى ، وتعدد اللغات التي انتقلت عنها وإليها ، مما أثّر ولاشك على دقة ماجاء بها نقلاً عن العبرية أو الآرامية معاً ، **وبعد مرحلة طويلة جداً** من الزمن ، الأمر الذي فتح المجال واسعاً أمام علماء الدين (التيولوجيا) **لتعدد الاجتهادات** والتفسير ، إنما وحدة أصول اللغات السامية يسَّر ولاشك على جامعي الكتب المقدسة **الأولى مهمتهم** الشاقة .

استمرارية اللغة والكتابة والتقاليد والأخبار وانعكاساتها الإيجابية

كان لاشك لدى سكان وادي النيل وفراعنتهم حضارة وعلوم وفنون منقطعة النظير ، وذلك منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، لكن لغتهم زالت نهائياً وكتابتهم اندثرت ، فعمَّ جهلنا عنهم إلا القليل النادر الذي رواه الإغريق والرومان مما وصل إليهم ، وأيضاً بقايا الآثار الضخمة التي لم يعف عليها الزمن .

وظل الأمر كذلك إلى أن وصل مع حملة **بونابارت** الفرنسية عالم الآثار **شامبليون** ، الذي تمكن من التعرف على قراءة الكتابة **الهيروجليفية** الفرعونية في بداية القرن الماضي ، ثم انكب علماء الآثار للتخصص بكشف ألفاظها ومعانيها والتعرف إلى حدٍ ما على حقيقة نوع الحياة عند الفراعنة منذ خمسة آلاف سنة وأكثر كما قلنا .

ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لمدنية أهل الجنوب العربي **الساميون** ، لأن لغتهم استمرت وقاومت الدهر كتابة ولفظاً علماً بأن عامل الزمن أثر عليها فحولها وبدلها وعدد ألفاظها ولهجاتها ، لكنه لم يتمكن من القضاء عليها نهائياً ، حيث تمكنت اللغات السامية من البقاء ومقاومة عوامل الدهر بفضل

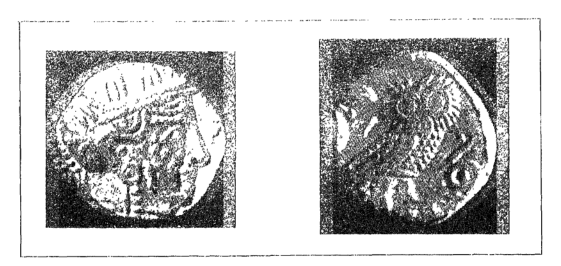
كتب اليهود والنصارى والأسباط. ثم جاءت لغة قريش العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم لما حماها إلى دهر الداهرين .

وهكذا فإن لغة كتابة أهل الجزيرة حافظت على أصلها ولم تكن بحاجة إلى من يكتشف كتابتها كما حصل بالنسبة للهيروغليفية المصرية ويكفي لمن يرغب بالتعرف على اللغات السامية القديمة شيئاً من التخصص والاجتهاد لكي يتعرف على التراث العربي السامي منذ أن وجدت الفينيقية التي نيل للاجتهاد بأن أصولها عربية جنوبية لتزامن مدنية أهل الجنوب، ومدنية وادي النيل .



الكتابة بالخط المسند بلغة حمير ، أما الأحرف فهي بالأبجدية السبئية الحميرية

تحتوي المتاحف المتخصصة على العديد من أنواع النقد الحميري وهو على الغالب مسكوكات فضية



(قطعة نقد حميرية من الفضة) من القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد

وقد أفادت المراجع أن النقد الفضي الحميري كان لا يزال مستعملاً عند قيام الدعوة السماوية في القرن السابع للميلاد أي بعد ما يقرب من ألف سنة من تاريخ هذه النقود ، وكان يعرف تحت اسم (حميري) ، وكان الأعرابي يفضل (البيضاء) أي الفضة على (الصفراء) وهي الذهب . وفقاً لما رواه مدونو تاريخ الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس وإن علمنا أن أهل الشمال كانوا يطلقون على قطعة النقد البرونزية الرومانية (ستريسه) كلمة (دينار) ، التي استمرت مستعملة في بعض البلدان إلى يومنا هذا ، فإننا لا نعلم ماهي تسمية النقد الذي كان مسكوكاً من قبل الحميريين قبل الميلاد وبعده ، وقد علمنا أن أهل الشمال أطلقوا عليه اسم (الحميري) وهو الفضي كما ذكرنا .

ثم علمنا أن الأشرف الثاني الملك اليمني من بني رسول سك قطعاً ذهبية أطلق عليها اسم « الأشرفي » وقد نشرنا صورته بمكان آخر .

أهمية فن العمارة وزخرفتها
واعتبارها من تراث الحضارة العالمية
ومنها تصميم وهندسة الحصون

مدينة صنعاء جزء من تراث الحضارة العالمية

أصبح من المتفق عليه من قبل أهل الاختصاص والمصورين الفنيين العالميين أن فن العمارة في جنوب **جزيرة العرب** (**اليمن** الطبيعية) فريد في نوعه ورائع بمعالمه ، فهو قائم بحد ذاته لاعلاقة له بالفن المعماري في أي بلد من بلدان الشرق بما فيها بلاد **الهند والصين** وما إليها ، ولا في الشمال والغرب وبلاد **الفرس** . وقد حمل هذا الواقع المتميز عن سواه بمنظمة التربية والعلوم والثقافة **اليونسكو** على اعتبار مدينة **صنعاء** القديمة جزءاً من تراث الحضارة العالمية ، والمساعدة على حمايتها من طغيان الحديث على القديم . فتصميم العمارة في **اليمن** وجنوب **الجزيرة** بكاملها مختلف عما عُرف في حوض **البحر المتوسط** وفي **مصر** ، ولا علاقة له مطلقاً بما هو معروف في بلاد **المحيط الهندي** .

فمن ناحية البناء تقوم العمارة أساساً على محور متين وسطي مؤلف من قفص الدّرج الذي يشكل بتصميه المتين عاموداً فقرياً للبناء ، وبالتالي يتحول هذا القفص الركن إلى قاعدة للمبنى المتصل بها ، وهكذا فإن وجود هذه القاعدة التي يرتكز عليها البناء يسمح بالارتفاع في المبنى إلى عدة طبقات ، ويبدو أن تصميم القاعدة كالعامود الفقري هي التي ساعدت مصممي الأبنية **اليمنية** منذ أقدم الزمن ليشيدوا القصور متعددة الطبقات .

وهكذا نرى أن أول ما يلفت نظر أي زائر **لليمن** شمالها وجنوبها وشرقها هو المنازل متعددة الأدوار ، والتي كثيراً ماتصل إلى سبعة أدوار وأكثر ، كما تتميز هذه المباني المنتشرة في كل مكان وحتى في بعض القرى بارتفاعها وتعدد أدوارها ، كما تنفرد بوجود مكان متسع يعلو سقفها ليستعمل كصالة للجلوس والراحة والاجتماع ، والتمتع بمناظر الطبيعة من مكان مرتفع ، وأيضاً من مكان لا يصله غبار الشوارع الذي لا تخلو منه المنازل القريبة من شوارع المدينة أو الطرقات .

وترى هذه المساكن الكبيرة في المدن الرئيسية أكثر من سواها ، وعلى الأخص العاصمة **صنعاء** ، وبمدينة **شبام** في المشرق الجنوبي . علماً بأن هناك فارق بمظهر عمارة المباني بين المناطق الجبلية والمناطق الشرقية في **حضرموت** وسواها ، كما توضحه الصور المرفقة .

ولم يكتفِ **اليمانيون** منذ القديم وإلى يومنا هذا بالاهتمام بنوعية المسكن ، ومنها تخصيص الدور الأسفل للحيوانات بحيث لا يقيم المزارع وسواه على المستوى نفسه مع الحيوان كما هي الحال في مباني المزارع في لأوربا وغيرها كما سبق الشرح ، بل يُقيم في قريته كابن المدينة على السواء ، أي في دور مرتفع عن الدور الأرضي الخاص بالباهمة والمحصولات الزراعية والأحطاب والمؤن وغيرها . ذلك أن سكن الإنسان وهو المتحضر يجب لأكثر من اعتبار ، أن يعلو على سكن الحيوان ، وكلما ازداد هذا الإنسان سعة عدد طبقات مسكنه ليسكن بأعلاها .

الزخرفة

وهكذا فإن ما يميز العمارة **اليمنية** هو تعدد الأدوار ووجود مفرج بأعلاها أو حتى مفرج بحديقة السكن المتسع الذي يمكننا تسميته بقصر ، لكي لا تستعمل كلمة (فيلا) أو دارة بالعربية الحاضرة ، ذلك أن الدارة لا تتألف من أكثر من دورين أو نادراً ما تتألف من ثلاثة أدوار محاطة بحديقة .

هندسة الحصون المربعة والمستديرة والبروج في اليمن والعمق السوري ، ونقلها لأوروبا عن طريق صقلية أو عقب الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر ميلادي

والذي يسترعي الانتباه أيضاً في الأبنية اليمنية هو ماذكرناه من انخفاض النوافذ في الأدوار العليا بحيث يتمكن الجالس في المفرج رؤية المناظر الممتدة أمامه ، دون أن يحجب عنه الجدار الأسفل المعتاد في النوافذ العادية .

وأجمل ماترك لنا الفن المعماري القديم ، هو اعتماد شكل الأعمدة المربعة التي كانت قد أهملت إلى أن عادت أخيراً إلى بعض الأبنية الحديثة جداً ، ومنها أيضاً بعض أبنية **واشنطن (العاصمة الأمريكية)** بما أظهر هذا الشكل والتي لاتقل رونقاً عن الأعمدة الأسطوانية ، وصورة الأعمدة السبئية لإظهار التشابه .

هندسة الحصون المربعة والبروج المستديرة في اليمن والعمق السوري ونقلها إلى أوربا

تخبرنا العالمة الألمانية **سيجريد هونكه** في كتابها « شمس الشرق تسطع على الغرب تراثنا العربي » محررة مايلي : شيّد أهل الجنوب في الصحراء الخَفراء أسواراً هائلة ذات أربع زوايا تحتوي على مبان للسكن ، وتعلو لتضم خمسة طوابق ، لتكون مبنى الحصن الأساسي وزوايا الحصن مجنّحة بصومعة ضخمة مصفحة القمة .

وكان كل من السورَين الضخمين الطويلين مصممين بشكل زوايا مجنحة لتحمي الباب بصومعتين صغيرتين لتسمح بالمراقبة . وكانت هذه المباني مصممة بحيث تسمح للسكان باللجوء إلى الحصن بما في ذلك قطعان الماشية .

وقد وصل هذا النوع من الحصون أيضاً إلى **بيزنطة وسورية والحيرة** حيث جلب **اليمنيون** معهم

هذا النوع من التحصينات التي كانت مصممة بالأساس لاتقاء هجمات القبائل على المدن الغنية .

وقد نقل **البيزنطيون** هذا الطراز الضخم والمبسط بآن واحد إلى سائر أنحاء الإمبراطورية . ولما وصل **العرب** إلى **فرنسا** أدخلوا معهم هندسة الحصون المعتمدة على حجم الأسوار ومناعتها ، ثم انتقل هذا التصميم إلى **أوربا الوسطى** و**بروسيا** عن طريق **صقلية** وملكها **النورمندي** ، الذي أحاط بلاده التي شملت كل ما كان **العرب** « **بنو كلب اليمنيون** » قد ضموه إلى **جزيرة صقيلية** من ممتلكات في جنوب وغرب **إيطاليا** ، وكذلك في مملكة **البروفنس** بجنوب **فرنسا** حالياً .

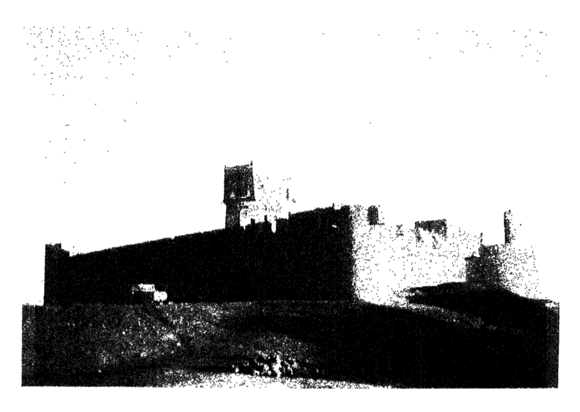
ونذكّر أيضاً بأن **العرب** الأغالبة كانوا قد احتلوا **صقلية** عام ٧٢٧ ميلادية ، لكنه بعد أن وصل المُلك لأيدي **الكَلْبيين** وهم **يمنيو** الأصل توسع هؤلاء في جنوب الجزيرة **الإيطالية** ليضموا إلى ملكهم **باري** على بحر **الأدريتيكي** وسائر مدن **كلابريا** ومنها **تورنت** و **سافينا** بين عامي ٨٧١ و ٨٩٠ ميلادي ، كما واصلوا توسعهم حتى مدينة **بيزا** PIZA ، وفرضوا الجزية على روما نفسها بعد أن كانوا قد احتلوا **نابولي** (**نابُل**) بناء لطلب وصلهم من صاحبها لحمايته من توسع **المجر** الذين اجتاحوا آنذاك **أوروبا الغربية** وخرّبوا معالمها وفتكوا بكل من وقع بين أيديهم ، وهم الذين **عُرفوا تحت** اسم « **فندال** » حيث أصبحت بعد ذلك كلمة « **فندال** أو **فنداليسم** » تفيد السطو والقضاء الساحق على الممتلكات دون غاية أو تمييز سوى الخراب والضرر .

أما في جنوب **فرنسا** حالياً أي مملكة **البروفنس** ، فقد هاجم العرب **الكلبيون اليمنيون** المتمركزون في **صقلية** و**جزيرة ساردينيا** و**كورسيكا** وعدد من موانئ **إيطاليا** قسماً واسعاً من **وادي الرون** RHONE وفيه مدن **آرل** ARLES و**فالنس** VALENCE وكذلك على الشاطئ الفرنسي المعروف **بالكوت دازور** Cote DAzur فقد احتلوا الجبال الواقعة شرقي مرسيليا والممتدة إلى مدينة **كان** CANNES وهي التي يطلق عليها حالياً اسم جبال **المور** أي جبال **العرب** ، ذلك أن **الأوروبيين** لم يسمّوا **العرب** في تلك المرحلة عرباً بل كانوا يطلقون عليهم اسم **مور** ، أي الواصلين من **مراكش** في شمال **إفريقيا** كما كانوا يسمونهم SARASINS أي **القراصنة** . أما كلمة عربي إشارة إلى الإنسان العربي فهي حديثة بل ومعاصرة ، حيث كان يطلق على **العرب** إجمالاً اسم **انفيديل** أي الكفّار .

ويفيدنا أطلس التاريخ العالمي صفحة ١١١ أن **السارازان** القراصنة أي **العرب** احتلوا تلك البلاد ومنها بلاد الـ VALAIS **بسويسرا** ، وهي حالياً **الولاية السويسرية** المتدة بين **جبال الألب** باتجاه **بحيرة جنيف** وحصل ذلك من عام ٨٩٠ إلى عام ٩٧٣ ، وهو العام الذي تم فيه القضاء على (**فركسيناتوم**) FRAXINATUM ، **جارد فرينيه** FREINET حالياً GARDE .

أما عاصمة العرب هذه بجنوب فرنسا التي اتخذها الكلبيون مقراً لهم في جبال المور فكانت مدينة صغيرة حصينة مبنية على إحدى القمم المشرفة بآن واحد على معابر الجبال وعلى الميناء الذي كانت تصلهم الإمدادات عن طريقه من (صقلية) وسائر الجزر التابعة لها ككورسيكا وسردينيا ، ومن الواضح أن موقع هذا الميناء جغرافياً جعله محمياً من جميع الجهات وهو يحمل اليوم اسم سان تروبيز SAINT TROPEZ الشهير في عالم السياحة ومربط لسفن أصحاب الملايين ومنتجع لأهل الفن والسينما العالميين .

وأما العاصمة المذكورة FRAXINATUM فقد زارها المؤلف ، وتسمى حالياً جارد فرينيه GARDE FREINET وهي صغيرة وجاثمة على أعلى الجبل وعلى طرفيه كسائر مدن البروفنس المشابهة لمدن اليمن المبنية فوق قمم الجبال .



قلعة صعدة

وقد بُني في وسطها القصر التقليدي لسكن أميرها ، ويذكرنا ارتفاعه النسبي بتصميم قصر رغدان الذي ارتفع عشرين دوراً وأحاط به سور لحمايته .
أما القلاع الأوروبية التي انتقلت مع المحاربين فقد انتشرت بعد القرن الحادي عشر بجميع الأنحاء والمقاطعات الفرنسية والبروسية وسواها ، وأطلق عليها اسم قصر محصّن (شاتو فور) أو قصر متين .

الحصون في صقلية « والأرض الكبيرة »

أما بالنسبة للحصون وهندستها العربية الأصل في صقلية ثم إيطاليا وجنوب فرنسا حيث تواجد الكلبيون في القرنين التاسع والعاشر ميلادي ، فقد عمّمها بعد ذلك ملك بروسيا فريدريك الثاني على جميع ممتلكاته الواسعة ، وهذا وفقاً لرأي العالمة أنجريد هونكه لتأثره بالمفاهيم والتخطيط الحربي العربي كما ذكرنا تحت العنوان المخصص لذلك .

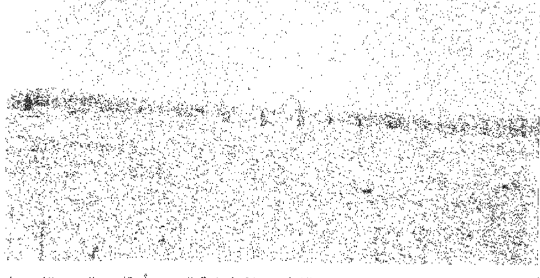
وتقول سيجريد هونكه SIGRID HUNKE مؤلفة كتاب « شمس الشرق تسطع على الغرب تراثنا العربي » المذكور آنفاً الصادر عام ١٩١٣ بالألمانية ، والذي تمّت ترجمته إلى الفرنسية عام ١٩٦٣ م عن دار البان ميشيل ALBIN MICHEL بأن هندسة هذه الحصون التي ابتدعها أولاً أبناء جنوب الجزيرة العربية تحولت في القرون الوسطى إلى ما سمي بالقصور المحصنة CHATEAUX FORTS التي انتشرت في فرنسا وسائر أنحاء أوروبا ، ليلجأ إليها زعماء المقاطعات الذين استقل كل منهم بمقاطعته في تلك المرحلة ، وجعل من حصنه ملجأ يأوي إليه هو وجماعته وحاشيته أثناء المحن والاقتتال مع أصحاب القصور المحصنة الأخرى التي لا يزال بعضها قائماً حتى أيامنا هذه نظراً لمناعتها وحسن اختيار مواقعها الاستراتيجية .

كتاب سيجريد هونكه والتراث العربي : حضارة عربية رائعة

ونغتنم فرصة ذكر ماكتبته مؤلفة كتاب تراثنا العربي ـ المشار إلى عنوانه الكامل سابقاً ـ عن انتقال هندسة الحصون المعمارية من جنوب الجزيرة إلى أوروبا مروراً بسورية وصقلية لنترجم حرفياً ماسجل على غلاف الكتاب المشار إليه وهو التالي :

« بينما كانت أوروبا مازالت تسير بصعوبة للخروج من ظلمات القرون الوسطى ، كان العالم العربي آنذاك مسرحاً لحضارة عربية رائعة ، سواء في العلوم أو الفنون ، وكان العرب قد حققوا منجزات ضخمة في مجالات متعددة كالرياضيات وعلم الفلك والطب والهندسة المعمارية والموسيقى والشعر .

ثم وصلت هذه المنجزات إلى أوروبا عن طريق إيطاليا وصقلية وأسبانيا ، وكذلك عن طريق المناطق الأخرى الخاضعة للعرب أو المتأثرة بالحضارة العربية ، وبواسطة عظماء الأمراء كفريدريك هوهنشتوفن أو بواسطة المسافرين والتجار والحجاج إلى بيت المقدس والصليبيين والطلاب . وقد لعب أثر الحضارة العربية هذه عند وصولها إلى أوروبا دوراً حاسماً في ظهور وتفجر الحضارة الغربية » .



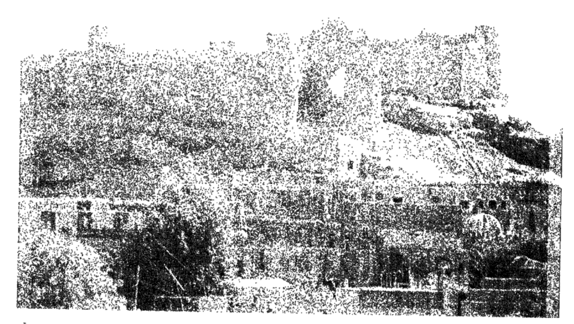
أسوار وتحصينات براقش (يثل) التي لا تزال قائمة في بلاد الجوف شرقي اليمن بعد أن قاومت الدهر وتغلبت على العوامل الطبيعية أكثر من ألفي عام . ويمكن اعتبار هذه التحصينات كأصل لهندسة الحصون التي انتشرت في أوروبا بالقرون الوسطى بعد أن انتقلت من الشرق العربي إلى صقلية ثم تبناها الصليبيون وملك بروسيا ، وفقاً للمراجع الغربية ومنها مؤلفة كتاب شمس الشرق تسطع على الغرب ؛ تراثنا العربي (سيجريد هونكه)

انتقال هندسة بناء الحصون العربية من الجنوب إلى شمال الجزيرة ومنها إلى أوروبا بعد الحروب الصليبية

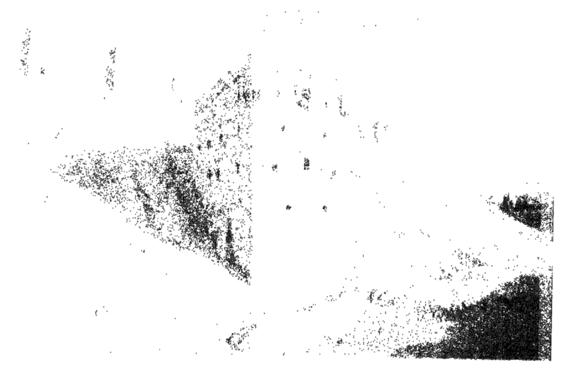


قلعة (الربض) قرب مدينة جراسا (جرش) بشرقي الأردن والتي تمثل طراز هندسة الحصون التقليدية في بلاد سبأ ، وقد أحيطت بخنادق تحميها وجسر معلق فوق الخندق .

قلعة دمشق كما هي عليه الآن



أفادتنا العالمة الألمانية (سيجريد هونكه) تحت عنوان « شمس الشرق تسطع على الغرب - تراثنا العربي » أن هندسة الحصون التي انتشرت في أوروبا بالقرون الوسطى وصلتها أصلاً من جنوب الجزيرة العربية عن طريق العمق السوري أولاً ثم عن طريق صقلية التي حكمها الكلبيون اليمنيون لمدة طويلة في القرنين العاشر والحادي عشر ميلادي



قلعة حلب في شمال العمق السوري

مملكة الأنباط
وعاصمتها « سِلَع » أو « البتراء »

الأنباط

ازدهرت منذ القرن السادس قبل الميلاد مملكة عربية في شمال **الجزيرة** عرفت تحت اسم مملكة **الأنباط أو النبطيين** ، ويعود ازدهار المملكة لتجارتها مع جنوب **الجزيرة العربية** منذ القدم ، ثم اتسعت رقعتها وتعاظم سؤددها لتسيطر على كامل **العمق السوري** وكامل **فلسطين** والمدن **السورية** وما إليها ، قد حاول **الإسكندر الأكبر** عام ٣١٢ قبل الميلاد أن يحتل **البتراء (سلع : الحرة)** ، لكنه عاد كمن سبقه فاشلاً في حملتين متتاليتين .

وذكر ديدوروس الصقلي المتوفى عام ٥٨ م الحملتين المذكورتين ، حيث قال عن **خلف « ذو القرنين »** أنه ارتد مقهوراً وعاد **الأنباط** إلى الصخرة ظافرين ، ومعلوم أن **البتراء قد قدّت من الحجر** الصلد وليس لها سوى مدخل ضيق بين الجبال في أسفل وادي موسى الذي كان يزودها بالمياه العذبة وهو ما يفسر تسمية **تيودوروس** لها (الصخرة) .

ولمحاولة التعرف على أصل **الأنباط العربي** علينا أن نعيد إلى الذهن كيفية تقسيم المراجع العربية للعرب بين عاربة ومستعربة حيث تقول :

والعاربة فهم من **قحطان** أو **ياقطان** وموطنهم **اليمن** ، وقد تشعبت **العاربة** إلى عدة بطون منها **كهلان وحميَر** . ثم سارت بعض القبائل من الجنوب إلى **الحجاز** ، كما سارت **عمران بن عمرو** نحو **عُمان** ، وأما التي اتجهت إلى **الحجاز فهي قبيلة حارثة بن عمرو** ومنهم **خزاعة**التي اقتحمت الحرم الشريف وأجلت من كان حوله . وسارت **جُفنة بن عمرو** إلى **الشام** ونزلوا بماء يقال له **غسّان** فنُسبوا إليه ، كما سارت **لَخْم بن عدي** إلى **الحيرة** واستقرت فيها . وسارت **كلب بن ويرة** من قبائل **قُضاعة** إلى شمال **نجد** اعتُبرت من **الأَزْد** ، ثم اعتمد عليها **الأمويون** في المرحلة الإسلامية .

أما **العرب المستعربة** فمنهم **إسماعيل** الذي تكلم **العبرانية أو السريانية** ، وعندما نزلت قبائل **جرهم** وهي **قحطانية** تزاوجت مع بني **إسماعيل** وتكلموا بعد ذلك **العربية** ، وهم أعراب وحضر ، وسكنوا أواسط **الجزيرة (بلاد الشام)** ، كما تزاوجوا بعد ذلك أيضاً مع **اليمنيين** الصاعدين مجدداً من الجنوب . ويمكننا استناداً إلى هذه المراجع العربية اعتبار **الأنباط** من **العرب المستعربة** .



(البتراء)

كانت (البتراء) أهم مراكز التجارة على طرق القوافل السبئية المشتركة مع (الأنباط) العرب ، وكانت تسمى أيضاً (سلع) أي الحرة . أما اسمها القديم فكان (الرقيم) وتحولت البتراء إلى عاصمة الأنباط الذين امتد حكمهم ليشمل دمشق وحتى بلاد الفرات .

ـ دام ملك الأنباط العرب زاهراً بفضل مشاركتهم في التجارة مع معين ثم سبأ إلى أن قضت روما على مملكتهم عام ١٠٥ بعد الميلاد ولم ينج من البتراء غير القصور والمعابد والمدافن التي نقرت في الصخور .

ـ سطع مجد الأنباط العرب شركاء سبأ في التجارة العالمية بين القرن الخامس قبل الميلاد إلى بداية القرن الثاني قبل الميلاد عندما دك الإمبراطور الروماني تراجان (تراجانوس) البتراء (الصخرة) وكان الإسكندر الأكبر وخلفاؤه قد فشلوا بمحاولتهم الاستيلاء عليها لمناعتها الطبيعية .

ـ لم تكتشف بقايا البتراء المذهلة التي قدّت في الجبل الأحمر الأصم حتى بداية القرن الماضي عام ١٨١٢ م عندما اكتشفها المستشرق السويسري (بوركارد) .

ولولا تجارة جنوب الجزيرة مع شمالها لما وجدت مملكة الأنباط ، ولما ازدهرت البتراء التي كانت توزع منها السلع إلى غزة على بحر الروم وشرقاً في العمق السوري إلى بلاد الرافدين عن طريق جرش وبصرى ودمشق وتدمر ، وكذلك عندما ازدهرت مملكة سليمان الحكيم بفضل تجارته مع أهل سبأ وحصوله على السلع التي كانت محتكرة لها وعلى ذهب أوفير (ظفار) .

الأنباط العرب

الشركاء الشماليون لتجارة أهل الجنوب مع سوريا الطبيعية ومصر
ملوكهم وأمجادهم وإنجازاتهم التقنية

ثم يقول **ديدوروس** الصقلي المذكور سابقاً أن أول اتصال **للأنباط بالرومان** كان في ولاية ملكهم **الحارثة (أرتاس الثالث)** ٨٥ ـ ٦٠ ق.م ، وقد ضربت آنذاك أقدم نقودهم الملكية المسكوكة . وسنة ٤٧ قبل الميلاد التمس **يوليوس قيصر** الروماني من **مالكو** (مالك ـ ملكوس الأول) كتيبة من الخيالة لاكتساح **الإسكندرية** ، ولما وصلت حملات **الرومان** إلى هذا القطر من الهلال الخصيب كان عرش **الأنباط** قد آل إلى خلفه **عبيدة** أو **بوداس الثاني** باللاتينية ٢٨ ـ ٩ ق.م .. ويخبرنا المؤرخ الروماني **يوسيفوس** (٩٥ م) أن **ماليكوس** (مالك بالعربية النبطية ٤٠ ـ ٧٠ م) بعث عام (٦٧ م) ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة لمساندة **تيتوس** الروماني عندما غزا **أورشليم** « القدس الشريف » .

وقد عثر علماء الآثار على كتابات وشعارات تؤكد أن **النبطيين** عبدوا ذات الآلهة التي كانت معبودة عند **أهل الجنوب** وهي الشمس والقمر وأن **تيتوس الروماني** قضى فيها على **العبريين** وشتت من بقي منهم .

وتعتبر قبائل الحويطات في شرقي **الأردن** حالياً بأنها من سلالة **الأنباط** كما سنرى .

ونعلم اليوم أن لغة **الأنباط** لم تمت وأنها مازالت معروفة ومستعملة في الآداب التقليدية بالعمق **السوري والعراقي** وفي **الكويت** وسائر أنحاء شمال **جزيرة العرب** ، أما بالنسبة للعامية فلا تزال **النبطية** مستعملة لغة وشعراً ، مما يؤكد أن **مملكة الأنباط** اجتاحت كامل شمال **الجزيرة** حتى **الفرات** وحتى **الخليج** حيث توجد **الكويت** وقبائل تلك الجهات ، دون التأكد فيما إذا كانت قبائل الحويطات المذكورة لاتزال تستعمل لغة الآباء في المجالس الخاصة والأدبية ، ذلك أن قبائل **العمق السوري** باتجاه **العراق والكويت** لاتزال تتكلم بلهجة نبطية ، وأما شعرها العامّي وهو الزجل للقبائل الرحل فيطلق عليه اسم (الشعر النبطي) .

استغلال المياه للزراعة والسيطرة على وسائلها عند الأنباط مما يذكر بأهل اليمن

كان **الرومان** قد ورثوا عن **الإغريق** الفن المعماري الباهر المنسق الذي مازال يدهشنا بروعته وخاصة بإتقان نحت أعمدته وتزيين الجدران والسقوف . وهكذا عندما التقت الحضارتان العربية

الشمالية والحضارة الإغريقية الرومـانيـة لم يـدهش **الرومـان** على مـا نعتقـد بـالفن المعماري المتميز بحفره للصخور وتحويلها إلى معابـد ومـدافن وقصور ، لكن الـذي أدهشهم هو مـا اطلعوا عليـه من ابتكارات تساعد على حفظ المياه وتخزينها ، وأساليب نقلها بالترع واستخدامهـا للري ، مع حمـايتهـا من التبخر بواسطة أقنية ووسائل فنية دقيقة ساعدت **الرومان** بعد ذلك لإدخال تحسينات على ما كانوا قد توصلوا إليه في هذا المضمار الهام ، الذي يحتاج إلى علم ومعرفـة تقنيـة فـائقـة ، ذلـك أن بنـاء الخزانـات والترع والأقنية وكل مـا يتعلق بـالميـاه وحفظهـا كان ولا يزال من أكثر الإنجـازات الفنيـة بحـاجـة إلى تقنيـة واستعمال مواد معينة مناسبة ، وهو ليس بالأمر اليسير حتى في أيـامنـا الحـاضرة حيث لا يزال موضوع ترشح وتسرب المياه من المعضلات ، بالرغم من تعدد المواد المـانعـة وأسـاليب استعمالهـا . ولنقف لحظـة هنا لنتأمل الأبنية المنحوتة في الجبل الصخري ، حيث يتبين لنا أنه يختلف عن أي بناء آخر ، ويبـدو جلياً أن فن العمارة في **البتراء** ليست لـه صلـة بفن العمارة في جنوب **الجزيرة** الـذي يعتبر ليومنـا هـذا فريـداً من نـوعـه ، وهـو بعيـد عن فن العمارة في **وادي النيـل** ، وهـو بـالتـالي إبـداع **نبطي** في شمال **الجزيرة** يمكن اعتباره فناً مستقلاً ، أما الذي يجعلنا نقارن بين الحضارة **النبطيـة** والحضـارة **المعينيـة السبئية** فهو حسن استخدام المياه وتخزينها ، مما يتطلب علماً ومعرفة لابد وأن أهل اليمن الـذين كانوا سبَّاقين في هذا المجال بمئات السنين قد نقلوا معهم هذه المعرفة أو (التقنية) باصطلاحاتنـا الحـاضرة إلى مراكزهم التجارية في شمال **الجزيرة** بمملكة **الأنباط** وسواها من مراكز ومحطات طرق التوابل واللبـان العالمية .

لغة الأنباط العربية هي لغة قريش

ونظراً لأهميـة الـدور الـذي لعبـه **الأنبـاط** في شمال **الجزيرة** قبل الإسـلام ، ولانتشـار لغتهم التي دامت وأصبحت أبـديـة بفضـل القرآن الكريم عـدنـا إلى مـا ذكره المستشرقـون ، حيث قـالـوا : « إن **الأنباط** كانوا يتفاهمون بلغة عربيـة لكنـه لم يكن للعربيـة في شمال **الجزيرة** حروف تكتب في القـديم فأخذوا الكتابة الآرامية التي نميل للاعتقـاد أن أصولهـا كانت في جنوب **الجزيرة** . وأمـا لغـة **الأنبـاط** فأصبحت تعرف بالنبطية وهي لهجة من لهجات العربية ولا تزال معروفة إلى أيامنا هذه » . كما تطور الخط النبطي المشابه للآرامي ليصبح في القرن الثالث للميلاد الخط المألوف في لغة **العرب** بالشمال ، أي لغـة القرآن الكريم (لغـة **قريش**) ، وهي اليـوم لغـة مئتي مليـون من المتكلمين بهـا من **العرب** والمستعربين ، ويفهم بعضها على الأقل نحو من ٥٠٠ مليون مسلم بفضل القرآن الكريم وحفظه من قبل المتعلمين وغيرهم ممن فرضت عليهم الصلاة بلغة القرآن الكريم ، الذي لولا المحافظـة على لغتـه لتعـددت لغات **العرب** واستمرت اللهجات القديمة مستعملة بأشكال مختلفة ، مقارنة بمـا حصل بـالنسبـة للاتينيـة التي تعددت لغاتها الحاضرة ، مما يؤكد أنه لو سمح بنقل القرآن الكريم إلى لغات أخرى لأصبحت صلاة

المسلمين تتلى بالعديد من اللغات ، كما هي الحال بالنسبة لصلاة المسيحيين ، وهكذا فإن أقرب اللغات إلى النبطية هي لغة **قريش** والخط النبطي وفي أصوله هو خطهم ، وهكذا فإن الخط الذي كان مستعملاً **بالحجاز** بعهد سيد المرسلين ﷺ كان الخط النبطي دون سواه .

الخط النبطي

ويؤكد المؤرخ **حتي** هذه النظرية بقوله : « إن الخط النبطي الذي كان منقولاً عن الخط الآرامي هو الذي أصبح منذ القرن الثالث للميلاد خط لغة القرآن الكريم ولغة العصر الحاضر » .

لكن المؤرخ لا يذكر لنا شيئاً عن تأثر الخط الآرامي بخط جنوب الجزيرة ، وأعتقد أن الموضوع يحتاج إلى دراسة وبحث خاص بهذا الشأن (راجع الصفحة ١٠٥ تحت عنوان : الكتابة والحروف) .

ممالك اليمن وحضارتها
وانعكاساتها على الحبشة وشمال الجزيرة

الدولة الحميَريَّة

لقد أصبح واضحاً لدينا بأن **ريدان** هي المنطقة العدنية من **اليمن** ، أي الجنوبية بالنسبة **لصنعاء ومعين ومأرب** ، وهي التي تشكل اليوم بلاد **حبيش وإب والعدين وبعدان والحجرية** ومـا إليهـا ، أي المنطقة التي تشمل **اليمن** الزراعية الكثيرة الخضرة والنبات . أما قصر **ريدان** فمعروفة آثـاره بـالقرب من **يريم** .

خلفيات الدولة الحميَريَّة

يظهر أن **ريدان** أو **ظفار** كانت قبل **حميَر** إحـدى مراكز **سبـأ** الهـامـة لغنـاهـا الطبيعي بفضل مواردها الزراعية وجودة مناخها ، وكان صاحبها يدعى **ذو ريدان** أي حاكم **ريدان** أو مالكهـا . وكان قد جاء ذكرها عند **اليونان** عام ٢٠ ق.م . كما قسم علماء الآثار هـذه الـدولـة إلى قسمين أو إلى مـدتين متعادلتين تقريباً بين ١١٥ ق.م . إلى ٥٢٥ ب.م . أي إلى عهد **ذي نواس** ، وهذا ما يعـادل ٦٤٠ سنـة للمرحلتين . علماً بأنه حصل في هـذه المرحلـة تـدخل **الأحبـاش** ودولتهم **أكسوم** التي ينسب تـأسيسهـا لأهل جنوب **اليمن** من دولة **أوسان** ، التي شملت **عدن** حتى بلاد **قتبان وحضرموت** .

حِميَر عند العرب

تابع مؤرخو **سبأ** و**حِميَر** من **العرب** قولهم أنه بعـد دولـة **سبـأ** وصل الملـك إلى **حِميَر** وهو أحـد أحفاد **عبد شمس** ، كما انتقل مركز الملك إلى الجنوب الغربي من **اليمن** ، واتخذوا مدينـة **ظفـار** عـاصمـة لهم ، وبدأ بذلك العصر **الحِميَري** الذي قضى على الممالك الساحلية المزدهرة **كأوسان وقتبان** في الساحل والمشرق .

ويسمي **العرب** القسم الأخير من دولة **حميَر** دولة التبابعـة . وذكر **الأصفهـاني** أن **تُبّع** كان حـاكماً من **حميّر** فتح **الحيرة** وضرب **سمرقند** واسمه **أسعد أبو كرب** ، وأنه كانت ألقاب الحـاكم في بـدايـة تلـك العصـور **مكرّب** . وقـد ذكر **حمـزة الأصفهـاني** ١٦ تبّعـاً أو ملكاً أولهم **الحـارث الرائش** وآخرهم **ذو نواس** ، وخلف هذا **ذو جدن** وهو آخر **التبابعة الأكسوميون** . ويعتبر **العرب** أن عهد **التبـابعـة** انتهى بانتصار قادة **أكسوم** على **اليمن** سنـة ٥٢٥ م حيث ظل **الأحبـاش** ، **ملوك أكسوم** ، يحكمونهـا إلى عام ٥٧٥ م .

وبذكر **الأحباش** وجب علينا الإيضاح بأن بعض المراجع اليونانية والرومانية اعتبرت **الحبشة** جزءاً من الممالك **السبئية** ، وأن ملكة **سبأ** الشهيرة في التاريخ كانت تحكم البلدين معاً . وكان بعض ملوك **الحبشة** يعتبرون أنفسهم حتى نهاية حكمهم أخيراً بأنهم أحفاد **سليمان وبلقيس** . كما يذهب **جلازر** النمساوي إلى الاعتقاد بأن **الأحباش** وهم **ساميون** هاجروا إلى **إفريقيا** بين عامي ٣٧٠ و ٣٧٨ م . ويرى **هومل** أن رحلتهم كانت عام ٣٧٥ م ، وكان ذلك في عهد ملكين من ملوكهم هما : **العلي عميدة** وابنه **عيزان** .

عهد عظمة المُلك في أكسوم ثم مُلك أبو كرب أسعد أو التبّع أسعد كامل عند العرب في عاصمته ظفار اليمن

وكان **عيزان** يلقب بملك **أكسوم وحِميَر وذي ريدان والحبشة وسلح وتيماء وصيمو والبجه وقسو** ، واتخذ مركزاً لدولته **أكسوم** في **الحبشة** . وبالنسبة لاسم **سلح أو سليح** ، فقد جاء بالمراجع المعنية **بآل غسان** أن **آل سليح** سكنوا **حوران** ، وكان إمبراطور **روما فيليب العربي** من هذا القوم ، ويبدو أن **آل سليح** أقاموا **بالعمق السوري** حتى **تبوك** بشمال **الحجاز** إلى أن أبعدهم **بنو غسان** . وحوالي عام ٥٣٨ م قام زعيم عربي اسمه **ملك كرب يهامن** بطرد **الأحباش** من **اليمن** وتلقّب بملك **سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات** ، وخلفه ابناه **أبو كرب أسعد** ، **ورأمن أيمن** ، وكان هؤلاء يعبدون **ذو سماوي** أي إله السماء . ويرى المستشرقون أن **أبا كرب أسعد** هو **أسعد كامل** الذي يظنون بأنه أول من آمن بإله السماء الواحد ، وأخبار الملك الإمبراطور **أسعد كامل** عديدة ، وتفاصيل ما وصلنا عنها مذهلة ، لاسيما وأنه ترك الكثير من الرُّقم التي تذكِّر بعظمته . وكان **اليمنيون** يعبدون في الأصل الإله القمر الذي أشادوا له المعابد والهياكل وقد سموه **المُقه** . كما توصل المستشرقون لشرح معنى **المُقه** وهو القمر الإله الذي يعطي الصحة ، وأما الشمس فهي زوجة إله الصحة **المُقه** وأما **عشتر** ، وهو كوكب الزهرة ، فهو ابنهما . وتذكر تلك المراجع أن **أبا كرب أسعد كامل** زار **مكة المكرمة** . وكان أول من غطى الكعبة بالكسوة بعد أن عاد ظافراً من فتوحاته في **بلاد الرافدين** ، ومنها **الحيرة** وشرقيها حتى بلاد **الفرس** وما بعدها كما سنذكر في الحديث عن دولة **حمير** .

وأما ملوك المرحلة الأولى فكان لقبهم **ملك سبأ وريدان** ، وتنتهي هذه المدة بعهد **شمر يرعش** (٢٧٥ ـ ٣٠٠ ب.م) حيث تبدأ طبقة المرحلة الثانية التي أصبح لقبهم فيها **ملك سبأ وريدان وحضرموت** ، وذلك بعد ضمهم **حضرموت** إلى ملكهم . ثم حصل في هذه المرحلة تدخل **الأحباش** كما سنرى .

وقد أورد **جلازر** في جغرافيته أسماء ملوك الطبقة الأولى والثانية . ويظهر من ذلك أن **يوليوس**

جاليوس حاكم مصر الروماني الذي قام ٢٤ ق.م بقيادة حملة على اليمن بعهد يوليوس قيصر ووصل إليها ، بعد أن خسر معركة طاحنة في وادي الجوف ، مما جعله يحوّل حملته التي شارك فيها العديد من الأنباط وخمس مئة من اليهود التجار إلى رحلة تجارية ، وهكذا وصل إلى مأرب بصفته زائراً لا فاتحاً وفقاً لما سبق تحت عنوان آخر ، قد وافق وصوله إلى مأرب ، وهو أقصى حد وصل إليه ، في حكم إيليزاروس ، هذا بالاستناد إلى ماجاء ذكره عند سترابون ، وإيليزاروس هذا هو اليشرح يحصُب (٣٥ ـ ١٥ ق.م) . وفي هذه المرحلة الحميرية عاش أبو كرب أسعد بن ملك يكرب ٢٨٥ ـ ٣٢٤ ب.م الذي نسبت إليه أعمال الغرائب والعجائب والفتوحات الخيالية ـ كما أشرنا إلى ذلك ـ . حيث ذكر الأخباريون بأنه غزا أذربيجان وهزم الترك وبنى سمرقند ووضع الأتاوة على القسطنطينية وحاصر روما ، وفي ذلك مبالغات لا يقرها المؤرخون إطلاقاً ، لأن هذه الأعمال حصلت في مرحلة معلومة من التاريخ الغربي . لكن هذه الأخبار تدل على عظمة هذا الملك وكثرة فتوحاته . وأما المبالغات فهي من صفات الأخباريين والمحدثين في الآداب العربية . والمبالغة مهما كانت لا تنفي وجود الأساس .

الأحباش والصراع الديني :

يظهر أنه بعد تشتيت روما لليهود وهدم معبد أورشليم بعهد تيتوس (٧٠ م) وصلت اليهودية إلى اليمن عن طريق الحجاز ، وبدأ الصراع بين الديانات الموروثة وبين الدين الجديد .

وتعقّد الصراع الديني بدخول النصرانية المعترك حيث قام تنافس بين اليهود والنصرانية التي كانت قد دخلت اليمن من عدة منافذ ومنها العراق بواسطة الطرق البرية وطرق الخليج البحرية ، وبواسطة السفن اليونانية والرومانية عن طريق إفريقيا حيث تنصّر الأحباش .

وانتصرت اليهودية في تلك المنافسة على النصرانية بتولي ذو نواس العرش ، وكان قد تهوّد ، وهو الذي تسميه المراجع اليونانية السريانية دميانوس . ولما اضطهد ذو نواس النصارى عام ٥٢٥ م غزا ملوك أكسوم في الحبشة اليمن ، وأقاموا عليها حاكماً نصرانياً هو أبرهة الأشرم الحميري . (ويظهر أن اسم أبرهة ، هو لغة في لفظ إبراهيم) ، ثم استقل أبرهة باليمن بعد أن انتصر على القائد الحبشي أرياط وقتله واسترضى النجاشي الذي اعتبره نائباً له على اليمن ، ولقب أبرهة نفسه بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها[1] في النجاد وفي تهامة . وبعهد أبرهة الحِميَري تحول الحكم في اليمن من اليهودية إلى النصرانية حيث بنيت الكنائس ، وظلّ سلطان ملك الأحباش بواسطة

---

(١) نلاحظ هنا ذكر الأعراب ، في النجاد أي المناطق الجبلية الداخلية وفي تهامة أي الساحل ، وكأنهم منفصلين عن سائر السكان . وهذا ما نعتقد للتفريق بين أهل الحضر وهم أغلبية السكان وبين القبائل غير المستقرة ، أو أهل البداوة الذين خصهم الأولون باسم أعرابي .

المسيحية مسيطراً على **اليمن** إلى أن ثار عليهم أحد أبطـال التـاريخ العربي **سيف بن ذي يزن** ، وحرر بلاده بعد أن استعان عليهم **بالفرس** . وهكـذا نرى أنـه مـا بين ٥٢٥ و ٥٧٥ م تمكن **الأحبـاش** من حكم **اليمن** . وكانت قد نزحت قبائل ملوكهم عنها قبل عدة قرون كما رأينا استناداً إلى **جلازر** .

وسنرى لاحقاً كيف جاء ذكر هذه الممالك عند الغربيين استنـاداً إلى مصـادر **الرومـان واليونـان** والمستشرقين .

ممالك حمير واليمنيون في الحبشة

مملكة أكسوم
العهد الحبشي
انتقال طريق التجارة العالمية من الصحراء
وعودتها إلى البحر الأحمر
الحضارة اليمنية في « أكسوم »

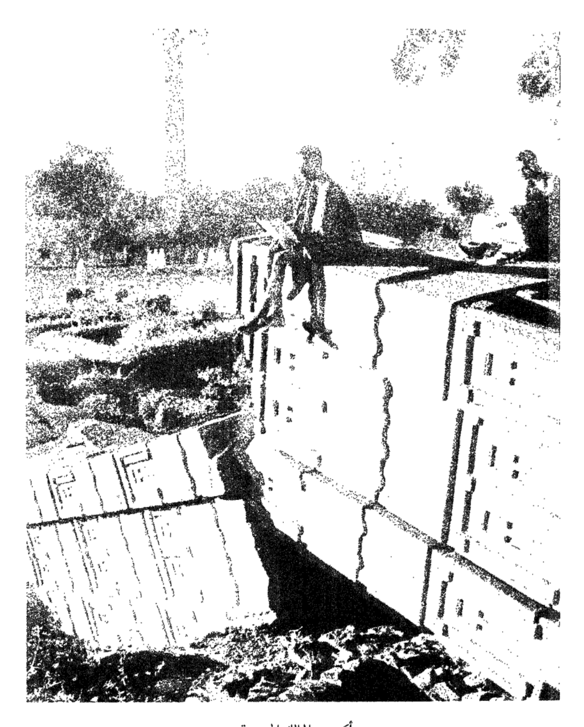
آخر وصف وصل إلينا عن تجارة حمير
اليمنيون الساميون هم الفئة الحاكمة بـ « أكسوم »

بعد انتهاء حقبة احتكار التجارة بين **المحيط الهندي والبحر المتوسط** من قبل **بلاد الطيوب** ، كما سماها **سترابون** ، وهي **سبأ** وسائر دول الجنوب ، ومنها **أوسان** ، **وقتبان** ، كان ولا يزال آخر وصف مفصل وصل إلينا لبلاد سبأ قد ورد بعهد بدأت به التجارة ومركز الثقل الاقتصادي والسياسي ينتقل من داخل اليمن إلى غربها بموازاة **البحر الأحمر** وبالملاحة فيه ، وقد أصبحت دولة **سبأ** وما تبعها من دويلات تعرف ببلاد **حمير** ، وانتقلت العاصمة من **مأرب** إلى **ظفار** بالقرب من **يريم** حالياً .

كتاب الطواف حول البحر الأرتيري :

وقد جاء هذا الوصف في المرحلة بين ٥٠ و ٦٠ بعد الميلاد بواسطة مؤلِّف مجهول الاسم ترك لنا ولتاريخ البشرية وتجارتها العالمية كتاباً حرر باللاتينية ـ اليونانية ـ عنوانه « **الطواف حول البحر الأرتيري** » ، وهو ماسمح لنا لأخذ فكرة صحيحة عن تلك المرحلة من تاريخ البلاد المجاورة لجنوب **اليمن** شرقاً وغرباً .

وقبل أن نذكر ماوصفه هذا الرحالة اليوناني ، علينا أن نعلم بأن كلمة **البحر الأرتيري** كانت تعني آنذاك جنوب **البحر الأحمر بحر القلزم** ، وكذلك البحر الممتد على ساحل **إفريقيا** الشرقية حتى



أكسوم والممالك الحميرية

الكتابة على المسلات هي بخط ولغة جنوب الجزيرة العربية .

لازالت إحدى مسلات العهد الحميري قائمة ، وقد تهدمت المسلات الأخرى وحوّلها الطلاب إلى استراحات وأماكن للدراسة والتأمل .

عرفت مجدها بين القرن الأول والسادس بعد الميلاد وكانت علاقتها وثيقة باليمن والحجاز حتى عهد سيد المرسلين ﷺ .

المضيق بين **الموزمبيق ومدغشقر** أي جميع ساحل **الصومال** . أما شمال **البحر الأحمر** فكان يطلق عليه اسم **بحر الحجاز** ، وهو المواجه لبلاد **ثمود** القديمة ، بعد انتقال الثموديين إلى الشمال وتشكيلهم حضارة **اللّحانيين** التي اندثرت بسرعة ، لتحوُّل أهل **ثمود** على ما يبدو إلى مقاتلين أشداء ، استعانت بهم روما في حملاتها الحربية المتواصلة في مشرقها الواسع وتصادمها المستمر مع **الفرس والأرمن** .

ويطلعنا هذا الرحالة اليوناني بأن **روما** كانت في أواسط القرن الأول بعد الميلاد قد بدأت تتعرف على الكثير مما يتعلق ببلاد **اليمن** والبلاد المجاورة لها ، وكذلك أخبار الملاحة ونوعيتها في تلك المناطق التي ظلت قبل ذلك مجهولة من قبل سكان شواطئ **البحر المتوسط** ومن إليهم ، وهم **الإغريق والرومان** اللذين امتزجوا آنذاك شعباً ولغةً ، قبل أن تتفكك إمبراطورية **الروم** ويعود الإغريق إلى اليونان ليتمركزوا ببلادهم الأصلية التي انتقلت إليها عاصمة **الروم** الجديدة **بيزنطة** قبل استيلاء **العثمانيين** عليها ومحاولات **العرب** الفاشلة لاحتلالها في بداية الفتوحات . ـ قلنا ترك لنا كتاب « الطواف حول البحر الأرتيري » أخباراً وأوصافاً عديدة نسجل هنا ما هو متعلق بالتجارة في **اليمن** التي كانت تمر بميناء **موزا** « **المخا** » على **البحر الأحمر** « **البحر الأرتيري** شمال المضيق وجنوبه » ، قال المؤلف اليوناني المجهول الاسم بمؤلفه المذكور واصفاً سوق هذه المدينة **اليمنية** ، وفقاً لما كتبناه عند ذكر **موزا** أو « **موزع** » وهي « **المخا** » عند العرب **وموكا** عند الغربيين .

ذكر **مؤلف** « **الطواف** » عند ذكره « **موزا** » ما يلي :

« كان يرد إليها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية ناعمها وخشنها وألبسة خيطت على الزي العربي ، ذات أردان قد تكون بسيطة أو عادية أو مطرّزة ، وموشاة بالذهب أو الزعفران وقصب الذريرة ، وأنسجة القطن الشفافة والأعبئة والأحرمة ـ وهي ليست كثيرة ـ ، بعضها بسيط وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية ، ومناطق ذات ألوان عديدة ، ودهون وعطور بكميات معتدلة ، والخمر وقليل من الحنطة ، لأن البلاد لا تنتج منها إلا اليسير على أنها تفيض خمراً ، وتصدر البلاد حاصلات أرضها من المرّ الفاخر والصمغ المعيني والرخام اللين (المرمر القَمَري) وسائر ما أسلفنا القول ، وذلك كان يصل إليها من **عوباليت** (أرض بابل) وأقصى الساحل .. » .

ويذكر المؤلف أن اللّبان يأتي من بلاد جبلية ممقوتة (المقصود على الأغلب **جبال ظفار**) ويضيف هذا الرحالة أو الربان اليوناني (٥٠ ـ ٦٠ ميلادي كما ذكرنا) بأن ساحل **جزيرة العرب** على **البحر الأرتيري** خطر فلا توجد به موانئ ، والمراسي عسرة المسالك ، وهي صعبة المنال تَحُول الأمواج المتكسرة على الصخور دون الاقتراب منها ، وهي مزعجة من كل ناحية .

وكان هذا الرحالة آخر غربي نعرفه ممن وصلوا إلى شواطئ **اليمن** دون أن يدخل أراضيها بخلاف **سترابون** الذي سبقه بثلاثة أرباع القرن ، والذي تعرف فعلاً على حقيقتها عندما رافق حملة **يوليوس**

جاليوس والأنباط التي بدأت عسكرية وانتهت مسالمة كما علمنا تحت عنوان آخر ، ثم ارتدت عن طريق **نجران (نجرانا)** . وقد عاد المقاتلون المسالمون منها بعد فشلهم في **الجوف ومأرب إلى البتراء ومصر** . وكانت هذه الحملة التي لا نعرف عنها إلا ما رواه أحد كبار مؤرخي الرومان **سترابون** الذي وصف مدى المتاعب التي لاقتها الحملة الفاشلة ، وعزا فشلها إلى خيانة قائد **الأنباط** المتعاون مع **الرومان** . وقد ذكر **سترابون** أن الحملة اشتملت على ألف من **البدو** و ٥٠٠ من **اليهود** .

وإن دلّ كتاب الطواف حول **البحر الأرتيري** على شيء هام ، فهو يؤكد لنا أن **الرومان** كانوا في أيامه (وسط القرن الأول بعد الميلاد) قد توصلوا لاستعمال الملاحة في هذه الطريق البحرية مما غيّر مسيرة طريق التجارة العالمية منذ القرن الأول للميلاد ، كما أكد ذلك وجود النقود الرومانية بكثرة على ساحل جنوب شرقي **الهند** منبع التوابل وما إليها من سلع نادرة ومصنوعات وسواها كما ذكرنا في فصل آخر .

الدول الحميرية والحبشية والأكسومية

ويفسّر الواقع الذي أشرنا إليه وهو ازدهار دولة **حمير** ، وكذلك ظهور دولة **أكسوم** مواجهة لها ، وهي التي لم تُذكر قبل هذا القرن كدولة ثم أصبحت بين القرن الأول للميلاد والسادس منه معروفة ومنتصرة ومزدهرة ، كما تؤكد ذلك إحدى مسلات **أكسوم** وهي التي لا تزال قائمة وقد كتبت عليها النقوش بلغة وكتابة جنوب **جزيرة العرب السبئية الحميرية** القديمة ، وهي لغة **الْجُعُز** نسبة للقبيلة اليمنية التي تحمل هذا الاسم حتى يومنا هذا في جنوب **اليمن** وفي بلاد مملكة **أوسان** القديمة .

وهنا تظهر العلاقة بين **اليمن الحميرية وأكسوم اليمنية** الأصول على طرفي طريق التجارة العالمية البحري الجديد وريث الطريق الصحراوية التي كان لها الفضل في ازدهار دولتي **معين وسبأ** وسائر الدول **اليمنية** ، التي استغلت موقعها الجغرافي ولبانها الثمين النادر الوجود وتجارة **المحيط الهندي** الفريدة . وكذلك ذهب **أوفير** الذي لا يحتاج إلى صهر . ويخبرنا الدكتور **أحمد فخري** في مؤلفه القيّم (اليمن ماضيها وحاضرها) بما يلي :

« في القرن الأول الميلادي استقر بعض المهاجرين **اليمنيين والحضارمة** في **إفريقيا** في أرض (**كوش**) حيث وضعوا أساس الحضارة **اليمنية** ثم المملكة **الحبشية** التي بلغت شأناً كبيراً بين القبائل الزنجية في تلك المناطق » .

عَبر **اليمنيون بحضارتهم الحميرية** إلى **الحبشة** وغرسوا النواة التي ترعرعت منها **مملكة أكسوم** .

وأصبح لقب الملك آنذاك **ملك أكسوم وحِمِيَر** وريدان **وسلحين** ، ونعلم اليوم أن **ريدان** يقصد بها **جنوب اليمن - المنطقة العدنية** - وأما **سلحين** فهي بمنطقة **مأرب** حيث يوجد قصر تحت اسم **قصر سلحين** كما ذكر البعض أن **سلحين** وقصرها الشهير تاريخياً كانت بالقرب من **مأرب** .

ولا يسعنا عند التحدث عن حضارة **اليمن** في **أكسوم** من بلاد **الحبشة** إلا أن نذكر ما ذهب إليه مؤلف كتاب تاريخ العرب القديم للدكتور **دتلف نينكلسون** حيث قال عند حديثه عن **الحبشة** :

« ليس **الساميون** الذين خلفّوا لنا آثاراً وآداباً والذين مازالوا يقيمون في البلاد هم العنصر الأصلي الذين يتكون منه السكان الأصليون ، بل هم فيما يُعتقد كغيرهم من **الساميين** الشماليين قد هاجروا

إليهـا من بـلاد العرب الجنـوبيـة (**اليمن**) ، ذلـك أن لغتهم هي عبـارة عن لهجـة عربيـة جنـوبيـة ، وما زالت إلى اليوم قريبة إلى العربية بالرغم من دخول بعض العناصر الحامية إليها ، أمـا اللغـة والخـط والثقافة فسبئية منذ البداية ... » .

« كان من أقدم المهاجرين إلى الحبشة قبيلة **الأجاعز** التي هـاجرت في القرن الخـامس قبل الميلاد ولا تزال لغتهم معروفة بالجعزية معروفة حتى الآن ، وهي لغة سامية وقلمها هو المسنـد مع تحريف في بعض الحروف » .

كما يفيدنا الدكتور **فيليب حتّي** (تاريخ العرب) :

« ولقـد كان يحل بسـاحل الجنوب العربي من **البحر الأحمر** قـوم من **السـاميين** تسربـوا إليـه من **سـاحل الجزيرة** المقـابل ، فسمـوا فيا بعـد **بـالأحبـاش** . ونشـأت بين هـؤلاء **الأحبـاش** وأقربـائهم في **الجزيرة** وبين المكيين صلات تجارية ، مالبثت أن توثقت عراها ، فاندمجوا في تلك الكتلة التجـاريـة الواسعة النطاق التي تزعمتها **سبأ** ثم **حمير** . وتمّ للمساهمين المجتمعين بهذه الكتلة احتكار خطوط الطيوب القديمة التي **كان** يمر أهم فروعها **بالحجاز** » .

مملكة أكسوم عند المستشرقين :

جاء في دائرة المعارف الفرنسية أن أبناء **السبئيين** أنشؤوا مملكة **أكسوم** في بلاد **التيجرة بالحبشـة** في القرن الخـامس قبل الميلاد ، وأن العـاصمـة **أكسوم** ظلت مزدهرة حتى القرن العـاشر بعـد الميلاد ، حيث تزعزعت **أكسوم** إثر ثورة قامت بها الأميرة **سمين** . وتدل على الحضارة التي وصلت إليهـا **أكسوم** في تلك المرحلة ماتبقى من آثار لاتزال ظاهرة ، ومنها بعض المسلات التي نقشت عليها كتابـات بلغـة وخط أبناء جنوب **جزيرة العرب** .

مسلات أكسوم

ذكرنا أنه توجد في **أكسوم** آثار عديـدة كتب عليهـا بـاللغـة والخـط الحمِّيري ومنهـا عـدة مسلات بعضها لا زال سليماً وقائماً ، وهو مما يشكل دليلاً إضافياً على ماأكـده المستشرق **نيكلسون** الآنف الـذكر من أن المدنية **السبئية** امتدت أيضاً إلى الطرف المقابل لها من **إفريقيا** ، وما الأحباش الـذين احتلوا **اليمن** على مرحلتين من التـاريخ سوى جمـاعـات من أصل **يمني** لا بـدّ أن يكـونـوا بطبيعـة الحيـاة قـد تزاوجوا مع أبناء **التيجرة** الحاميين ، وهم سكان المناطق الشرقية المواجهة **للبحر الأحمر** .

نظرة على ممالك العرب السالفة
عندما سيطرت على الجزيرة
سبأ ثم حمير في الجنوب والأنباط في الشمال

أهمية القرن الثالث للميلاد عندما تربع على عرش روما
ستة أباطرة من العرب
ثم تلاهم وهبة الله بن أذينة والزباء وقد أُعلن إمبرطوراً في الإسكندرية عام ٢٧٠ ميلادي

لاحظنا أنه وصل منذ قبيل القرن الثالث للميلاد ملوك وأباطرة عرب إلى سدة الحكم في جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، كما اعتلوا عرش القياصرة في الإمبراطورية الرومانية .

ثم كان على العرب انتظار الرسالة السماوية ليتوحدوا لأول مرة ولينشروا الدين الحنيف إلى أقصى المشرق وأقصى المغرب ، وليؤسسوا مدنية عالمية ينتمي إليها ألف مليون نسمة .

هل يشكل التاريخ عبرة يستفاد منها حاضراً ومستقبلاً ، وهل يستفاد من تجارب الآخرين ؟

تعرفنا في القرن الثاني قبل الميلاد وبعده بخمسة قرون على المجد الذي تمتعت به الدولة الحميّرية المتمركزة بعاصمتها ظفار منذ عام ١١٥ قبل الميلاد ، عندما شملت كامل جنوب الجزيرة ، كما تعرفنا بتلك المرحلة على ازدهار مملكة عربية أخرى في شمال الجزيرة وهي مملكة الأنباط التي امتد نفوذها إلى دمشق والفرات ، وكذلك إلى جميع واحات **الحجاز** المزدهرة آنذاك ، ومنها **مدائن صالح (الحِجر)** ، **والعُلا (دادان)** ، و **(تيماء)** التي تعاظم شأنها التجاري بفضل تعاونها مع **سبأ** عن طريق عاصمة **الأنباط** المنيعة **(البتراء)** ، وهي التي كانت تسمى **(سلع)** أو **(الرقيم)** والتي دام مجدها حتى عام ١٠٥ ميلادي ، عندما تمكن قيصر **روما (تراجان)** من دكها نهائياً بعد أن كانت مملكة **الأنباط** هذه حليفة **لروما** وساعدتها على احتلال **الإسكندرية** ، وناصرت **تيتوس** في سحق **اليهود** وطردهم من المنطقة التي كانوا قد استقروا بها في **بلاد كنعان (فلسطين)** عام ٧٠ ميلادي . وهدم الهيكل الذي سبق أن بناه **الفينيقيون** للملك **سليمان الحكيم** ، كما كانت عام ٢٤ قبل الميلاد قد ساعدت **روما** أو ربما أغرتها بمحاولة الاستيلاء على بلاد **سبأ** . لكن **الرومان** بعد أن قضوا على مملكة **الأنباط** ومدنيتها

المتقدمة لم يتمكنوا من القضاء على **عرب** شمال الجزيرة ومدنيتهم ، كما أن **الفرس** عندما وصلوا إلى بلاد **حمير** لم يتمكنوا من التأثير على طبائعهم وهويتهم وتمسكهم بانتماءاتهم العربية والقبلية ، الواقع الذي بدا جلياً عند ظهور الإسلام لما أرسل إليهم الله نبياً عربياً منهم فأسرعوا لنصرته والانضمام تحت رايته واعتناق الديانة السماوية دون تأخير أو تردد ، والقضاء على تسلط **الفرس** ، كما سبق أن قضوا على تدخل **الأحباش** بالتعاون مع **فارس** .

وبعد هذه النظرة العامة على شمال وجنوب الجزيرة ومملكتيها العربيتين العظيمتين ، **الأنباط** في الشمال **والحِميَريين** في الجنوب ، علينا أن نلاحظ بأن موجات العروبة الصاعدة من الجنوب عن طريق **الحيرة** شرقاً **ونجد** شمالاً **والحجاز** إلى **البتراء** من الشمال لم تنقطع ، وكانت لا تزال في القرن الثاني والثالث في منتهى الحيوية في منطقة **بلاد الرافدين والأهواز** أو عمق **سورية** الطبيعية ابتداء من بلاد **الأنبار والموصل** شمالاً إلى **حوران والأردن** جنوباً مروراً **بتدمر وحمص** ، أو عن طريق **الجوف ومكة المكرمة** وغيرها **بالحجاز** .

أما في بلاد الرافدين فقد أحاطت بها شرقي **الفرات** بلاد **الحيرة** التي امتدت إلى جبل **شمّر** وإلى **الأنبار** ، وفي شمال **ما بين النهرين (دجلة والفرات)** قامت مملكة **الحترا** وهي **الحضر** جنوب **الموصل** . وفيما وراء النهر جنوب شط **العرب** ازدهرت إمارات عربية غنية في (**المحمرة** ، وهي **الأهواز وعربستان**) ، حيث كان **عرب** الجنوب قد بنوا سداً عظيماً في موقع مدينة **الأهواز** حالياً . ومعلوم أن **عرب معين وسبأ** ومن سبقهم كانوا بلا شك أسبق الأمم لإتقان هذه الهندسة . وكنا قد علمنا من سياق التاريخ القديم أن هجرة عربية قدمت إلى منطقة **الأهواز في العراق** عند سواحل **الخليج العربي** ، ثم توسعت شمالاً حيث أسست الدولة **البابلية** الثانية وهي الدولة **الكلدانية** التي قضت على بني **إسرائيل** ونقلتهم إلى **بابل** عام ٥٨٦ ق.م .

وأما في القرن الثالث بعد الميلاد فقد أينعت أشجار الجذور العربية في كامل الجزيرة ، وظهرت فيها ممالك ذات شأن عظيم وسؤدد ، كما وصل إلى الحكم **بالإمبراطورية الرومانية** التي أحاطت **البحر الأبيض المتوسط** بكامله قياصرة من **العرب** . وهكذا فإنه إذا نظرنا إلى الوضع العام في تلك المرحلة لوجدنا الصورة التالية :

أولاً ـ في الجنوب كان التبابعة **الحميريون** يسيطرون على كامل جنوب الجزيرة حتى **حضرموت** ، وقد وصل مجدهم في مرحلة حكمهم الأولى إلى الأوج في المدة ما بين ٢٥٠ ـ ٢٧٠ ميلادي بعهد التبّع **ياسر يهنعم (ناشر النعم)** وابناه **شمّر وعمدان** ، (أما في المرحلة الحميّرية الثانية فقد

وصلت إلى أوجها بعهد **أبو كرب أسعد الكامل** وعدد من التبابعة من أولاده ومنهم **حسان وشرحبيل** ٣٨٥ ـ ٤٩٥ ميلادي) .

ثانياً ـ وصل إلى سدة الإمبراطورية الرومانية في هذه المرحلة أيضاً أسرة **سيفيروس** العربية من أهل **حمص بسورية** وهي المدينة التي تشكل باباً على الصحراء بالنسبة **للحيّرة وتدمر** حيث حكم **روما** من هذه الأسرة خمسة أباطرة كان آخرهم **الإسكندر سيفيروس** . ودام حكم أسرة **سيفيروس العربية السورية** على عرش **روما** من عام ١٩٣ إلى عام ٢٣٥ ميلادي . وقد لعبت **جاليا دومينه** وهي ابنة كاهن الكهنة في الشمال السوري وزوجة **سبتيموس سيفيروس** مؤسس الأسرة الإمبراطورية دوراً عظيماً في تاريخ **روما** حتى وفاتها عام ٢١٧ م .

ثالثاً ـ تربع على عرش **روما** عام ٢٤٤ ـ ٢٤٩ ميلادي الإمبراطور العربي الحوراني الملقب **بفيليب العربي** وهو الذي بنى مدينة باسمه **فيليبوفيل** في **حوران** وهي **بُسترا** حيث يوجد المسرح الروماني المدهش الذي يشاهد حالياً في **بُصرى الشام** .

تمثال للإمبراطور « فيليب العربي »
(من ممتلكات متحف « الفاتيكان » بروما)

كان قيصر روما الملقب بالعربي ، سادس إمبراطور من العرب يتربع على عرش روما بعد أن سبقه إلى سدة الحكم بروما خمسة أباطرة عرب هم من أسرة **سيفيروس** من أبناء **حمص** بسورية ، وكان آخرهم الإسكندر **سيفيروس** الشهير (الصورة السابقة) .

وقد تربع **فيليب العربي** على عرش **روما** بعد تسع سنوات من مقتل القيصر العربي الآخر الإسكندر المذكور .

حكم **فيليب العربي** الإمبراطورية التي كانت قد حوّلت البحر المتوسط بكامله إلى بحيرة تخضع جميع بلدان أطرافها **لروما** وذلك بين عامي ٢٤٤م ـ ٢٤٩م . واعتبر هذا **القيصر** العربي من أبطال **روما** ، وكما شيد مدينة تحمل اسمه في بصرى (**بسترا**) **بحوران جنوب سورية** التي كانت مسقط رأسه . وقد بنى في **بسترا** كما رأينا (**فيليبوبوليس**) مسرحاً رومانياً لا يزال قائماً إلى اليوم بعد أن تم إنقاذه من تحت الردم وترميمه ، كما أطلق عليه العرب لقب **فيليب الشهابي** نسبة لمدينة الشهباء القريبة من بُسترا ، وربما انتسب الأمراء الشهابيون **بسورية ولبنان إلى الشهباء** ، وهم يرجعون نسبهم إلى **قريش** أشرف قبائل العرب .

ونلاحظ ان حكم **فيليب العربي لروما** وحكم الأباطرة العرب الخمسة الـذين سبقوه قـد تزامن من العهـد الأول للملوك **التبع الحميريين** الـذين حكموا كامـل جنـوب الجـزيرة بين عـامي ١١٥ ق . م إلى ٣٤٥ ب . م ، في مرحلـة مجـدهم الأولي التي تلتهـا مرحلـة أخرى بعهـد **أبو كرب أسعـد** الـذي وصلت فتوحاته إلى مابعد بلاد **الرافدين** ، وكان أول من غطى **الكعبة** بالكسوة بعد انتصاراته المذهلة .

ويبـدو أن **فيليب** انحدر من بني **سليـح** اللـذين سبقـوا بني **غسـان** في استيطـانهم **حـوران** ، وتأسيسهم ملكاً مزدهراً في العمق السوري ، وقـد أرجعوا أنسـابهم إلى **الأزد** اليمنيين ، وهم الـذين انتصر عليهم سيـد المرسلين ﷺ في **تبوك** شمال **الحجـاز** قبـل انضمام أغلبهم إلى الـدعـوة السماويـة ، وحـافـظ بعضهم على الديانة المسيحية إلى يومنا لاعتبارهم عرباً من أهل الكتب الأولى .

وفي عام ٢٤٨ م ترأس **فيليب العربي** الاحتفالات الرائعة التي كان تنظيمها بمناسبة مرور ألف عام على نشوء **روما** . ومن مفارقات التاريخ أن يكون عربياً هو القيصر الـذي احتفل بـأمجـاد **رومـا** قبل أن يهـزمهـا العرب في **اليرمـوك** ، ويقضي عليهـا المسلـمون نهـائيـاً بعـد احتـلال عـاصمتهـا **بيزنطـة أو القسطنطينية ثم الأستانة** التي تحولت في يومنا هـذا إلى **استنبـول** بعهـد **تركيـا الحديثـة** ، بعـد أن لعبت دور أعظم عواصم العالم لمدة زادت على خمسة قرون كاملة بعهـد إمبرطوريـة **آل عثمان** ، عنـدمـا سيطر الهـلال على خُمس مسـاحـة الكرة الأرضيـة ، وقـد استـولى **آل عثمان** على **القسطنطينيـة (استنبول)** عاصمة إمبراطورية الروم عام ١٤٥٣ م .

رابعاً ـ ازدهرت مملكة **عربايا** في تلك المرحلة وهي التي ازدهرت حتى عام ٢٤١ ميلاديـة . وقـد اكتشفت آثارها المذهلة دائرة الآثار العراقية عام ١٩٥١م وأظهرت روعة بنائهـا وتمـاثيلهـا وهو مـاسبق ذكره .

خامساً ـ ازدهار مملكة **تـدمر** ووصولهـا إلى الأوج بعهـد **أذينـة والزبـاء** وتتويج ابنهما وهبـة الله بالإسكندرية إمبراطوراً بعد سيطرة **الزباء** على كامل البلاد التي تشكل شرقي إمبراطوريـة الرومـان ، وقد وصلت **تدمر** إلى أوج عظمتها بين عامي ٢٦٠ ـ ٢٧٢ ميلادي عنـدمـا امتـد ملكهـا من **مصر** إلى بلاد **أرمينيا** ، واحتلت ما يقرب من ثلث إمبراطورية **الرومان** الشاسعة . وكان الإمبراطور الروماني **جوليانوس** قد اعترف **بأذينة** قبيل مقتل الأخير في **حمص** والياً أعظم على مشرق الإمبراطورية .

حصلت هذه الأحداث العظمى وأطولها عمراً كان حكم الملوك التبّع لبلاد حِميَر وما إليهـا الـذي بدأ عهـدهم الأول من عـام ١١٥ قبل الميلاد إلى ٣٤٠ بعـد الميلاد ، ثم تلاه **العهـد الحِميَري الثـاني الـذي وصل إلى الأوج بعهد الكرب التبّع أبو كرب أسعد** كما رأينا ، وظل هذا المجد ملازماً للـذاكرة الشعبيـة العربيـة ، وكان ذلـك قبل أن تتوحـد الجزيرة ولأول مرة في التـاريخ بفضل معجـزة الإسـلام وسيـد المرسلين ﷺ بثلاثة قرون ونصف ، وهي التي كانت أول وآخر مرحلة يتوحـد بهـا مهـد العرب بفضل

اعتناق الدين الحنيف وحمايته من قبل **الخلفاء الراشدين** ، ثم وصول حملة الرسالة السماوية إلى مشارق الأرض ومغاربها .

ولنا أن نتساءل هل سيرى القرن القريب القادم وعياً قومياً كافياً وظروفاً مواتية لتحقيق وحدة أو اتحاد عربي ، من شأنه أن يحمي العروبة من أعدائها الذين يخططون سراً وعلناً على فرقة العرب واقتتالهم لتصرف طاقاتهم وإمكاناتهم ، ليس للتصدي للدخيل المتغطرس ومخططاته التوسعية عسكرياً واقتصادياً ، وإنما لحروبهم الداخلية ، ولإضعافهم عوضاً عن صرفها لاستمرار نهضتهم ولمواجهة أعدائهم الذين يبنون آمالهم على ماسيبيعونه للعرب من أسلحة وعتاد ومواد ، نتيجة لما تسببه خلافاتهم التي يتوقعونها ويسعون إليها من حروب أو إعداد لحروب أخوية ، ذلك أن الأعداء يعلمون مما عرفوه عن تاريخ العرب وما يلمسونه اليوم من بداية نهضتهم أن هذا العرق السامي لا فرق إن كان بدوياً أو حضرياً سريع التأقلم والاستيعاب ، وبإمكانه أن يقفز بظرف جيل أو جيلين إلى موقع الصدارة . وقد أثبت تاريخه بأنه جدير بالتفوق وإنتاج قيادات ذهنية وإدارية وعسكرية فائقة . إنما ضعفه الوحيد هو أنانيته وانفراديته التي التصقت بجميع مراحله التاريخية ، وذلك قبل الرسالة السماوية وبعدها وإلى يومنا هذا ، لكننا مع ذلك نميل للتفاؤل بمستقبل عنصر العرب البشري ، عندما يتمسك بعقيدته السماوية التي وحدّته ، نظراً لما أثبتته قابليته المدهشة لاستيعاب كل ماهو جديد ، وتفوقه نتيجة لما فعلت به البادية وشظف العيش فيها من عملية التصفية والانتقاء التي أدت إلى زوال الهزيل وبقاء الأفضل ، وذلك على جميع المستويات الذهنية والجسدية ، وكذلك ماأثبتته الدول التي أسسها في الجنوب منذ فجر التاريخ على أطراف الجزيرة ، وهو مما يظهر جلياً واضحاً ومذهلاً في فجر الإسلام وعهد الفتوحات . ولا فرق إن جاء هذا العنصر البشري من البادية مع شظف العيش فيها مما أدى إلى بقاء الأفضل ، أو جاء من جبال **اليمن** الشاهقة وقفارها ، ونضاله الدائم لاستغلال موارده الزراعية بواسطة الجد والعمل والابتكار اللازم ، ناهيك عن النشاط واليقظة للحفاظ على حياضه المهددة من أبناء جواره ، الأمر الذي صقله وجعله فعالاً وإدارياً حكيماً ، يتمكن من ممارسة التجارة العالمية وتنظيم طرقها وحماية مراكزها وصونها والعناية بسلعها وتأمين مصادرها وحسن تسويقها مع تدوين حمولتها والمحافظة عليها من التلف أو الهلاك ، وأيضاً وهو مااتضح جلياً في العهد الحميّري من مقدرته الحربية على تنظيم جحافله وقيادة جيوشه وأساطيله ، هذه الأساطيل التي كان لاغنى عنها لمجابهة الرومان واحتلال سائر بلدان **بحر الروم** التي انضمت لإمبراطورية الإسلام ، وكانت جيوش المسلمين الصاعدة من الصحراء محرومة من الأساطيل وجاهلة لاستعمالها وقيادتها لولا أبناء الجنوب كما سنرى تحت عنوان آخر .



تمثـــال إمبراطــور رومـــا « فيليب العربي » من مــواليـد بصرى أو « بسترى » في العمــق الســوري « حــوران » التي كان سكانهــا من بني « سليح » .

مملكة تدمر وإمبراطورية وهبة الله
التي شملت بلاد الفرس وبلاد
الرافدين وكامل سوريا ثم مصر

حيث تُوج وهبة الله إمبراطوراً
بالإسكندرية ثاني أعظم مدن الرومان

أو إمبراطورية العرب الأولى قبل الإسلام
في بلدان الهلال الخصيب وما جاوره

إذا اعتبرنا أن لقب إمبراطورية يطبق على المَلِك الذي يضم العديد من البلدان والممالك والشعوب المعروفة بتاريخها وحضارتها ، فإن مملكة **تدمر** حصلت على الحق بهذا التعريف والفخر . وبالرغم من أن هذا العز كان عرضاً ولم يدم طويلاً .

وجدير بالذكر أن برلمان **روما** نفسها أو المشيخة الرومانية منحت عام ٢٦١ م . **أذينة** ملك تدمر لقب **دوكونس أورينتس** أو نائب الإمبراطور على شرقي الإمبراطورية ، كما منح الإمبراطور الروماني **جاليانوس** هذا الملك العربي **أذينة** لقب إمبراطور فخري .

ومع اتساع حكم وسلطان **تدمر** لتشمل كامل بلدان الإمبراطورية الرومانية في المشرق وأغلبية مساحة ممالك آل **ساسان الفرس** أصبحت **تدمر** عاصمة لإمبراطورية أكثر اتساعاً من الإمبراطورية **الرومانية أو الساسانية** ، ولم تعد تدمر بعهد زوجة **أذينة** ، **زنوبيا أو زبينت أو الزباء** ـ كما سماها مؤرخو العرب ـ بحاجة إلى لقب يأتيها من روما ، ولكنها فرضته الأحداث على حقيقة واقعها المذهل .

مجد تدمر (٢٦٠ ـ ٢٧٢ م)

كان قد تم في نهاية القرن الأول بعد الميلاد تحويل طريق اللبان والتوابل والعديد من السلع النادرة والثمينة كما نعرف من طريق مأرب والبتراء إلى طريق بحرية خاصة بالرومان تمر **بالعقبة وجرش وبصرى ودمشق** ، **فضعفت مملكة الأنباط في شمال الجزيرة** ، **وتحولت دولة سبأ** التجارية إلى دولة زراعية وتوسع عسكري بعهد التبابعة **الحميريين** ، حيث اشتهر منهم **التبّع أسعد كامل** ، واتسع ملكه ليشمل مساحة كبيرة من البلدان المجاورة وربما البعيدة كما رأينا .

ثم أخضعت **روما مملكة الأنباط** وحولتها إلى **ولاية رومانية** (عام ١٠٦ ميلادي) لكن التجارة

العالمية آنذاك تحولت شرقاً إلى واحة مستقلة عن سلطة **الفرس والرومان** ، وتمتعت بذلك بالمركز الذي كان **للبتراء** ، وكانت **بلاد فارس** قد آلت إلى **الساسانيين** (عام ٢٢٦ م) . فازدهرت واحة النخيل هذه بشكل منقطع النظير ، وأصبحت **تدمر** مدينة من مدائن العالم وذاع صيتها حتى وصل إلى **الصين** ، بفضل تجارة الحرير وواردات **الصين** الأخرى . كما تمكنت **تدمر** وهي واحة تتدفق فيها المياه العذبة والمياه المعدنية وتزدهر فيها بساتين التمور ومركز التجارة العالمية ومن أتباع سياسة التوازن بين العملاقين المحيطين بها والمتصارعين للسيطرة على بلاد **الهلال الخصيب والسلطة على العالم العربي آنذاك .**

وهكذا لعبت تدمر الدور الذي لعبته **معين ومأرب والبتراء** وصور في **جزيرة العرب** ، وكذلك الدور الذي لعبته البندقية **فينيسيا بأوربا** في نهاية عهد النهضة ، حيث أصبح لهذه المدينة الأسطورية الحديثة العهد نسبياً أسطولاً وقوة رهيبة تمكنت بواسطتها من محاربة الإمبراطورية **العثمانية** العملاقة والانتصار عليها في بعض الحالات .

وتدمر شابهت في الماضي في القرن الثالث الميلادي ما وصلت إليه **البندقية** في بداية النهضة الأوروبية . وقد حبا الله **تدمر** من ميزات مكنت هذه المدينة الأسطورية الرائعة في ثروتها وجمال أبنيتها وشوارعها المنسقة من أن تلعب الدور الذي لعبته **البندقية** فيما بعد ، وذلك بفضل مركزها الاستراتيجي المنيع في قلب الصحراء ، والدخل الهائل الذي كانت تحصل عليه من التجارة العالمية ، وأهمها آنذاك **الحرير** وسائر السلع **الصينية** التي لم يعد لها أي طريق آخر بين الإمبراطوريتين المتحاربتين بجوارهما سوى **تدمر** ، لاسيما وأن **البتراء** كانت قد اندثرت على يد **الرومان** وأخذت **تدمر** مكانة **البتراء** كما ذكرنا ، وهكذا أخذ حكام **تدمر** المكانة التي كان **الأنباط** قد تمتعوا بها قبل ذلك لمدة سبعة قرون ، وهي المملكة التي يعود الفضل بتأسيسها أصلاً إلى **المعينيين السبئيين** الذين أوجدوا تلك الطريق العالمية وأنشؤوا مراكز لها كانت **البتراء** من أهمها .

قلنا بفضل هذا الموقع والتجارة وتنظيم جهاز الأمن المنظم لحمايتها ، أي وجود جيش مدرَّب تمكّن حكام **تدمر** من لعب دور تاريخي رفع **أذينة** وزوجته **زبينت (الزباء)** إلى مرتبة الأباطرة ، وأصبحت أعمالها وكأنها من الأساطير ، علماً بأنها تستند إلى الواقع بعينه دون تحريف أو تعديل ، ذلك أن ما حصل في القرن الثالث بعد الميلاد لا زال مسجلاً تسجيلاً دقيقاً في محفوظات **روما** .

كسرى وقيصر ثم تدمر

في عام ٢٦٥ تمكن كسرى بلاد **فارس شابور الساساني (شابور الأول)** من اجتياح **سورية** حيث انتصر على إمبراطور الرومان **فاليريانوس** الذي وقع أسيراً بيد **شابور الأول الساساني** . وهنا ظهر إلى ميدان العالم أحد كبار قواد العرب قبل الإسلام **أذينة (أوذينانوس)** عند **الرومان** حيث

تصدى ملك تدمر **لشابور** المنتصر وهزمه شرّ هزيمة ، فأنقذ **فاليريانوس** قيصر روما من أسره ، ولم يكتفِ **أذينة** بإيقاع الهزيمة بكسرى الفرس في **سورية** بل تابعه إلى **بلاد ما بين النهرين** حيث احتل **العراق** حالياً ، واستمر بملاحقة **الساسانيين** والإيقاع بهم إلى أن احتل بلادهم ووصل إلى أسوار عاصمتهم **تيسيفون** وهي **المدائن** عند العرب ، وهكذا خضعت **إمبراطورية الروم الشرقية والعراق** وقسماً كبيراً من **بلاد فارس** لهذا الملك العربي والقائد الباسل ، وهنا استحق **أذينة** تقدير روما وإعطائه لقب نائب الإمبراطور في المشرق ـ كما ذكرنا ـ الأمر الذي مدّ سطوته إلى **بلاد آسيا الصغرى** حتى شملت **أرمينيا** التي كان قد سبق **للرومان** أن ذاقوا الأمرين قبل أن يتمكنوا من إخضاعها لسلطتهم .

ويبدو أنه بعدما امتدت سلطة **أذينة** لتشمل كامل الأقطار والممالك الشاسعة ومنها ما كان خاضعاً **لروما** ، ومنها ما كان خاضعاً **للفرس** ، أو حتى من **بلاد الفرس** نفسها ، اضطرت **روما** وخشيت على ماتبقى من إمبراطوريتها من الوقوع تحت حكم **تدمر** التي أصبحت السيدة النافذة الأمر دون **روما** .

وهكذا دبرت **روما** مؤامرة حيث تمكنت من قتل **أذينة** غيلة وهو في (**أماسيا**) **حمص** ، كما قتل معه ابنه البكر وكانت زوجة أذينة وابنهما الثاني في **تدمر** فعاد المُلك إليهما . ولما كان الابن قاصراً خلفت **الزباء** زوجها على حكم الممالك التي كان **أذينة** قد أخضعها وحصل من **روما** على لقب إمبراطور فخري عليها . وكانت **زنوبيا** ـ أو **زينب** بالآرامية العربية وهي التي استمرت لغة التعامل مدة طويلة ـ على جانب من الجمال وقوة الشخصية (وهي التي كان **جذيمة** من **بني لخم** راغباً بالزواج منها مما يشير إلى العلاقة بين **اللخميين اليمنيين** وبين حكام **تدمر** أو شيوخها كما كانوا يسمونهم . فأشرفت على شؤون الدولة ، وكانت طموحة تريد أن يرث ابنها **وهب اللات** أو **عطية الله** إمبراطورية **الرومان** المتفككة الأوصال ، فأشرفت على الدولة بصفتها وصية على العرش ريثما يصل ابنها **عطية الله** القاصر لسن الرشد ، كما اتخذت لنفسها لقب ملكة الشرق وتحدّت بذلك **روما** وسلطانها ، وعقدت العزم على توسيع أرجاء ملكها على حساب **الروم** ، حيث ضمت إليها **بلاد مصر** الزاهية ، ووهبت ابنها **عطية** عرش مصر حيث نودي به قيصراً (وذلك بعد احتلال **جيش الزباء** لمدينة **الإسكندرية** التي كانت ثاني مدينة في الإمبراطورية بعد **روما**) ، وكان **وهبة الله** لا يزال قاصراً . ويعود الفضل في ذلك إلى قائدين فذين من قواد العرب قبل الإسلام هما **زباي وزيدا** من أبناء **تدمر** ، فاهتزت بذلك أركان **الإمبراطورية الرومانية** بين عامي ٢٦٥ ـ ٢٧٢ بعد الميلاد ، ولما امتدت هذه الإمبراطورية من أصقاع **مصر** إلى **أرمينيا** ومواجهة **بيزنطة (القسطنطينية)** التي أصبحت عاصمة **الروم الشرقية** فيما بعد ، قامت **الزباء** بضرب المسكوكات باسمها لتحل محل المسكوكات **الرومانية** التي كانت تحمل سابقاً رسم **أورليانوس** المنقوش عليها ، كما أمرت ببناء الحصون أو ترميمها ، وكذلك الترع والمعابد ، وجميع معالم الحضارة ، وهو مما تدل النقوش العديدة عليه .

وجدير بالذكر هنا أنه توجد ليومنا هذا بالقرب من **بيروت لبنان** بقايا قناطر لجر المياه اسمها **قناطر زنوبيا** .

ولما شعرت **روما** بأنها تتعرض الآن لما تعرضت له قبل نحو من أربعة قرون أي لسيطرة المشرق عليها وهو السامي العربي العرق واللغة والعقائد والحضارات ، وذلك عندما انتصر **هنيبال** على جيوشها ووصل ظافراً إلى **شمال إيطاليا** وسيطر على كل ممتلكات **روما** بما فيها **أسبانيا وفرنسا** ، عاودت **روما** مشاعر الخطر الذي سبق لها أن واجهته أمام تحديات **قرطاجنة** وحروبها العديدة معها بين عامي ٢١٧ ـ ٢٠٣ ق . م ، والتي لا تزال تعرف بحروب **البونيه** كما رأينا ، فجمعت كل إمكاناتها الحربية ، وترأس الإمبراطور **أورليانوس** بنفسه حملة لا هوادة فيها ، انتهت بانتصار **روما** على **تدمر** في معركة كبيرة في **أنطاكية** التي كانت لمدة طويلة عاصمة **لسورية** منذ العهد **اليوناني** . ثم تراجعت قوات **الزباء** باتجاه **الصحراء** والعاصمة العربية **تدمر** ، وترصدت **الزباء للروم** في منطقة **حمص** على **نهر العاصي بسورية** لكن **أورليانوس** المجرّب وجيشه المدرّب الظافر لم يترك لجيش **زنوبيا** الفرصة لاستعادة أنفاسه ، وهناك فقدت **الزباء** معركة فاصلة ، ثم لجأت بعد ذلك إلى عاصمتها **تدمر** التي حاصرها **أورليانوس** ، وأخذ **الزباء** أسيرة حيث أقامت تحت الحراسة بعد ذلك في **تيفولي** بالقرب من **روما** إلى أن توفيت ، وتقول المصادر أن **الزباء** كانت قد حاولت الهروب من **تدمر** بعد أن حاصرها **أورليانوس** راكبة على ذلول سريعة لتلجأ إلى **الحيرة** ، إنما لاحقتها قوات **الروم** وألقت القبض عليها عام ٢٧٢ م ، وهكذا لم تنج **إمبراطورة تدمر** من **قيصر روما** الذي أمر بأن تغلّ يدها بأطواق من ذهب وعرضها مسجونة في قفص حديدي على مركبة سار بها بعد عودته ظافراً إلى عاصمته ، وفرّج بذلك همّ **روما** وخوفها من أن تتكرر هزائمها أمام قوات **هنيبال** التي كانت ذكراها ما تزال ترددها الأجيال ، كما تفيد تلك المصادر أن تدمر ثارت بعد خروج **زنوبيا (الزباء)** منها مغلوبة مأسورة ، مما حمل **أورليانوس** آنذاك على الأمر بهدمها ودك معالمها للقضاء نهائياً عليها كما سبق **لروما** أن فعلت **بقرطاجنة** من هدم وتحطيم لدرس آثارها ومعالمها ومسحها من الوجود ، وهكذا أضافت الآداب الشعبية العربية اسمين لامعين **أذينة والزباء** لتعتزّ بها وتفاخر ببطولاتها ، كما هي الحال بالنسبة **لبلقيس وأبي كرب أسعد وسيف بن ذي يزن** في اليمن ، **وعنترة** في أواسط **الجزيرة** ، **وخالد بن الوليد (سيف الحق)** وصلاح الدين في عالم الإسلام .

وعندما نعلم كيف أن **الرومان** مسحوا نهائياً مدناً ذات حضارات عالمية **كقرطاجة (قرطاجنة) والبتراء وتدمر** نقدّر صواب رأي المؤرخ البريطاني **تونبي** حيث سجّل يقول : « لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من **العرب** » .

ويظل واضحاً لدى جميع المؤرخين أن **العرب** لم يمسحوا أيّاً من العواصم أو المدن التي احتلوها بعكس ما فعله الآخرون وحتى رافعو علم المدنية بأيامنا الحاضرة .

آثار تدمر العربية وانصهارها بالإغريقية ـ الرومانية

زالت **تدمر** كعاصمة لإمبراطورية أو حتى للمملكة بعد دكها وتحويلها إلى أنقاض على يد جيش الروم وانتقام قيصر **روما (غليانوس)** منها عام ٢٧٢ بعد الميلاد ، كما سبق **لروما** أن انتقمت من منافستها الشرقية **قرطاجنة الفينيقية** السامية المعالم والهوية في القرن الثاني قبل الميلاد .

واستمرت **تدمر** واحة **تمور** خصبة إلى أن احتلها **خالد بن الوليد** عام ٧٣٤ م حيث أقيمت عليها بعد ذلك حصون ومسجد ، وكانت قد أقيمت عليها كنيسة ودير روماني ثم نسيها التاريخ بعد أن تحولت عنها القوافل واندثرت معالمها الرائعة .

وظلّ ذكر أخبار **تدمر (بلميرا)** وملكتها **الزباء** وإمبراطورها العربي وهو **ابن الزباء (وهبة الله)** شيئاً من الأساطير ، إلى أن اكتشف حقيقتها المستشرق البريطاني **روبرت وود** ROBERT WOOD حيث دوّن بأنه ذهل لرؤية بقايا شوارعها العريضة المحاطة بمئات من بقايا الأعمدة التي كانت تزينها والتي لا زال بعضها صامداً يواجه الدهر ورياح الصحراء . كما شاهد آثار المعابد والقصور والحمامات وهندستها المعمارية الرائعة .

ومعلوم أن موقع **تدمر** ـ واسمها باللاتينية **بلميرا** أي واحة النخيل ـ فريد بميزته الجغرافية حيث أنه يتوسط بلاد الهلال الخصيب على مسافة متقاربة في البعد عن **دمشق** وغوطتها الغنّاء وسهول **حوران** المزدهرة آنذاك ، ومنها هضبة الجولان الممتدة على سفوح أعلى جبال سورية **جبل حرمون** الذي تغطيه الثلوج ، وبين أراضي **دير الزور** الخصبة التي يرويها **الفرات** ، مما جعل **تدمر** خير وريث لمدينة **البتراء** عاصمة **الأنباط** التي سبق أن قضى عليها **الرومان** عام ١٠٥ بعد الميلاد ، **الأمر** الذي حوّل مركز التجارة العالمية إلى هذه الواحة العربية ، لا سيا وأن تجارة الحرير كانت قد تحولت إلى الطرق البرية مارة ببلاد **فارس** لتصل إلى **تدمر** ومنها إلى بلاد عالم **البحر المتوسط** كما أشرنا إلى ذلك ، وقد حصل هذا الحدث التاريخي العربي في عز أوج الإمبراطورية الرومانية في مرحلة صراعها مع إمبراطورية **الفرس** ، الأمر الذي ساعد على ازدهار **تدمر** بين عملاقين يتطاحنان شأن تدمر في ذلك شأن **سويسرا** في مرحلتي الحربين العالميتين في هذا القرن .

صفة تدمر العربية المحضة

لقد تأثرت **تدمر أو تمر** باللغات الآرامية النبطية المستعملة آنذاك في سائر أنحاء المشرق العربي

من **النيـل إلى الفرات** . قلنا لقد تـأثرت **تـدمر** بـالفن المعاري المحيط بهـا وهـو المتقـدم جـداً في الإمبراطوريتين المجـاورتين لهـا ، وهي إمبراطـوريـة **الفرس** وإمبراطـوريـة **الروم** ذات الفن المعاري المدهش ليومنا هذا . ولكن **تدمر** لم تبتعد مطلقاً عن هويتها العربيـة الآراميـة الساميـة أي عن رقـة الذوق في البناء ، ولغة الأنباط الغنية بالعلم والشعر والتي لا تزال معروفـة ومستعملـة ليومنـا هـذا على المستوى الشعبي في كامل عمق الهلال الخصيب . أما علاقـة **تـدمر** بمن جـاورهـا فـإننـا نعلم أن **جـذيمـة العربي اللخمي** صـاحب **الحيرة** قـد رغب بـالـزواج من **الـزبـاء** ، كما وأن **الـزبـاء** أغرت أحـد الأمراء **بالحيرة** كما سنرى من الأخبار لاحقاً .

وتجعلنا هذه الأخبار نميل للاجتهاد أن ملـك **أذينـة** كان مستنـداً إلى منـاصرة **بني لخم في الحيرة وبني سليح في حوران وآل كندة** في أواسط **الجزيرة والحجاز** ، إذ لو لم تكن لديه تلك القوى والسند القبلي لما تمكن من إلحاق الهزيمة بجيوش **الساسانيين** العرمرمه المماثلة لجيوش **الروم** أنفسهم .

ديانة تدمر

كان **العرب** قبل الإسلام يدينون بـالنظـام الشمسي ويعبـدون إمـا الشمس أو القمر وحتى الزهراء ويقيمون المعابد للشمس أو القمر في مدائنهم ، ويهتمون بعظمة بنـائهـا وزخرفتهـا عنـدمـا تتيسر لـديهم المادية اللازمة لذلك .

وكان **العرب** في الشمال ومنهم أهـل **تـدمر** يعطـون الأولـويـة للشمس ، أمـا أهـل الجنـوب **اليمن** فكانت الأولـويـة عنـدهم لـلإلـه القمر أو **المقـه** بلغتهم العربيـة القـديمـة كما نعلم ، واستمر عرب الشمال والجنوب يؤلهون الشمس والقمر ، إلى أن جاء قوله تعالى فاصلاً نهائياً لعهـد الوثنيـة حيث نزلت الآيـة الكريمة :

﴿ ومِنْ آيـاتِـهِ الليـلُ والنَّهـارُ والشَّمسُ والقَمَرُ لا تَسْجُـدوا للشَّمسِ ولا للقَمَرِ واسجُـدُوا للهِ الـذي خَلَقَهُنَّ إنْ كُنتمْ إيَّاهُ تَعْبدونْ ﴾ (صدق الله العظيم) [فصلت ٤١/٣٧] .

وهذا ماذكرناه بمناسبة أخرى عند الحديث عن مملكة **عربايا (الحضر)** جنوبي **الموصل** .

مجوهرات وحلي هيكل الشمس ونقلها إلى روما

لا تزال آثار هيكل الشمس الرائع **بتدمر** ظاهرة تدهش السائح وتذكر المصادر الرومانية أن قيصر روما **جوليانوس** استولى على ما جمع من المجوهرات والحلي النادرة التي كانت تزّين هذا الهيكل المـذهل بروعته وعظمة بنائه ، مما ينافس أو يزيد على آثار المعبد الماثل في **بعلبك** العالمي الشهرة .

ثم نقل **جوليانوس** المنتصر على **تدمر** وملكتها **الزباء** جميع هذه التحف من المجوهرات ومـا إليهـا إلى عاصمته **روما** حيث أقام فيها معبـداً للإلـه الشمس تكريسـاً وشكراً لانتصـاره على **تـدمر** . وتحسن

الملاحظة هنا وهي التي أجمع عليها المؤرخون بأن **روما** لم تعمل لفرض آلهتها على من حكمتهم ، بل كانت تتبنى أعظم الآلهة التي كانت مقدسة أو معبودة من رعايا إمبراطوريتهم الشاسعة . ولم يفرض **الروم** إلهاً واحداً معبوداً إلا بعد اعتناق القيصر **قسطنطين الأول** باقي القسطنطينية الديانة المسيحية وفرضها على جميع رعايا الإمبراطورية .

الفن المعماري لتدمر

لا شك في نوعية حضارة **تدمر** وهي عربية الجذور واللغة ، أما فيما يتعلق بفن العمارة فقد أجمع الخبراء في هذا المجال أيضاً على اعتبار فن العمارة التدمري مستقلاً عن سواه وفريداً بنمطه ، بالرغم من تأثره الواضح بالفن الإغريقي الروماني وحتى بالفارسي ، لكنه مع ذلك ظل فريداً لتأثره بالفن المعماري العربي الموروث من عهد **الأنباط** ، وهو الذي سبق عهد **تدمر** بعد ما ورثت هذه مركز **البتراء** مباشرة بعد تهديم **البتراء** عام ١٠٥ من قبل قيصر روما **تراجانوس** والقضاء عليها نهائياً كما ذكرنا سابقاً ، وهكذا يمكن القول أن فن العمارة **بتدمر** كان عربياً نبطياً متأثراً إلى حد ملموس وظاهر بالهندسة الإغريقية ـ الرومانية لكنه أرق منها وأميز ، مما جعل **تدمر** بنظرنا أروع الآثار إجمالاً وأكثرها عظمة في ربوع **الشرق الأوسط** بكامله ، أما بالنسبة لضخامة الآثار فتظل المرتبة الأولى من حق منشآت الفراعنة في **وادي النيل** دون منافس .

التأثير الحضاري العربي في عهد تدمر قبل دمارها وبعده

يحسن التقارب هنا تاريخياً بين حضارة **الأنباط العرب** في **البتراء** التي هدمها **تراجانوس** عام ١٠٥ ميلادي وبين مجد **تدمر** الذي بدأ بعد ذلك ليصل إلى أوجه بعد أقل من ١٥٠ سنة (٢٥٠ ميلادي) ، ثم تهديم **تدمر** ودكها نهائياً عام ٢٧٢ ميلادي .

وهنا يتبين لنا أن حضارة العرب كانت قد انتقلت من الجنوب إلى الشمال في عهود سابقة عن طريق اللبان والتوابل وسواها الذي كان يصل **المحيط الهندي بالبتراء** غرباً ، وكذلك عن الطريق التقليدي القديم وهو طريق موجات النزوح البشرية الذي يمر شرقاً ببلاد **ما بين النهرين** والذي استقر في عهد **تدمر** وعظمتها ، كما استمر عهد ازدهار **الحيرة** بعد هلاك **تدمر** وحتى عهد الرسالة السماوية . إن هذه الحضارة كانت على أوجها في شمال الجزيرة بعد أن طُعِمَت وتطعَّمت بالحضارة الإغريقية الرومانية وبقايا حضارات **مصر والفرس** . كما تكرّس هذه الحضارات بظهور شخصيات فذة من العرب في القرن الثالث بعد الميلاد مما جعلهم يصلون إلى سدة الحكم الروماني ويجلسون على عرش هذه الإمبراطورية العظمى .

أخبار تدمر وكأنها من الأساطير

ولا يسعنا أن نتحدث عن **بالميرا (تدمر) وما كانت عليه عندما نُودي في مصر بعطية الله بن**

الزباء القاصر قيصراً ، وما وصلت إليه بعد خرابها وتدميرها من قبل **أورليانوس** عام ٢٧٢ ميلادي ، قلنا لا يسعنا التحدث عن **تدمر** وماآلت إليه بعد عظمتها دون الإشارة إلى أنباء تهديمها في روايات العرب ، حيث أشار **المتنبي** في إحدى قصائده التي تروي فيها أحداث ما جرى **لبني كلب** قبل عهد **المتنبي** بسبع مئة سنة حيث قال :

وليس بغير **تدمر** مستغاث   **وتدمر** كاسمها لهم دمار

وهذا مما يؤكد بأن الذاكرة الشعبية لاتذوب بكاملها مع الزمن ، حيث يظل عالقاً بالذهن أكثر الأحداث أهمية على مصير الشعوب ، وكذلك فإن ذكر انهيار **سد مأرب** وهو الذي خلّد ذكره القرآن الكريم بقي في الأذهان ، وأيضاً بطولة **سيف بن ذي يزن** تغلب على النسيان لافي **اليمن** وحسب بل في العالم العربي أجمع .

لقد تعددت الأساطير حول **تدمر** وتاريخها المذهل حيث يقول **البكري** على سبيل المثال أن « الجن ساعدوا في تشييد هذه المدينة الرائعة » كما يفيدنا **ابن الأثير** أن الملكة **بلقيس** دُفنت في **تدمر** بعد زيارتها **لسليمان الحكيم** .

وهناك روايات حول علاقة **الزباء بجذيمة** أحد أمراء **اللخميين** ملوك **الحيرة** كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وأنها أغرته ثم قتلته بقطع شرايينه ، وأنها تناولت سمّاً بعد ذلك وماتت ، والذي نفهمه من هذا أن مملكة **بنو لخم** في **الحيرة** كانت قائمة عندما وصلت **تدمر** إلى عزّ مجدها ، ولا يستبعد أن يكون **اللخميون** قد تعاونوا مع **أذينة** في محاربة **الفرس** عندما استولى **أذينة** على بلادهم كما ذكرنا ، لكننا نعلم علم اليقين أن **الزباء** كانت تدافع عن عاصمتها (**بالميرا**) **تدمر** بعد حصارها من قبل **الرومان** ، وأنها نُقلت إلى **روما** ، وعَرَضها القيصر في عربة إلى آخر ماذكر سابقاً . ذلك أن **روما** كانت في القرن الثالث بعد الميلاد (٢٧٢ م تاريخ سقوط **تدمر**) تسجل كل ماجرى ويجري في ممتلكاتها ، إن في النقوش أو الكتابات التي كانت قد عمت إمبراطورية **الرومان** المتقدمة في جميع المجالات ، وتولى المؤرخون سرد الوقائع بالدقة النسبية التي تسمح للمؤرخ أن يدوّن بها الأحداث مع إعطاء الهوى مجاله الأمر الذي لامفر للمؤرخين منه .

أما بالنسبة لكتب التاريخ ، وبالنسبة للروايات والأساطير فإن مجال الخيال فيها أوسع بكثير مما هو مسجل . فلو أخذنا بحرفية ماجاء في مؤلفات **المسعودي** وسواه على سبيل المثال لتبين لنا بوضوح وجلاء مدى الخيال فيما استند إليه من روايات ملوك عاشوا مئات السنين ونحو ذلك مما لا يقرّه العلم مطلقاً .

وأما النقوش التي عثر عليها في **تدمر** فأغلبها يتعلق بالمكوس الجمركية والضرائب . وكانت اللغتان المستعملتان معاً على النقوش هما الإغريقية (أي اليونانية) ولغة أهل **تدمر** وهي الآرامية العربية

القديمة التي ظلت مستعملة في **بلاد الهلال الخصيب** بكامله ، إلى أن جاء الإسلام وأخذت لغة القرآن الكريم وهي النبطية بلهجة قريش مكانتها السامية فقضت إلى حدّ كبير على اللغات واللهجات السامية والعربية الأخرى التي انصهرت بكاملها في لغة التعامل والمخاطبة والأدب ، وهي لغة قريش المشتقة عن النبطية كما هو معلوم . واندثرت اللغات والآداب واللهجات الأخرى ، ومنها لغة أهل الجنوب أو ما يسميها الأخصائيون بلغات جنوب **الجزيرة العربية** .

أما القلعة التي بنيت في **تدمر** بمرحلة لاحقة من أحجار ضخمة ، انتزعت من بقايا الآثار فيعزى بناؤها إلى الأمير **فخر الدين المعني** التنوخي الذي استولى على **سورية ولبنان** في نهاية القرن السادس عشر ميلادي . كما سنرى في فصل لاحق . وكان الأميران **فخر الدين المعني الأول والثاني** ، وهما من القبائل **التنوخية** المنتسبة إلى **اللخميين** المنتسبين بدورهم إلى **معين** ، كما كانوا قد اعتنقوا المذهب **الدرزي** وهم يفخرون بأنهم من بني تنوخ **اليمنيين** ويعرفون الآن في **سورية ولبنان ببني معروف** ، حيث أنهم ما زالوا يحافظون على ميراثهم التقليدي في الشجاعة والوفاء وسائر المزايا القبلية الموروثة . ومعلوم أن **أمير البيان** الكاتب والأديب المفكر والشاعر العربي ، الأمير **شكيب أرسلان** قد أعاد نسبه إلى بني لخم اليمنيين .

أوصاف تدمر :

من ينظر إلى **تدمر** الآن يذهل لرؤية آثارها ، كما حصل عام ١٧٥١ م للمستشرق Robert Wood (**روبرت وود**) المذكور آنفاً ، حيث علم من أطلال تلك العاصمة أنها كانت في عزها ـ أي في القرن الثالث للميلاد ـ مثلاً رائعاً لتصميم المدن الفخمة ، منسّقة التخطيط ، والمحتوية على أروع آثار العمارة وأعظمها .

كما يدهش المرء عند معرفته أن الحجارة الضخمة التي بنيت منها بعض المعالم ، وهي من أصلب أنواع الغرانيت ، نقلت إليها من **شلال النيل الأول** ، أي على مسافة تزيد عن ألفي كيلومتر .

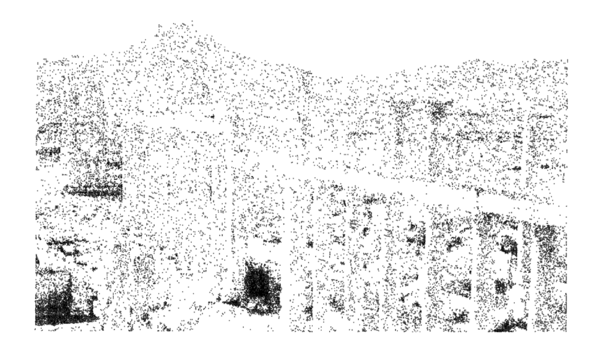
وكان يحيط بشارع المدينة الرئيسي **الجادة الكبرى** ٧٥٠ عموداً من الرخام الأبيض الوردي وارتفاع كل عمود يناهز ١٧ متراً (٥٥ قدماً) ، ولا تزال بعض تلك الأعمدة قائمة حتى يومنا هذا مما يبهر البصر . فهل هي **إرم ذات العماد** أم أن **إرم ذات العماد** التي جاء ذكرها في القرآن الكريم هي رام ، التي اكتشفت آثارها في **الأردن** ؟ أم أنها في **اليمن** كما يظن البعض ؟ وكما نميل لتأييده لأكثر من اعتبار واستناداً لأصدق الأخباريين الذين اعتبروها واقعة على أطراف **اليمن** وهو ما سنعود لذكره عند الحديث عن **الربع الخالي** .

ويزين **تدمر** قوس نصر عظيم وهيكل للشمس **معبود تدمر الأكبر** ، ويعتبر هيكل الشمس في

بالميرا والشارع الكبير الممتد أمامه وأمام المعبد من أروع الآثار التي تمّ اكتشافها حتى يومنا هذا في العالم أجمع .

وهكذا يمكن للمرء أن يتأكد من أن حضارة العرب التي عرفتها شبه جزيرتهم في العهد القديم وكذلك في عهد الروم كانت في منتهى الرقي والتقدم .

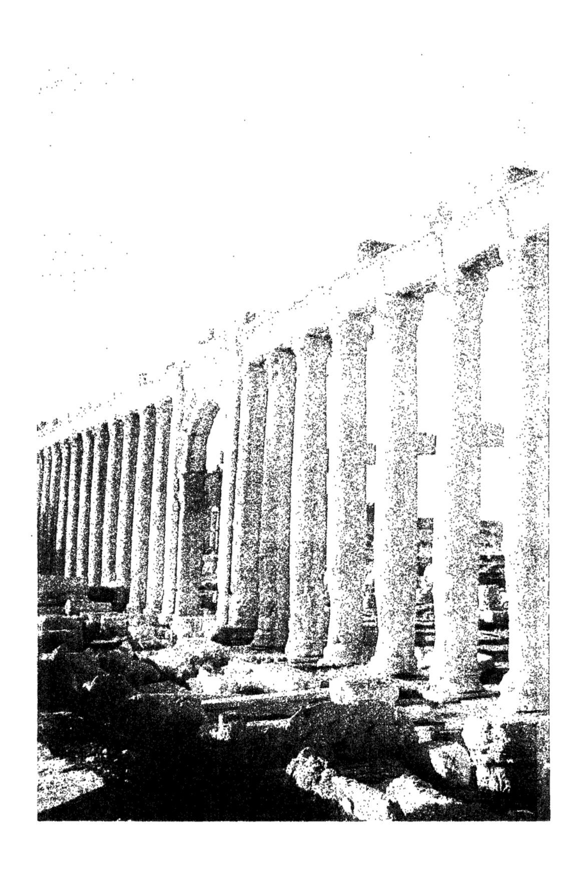
ونلفت النظر إلى أن منطقة تدمر كانت دائماً أحد مراكز بني كلب حتى عهد **الأمويين** .



آثار (تدمر) إحدى أهم مراكز التجارة العالمية عبر الصحراء . تحولت إلى عاصمة لإمبراطورية عربية بعهد (أذينة) و (الزباء) بعد أن ورثت مجد (البتراء) عاصمة الأنباط . وقد استولت بعدهما ٢٦٥ ـ ٢٧٢ ميلادي على ثلث الإمبراطورية الرومانية ومنها الإسكندرية وحتى بلاد فارس وأرمينيا . وكانت قد تناوأت مع الحيرة بعهد اللخميين ، ثم أصبحت أحد مراكز اليمانية (بنو كلب) بعهد بني أمية ، عندما كانت منطقة تدمر مقرّاً لأسرة ميسون زوجة معاوية ، وكذلك لزوجة يزيد اليمنيتين وهم من بني بحدل من قبيلة بني كلب .

وكانت ميسون تزور قبيلتها في تدمر يصحبها ابنها يزيد . وهي التي تنسب إليها القصيدة المشهورة التي تقول فيها :

لبيت تخفق الأرياح فيه	**أحبّ إليّ من قصر منيف**
ولبس عباءة وتقر عيني	**أحبّ إليّ من لبس الشفوف**



بنـو لخم في الحيرة غربي الفرات ، وبنـو كنـدة في نجـد وبـاتجـاه الجنـوب . وملـوك (الحضر) المنتسبون إلى « قُضاعـة » . وبنو غسّان في العمق السوري . وبنـو كلب في « تدمر » وباديتها

وجميعهم ممن هاجروا من الجنوب إلى الشمال بمراحل عديدة منها عقب انهدام سد مأرب بسيل العرِم وقبل ذلك الحدث بكثير

علمنا من سياق العناوين السابقة في هـذا الكتـاب وسواه أن الممالـك أو الإمـارات العـديـدة التي نشأت وترعرعت في الشمال تعود أصولها إلى جنوب الجزيرة العربية كما رأينا تحت هـذا العنوان ، وأننـا سنشير هنـا إلى بعضهـا قبـل أن نتعرض لمساهمـة اليمنيين بـالفتـوحـات الإسـلاميـة وخلفيـات ذلـك الحضارية .

دولة بنو لخم والمناذرة ودولة الغساسنة

ثم كندة اليمنية في المراجع العربية

نقلت شتى المراجع العربية عن **أبي الفداء** في تاريخه ، وعن **الأصفهاني** في **مختصر تـاريخ البشر** ، وعن **المسعودي** في **مروج الـذهب** أن بني غسـان الـذين حكموا في **سوريـة** هم من عرب الجنوب ويعود نسبهم إلى **عمرو بن عامر بن ماء السماء** ، وأنهم هاجروا إلى أرض **حوران** بعد انفجار **سدّ مأرب** .

ثم ازدهرت دولة **الغساسنة** في القرن السادس للميلاد ، كما تعاصرت هذه الدولـة مع دولـة عربيـة أخرى كانت قـد تمركزت منـذ أمـد بعيـد غربي **العراق** في **الحيرة** ، وهي دولـة **اللخميين** الـذين يعـود أصلهم إلى جنـوب **الجـزيرة** ، وكان قـد ازدهر ملكهم في عهـد **المنـذر الأول ابن النعمان** نحـو (١٤٨ - ١٦٢ م) .

كما ذكرت المراجع العربيـة والبيزنطيـة الكثير عن هـاتين الـدولتين اليمنيتين الأصل وعن حروبها خاصة الحرب الطاحنة التي قادهـا **الحـارث الثـاني ابن جَبَلـة** ملـك غسـان (٥٢٩ - ٥٦٩) ، **والمنـذر الثالث ابن ماء السماء** ملك الحيرة (المتوفى سنـة ٥٤٥) ، وتفيـد المراجع أن بني **اللخميين** هم أيضاً من أصـل يمني ، سكنـوا **الحيرة** حيث شقـوا السـواقي والترع في السهـول التي ازدانت بـالحقـول والحـدائق

والنخيل ، وقد عُرفت **الحيرة** بجودة مناخها حيث قال عنها **العرب** (يوم وليلة **بالحيرة** خير من دواء سنتين) كما تذكر المراجع العربية أن الأمير **جذيمة** أراد الزواج من **زنوبيا** ملكة **تدمر** . وأنه أسس إحدى إمارات دولة **لخم** التي ضمت **الأنبار والحيرة** معاً .

كما جاء في تلك المراجع أن **عمرو بن هند** (٥٥٤ ـ ٥٦٩) جعل من **الحيرة** موئلاً للأدباء والشعراء .

ومن أمراء **الحيرة** اليمنيين الأصل **امرئ القيس** الأسبق المتوفى (٣٣٨ م) الذي وجد العالم الفرنسي **دوسو** Dussaud ضريحه في **النّمارة بالصفا** في **حوران** (**سورية**) حيث كتب على الضريح بالخط العربي الشمالي القديم « هذا ضريح **امرئ القيس** ملك كل **العرب** صاحب التاج » .

ومن الواضح استناداً للمراجع العديدة أن **الغساسنة** الذين هاجروا من **اليمن** في مرحلة لاحقة بالنسبة **للّخميين** تعاملوا مع **البيزنطيين** ، وأن **اللخميين** تعاملوا أيضاً مع **الفرس** ، وقد عرف الطرفان بالحروب العديدة فيما بينهم ، وكذلك حروبهم ضد **البيزنطيين والفرس** ، ثم جاء ذكر إمارة عربية أخرى اشتهرت قبل الإسلام ، هي دولة **كندة** التي يبدو أنها ازدهرت أيضاً بفضل التجارة وحماية قوافلها من الجنوب حتى بعض المراكز في الشمال ، وتقول المراجع العربية أن ملوك **كندة** كانوا في جنوب **الجزيرة** وكانوا عمالاً لتبابعة **اليمن** ، وكلمة تبابعة جمع (تُبَّع) وهو لقب عظماء ملوك **اليمن** في العهد الحميري . وتضيف تلك المراجع أنه لم تعرف **الجزيرة** سواهم نودي بزعيمهم ملكاً في تلك المرحلة (القرن الرابع للميلاد) ، ويظهر أنهم وسّعوا سلطانهم في وقت ما ليشمل أواسط **الجزيرة** ، وذلك بفضل التجارة وحمايتها كما ذكرنا ومعرفتهم بمصادرها الجنوبية ، وهناك روايات وأشعار عديدة يتداولها **العرب** عن النزاع والتنافس على زعامة **العرب** في شرقي **الجزيرة** وشمالها . أما الشاعر **امرؤ القيس** صاحب إحدى المعلقات فيبدو أنه انتسب إلى الأسرة **الكندية** الملكية هذه ، كما يبدو أنه غير **امرئ القيس** الذي اكتشف العالم **دوسو** ضريحه في **حوران** والذي يعود للقرن الرابع الميلادي ، هذا وقد اشتهر من أهل **كندة** النبي الكذاب المعروف باسم **المقنع** ، كما أن الفيلسوف **يعقوب بن إسحاق الكندي** يرجع نسبه إلى قبائل **كندة** التي تعاملت مع تبابعة **اليمن** كما رأينا ، وهي التي تعود أصولها إلى **قتبان** وعاصمتها **شبوة** ، لكن بعضهم استقر في مراكز الطرق التجارية العالمية في أواسط **الجزيرة** وربما أيضاً في شمالها ، وقد يكون **امرؤ القيس** الأخير الذي عثر المستشرق **دوسو** على ضريحه في **حوران بسورية** يعود أصله إليهم مثله مثل العديد من أبناء الجنوب الذين تمركزوا نهائياً في الشمال ، وما الحرب التي عاشها **لبنان** في القرنين السابع عشر والثامن عشر بين **القيسيين واليمنيين** والتي لاتزال أخبارها وجذورها ظاهرة حتى أيامنا هذه سوى الدليل على النزاعات التقليدية والموروثة بين أبناء **الجزيرة** .

خلفيات عهد بني غسان
ومناصرتهم للفتوحات والحكم الإسلامي

نستطيع القول أنه لو لم يكن للعرب قواعد عنصرية في **بلاد الشام** مؤلفة أصلاً من الموجات اليمنية التي صعدت في مراحل قديمة سابقة ، لما تيسرت انطلاقة الإسلام العربية من **الحجاز** حيث ساعد الله المسلمين وأيدهم بواسطة انضمام عرب شمال **الجزيرة** دون عناء للفتح الإسلامي المذهل ، فلو لم تكن في أذهان وطبيعة القبائل النازحة أصلاً من **اليمن** بقايا وأصول مدنيات وحضارة الجنوب لما تمكنوا من تأسيس ممالك لهم على أطراف الإمبراطوريتين العملاقتين **فارس والرومان** .

ومن بين الممالك التي أسسها عرب الجنوب في شمال **الجزيرة** مملكة تمتعت أكثر من سواها قبيل الإسلام بنظام حكم مجرب وجيش مجهز ومدرب ، وقد استفاد من خبرة أبنائها خلفاء الإمبراطورية الإسلامية الأول في **دمشق الشام** ، وهي مملكة **الغساسنة** التي انضمت عناصرها إليهم ، وهي المتحضرة ذات المعرفة والعلم والخبرة بالإدارة ، وقد شكل انضمام هذه العناصر للإسلام دعماً ملموساً كان **بنو أمية** بأشد الحاجة إليه للمساهمة بتسيير أمور دولة عملاقة سرعان ما تحولت إلى إمبراطورية عالمية مترامية الأطراف .

بقي أن نتعرف على **بني غسان** وهم أول عنصر عربي ساند العصر الإسلامي في إدارته وتوسعه .

وتحسن الإشارة هنا إلى أن **معاوية** الخليفة الداهية تزوج من **مَيْسُون** من **بني بحدل** من قبيلة **الكلبيين الغساسنة** ، كما كانت **ميسون** كثيراً ما تزور قبيلتها في البادية بالقرب من **تدمر** وتصحب معها ابنها **يزيد** الذي تزوج بدوره من **بني كلب** المتقدمين على سواهم ، وهم ينتسبون إلى **الأزد** اليمانيين الذين كانت مساكنهم الأولى في بلاد **جوف اليمن** . كما أن **نائلة** زوجة الخليفة **عثمان** رضي الله عنه كانت أيضاً من **بني كلب** .

ونذكر هنا أو نذكّر بأن أهل **المدينة** الذين أسرعوا لنصرة **رسول الله** ﷺ قبل الهجرة كانوا من **الدوحة اليمانية** ، علماً بأن نبي الله ﷺ كان من **الدوحة العدنانية** المنتسبة إلى **إسماعيل** عليه السلام .

وهكذا تبين لنا أنه بعهد **الرسول** ﷺ توحدت الدوحتين العربيتين العدنانية الشمالية والقحطانية الجنوبية لكن هذه الوحدة لم تدم طويلاً .

نائلة زوجة **عثمان** كانت أيضاً من **بني كلب** . وكان **الأخطل التغلبي** شاعر العرش الأموي . أما **ميسون** زوجة **معاوية** وهي كلبية من واحة **تدمر** التاريخية .

كان **الضحاك بن قيس الفهري** زعيم **القيسية** أي العرب الذين استوطنوا بالشمال قبل غيرهم من **اليمنيين** وقد انتصر **لابن الزبير** بعد موت **يزيد** .

واصطدم **الضحاك** مع **بني كلب** اليمنيين أنصار **بني أمية** في معركة **مرج راهط** عام ٦٨٤ م بالقرب من **دمشق** ، حيث قُتل **الضحاك** وكانت الغلبة **للأمويين** بفضل مناصرة **اليمنيين** لملكهم ، ثم بايع اليمنيون **مروان بن الحكم** بعد تغلبهم على **القيسيين** .

استعان **معاوية** في توطيد عرشه وتوسيع الفتوحات الإسلامية على السوريين وأكثرهم يمانيون . كما اتفق مؤرخو تلك المرحلة على القول أنه لا شك أن **معاوية** كان دون **علي** في الفروسية والحرب ، ولكن أحداً من معاصريه لم يتقدمه في مضمار الإدارة والتنظيم الحربي . ثم أوجد من اليمنيين وأهل **الشام** منهم مادة حربية لتأليف جيش مدرب .

ويقول **المسعودي** أن العصبيات والضغائن التي قامت آنذاك بعهد **بني أمية** بين **بني قيس** النازحين من شمال **الجزيرة** وبين **بني كلب** اليمنيين كانت من العوامل التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الدولة الأموية .

الغساسنة من قبائل الأزد اليمانية

(المذكورون تحت عنوان آخر)

آخر العنقود من الدول العربية المتحضرة في شمال الجزيرة قبل الإسلام

علمنا ونعلم الشيء الكثير بواسطة النقوش والاستقراء عن الموجات العربية اليمنية التي وصلت إلى شمال **الجزيرة** عن الطريق الغربية التي تمر **بالحجاز** والبلاد التي استقر فيها أهل **ثمود** بعد نزوحهم عن مساكنهم الأولى في الجنوب بأطراف **الربع الخالي** ، وقد أصبح أغلبهم ممن وصل إلى البتراء (بلاد الأنباط) فأصبحوا **العرب** المستعربة لتداخلهم واندماجهم بمن سبقهم من **الساميين** ، وكذلك علمنا الكثير عن الموجات التي اتجهت إلى شمال شرقي **الجزيرة** باتجاه **شط العرب** وخيرات **الفرات** ، ومنهم كما رأينا **بنو كندة** الذين استقروا فيما بعد بأواسط **الجزيرة** ثم عادوا إلى **حضرموت** .

ووصلنا الشيء الكثير عن **بني لخم** و**المناذرة** الذين استقروا **بالحيرة** غربي **الفرات** وشمال **سورية** **وتدمر** ، ممن وصلوا إلى تلك البقاع قادمين من **اليمن** في مراحل قديمة ، أو بعد ذلك في القرن الأول للميلاد بالنسبة **لبني لخم** وقبائلهم .

ولا بد أن أحداثاً هامة حملت قبائل **اليمن** إلى النزوح كجماعات وشعوب منذ القرن السادس قبل الميلاد وقبل ذلك بكثير ربما بمئات أو حتى آلاف السنين . واتجهوا إلى المناطق المنخفضة من بلاد **الهلال الخصيب** شرقاً لكننا لا نعلم ما هي تلك الأحداث هل هي طبيعية كالزلازل والفيضانات ومراحل من الجفاف والقحط كما يحصل دائماً في مكان أو آخر من المعمورة ، أو نتيجة لحروب ومآسي افتعلها الإنسان كالخلاف على السلطة أو امتلاك الأراضي والنزاع السياسي والديني وحتى المذهبي والقبلي وغيره ، أو نتيجة للزحف الصحراوي على بواديهم وواحاتهم ، وهذا ما نميل لاعتباره أكثر من سواه ؟

أما الذين هاجروا غرباً عن طريق **الحجاز** فنميل للاعتقاد أنهم ممن رافقوا القوافل التجارية ، فكان بعضهم يستقر في المراكز الموزعة على الطريق ، وآخر يستقر في نهاية الطريق أي في **البتراء** وسائر بلاد **الأنباط** . أما بالنسبة **لثمود** وهم من العرب البائدة ، فلربما كانوا قد وصلوا سابقاً من منطقة **ثمود** جنوب **الربع الخالي** شرقي **حضرموت** كما أشرنا وقد حصل ذلك ، بعد أن طغت الرمال على بلادهم ، فاتجهوا شمالاً ليستقروا شمال غربي **الحجاز** والذي يؤكد ذلك هو العثور على رُقيم كُتب بخط أهل الجنوب ولغة أهل الشمال وفقاً لما سبق ذكره .

أمجاد الغساسنة

اطلعنا على أخبار **بني غسان** من مصادر عديدة وعرفنا الشيء الكثير عنهم من مراجع حديثة العهد نسبياً لا تحتاج إلى استنتاج أو استقراء ، ذلك أنهم وصلوا إلى **وادي الفرات** في مرحلة لاحقة بالنسبة لمن سبقهم ، واتفقت الكلمة والمصادر على أنهم رحلوا إثر انفجار وتهديم **سد مأرب** الشهير في عهوده الأخيرة ، ذلك أن السد استمر مهدوماً مهملاً ثم منسياً لمدة مماثلة قبل أن يتم اكتشاف آثاره في القرن الماضي وإعادة بنائه وتدشينه في عام ١٩٨٧ م كما سنرى .

وتفيد المراجع بأن **بني غسان** هم الذين حصلت الإشارة إليهم في القرآن الكريم : وتفرقوا أيدي سبأ ، وذلك عقب إحدى انفجارات السد المذكور قبيل ترميمه من قبل **شرحبيل** ٤٤٩ ـ ٤٥٠ م . حيث من الواضح أن السد العظيم تهدم مراراً ولدينا نقوش واضحة عن ترميمه مرتين ، الأولى بعهد **شرحبيل بن يعفر** المذكور ، والثانية بعهد **أبرهة الحبشي** عام ٥٤٣ ميلادي ، لكن **بني غسان** أنفسهم ينسبون بداية هجرتهم إلى انفجار السد في القرن الثالث للميلاد أي قبل ترميم السد من قبل **شرحبيل** بأكثر من مئتي سنة . مما يفيد بأن انهداماً آخر كان قد حصل في تلك المرحلة من الزمن .

وقد أرجع **بنو غسان** أنسابهم إلى قبائل أو قبيلة **الأُزد** اليمنية من عرب الجنوب ، وكان يرأسها **عمرو موزيقيا بن عامر** بن ماء السماء ، وأنهم لجؤوا إلى **حوران** حيث توجد **هضبة الجولان** جنوب **سورية** ، وهنا تمكنوا من تأسيس دولة مستقلة على يد **جفنة بن عمرو** المذكور .

وذكر **أبو الفداء** في تاريخه واحداً وثلاثين ملكاً منهم ، غير أن **الأصفهاني** جعلهم اثنين وثلاثين . أما **المسعودي وابن قتيبة** فجعلوهم إحدى عشر عاهلاً وحسب ، وما هذا الخلاف في تعداد ملوك أو زعماء **الغساسنة** إلا الدليل القاطع على أهمية أسرة **ابن جفنة** ابن حفيد **عامر بن ماء السماء** .

كما تفيد بأن **الغساسنة** اصطدموا في **حوران** مع من سبقهم وهم **بنو سُليح** ، وتحاربوا معهم إلى أن تغلبوا عليهم واستقروا في أرض **الجولان** (جبل الدروز) ، سابقاً جنوب **دمشق** .

ويمكن التساؤل بهذا الشأن فيما إذا كان إمبراطور **روما** الذي أطلق عليه اسم **فيليب العربي**

(عام ٢٤٤ ـ ٢٤٩ ميلادي) وهو من مواليد حوران كان من بني سليح الذين تغلب عليهم بنو غسان . وأخذوا مكانتهم في تلك البقاع .

ومهما يكن من ملوك بني غسان أو عدد هؤلاء الملوك ، فالذي يعنينا هو أن القبائل اليمنية استقرت منذ القرن الرابع للميلاد في جنوب شرقي سورية وجلبت معها حضارة بلاد الجنوب العربي العريقة ، كما جلبت معها الانقسامات القبلية التقليدية والعصبية المتناهية . كما وجدت محلياً مدنية بني سليح التي كانت سبقتهم ربما عن طريق غربي الجزيرة والبتراء .

أما بالنسبة للحضارة فقد وصل آل غسان إلى أوجها في القرن السادس للميلاد ، حيث حصل تنافس ونزاع بين من سبقهم في ربوع الفرات وفي عمق سورية ، وهم بنو لخم (اللخميون) ومنهم بنو المنذر ، وكانت عاصمة الغساسنة مدينة الجابية بالجولان ، وكانت أقرب واحات الحجاز إليهم هي واحة تبوك التي استسلمت لسيد المرسلين ﷺ ، ثم عين النبي على تبوك حامية في السنة التاسعة للهجرة المعروفة بسنة الوفود .

انتصار الحارث من بني غسان على المنذر من بني لخم

كان الخصام على أشده قبيل الإسلام بين بني غسان وبنو لخم ، وكان قد وصل النزاع بين الغساسنة واللخميين أقصى حدوده ، عندما تغلب الحارث الثاني ابن جَبَلة ملك غسان (٥٢٩ ـ ٥٦٩ ميلادي) على المنذر الثالث ابن ماء السماء ملك الحيرة المتوفى عام (٥٥٤ للميلاد) بعد معركة حاسمة قتل فيها المنذر بناحية قنسرين بشمال سورية ، ويعتقد البعض أن هذه المعركة هي التي عُرفت بـ « يوم حليمة » .

وقد أدى هذا النصر الغساني على اللخميين إلى حصول اعتراف بيزنطة بالحارث بن جَبَلة ملك الغساسنة ، باعتباره بطريكيورس وهي أعلى مرتبة يمكن الحصول عليها بعهد الروم الشرقيين بعد مرتبة الإمبراطور نفسه .

كما تفيد المراجع البيزنطية أن الحارث زار بلاط يوستنيانوس الأول بالقسطنطينية عام (٥٦٣ م) فأعجب القوم في بلاط القيصر بملك العرب المهيب .

وخلف المنذر بن الحارث على الملك في بلاد العمق السوري ، ثم هبَّ لمحاربة قابوس بن هند ملك الحيرة ، واستمر الصراع بين بني غسان (اليمنيين الجدد) وبين بني لخم (اليمنيين الأقدم عهداً) إلى أن دحر المنذر بن الحارث عدوه قابوس في معركة سجلها له الشعراء عرفت بمعركة « عين أباغ » .

وبعد خصام مع القسطنطينية (بيزنطة) عاد الوئـام بين قيصر الروم وملـك العرب بسوريـة والحيرة ، وهـو المنـذر بن الحـارث الـذي زار فيا بعـد عـاصمـة الروم ، حيث احتفى بـه القيصر طيباريوس الثاني . وتذكر المراجع أن الإمبراطور المذكور أنعم على المنذر بن الحارث بـالتـاج الأبهى عوضاً عن الإكليل البهي الذي كان يتقلده بالوراثة عن أبيـه ، وقـد أشعلت هـذه المكانـة الرفيعـة نـار العظمة عند الحارث والرغبة بالقضاء نهائياً على أعـدائـه اللخميين ، فكان لـه مـا أراد بعـد عودتـه من زيارة القيصر ، حيث أغار على الحيرة عاصمة اللخميين وقضى على ملكهم الذي سبق أن تناقلت أخبار عزه ورقيه روايات العرب وأشعارهم .

لكن العز الذي حصل عليه المنذر بقضـائـه على مجد أعـدائـه اللخميين لم يـدم طـويلاً ، حيث خشيت القسطنطينية من عنفوانه وتعـاليـه ، فـدبّرت إلقـاء القبض عليـه بمنـاسبـة دينيـة ونفتـه إلى صقليـة ، ثم خلف النعمان بن المنـذر أبـاه وشن غـارات متعـددة على بـلاد الروم إلى أن تمكنت القسطنطينية من أسره أسوة بما فعلته بوالده .

زوال دولـة غسـان بعـد زوال دولـة لخم ، والانصهـار في دولـة الإسلام وإمبراطـوريتـه الشاسعة ، وقد ساهموا بتأسيسها وفتوحاتها

وفي الأدب العربي الأقدم من عهد الرسالة السماوية الشيء الكثير عن تلك الحروب والنزاعات التي فرقت قبائل غسان ولخم إلى يومنا هذا ، وجدير بالذكر أن أسراً عـديـدة في سوريـة ولبنـان لاتزال متمسكـة بـأصولهـا القبليـة ، وتسجّـل معتزة بها وبـأخبـارهـا ، رغم زوال الـدولتين الأخيرتين في شمال الجزيرة قبيل ظهور الإسلام ، حيث انتهى الأمر بـأن سـار الجميع في ركاب الإسلام ، ووضعوا خبرتهم الإداريـة والحربيـة الثمينـة تحت تصرف قـادة العرب المسلمين الأول ، فكانـوا لهم خير معين في فترة الفتوحات ، كما خرج منهم العديد من القادة والحكّام ، علماً بأن بعضهم كان قد سبق له اعتناق الديانة المسيحية ، واحتفـظ بعقيـدتـه السماويـة ، دون أن يحرجـه المسلمون ليتخلى عنهـا بـاعتبـارهم من أهل الكتب السماوية والأصول العربية .

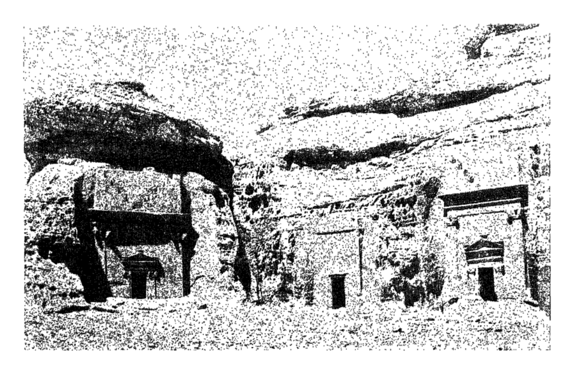
حضارة الغساسنة واللخميين بعد تدمر

لا شك أن حضارة دولتي بني غسان وبني لخم هي دون مـا وصلت إليـه حضـارة تـدمر وملكتهـا الزباء وابنها عطية الله أو وهبة الله ، وهو الإمبراطور الذي زال ملكه بعد سنة واحدة من المناداة بـه قيصراً في مصر بعد احتلال جيوش الزباء لثاني مـدن الرومـان وهي الإسكنـدريـة إلى جـانب سـائر الأنحاء الشرقية لإمبراطورية الروم . وفقاً لما جاء ذكره في فصل آخر خاص بتدمر ومجدهـا التليـد . هذا وقد نقل لنا الشعراء العرب أوصافاً خيالية لـما تمتع بـه بنو لخم في الحيرة وبنو غسـان في حوران

وسائر **أنحاء العمق السوري** ، من رفاهية وأدب ومجد ، وكذلك من فن في البناء وزخرفته ، وهو ما اندثر بسهولة بسبب نوعية مادة البناء في **بلاد ما بين النهرين** وهي **الطوب** ، لعدم توفر الأحجار في تلك السهول ، والطوب بطبيعته الترابية لا يقاوم تفاعلات الزمن والإقليم ، بخلاف ما كانت عليه بلاد **بني غسان في سورية** من مكانة ورقي ، حيث كانت القصور مشيدة من الرخام الأسود ، وأقواس النصر تملأ الأنحاء ، وآثارها لا تزال ظاهرة في **حوران** إلى يومنا هذا ، ومنها الحمامات العمومية والأقنية والصهاريج ، التي أبدع **اليانيون والأنباط** من قبلهم وبعدهم في حسن بنائها واستخدام مياهها .

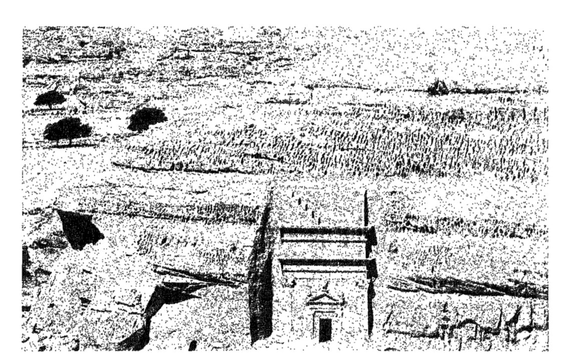
ونعلم أن بعض شعراء الجاهلية وفدوا إلى أمراء **غسان** فأحسن هؤلاء وفادتهم وبالغوا بإكرامهم ، كما حصل تنافس في هذا المجال بين **الحيرة** ، وبين ربوع **الشام** في **بُصرى** ، وفي « **الجابية** » عاصمتي **الغساسنة** ، ومن هؤلاء الشعراء أصغر أصحاب المعلقات السبع سناً وهو **لَبيد** الذي خلّدت أشعاره معركة **يوم حليمة** المشار إليها آنفاً ، وكذلك شأن **الذبياني** ، وأيضاً **حسان بن ثابت** الذي أصبح شاعر سيد المرسلين ﷺ .

وينسب إلى **حسان بن ثابت** بأنه وصف مجالس العرب في **الحجاز** وشمال **الجزيرة** بشكل يوحي بوجود ترف وبهجة ورخاء وذوق ، حيث غنّت في تلك المجالس فنانات من مختلف البلدان ، وحيث كان القوم يقومون بالشرب والطرب . إنما لا يعلم أحد صحة ما يرويه الشعراء بدقة ، ذلك أنهم يمتازون عن سواهم بكثرة المبالغة إلى جانب البلاغة المستحسنة والمحببة من **العرب** ، ربما أكثر من سواهم من الشعوب .



على الطريق إلى (البتراء) وغزة

آثار مدافن (الحِجر) واسمها اليوم مدائن صالح ، وكانت (الحجر) و (دادان) ، وهي العُلا حالياً وتيماء ، وتبوك ، في بلاد الحجاز مراكز لقوافل البخور والعطور والتوابل وسواها آتية عن طريق (يثرب) المدينة المنورة ، و (مكروباه) مكة المكرمة ، وهي المتصلة جنوباً بالطائف وبيشة وأبها و (نجرانا) نجران التي شكلت منذ العهد السبئي محوراً لطريق القوافل الواصلة إليها من جنوب الجزيرة عن طريق الجوف اليمني وهو المركز الأول لممالك معين ثم سبأ قبل انتقاله إلى صرواح ثم إلى مأرب .





آثار « جرش » ـ جراسا ـ في العهد القديم وهي في العمق السوري شرقي الأردن ـ المملكة الأردنية الهاشمية . وتقع جراسا على طريق القوافل التي كانت ترتبط ببلاد الرافدين وما وراء النهر ـ فارس ـ مروراً بمدينة بُسترا « بُصرى » في حوران ثم دمشق وتدمر . وكانت القاعدة التي ارتكز عليها خالد بن الوليد بطريقه من العراق إلى « اليرموك » .
ـ ولولا التجارة مع أهل الجنوب الصاعدين بحراً إلى العقبة وبرّاً إلى « البتراء » ، لما كانت (جرش) ولا كانت « البتراء » .
ـ لقد ازدهرت ـ جراسا ـ كنظيراتها (بلميرا) ـ تدمر ـ في العهد الروماني وهي تشبهها بتعدد الأعمدة التي زينت ساحاتها وشوارعها ومعبدها .

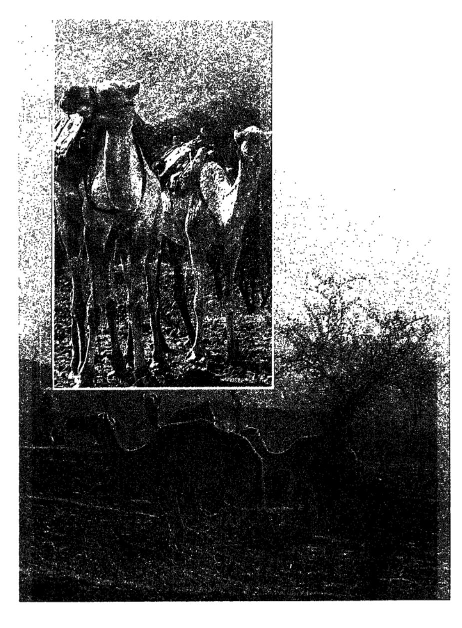
الهجين والبعير والقافلة

بعد أن اطلعنا على ماذكره المستشرقون وسواهم عن **جنوب الجزيرة** ، وأهمية الدور الذي لعبته الطرق التجارية العالمية ، وجب علينا أن نتعرف على وسيلة المواصلات التي سمحت بذلك . ونظراً للأهمية الكبرى للجمل على التنقل عبر الصحارى الشاسعة ، وتأثيره على تمكين أهل **اليمن** من تنظيم رحلات تجارية منظمة من **جنوب الجزيرة** حتى **شمالها** ، وتشبيهنا ذلك بما حصل في العالم المعاصر بحافلات وخطوط السكك الحديدية ، يحسن بنا أن نتعرف على هذا الحيوان القوي المطبّع والصبور .

وإذا اعتبرنا كما هو معروف بأن الحصان هو أنبل ماتمكن الإنسان من تدجينه ، يمكننا أن نؤكد بأن الدور الذي لعبه الجمل في حياة أهل الجزيرة والمواصلات فيها كان أكثر أهميةً ونفعاً لهم من الحصان . فالجمل هو الذي يغذي ابن البادية ، وهو أداة انتقاله ، وهو النقد الذي تقدر به الثروة ، وتتبادل به السلع ، والجمل حاضن لصاحبه يؤمن له شراب لبنه عوضاً عن الماء النادر الوجود في الصحارى ، وهو بالنسبة للمسافر سفينة الصحراء ، فإن تلفت السفينة مات ربانها وبحارتها غرقاً ، وإذا تلفت سفينة الصحراء (هلك صاحبها عطشاً) ، لذلك لعب الجمل دوراً هاماً في جميع نشاطات العرب ، وأمن مواصلاتهم ، وبالتالي تجارتهم الزاهرة كما سنرى ، لمدة تربو على ثلاثة آلاف سنة .

ويقول الاختصاصيون أن الجمل العربي يصبر عن الماء نحو خمسة وعشرين يوماً في الشتاء ، وخمسة أيام في عزّ الصيف .

وتفيد المراجع المعتمدة أنه لم يكن هناك أي ذكر للجمل قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، حيث دخل آنذاك إلى **شمال الجزيرة** بعد غزو الميتانيين لبلاد الشام ، وهذا استناداً إلى دراسة جادة قام بها العالم **كارلتون** عام ١٩٥١ م .

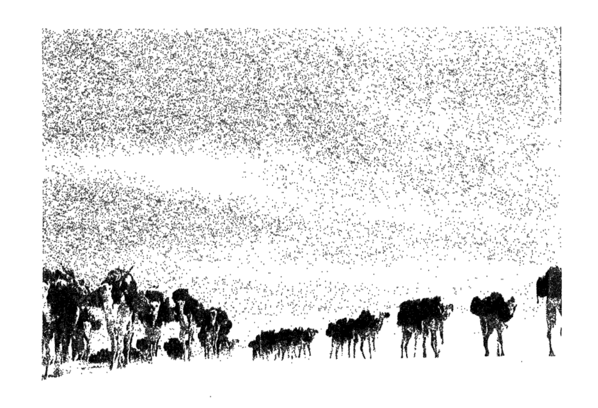


الجمل :

سفينة البادية ، والقافلة قطارها ولولاه لما ازدهرت بلدان الجزيرة ومراكز تجارتها ، ولما انتقلت حضارتها لأطراف الجزيرة العربية وخارجها .

الجمل الذلول في بيئته الطبيعية .

وصل الجمل لجزيرة العرب ١٢٠٠ ـ ١٣٠٠ قبل الميلاد وأدخل إليها الخير والبركة فربط بين أطرافها ، وشكل مصدراً لازدهارها المتجدد لانعاش العهد القديم البائد الذي حصر التنقل والتجارة العالمية بأطراف البحار



القافلة

لم تقتصر خدمات القافلة عبر الجزيرة على نقل السلع وجلب الثروة والازدهار إلى مراكزها التجارية بل حملت معها الأفكار والمدنيات ، وجبلتها لخلق المفاهيم المتزاوجة والمتوالدة الجديدة المتقدمة على سواها .



صبر وقوة الجمل وتحمله المشاق تنسجم مع بأس الجمّال وشجاعته ومتانة شخصيته

ذهب أوفير أو أوفار
المذكور بالصحف الأولى

هل كان سليمان الحكيم يستورده من ظفار شرقي اليمن ، أو من زمبابوي في تانزانيا بإفريقيا الشرقية ، ذلك على الحالين بالتعاون مع أهل سبأ ؟

جاء بنص سفر الملوك بالتوراة في الفصل التاسع والعاشر ما يلي :

« فأرسل **حيرام** عبيده في السفن مع عبيد **سليمان** قوماً ملاّحين عارفين بالبحر ، فأتوا **أوفير** وأخذوا من هناك أربع مئة وعشرين وزنة من الذهب ، وأتوا بها الملك **سليمان** .. وأعطت ملكة **سبأ** الملك **سليمان** مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة وحجارة كريمة » .. فهل يمكن الاستنتاج من هذه النصوص المقتبسة من العهد القديم ، بأن حيرام الملك الفينيقي والملك **سليمان** وملكة **سبأ** كانوا شركاء في مناجم **أوفير** ؟ وأين تقع هذه المناجم .

لا زال أهل العلم والتاريخ يبحثون عن مصدر الذهب الذي كان يصل إلى النبي **سليمان الحكيم** عن طريق **البحر الأحمر** ، فهل هو في **الحجاز** حيث توجد مناجم الذهب حالياً ، وإذا كان بالحجاز فما دخل ملكة سبأ فيه ؟ وهل هو في **ظفار** التي كانت سبأ تتاجر بمنتوجاتها من اللّبان الثمين النادر ، أو هل كان يصل عن طريق شرقي **إفريقيا** من مناجم كان **السبئيون** يسيطرون عليها وهي مناجم **زمبابوي** التي تقع حالياً ببلاد **الموزمبيق** .

والذي نعرفه حالياً هو الكثير عن غنى **زمبابوي** بمناجم الذهب الذي كان العرب مما يتاجرون به من مدينتهم **كلوة** ، التي كانت مزدهرة في العهد الإسلامي قبل تدميرها من قبل **البرتغاليين** في بداية القرن السادس عشر ، كما نعلم أيضاً مما أخبرنا به مؤلف كتاب **الطواف حول البحر الأرتيري** في القرن الأول الميلادي . وهو **البحر الأحمر** حالياً والمتصل بالشواطئ الإفريقية ، أن الذهب المذكور بالتوراة كان يصل إلى **فلسطين** عن طريق البحر الممتد من **جنوب إفريقيا** ، على سواحلها التي تتواصل على شواطئ **الموزامبيق والصومال** حالياً ، ليصل إلى **خليج العقبة (أيلة)** ، مع أننا نميل للاعتقاد بأن ذهب **أوفير** كان يأتي من أطراف **الربع الخالي** وواحاته عن طريق **ظفار** ، كما سنرى تحت عنوان **الربع الخالي** عند ذكرنا لموطن عاد وثمود وإرم ذات العماد .

ولنرى مع ذلك ما كتبه المؤلف المذكور عن تلك الطريق الإفريقية :

« توجد على بعد يومين ، آخر مدينة تجارية في آزانيا واسمها **رابتا** وفيها كميات كبيرة من العاج ، ويسكن هذه الشواطئ رجال عمليون للغاية ، قامتهم ممشوقة ، وخاضعون لعدد كبير من الزعماء ، إن زعيم المفارقة يحكم هذه المنطقة ، وفقاً لطقوس قديمة ، تجعله خاضعاً لسيادة الدولة التي احتلت مكان الصدارة في **الجزيرة العربية** ، وهم شعب موزا وهي **ميناء المخا في الجزيرة العربية** ، وأحد موانئ **اليمن** على **البحر الأحمر** حالياً ، والذي تمتع تاريخياً بمكانة عملاقة في التجارة البحرية بين **المحيط الهندي وبلاد البحر المتوسط** وكان اسمه **موزا** أو **موزع** قبل أن يصبح **المخا** .

ويضيف المؤلف قوله « يمارس الملك (أي الملك التي تقع **المخا** في ممتلكاته) سلطته على هذه المنطقة ، ويرسل إليها سفناً كبيرة وعديدة ، بطواقم من البحارة العرب الذين يعرفون سكان المنطقة الأصليين ، ويتكلمون لغتهم ، وأحياناً يتزوجون منهم . ونعتقد أن المقصود بأصحاب القامة المشوقة هم أهل **الصومال والموزمبيق** ، وأما الملك المذكور فهو ملك **بلاد أوسان الجنوبية** ، ومنها **عدن وباب المندب والمخا** التابعة لممتلكاته كما ذكرنا . ونعلم أن جميع تلك البلدان كانت في تلك المرحلة خاضعة **للحميريين** (القرن الأول للميلاد) .

أما بالنسبة لآثار **زمبابوي** المدهشة والتي تقع في موقع مناجم الذهب فيخبرنا عالم الآثار الألماني **موخ** MAUCH أن تلك الآثار تشتمل على بقايا قصر وهيكل يماثلان في شكلها وتصميها ما يذكّرنا بالهندسة المعمارية في **بلاد سبأ** وبعبادتها الشمس والقمر المثلان بالهيكل ، ولذلك فإن **موخ** هذا يميل للاعتقاد بأن مناجم **زمبابوي** الإفريقية كانت تستغل من قبل **السبئيين** ، ثم حصل التعاون في هذا المجال مع الملك **سليمان** الذي كان قد بنى أسطولاً يجوب بحار الجنوب على يد **الفينيقيين** لاستيراد الذهب وسائر السلع الإفريقية ، التي ذكرها مؤلف الطواف المذكور ، والتي كانت في القرن الأول للميلاد لا تزال مزدهرة بميناء **المخا (موزا)** التاريخي الأهمية على مدخل **البحر الأحمر** ، وللتأكد من نظرية عالم الآثار الألماني **موخ** MAUCH وصل إلى تلك الآثار عالم بريطاني **ر.هول** R.HALL حيث اقتنع تماماً بأن هذه الآثار هي بقايا أبنية أشادها في الأصل شعب سامي ، وهم **العرب بنو حمّير** ، الذين كانوا يعبدون الشمس والقمر قبل الميلاد . وكان **هول** يعتقد أيضاً بأن هذه الأماكن والآثار هُجرت لفترة طويلة من الزمن ، وأن **العرب** في القرون الوسطى أعادوا إليها الحياة وحولوها لمركز لاستخراج الذهب والاتجار به .

لكننا نرى أنه لا يمكن تقديم تفسير على هذه الآثار لا بعد دراستها دراسة مركزة في **اليمن** نفسها ، وفي منطقة **أطراف الربع الخالي ومنطقة ظفار** ، والاستكشاف بواسطة **الأقمار** الصناعية ، وسواها من وسائل البحث المتقدمة .

ظفار وأوفير أو وَبار

ولمحاولـة التعمق بـالبحث الأكـديمي لجـأنـا إلى **الموسوعـة الأميركيـة** THE ENCYCLOPEDIA AMERICANA التي أكدت أن علماء الآثار يعتقدون بأن **ظفار** هي **أوفير** ذلك أن العهد القديم ينص في سفر الملوك الأول الفصل العاشر ، أن **أوفير** هي المكان الذي أتت منه أشجار الصنـدل ، وكـذا سفن حيرام التي كانت تحمل ذهباً من **أوفير** جاءت منه بخشب صندل كثير جداً وبحجارة كريمة .

ونشير أيضـاً إلى أن **الإسكنـدر الأكبر** أرسل ثلاث حملات بحريـة لاكتشـاف الشواطئ العربيـة ، وكان يقود إحـداهـا الجنرال **أنـدروستين** (٣٢٤ قبـل الميـلاد) ، وذلـك نظراً لمـا كتبـه آنـذاك علمـاء الأغريق من أن العربية السعيدة كانت أيضاً غنية بالذهب كما سنرى تحت عنوان آخر ، وما نص عليـه المؤرخون من أن **الإسكندر المقدوني** كان قد خطط لاحتلال العربية السعيـدة عن طريق الشرق بعـد وصوله إلى أواسط **الهند** .

صفة القبائل عند الغربيين

نظرة الغربيين ودراساتهم عن العادات والحياة الاجتماعية للقبائل

قبل الخوض بموضوع **الربع الخالي** ، يحسن بنا أن نـذكر مـاسجّلـه الغربيون عن قبـائل اليمن بقلم **أنجرامز** ، وأيضاً على يد المستشرق البريطاني **تيسجر** الذي تجول حول **الربع الخالي** واخترق أطرافه .

ذكر (**أنجرامز** W.H. INGRAMS) وهو من الاختصـاصيين في دراسـة عرب جنوب الجـزيرة ، ولـه بها عـدة مؤلفـات تعتبر من المراجع ، مسجلاً في كتـابـه وعنـوانـه (اليمن : أئمـة وحكام وثـورة) ما يلي :

« **إن** رجال القبائل في **اليمن** كانوا دائماً من المقاتلين الذين يتحلون بالشجاعة ، وروح الضيافـة ، ويحبون **الشعر** والبلاغـة . ولكن كانـوا أيضـاً مفرقين ودومـاً مستعـدين للخصـام ، ولا يـوجـد في أي منطقة من **الجزيرة العربية** شعب يتمتع بالروح الفردية المفرطة والنزعـة المحـافظـة ، كالتي يتحلى بها هؤلاء **الجبليـون** القسـاة . ولقـد تصـدوا بعنـاد لكل محـاولات الغـزو الأجنبي ، حتى محـاولات الغـزو الروماني في **جنوب الجزيرة العربية** في عام ٢٤ قبل الميلاد ، فـإنهم لم ينسوهـا بعـد . وأذكر أن شيخ **قرية صغيرة** واقعـة قرب أبعـد نقطـة كانت قـد وصلت إليهـا حملـة **يوليوس جـالوس** طلب من ممثل السلطـة في **عـدن** أن تمتنـع عن إعـادة بنـاء صهريـج مـاء كان الرومـان قـد أنشـؤوه ، لاعتبـاره أن **البريطانيين** والرومان هم جميعاً من الفرنجة الأعداء » .

ونعتقد أن الفظائع التي ارتكبهـا البرتغـاليون ضـد المسلمين عنـد احتلالهم **هرمز** وبعض منـاطق **عُمان** ، ظلت باقية في أذهان أبناء الجنوب يتناقلونها أبـاً عن جـد ، وليست ذكرى تصرفـات الرومـان هي المقصودة ، لأن **يوليوس جـالوس** ٢٤ ق . م . لم يصل إلى الجنوب ، وكان آخر مكان وصـل إليـه هو **مأرب (مريابا)** التي وصلها مسالماً لامقـاتلاً ، وكان قـد احتل **نجران (نجرانـا)** منتصراً ، وغُلب على أمره في **بلاد الجوف** بعد معركة طاحنة خاسرة ، مما اضطره ليعلن عن حملته بأنها تجاريـة ، وقـد رافق الحملة ألف رجل من الأنباط العرب وخمس مئـة من التجـار اليهود ، ممـا أقنع **مـأرب** بـأن الحملـة ذات صفة سلمية تجارية .

وشكلت حملـة **يوليوس جـاليوس** آخر اتصـال بين **بلاد البحر المتوسط وبلاد سبأ** حتى أواخر القرن الثامن عشر (١٧٧١ م) .





↑ سوق الملح بصنعاء القديمة

هي السوق الشعبية التي يصرِّف فيها المزارع القبيلي منتجات أرضه و يشتري منها أغلب حاجياته.

القبيلي ←

يعتز بانتمائه إلى إحدى القبائل وأفخاذها وبطونها العديدة ، إنه دائم اليقظة والاستعداد ، ولا لقب يرتاح إليه أكثر من صفة الشهامة .

الجنبية : (الخنجر) لاتفارق وسطه للدفاع عن كرامته ويحتفظ بها عنواناً لرجولته ، ويحتفظ بها حتى عندما يمارس الزراعة أو إحدى الحرف اللائقة بعنفوانه .

وأما البندقية : فجاهزة للدفاع عن حياضه وقبيلته ووطنه وهي من علامات الفخر والسؤدد .

وهو مع ذلك مسالم مضياف رحب الصدر يتذوق النكتة ، لكنه إذا احتدت الأمور وشعر بالتهاون بكرامته فلا يتوانى عن الطعن مهما كانت النتائج .

إشارة لأسماء بعض القبائل
لتكرار ذكرها بهذا الكتاب

نظراً لتكرار ذكر انتساب زعماء العرب من اليمنيين قبل الإسلام وبعده إلى قبائل متعددة الأسماء ، كما رأينا بالنسبة لمن لجأ إلى **بلاد الرافدين** وحولها ، ومنهم **ربيعة ومضر** ، ثم **بنو لخم** في **الحيرة وقضاعة** في **الحضر (عربايا)** ، **وكندة** في **أواسط الجزيرة** ، ومنها **نجد** ، وانتقالها من الجنوب ، ثم عودتها إليها ، وخاصة ولما أتينا على ذكره **لبني كلب** في **صقلية والأندلس** وصلتهم بالأمويين ، وكذلك ماتردد كثيراً حول **الأوس والخزرج** ونصرتهم لسيد المرسلين ﷺ . وأيضاً **الأزد** وانتساب العديد من زعماء العرب إليهم ومنهم **بنو الأحمر** وغيرهم **كقضاعة وحاشد وبكيل** وسواهم .

عدنا إلى (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) تأليف **عمر رضا كحالة** وهو جامع مبوّب ومفنّد ، حيث حرصنا على التعرف على أكثر الأنساب التي أتينا على ذكرها في هذا المؤلف ، المقصود منه التعريف وحسب ، كما أوضحنا ، كما عدنا إلى مراجع أخرى مذكورة في الببلغرافيا المشار إليها بهذا الكتاب ، وكذلك إلى بعض كبار مشايخ القبائل من اليمنيين .

الأزد :

وفد قبائل الأزد لدى سيد المرسلين ﷺ
« حكماء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء »

اطّلعنا في مؤلف **عمر رضا كحالة** المذكور ، نقلاً عن **ابن خلدون** على ما يلي :

« ولما دخل وفد **الأزد** على **النبي** ﷺ في السنة التاسعة للهجرة برئاسة **صَرد بن عبد الله الأزدي** ، كلموه فأعجبه ما رأى من سمتهم وزيهم ... فقال ﷺ : من أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون . فتبسم عليه الصلاة والسلام ، وقال : لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ قالوا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمَرَتنا رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلّقنا بها في الجاهلية . فقال **النّبي** ﷺ : ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي ؟ قالوا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قالوا : أمرتنا أن

نقول لا إلـه إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضـان ونحـج البيت إن استطعنـا إليـه سبيـلاً . قال : وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمرّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء . فقال ﷺ : حكمـاء ، علمـاء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » .

« وقـاتلت **الأزد** تحت لـواء **عـائشـة** أم المؤمنين ٣٦ هـ ، فقتـل منهم في (وقعـة الجمـل) ألفي أزدي .

واستعرت الحرب سنة ٣٧ هـ بين **علي** رضي الله عنه **ومعاوية** ، فـانقسمت **الأزْد** قسمين فريق مع **علي** وفريق مع **معاوية** » .

وقد جاء بالمؤلف المـذكور : « يغلب الظن أن تصـدع **سـد مـأرب** قـد أرغم **الأزْد** على الهجرة من **سبـأ** ، وأن هـذا كان من أسبـاب تفرقهم في البـلاد » (مـع وصـول بعضهم إلى **عُمان وسـائر أطراف الخليج** ، لكننا نميل للاعتقاد بأن هجراتهم بـدأت مع تعـاظم الزحف الصحراوي الـذي بـدأ منـذ عهـد سحيـق في القـدم ، وحصـل على مراحـل ليطمر البـوادي والـواحـات المتصلـة بمـا يسمى اليـوم **بالربع الخالي**) .

« وكان **لـلأزد** ملـك في الشـام من **بني جفنـة** ، وملـك في **يثرب** وهم **الأوس والخـزرج** ، ومُلـك بالعراق من **بني فهم** ، ثم خرجت **لخم وطي** من شعوبهم أيضاً من **اليمن** ، وكان لهم مُلـك في **الحيرة** من آل المنذر (استناداً إلى **ابن خلدون**) .

الأوس والخزرج :

كان الموطن الأصلي **للأوس بلاد اليمن** ، فهـاجروا إلى **يثرب** ، وعـاشوا مع **الخـزرج** . وقـد نشبت حروب طويلة بين **الأوس والخزرج** في الجاهليـة منهـا (يوم بُعـاث ويوم الـدَّرك ووقعـة الحـديقـة) وغيرهـا . ولمـا انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى سـاعـدت **الأوس والخـزرج** على انتخـاب **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه .

همدان :

هم بطن من **كهلان** من **القحطانية** ، وهم **بنو همدان بن مالك بن أوسلة** .

لهم أفخاذ متسعة ، كانت ديارهم في **اليمن** من شرقيه ، ولما جـاء الإسلام تفرقوا ، وبقي منهم من بقي في **اليمن** ، ومن هاجر منهم نزل **الكوفة ومصر** .

قريش

قبيلة عظيمة كثر الكلام عن أنسابها .

وقال القلقشندي في نهاية الأرب :

« قد صار من قريش إلى زمن الإسلام عدة قبائل وذكر منهم بنو المطلب وبنو أمية وبنو هاشم . ثم تفرق من هؤلاء بعد الإسلام بطون كثيرة » .

ومن أيامهم :

(يوم العنب) وكان بينهم وبين بني عامر و (يوم تكيف) في نواحي مكة وكان بين قريش وكنانة ، فهزمت قريش بني كنانة . وكان صاحب أمر قريش عبد المطلب .

ووفد عبد المطلب مع قريش إلى صنعاء يهنئوا سيف بن ذي يزن الحميري برجوع الْمُلك إليه .

وحاربت قريش رسول الله ﷺ في عدة غزوات منها (غزوة بدر) و (غزوة أحد) .

واجتمعت قريش وغطفان واليهود على حرب النبي ﷺ سنة ٤ أو ٥ هـ . وسميت تلك الحروب (بغزوة الخندق) أو (الأحزاب) وكان عدد قريش عشرة آلاف وعدد المسلمين ثلاثة آلاف .

وحاربت قريش النبي ﷺ سنة ٧ هـ . وسميت تلك الحروب بغزوة الْحُديبية .

وتُعَد قريش قبيلة تجارية وكان لها رحلتان :

رحلة بالشام إلى اليمن ورحلة إلى الشام بالصيف . وكانت (قريش) تتجر مع الحبشة .

كما كانت قريش تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً ويكسوها عبد الله بن أبي ربيعة من ماله سنة .

لقد اعتبرت (قريش) أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً أما في الوقت الحاضر فيطلق اسم (قريش) على قسمين من الناس : الأول وهم الأشراف القريشيون وهم بقايا قريش ، والثاني يطلق على فرع من فروع قبيلة (ثقيف) .

طي

وطي الحاضرة هي في الغالب منحدرة من قبيلة طي القحطانية القديمة .

طي بن أُدَدْ

قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية .

منازلهم : كانت منازلهم في اليمن فخرجوا منه على أثر خروج الأزْد منه ونزلوا (سميراء) و (فيد) في جوار بني أَسْد . ثم رثوا منازل تميم بأرض نجد بين البصرة والكوفة واليمامة .

ومن بلادهم في **اليمن** : **نجران** ، **عرق** ، **الخنق** ، وهي قرية كبيرة **باليمن** فيها عيون وكروم . وتمتد مناطق **همدان** إلى **نجران** ، ومنها إلى مناطق **يام** وجميع **همدان** وأشهرهم الآن **حاشد وبكيل** لتمركزهم الآن في الجزء الأكبر من لواء **صنعاء** وصولاً إلى **صعدة** .

ومعلوم لدى **اليمنيين** أن جميع القبائل مع تعدد أسمائها والمقيمة في **الجوف** و**مأرب** وسائر المشرق تعيد أنسابها أيضاً إلى **همدان بن كهلان** .

أما أشهر الجبال التي ذكرت معهم تاريخياً فعديدة ومنها **شبام** ، وأما أشهر قصورهم التي تردد ذكرها معهم فهو **ناعط** .

حاشد وبكيل :

هم من **جشم بن خيران بن نوف بن همدان** من **كهلان** من **القحطانية** ، ويذكرون مع **بكيل** ، ومعظمهم في **اليمن** ، ومنهم تفرقت **همدان** (استناداً لقول **الهمداني**) .

ونلاحظ بهذه المناسبة أنه قلما ذكرت **عاد** إلا وذكرت **ثمود** معها ، وكذلك بالنسبة **لبكيل وحاشد** ، فلا تذكر الأولى إلا وذكرت الثانية معها ، والعكس صحيح ، كما تعيد **حاشد وبكيل** أصول أنسابها إلى **شداد بن عاد** .

اجتهاد :

ولما كان مشايخ **حاشد** يعيدون أنسابهم الأول مثلهم مثل مشايخ **بكيل** إلى **شداد بن عاد** فلا تكون (العرب البائدة) قد بادت بالفعل بل تبددت وتفرقت أيدي **سبأ** في جميع الاتجاهات ، ومنها **عُمان والأهواز والعراق والموصل ونجد والحجاز وأنحاء العمق السوري** ، وذلك بعد أن جفت واحاتها وبواديها أو طمرتها الرمال ، وكانت في أقصى مشرق **اليمن** ، واستمرت فخوذها وبطونها بالتناسل في أماكن أخرى من **اليمن** وخارجها ، وجميعهم من **جشم** ، وهو بطن عظيم من **همدان** من **كهلان** من **القحطانية** كما رأينا . وهكذا تكون **بكيل** من **جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان** ، وهي بالتالي ممن يمكن انتسابهم كالحاشديين إلى **شداد بن عاد** باني **إرم ذات العماد** .

أما المعجم المذكور أعلاه ، فيفيدنا بأن بلاد **بكيل** تبدأ من نصف **الرحبة** (**رحبة صنعاء**) إلى **نجران** (استناداً **لياقوت**) .

ويحتوي المعجم وفقاً لما ذكره مؤلفه **عمر رضا كحالة** على جميع ما هو معروف من القبائل **القحطانية والعدنانية** ، ولكننا لم نذكر هنا القبائل اليمنية الأخرى العظيمة ، وهي عديدة لكي لا نثقل هذا الكتاب كما شرحنا بالإيضاح ومنهم : **دهم** ومساكنها **شمال مأرب** .

كهلان :

كهلان بن سبأ وهم شعب عظيم من **بني سبأ** من **القحطانية** ، وهم **بنو كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان** ، وبطونهم كثيرة المشهورة منها سبعة وهي : **الأزد وهمدان** اللتان سبق ذكرهما ، **وطيء** ، **ومذحج** ، **وكندة** ، **وأنمار** ، **ومراد** .

قُضاعة :

شعب عظيم اختلف النسابون فيه فقالوا : من **حميّر** من **القحطانية** ، غلب عليهم اسم أبيهم **قضاعة** .. وقد حاربهم الرسول ﷺ في غزوة السلاسل سنة ٧ هـ ، وكانوا أشداء في الحرب .

خولان :

بطن من **كهلان** من **القحطانية** ، وهم **بنو خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ** . بلادهم في **اليمن** ، وقد افترقوا في الفتوحات الإسلامية ، ومن جبالهم **كنن** ، **والطيال** ، **وجبل اللوز** . ومن أصنامهم **عميانس** .

كلَب بن وبرة :

بطن من **قضاعة** من **القحطانية** ، كانوا ينزلون **دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام** ، ونزل خلق عظيم منهم على **خليج القسطنطينية** .

بنو كلب :

هم بطن من **اليحمد** من **الأزد** من **القحطانية** (استناداً **لابن دريد**) ، وذكر أيضاً أنهم بطن من **تجبيلة** من **أنمار بن أراش** ، وهم من **الأزد** من **القحطانية** ، وكانت لهم وقائع مع **حميّر** منها (يوم البيداء) كما سنرى .

وهم **بنو عمرو بن لؤي بن دهن بن معاوية** ، وقد دخلوا النصرانية ثم الإسلام .

حميّر :

بطن عظيم من **القحطانية** ، ينتسب إلى **حميّر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان** واسم **حميّر** (**القريع**) يعود إليهم .

قال **الهمداني** : **حميّر** في **قحطان** ثلاثة : الأكبر والأصغر والأدنى ، ومن بلاد **حميّر** في **اليمن** (**شبام**) كانت بجنب **جبل كوكبان** . ومن حصونها **مدع** . وسكن قسم من **حميّر** في **الحيرة** . ومن

أيام **حميّر** (يوم البيداء) ، وهو من أقدم أيام العرب . وكانت معركة البيـداء بين **حميّر وكلب** ، ولهم فيها أشعار كثيرة .

وقـدم رسول من ملوك **حميّر** سنـة ٩ هـ لمبـايعـة سيـد المرسلين ﷺ واعتنـاق الـدين الحنيف ، ونلاحظ هنا القول بأن الرسول قدم من ملوك **حميّر** ، مما يدل على أن **حميّر** آنذاك كانت متفرقة ولها عدة ملوك .

سُليح بن حلوان :

بطن من **قضاعة** من **القحطانية** ، وهم : **بنو عمرو بن حلوان بن عمران بن الحافي** . وكان لهم **بادية الشام** فغلبتهم عليها ملوك غسان وأبادوهم .

وهناك اجتهاد بـأن قيصر رومـا **فيليب العربي** كان من **بني سليح** ، وهو الـذي تربع على عرش **روما** في المرحلة بين ٢٤٤ ـ ٢٤٨ ميلادي كما ذكرنا في القسم التاريخي .

مُضر بن نزار :

قبيلـة عظيـة من **العـدنـانيـة** ، كانت ديـارهم حيّز الحرم إلى السروات ، ومـا دونهـا من الغور ، وما والاها من البلاد ، لمساكنهم ومراعي أنعامهم من السهل والجبل .

وامتـدت ديـارهـا بقرب من شرقي الفرات **نحـو حرّان والرّقـة وشمشـاط وسروج** مثـل **مـورن** . وكانت ديارهم بالجزيرة بين **دجلة والفرات** . ومن مدنهم الواقعة شرقي الفرات **الرقّة** .

وكانوا أهل الكثرة والغلب **بالحجاز** من سائر **بني عـدنـان** ، وكانت لهم ريـاسـة **مكـة** ، ويجمعهم فخذان عظيمان هما : **خندف وقيس** .

تميم :

وهي من **الأزد** . تمتاز هذه القبيلة بتاريخها الحربي ، وقد اشتهرت بيوم (الصفقة) عنـدمـا أوقع **كسرى ببني تميم** في ذلك اليوم ، فقتل المقاتلة وبقيت الأموال .

بلغ ذلـك **مـذحج** ، فخشي بعضهم إلى بعض وقـالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسـل في قبـائـل اليمن وأحلافها من **قضاعة** .

ومن أيامهم يوم (القصيبـة) **بـاليمامـة** ، وهو يوم كان **لعمرو بن هنـد** على **تميم** ، فـانتصر عليهم وأحرق منهم .

وأغار النعمان بن المنذر على تميم ، ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب فهزموه .

معاوية :

بطن من الحرقوص من مازن من مالك بن عمرو بن تميم بن مرّ بن أدّ .

وأيضاً : بطن من كليب بن يربوع بن حنظلة من تميم من العدنانية .

وأيضاً : بطن يعرف بأبي معاوية وهم من العدنانية .

معاوية بن الحارث :

بطن من ولد مرتع من كندة من القحطانية .

يام :

إحدى القبائل المهمة في نجران والجوف ، والمعلومات عنها ، وعن نظامها الاجتماعي ، وفروعها ، وعمائرها ، وعشائرها ، قليلة جداً ، وما زالت على حالها الأولي من الإيغال في البداوة ، وهي من همدان كما رأينا .

يام بن أصبى :

بطن من همدان من القحطانية ، وهم بنو يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن حشم بن حاشد . كانت مواطنهم بنجران ، وكان منهم القائم بدعوة العبيديين باليمن في حصن حرار ، وبقي التشيّع لمذهبهم .

(عن : تاريخ ابن خلدون ، الهمداني صفة جزيرة العرب ، الأنساب للسمعاني ، ونهاية الأرب للقلقشندي ، وتاج العروس للزبيدي) . (عن دائرة المعارف الإسلامية) .

يام بن عنس :

بطن من عنس من القحطانية .

هذا ما اكتفينا بذكره عن القبائل للإشارة إليها أو إلى بعضها عرضاً في هذا الكتاب .

أما الذي يرغب في التعمق بدراسة هذا الموضوع وسواه مما تعرضنا لبحثه ، وهو ما نتمناه وندعو إليه ، فعليه أن يعود إلى المراجع العديدة الأخرى ، التي أصبحت متوفرة ، والتي ذكرنا مجمّعاتها مع صورة لغلاف أهمها وأحدثها ، وذلك تحت عنوان رئيسي وهو : (إيجاز والمراجع ، كتاب ثقافة عامة) .

مراد :

من قبائل **اليمن** ، تقع مساكنها إلى الغرب الجنوبي من **مأرب** ، ويبلغ عدد رجالها المقاتلين آلاف عديدة .

مرّة :

من أقدم قبائل **العرب** وأصحها نسباً وأشدها مراساً وأبعدها عن الحضارة ، تمتد منازلها من جنوبي الطريق الموصلة بين **الإحساء والرياض** ، إلى جهات **الخرج** وجهات **العقير** ، إلى واحتي **جافورا وجبرين** حتى أواسط **الربع الخالي** .

الزرانيق :

زرنق بن وليد : بطن من **المعازبة باليمن** يقال لهم **الزرانقة** ، منهم **بنو العجيل** الفقهاء **وبنو عبس** .

عبر :

عبر بن منهب : بطن من **الأزد** من **القحطانية** .

الكرب والصيعر :

من قبائل **اليمن** ، تعد عدة آلاف مقاتل ، وتمتد مساكنها من حدود **عبيدة** إلى حدود قبيلة الصيعر إلى الشرق الجنوبي من **مأرب** .

عبيدة :

من قبائل **اليمن** ، تمتد ديارها من حدود **بني جبر** في الغرب إلى حدود **قبيلة الكرب باليمن** ، ويبلغ عدد الرجال المقاتلين فيها عدة آلاف ، وقيل ألفان وحسب ، وتحيط هذه القبيلة بمدينة **مأرب وهيكل بلقيس** ، وكانوا يعيشون على الغزو والسلب والنهب ، ثم اشتغلوا بنقل الملح من **جبل صافر** إلى **مأرب** ، وبغرس بعض الأرضين الصالحة للزراعة .

أهمية ملح صافر
والجمل الذلول والحصان
الكُحيلان كسلع يمنية

الملح :

بقيت سلعة الملح إلى عهد استعمال الآليات بالنسبة للمناجم واستغلالها وإلى عهد استعمال المضخات الحرارية والهوائية بالنسبة لتجفيف مياه البحر أي إلى عهد قريب تاريخياً . بقيت هذه المادة التي لاغنى عنها في أي مجتمع ولأي إنسان من السلع الضرورية المطلوبة في كل مكان . ونظراً لتحديد مصادرها ، كان من اليسير على أولي الأمر في مختلف أنحاء العالم من السيطرة عليها ، لاحتكار تسويقها أو فرض الضرائب عليها وعلى من ينقلها ويتاجر بها ، لسهولة جباية مثل هذه الضرائب بسبب سهولة التعرف على أماكن إنتاجها ومراكز توزيعها ، وكثيراً ما كانت الدولة نفسها تمتلك أو تسيطر على مناجم الملح .

وكان ـ على سبيل المثال ـ ملوك **فرنسا** حتى أيامهم الأخيرة يعتمدون على محاصيل ضريبة الملح ، أكثر من اعتمادهم على أي مصدر دخل عام آخر ، وكانت هذه الرسوم تسمى **جابيل** ، وكثيراً ما كانت السلطة المركزية في **باريس** ، تحدد المبالغ التي يتوجب على الحكام المحليين تحصيلها بواسطة (الجابيل GABELLE) وهو الاسم الذي أطلق على هذه الضريبة . وكانت المالح التي يستخرج من مناجمها هذا العنصر الطبيعي واقعة تحت حراسة مستمرة . ثم شيّدت الحكومة الفرنسية بالقرب من أهم مناجمها مدينة **مسورة** فريدة بطبيعة بنائها ، لاتزال أبنيتها الواسعة المنسقة قائمة ، وهي في منتهى الجمال ، ومن المعالم التي يزورها السواح . كما كان في العهود السابقة مفروضٌ على كل مواطن فرنسي أن يشتري كمية محددة من الملح سنوياً ، ودامت هذه الضريبة حتى عام ١٧٩٠ م . أي حتى قيام **الثورة الفرنسية** .

أما بالنسبة **لليمن الداخلية** وما حولها ، فكان مصدر الملح الأوحد لتأمين حاجة السكان من هذه السلعة التي لاغنى لأي أسرة عنها هي مناجم في **صافر بالمشرق اليمني** القاحل ، ولم يكن الوضع كذلك بالنسبة **لتهامة** وما إليها ، بسبب تواجد الملح في **الصليف** ، وهكذا رزق الله **قبائل اليمن** منذ أقدم

العصور في مناطقهم الشرقية الجرداء سلعة الملح ، إلى جانب الاستفادة من نقل السلع في عهد ازدهار تجارة القوافل العالمية للبّان والتوابل ، التي كان لهذه القبائل دوراً في نقلها أو حمايتها .

أما بعد القضاء على تجارة القوافل العالمية بانتقالها من البراري الداخلية إلى الطرق البحرية ، فلم يعد أمام قبائل **المشرق اليمني** سوى استغلال الملح من مناجمه المتوفرة في **صافر** على مشارف صحراء **الربع الخالي** ، وهي التي سنأتي على ذكرها في باب مخصص لها .

مأرب ثم (أزال) وسوق الملح :

ولما كانت مدينة **مأرب** أول مركز تجاري تتوزع عنه الطرق بالنسبة **لصافر** ، شكلت **مأرب** في الماضي السحيق بالقدم مركزاً لتوزيع الملح بواسطة الجمل ، وهو وسيلة النقل الوحيدة بعد وصوله إلى **جزيرة العرب** ١٤٠٠ ـ ١٣٠٠ قبل الميلاد ، وربما كان نقل الملح من **صافر** إلى **حواضر اليمن** وموانئها يتم بواسطة الحمير أو على ظهر الرجال قبل وصول الجمل إلى **جزيرة العرب** .

وهكذا كانت قوافل الملح تجتمع برأينا مع قوافل **جنوب وشرق الجزيرة** المحملة باللبان الثمين والعسل وما إليها من إنتاج محلي ، وأيضاً ما كان يصل إلى موانئ (**قانا** وهو الميناء الذي اندثر وأصبح موقعه يسمى **بئر علي**) والشحر والمكلا ، وغيرها من مواد بلاد **المحيط الهندي** ، ثم تتجه قوافل الملح مع سواها إلى سائر أنحاء **الجزيرة** .

وكانت أهم محطة لتلك القوافل بالنسبة لليمن هي لاشك **أزال** أي **صنعاء** العاصمة حالياً ، ذلك أن موقع هذه المدينة جغرافياً يجعلها مقصودة من سائر مدن وقرى جبال **السراة** ووديانها .

ومن هنا أصبح لابد لأي بائع محلي من الوصول إلى **صنعاء** ، ليحصل على أهم سلعة يحتاج إليها ابن الريف ، كابن المدينة على حد سواء ، لأنها غير متوفرة لديه ، فالطعام واللحم واللبن ومشتقاته ، يمكن أن تتوفر لدى المزارع ، ولا ينقصه سوى (ملح الطعام) .

وهكذا أصبح ملح **صافر** الواصل إلى مركز **صنعاء** التجاري من أهم السلع التي يتاجر بها إقليمياً أهل **صنعاء** ، كما أصبحت السوق الرئيسية المحمية من جميع أطرافها بالأبنية تشكل ساحة التجارة الأولى والأهم في **صنعاء** ، ومن البديهي أن الحكام كانوا يفرضون على القوافل والتجار رسوماً تؤمن لهم الدخل الثابت اللازم للحكم والحكام . وليومنا هذا لا يزال مركز التجارة التقليدي في **صنعاء القديمة** يطلق عليه اسم (سوق الملح) ولولا ملح **صافر** لما كانت (سوق الملح) في **صنعاء** .

وبطبيعة الأمر لم تخف أهمية مصدر جباية الرسوم على الملح من قبل الأئمة ، لذا كان عامل الإمام في **مأرب** إلى عهد قريب جداً ، هو المسؤول عن جباية هذه الرسوم التي انخفضت قيمتها ، مع انخفاض

أسعار الملح وبعد أن أصبحت هذه السلعة كما رأينا متوفرة بكثرة في جميع أنحاء العالم ، بفضل استعمال وسائل الاستغلال الحديثة ، وكذلك وسائل النقل الميسورة والرخيصة الثمن .

واليوم في نهاية القرن العشرين يصعب على أبناء الأجيال الجديدة تفهم مدى أهمية الملح ، ولا يخطر على الذهن أن تفرض عليه ضرائب ، لكنهم يرون طبيعياً أن تفرض الرسوم الجمركية على العديد من السلع الأخرى ، ذلك أن لكل زمان ظروف ومتطلبات ، وسلع ضرورية فالسكاير والقات والمحروقات لم تكن معروفة ومطلوبة ، وقد أصبحت في أيامنا ذات أهمية وإن بقيت أهميتها أقل مما كانت عليه أهمية ملح صافر لأهل المناطق العليا ، والمفتقرة إليه في داخل البلاد .

الجمل الذلول كسلعة تجارية في وادي الجوف :

رأينا أهمية الجمل الذي لولاه لما كانت القافلة ، ولما كانت طرق التجارة العالمية ، لتمر في **الجزيرة العربية** من **محيطها الهندي** وتوابعه إلى **البحر المتوسط** وبلدانه ، وقد عرف الأعرابي قبل سواه أهمية الجمل ، ويقال بأنه أعطاه ما لا يقل عن ألف اسم ولقب ، ذلك أن البعير أنواع عديدة كما هو الإنسان والنبات ، ويتباهى **العرب** بتسميتهم (أهل البعير) ، كما ينسب للخليفة **عمر** رضي الله عنه قوله « لا يفلح العربي إلا حيث يفلح الجمل » .

لقد اشتهر الذلول وزادت أهميته بعد استعماله بنجاح في القتال وتأمين سرعة المواصلات ، ذلك أنه يمتاز عن سائر أنواع الجمل بخفة وزنه وسرعة حركته ، وقبوله للتدريب وطاعته لراكبه ، وهو ينافس في هذا المجال الحصان ، ولا تزال بعض الجيوش تستعمله حتى يومنا هذا ، وقد أطلق الأجانب على الفرق العسكرية التي تستعمله اسم (مهارى) وأما فرق الهجانة جمع هجين فهي التي تستعمل الجمل للنقل وهو غير الذلول ، ويبدو أن أهل **الجوف** ومناخ **الجوف** والتعرف على تأصيل الجمال فيه ، جعل من هذه المنطقة مصدراً لأفضل وأشهر أنواع الذلول ، وقد وصلت شهرة ذلول **الجوف اليمني** إلى أنحاء الإمبراطوريتين **البيزنطية والفارسية** ، وأصبحت تربية الذلول وتصديره من موارد الرزق الوفير لأهل **اليمن** ، إلى أن فضّلت الجيوش في مرحلة لاحقة استعمال العربات التي تجرها الخيول على استعمال الجمل ، باستثناء المناطق الوعرة والصحراوية ، وبالتالي أعطيت للحصان المكانة التي تمتع بها الجمل لمدة طويلة من تاريخ الحروب ، وهكذا قلّ الإقبال على طلب الذلول ، وهو أمير الجمال كما حصل توليده في مناطق أخرى ناسبت طبيعته ، وهكذا فقد قيمته كسلعة تجارية نادرة ومرغوبة وغالية الثمن لكن أمارته ظلت منتسبة **لليمن** .

ثم دخل الجمل في مرحلة لاحقة إلى **مصر** عند فتحها من قبل **الآشوريين** في القرن السابع قبل الميلاد ، وربما كان الجمل مساعداً على نجاح **آشور** باقتحام **مصر** .

ولم تتعرف بلاد **شمال إفريقيا** على الجمل إلا في زمن الفتح الإسلامي في القرن السابع بعد الميلاد ، أي بعد نحو ألف وأربع مئة سنة بعد وصوله إلى **مصر** .

ويبدو أن أهل **جنوب الجزيرة** استخدموه دون تأخير ، بعد وصوله مع **الميتانيين** ، حيث أصبح استعمال القوافل في بداية العهد **المعيني** أواخر الألف الثاني قبل الميلاد أمراً عادياً ، ووسيلة للمواصلات منظمة ومعتمدة ، كما نزل قوله تعالى في سورة النحل : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ . [صدق الله العظيم] .

وهذا مما يوضح ويؤكد أهمية هذا الحيوان الذي دجّنه الإنسان واستخدمه الأعرابي في شتى الأعمال والخدمات وحتى للطعام والشراب . أما الجمل (البعير) فهو قوي البنية والجثة ويستعمل للنقل .

وبالنسبة للأعمال الحربية العربية فكان (الهجين أو الذلول) وهو الجمل الخفيف الوزن والحركة ويصلح للقتال لسرعته وخفته ، فهو يجعل راكبه أعلى من الفارس في الموقع ، وبالتالي أقدر على الضرب من علو إلى أسفل ، كما أن الذلول سريع وسهل القيادة ومطواع في تدريبه ، وله ذكر ضمن رسالة **للقيصر الرومي قسطنطين برفيروغنتس** في القرن العاشر قال فيها واصفاً العرب :

« إنهم أقوياء ورجال حرب ، فإذا اتفق لألف منهم فقط أن احتلوا معسكراً ، فليس هناك من قوة تستطيع أن تزيحهم عنه ، وهم لا يركبون الخيل بل الجمال » .

الحصان في قاع جهران بمنطقة ذمار ويريم ، وسائر القيعان الخضراء :

يبدو أن تربية الخيول في المناطق المنبسطة المرتفعة كما هي الحال في هضاب **اليمن الخضراء** تساعد الخيل الأصيلة على خفة الحركة والرشاقة ، وربما كان هذا النوع من الخيول هو الوحيد الذي يتحمل عبء قلة الأكسجين الذي يتناقص مع الارتفاعات ، لذا أصبحت قيعان **اليمن** أي سهولها الجبلية مصدراً للخيول الأصيلة ، وهي التي وصلت شهرتها إلى بلاد **الهند** وحتى **الصين** ، حيث ذكرتها المراجع **الصينية** وتفاخرت بأصولها العربية ، وكان الكحيلان اليمني على ما روته المراجع مطلوباً من ملوك وسادة القوم في أنحاء العالم أجمع ، وكانت ترتفع أثمانه بمبالغ طائلة ، بعد أن يتحقق الشاري من صحة مصدر الحصان ويتأكد من نسبه ، وهو ما كان يحتفظ المختصون بتربية الخيول بسجلات لنسب الخيل الجياد ، ويحررون شهادات بذلك ، وهكذا تمكن أهل **الهضاب اليمنية** الخضراء في المناطق الغنية زراعياً بين الجبال الغربية الجنوبية من تربية أفضل أنواع الأصايل ، ونقلها بعناية وخبرة إلى موانئ **البحر الأحمر** ، وخاصة ميناء **عدن** ، وهو الأقرب إلى **المحيط الهندي** لبيعها في أسواق **الهند** ، وحتى

بلاد **كانتون في الصين** ، وهي المنطقة التي اعتنق أهلها الإسلام ، والتي لا زال أهل تلك البلاد متمسكين بدينهم الإسلامي وجوادهم العربي الأصيل ، وهكذا كانت الخيول (الأصايل) صلة الوصل المحببة للجميع ، أي للمصدر والمستورد معاً ، ذلك أن حب الحصان والتعلق به ليس بدعة ، وإنما شيء من الهواية التي دامت حتى أيامنا هذه ، حيث عرف بعض المشاهير هواة الخيل بمدى تعلقه بحصانه أو فرسه أكثر من تعلقه بعائلته ، ولا تزال نوادي هواة الخيل تجمع بين المغرمين بها وبالرغم من اختلاف جنسياتهم وأوطانهم .

وقد خصص العديد من الكتب والتماثيل الشيء الكثير عن الحصان وصوره وأخباره ، وقصة حصان **الإسكندر** مدرجة بالتاريخ ، لذلك لانستغرب أن يكون حصان قاع جهران اليمني كان قد أصبح في وقت ما من السلع البالغة الأهمية والثمن ، وقد ذكرت مراجع هواة الخيل أن الكحيلان اليمني يتميز بجمال جسمه وقوة احتماله ونباهته وإخلاصه وتعلقه بصاحبه ، وهناك روايات عن صفات هذا الحصان تبدو وكأنها من الأساطير ، نظراً لمدى ما ينسب لهذا الحيوان من تصرفات ومشاعر أقرب ماتكون لمشاعر الإنسان النبيل الخلق لغيرته على رفيقه وحمايته .

وكانت **الحكومة اليمنية** تحتفظ إلى عهد غير بعيد بالعديد من هذه الأصايل في اسطبل خاص بها بالقرب من مدينة **ذمار** ، وقد أعطى **الجيش اليمني** الحديث مكانة لائقة بمجد الحصان السالف وعزه المستمر .

البترول واليمن

مدخل حول
البنية الأساسية والنفط

قبل بحث موضوع البترول في **اليمن** بعد أن حصل استخراجه والبدء بالانتفاع به محلياً وتصديره ، والتخطيط لاستثمار مشتقاته ، مع الغاز الذي اكتشف معه ، علينا أن نَتَذكّرَ أو نُذكِّر بما يلي :

إن أكثر ما يمكن **لليمني** أن يفاخر ويعتز به هو أنه أنجز الكثير من بُنية بلده الأساسية في عهده الجديد ، وقد تمّ تحقيقه بفترة وجيزة ، قبل ظهور النفط أو التأكد من وجوده بكميات تجارية مع إمكان نقله عبر مرتفعات الجبال إلى أماكن تصديره على الساحل .

ذلك أن **اليمني** اعتمد على جهده وسواعد بنيه ، وعلى ثمرة دخل المغتربين بفضل قيادة حكيمة ، ليحقق قفزته الأولى وهي التي بدأت بعد عام ١٩٧٠ ، وهو عام تثبيت دعائم حكمه الجمهوري الجديد الذي أتى نتيجة لثورة ظافرة قامت عام ١٩٦٢ عقبها حرب أهلية حالت دون الاستقرار ، ثم تمكنت بمرحلة قصيرة من توحيد الصف وإحلال الوئام بقيادة ثلاثة من حكماء **اليمن** المعاصر[١] ، مما فسّر حصول الاستقرار وشكّل قاعدة ثابتة لمرحلة النهضة الشاملة ، التي وصلت إليها **اليمن** في نهاية هذا العقد ١٩٨٩ م .

---

(١) راجع تسلسل العهود والأحداث صفحة (٦٠٩) .

خلفيات موضوع بترول الشرق الأوسط
وانعكاساته على الجزيرة العربية

خطوط النفوذ بين الإمبراطوريتين
العثمانية والبريطانية في بداية القرن الحاضر
١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ ، ثم ١٩١٣ م

نشرنا في القسم التاريخي عند بحث الموضوع المتعلق بتقسيم **جزيرة العرب** إلى نفوذين ، **بريطاني وعثماني** ، بواسطة خطوط على الخرائط ، والموضحة على الخريطة المصغرة المرفقة ، وهي التي وضعت أولاً بالخط المستقيم ، الذي يبدأ بالقرب من **قعطبة** ، ثم بانحنائة بشكل واضح عند وصوله إلى خط العرض عشرين . ثم شرحنا كيف تفتت هذه الخطوط وتعدلت وتوسعت في شمال شرقي **الجزيرة** حول **الكويت** ، والبوادي التابعة للقبائل المتصلة **بالكويت** ، بعد انتصارات العاهل السعودي الملك **عبد العزيز آل سعود** على **الأتراك** وحلفائهم ، وعندما حالت إنكلترا دون اقتراب قوات (الإخوان) من ميناء **الكويت** المناسب ، الذي أرتكزت عليه للدفاع عن مصالحها الاستراتيجية والنفطية في **الخليج** والمنطقة العربية الواقعة في بلاد **إيران** المواجهة **للكويت عربستان** ، ولكي تصبح لها قاعدة بحرية تساعدها على مواجهة **الإمبراطورية العثمانية** المنزعجة من التوسع **البريطاني** ومحاولة **إنكلترا** الوصول إلى **الموصل** وتجاهلها الخطوط ١٩٠٣ ـ ١٩٠٥ .

انتصارات (الإخوان) وانعكاساتها
على الخط الأول :

ثم انشرحت **انجلترا** لانتصارات (الإخوان) على **الأتراك** وأعوانهم **آل رشيد** ، واحتلالهم لجبل شمّر ومركزه **هيل** ، وكانت **إنكلترا** تناصر السلطان **عبد العزيز** وسائر الزعماء **العرب** المناهضين للحكم **العثماني** البغيض . ثم لجأت **تركيا** لمحاولة استرضاء العاهل **السعودي** بتعيينه قائم مقام على تلك المناطق دون جدوى .

وكانت **إنكلترا** قبل ذلك قد حاولت حماية خطوطها القديمة مع **الأتراك** ، وسعت لاستمالة السلطان **السعودي** الذي فرض عليها أثناء الحرب العالمية الأولى عوناً مالياً قدره خمسون ألف جنيه استرليني ذهباً في كل شهر ، أسوة لما كان يستلمه عاهل **مكة المكرمة والحجاز الشريف حسين** لاستمرار الكفاح في سبيل الاستقلال والتخلص من الحكم **التركي** .

وكما كانت **إنكلترا** تزود شريف **مكة** بالعون والخبرة العسكرية ، زودت العاهل **السعودي** بما يلزم لمواجهة **الأتراك** وأعوانهم ، الأمر الذي أدى آنذاك إلى مقتل الكابتن **البريطاني شكسبير** عند استعماله المدفعية في جبهة القتال إلى جانب **السعوديين** الذين انتصروا في النهاية على **الأتراك** ، علماً بأن **الأتراك** كانوا مزودين بالعديد من الأسلحة الجديدة والإمكانات الحربية والدعم **الجرماني** المتعاظم ، وكانوا قد تحالفوا مع **ألمانيا** التي ساعدتهم على مد خط حديدي يربط **تركيا بأوروبا** وأيضاً **بالحجاز** ، وكان **شكسبير** المذكور قبل اندماجه للقتال مع العاهل **السعودي** مستشاراً سياسياً **لبريطانيا** في **الكويت** التي كانت خاضعة للنفوذ **البريطاني** ، وهكذا تجاهلت **إنكلترا** الخطوط الفاصلة التي سنأتي على تفاصيلها .

خطّان حول الكويت :

وتحسن الإشارة هنا إلى أن انتصارات العاهل **السعودي** على **آل الرشيد والأتراك** ، شجعته للاتجاه نحو **الكويت** ، مما حمل **إنكلترا** للتصدي لطموح زعيم (الإخوان) ، وهو الذي أدى في النهاية إلى وضع طاقين من الخطوط حول **الكويت** ، مما حمل **إنكلترا وتركيا** لإجراء مفاوضات جديدة أدت إلى وضع خطوط جديدة إضافية ، استناداً إلى اتفاقيات مفصّلة وقعت في ١٣ يوليه ١٩١٣ م ، كان توضيحها بالألوان على خريطة رسمية على صفحة تالية ، وتحتوي الخطوط على ثلاثة ألوان هي الأحمر والأزرق والأخضر ، كما هو واضح على الخريطة المذكورة مع الشرح المناسب .

القضاء على الخطوط أثناء الحرب العالمية الأولى :

وما أن نشبت الحرب العالمية الأولى وانضمت **تركيا** إليها في نوفمبر ١٩١٤ م إلى جانب **ألمانيا** ، حتى حصل اختراق الخطوط الوهمية بحكم الحرب ، ونسف الجانبان أساسها ، وكما عملت **إنكلترا** على تقوية مراكزها العسكرية في أطراف الشرق والجنوب ، قامت **تركيا** بدورها بالأعمال العسكرية المناوئة **لبريطانيا** . وهكذا مزق الطرفان اتفاقيات ١٩١٣ واعتُبرت ملغية عديمة المفعول ، ثم زالت الاتفاقيات بعد زوال أحد واضعيها ، وبالتالي غايتها في توزيع النفوذ ، ولم يعد بالإمكان اعتبارها كمراجع معتمدة لزوال الغاية التي وضعت من أجلها ، وهي توزيع النفوذ مع **الإمبراطورية العثمانية**

التي زالت ، وبقي على **إنكلترا** أن تعمل للمحافظة على نفوذها ، استناداً إلى الخط الوهمي وهو مالم توافق عليه **اليمن** بأي شكل وبأي زمن .

تركيا تعمل بالاشتراك مع اليمنيين على احتلال عدن والوصول إلى مشارفها :

وكما تجاهلت **إنكلترا** الخط الفاصل في شرق وشمال **الجزيرة** ، وبالتالي مزقت عملياً اتفاقيات عام ١٩١٣ بحكم الحرب المعلنة ، فعلت **تركيا** الشيء نفسه في الجنوب ، بالتعاون **مع اليمنيين** ، حيث جمعت **تركيا** قواتها المرابطة في **اليمن** ، واجتازت الخط الوهمي بقصد احتلال **عدن** ، ثم السيطرة على كامل **باب المندب** ذي الموقع الاستراتيجي ، وتحصين المنطقة **العثمانية** التي تشرف على المضيق ، والتي وضع حولها خط أصفر شمال وغرب **حصن مراد وميناء الشيخ سعيد** ، وهي المنطقة التي اعتبرتها اتفاقية عام ١٩١٣ المذكورة **تركية** صرفة لا يجوز انتهاكها ، وقد تجاهلت **اليمن** المستقلة الاتفاقية وخطوطها الوهمية كما ذكرنا .

القتال بين اليمنيين والعثمانيين من جهة وبين إنجلترا من جهة أخرى

الانتصار التركي اليمني الموقت والقضاء على خط ١٩١٣ الفاصل

وبعد أن احتشدت القوات اليمنية والتركية بعد إعلان الحرب العالمية الأولى على مقربة من الخط الفاصل سابقاً ، بين المنطقة التابعة للنفوذ والحكم البريطاني ، والمنطقة التابعة للنفوذ والحكم التركي ، تقدمت القوات المشتركة التي أفادت المراجع بأنها كانت تتألف من ثمانية آلاف مقاتل : ألفان من **الأتراك** وستة آلاف من **اليمنيين** .

وقد تمكنت تلك القوات من احتلال المناطق المجاورة **لعدن** تحت قيادة اللواء **علي سعيد باشا** ، حيث استولت على **لحج** التي تقع على أبواب **عدن** (٢١ شعبان ١٣٣٣ هـ/٣ يوليه/تموز ١٩١٥ م) ، كما استولت على **الشيخ عثمان** وهي المنطقة التي تشكل بالواقع جزءاً من أطراف **عدن** وضواحيها .

وقد دام هذا الاحتلال ثلاث سنوات حتى قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م ، وكانت القيادات اليمنية التي تعاونت مع **الأتراك** لطرد **الإنكليز** من ضاحية **عدن** وهي **الشيخ سعيد** مؤلفة من قبائل المناطق العدنية أي الجنوبية وهي التالية : قبائل **القماعرة** ومركزها **ماوية** ، وقبائل منطقة **تعز التعزية** ، وقبائل **الضباب وجبل حبشي** ، وكذلك قبائل **العُدين** ، وقبائل **إب وجبلة** ، والتحقت بهذه القبائل من كان بالمناطق المشرفة على طرقات **عدن** ، وهي التابعة للمشايخ **آل نعمان** وللحواشب بقيادة السلطان **علي مانع الحوشبي** .

كما التحقت بهذه القوات اليمنية والتركية القبائل التابعة **ليافع والأصابح** . وتفيد المراجع التي استمددنا منها هذه المعلومات أن قيادة **اليمنيين** عادت للقاضي **عبد الرحمن بن علي الحداد** (ت ١٣٤٠ هـ/١٩٢٢ م) .

زوال خط توزيع النفوذ جنوباً

وهكذا جاءت الحرب العالمية الأولى للقضاء على خط توزيع النفوذ بين إمبراطوريتين ، وقضت نتيجتها على إحداهما وهي التركية ، وبقي على أبناء البلاد العمل على التخلص من سيطرة الإمبراطورية المنتصرة التي زالت بدورها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وخسارتها أولاً لدرتها الغالية وهي بلاد **الهند** وما إليها . وهذا ما سنأتي على ذكره بشكل منفصل ومفصل .



خريطة الجزيرة العربية كما رسمتها الجهات الفرنسية الرسمية

نلاحظ في الخريطة الرسمية كيف أن الخطوط الحمراء والزرقاء والخضراء التي سبق وضعها من قبل تركيا وإنكلترا في الأعوام ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ م ، والتي تعدلت باتفاقيات يوليه ١٩١٣ م قد زالت وابتعدت الخطوط الجديدة عن القديمة . وأصبحت الجزيرة العربية المقسمة بلون أحمر واحد . كما وضع حول الكويت خطوطاً تحدد المنطقتين المحايديتين . ومعلوم أن جميع هذه الخطوط قد تعدلت أو زالت بدورها استناداً إلى التفاهم الودي بين الأشقاء العرب .

وربما كان المكان الذي وضع بالخريطة تحت اسم (بلاد الزهور) هو الموقع الذي زهت فيه (إرم ذات العماد) وكانت عشرة فراسخ بعشرة .

سجلت الخريطة كلمة « جوف اليمن » في عمق المشرق اليمني متداخلاً مع الربع الخالي ، وهو يشتمل على صحراء الأحقاف وبحر السافي وبلاد الزهور . وقد لوّنا تلك المواقع المحيطة بالجوف اليمني بالأخضر .

تأثير خطوط النفوذ البريطاني العثماني
على استغلال النفط في المراحل اللاحقة لاتفاقيات
١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ ، واتفاقية ١٩١٣ م

صورة موجزة عن خطوط النفوذ والتعديلات التي أدخلت عليها قبل زوالها بزوال الإمبراطوريتين العثمانية والبريطانية ، الميراث المعقّد والمتعب بالنسبة لمنطقتين حول **الكويت** ، **وواحة البريمي** ، **ثم شرورة والوديعة** .

الخط الأول

أدى توزيع النفوذ البريطاني والعثماني في بداية القرن إلى وضع خطوط فاصلة أولها ما كان التوصل إليه بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٥ بالنسبة لشمال الجزيرة وجنوبها .

ثم تعدّل الخط الوهمي الأول بالنسبة **لليمن** ، وأصبح كثير التعاريج بسبب معارضة القبائل والسكان حوله ، وكان هذا الخط المتعرج يقسم بين نفوذي الإمبراطوريتين العملاقتين آنذاك ، فما كان شمال غربي الخط عاد إلى النفوذ العثماني ، وما كان جنوب شرقي الخط عاد إلى النفوذ البريطاني .

وكانت المنطقة الخاضعة **لإنكلترا** ترتكز على **عدن** والمشيخات والسلطنات المتعددة باتجاه الشرق ، وفقاً لخطة الاستعمار التقليدية بالتقسيم والتفتيت .

وكان الخط الذي يفصل بين شطري **اليمن** يبدأ من **وادي بنا** جنوبي غربي **قعطبة** باتجاه **باب المندب** ، لكنه عندما يصل بالقرب من المضيق يقف في **حصن مراد** ، عند المنطقة المشرفة على المضيق ، والتي حصل تلوينها على الخرائط باللون الأصفر ، وهي المنطقة التي لا يجوز انتهاكها ، باعتبارها عثمانية محضة ، وربما كان المقصود من ذلك تمكّن **تركيا** من تحصينها لمواجهة جزيرة **يريم = ميون** ، التي سبق أن احتلتها **إنكلترا** بعد أن وضعت يدها عليها أثناء حروبها مع نابوليون في بداية القرن التاسع عشر (١٨٠٢ م) .

الخط الأول والخطوط الفاصلة وعدم اعتراف اليمن بأي منها

لم تعترف **اليمن** التي استقلت نهائياً بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم دخول الإمام **يحيى** إلى صنعاء عام ١٩١٩ ، بخط وضعه المستعمر البريطاني والمتسلط العثماني ، ثم دخلت جيوش اليمن المستقلة بعهد الإمام **يحيى** إلى الجنوب بقصد استعادته وتوحيد **اليمن** ، لكنها اصطدمت بعد تقدمها في الأراضي الخاضعة للنفوذ البريطاني بالجيش البريطاني ومن معه من المرتزقة ، ولما فشلت القوات البريطانية في مواجهة الزحف اليمني ، لجأت إلى الطيران (كما هو مذكور في القسم التاريخي من هذا الكتاب) ، مما حمل الإمام **يحيى** على التراجع دون الاعتراف **لإنكلترا** بأي حق ، وبوجود أي خط من أي لون ، واستمر النزاع حول هذا الموضوع ، وورث الإمام **أحمد** هذا الموقف عن أبيه ، وهكذا لم يحصل من **اليمن** المستقل أي اعتراف لأي خط كما هوا واضح تحت عنوان آخر ، وذلك لعدم الاتفاق بين **إنكلترا واليمن** على تفسير المادة الثالثة من معاهدة ١٩٣٤ م ، وإصرار الطرفين على موقفه منها ، واستمر الخط الفاصل بين **وادي بنا بمنطقة قعطبة ومنطقة باب المندب** بموقع **حصن مراد** مستنداً إلى الأمر الواقع ، وأصبح معروفاً من أبناء المنطقة ومسجلاً على الخرائط البريطانية والمستندة إليها ، لكنه غير معترف به مطلقاً من قبل **اليمن** المستقل ، أما الخط الوهمي المتعرج الذي قسم **اليمن** إلى شطرين ، وكذلك الخط المستقيم شرقي اليمن المستقل ، فلم يقبل الجانب اليمني حتى الإشارة إليه ، لا سيا وأن قبائل المنطقة الشرقية ومراكزها وأهمها **شبوة** ، كانت خاضعة لحكم الإمام وهي بعيدة جداً عن الخط المستقيم .

المرحلة اللاحقة

استمر الخلاف بين الاستعمار البريطاني **واليمن** المستقل ، واستمر تصدي **اليمنيين** ، في المشرق ، لمنع **إنكلترا** من التوغل شرقي الخط ، خاصة في موقع **نجد مرقد وشبوة** ، الأمر الذي أدى في بداية عام ١٩٥١ لعقد اتفاق تعايش مؤقت مع الأمر الواقع **موديس فيفيندي** . وهكذا بقي على الخريطة البريطانية خط كثير التعاريج يوضح حدود المناطق الواقعة تحت النفوذ البريطاني ، وكانت قد تعددت محاولات **إنجلترا** لحمل الإمام **يحيى** للاعتراف به دون جدوى ، والخط المشار إليه ينحصر في المنطقة الواقعة بين **وادي بنا وحصن مراد** المواجه **لباب المندب** شرقاً ، أما بالنسبة لما بعد **قعطبة** ، فقد تجاهل الطرفان وجود الخط المستقيم لاقتناع **إنكلترا** أن الإمام **يحيى** لا يمكن له الاعتراف به ، لا سيا وأنه قد احتج بشدة على توغل النفوذ البريطاني حتى مدينة **شبوة** منذ عام ١٩٣٨ ، واحتجاج الإمام على ذلك يعود إلى حزيران / يونيه ١٩٣٩ م . بالاستناد إلى رسالة وجهها آنذاك الإمام إلى ملك بريطانيا سننشرها حرفياً . ثم اتخذ الإمام **أحمد** الموقف نفسه .

ولما كانت **إنكلترا** عام ١٩٣٨ أصبحت طامعة بمد نفوذها إلى منطقة شبوة ، بعد أن أعطت امتيازاً

للبحث واستغلال النفط في **عدن والمحميات** لشركة **بتروليوم كونسيشن** حصل الاصطدام **مع قوات اليمن** ، واستمرت المقاومة اليمنية لمحاولات التوسع البريطاني كما ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب .

وعندما لجأت **إنكلترا** للمفاوضات التي أشرنا إليها سابقاً ، حاولت طوال مدة المحادثات التي جرت في **لندن** ودامت من آخر آب / أغسطس حتى ١٢ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٠ لحمل رئيس الوفد اليمني آنذاك المرحوم القاضي **محمد العمري** للاعتراف بحدود واضحة بين الشمال والجنوب ، أو حتى بكلمة خط فاصل دون جدوى ، لكنه حصل بالنسبة لمناطق القتال آنذاك استعمال كلمة **مناطق الأطراف** عوضاً عن خط فاصل أو نحوه ، ولكي لا تعتبر المفاوضات فاشلة ، حصل قبول اتفاقية **الموديس فيفندي** MODUS VIVENDI وهي كناية عن تبادل رسالتين بين وزير خارجية بريطانيا **أرنست بيفن** والوزير اليمني القاضي **محمد عبد الله العمري** وقد اعتبرت **شبوة** في هذه الاتفاقية ، وكذلك **نجد مرقد** وكأنهما يشكلان مركزين واقعين على الأطراف كما سبق الشرح .

توضيح لموضوع الخطوط الفاصلة

الخط الأزرق والأحمر

وضعت **إنجلترا** ابتداء من جنوب غربي **قعطبة (وادي بنا)** خطاً مستقيماً في الأصل يصل إلى نقطة تقع شمال شبه جزيرة **قطر** ، مما يقسم الجزيرة إلى قسمين جنوبي شرقي وشمال غربي .

لكنه بعد انتصارات الملك **عبد العزيز** واحتلاله **هيل وجبل شمر** كما ذكرنا ، واستعادته ملك أجداده بضمها إلى عاصمته **الرياض** ، حصل تعديل الخط الأول بإضافة خط أزرق يبدأ من نقطة تقع على خط العرض عشرين ، وخط الطول خمسين تقريباً . كما سبقت الإشارة لذلك .

الميراث والمنطقتين المحايدتين

حصل بعد مفاوضات ومداولات عديدة إحاطة الكويت بمنطقتين محايدتين تم الاتفاق على كيفية استثمار ما احتوت عليه من النفط ، وانتهى الأمر أخوياً وحبياً ، ثم حصل خلاف بين **المملكة العربية السعودية وبريطانيا** حول واحة البريمي أدى إلى قتال محدود ، ثم قطع العلاقات الدبلوماسية بين **إنكلترا والمملكة** ، وقد انتهى هذا الخلاف بفضل روح التفاهم وعلاقات الأخوة بين **الإمارات العربية المتحدة وعُمان والمملكة العربية السعودية** ، مما حمل المملكة للتنازل عن مطالبتها بالواحة وابتعادها عنها استناداً إلى الخرائط الحديثة التي لدينا لمسافة تزيد على ٢٥٠ كيلومتراً .

كما حصل خلاف وقتال بين قوات من **المملكة العربية السعودية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** بالنسبة لوصول قوات المملكة إلى **شرورة والوديعة** كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

اليمن وانعكاسات الخطوط عليها

أشرنا إلى الخط المتعرج الفاصل بين شطري اليمن ، والذي بدأ من نقطة في **وادي بنا جنوب قعطبة ، ليصل بالقرب من باب المندب إلى حصن مراد** ، وهو الخط المعروف والمسجل وغير المعترف به من قبل **اليمن** المستقل بأي شكل وبأي ظرف كما ذكر سابقاً .

وهكذا فإنه كما أوضحنا بأكثر من مكان بهذا الكتاب أن **اليمن** المستقل لم يعترف مطلقاً بهذا الخط

بالرغم من جميع الضغوط ، وقد تأكد ذلك من نص معاهدة عام ١٩٣٤ التي اعترفت فيها **بريطانيا العظمى** باستقلال **اليمن** وبالإمام **يحيى** ملكاً عليها .

تم تأكد ذلك عند امتناع الوفد اليمني الذي أقام **بلندن** شهراً ونصف بنهاية عام ١٩٥٠ من الخوض بموضوع الخط الفاصل أو الحدود ، الأمر الذي أدى إلى حصر المفاوضات حول المنطقة الشرقية من الخط الوهمي والمتعلقة **بشبوة ونجد مرقد** ، وهما بعيدتان عن الخط الوهمي غير المعروف وغير المعترف به مطلقاً ، كما أن المنطقة بكاملها تقع شرقي أول نقطة للخط المتعرج الذي يبدأ من **وادي بنا** إلى **حصن مراد** غرباً وهو المشرف على **باب المندب** المشار إليه سابقاً .

وتمسكت **اليمن** المستقلة بموقعها في عدم الاعتراف بالخط الفاصل ، وعندما استقل الجنوب استناداً إلى قرار من الأمم المتحدة تحفظت **اليمن** آنذاك لكي لا يؤدي اعترافها باستقلال الجنوب إلى تجزئة **اليمن** **الطبيعية** ، ومنها الاعتراف بوجود خط فاصل .

(راجع نص كلمة **اليمن** في الأمم المتحدة حول هذا الموضوع ص : **٧٠٢**) .

إنكلترا و بترول المشرق اليمني وشبوة
واتفاقية لندن

ثم نص رسالة الإمام يحيى إلى الملك جورج السادس

خلفيات الموضوع :

كانت **إنكلترا** قد وعدت الشريف **حسين** الذي كانت قد عينته **الدولة العثمانية** على **الحجاز** ، بأنه سيصبح ملك **العرب** بعد الحرب العالمية الأولى إذا ساعد الحلفاء على محاربة **الأتراك** ، وقامت **إنكلترا** بالوقت نفسه إبان الحرب بالتفاوض مع **فرنسا** لاقتسام منطقة المشرق العربي بعد الحرب ، وعقدت معها اتفاقية أصبحت مشهورة فيما بعد نظراً لأهميتها وأبعادها ، وسُميت هذه الاتفاقية باسم موقعيها **سايكس ـ بيكو** حيث مثل **بريطانيا العظمى سايكس** ، ومثل **فرنسا بيكو** كما أشرنا إلى ذلك .

وتنكرت **إنكلترا** بهذه الاتفاقية لوعدها الذي قطعته **للشريف حسين** بتنصيبه ملكاً على **العرب** ، ثم عوضت عليه فيما بعد كما هو معلوم بتنصيب اثنين من أولاده أحدهما على **العراق** ، والآخر على **شرقي الأردن** . وكانت اتفاقية **سايكس ـ بيكو** قد قسّمت ممتلكات **الإمبراطورية العثمانية في الشرق الأوسط** ، حيث أعطت **لفرنسا سورية والموصل ولبنان** ، وما تبقى من **الشرق الأوسط** يعود لسيطرة أو نفوذ **إنكلترا** ومنها فلسطين كما هو معلوم .

البترول ومآرب إنكلترا :

(إيجاز لما سبق مع إيضاح في الشرح ورسالة الإمام **يحيى لملك بريطانيا**) .

كان قد تبين **لإنكلترا** أثناء الحرب العالمية الأولى بأن حقول النفط في منطقة **الموصل** التي كان يجب أن تعود مع **سورية** لوصاية **فرنسا** ، غنية جداً بهذه السلعة الثمينة ، وهنا حصل تعديل لاتفاقية **سايكس ـ بيكو** حيث أعطت **إنكلترا لفرنسا** حصة البنك **الألماني** (الدويتش بنك) من شركة البترول **التركية** (تركيش بتروليوم) ، كما رأينا ، وذلك مقابل تخلي فرنسا عن **الموصل العراقي** ، لتكتفي بحكم **سورية ولبنان** بالوصاية . وانضم **الموصل** الغني بالنفط للنفوذ **البريطاني** المهين على **العراق** ، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من هذا البلد العربي الأصيل ، وحصرت **إنكلترا همّا** بعد الحرب

العالمية الأولى باستغلال النفط الذي بدأ يتدفق من كل مكان واقع تحت النفوذ **البريطاني** ، إن في **إيران أو في العراق** . كما أسست **إنكلترا** الشركة **العراقية** للبترول والمعروفة تحت اسم (IPC - إيراك بتروليوم كومباني) وعملت الشركة **البريطانية العراقية** المذكورة على نقل النفط **العراقي** بوساطة أنابيب كان الأول من نوعه ليربط آبار البترول **العراقي في كركوك بالبحر المتوسط** ، كما كانت **إنكلترا** منهمكة ليس بتوسيع حقول النفط **العراقي** وكذلك النفط **الإيراني** ، بل أيضاً المصافي والموانئ لذلك . وفي هذه الأثناء (١٩٣٣ - ١٩٣٨) كانت **أمريكا** قد حصلت بواسطة (ستاندردأويل) على امتياز من العاهل السعودي الملك **عبد العزيز** كما سبق ذكره .

وفي تلك المرحلة تبين **لإنكلترا** أن مشرق **الجزيرة** بكامله يحتوي على إمكانيات هائلة من احتياطي النفط بدأت **أمريكا** بضخه في المنطقة الشرقية من **المملكة العربية السعودية** عام ١٩٣٨ م .

المشرق اليمني

وهكذا كان عام ١٩٣٨ المؤشر الهام لغنى **الجزيرة** بالهيدروكربير بأنواعه ، ولكن كيف يمكن **لإنكلترا** أن تصل إلى أطراف **الربع الخالي** وقد اقتربت منه **أمريكا** في شماله بفضل الامتياز الذي حصلت عليه (ستاندرد) التي تحولت إلى (**آرامكو = الشركة العربية الأميركية**) .

تجاوز الاهتمام بعدن وحماية طريق الهند :

كان احتلال **إنكلترا** عام ١٨٣٩ **لعدن** يرمي لتحويلها إلى مركز لتموين سفن الإمبراطورية على طريق **الهند** ، كما أحاطت هذا الميناء المنيع بسوار من المتعاملين مع **إنكلترا** الذين تعاهدت معهم ، مقابل رواتب أو ما يماثلها . ولا هم **لإنكلترا** بذلك سوى حماية الميناء وسائر بلدان الساحل **اليمني** وموانئه . وكانت قد تحاربت مع **الأتراك** عندما حاولوا الاستيلاء على **عدن** أثناء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٥ ، ثم تحاربت مع **الإمام يحيى** عندما حاول الاقتراب من الساحل ، بعد أن ساعد أبناء الجنوب للتمرد على **إنكلترا** ، كما استطاعت قواته من احتلال بلاد **الشعيب والأجعود والقطيب وبلاد البيضا** عام ١٩٢٣ م . وفي عام ١٩٢٤ م هاجم الإمام بلاد **العواذل العليا** ، ثم عام ١٩٢٦ م استولى على **العواذل السفلى** ، وهنا خشيت **إنكلترا** على **عدن** ، لاسيا وأن الإمام كان قد وقع في هذا العام ١٩٢٦ م أول معاهدة له مع دولة أجنبية وهي **إيطاليا** التي كانت الأولى باعترافها للإمام بصفته ملكاً على **اليمن** ، لذا قررت **إنكلترا** إبعاد الإمام عن مستعمراتها ، وقد أصبح معترفاً به كملك على **اليمن** . وهكذا جهزت ضده حملة عسكرية ناجحة بفضل مساندتها من قبل الطائرات التي قصفت للإرهاب بعض المدن **اليمنية** ، حيث قتلت العديد من **اليمنيين** في المدن التي استطاعت طائرات تلك المرحلة من الوصول إليها ومنها **تعز وماوية والنادرة ويريم وقطعية وذمار** . كما حاولت **ألمانيا** وكذلك **فرنسا**

عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ إيجاد علاقات مع الإمام عندما وصل وزير **ألمانيا** المفوض **بأديس أبابا** إلى **صنعاء** ، وكذلك وزير **فرنسا** المفوض **بجدة** ، لكن الإمام أصرّ على أن يُعترف به ملكاً على **عسير وعدن والمحميات وحضرموت** ، مما أدى إلى فشل مهمة الوزير الفرنسي المفوض **بجدة** ROGER MAIGRET ، وكذلك مهمة ممثل **ألمانيا** في **أديس أبابا** .

ولما كان الإمام لا يملك أية طائرة أو أي سلاح يحارب به الطائرات **البريطانية** تعامل مع الأمر الواقع ، ثم وقع عام ١٩٣٤ معاهدة مع **إنكلترا** اعترفت بدورها به ملكاً على **اليمن** .

لكن **الإمام يحيى** بالرغم من الضغوط وحرمانه من القوة العسكرية المتكافئة والطيران ، لم يقبل بتحديد أية حدود بموجب تلك المعاهدة التي سننشر نصها في الملحقات ، وكانت **إنكلترا** تحاول بكل الوسائل حمل **الإمام** على الاعتراف بالخط الفاصل الكثير التعاريج ، الذي يبدأ **بوادي بنا** جنوب شرقي **قعطبة** باتجاه منطقة **باب المندب** التي أشارت إليها الخريطة **البريطانية** باللون الأصفر ، وهي المنطقة التي يجب أن تظل **تركية** ولا يجوز انتهاكها وفقاً لتلك الاتفاقية ، وهو ما وضّحته الخريطة **البريطانية** المرفقة عام ١٩١٤ م .

شبوة والمحاولات البريطانية التوسعية وتصدي اليمن لتلك الأطماع بإصرار وعناد :

وكانت **شبوة** الواقعة على مدخل وادي **حضرموت** وهي من المدن التاريخية الهامة تابعة لحكم الإمام **يحيى** ، كما أن القبائل **اليمنية** المتركزة في منطقة **شبوة** وفي سائر أنحاء **المشرق اليمني** والمعروفة بقبائل **عبيدة** وأيضاً **مراد والكرب والصعير** ، وكانت جميعها تدين بالولاء التام **لليمن** ، ولم تكن **إنكلترا** مهتمة بها ولا **بشبوة** ولا بالقبائل المجاورة لها لبعدها عن **عدن** . لكنه بعد أن تبين **لإنكلترا** عام ١٩٣٨ مدى أهمية واحتياطي النفط في تلك المنطقة النائية والبعيدة عن **عدن** ، عندها لم يعد بنظرها أمن **عدن** وحده مما يستحق الاهتمام وإنما **المشرق اليمني** أيضاً حيث يوجد قسم من مواد الهيدروكربير التي عثرت عليها (الآرامكو) شمال **الربع الخالي** بكميات خيالية ، عندما كانت لاتزال تحمل اسم (ستاندرد أويل) .

وهكذا هاجمت **إنكلترا** الحامية **اليمنية** المسيطرة على **شبوة** حيث تصدت لها قبائل **عبيدة ومراد من العَبر وقبيلتا الكَرَبْ والصَيْعَر** ، مما اضطر **إنكلترا** لاستعمال وسائل طيرانها الحديثة وهي المظليين ، وقد تمكنت بواسطة إنزال المظليين فوق **شبوة** من اجتياحها واستسلام حاميتها الصغيرة ، وهكذا وقع قائد الحامية التابع **لصنعاء** وهو الشيخ **مراد** أسيراً بيد المهاجين ، ثم أرسلته **إنكلترا** بالطائرة لاعتقاله **بعدن** .

وتحسن الإشارة هنا بأنه خلافاً للخط الفاصل بين الشمال والجنوب المعروف وغير المعترف به مطلقاً ، فإن الوضع في الشرق يختلف لأن الخط الوهمي الذي وضع على الخرائط لم يكن معروفاً ولا معترفاً به .

واستاء الإمام لهذا التصرف العدواني ، وطلب من قبائل **عبيدة** وخاصة **بني مراد والكَرْب والعَبر والصَيْعَر** التصدي للقوات **البريطانية** بشتى الوسائل ، كما زودهم بما يلزم لذلك عن طريق جنوده وعامله في **البيضا** . وكانت **إنكلترا** كما يذكر المسؤول **البريطاني السير برنارد ريللي** في كتابه (عدن واليمن ADEN AND THE YEMEN) قد أعطت امتيازاً لشركة (PETROLEUM CONCESSION بتروليوم كونسيشن) تشمل كامل المحميات ، ورغبت في اعتبار **شبوة** جزءاً من المحميات ، لكن ممثل الإمام وقواته والقبائل اليمنية تصدت للمحاولة **البريطانية** كما رأينا . وكان من البديهي تفسير اهتمام **إنكلترا** بمنطقة **شبوة** بأنه ناجم عن طلب (بتروليوم كونسيشن) السيطرة على تلك المناطق قبل التورط بإرسال المعدات اللازمة للبحث والتنقيب ، والمغامرة بإرسال خبرائها إلى مناطق معادية وغير آمنة ، ومع ذلك لم تتراجع **إنكلترا** عن مخططها للتسرب إلى **المشرق اليمني** ، كما أن **صنعاء** وأهل **المشرق اليمني** لم يخضعوا ، واستمر الصراع طويلاً إلى عهد الإمام **أحمد** ، وبعد أن يئست **إنكلترا** من إخضاع **شبوة والحاميات اليمنية** المتركزة هناك مما يحول دون تحقيق الأمن والاستقرار اللازمين لأعمال البحث والتنقيب . وجهت دعوة بأواخر عام ١٩٥٠ لوصول وفد يرسله الإمام إلى لندن على أمل التفاوض للتوصل إلى حل غير معلن يسمح **لإنكلترا** باتخاذ تدبير آخر للوصول إلى مشارق **اليمن** ، حيث خططت على ما يبدو لجعل كامل المنطقة بلداً مستقلاً عن **اليمن** برئاسة **شريف بيحان** . وهكذا وبوساطة مثل هذا التدبير بدا **لإنكلترا** أنها تستطيع الوصول إلى مشارق **اليمن** عن طريق أحد المتعاملين ، وليس بمواجهة **اليمن** التي أصبحت عضواً في جامعة الدول العربية وفي الأمم المتحدة ، وأصبحت تربطها بعدة دول معاهدات صداقة ، ومنها **الاتحاد السوفياتي والصين وفرنسا** . وكانت **إنكلترا** بعد التوسع الاستعماري قد نجحت في مناطق أخرى باتخاذ مثل هذه التدابير ، لكن الأيام كانت قد تبدلت عام ١٩٥٠ وأصبحت الدويلات دولاً ، وعهد الاستعمار التقليدي قد ولى ، ومكانة الإمبراطورية التي كانت لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها قد تلاشت وغابت الشمس عنها ، وانتقلت غرباً وشرقاً إلى سواها .

اتفاقية الأمر الواقع (موديس فيفندي)

وفي ٢٠ كانون الثاني / يناير ١٩٥١ وبعد مفاوضات سبق أن دامت في لندن شهراً ونصف الشهر بوساطة **الوفد** اليمني الذي ذهب إلى **لندن** برئاسة المرحوم القاضي **محمد العمري** بصفته وزيراً للدولة ،



صورة تاريخية أُخذت في دمشق عقب التوقيع على وثيقة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة في ٨ مارس ١٩٥٨ م ، وقد ظهر المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر وهو يخاطب عدداً من كبار الشخصيات اليمنية بينهم « الرئيس لاحقاً » القاضي عبد الرحمن الإرياني . كما ظهر على يمين الصورة المؤلف حاملا وثيقة الاتحاد بعد توقيعها وبجواره مباشرة المغفور له القاضي محمد بن عبد الله العمري . وكان الفقيد القاضي محمد العمري يشغل منصب وزير دولة للشؤون الخارجية . وكان المرحوم قد ترأس الوفد المفاوض مع انجلترا بنهاية عام ١٩٥٠ م ووقع اتفاقية التعايش المؤقت « موديس فيفندي » المنشورة بحرفيتها على الصفحات التالية . وقد نصت الاتفاقية المذكورة على « اخلاء دار الجمرك في نجدمرقد » من قبل القوات البريطانية كما نصت في بندها السادس على أنه : « لايوجد في الوقت الحاضر في بلدة (شبوة) أية قوات عسكرية أو هيئات إدارية » . وتجدر الإشارة هنا إلى أن (شبوة) أصبحت بعد استقلال الشطر الجنوبي مركزاً لإحدى محافظاته السبع . ومعلوم أن انجلترا كانت تحاول التوسع باتجاه المشرق اليمني عندما تصدت لها القوات اليمنية النظامية تساندها القبائل اليمنية التي تقيم في مساكنها بأطراف الربع الخالي . ونذكر هنا أن الفقيد القاضي محمد بن عبد الله العمري استشهد أثناء قيامه بمهمة توثيق العلاقات اليمنية (مع موسكو ومع بكين) عندما سقطت الطائرة الروسية التي كانت تقله والوفد المرافق له بعد انتهاء زيارته لموسكو وكان ذلك يوم ١١ اغسطس ١٩٦٠ م

وبين المستر **أرنست بيفن** وزير خارجية **بريطانيا العظمى** ، حصل التوقيع على اتفاقية نظام مؤقت (موديس فيفندي MODUS VIVENDI) أو التعايش المؤقت مع الأمر الواقع ، ونصت هذه الاتفاقية في بندها السادس على ما يلي :

« وفي تطبيق هذه المادة يكون مفهوماً أنه لا يوجد في الوقت الحاضر في بلدة **شبوة** أية قوات عسكرية أوهيئات إدارية » .

وقد وضعت هذه الاتفاقية حداً لمحاولات التوسع البريطاني في **المشرق اليمني** ، وأكدت بشكل قاطع على عدم وجود أي خط معروف أو معترف به في **المشرق اليمني** ، بخلاف الخط الفاصل الجنوبي الذي يبدأ من وادي **بنا** وينتهي **بحصن مراد** غير المعترف به أو الإشارة إليه كما كررنا ذكر ذلك . وقد تمثلت اتفاقية (الموديس فيفندي) المذكورة بشكل تبادل رسائل بين وزير خارجية **بريطانيا العظمى** ، وبين وزير الدولة وكيل وزارة الخارجية اليمنية الشهيد القاضي **محمد العمري** ، **مؤرخة يوم ٢٠ كانون الثاني / يناير ١٩٥١ م وهي موجهة إلى وزير خارجية بريطانيا العظمى المستر أرنست بيفن كما سبق الشرح . ونذكر أن المغفور له المرحوم القاضي محمد بن عبد الله العمري توفي أثناء تأديته مهمة رسمية رفيعة المستوى عندما سقطت الطائرة التي كانت تقله من موسكو . وإننا نعتبر من يلقى ربه أثناء تأديته خدمة وطنية هو من الشهداء رحمهم الله أجمعين .**

وعندما وصل جواب **بريطانيا** على رسالة **اليمن** أصبحت الاتفاقية سارية المفعول ، وذلك في العاشر من شهر أيار / مايو ١٩٥١ ، وهو ما أدى إلى تبادل التمثيل الدبلوماسي لأول مرة بين **بريطانيا العظمى واليمن** تنفيذاً للمادة الأولى من اتفاقية التعايش المؤقت المذكور .

الميراث والوحدة اليمنية التي جعلت الخط الفاصل غير ذي موضوع الطبيعة للمفهوم الوحدوي

وعندما استقل الشطر الجنوبي عن الحكم البريطاني ، ورث عنه الوضع القائم ، وهو عدم الاعتراف من قبل **اليمن** المستقل بأية حدود أو خط فاصل بين شطري اليمن ، ومنه بالنسبة للمشرق اليمني اعتبار **شبوة** خالية من أية قوات عسكرية أو هيئات إدارية (من الطرفين) مما يجعلها محايدة ، وفقاً لمفهوم هذه الفقرة وهي في البند السادس من الاتفاقية المذكورة ، كما تعهدت **بريطانيا** بموجب المادة العاشرة من الاتفاقية إخلاء دار الجمرك اليمني الذي كانت **إنكلترا** قد هدمته ، وهو في **نجد مرقد** ويفهم من ذلك بوضوح أن مركز **نجد مرقد** لم يعد آنذاك خاضعاً للسلطة البريطانية ومرتزقتها ، وأصبح تابعاً للطرف المستقل عن النفوذ البريطاني .

الموقف في الأمم المتحدة

ونذكّر هنا أنه لما حصل التصويت في الأمم المتحدة على قرار استقلال **عدن** والمحميات (الشطر الجنوبي) عام ١٩٦٦ م استناداً إلى تقرير لجنة تصفية الاستعمار ، انفرد مندوب **اليمن** بالتحفظ ، لأن القرار لا ينص على وحدة الشطرين اللذين يؤلفان بلداً واحداً ، وقد حصل تسجيل هذا الموقف رسمياً في محضر جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٤٩٠ المنعقدة بعد ظهر يوم ١٢ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٦ م ، والمأخوذ صورة فوتوغرافية عنها في الصفحة ٢٥٥ من كتابنا بالإنكليزية الصادر عام ١٩٧٢ م ، والمذكور في القسم التاريخي من هذا الكتاب . والمنشورة صورته بهذا الكتاب في الصفحة **٧٠٢** .

هذا وإننا سننشر نص كامل الاتفاقية ضمن ملحقات هذا الكتاب . لكننا سنعود إلى عام ١٩٣٨ عندما هاجمت إنكلترا مدينة **شبوة** في البر ، وبواسطة المظليين في الجو ، واقتادت قائد الحامية معتقلاً إلى **عدن** ، ذلك أنه عندما حصل هذا العدوان السافر لم تكن قوات **اليمن** متكافئة مع قوة **الإمبراطورية البريطانية** ، وهي في مجدها قبل انهيارها عقب الحرب العالمية الثانية ، ثم تفتت ممتلكاتها . لذا لجأ الإمام **يحيى** إلى الوسائل الديبلوماسية التي لا تجدي نفعاً إن لم تؤازرها قوة حقيقية عسكرية أو سياسية أو اقتصادية ، لكنها تساعد على تسجيل المواقف لاعتمادها عند تبدل الظروف والوصول إلى مائدة المفاوضات ، وجدير بالذكر أن رسالة (ملك اليمن) إلى الإمبراطور **جورج السادس** ، تحتوي على التأكيد بأن **شبوة** ومنطقتها يمانية كغيرها من المناطق المحتلة .

رسالة الإمام يحيى لتسجيل معارضة اليمن لمحاولة إنكلترا الوصول إلى المشرق اليمني

وهكذا قبل تاريخ الرسالة الآتي نصها الكامل إلى تاريخ انسحاب **انكلترا** من المنطقة كان الاستناد إلى اتفاقية الموديس فيفندي المذكورة (مارس ١٩٥١) ، واستمر **اليمن** المستقل في موقفه المتصدي عسكرياً وسياسياً للمحاولات العديدة والمخططات التي كانت ترمي لتفتيت **المشرق اليمني** ، نظراً لما يمكن أن يحتوي عليه من مادة (الهيدروكاربير) الثمينة ، وفصله عن السلطة المركزية المستقلة بحكم الواقع والقانون الدولي ، وهو ما حمل **إنكلترا** على التروي وعدم التورط في قتال مع **اليمن** وقبائله التي ترحب بالقتال وتعتبره شيئاً من الفروسية التي تساعد على إظهار البطولات . وكان جنود **صنعاء** مؤلفون غالباً من القبائل استناداً إلى تقاليد معمول بها آنذاك .

شبوة ومنطقتها كغيرها من المناطق المحتلة
يمانية منذ أن خلق الله العالم إلى اليوم
وسيادة اليمن عليها لم تنفصل يوماً واحداً عن أمها اليمن
الموقف اليمني الرسمي المسجل بالنسبة
للمناطق الشرقية من قعطبة
كما كانت موضّحة منذ عام ١٩٣٩ م
بالاستناد إلى رسالة الإمام يحيى إلى الملك جورج السادس

وهذا نص الرسالة التي جئنا على ذكرها ويعود تاريخها إلى حزيران / يونيه ١٩٣٩ ، أي بعد عام واحد من ظهور أهمية مخزون النفط حول **الربع الخالي** :

« من ملك **اليمن الإمام يحيى** إلى صاحب الجلالة الإمبراطور **جورج السادس** المعظم ، **لندن** .

بعد تقديم التحية لجلالتكم ، أعرض لجلالتكم تأثراتي العظيمة من إذاعات راديو **لندن** باللسان الرسمي الحكومي وادعائها أن **شبوة** ومناطقها داخلة في الأراضي المحتلة ، مستندة في ذلك إلى معاهدة سنة ١٩٣٤ ، وقد كنت خاطبت جلالتكم سابقاً بشأن **شبوة** ومناطقها كلها ، وأنه لم يكن لأحد شأن فيها في أي وقت كان ، لا من قريب ولا من بعيد ، وكنت التمست من جلالتكم طلب أوراق المخابرة الواقعة بشأنها من **عدن** ، للاطلاع على ما حدث من الوقائع بهذا الخصوص ، بين **عدن واليمن** ، فإن ادعاء حكومة **عدن** أن **شبوة** من المناطق المحتلة مخالف لكل الوقائع وعارٍ عن كل إثبات ، فحكومتي مضطرة للاحتجاج ، ولا يمكن لليمنيين السكوت عن عمل مخالف للحق ، مجانب للصداقة بكل معنى .

ومعلوم لجلالتكم أن **شبوة** ومنطقتها يمانية ـ كغيرها من المناطق المحتلة ـ منذ خلق الله العالم إلى اليوم ، وسيادة **اليمن** عليها لم تنفصل يوماً واحداً عن أمها **اليمن** ، وكل قرار غير شرعي نرده بلا شك ، ولم تتعهد **اليمن** لأي شخص أو دولة بأن تسلمه حقوقها وملكها ، وهل يمكن بيع أو إهداء أرض زراعية ممن لا يصح تصرفه فيها ، ومن المعلوم أن **العثمانيين** وغيرهم لم يدخلوا **شبوة** ومنطقتها فلم يتصرفوا بشيء منها وفيها .

وهل من المعقول والمقبول المطالبة بهدية لم تقدم من مالكها ، ومن المعلوم أيضاً أن جدنا **الإمام الهادي** هو الذي عمر الحصون قبل ألف سنة ، وأن سلفنا **الإمام** أقام في **شبوة** ، فنحن متسلسلون في **شبوة** ، وسكانها متعلقون بحكومتنا مع جملة إخوانهم **آل جابر** .

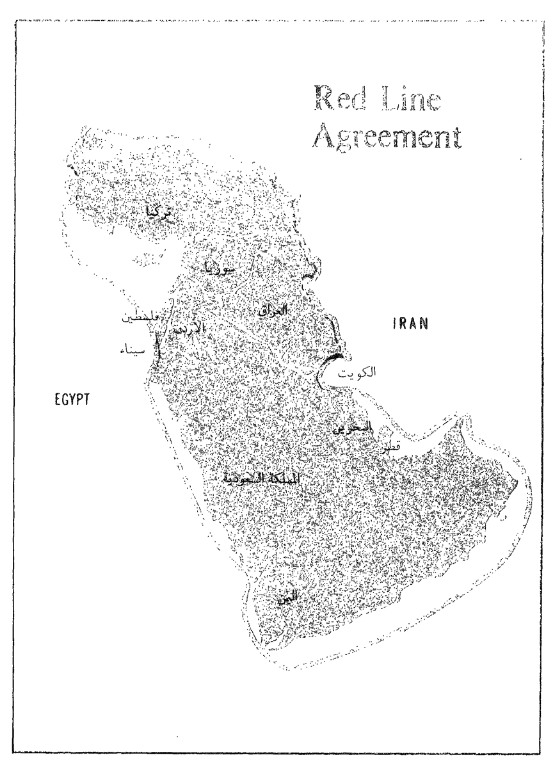
وفي أغسطس سنة ١٩١٤ م . اندلعت الحرب العامة ، وتحاربت **بريطانيا** مع **العثمانيين** ، ولم يبق للدولة **العثمانية** وجود في العالم ، وأما **تركيا** الحاضرة فلم تصل إلى **اليمن** ولم تعمل **لليمن** شيئاً ، فهل يمكن أن تجيز القوانين الشرعية والمدنية الاعتداء على بلاد دولة مستقلة ثم اغتصابها ؟ وهل يمكن لأي **يمني** كان يرضى بتسليم أرض أجداده التي حافظوا عليها إلى هذا اليوم بدمائهم وأرواحهم ؟ فألتمس من عدالتكم النظر إلى الأمر بعين العدالة والإنصاف .

ومعلوم لدى جلالتكم أن حكومتكم عقدت مع **اليمن** سنة ١٩٣٤ م . برضائها وطلبها معاهدة الود والصداقة مع **اليمن** ، وتصرح المادة الثالثة من المعاهدة بأنه لا يجوز أن يتبدل أي حال بين **عدن** **واليمن** باتفاق الطرفين ورضائهما .

فهل ياصاحب الجلالة ترضى العدالة وترضى القوانين الدولية والحقوق الإنسانية بعد تلك المعاهدة أن يعتدى على أرضنا وحقوقنا الطبيعية ؟ وهل يمكن أن توافقوا على هذه الاعتداءات والتجاوزات ؟

وبكل احترام أطلب من جلالتكم تحقيق وتدقيق هذه العدالة ، وإصدار أوامركم إلى من يلزم باحترام حقوقنا وعدم إحراج أمتنا .

حرر في ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٢١ يونيو سنة ١٩٣٩ م » .



الخط الأحمر الذي اتفقت عليه شركات النفط الكبرى في بداية القرن لعدم السماح لسواها بالحصول على امتيـاز في بلد يقع ضمن الخط ، وكانت الكويت وسيناء خارجه ، واليمن ضمنه كما هو واضح .

احتكار استغلال حقول النفط ضمن خط أحمر وضع على الخريطة حول تركيا والجزيرة العربية باستثناء الكويت وسيناء

قبيل الحرب العالمية الأولى ، كان الخلاف على أشده بين مختلف الشركات التي كانت تعمل بغالبيتها تحت رعاية **بريطانيا** ، حيث حصلت عدة شركات على امتيازات نفط من الإمبراطورية **العثمانية** ، وقد اشتد الخلاف بين الشركات بسبب تدخل الدول المنتسبة إليها والمساهمة بها بشكل أو بآخر . وكانت هذه الدول في الأصل ثلاثة هي : **ألمانيا** ، **وإنكلترا** ، **وهولندا** ، وكانت تتعامل مع الدولة **العثمانية** : عن طريق وسيط **أرمني معروف عالميا اسمه سركيس جولبكيان** ، كان مقرباً من الباب العالي ، وثم تمكن **جولبكيان** عام ١٩١٢ من تأسيس شركة (تركيش بتروليوم) (أي شركة البترول التركية) ، وهي التي اشتركت فيها الدول الثلاثة المذكورة .

الخط الأحمر المتعلق باستغلال البترول وتوزيع الحصص :

وفي عام ١٩١٤ ، أي قبيل الحرب العالمية الأولى بأشهر فقط حصل الاتفاق بين (البنك الألماني DEUTSCH BANK = دويتش بنك) وحصته ٢٥ في المئة ، و (رويال دويتش ROYAL DUCH) **الهولندية** وحصتها ٢٢,٥ في المئة ، و (أنكلو بيرسيان ANGLO-PERSIAN CO) **الإنكليزية الفارسية** وهي **بريطانية** وحصتها ٤٧,٥ في المئة ، وأما الخمسة في المئة المتبقية فتعود إلى الوسيط **الأرمني سركيس جولبكيان** الذي أصبح أحد كبار أصحاب الملايين في العالم .

وقامت هذه المجموعة من المصالح بوضع خط أحمر على خريطة الشرق الأوسط ، تعهدت بموجب الاتفاقية التي تحمل الاسم نفسه أن لا يقوم أي طرف من الأطراف « بصورة مباشرة أو غير مباشرة بإنتاج أو تحويل النفط الخام بصورة منفردة عن الأطراف الأخرى » في أي بلد أو منطقة تقع ضمن الخط المذكور ، وقد وقعت اليمن ضمن الخط الأحمر الذي أحاط الجزيرة العربية بكاملها .

فرنسا وأمريكا والخط الأحمر بعد الحرب
وتقسيم البلاد وثروتها النفطية

لكنه ، بعد الحرب العالمية الأولى وانهزام اليمن وانهزام ألمانيا وضعت إنكلترا يدها على حصة البنك الألماني وهي ٢٥ في المئة ، ثم حولت هذه الحصة لفرنسا المنتصرة ، وكان ذلك مقابل تنازل فرنسا عن حصتها في الاستيلاء على منطقة الموصل شمال العراق ، وفقاً لاتفاقية كانت قد وقعتها فرنسا وإنكلترا أثناء الحرب تحت اسم اتفاقية (سايكس - بيكو SYKES - PICOT) توزعتا بها النفوذ على الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب كما رأينا ذلك بمكان آخر . وكانت منطقة الموصل في العراق واقعة في تلك الاتفاقية ضمن نطاق سورية ولبنان ، لتصبح تابعة للنفوذ الفرنسي . ثم طالبت أمريكا حلفاءها الذين ناصرتهم بنجاح بالدخول في اتفاقية الخط الأحمر ، علماً بأن دخول أمريكا في الحرب كان العامل الرئيس بانتصار الحليفتين فرنسا وإنكلترا . وبعد مفاوضات ومداولات دامت عامين (١٩٢١ إلى ١٩٢٣) أُعيد النظر كلياً في تركيبة شركة البترول التركية صاحبة الخط الأحمر ، لتدخل فيها مجموعة شركات أمريكية تحت اسم (NEAR-EAST DEVELOPEMENT CORPORATION) أي : شركة تطوير الشرق الأدنى . وضمت هذه المجموعة من الشركات اسمين كبيرين من الشركات الأمريكية هما : (ستاندرد أويل أوف نيويورك) و (ستاندرد أويل أوف نيوجرسي) . ثم اشترت هاتين الشركتين العملاقتين أسهم الشركات الأمريكية الأخرى التي اشتركت أصلاً في شراء الحصة ضمن نطاق الخط الأحمر .

وهكذا ظل الخط الأحمر ساري المفعول ومحترم المضمون ، إنما اختلفت الشركات والجهات والدول التي انضمت إلى احترام بنوده .

حدود خط الاحتكار الأحمر واليمن

لقد ضم الخط الأحمر كامل تركيا الحالية والعراق ، وجميع بلدان الجزيرة العربية بما فيها اليمن . كما ذكرنا ، باستثناء شبه جزيرة سيناء والكويت ، كما هو واضح في الخريطة المرفقة المنقولة عن المراجع النفطية العالمية .

مصدّق وإيران وإيطاليا ثم اليمن

وفي عام ١٩٥١ ألغى محمد مصدق رئيس وزراء إيران اتفاقية بلاده مع الشركات الأجنبية ، وكانت مصفاة عبدان قد أصبحت أكبر مصفاة نفط في العالم ، لكنه حصل تدبير انقلاب على مصدّق بالتعاون مع وكالة المخابرات الأميركية (إيسي أي أي) كما هو معروف ومعترف به ، وعادت الأوضاع

عام ١٩٥٣ إلى ما كانت عليه سابقاً . كما كان قبل ذلك إبعاد الملك **رضا خان** إلى **جنوب إفريقيا** وتنصيب ابنه شاهاً على **إيران** لذات الاعتبارات ، مذكّرين أن **إنكلترا والاتحاد السوفياتي** كانتا قد اتفقتا سراً على احتلال **إيران** ، واجتمعت جيوشهما في **طهران** أثناء الحرب العالمية الأخيرة .

ثم جاء رجل الأعمال الإيطالي الجريء (**ماتي**ENRICO MATTEI) رئيس شركة (أجيب AGIP) التابعة للحكومة **الإيطالية** ولمؤسستها المختصة ، بتأمين الطاقة ليحصل على امتياز بشروط مغرية **لإيران** ، استناداً إلى اتفاق تمّ بينه وبين حكومة **مصدّق** ، كما فعل ذلك في **مصر والمكسيك** وسواهما ، وتجاوز لأول مرة مبدأ مناصفة بالأرباح المعروف تحت تسمية (فيفتي فيفتي) ، أي نصف بنصف ليعطي البلد المنتج للنفط أكثر من ثلاثة أرباع الربح . وكان السنيور **أنريكو ماتي** المذكور قد أمّن للمصافي **الإيطالية** التي توقفت أثناء الحرب كل ما تحتاج إليه من نفط بشرائه احتياجات **إيطاليا** من هذه السلعة الأساسية ، لتستعيد البلاد عافيتها الاقتصادية ، وذلك من مصدر غير مرغوب فيه آنذاك للتعامل معه وهو الاتحاد السوفييتي الذي تمكن بواسطة مبيعاته إلى (أجيب) الإيطالية من شراء مصانع غريبة متطورة ضرورية لاقتصاده المنهار بعد الحرب .

إنما عاجلت المنية **ماتي** وتوفي عندما سقطت طائرته الخاصة ، وهناك من ادّعى أنها أسقطت ، وانتهت بانتهائه محاولات **إيطاليا** الدخول في دائرة الامتيازات النفطية العالمية . وتجدر الإشارة هنا إلى أن رئيس شركة (أجيب) الإيطالية السنيور **ماتي** المذكور كان قد فاوض **اليمن** في **روما** للحصول على امتياز بشروط متوازنة ومغرية **لليمن** ، متجاهلاً الخط الأحمر وقاعدة المناصفة بالأرباح .

لكن المفاوضات التي كانت قد وصلت إلى مرحلة نهائية لم تصل إلى نتيجة إيجابية مع **اليمن** ، حيث تمّ الاتفاق آنئذ مع رجل النفط **الأمريكي** المستر **ميكوم** صاحب إحدى شركات النفط في **تكساس** ، إنما شركة **ميكوم** هذه لم توفق بالعثور على النفط في منطقة الامتياز التي أعطيت لها في **تهامة شمال الحديدة** . لذا انتقل **ميكوم** إلى **حضرموت** ليحل محل شركة (بان أميركان PANAMERICAN) ثم أفاد شفوياً بأنه عثر على النفط هناك بكميات تجارية ، لكنه اضطر لإنهاء أعماله لاعتبارات سياسية .

أهمية البترول العربي

يحسن بنا أن نشير لكلمة بترول التي أصبحت مستعملة وأقرتها المعاجم العربية بأنها مرادفة لكلمة نفط ، وهي التي كانت تطلق على المواد الدهنية التي توجد في الطبيعة ، وكانت تستعمل في مجالات طبية وغيرها . وأما كلمة بترول ونعتها بالذهب الأسود فهي حديثة ومشتقة من اللاتينية ومعناها **زيت الأرض** وكلمة **بترو** معناها الأرض باللاتينية وكلمة **أويل** معناها **زيت** . **ولا يمكن التطرق إلى** مثل هذا الموضوع الهام دون أن يكون حاضراً في الذهن حقيقة لابد من الإشارة إليها .

وتتلخص هذه الحقيقة أن جميع السلع في العالم مهما كانت كمياتها وأثمانها ، تكتفي بالخضوع لقاعدة العرض والطلب المعتمدة تجارياً . لكنه يستثنى من هذه القاعدة ، ولحد كبير ، السلع التي تخضع لعنصر إضافي سياسي ، وهي التي تتصف بالأهمية الحيوية بالنسبة للجيوش والدفاع ، وخاصة لدى الدول العظمى ، ومن هذه السلع في الآونة الأخيرة ، نخص الآليات الدقيقة أو المعقدة ذات التكنولوجيا المتقدمة جداً والضرورية لإنتاج الأسلحة النووية وتطوير الصورايخ والآليات الحربية المعتمدة على الإلكترونيات . وكانت قبل الآونة الأخيرة ولا تزال سلعة الطاقة النفطية هي الوحيدة التي لا قيمة لأي جيش عصري بدونها ، حيث أنه من البديهيات أن الجيوش الحديثة تعتمد على الآليات بأنواعها إن على الأرض أو في البحر أو في الجو . وفي انعدام الوقود تنعدم أهمية الجيوش العصرية . وقد بدأت هذه الظاهرة تتجلى بوضوح منذ الحرب العالمية الأولى ، حيث كانت الحاجة في بدايتها إلى ٤٤ ألف برميل لتصبح بالنسبة لحاجة الطيران وحده ست مئة ألف برميل يومياً في نهايتها .

ويجدر بنا أن نذكر بهذه المناسبة استجارة فرنسا بأمريكا في الحرب العالمية الأولى :

برقية كليمنصو التاريخية

أفادتنا مراجع الحرب العالمية الأولى أنه في السنة الثانية من الحرب العالمية الأولى الطاحنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م كان قد أصبح استعمال الآليات منتشراً لدى جميع الفرقاء ، وقد تصاعد استعمال الطيران ليصبح أضعاف ما كان عليه في بدايته المتواضعة جداً ، وهكذا لجأت الدول المتصارعة لدرجة الاستماتة في معارك **فردان** الشهيرة عالمياً ، لتحصيل البترول في أي مصدر ممكن وبأي ثمن .

ولما كانت آنذاك بحاجة ماسة لهذا النوع من الوقود ؛ أخطر آنذاك رئيس وزراء فرنسا **جورج كليمنصو** الذي لقب **بالنمر الفرنسي** لصموده وانتصاره ، أن يبعث إلى رئيس الولايات المتحدة **ويلسون** برقية الاستجارة التي أصبحت مشهورة تاريخياً ، والتي تعود إلى اليوم السادس من كانون الأول / ديسمبر ١٩١٧ م ، حيث قال فيها **نمر فرنسا** للرئيس **ويلسون** مايلي :

« سيكون البترول في معارك الغد ضرورياً مثل الدماء » .

وقد أخذت هذه البرقية الشهيرة لاحقاً أهميتها ، وكثر التذكير بها في العديد من المناسبات ، للإشارة إلى صدق رؤية **كليمنصو** = **نمر فرنسا** وهو الذي لعب بالحرب العالمية الأولى الدور المثالي في الصمود كالذي لعبه **تشرشل** في الحرب العالمية الثانية .

أما الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ فقد ارتفعت الحاجة من أربعة ملايين برميل يومياً إلى أكثر من ثمانية ملايين برميل يومياً .

ونذكر هنا للتأكيد على أهمية النفط التي تجلت بوضوح مذهل خلال الحرب العالمية الأخيرة الحدثين الآتيين :

الأول : عندما تبين للحلفاء المحاربين ضد ألمانيا ، أن قوة هتلر العسكرية تعتمد بصورة رئيسية على الآليات ، ومنها المصفحات الضخمة والطائرات العديدة ، عملت قبيل نهاية الحرب على تفجير مصدر النفط الحيوي الذي كان يعتمد **هتلر** عليه وهو آبار البترول ومنشآته في **رومانيا** البعيدة جداً عن الجبهة الغربية ، ذلك أنه بعد أن وصلت قوات الحلفاء إلى **شمال إفريقيا** وقررت قيادتهم الواعية تفجير تلك المنشآت مهما كلف الثمن ، وبالرغم من بعد المسافة ، والأخطار الأكيدة ، خصصت تسع مئة طائرة لتنفيذ هذه المهمة ، وقد حصل بالفعل تفجير آبار ومنشآت البترول الرومانية ، بعد أن سقط للحلفاء في هذه العملية الفريدة ثلاث مئة طائرة في يوم واحد .

ثانياً : عندما جمع **هتلر** كافة آلياته العديدة والمتقدمة ، وقام بهجومه المعاكس الناجح في الأراضي البلجيكية بقصد القضاء على جيوش الحلفاء التي كانت قد اقتربت من حدوده . إنما لم تتمكن آلياته الهائلة من الحصول على الوقود اللازم لمتابعة تقدمها ، فتوقفت على مسافة ١٢ ميلاً فقط من ميناء **أنفرس** البلجيكي ، حيث كان النفط متوفراً فيه . أما جيوش الحلفاء التي تمكنت من القضاء على الآليات الألمانية المتوقفة لحرمانها من البترول فقد كانت آلياتها المتقهقرة أولاً تموَّن بالنفط بواسطة أنبوب ضخم كان يحصل تمديده وراء الآليات لاستمرارية تزويدها بالوقود التي كانت تحصل عليه بواسطته ، بعد أن كان تمديده تحت البحر من الجزر البريطانية . وبينما آليات **هتلر** المتقدمة تحولت

إلى سجون معدنية لمن فيها ، لعدم توفر البترول لحـاجتهـا ، هـاجمتهـا آليـات الحلفـاء المزودة بـالوقود وأهلكتها وحقق الحلفاء بذلك نصرهم النهائي .

وكانت معركة **الأردين** هذه ولا تزال أمثولـة حيـة لأهميـة حصول الجيوش على النفـط ، وانعـدام أهميتها عند فقدان الطاقة الضرورية لحركتها .

وفي ذهن رجال السياسة وخاصة رجال الدفـاع أمثلـة عـديـدة مماثلـة مما جعل سيـاسـة الـدول الرئيسية تعنى بالحصول على الوقود لحماية جيوشها ، وأيضاً لتأمين حاجة مواصلاتها وصناعاتها .

ومن هنا جاء عنصر جـديـد غير عنصر العرض والطلب ليضـاف إليـه ، وهو تـأمين الحصول على النفـط الـذي يشكل العنصر الأسـاسي في الحرب والسلم على السـواء ، لأنـه حيـوي بـالنسبـة لمـا يسمى بالاستراتيجية العسكرية وكذلك الاقتصادية ، وهكذا فإن سلعة الطاقة لا يمكن معالجة موضوعها دون أن يتدخل فيها عنصر الأمن العسكري والاقتصادي والاستراتيجي .

لذا أصبح من الواضح والبديهي أن يكون اهتمام المسؤولين في الدول العظمى بالنفط ومصـادره ، وتأمين احتياجات بلادهم منه أمراً أساسيـاً في التخطيـط لسيـاسـاتهم ومصـالح بلادهم العليـا . وتمتلـك الحكـومـات في البلـدان ذات الاقتصـاد الحر **الليبرالي** حصّة وافرة من الشركات ، للتمكن من تـوجيـه سياستها النفطية من داخل مجالس إدارتها . ومعلوم أن شركـة **بريتش بتروليوم** البريطـانيـة عرضت أخيراً في الأسواق قسماً كبيراً من أسهم الحكومة البريطانية ليتم شراؤها من المواطنين وسواهم ، مما سـاعـد **الكويت** وجهاتها الاقتصادية الواعية والبعيدة النظر من شراء كل مـا تيسر لهـا من أسهم هـذه الشركـة البريطانية العالمية . إنما هذا الإجراء لا يعني مطلقاً أن بريطانيا العظمى لن تكون لها الكلمة المسموعة بعد ذلك في هذه الشركة العملاقة التي تعتبر الآن بين ما يسمونه بالأربعـة الكبـار عوضـاً عن الأخوات السبع التي سيطرت في الماضي على سلعة **الهيدروكاربور** ومشتقاتها من مرحلـة البحث أو التنقيب حتى مرحلة التوزيع على المستهلك . لذلك حددت عدد الأسهم التي يمكن بيعهـا لغير المواطنين ، واستـاءت من شراء **الكويت** لكمية من الأسهم ، ربما وصلت أخيراً إلى ٢٢ بـالمئـة الأمر الـذي أزعج رئيسـة وزراء بريطانيا **مدام تاتشر** التي طلبت إحالة الموضوع إلى جهات خاصة عليـات ليحول قـانونيـاً دون تمكين غير البريطانيين وحكومتهم من تسيير سياسـة النفـط الحيويـة . أمـا بـالنسبـة للـدول ذات الاقتصـاد الحكومي الاشتراكي فسيطرة الدولة على الطـاقـة كاملـة ومطلقـة ، وقـد مكنّت **الاتحـاد السوفيتي** من تأمين حاجة البلدان المتعاونة معه أو التابعة له من تـأمين حـاجتهـا من النفـط والغـاز السوفيتي ، مع تصدير مليون برميل نفط يومياً إلى الدول الأخرى . أما الغاز السوفيتي فقد أنشئت له الأنابيب ليصل إلى جميع أوروبا الغربية .

كما يحسن بنا أن نذكر هنا أن **اليمن** هي جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط الذي يحتوي على أكبر مخزون واحتياطي نفطي معروف حتى الآن في العالم أجمع ، (وقدّر المخزون حتى الآن بأكثر من سبع مئة ألف مليون برميل . منها نحو ٤٠٠ ألف مليون للبلدان العربية وإيران بينها نحو ١٧٠ ألف مليون **للسعودية** وحدها راجع الكشف المنشور على الصفحة ٣٩٩ ، وبالمقارنة فإن احتياطي **الولايات المتحدة الأميركية** يقدر بأربعة وثلاثين ألف مليون برميل ، وهو قليل بالنسبة لكمية استهلاكها المذهل من هذه الطاقة الحيوية . كما أن **اليمن** تقع جغرافياً على جنوب وجزء من شرقي الجزيرة العربية التي هي في واقع الشرق الأوسط الخزان الأكبر لمادة **الهيدروكاربور** النفطية الغازية ، وللدلالة على أهمية نفط الجزيرة ومنها **اليمن** ، نسرد هنا عرضاً لحدث تاريخي يساعد على أخذ فكرة عن العناية التي تمتعت بها الجزيرة العربية منذ التعرف على مدى مخزونها الهائل من النفط .

بترول الجزيرة العربية
وانعكاساته على كامل المنطقة وأهميتها

نظرة على الماضي لصحة التعرف على الحاضر

كانت إنكلترا حتى عام ١٩٣٣ تسيطر عملياً على استغلال النفط في كامل مناطق الخليج ماعدا **المملكة العربية السعودية** (**نجد والحجاز** آنذاك) ، أي في **إيران والعراق** ثم **الكويت** ، وخاصة في **البحرين** ، حيث أنشأت أكبر مصفاة للنفط ، وكان يتم ذلك بواسطة عدة شركات عالمية أهمها : شركة **أنكلو ـ إيرانيان** الإنكليزية الإيرانية ، ثم حصل التعاون مع شركات أمريكية .

وفي عام ١٩٣٣ حصلت شركة **ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا** الأمريكية على امتياز في المنطقة الشرقية من **المملكة العربية السعودية** ، وقبيل الحرب العالمية الثانية ، أي عام ١٩٣٨ ، تبين للشركة الأمريكية أن النفط متوفر بشكل تجاري في منطقة الامتياز الذي حصلت عليه من الملك **عبد العزيز آل سعود** وهي منطقة **الأحساء** المواجهة **للبحرين** . وعندما وقعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ازداد اهتمام الشركة الأميركية في البحث والتنقيب ، مما جعلها تقتنع استناداً لأبحاثها وإلى تقرير المهندس **كارل توتشل** الذي سنأتي على ذكره ، بأن المملكة تحتوي على مخزون ضخم جداً من النفط ، وهو الذي تبين فيما بعد أنه أكبر مخزون نفط معروف حتى الآن في العالم أجمع ، وربما وصل إلى مئتي ألف مليون برميل ، علماً بأن التقدير الرسمي المعلن حالياً هو ١٧٠ ألف مليون برميل كما ذكرنا ، بينما مخزون **الولايات المتحدة** للمقارنة قدر أخيراً بأربعة وثلاثين ألف مليون برميل . وقد اعتبر الخبراء أن هذا المخزون بالرغم من ضخامته ، لا يكفي لتأمين حاجتها لمدة تتجاوز ١٢ عاماً ، هذا إذا ما حصرت انتفاعها بما هو متوفر لديها فحسب ، وذلك نظراً لحاجتها المتناهية لهذه الطاقة التي تعتمد عليها إلى حد بعيد ، وفي جميع المجالات وبينما حاجة منطقة الشرق الأوسط بكاملها من مخزونها لا يشكل سوى نسبة ضئيلة للغاية جداً من مخزونها ، لاسيما إذا خططت للاعتماد على الغاز الطبيعي المتوافر لديها ، كما أشرنا آنفاً .

نفط الجزيرة والانعكاسات الدولية ـ لقاء العاهل السعودي بالرئيس الأميركي

خرجت **الولايات المتحدة الأمريكية** في نهاية الحرب العالمية الثانية ظافرة ، بعد أن كان لها الفضل الأكبر في القضاء على إمبراطورية **هتلر** الألمانية وعلى الإمبراطورية اليابانية ، التي كانت قد

شملت كامل **الصين وبلاد المحيط الهادئ** كما كانت الإمبراطوريتان الفرنسية والبريطانية منهكتي القوى متفككتين ، وكان الاقتصاد الأوروبي قد أصبح في الحضيض ، ولم يعد باستطاعة أي مصنع أو مؤسسة التحرك دون الحصول على المساعدة الأمريكية ، التي تحولت بعد ذلك إلى ما سمي بمشروع **مارشال** لإعادة الحياة لأوروبا . كما أصبح الدولار العملة الوحيدة المعتمدة للتعامل الدولي ، وأضحى مخزون الذهب في عنابر **فورت نوكس** الأمريكية مثلاً لفرط الغنى والبحبوحة الخيالية ، كما كانت **أمريكا** الدولة الوحيدة المسيطرة على القنبلة الذرية . وكان يرأس هذه الإمبراطورية الجديدة العملاقة التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها إمبراطور **قيصر** لا يحمل هذا اللقب وهو الرئيس **فرانكلين روزفلت** . وكان **روزفلت** رجلاً مريضاً مقعداً ، ومع ذلك طلب **قيصر العالم الحديث** أن يجتمع بزعيم عربي عملاق هو الملك **عبد العزيز آل سعود** ، وقد حصل الاجتماع المنشود في المياه العربية على سفينة حربية أمريكية في مياه عربية **بقنال السويس** في شهر شباط / فبراير ١٩٤٥ م ، وذلك عقب انتهاء مؤتمر **يلطا** الذي حصل فيه توزيع النفوذ في العالم العربي وهو المعتمد حتى يومنا هذا .

ويتساءل المرء أو المؤرخ لماذا وصل أحد كبار القياصرة في التاريخ بالرغم من متاعبه الصحية ليجتمع بملك عربي في مياه عربية .

خلفيات اللقاء وأهدافه

كانت **الولايات المتحدة** قد استنفدت أثناء الحرب الكثير جداً من احتياطيها من مادة البترول وهو كبير ، لكن الجيش الأمريكي الذي تضخم أثناء الحرب ، وأصبحت جميع أسلحته آلية بحراً وبراً وجواً ، كما أن زيادة المواصلات وعمليات الانتعاش الصناعي ، استدعت زيادة هائلة في استعمال النفط والاعتماد عليه . وكانت شركة **ستاندرد أويل** الأمريكية قد حصلت عام ١٩٣٣ كما رأينا على امتياز لاستغلال النفط في شرقي المملكة من الملك **عبد العزيز آل سعود** . وفي عام ١٩٣٨ تبين لها بأن امتيازها مثمر وتجاري ومن الدرجة الأولى . وكان أثناء الحرب قد تركز استغلال النفط في الخليج ، خاصة من مصافي **عبدان في إيران ومن البحرين** ، ولم يعتمد كثيراً على القليل نسبياً الذي أنتجته الشركة الأمريكية في الأراضي السعودية .

إنما استمر البحث والتنقيب في منطقة الامتياز السعودي ، وكذلك الاستطلاع خارجها ، وكان الجهاز الإداري الأمريكي المختص بتأمين النفط لحاجة الحرب ADMINISTRATION OF WAR PETROLEUM مضطرباً لشدة الطلب وانخفاض الإنتاج في **أمريكا** وخارجها ، لاسيا وأن الحرب كانت كما ذكرنا قد ابتلعت النفط لدرجة جعلت الوزير البريطاني **اللورد كورزون** CURZON يؤكد بعد ذلك قوله : لقد وصل الحلفاء إلى النصر بفضل طفوّهم على موجة النفط THE ALLIES

FLOATED TO VICTORY ON AWAVE OF OIL ففي تلـك المرحلـة الأخيرة من الحرب ، وكانت قد تأكدت الجهـة المختصـة الأمريكيـة **بتروليوم أدمينيستريشن** المـذكورة أنـه لابـد لأمريكا والعـالم الغربي بكاملـه من الحصول على النفـط اللازم المتكافئ بين الحـاجـة والإنتـاج ، كما أنـه من الحيـوي أن يكون **لأمريكا** احتياطي مناسب من هذه السلعة التي لا تقدر بثمن .

وهكذا فإنه لما جاءت التقـارير آنـذاك من شركـة **ستـانـدرد** وأيضـاً تقرير من الخبير **توتشل** كما ذكرنا ، وهو ما يفيد بأن **الجزيرة العربية** تحتوي على أكبر احتياطي مرتقب في العالم .

ولما كانت حقول النفط الضخمة يقع أكثرها تحت الأرض التابعـة **للمملكـة العربيـة السعوديـة** ، تركزت الاقتراحـات على الرئيس الأميركي **روزفلت** لإيجـاد علاقـات وديـة مع الملـك **عبـد العزيـز** ، ذلـك أنـه وصلت معلـومـات **لروزفلت** تفيـد أن هـذا الملـك العربي يتصف بصـدق الكلمـة والـوفـاء بالوعود ، وهي من صفات الشهامـة العربيـة المتمثلـة بشخصيتـه الفـذة ، وأنـه أعرب أكثر من مرة عن تقديره **لأمريكا** ، كما أفصح أنه يعتبرها أفضل من نظيراتها لأنهـا لم تستعمر أحـداً ، لـذا فـإنـه يرحب بالتعاون معها ، وقد أخبر معاونو **روزفلت** بأن هذا الملك العربي يتمتع بصفـة نبيلـة وهي الإبـاء وعزة النفس والعنفوان ، وهو رجل حرب ظافر ، لذا لا يمكن الاجتماع به خـارج بلـده أو منطقتـه للوصول إلى اتفاق يحول دون إعطائه أي امتياز لجهة معادية **للولايات المتحدة الأمريكية** .

وهكذا ولمصلحة سياسة **أمريكا** العليا ، ولتأمين حصولها على النفط عنـد الحـاجـة من احتيـاطي **الجزيرة العربيـة** ومـا حولهـا ، كان تـدبير وصول الرئيس الأمريكي **فرنكلن ديلنور روزفلت** الـذي كان معتبراً عام ١٩٤٥ وكأنه أحد كبار قياصرة العـالم كما ذكرنـا . ليجتمع بـالعـاهل العربي الـذي لقَّبتـه الجهات الإعلامية الرفيعة **أسد الجزيرة الرابض على منابع النفط** وهو الملك **عبد العزيز آل سعود** .

وجدير بالتنويه إلى ما ذكر حول هذا الاجتماع التاريخي الذي نشرت صوره في العالم أجمع ، وهو أن : « الزعيمين تعاملا معاً معاملة الند للند ، وخرج كل منهما مقدراً لنظيره » .

وهنا وعلى هامش هـذا الحـديث التـاريخي الـذي لا زلنـا نرى تفـاعلاتـه ، نـذكر مـا رواه أحـد الحاضرين قائلاً :

« عندما اجتمع الرجلان ، وبعـد السلام ، بـادر الرئيس **روزفلت** بتوجيـه السؤال التـالي : مـاذا تطلب مني يا صاحب الجلالة ؟ فأجابه الملك العربي : أنت الذي وصلت ، أهلاً وسهلاً بك ، وبالتالي ما الذي جئت لتطلبه مني ؟ » .

وإننا نورد هنا ما وصلنا شفوياً بمعناه ولم نطَّلع على أي تقرير خطي معتمد حول تلك المقابلة التي كانت لها مردوداتها على المنطقة وسياستها كما هو معلوم وملموس .

وإن دلت هذه الرواية على شيء فإنها تؤكد صحة رؤية العاهل السعودي وقوة شخصيته الفذة واعتزازه بملكه وبما يملك . كما تفيد المراجع[1] نفسها على هامش هذه المقابلة التاريخية ، أن العملاقين ، عملاق الجزيرة وعملاق العالم ، اتفقا على جميع المواضيع ، لكنهما اختلفا على موضوع تنفيذ وعد بلفور بالنسبة **لفلسطين** ، حيث عارض العاهل السعودي تنفيذ الوعد البريطاني الصهيوني . ولما شرح الرئيس **روزفلت** للعاهل السعودي معاناة **اليهود** من التصرفات الألمانية نحوهم ، أجابه الملك العربي بما مفاده أنه طالما الأمر كذلك ، فالأفضل أن تعطوا **اليهود** جزءاً من **ألمانيا** المسؤولة عن مأساتهم بدلاً من إعطائهم جزءاً من الأرض العربية ، **والعرب** أبرياء من الظلم الذي تعرض له **اليهود** ، **والعرب** لن يتهاونوا بأرضهم ، لاسيا وأنها تحتوي على بيت المقدس الشريف .

---

(١) هاري سان جون فيلبي

المعلومات عن وجود البترول في شرقي المملكة السعودية وشرقي اليمن

الجيولوجي كارل توتشل

كان هـذا المهنـدس الجيولوجي الأمريكي قـد وصـل إلى **المملكـة العربيـة السعـوديـة** عـام ١٩٣١ للبحث عن مصادر للمياه العذبة في **مكة المكرمة والمدينة المنورة** ، ثم سـاعـد في المحـادثـات التي أدت عام ١٩٣٣ إلى عقد اتفاقية **ستاندرد أويل أوف كاليفورنيـا** مع الملـك **عبـد العزيز** ، كما أسس مشروع استثمار الذهب ، وأصبح نائباً لشركة استثمار الذهب في **الحجاز** .

وكان هذا المهندس الجيولوجي ذا خبرة في البحث عن المعادن **بأمريكا اللاتينيـة** ، ثم قـام أثنـاء وجوده بـالمملكـة بزيـارة إلى **منطقـة الأحسـاء** المقـابلـة **للبحرين** ، ووضع تقريراً بعـد ذلـك كشف النقاب عنه أخيراً في سلسلة الأبحاث عن تاريخ النفط ، جاء فيـه إن كامل المنطقـة المواجهـة **لجزيرة البحرين** ، وهي كامـل المنطقـة التي كانت تحمـل اسم **البحرين** تـاريخيـاً قبـل أن يقتصر الاسم على الجزيرة المواجهة **لبلاد البحرين** (التي أصبحت اليوم دولة محترمة ذات شـأن) فهي لابـد وأنهـا غنيـة جداً بالبترول والغاز بأنواعه (الهيدروكربور) ، وربما شكلت أكبر مخزون للبترول في العـالم أجمع . ثم زار **توتشل اليمن** مراراً ، وتجول في العديد من جهاتها ، يرافقه في تجوالـه المواطن اليمني المرحوم **حسين الويسي** . وكان هـذا الخبير متـأكـداً من أن المشرق اليمني بين منطقـة **شبـوة وصـافر وأطراف الربـع الخالي** مماثل في تركيبه الجيولوجي لمـا هو عليـه المشرق السعودي . واستنـاداً إلى رأي **توتشل** تقـدمت **اليمن** ـ بنـاء على اقتراح المـؤلف ـ بطلب إلى الأمم المتحـدة لإرســال خبير جيـولـوجي من برنــامج المساعدة الفنية للأمم المتحدة . وبالفعل لبّت الأمم المتحدة الطلب ، وأرسلت إلى **اليمن** خبيراً جيولجياً اسمه **جوكنز** GEUKENS من التابعية البلجيكية .

أقـام **جـوكنز** في **اليمن** فترتين كل منهما دامت نحـواً من ستــة أشهر ، وذلــك مــا بين عــام ١٩٥٣ و ١٩٥٥ م . وفي ٢٥ أيار / مايو ١٩٥٦ نشرت الأمم المتحدة التقرير الـذي وضعـه **جوكنز** عن دراستـه لجيولوجيـا **اليمن** التقريبيـة ، ذلـك أنـه كان وحيـداً ، وليست لـديـه أيـة إمكانـات فنيـة أو معـدات ومعاونين ، لإجراء الدراسات الدقيقة ، ولم يرغب في الوصول إلى **شبوة** خشية تعرضـه للمتعـاونين مع

شريف **بيحان** الخاضع لمعاهدة ولاء للإمبراطورية البريطانية عندما كان **اليمن** يتصدى لمحاولات التوسع البريطاني الفاشلة في تلك النواحي . ونعلم بأن **توتشل** الذي أشار إلى وجود البترول بكميات كبيرة في الشمال من **الربع الخالي** هو نفسه الذي أشار إلى وجود طبقة جيولوجية مماثلة في منطقة **شبوة وصافر** . وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن **هاري فيلبي** أكد في أحد كتبه أن الفضل للتعرف على أهمية مخزون النفط في **الأحساء** يعود إلى الجيولوجي **كارل توتشل** .

تقرير جوكنز

حاء في الصفحتين ٥ و٦ من التقرير المذكور والمحدود التوزيع ، أن منطقة **صافر** تتوفر لديها المواصفات التي تجعل من المرتقب وجود البترول فيها ، وهو يقترح في التقرير أن يحصل وبسرعة البحث عن البترول في تلك المنطقة . كما فسر علمياً في الصفحتين المذكورتين الإشارات التي ساعدت على الاستقراء الجيولوجي والاستنتاج الذي توصل إليه .

الخبر في الصفحة ١٤٩ من كتاب (اليمن وحضارة العرب)

جاء في هذا الكتاب الذي أصدرناه عام ١٩٦٢ م عن **دار الحياة ببيروت** ، بعد الثورة الظافرة بشهرين استناداً إلى ما ذكره **توتشل** وما حرره **جوكنز** في تقريره الفني ، ما يلي وبالحرف الواحد :

« يُستنتج مما تقدم ، واستناداً إلى المراجع أعلاه ، وجود علامات جيولوجية عديدة ترجح إلى حد كبير العثور على طبقات بترولية في منطقة **صافر** (مئة كيلومتر شرقي **مأرب**) ويؤمل العثور في هذه المنطقة على حقول نفط تشابه حقول النفط الموجودة في **السعودية وبلاد الخليج** » .

ثم نقلنا إلى الانكليزية هذا النص في كتابنا **العربية السعيدة بلاد ملكة سبأ** الصادر بهذه اللغة عام ١٩٧٢ عن **دار الخياط ببيروت** .

اليمن موقع استراتيجي ومنتج للنفط ويحتوي مشرقه على المخزون الذي اعتبر احتياطياً عالمياً في شبة جزيرة العرب

سيطرت **اليمن** منذ قديم الزمن على مدخل **البحر الأحمر** بحكم موقعها على مضيق **باب المندب** . ويعود الفضل تاريخياً لهذا المضيق ، لمساعدة أهل **اليمن** عسكرياً في السيطرة على الملاحة في **البحر الأرتيري** ، وهو الجزء الأكبر من **البحر الأحمر** وما يليه جنوباً ، وبالتالي منع الغزاة **البرتغاليين** وسواهم من الوصول إلى أراضي الإسلام المقدسة ، وكان **البرتغاليون** قد اجتازوا في أكثر من مرة المضيق بقصد القضاء على أماكن الإسلام المقدسة كما رأينا في مكان آخر ، وكما سبق لهم أن أطلقوا على جزيرة **ميون** اسم صليب **فيرا** بعهد أمير البحر البرتغالي **البوكرك** .

وقد أعطى هذا الموقع الجغرافي **لليمن** مكانة استراتيجية تحسد عليها ، مما حمل الدول البحرية لمحاولة إخضاعها أو على الأقل محاباتها والتودد إليها ، إلى أن استولت **إنكلترا** على **جزيرة ميون** (**بريم**) التي تشكل قفلاً محكماً للمضيق ، ثم جاء قانون البحار الجديد ليعتبر المياه الإقليمية تمتد إلى مسافة ١٢ ميلاً بحرياً ، مما حول كامل المر الذي يبدأ من جنوب **ميون** وينتهي بالقرب من ميناء **المخا** مضيقاً بالتعريف القانوني ، لأن عرض البحر في هذا المر العالمي بين **إفريقيا** **واليمن** لا يتجاوز ٢٤ ميلاً ، وهكذا يصبح طول المضيق قانونياً يمتد إلى أكثر من خمسين كيلومتراً ، ولا يقتصر على مسافة قصيرة بالقرب من **جزيرة ميون** (**بريم**) كما كان الأمر قبل القانون الجديد .

أما الآن وقد أصبحت **اليمن** منتجة ومصدرة لسلعة النفط الاستراتيجية والاقتصادية ، فإن أهميتها العالمية تزايدت أضعاف ما كانت عليه جغرافياً في الماضي ، لا سيا وأن احتياطي النفط الذي يمتد إلى مسافات في المشرق اليمني يعتبر جيولوجياً جزءاً من أكبر احتياطي للنفط المعروف على الكرة الأرضية ، وهو مخزون **الجزيرة العربية** .

الإنتاج والتسويق

بعد أن بدأ **اليمن** بتصدير النفط منـذ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧ وهو على ازديـاد ، فمن المرتقب بعد أن يتضاعف إنتاجها من هذه السلعة الهامة أن تدخل في حلقة مصدري النفط العربية ، وفي دائرة مصدري النفط **أوبك** .

مردود النفط للإنشاء والتعمير والتطوير

يعتبر رئيس **اليمن** أن كل ماسينتج عن سلعة النفط يشكل دعامة للنهضة الاقتصاديـة والبشريـة الشاملة وعنصراً مكملاً للتنمية ، ومسـاعـداً للاستغلال الطـاقـات والإمكانـات الإنتـاجيـة ، ولاستكمـال ما تبقى من هيـاكل البنيـة الأسـاسيـة ، وكل مـا يؤدي لرفع مستوى الفرد والـذود عن حيـاض الوطن وتأمين استقراره .

وهـاهي **اليمن** الحـديثـة تهتم للحصـول على مردود كاف من مخـزون نفطهـا المستغـل ، لتتمكن من مواجهة الحاجة لمتابعة تنفيذ مشاريعها الحيوية ، ولتعوض عن مرحلة التخلف المرير الذي لحق بهـا في الماضي . وأيضاً لإنشاء الصناعات البتروكيمائية المتقـدمـة لتتمكن من منـافسـة مثيلاتهـا ، ولكي لا يظل النفط مادة تستعمل أو تباع كمحروقات وحسب .

ولا شك أن عائدات النفط واستغناء **اليمن** عن استيراده واستيراد الغاز سيشكل دعماً قويـاً للجهود المبـذولـة حـاليـاً من أجل تقـدم **اليمن** وتطويره ، لإيصـال المـواطنين إلى حيـاة أفضـل . إنما سنستمر بالاعتقاد أن خير وأشرف ثروة هي التي يحصل عليهـا الإنسـان بجـده وبسواعـده وعرق جبينـه . وأن الخير الذي يأتي من السماء عن طريق الأمطار ، والذي يأتي من تحت الأرض كمادة النفط وغيرهـا ، لن يكون كامل الفائدة إن لم تستغله السواعـد والمعرفـة . أمـا إذا اعتبرنـاه وسيلـة لتـأمين شراء الرفـاهيـة فنتيجتـه تكـون خطيرة ، لأن الأمـوال التي تصرف دون جهـد لحصـولهـا دون عنـاء ، تـؤدي حتماً إلى الاسترخاء وخطر الفسـاد والإفسـاد . فلو لم يستغل اليمني الأمطـار بتحضير الأرض لاستثمـارهـا بفضل كفاح مستمر ، لما احتوت اليمن على جنات يانعة على سفوح جبالها وسائر أنحـائهـا ، ولجرفت الأمطـار التربة . كما يمكن لدخل النفط أن يؤدي إلى إضعاف ميزة المواطن المعتمد على نشاطـه ، وذلـك في حـال عدم استعماله عائدات النفط لتـأمين استمراريـة الأعمـال الزراعيـة والإنشـائيـة المثمرة ، وتحضير الكوادر والتسهيلات اللازمة لتنفيذ المخططات التي وضعت عن علم ووعي ، بقصـد استغلال الطـاقـة البشريـة الطموحة ، والأرض اليمنية الخيرة ، واستغلال مشتقات النفط ، وهي هامة وعديدة .

ويبدو لنا أن التفاؤل في هذا المجال هو المعتمد ، ويعود وسيعود الفضل بـذلـك دائماً إلى الاستقرار

الذي تنعم به **بلاد اليمن** ، إلى جانب سعة الرؤية والحصافة ، ولتـأنّي ربـان سفينـة **اليمن** لكي يتجنب الاصطـدام بجوانب مضيـق التقـدم ، وعـدم الـوقـوع في مهب التيـارات الخطيرة التي تهـدد المنطقـة ، وتترقب الفرص لتعصف بها .

البحث والتنقيب والاستثمار والنقل والتصدير

اكتُشف النفط بكميات تجارية ولأول مرة في منطقة **صافر** شرقي **مـأرب** منـذ عـام ١٩٨٥ على يـد شركة **هونت** الأميركية .

وفي عام ١٩٨٦ حصل إنشاء أول مصفاة للنفط في منطقة **مأرب** بـالقرب من حقل إنتـاجـه الأول المعروف باسم حقل **ألف** بشرقي بلاد **الجوف** اليمني . كان من شأن هذه المصفـاة تـأمين جزء من حـاجـة الاستهلاك المحلي . حيث تنتج عشرة آلاف برميل يومياً .

وكان قد تبين أن الحقل **ألف** يحتوي على مخزون قدر في المرحلة الأولى بثلاث مئة مليون برميل ، ثم ارتفع التقدير إلى ٥٠٠ مليون ، ليصل في بداية عام ١٩٨٨ إلى ألف مليون برميل .

ولما أعطت مؤسسة **أوروبـا** الإحصـائيـة هـذا الرقم اعتبرتـه المؤسسـة كافيـاً لتـأمين حـاجـة **اليمن** للاستهلاك المحلي ، والحصول على الريع الجدي من تصديره لمدة ٢٥ عاماً .

كما كان العثور على الغاز مشجعـاً ، لاعتماده كمصـدر طـاقـة لتـأمين الحـاجـات المحليـة في المرحلـة الراهنة ، ومع تأسيس الصناعة اللازمة للاستغلاله .

وبعد أن تبين وجود المخزون بكميات تسمح للتصدير ، حصل اختيار نقلـه بواسطـة الأنـابيب إلى **البحر الأحمر** عبر المرتفعات الجبلية التي يصل ارتفاعها إلى ٢٦٠٠ متر عن سطح البحر .

وبمدة وجيزة جداً حصل تنفيذ المشروع العملاق الـذي أدى إلى الحفر ووضع الأنـابيب بين الحقل **ألف** في المشرق اليمني قرب **صافر** إلى شمال **الحديدة** على مسافة طولها ٤٤٠ كيلومتراً .

وفي ٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٧ قام رئيس الجمهورية ، العقيد **علي عبـد الله صـالح** ، بتـدشين نقل أول دفعة من إنتاج الحقل **ألف** بحمولة ١٧٥ ألف برميل يومياً .

وقـد اعتبرت كميـة الـ ١٧٥ ألف برميـل كمرحلـة أولى للتصـدير ستصـل بـالقريب العـاجـل إلى ٤٠٠ ألف برميل يومياً .

وكانت مناسبة تدشين أول حمولة نفط معدة للتصـدير ، فرصـة ليؤكـد رئيس البلاد وقـائـدهـا ، أثناء تلك المناسبة التاريخية من أن دخل النفط سيستغل لتوظيفه بأمـانـة من أجل تنفيـذ المخططـات

والمشاريع الزراعية والصناعية ، ولاستكمال ما تبقى من الهياكل الأساسية في مجال الخدمات العامة ، وفي كل مجال من شأنه رفع مستوى الفرد .

ونذكر بهذا الصدد أن شركة **هونت** الأمريكية تحولت إلى مؤسسة اقتصادية يمنية مشتركة وساهمت بها شركة **أكسون** الأميركية ، وهي إحدى الشركات الأربع الكبار في العالم في أيامنا هذه (عام ١٩٨٨) .

استمرار البحث

وكان العثور على كميات كبيرة من النفط في **اليمن** مشجعاً لعدد من الشركات العالمية الأخرى للحصول على امتيازات نفطية .

وهكذا حصلت شركة **أكسون** الأمريكية التي شاركت **هنت** كما رأينا على امتياز في **الهضبة الوسطى** ، كما حصلت شركة **توتال** الفرنسية على امتياز في منطقة **البحر الأحمر** ومياهه **الإقليمية** . كما حصلت شركة **بريتش بتروليوم** البريطانية العالمية على امتياز منفصل عن **أكسون وتوتال** . ومعلوم أن **دولة الكويت** الشقيقة أصبحت تمتلك ٢٢ بالمئة من أسهم **بريتش بتروليوم** الشركة العالمية العملاقة ، وهو مما يبشر بكل خير واعتزاز ، وهو مما أدى لمعارضة الحكومة البريطانية لهذا الواقع المستند إلى **الليبيرالية** الاقتصادية ، لكنه يتعارض مع سياسة سيطرة الدول العظمى على هذه السلعة الحيوية .

الهدف الأسمى

وبالاستناد إلى ما تعرفنا عليه بأن **اليمنيين** على اتفاق تام مع رئيس البلاد وقائدها على اعتبار النفط عنصراً مكملاً ومساعداً للنهضة الحاضرة ، وكوسيلة للإسراع بتحقيق الأهداف ، وليس مصدراً للترفيه ، بل لتأمين الميزانيات المجدية إن اقتصادياً أو علمياً أو اجتماعياً ، لكي ينجح **اليمن** في تسابقه **مع** الركب ، والتغلب على تحديات الزمن . والآمال كبيرة ، والنوايا حسنة ، والخير مرتقب ، بفضل سلامة الحكم ، ودوام الاستقرار .

موجز لتسلسل الأحداث بالنسبة لتطور
وخلفيات موضوع النفط اليمني

١٩١٤ م ــ الخط الأحمر : اتفقت **تركيا وألمانيا وهولندا وإنكلترا** بوساطة شركاتها والوسيط **جولبيكيان** على احتكار استثمار النفط في **تركيا والجزيرة العربية** ووضعت خطاً أحمرَ شمال **اليمن** الطبيعية بكاملها .

١٩٣٨ م ــ ظهر هذا العام أن الكميات النفطية التي تحتوي عليها الجزيرة في منطقة **الأحساء** شمال **الربع الخالي** كبيرة ، وكان حق استثمارها قد انتقل إلى شركة أميركية منذ عام ١٩٣٣ م .

أرادت **بريطانيا العظمى** آنذاك أن تبحث عن النفط لاستغلاله في جنوب **الربع الخالي** عن طريق **اليمن الجنوبي** ، وأعطت امتيازاً لشركة أسستها لهذه الغاية تحت اسم **بتروليوم كونسيشن** PETROLEUM CONCESSION تشمل **عدن والمحميات** .

أرادت الشركة البريطانية الوصول إلى منطقة **شبوة وحصن نجد** مرقد للبحث والتنقيب في تلك المنطقة .

تصدت **اليمن** لمحاولة التوسع البريطاني باتجاه المشرق اليمني ، لكن **إنكلترا** استعملت المظليين لاحتلال **شبوة** واختطاف عامل الإمام فيها ـ **الشيخ مراد** .

استمر القتال والمقاومة اليمنية في تلك المناطق ، مما جعل شركة **بتروليوم كونسيشن** تتراجع عن مشروع تورطها في منطقة لم تتمكن **إنكلترا** من السيطرة عليها .

١٩٣٩ م ــ في ٢١ حزيران / يونيه عام ١٩٣٩ حرر **الإمام يحيي** رسالة إلى الملك **جورج السادس** يحتج بها على احتلال إنكلترا **لشبوة** ، ويعتبر ذلك اعتداء على دولة مستقلة مغتصبة .

١٩٤٦ م ــ استمع الإمام **يحيي** لنصيحة العاهل السعودي وللمؤلف ، عندما كان رئيساً لبعثة الخبراء **اللبنانيين** للبحث والتنقيب ، لمحاولة استغلال إمكانات **اليمن** البترولية بعد انضمام **اليمن إلى** الأمم المتحدة لحمايتها دولياً من محاولات التوسع البريطاني في المشرق .

١٩٤٧ م ـــ بدأت المفاوضات في **نيويورك** بعد انضمام **اليمن** لعضوية الأمم المتحدة مع المستر **واجنر** WAGNER الأميركي بالتعاون والتشاور مع المهندس **كارل توتشل** الذي سبق أن اكتشف مواقع حقول النفط في **السعودية** ، وذلك بقصد الحصول على امتياز للبحث والتنقيب عن البترول في **منطقة الصليف شمال الحديدة** .

أصر الإمام **يحيي** على أن لا يعطي امتيازاً تتجاوز مساحته عشرة كيلومترات مربعة إلى جانب قيود عديدة بالنسبة لحرية العمل والتجول .

اعتبر **واجنر** المذكور أن شروط الإمام تعجيزية لتحديده المساحة بعشرة كيلومترات مربعة وحسب ، وهي لا يمكن القبول بها ، لأنها لا تستحق نقل المعدات الثقيلة ، وإنشاء ميناء لاستقبالها ، وكان ذلك قبل إنشاء ميناء **الحديدة** بالتعاون مع **الاتحاد السوفيتي** . وهكذا انتهت فكرة منح امتياز للبحث والتنقيب بعهد الإمام **يحيي** .

١٩٥١ م ـــ طلبت **اليمن** من مشروع المساعدات الفنية التابع للأمم المتحدة ، بوساطة **المؤلف** إرسال خبير جيولوجي لدراسة إمكانات **اليمن** النفطية والمعدنية .

١٩٥٢ م ـــ حصلت شركة **ديلمن دراغ** الألمانية على امتياز في منطقة **الحديدة** دون جدوى .

١٩٥٣ م ـــ وصل إلى **اليمن** الخبير الجيولوجي **جوكنز** البلجيكي التبعية ، حيث تجول بعدد من المناطق دامت ستة أشهر .

١٩٥٤ م ـــ قام **جوكنز** برحلة أخرى دامت أيضاً ستة أشهر .

١٩٥٥ م ـــ وضع **جوكنز** أول خريطة جيولوجية تقريبية منشورة بمكان آخر من هذا الكتاب ، حدد فيها منطقة **صافر** باعتبارها تحتوي على علامات واضحة لوجود النفط ، ونصح في تقريره بسرعة العمل على التعرف عليها لاستثمارها .

١٩٥٩ م ـــ بدأت مفاوضات في **روما** مع رئيس مؤسسة **أجيب** الإيطالية السنيور **أنريكو ماتيي** ، وكان الوصول إلى مشروع اتفاق مع **ماتيي** وإعطائه امتيازاً في منطقة **تهامة شمال الحديدة** ، وقد نص المشروع على أن تحصل **اليمن** على أكثر من ٧٥ بالمئة من الإنتاج في حال خروج النفط . لكن **ماتيي** توفي في حادث سقوط طائرته الخاصة عام ١٩٦٠ م .

١٩٦٠ م ـــ حصلت في الوقت نفسه في **نيويورك** ثم في **صنعاء** ، مفاوضات مع رجل النفط الأميركي **جون ميكوم** ثم كان توقيع اتفاق نهائي مع شركة **ميكوم** ، وتوقف العمل مع شركة **ماتيي** الإيطالية .

استمرت شركة **ميكوم** بأعمال البحث والتنقيب في **تهامة** ، حتى بعد قيام الثورة عام ١٩٦٢ م دون اكتشافها أي دليل عن وجود النفط في المنطقة التي حُددت لها حول **الحديدة** وشمالها .

١٩٦٢ م ـــ إثر قيام الثورة عقد اتفاق مع شركة المحروقات اليمنية **وجمهورية مصر العربية** .

١٩٦٣ م ـــ انسحب **ميكوم** من **الجمهورية العربية اليمنية** ليأخذ مكان شركة **بانامیرکان** في شرقي **حضرموت** ، حيث أفاد بأن المنطقة تحتوي على حقول نفط بكميات تجارية .

١٩٦٣ م ـــ في هذه السنة وما بعدها قامت المؤسسة الجزائرية **سونترا** بأبحاث في المناطق الجنوبية لم تؤد إلى نتيجة عملية ، لاسيا وأن الأحوال الأمنية لم تكن مساعدة في المناطق الداخلية ، وذلك بعد إنشاء شركة يمنية جزائرية حملت اسم شركة **الهيدروكربور والمعادن** .

١٩٨١ م ـــ في شهر آذار / مارس حصل التعاقد مع شركة **هونت** الأميركية للبحث والتنقيب في المشرق اليمني في مساحة ١٢ ألف و ٦٠٠ كيلومتر مربع .

١٩٨٤ م ـــ أعلن عن اكتشاف البترول بكميات تجارية في المشرق اليمني ، منطقة **صافر** في تموز / يوليه ١٩٨٤ م .

١٩٨٦ م ـــ تم إنشاء أول مصفاة وطنية للنفط في **مأرب** بطاقة عشرة آلاف برميل يومياً كما تحول اسم الشركة الأميركية بعد اشتراكها مع **اليمن** إلى الشركة اليمنية للتنقيب والإنتاج .

١٩٨٧ م ـــ كانون الأول / ديسمبر حصل تدشين خط نقل النفط من حقل **ألف** في المشرق اليمني إلى ساحل **البحر الأحمر** بطاقة ١٧٥ ألف برميل يومياً ، مع إمكان نقل ٤٠٠ ألف برميل في مرحلة لاحقة .

كما وصل عدد الآبار التي تمّ حفرها إلى خمسين بئراً ، وازداد تقدير مخزون الحقل **ألف** من ٥٠٠ مليون برميل إلى ألف مليون برميل .

تقدير تقريبي لمخزون النفط في العالم

ولإكمال الصورة عن موضوع النفط في العالم والبلدان العربية توصلنا لجمع الجدول الآتي من عدة مصادر متخصصة ، وهو تقريبي ، وقد اعتمدنا بصورة رئيسية المراجع البريطانية وأهمها :

كشف بمخزون البترول في العالم وإنتاجه ، موزعاً على مناطق الإنتاج العالمية إجمالاً وبلدان الشرق الأوسط تفصيلاً بالاستناد إلى مراجع **بريتش بتروليوم** البريطانية لعام ١٩٨٦ م :

المخزون العالمي التي توفرت عنه إحصائيات مؤكدة

٧٠٧٢٠٠ مليون برميل ، يعود منها ٤٤٣٢٠٠ مليون برميل لبلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، وهو ما يشكل ما يقرب من ٦٢ في المئة من المخزون العالمي .

١٦٩٠٠٠ مليون برميل ، المملكة العربية السعودية ، وهو ما يعادل تقريباً ٢٤ في المئة من المخزون العالمي . (وهناك مراجع تقدر المخزون السعودي بمئتي مليون برميل) .

١٠٠٠٠٠ مليون برميل وربما أكثر من ذلك إذا ما استغلّت حقول أخرى معروفة لم يحصل للآن تقدير مخزونها .

٨٣٣٠٠ مليون برميل ، مقدار مخزون أميركا اللاتينية ، وأهمها المكسيك وفنزويلا ، ويعادل ما يقرب ١٢ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٨٣٨٠٠ مليون برميل ، مقدار مخزون الكتلة الاشتراكية والصين ، وهو معادل تقريباً لما لدى أميركا اللاتينية ، أي ما يقرب من ١٢ في المئة من المخزون العالمي .

٩٠٠٠٠ مليون برميل ، مقدار مخزون الكويت وهو ما يعادل ١٢,٧ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٤٨٥٠٠ مليون برميل ، مخزون إيران ، وهو يعادل ما يقرب من ٧ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٤٢٨٠٠ مليون برميل ، مخزون أميركا الشمالية ، وهو يعادل ما يقرب من ٦,١ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٣٠٠٠٠ مليون برميل ، مخزون أبو ظبي وهو يعادل ما يقرب من ٤,٣ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٢٤٧٠٠ مليون برميل ، مخزون أوروبا الغربية ، وهو يعادل ما يقرب من ٣,٥ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٢١١٠٠ مليون برميل ، مخزون النفط في ليبيا ، وهو يعادل ما يقرب من ٣ في المئة من مخزون النفط العالمي .

١٨٦٠٠ مليون برميل ، مخزون بلدان آسيا وجزر المحيط الهادي ، وهو يعادل ٢,٥ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٩٠٠٠ مليون برميل ، مخزون النفط في الجزائر ، وهو يعادل ما يقرب من ١,٣ في المئة من مخزون النفط العالمي .

٥٤٠٠ مليون برميل ، مخزون المنطقة المحايدة بجانب الكويت والسعودية ، وهو يعادل ثمانية أعشار من المئة من مخزون النفط العالمي .

٣٥٠٠ مليون برميل ، مخزون سلطنة عمان ، وهو يعادل نصف في المئة من مخزون النفط العالمي .

٣٤٠٠ مليون برميل مخزون قطر ، وهو مماثل تقريباً لمخزون سلطنة عمان ويعادل نصف بالمئة من مخزون النفط العالمي .

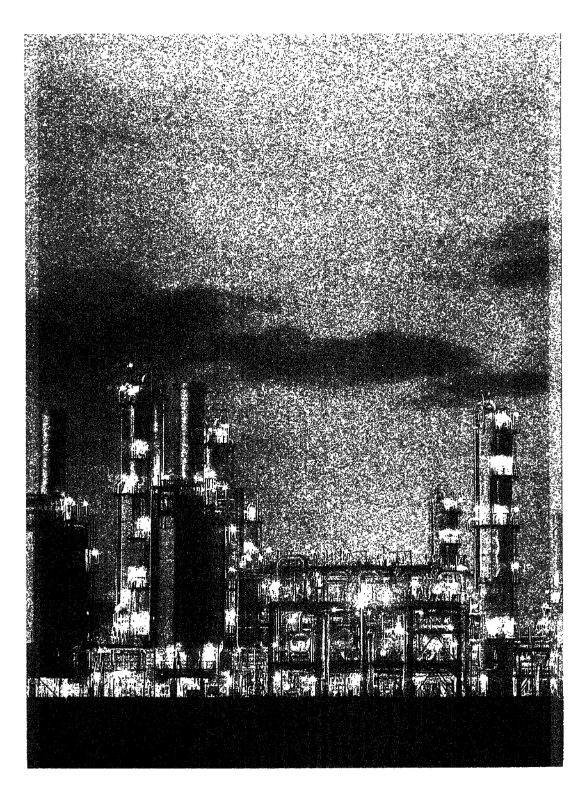
٣٢٠٠ مليون برميل ، جمهورية مصر العربية ، وهو يعادل تقريباً مخزون قطر ، وكذلك مخزون عمان ، أي نصف بالمئة من مخزون النفط العالمي .

١٤٠٠ مليون برميل ، مخزون النفط في دبي ، وهو يعادل أقل من ربع بالمئة من مخزون النفط العالمي .

٣٧٠٠ مليون برميل ، مخزون دول أخرى ومنها اليمن والمقدر لمخزونها حتى نهاية عام ١٩٧٨ هو ألف مليون برميل وتشكل هذه المجموعة نصف بالمئة من مخزون النفط العالمي .

إحصاء تقريبي لكمية إنتاج الدول أو المجموعات المذكورة بآلاف البراميل يومياً في بداية عام ١٩٨٨ م

٤٦٩٠ ألف برميل يومياً ، المملكة العربية السعودية لوحدها .
٣٨٠٠ ألف برميل يومياً ، بلدان أوربا الغربية .
٣٣٢٠ ألف برميل يومياً ، بلدان آسيا والمحيط الهادي .
٢١٩٥ ألف برميل يومياً ، إيران .
٢٠٥٤ ألف برميل يومياً ، بلدان إفريقيا (جنوب الصحراء) .
١١٧٠ ألف برميل يومياً ، العراق .
١١١٥ ألف برميل يومياً ، ليبيا .
٩٩٠ ألف برميل يومياً ، الجزائر .
٩٨٥ ألف برميل يومياً ، الكويت .
٩١٥ ألف برميل يومياً ، مصر .
٨٤٠ ألف برميل يومياً ، أبو ظبي .
٤٢٥ ألف برميل يومياً ، قطر .
٤٢٠ ألف برميل يومياً ، المنطقة المحايدة .
٤٢٠ ألف برميل يومياً ، عمان .
٣٧٥ ألف برميل يومياً ، دبي .
٣٧٥ ألف برميل يومياً ، اليمن وسورية وتونس وغيرها .
١٥١١٥ ألف برميل يومياً ، الكتلة الشرقية والصين .
١٤٨٧٥ ألف برميل يومياً ، بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (أي البلدان العربية وإيران) .
١١٩٤٠ ألف برميل يومياً ، أميركا الشمالية .
٦٧٠٥ ألف برميل يومياً ، بلدان أميركا اللاتينية ، وأهمها المكسيك وفنزويلا .



النفط مصدر الطاقة الأوفر والأنفع . وعندما تعمل مصفاة البترول ليل نهار في بلدٍ وهبه الله هذا المصدر بكميات كبيرة فهي الإشارة القاطعة على أن المشاريع الإنشائية ستتحقق والازدهار مضمون .

التصويب والتعديل والتصحيح
أمر مرغوب فيه ومطلوب من أهل العلم
والمعرفة بالنسبة لهذه الطبعة وسواها

نظراً للاعتبارات التالي ذكرها ، نضع هذه الطبعة من الكتاب أمام أعين كل باحث ومطلع ومجتهد ليقترح تصحيح ما يعتقده خطأ أو نقصاً لأخذه بعين الاعتبار في طبعة لاحقة نظراً لما يلي :

أولاً - إن تاريخ اليمن القديم ما زال مطموراً بأغلبيته تحت الرمال والأنقاض ، لكن حرص اليمني واستعماله الكتابة منذ بداية مرحلة اكتشاف الحرف وحرصه على التسجيل وإتقانه للنقش ، خلفت وراءه الآلاف العديدة من النقوش التي لا يزال المكتشف منها ، وهو كثير ، مبعثر في شتى المتاحف الغربية وسواها ، والقسم الآخر لا تزال بعثات التنقيب عن الآثار تعمل على اكتشافه والتعرف على أسراره ، وهي لا شك أكثر بكثير .

ثانياً - إن البحث المستمر واجب على كل مؤلف ، وأن المقارنة والاستقراء لا مفر منهما ، علماً بأن الاستقراء والاستنتاج له أخطاره على إظهار الحقيقة التاريخية المجردة ، لكنه لا غنى للمؤلف المؤرخ من اللجوء إليه ، لا سيما بالنسبة للأحداث التي سبقت عهد التسجيل والطباعة ، وبالتالي الحرص على المحفوظات وتدوينها ، حيث كان لا بد في الماضي من الاعتماد على الرواة ، وهؤلاء معرضون بالطبيعة البشرية لسرد الأخبار متأثرين بأهوائهم ومحيطهم ، والراوي نفسه لا بد له أن يدخل إلى الحدث أو الخبر نهجه الخاص في الكتابة أو النقل أو اللهجة أو المصطلحات ، والإنسان لا شك عبد لأهوائه . وأما النقوش فهي إلى جانب اقتضابها لا تخلو من الادعاء والهوى .

أما بالنسبة للمرحلة المعاصرة فإنه من المتعذر روايتها ، أولاً ، لعدم نشر الوثائق الرسمية قبل مرور الزمن ، وثانياً ، لعدم إمكان التمسك بالحياد المطلق بالنسبة للأحياء ، لذلك رأينا في هذه الطبعة الاكتفاء بسرد تسلسل العهود والأحداث بآخر هذا الكتاب ، ورحم الله أمير الشعراء **أحمد شوقي** حيث يقول :

وإذا الحي تـولى بـالهوى ... سيرة الحي بغى فيها وحابى

لذا ، نعتبر أن التصحيح والتعديل من خصائل المؤلف الأمين ، وأن متابعة الاكتشاف والعناية

بتعدد الآراء مطلوب منه لمحاولة زيادة الإيضاح وتحليل الوقائع القديمة والأحداث المتجـددة التي لا بـد من تأثرهـا بـالأهواء ، كما سجل ذلـك أمير الشعراء ، وبـالتـالي فـإنهـا لا تخلو من الأخطـاء ورحم الله القائل :

نظرنـــا بـــأمر الحـــاضرين فرأينـــا وكيف يـــأمر الغـــابرين نصـــدّق

لذلك حرصنا على أن لا نسجل إلا ما كان مدوناً وموثوقاً استناداً إلى أصـدق المراجع ، وأهملنـا من يمكن اعتباره متأثراً بالأهواء .

ثالثاً ــ وجوب قبول الحقيقة العلمية التي تؤكد أن التاريخ متصل ومتواصل بالكتابة والتقاليد ، وكذلك المدنيات ، وحتى الديانات لا تخلو من الصلات فيما بينها ، وإن اختلفت مراجعها وفلسفاتها .

هذا وإننا نشير إلى أن المعلومات التي نقدمها في هـذا الكتـاب غير كافيـة لإشبـاع النهم ، لكننـا أردنا المساهمة بوضع لبنة في صرح البحث الشامل عن **اليمن** مع مراعاة الإيجاز قاصدين بذلك التعريف وحسب ، كما نأمل أن يكون عملنا هذا مشجعاً لكل من يرغب في زيادة هذا الاستعراض عمقاً واتساعـاً لمتابعـة البحث ، بقصـد إرواء ظمأ المتعطشين لمعرفـة **اليمن** ، ولسـد فراغ كبير في المكتبـة العربيـة وفي أذهان الناس ، مشيراً إلى أنه صدرت بعد نشر الطبعة الأولى من أصل هذا الكتاب عدة مؤلفـات قيّمـة عن **اليمن** ، إن باللغة العربية أو باللغات العالمية الأخرى ، وإننا نلفت النظر بأن كل مـا ورد في هـذا المؤلف من آراء وتعليقات هو صـادر عن رأي شخصي واجتهـاد فردي ، ولا يربـط الحكومـة ، التي لنـا شرف الانتساب إليها وخدمتها ، بأي شكل من الأشكال .



القسم الثاني



الجغرافيا

الجمهورية اليمنية

قبل أن تكتمل طباعة هذا الكتاب ، تمّ بعون الله تعالى وإرادة الشعب وقيادته الحكيمة ، اندماج شطري اليمن ، لتتحقق بذلك وحدته التاريخية ، التي هي حلم كل اليمنيين والأمنية المنشودة والمرتجاة لسائر العرب .

فاليمن كلّ لا يتجزأ ، والسعي لتحقيق الوحدة اليمنية ، واجب كل يمني وكل عربي .

ففي ٢٢ مايو (أيار) ١٩٩٠ أعلن رسمياً عن قيام الوحدة اليمنية ، وأصبحت الدولة الموحدة تحملُ اسم (الجمهورية اليمنية) .

يحدها من الشرق سلطنة عُمان ، ومن الشمال المملكة العربية السعودية ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب المحيط الهندي .

مساحتها ٥٣٧٠٠٠ كم٢ (وهو ما يعادل مساحة فرنسا تقريباً) .

عدد سكانها ، وفقاً لإحصائيات ١٩٨٦ م يقارب ١٢ مليون نسمة .

عاصمتها صنعاء التي يقرب عدد سكانها من ٥٠٠,٠٠٠ نسمة وقد اعتبرت عدن العاصمة الاقتصادية.

وأصبح عدد المحافظات في الجمهورية اليمنية سبعة عشر محافظة منها إحدى عشرة محافظة في الشمال ، وستّ محافظات في الجنوب .

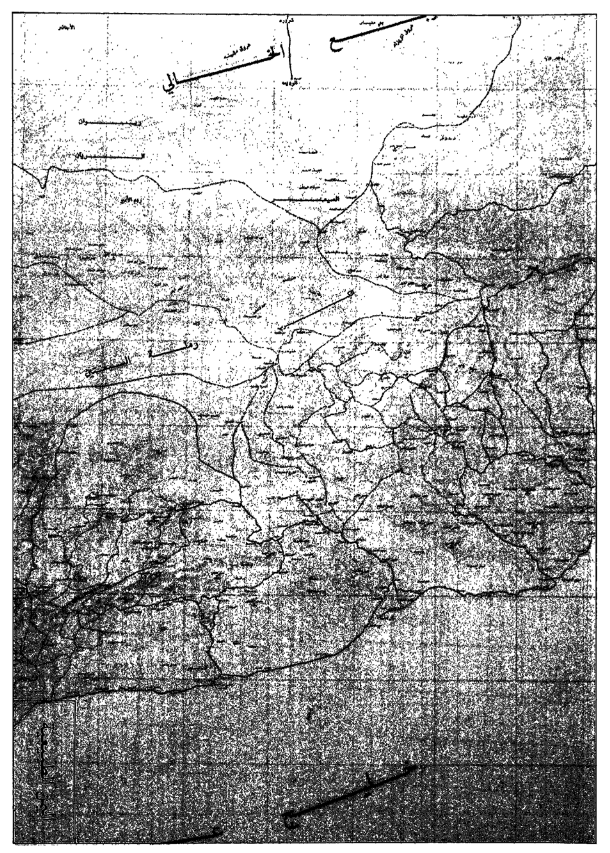
أما نظام الحكم فيها ، فهو جمهوري نيابي ، يستند إلى مجلس للرئاسة من خمسة أعضاء ، يعاونه مجلس استشاري من خمسة وأربعين عضواً ، وسلطة تشريعية منتخبة بالاقتراع الحر المباشر (مجلس نيابي) . ويعتمد كل ذلك على دستور دولة الوحدة اليمنية .

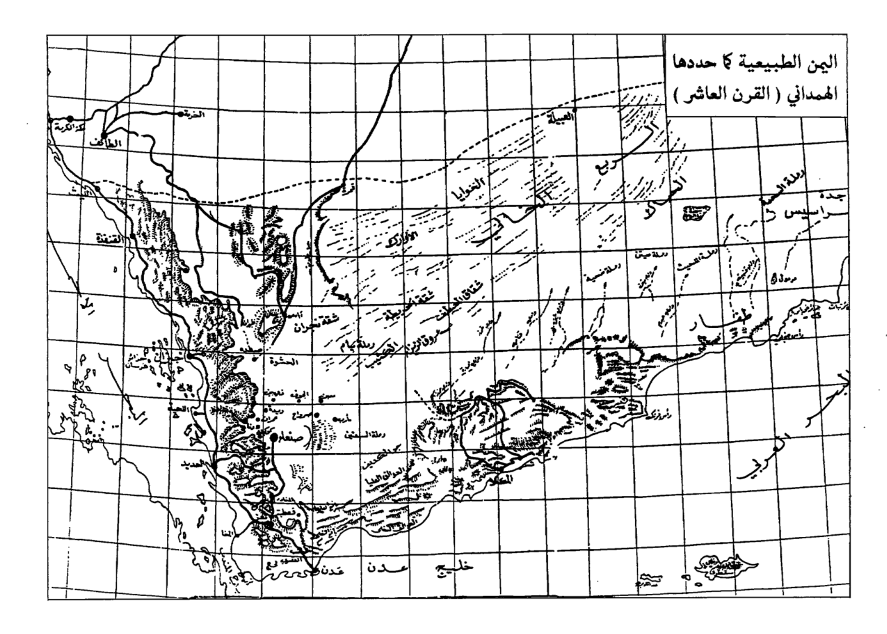
وقد تمّ انتخاب خمسة أعضاء لمجلس الرئاسة ، انتخبوا الفريق علي عبد الله صالح رئيساً

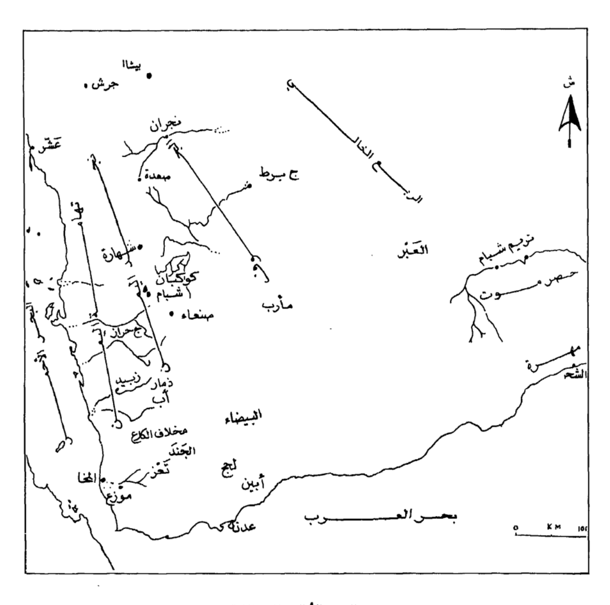
كما تمّ بتاريخ ١٩٩٠/٥/٢٤ تشكيل أول حكومة للجمهورية اليمنية برئاسة المهندس حيدر أبو بكر العطاس ، ضمت أربعة نواب لرئيس مجلس الوزراء ، واثنين وثلاثين وزيراً ، وتقدمت ببرنامجها إلى المجلس النيابي لنيل ثقته .

وهكذا أصبحت الجمهورية اليمنية وحدة متلاحمة مندمجة ، لها دستور واحد ، وعلم واحد ، ونشيد واحد ، وتمثيل دبلوماسي واحد ، ومقعد واحد في جامعة الدول العربية ، وفي مجلس التعاون العربي ، وفي هيئة الأمم المتحدة ، وجميع المنظمات الدولية والإقليمية المتخصصة .

ونأمل أن نفي (الجمهورية اليمنية) حقها من البحث في طبعة قادمة لهذا الكتاب .




اليمن الطبيعية كما حددها
الهمداني (القرن العاشر)
الطائف
القنفذة
شقة نجران
رملة يام
الحشوة
صنعاء
ظفار
خليج عدن
البحر العربي



بلاد اليمن - الأقاليم والمدن الهامة
وفقاً لما نشرته جهات علمية أثناء احتلال بريطانيا للجنوب

رقعة اليمن الطبيعية تاريخياً

رأينا من استعراضنا لتاريخ **اليمن** بأن الممالك التي اتصفت بالتجارة العالمية وهي المعينية والسبئية امتدت إلى مختلف أنحاء **الجزيرة العربية** ، وذلك نظراً لاتساع وتعدد المراكز اللازمة لتأمين تلك التجارة .

أما **الدولة الحميرية** فقد أطلعتنا أخبارها ونقوشها وخاصة ألقاب ملوكها أنها شملت كامل **جنوب الجزيرة** ، حيث كانت ألقاب ملوك **حمير** تحتوي على تعداد للمناطق الخاضعة لحكمهم وهي التالية : **ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات** وأعرابهم في **النِجاد وتهامة** .

وأصبح علينا أن نتعرف على مواضع هذه الأسماء . وأما سبأ فإننا نعلم أنها تشمل كامل المناطق الداخلية ، وقد توزعت عواصمها بين مدن **الجوف ثم صرواح ومأرب** كما تعرفنا على **ذي ريدان** بأنها المناطق الجبلية والقيعان والوديان الخضراء الواقعة في جنوبي الهلال المعرض للأمطار الموسمية ، وهي التي اختار ملوك **حمير** أن يجعلوا عاصمتهم **ظفار** متوسطة لها . ونعلم أن **حضرموت** قد حافظت على اسمها القديم وامتدت على الشواطئ والجبال والبراري الشرقية المواجهة **للمحيط الهندي** ، ومنها **ظفار والمهرة** وهي **بلاد المرُّ واللُّبان** .

وأما **يمنات** فهي بنظرنا المنطقة الجبلية الخضراء التي تقع على يمين **الحجاز** جنوباً أي **بلاد عسير والأهنوم** وما يليها باتجاه بلاد **ذي ريدان** ومنها **إمارة سمعي وإمارة أربع** ، وهي بالتالي تمتد في المناطق الغربية والداخلية بين **ذي ريدان** جنوباً **والحجاز** شمالاً .

ونعلم بالنسبة لكلمة **أعرابهم** أنها كانت تعني حتى أيام سيد المرسلين ﷺ القبائل الرحل ، وقد جاء ذكرهم مراراً بالقرآن الكريم بهذه الكلمة ﴿ الأعراب ... ﴾ .

وهكذا فإنه يمكننا أن نستدل من ألقاب ملوك **حمير** أن **اليمن** التاريخية كانت بعهد **حمير** تشمل البلاد الواقعة **جنوب الحجاز ونجد** ، والممتدة بين **البحر الأحمر** بمحاذاة نهاية **جبال عسير وباب المندب** غرباً ، وإلى نهاية **بلاد حضرموت وبحر العرب** شرقاً .

أما **الهمداني** (المتوفى بعد عام ٣٥٦ هـ/٩٤٥ م) في القرن الرابع هجري ، فقد حددها بمؤلفه **صفة جزيرة العرب** كما يلي :

من وادي تثليث ووادي الدواسر في الشمال إلى الليث على ساحل البحر الأحمر ، وشرقاً إلى عُمان ، وجنوباً إلى بحر عدن ، وألحق بها الجزر المحاذية لها ، وهي في البحر الأحمر جزر فرسان بموازاة جيزان وجزر الأرمك بموازاة اللّحية وجزيرة كمران الصليف وجزر جبل زقر والحنيس الكبير والصغير بموازة زبيد وجزيرة ميون وجزر فاطمة على مدخل باب المندب .

وأما جزرها في بحر العرب من المحيط الهندي ، فقد ذكر الهمداني جزر خوريا موريا شرقي جبل ظفار جنوب غربي المهرة ، وجزيرة مصيرة جنوب عُمان ، كما ألحق بها جزيرة سقطرة في المحيط الهندي .

وهكذا يكون مؤلف صفة جزيرة العرب قد حدد اليمن الطبيعية في القرن العاشر للميلاد . بحيث شملت كامل المنطقة الواقعة بين الدرجتين ١٢ و ٢١ شمالاً وبين الدرجتين ٤٣ و ٥٤ شرقي جرينتش .

اتساع مساحة اليمن بعهد الملك « التُّبَّع » أبو كرب أسعد كامل ثم تشكلت في العهد الإسلامي من ثلاث ولايات : صنعاء ، والجند ، وحضرموت

تبين لنا نتيجة التأمل والتعرف على المراحل التي مرّت بها بلاد اليمان في العهود التي مرت بها خلال الألف الأول وبداية الثاني قبل الميلاد ، وكذلك بعهد ملك حمير الشهير **أبو كرب أسعد** أنها شكلت ممالكَ شاسعة إن في المساحة أو النفوذ ، حيث شملت جميع أجزاء **اليمن** الطبيعية في بداية العهد الإسلامي ، وكانت قد جاوزتها في بعض الحالات ، خاصةً بعهد الملك الحميري المذكور أعلاه ، والمعروف لدى المؤرخين والأخباريين العرب تحت اسم **أسعد كامل** . وهو الذي تولى الحكم في أواخر القرن الرابع الميلادي ، حيث امتدّ سلطانه إلى العديد من أنحاء **الجزيرة العربية** ، وقد حصل الرحالة **فيلبي** على نقش في وادي **مَأْسل الْجُمح** الواقع على الطريق بين **مكة المكرمة** و**الرياض** مفاده أن **أبو كرب أسعد** وابنه **حسَّانيُهأْمِن** ، ملكي **سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات** وأعرابهم استوليا على وادي **مَأْسل الْجُمح** بمساعدة جمع من **كندة** . كما اطلعنا تحت عنوان آخر أن هذا التُّبَّع كان أول من غطَّى الكعبة المقدسة بالكسوة . وعندما انضمت **اليمن** لسيد المرسلين ﷺ كانت مؤلفة من ثلاث ولايات (مخاليف) : **صنعاء والْجَنَد وحضرموت** ، ودامت كذلك حتى نهاية عهد الأمويين .

أما في العهد الإسلامي اللاحق ، فلم تتوحد **اليمن** بعد بداية العهد العباسي وقيام دولة بني زياد ، إلاّ في إلاّ في عهد الصليحيين ١٠٦٠ ـ ١٣٣٨ م ، ثم ثانية مرحلة من عهد الرسوليين بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر ميلادي ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤م ،حيث خضعت لإدارتهم **حضرموت** بكاملها وجميع مناطق **عسير** ، باستثناء بعض المناطق الداخلية في الشمال الغربي . وأيضاً في عهد الإمام المتوكل **يحيى شرف الدين** (١٥٠٦ ـ ١٥٥٨ م) عندما كادت أن تتم وحدة **اليمن** تحت حكمه لولا غزو **الأتراك** عام ١٥٣٨ م الأول **لليمن** وعادت بعد انسحابهم إلى الوصرة التي بلغت أوجها في عهد المتوكل إسماعيل(١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م)

وبعد التوسع **العثماني** وبداية عهد الاستعمار **الأوربي** كان مصير **اليمن** كمصير سائر الأقطار العربية : التجزئة والتفكك والدخول بمرحلة الانحطاط والتخلف .

الإشارة إلى لواء عسير أو المخلاف السليماني

وكان الاستعمار **البريطاني والإيطالي** يتنافسان للسيطرة على شواطئ **البحر الأحمر** ومنها **لواء عسير** الذي كان خاضعاً **للأدارسة** الأشراف الذين انتقلوا من **مكة** إلى **صبيا** ، ثم تمردوا على حكم

صنعاء وطلبوا حماية **ابن سعود** عام ١٩٢٦ م ، ثم حصل انضمامه إلى **المملكة العربية السعودية** عقب حرب قصيرة نشبت عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م بين الإمام **يحيى حميد الدين والملك عبد العزيز آل سعود** . ولم تؤثر هذه الحرب الخاطفة على علاقات الأخوة بين البلدين الشقيقين ، اللذين عملا دوماً بنجاح لإزالة رواسب أي خلاف حصل قبل وبعد معاهدة **الطائف** التي سننشرها ضمن ملحقات هذا الكتاب ، وكانت قد وضعت حداً للخلاف الذي أدى لحرب ١٩٣٤ م .

وإننا ننشر ربطاً خريطة تظهر خط الحدود التي حصل الاتفاق عليها بين **اليمن والسعودية** إثر خلاف عام ١٩٣٤ م حول **عسير** وما إليه ، وهي مستندة بشكل خاص إلى ما تعرَّف عليه **هاري فيلبي** البريطاني على الطبيعة بعهد العاهل السعودي الملك **عبد العزيز آل سعود** الذي كان يعمل في خدمته وفقاً لما سجله **فيلبي** .

والخط مسجل باللون الأسود مع الإشارات إلى النقاط التي يمر بها الخط المذكور وفقاً لما سجله **فيلبي** ولم نحصل على أي مستند رسمي يمني يتعلق بتخطيط تلك الحدود تفصيلاً علماً بأنه حصلت عدة خلافات محلية حول ذلك ، وهو الأمر الذي لا مفر منه إذا أخذنا بعين الاعتبار موضوع الحقوق التاريخية والقانونية ومطالب القبائل الموروثة بالنسبة لمرعى الماشية والتجول والعلاقات القبلية فيما بينها وغير ذلك ، وجميعها تعتبر من المواضيع الحساسة التي ترغب الشقيقتان عدم تعريض علاقاتها الأخوية لأي خلل بسبب مثل هذه الحقوق وسواها أو ما شاكلها ، وهو ما يحصل عادة بين البلدان المتجاورة وينتهي دائماً بالوفاق ، بفضل حسن النوايا وعنصر الزمن ، وانتصار روح الوئام الإيجابي المنشود من الجميع .

الهلالان المحيطان بالجزيرة العربية

إذا ألقينا نظرة عامة على خريطة **الجزيرة العربية** الطبيعية لوجدنا في زاويتها العليا ما اتفق على تسميته **بالهلال الخصيب** .

ويضم هذا **الهلال** عدداً من الأقطار العربية حيث يبدأ شرقاً في **شط العرب** ليمتد ويتسع في **العراق (بلاد الرافدين)** ثم سهول **سورية ولبنان** ، وفيها **نهر العاصي ونهر الليطاني** والأنهر العديدة الأخرى التي تنساب من جبال **لبنان** الغربية والشرقية ، **ونهر الأردن** وروافده التي تروي **فلسطين** الطبيعية .

ويقابل هذا الشكل الهلالي الذي عُرف بهذه التسمية في الشمال شكل هلالي آخر ، يتألف من جبال شاهقة العلو تحيط بكامل جنوب غربي **الجزيرة العربية** ، بانعطاف نصف دائري ، حيث تبدأ هذه الجبال المرتفعة في **عسير** جنوب **الحجاز** مباشرة ، وتمتد هذه السلسلة بحاذاة **البحر الأحمر** لتدور حول زاوية **الجزيرة العربية** وراء مضيق **باب المندب** ، وتستمر بالتسلسل مع ما بينها من قيعان ووديان ، لتصل إلى وادي **حضرموت** وما بعده ، ليحيط الهلال بجزء كبير مما يسمى اليوم **بالربع الخالي** .

وتحتوي هذه السلسلة (سلسلة **جبال السراة**) وهي أعلى الجبال في **الجزيرة العربية** ، ومنها جبل **النبي شعيب** الذي يرتفع إلى ٣٧٦٠ متراً ، أي بزيادة نحو من سبع مئة متر عن ارتفاع أعلى قمة في **لبنان** (وهي **القرنة السودة** وارتفاعها ٣٠٨٨ متراً ، وأما **جبل حرمون (الشيخ)** في **سورية** فارتفاعه ٢٨١٤ متراً) .

ويصل عدد القمم في **جبال السراة** التي يزيد ارتفاعها على ثلاثة آلاف متر إلى اثني عشر قمة ، وهي : (**النّبي شعيب - كَنِنْ - الْحَشَا - شَهارة - بَعْدان - صَبِر - التّعْكر (جبلة) - المنار (ضوران) - دمت - حيد عيسى - حميم**) .

وأما التي يزيد ارتفاعها على ألفي متر فعددها ١٤ قمة ، كما سنرى لاحقاً في الفصل الخاص بجغرافية **اليمن** الطبيعية .

وهكذا تتخذ هذه السلسلة من الجبال شكلاً هلالياً معكوفاً في جنوب **الجزيرة** الغربي ، يقابل **الهلال الخصيب** الذي يحيط بأعلاها الهلالان المحيطان **بالجزيرة العربية** .

ويؤلف هذا **الهلال** حاجزاً طبيعياً مرتفعاً يصدّ السحب التي تصعد من حرارة **البحر الأحمر** لتتجمع في أعالي الجبال الشاهقة المطلة عليه ، فتتحول إلى غيوم تقيها أولاً من شدة الحرارة ، وسرعان ماتروي الجبال بأمطار غزيرة فينحدر مافاض منها إلى الوديان السحيقة لترويها بسخاء وتحولها إلى جنات يانعة ، وهل الآية الكريمة ﴿ جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار ﴾ جاءت إلا لتقريب الصورة إلى الأذهان ، ثم يسيل ماتبقى من السيول إلى سهول تهامة الخصبة ، والتي قد تعطي أكثر من غلتين في العام الواحد ، نظراً لشدة الحرارة التي تحيط بها ، وذلك في مخارج الوديان ، وفي مواسم الأمطار ، ووفقاً لغزارتها .

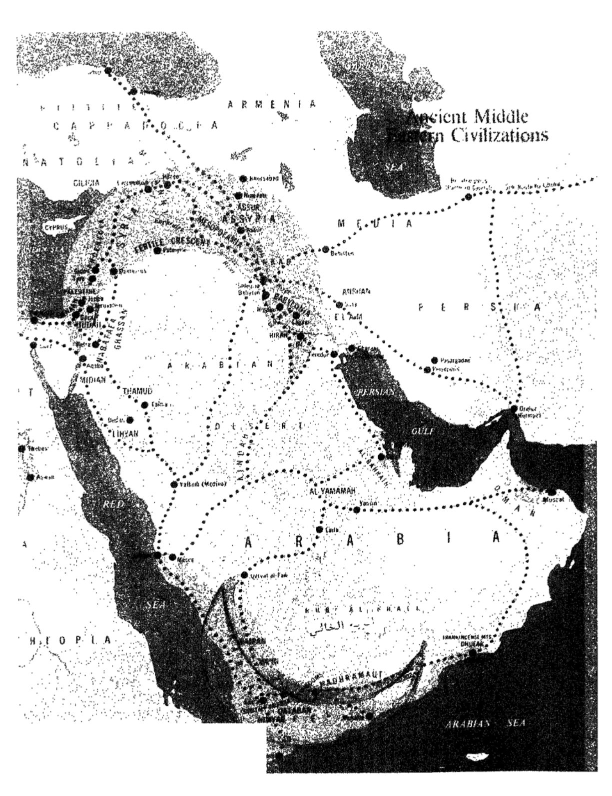
وتنطبق هذه الظاهرة الطبيعية على الجبال المواجهة **للمحيط الهندي** ، والتي تتلقى أمطارها بشكل أكثر انتظاماً في موسم الصيف ، حيث تجلب الرياح الموسمية التي تهب من المحيط إلى الجبال ، فتُغدق عليها العطاء ، بحيث تهطل الأمطار على المناطق **العدنية** (أي الجنوبية) بغزارة ، بحيث يزيد ما يصلها من أمطار **المحيط الهندي** عن مئة سنتيمتر من المياه سنوياً ، وهذا في الواقع يجعل من مناطق **إب وتعز وبعدان والحجرية والعدين** وما إليها جنات خضراء طوال العام ، حيث يتحول فصل الصيف في هذه المناطق وما جاورها إلى ربيع لطيف الجو منعش . وأما الغيوم التي تتمكن من تخطي الجبال فتصل أمطارها إلى القيعان ، لتحولها إلى سهول خيّرة ومراع نضرة في أشهر الصيف وهي الممطرة .

وهكذا ترى جبال **اليمن** كاملة الاخضرار من أعلاها إلى وديانها إن صيفاً أو شتاءً ، وقد عرف **اليمنيون** حسن استغلال هذه الأمطار ببناء المدرجات[1] لزراعتها ، وحصر مياه السيول ببناء السدود ، إما لحجز المياه والاحتفاظ بها ، أو لتحويلها باتجاه السهول التي تحتاج لمياهها الفياضة ، وكذلك ببناء الأحواض والأقنية التي تحول المياه الغزيرة منها وإليها .

وإذا أطلق أهل الجغرافيا على المناطق الفسيحة في شمال الجزيرة اسم بلاد **الهلال الخصيب** ، وهي التي تتمتع بنعمة الري بفضل الأنهار التي تسيل في سهولها ، فيمكننا أن نطلق على جبال وقيعان أو هضاب **اليمن** المعكوفة الشكل اسم **الهلال السعيد** ، ذلك أن **اليمن** عُرفت منذ القدم باسم بلاد (**العرب السعيدة** ARABIA FELIX) ، وهي التي خرجت منها موجات الهجرة السامية منذ فجر التاريخ ، لاعتبارات طبيعية وأسباب عديدة حاولنا أن نتعرف عليها ونفسّرها في مكان آخر .

---

(١) والمدرجات تعرف في بلاد الشام (بالجرف) في حين تعني (الجرف) في اليمن (الكهوف والمغارات) . وتسمى تلك التي تحفظ فيها المياه (الكرف) جمع كريف .



الهلال الخصيب كا تصوره ولونه الغربيون بالأخضر على شمال خريطة الجزيرة العربية .
والهلال السعيد كا يمكن تصورها على الخريطة نفسها

لاحظ واضعو الخرائط الأُول أن شمال الجزيرة العربية يتألف من مناطق مروية خصبة ذات شكل هلالي فأطلقوا عليها اسم : بلاد الهلال الخصيب .

ونحن نلاحظ اليوم بجلاء أكثر ، وبفضل الصور التي أخذتها الأقمار الصناعية للجزيرة العربية بأن جنوبها الغربي أي اليمن الطبيعية تشكل هلالاً واضحاً يمكننا أن نطلق عليه تسمية : الهلال السعيد .

وهو يتألف من البلد الذي أطلق عليها الأقدمون لقب أرابيا فيلكس أي العربية السعيدة .



الهلال السعيد

كما يمكن تصوُّره على صورة جنوب الجزيرة التي التقطتها مركبة الفضاء الأميركية (جيمني إحدى عشر) .

جغرافية الجمهورية العربية اليمنية

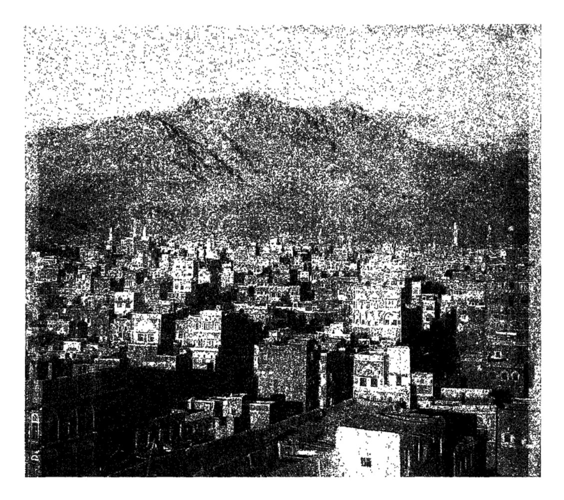
اليمن

شاءت الظروف الدولية وما يسمى بلعبة الدول وتفاعلاتها وثورة أبناء **اليمن** على حكم متخلف وعلى مستعمر مستهتر ، أن تتحول **اليمن** الطبيعية حالياً إلى حكم دولتين شقيقتين مختلفتين في نظام الحكم ومفاهيمه ، لكنهما متفقتان حكومةً وشعباً ، واستناداً إلى رغبة جامحة ومواثيق محترمة على تحقيق الوحدة الشاملة بينهما .

أما الدولة الأولى أو الشطر الشمالي من **اليمن** فتشكل **الجمهورية العربية اليمنية** وهي المعروفة سابقاً وحاضراً في الأمم المتحدة ومنظماتها تحت اسم **اليمن** .

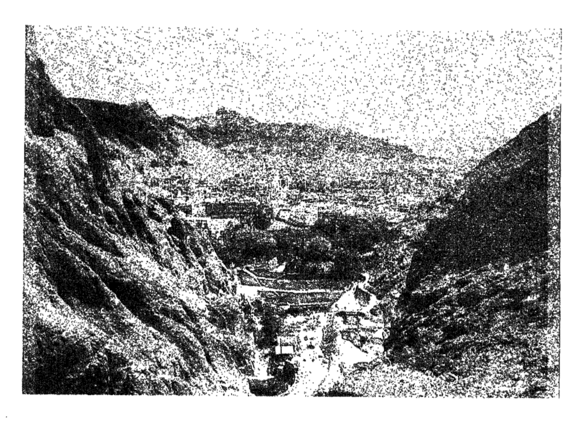
وأما الشطر الجنوبي من **اليمن** الطبيعية ، وهو ما كان واقعاً تحت الحكم المباشر أو الحماية البريطانية ، فقد اختار لنفسه بعد نضاله في سبيل الاستقلال والوحدة اسم **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** .

ولكننا سنحصر اهتمامنا هنا على جغرافية **الجمهورية العربية اليمنية (اليمن)** ، لنسمح لمن هو أحق منا وأدرى وأكثر اطلاعاً على المراجع للكتابة عن **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** .



صنعاء القديمة

الرابضة على سفح جبل نقم ، ويمتد أمامها سهل فسيح (قاع صنعاء) ترويه الآبار وغيول المياه . وترتفع صنعاء ومطارها الدولي ٢١٠٠ متر عن سطح البحر .



عدن

عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (الشطر الجنوبي)

أهم وأعظم ميناء طبيعي لليمن على المحيط الهندي ، ويعتبر من أكثر موانئ العالم مناعة ، وكان قد تصدى بنجاح لجميع المحاولات الاستعمارية حتى عام ١٨٣٩ م عندما تمكنت الإمبراطورية البريطانية من احتلاله ، بعد أن أصبحت أعظم دولة بحرية في العالم .

وتظهر في مقدمة الصورة خزانات المياه التاريخية التي أشرنا إليها تحت عنوان تقنية حفظ المياه وحسن استثمارها .

لم نستعرض بهذا الكتاب جغرافية اليمن الديمقراطية الشعبية (الشطر الجنوبي) لاعتبارنا أن هناك من هو أجدر منا بذلك وأكثر اطلاعاً ومعرفة .

ونكتفي بالإشارة هنا بأن مساحة الـ : ج . ي . د . ش . تعتبر ٣٣٧ ألف كيلومتر مربع ، وتعداد سكانها وصل عام ١٩٨٧ م إلى ما يقرب المليونين ونصف (٢٣٦٥٠٠٠) نسمة .

تقسم ج . ي . د . ش إلى ستّ محافظات هي التالية : عدن (العاصمة) - لحج - أبين - شبوة - حضرموت - المهرة .

التركيز على الجمهورية العربية اليمنية
« الشطر الشمالي » « اليمن » في استعراض

جغرافية اليمن

الاقتصادية والبشرية والإدارية والسياسية

نذكّر بأننا سنقتصر في الأبواب التالية من هذا الجزء المعني بالعرض الجغرافي المصوّر على بحث ما هو متعلق بأحد شطري اليمن الطبيعية ، أي **الجمهورية العربية اليمنية** أو **اليمن** بالنسبة لتسميتها من قبل **الأمم المتحدة** وسائر منظماتها كما أشرنا إليه سابقاً . ذلك أن نوع الحكم وما يترتب عليه من مفاهيم اقتصادية ووسائل تنفيذها وغير ذلك يحملنا بديهياً إلى جانب الاعتبارات التي أشرنا إليها آنفاً ، للتركيز على أحد الشطرين دون شمول الشطر الجنوبي ، بانتظار تحقيق الوحدة المنشودة والمقررة بين الشطرين ، ذاكرين ما نص عليه الميثاق الوطني الذي يربط الشعب بالحكم والحكم بالمواطنين ، من أجل تحقيق أهداف محدودة منبثقة عن الرغبة الجماعية ، ومنها ما يلي « إن الوحدة الوطنية هي قدر شعبنا شمال الوطن وجنوبه ، وضرورة حتمية لتكامل نموه وتطوره ، وضمانة لقدرته على حماية كيانه ، وقدرته على أداء دور فعال وإيجابي ، على المستوى القومي والدولي » .

وكذلك ما نص عليه الدستور الدائم : « اليمن كل لا يتجزأ ، والسعي لتحقيق الوحدة الوطنية واجب مقدس على كل مواطن » .

جغرافية اليمن البشرية والاقتصادية
المجتمع وانشطته في ج. ع. ي.
لدى الامم المتحدة ومنظماتها

عدد السكان :

حددآخر إحصاء لسكان الجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٨٦ عددهم بأكثر من تسعة ملايين وربع مليون نسمة (٩,٢٧٤,١٧٣) بالضبط . ويسكن عشر هذا العدد في المدن الرئيسية ، كما سنوضح ذلك بالأرقام .

إحصائيات عامة

توزيع السكان على المحافظات حتى عام ١٩٨٧ م .

المحافظة	عدد السكان
محافظة صنعاء	١,٨٥٦,٨٧٦
محافظة تعز	١,٦٤٣,٩٠١
محافظة إب	١,٥١١,٨٧٩
محافظة الحديدة	١,٢٩٤,٣٥٩
محافظة حجّة	٨٩٧,٨١٤
محافظة ذمار	٨١٢,٩٨١
محافظة البيضاء	٣٨١,٢٤٩
محافظة صعدة	٣٤٤,١٥٢
محافظة المحويث	٣٢٢,٢٢٦
محافظة مأرب	١٢١,٤٣٧
محافظة الجوف	٨٧,٢٩٩
المجموع	**٩,٢٧٤,١٧٣**

توزيع السكان بين الريف والمدن :

١٥ بالمئة من السكان يعيشون في المدن ، و ٨٥ بالمئة من السكان يعيشون في القرى .

نسبة زيادة عدد السكان ٢٧ بالألف علماً بأن معدل الزيادة العالمي هو ١٨ بالألف .

ذكرنا آنفاً أن عدد سكان المدن يمثل ما يقارب عشر عدد المواطنين ، وها هو موزع على الوجه التالي :

التجمع السكاني في المدن الرئيسية التي تشكل مراكز المحافظات الإحدى عشرة

عدد السكان بالآلاف دون تحديد أعداد ما دون الألف :

صنعاء	٤٢٧ ألف نسمة
تعز	١٧٨ ألف نسمة
الحديدة	١٥٥ ألف نسمة
إب	٥٠ألف نسمة
ذمار	٥٠ ألف نسمة
صعدة	٣٢ ألف نسمة
حجة	١٦ ألف نسمة
البيضاء	١٢,٥ ألف نسمة
المحويت	٥ آلاف نسمة
الجوف	٢,٥ ألف نسمة
مأرب	١,٥ ألف نسمة
	٩٠٩ آلاف نسمة

العرق :

يمكن اعتبار الشعب اليمني بكامله من أكثر الشعوب تجانساً من الناحية العرقية ، وهو عربي عريق ، معتز بنسبه الذي يعيده في الغالب إلى قحطان .

الدين :

الإسلام هو دين الشعب والدولة والمذهبان الرئيسيان المتبعان هما الزيدي والشافعي .

الاغتراب :

كان عدد المغتربين قد وصل عام ١٩٨٦ م إلى مليون ومئة ألف نسمة ، بينهم ٨٠٤ آلاف ذكور . ثم بدأ هذا العدد بالتناقص لأكثر من سبب . ونظراً لأهمية الاغتراب سنفرد له عنواناً آخر .

المجتمع :

كان المجتمع ينقسم إلى عدة فئات طبقية . لكن العهد الجديد يحاول بنجاح القضاء على المفاهيم الفئوية ، يساعده على ذلك انتشار التعليم والمواصلات ، وعلى الأخص خدمة العلم الإجبارية . وقد توفقت خدمة الدفاع الوطني لتخطي هذه العقبة خاصة بالنسبة للطائفية المذهبية ، والقضاء على رواسب المفاهيم الاجتماعية الموروثة .

ويظل أي استعراض جغرافي للمجتمع اليمني ناقصاً إن لم تحصل الإشارة إلى الانتماء القبلي ، ذلك أن هذا الانتماء لا زال ظاهرة تاريخية ، استمرت ملموسة إلى عهد قريب ، حيث كانت المجموعات القبلية تشكل قوى محاربة ، قبل أن تندمج وتتأقلم ضمن مؤسسة الدفاع الوطني المنظمة . وتنتمي المجموعات القبلية التي أصبحت متتداخلة فيما بينها إلى ثلاث مجموعات رئيسية في المناطق الداخلية وهي قبائل **حاشد** و**بكيل** ثم **همدان** المنتسبة إلى المجموعتين والعكس صحيح ، أما في المناطق الجنوبية والساحلية فهي عديدة ، وأكبرها في **تهامة قبيلة الزرانيق** .

ذاكرين للإيضاح أن القبائل اليمنية هي في الحاضر كما كانت في الماضي السحيق من أهل الحضر ، حيث إنها تسكن القرى والمدن ﴿ قرى ظاهرة ﴾ وهي بالتالي متحضرة . ونفهم من شرح **محيط المحيط** أن الحضري هو خلاف البدوي وقد تخلق بأخلاق المدن ، فابتعد عن الخشونة إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة .

أما **الأعراب** كما جاء ذكرهم في كتاب الله الكريم ، وكذلك في ألقاب **ملوك حمير** فهم باليمن القبائل الرحل وأعدادهم قليلة نسبياً ، وهم يتجولون في أطراف **الربع الخالي** ، ومع ذلك فإن لهم مراكز ثابتة في المشرق اليمني يعتبرونها حاضرتهم وأماكن أسواقهم وتجمعهم .

وهكذا فإن عدد سكان المدن الرئيسية الذي يقارب المليون نسمة يشكل عشر سكان الجمهورية ، وأما الثمانية ملايين وربع الباقية فتشكل سكان القرى الزراعية المنتشرة في جميع الأنحاء ، وهي بأغلبيتها الساحقة مبنية (ظاهرة) باستثناء بعض القرى في **تهامة** المبنية من الخشب والجذوع المسماة **عشش** ، مضافاً إلى ذلك عدد المغتربين المتقارب مع عدد سكان المدن حالياً تسع مئة ألف .

التوازن السكاني وإيجابياته

ويشير هذا الواقع إلى وجود توازن معقول وإيجابي بين سكان المدن وأهل الريف . وتُعتبر العاصمة والمدن الرئيسية الأخرى محمية من حزام البؤس الذي تعاني منه أكثرية العواصم والمدن الكبرى والناتج عن هجوم أهل الريف على المدينة بحثاً عن العمل حيث يتجمعون بأطرافها بمساكن حقيرة ويعانون من الفقر ومآسية ومشاكله الاجتماعية .

لـذا نعتقـد أنـه من حسن حـظ **اليمن** أن تكون مـدنهـا مـا زالت محميـة من ظـاهرة تجـاور البؤس والحرمان بأطرافها مما يساعد على العناية المنشودة بكامل أحياء المدن ، وهكذا فإن حمايـة مـدن **اليمن** من هذه الظاهرة المؤلمة يُعتبر بنظرنا من أوضح معالم التقارب الاجتماعي وعدالته ، وربمـا كان ارتفـاع مستوى الحياة في **الريف اليمني** يشكل العامل الأهم في حماية المدن من أحزمة البؤس التي تعذّر التخلص منها ، وهي على ازدياد في بلدان عالمنا الثـالث إجمـالاً . حيث من المقـدَّر أن يصل عـدد سكان بعض العواصم إلى عشرين مليون نسمة أو أكثر ، وسيكون عدد البائسين بينهم أكثر ممن تتوفر له سُبل العيش المتواضعة ، وذلك نتيجة لما يُطلق عليه حالياً نعت **التفجُّر السكاني** .

العنصر البشري والتعليق على نشاطه

لاشك لدينا أن العنصر البشري يشكل في **اليمن** أهم وأنفع فاعل اقتصادي ، ذلك لاقتناعنا بأن هذا العنصر البشري مثَّل ويمثل بصورة دائمة حقيقة ثروة البلاد التي لاتنضب .

ففي العصور القديمة كان نشاط **اليمني** الذهني والجسدي سبباً في ازدهار العهود السالفة . فلولا اقتحامه أمواج المحيط وأنوائه وتعرفه على مصادر السلع وتحصيلها ثم اختيارها وإعدادها وتحضيرها وتوضيبها ونقلها عبر البحار أولاً ، ثم عبر الصحراء ، وتنظيم رحلتي الشتاء والصيف والتعرُّف على الرياح الموسمية في المحيط ، واستغلالها ثم تدبير وتخطيط نظام القوافل وحمايتها ، وتأمين مراكزها ، وغير ذلك من جهود ذهنية وجسدية ، لما ازدهرت ممالك **معين وسبأ** وما رافقها على المحيط من ممالك أخرى **كحضرموت وقتبان وأوسان** ، ولما شاد أهل أوسان مملكة **أكسوم** الكبرى في بلاد **الحبشة** .

ولولا صراع **اليمني** في مجال الزراعة وسجاله مع العوامل الطبيعية لما تمكن من تحويل سفوح الجبال إلى جنات خضراء ، ولما سيطر على تقنية حفظ المياه واستغلالها ، ولما أمّن في الماضي مصادر غذائه وصدّر مافاض عن استهلاكه .

وها هو في المرحلة الجديدة يعمل إلى جانب نشاطه في بلده ليساهم في مجال الاغتراب بإنشاء البنية الأساسية والنهضة العمرانية للبلدان الشقيقة ، مما استحق له عليهم التقدير بتقديمهم مساعدات شاملة هي موضع الشكر ، وعامل لتوثيق علاقات الأخوة والتعاون المثمر .

كما أنشأ في بلده البنية الأساسية ، وأوجد نهضة عمرانية شاملة بمدة وجيزة ، بفضل ماأمّنه من دخل زاد في بعض السنوات على مليار دولار في العام . وقد ساعدته على ذلك ظروف الحكم الواعي ، وحسن استغلال حصيلة جهده ونشاطه ، وتحمله متاعب الغربة دون شكوى أو ملل . وهو أيضاً ماساعد أهل الحكم في عصر النهضة الجديد على وضع المخططات لتحقيق مرحلة كبيرة من الوثبة العملاقة الحاضرة ، ولتنفيذ المشاريع الإنشائية الجليلة ، ومنها الزراعة وأهمها ولا شك توسيع نطاق التعليم ، حيث إن القرن المقبل سيرتكز على التكنولوجيا ، وهي التي لا يُحسِن الانتفاع منها غير المتعلم .

القوى العاملة في مختلف المجالات

الزراعة :

ذكرنا في هذا الموضوع المتعلق بالجغرافيا الاقتصادية أهمية الدخل الذي تحصل عليه البلاد من الاغتراب الذي لا زال يشكل المادة الأولى للنشاط البشري اليمني بصورة عامة . وكذلك النشاط في ربوع اليمن نفسها ، فلا شك أن العمل في المجال الزراعي يتمتع بالمرتبة الأولى حيث يؤمن العمل الزراعي معيشة ثلاثة أرباع السكان ، ويمكن اعتباره العمود الفقري للاقتصاد الوطني الثابت . لذلك سنفرد للزراعة عنواناً خاصاً بهذا القطاع الرئيسي .

الحرف :

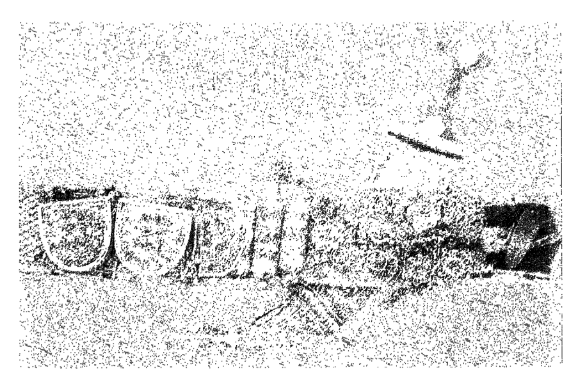
إن عدد الذين يمارسون الحرف التقليدية يظل محدوداً في الوقت الراهن ، لأن إنتاجهم بقي محصوراً على الاستهلاك المحلي ويتمثل بصورة رئيسية بصناعات الآلات الحادة ، ومنها الجنبية التقليدية وكذلك أحزمتها وما هو متصل بها ، وأيضاً المداعات المزخرفة ، ثم الحلي والمجوهرات ، وهو ما يؤمل زيادته بشكل ملحوظ بفضل السياحة كما سنرى . ويضاف إلى ذلك الحرف المتصلة بالبناء وزخرفته ومواده والخامات اللازمة له .

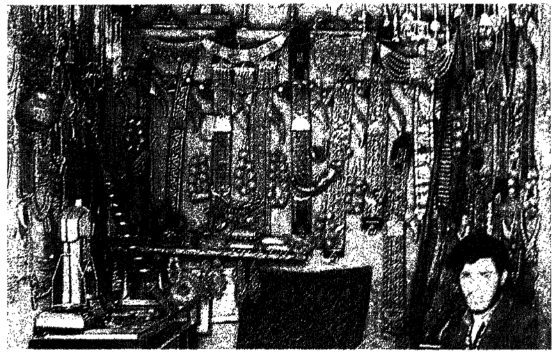
الصناعة :

لا زال عدد العاملين في مجال الصناعة متناسباً مع عدد المصانع المتوسطة الحجم في الوقت الراهن ، والمقتصر على الإسمنت والنسيج واستخراج الملح . أما الصناعات التحويلية الصغيرة فقد وصل عددها إلى ٥٠٠ مؤسسة تشمل الصناعات الجلدية والخشبية والملابس والأواني المنزلية وصناعات الأدوية والمواد الكيمائية والأدوات البلاستيكية . لكن الآمال معقودة على ما ستتمكن البلاد من تصنيعه بفضل خروج المواد البتروكيميائية المرتقبة . كما أن تيسير الحصول على الطاقة المحلية سيساعد ولا شك على اتساع الأعمال الصناعية .

التعطش لتلقي العلم والمعرفة :

إن ميل اليمني للمعرفة والعلم الذي يتمثل بالإنجازات الإنشائية والتقنية ، واستعماله القراءة والكتابة ثابت منذ القدم ، كما دلت على ذلك الآثار الرائعة والرّقم والخط المنسق . لكن التعليم في مرحلة التخلف اقتصر على بعض المعارف وانحصر بعدد قليل جداً من المواطنين .





الحرف اليدوية

أتقن اليمني منذ العهود القديمة صناعة الأدوات الحادة ومنها الأسلحة التقليدية ، كما اعتنى بتزيينها وزخرفتها واستعمال المعادن الثمينة .

وأما قبضة النجر فهي من قرن (وحيد القرن) ، وهو الحيوان الإفريقي النادر ، و (الخبيات) التاريخية مع قبضتها لا تقدر بثمن .

الاغتراب والتنمية

إن تقاليد اليمني في حبه للتجارة العالمية الموروثة ورغبته في الأسفار ونشاطه من جهة وأيضاً الزحف الصحراوي في المشرق والكوارث الطبيعية والحروب الأهلية ثم التضييق عليه وتقهقر اقتصاده ، حمله على الهجرة طلباً للرزق ، وطلباً للثروة والنجاح .

ومعلوم أن لليمني تاريخ عريق جداً في ميدان التجارة والسيطرة على أسواقها . فقد احتكر اليماني ، كما هو مقرر تاريخياً طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب مدة لا تقل عن خمسة عشر قرناً عبر الصحراء ، وأكثر من ذلك بكثير عبر البحار قبل وصول الجمل إلى الجزيرة ١١٠٠ قبل الميلاد تقريباً .

وقد حمل هذا التقليد ابن اليمن ، المطل على **المحيط الهندي** ، على ركوب البحر إلى **الجزر الهندية الصينية والملايو** ، حيث أسس المراكز التجارية الضخمة وجمع الثروات الطائلة وخاصة في **جزيرة جاوة** .

كما أنه استوطن **إفريقيا الشرقية** .

وأخيراً ، وبعد ازدهار **بلاد الجزيرة وإمارات الخليج العربي** نتيجة لتدفق النفط من أعماقها ، توجه مئات الألوف من أبناء **اليمن** النشيطين للمساهمة بأعمالها الإنشائية والتجارية المتعددة ، هذا إلى جانب العدد الكبير من اليمنيين الذين هاجروا إلى مختلف أنحاء المعمورة بواسطة البواخر التي كانت ترسو يومياً في **عدن** ، والتي كانوا يلجؤون إليها كملاحين أو مساعدين لأي نوع من الأعمال ، وذلك ليتمكنوا من الوصول إلى بلد يؤمنون فيه وسائل العيش الشريف بعملهم وإقدامهم .

وهكذا توزعت الجاليات اليمنية على عدد وافر من موانئ العالم المزدهرة ، وأيضاً على المراكز التجارية في **إفريقيا الشرقية والوسطى** .

ومعلوم أن الموجات البشرية التي وصلت إلى شمال **جزيرة العرب** هي قديمة العهد وتقليدية وإن كان أشهرها هي التي تلت انهدام السد في مرحلته الأخيرة بعد سيل العرِم ، كما أن موجات عديدة هاجرت قبل ذلك الحدث التاريخي الهام ، ثم سارت موجات أخرى وصلت إلى أطراف المعمورة مع الإسلام منذ فجره وحتى في عهد **العثمانيين** .

وإلى جانب هذه الموجات التي أخذت في بعض الحالات شكل الهجرة العامة ، حيث نزح القوم مع عائلاتهم والمنقول من ممتلكاتهم ، توجد موجات الاغتراب سعياً وراء العيش الشريف بشكل انفرادي لسرعة العودة إلى الوطن .

ولما كان من طبيعة اليمني تمسكه ببلده وحبه لأرضه التي لا يفرط بها إلا مكرهاً ، فلم يبعد الاغتراب في المرحلة الأخيرة أبناء **اليمن** نهائياً عن وطنهم ، بل كانت الهجرة التاريخية الجماعية هي التي أبعدت بعضهم وحسب ، وهم عندما يسافرون الآن لا ينقلون معهم عائلاتهم ، وبذلك يظل ارتباطهم ببلدهم ، وحتى بقريتهم وثيقاً ويعمل كل منهم ، بعد أن يؤمن معيشته في بلاد الاغتراب على تحويل ما أمكن مما يدخره وهو مما يشكل حركة مالية كبيرة مستمرة باتجاه واحد نحو **اليمن** يأتيها من كل بلد وصعيد .

وهذا التيار المالي الناتج عن الاغتراب ـ وليس الهجرة الجماعية ـ الذي لا ينضب لكثرة المغتربين يشكِّل دخلاً قومياً كبيراً ، فإن كان من الصعب تحديده ، يظل من اليسير ملاحظة أهميته بسبب وجود مئات الآلاف من العاملين في الخارج ، ولا هَمَّ لهم سوى إرسال ما يعيل ذويهم من تحويلات نقدية ، أو العودة إلى البلاد مزودين بما تم ادخاره لإنعاش أرضهم التي تركوها مكرهين ، وللمساهمة بإعمار بلادهم وتأمين نهضتها . ونظراً لأهمية هذا الموضوع خصصنا له عنواناً رئيسياً بهذا الكتاب .

وقد يكون الدخل القومي من الهجرة في الوقت الحاضر قبل أن ينمو الاقتصاد الزراعي ويزدهر ، كما هو مرتقب ، أكبر دخل قومي يمني ، وقد يزيد على دخل المنتوجات الزراعية المصدّرة بمراحل ، وأيضاً على ما هو متوقع من تصدير النفط في مرحلته الأولى الحاضرة .

فإذا اعتبرنا تقديراً لعدم وجود إحصائيات دقيقة ، بأن عدد المغتربين يناهز ٨٠٠ ألف مواطن ، وأن معدل تحاويلهم لعائلاتهم في **اليمن** يُقارب ألف دولار سنوياً (وفي هذا التقدير للعدد ومقدار التحويل شيء من التحفظ) فيكون دخل **اليمن** من المغتربين نحواً من ثمان مئة مليون دولار . وهناك بعض الإحصاءات شبه الرسمية تفيد أن دخل الاغتراب وصل في بداية الثمانينات إلى ضعف هذا الرقم ، أي ما يقرب من مليار ونصف المليار من الدولارات ، كما سنرى لاحقاً وكما ذكرنا .

ويحملنا هذا الواقع على وضع العائدات من الاغتراب في المرتبة الأولى للدخل القومي ، وذلك بانتظار المرحلة التي سيشكل فيها الدخل من البتروكياويات وتصديرها وتصنيفها البند الأول للدخل الوطني قبل الزراعة والاغتراب .

الإنتاج والتصدير

زبدة النتاج الاقتصادي = التصدير

قبل أن ننتقل إلى عنوان الزراعة نسجل أدناه كشفاً بالسلع التي تقوم اليمن حالياً بتصديرها (١٩٨٨ م) .

وهي خلاف الغاز والبترول الذي أصبح ابتداء من هذا العام يُعتبر السلعة الرئيسية التي يُستهلك قسمٌ منها محلياً ، مما يُخفف عبئها على الميزان الاقتصادي .

ويُصدر القسم الأكبر من النفط اليمني مما يجعله السلعة الأولى للتصدير ابتداء من نهاية عام ١٩٨٧ م ، كما سنرى ذلك تفصيلاً في القسم الثالث من الكتاب تحت عنوان (البترول واليمن) :

أما السلع الأخرى التي يحصل تصديرها حالياً فهي التالية :

١ ـ الجلود الخام .
٢ ـ البن .
٣ ـ الملح .
٤ ـ الجبس .
٥ ـ الرخام .
٦ ـ منتجات الغزل والنسيج .
٧ ـ منتجات الملابس الجاهزة .
٨ ـ السجائر .
٩ ـ الحلويات والبسكويت .
١٠ ـ المنتجات الزراعية .
١١ ـ المياه المعدنية .
١٢ ـ البطاريات الجافة والسائلة .
١٣ ـ المنتجات البلاستيكية والميلامين .
١٤ ـ المنظفات والكريمات .

اليمن الطبيعية

الجغرافيا الطبيعية

موقع الجمهورية العربية اليمنية ومساحتها ومناطقها الطبيعية

تقع **الجمهورية العربية اليمنية** في الطرف الجنوبي الغربي من **شبه الجزيرة العربية** ، ويحدها من الشمال والشمال الشرقي **المملكة العربية السعودية والربع الخالي** . ومن الجنوب الشرقي الشطر الجنوبي من اليمن ج . **اليمن** د . **الشعبية** . ومن الغرب **البحر الأحمر** .

المساحة

وتبلغ مساحة **الجمهورية العربية اليمنية** ٢٠٠ ألف كيلومتر مربع أي (٢٠) مليون هكتار ، يضاف إلى هذه المساحة ما يعود إليها من **الرملة** أي من **الربع الخالي** باعتباره بحراً من الرمال تعود ملكيته للبلدان المتصلة به . ونذكر أن مساحة (الشطر الجنوبي) **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** هو ٣٣٧ ألف كيلومتر مربع .

أما المساحة في **اليمن** أي **الجمهورية العربية اليمنية** والتي تصلح للزراعة بشكل أو بآخر أي بالري أو الاعتماد على الأمطار وأيضاً المكسوة بالأشجار الحراجية والتي تنمو فيها المراعي ، فتقدر بربع مساحة البلاد بكاملها أي بنحو خمسة ملايين هكتار ، بينما المتبقي وهو ١٥ مليون هكتار فيشكل أراضي صخرية وجبلية شبه جافة أو قاحلة .

الجزر

يعود **لليمن** جميع الجزر المقابلة لشواطئها في **البحر الأحمر** وقد أضفنا بآخر هذا القسم كشفاً بأسماء ومواقع أغلبية الجزر اليمنية .

المناطق

وتنقسم **اليمن** (ج . ع . ي .) من حيث المناطق والبيئة الزراعية إلى خمس مناطق :

١ ـ سهل تهامة :

وتسمى بالمنخفضات الساحلية ، وهي عبارة عن السهل الساحلي الممتد بطول البلاد من الشمال إلى الجنوب ، ويقدر طول الشريط الساحلي بحوالي (٤٠٠) كيلومتر محصورة بين **البحر الأحمر** غرباً ، والسفوح الغربية شرقاً ، بعرض يتراوح بين (٣٠ و ٧٠ كم) . وتقدر مساحتها بحوالي (٢) مليون هكتار ، وبارتفاع يصل إلى (٢٠٠) متر عن مستوى سطح البحر عند سفوح الجبال .

٢ ـ السفوح الغربية :

وتشمل المناطق المحصورة بين **تهامة** من جهة والمرتفعات الجنوبية والسهول الوسطى من جهة أخرى . تمتد بطول البلاد من الشمال إلى الجنوب ، بمساحة إجمالية تقدر بحوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون هكتار . وبارتفاع يتراوح بين (٢٠٠ ـ ١٥٠٠) متر فوق سطح البحر .

وقد حولت جميع المنحدرات القابلة للزراعة إلى مدرجات زراعية ، تعتمد في زراعتها على معدلات سقوط الأمطار التي تتراوح بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ ملم مكعب .

٣ ـ المرتفعات الجنوبية :

وتقع بين القسم الجنوبي من السفوح الغربية والحدود الجنوبية للبلاد ، ومحافظة البيضاء من الجنوب الشرقي ، وسهل بريم شمالاً .

وتقدر مساحتها الإجمالية بحوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون هكتار ، وتقع على ارتفاع (٨٠٠ ـ ٢٠٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر ، وتمتاز بخصوبة تربتها عموماً ، وترتفع فيها نسبة هطول الأمطار حيث تتراوح ما بين (٨٠٠ ـ ١٢٠٠) ملم .

٤ ـ السهول الوسطى (الهضبات أو القيعان) :

وهي التي تمتد جنوباً من يريم على حدود المرتفعات الجنوبية ، وحتى شمال البلاد ، وتنحصر بين السفوح الغربية من الغرب ، والسهول الشرقية من الشرق ، وتشمل المرتفعات التي تقع على ارتفاع أكثر من ١٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . وتتكون المناطق الزراعية فيها من السهول التي يطلق عليها اسم **قيعان** ، وتحيط بها الجبال ، وأهم هذه السهول القيعان أو الهضاب التالية ، مع تحديد ارتفاعها عن سطح البحر استناداً لتقرير **جوكنز** الخبير الجيولوجي للأمم المتحدة :

الجبال

قبل البدء باستعراض جبال اليمن ومواقعها تفصيلاً ، رأينا أن ندرج أولاً كشفاً كاملاً بأعلى القمم ، وهي عديدة :

أولاً :

أعلى قمم الجبال التي يزيد ارتفاعها عن ثلاثة آلاف متر ، وهي التالية وفقاً لمستوى ارتفاعها :

النّبي شعيب	غربي صنعاء	٣٧٦٠ متراً
كنن	بمنطقة خولان	٣٣٠٠ متر
سورق (قمة الحشا)	فوق ماوية	٣٢٨٦ متراً
شهارة	بمنطقة الأهنوم	٣٢٠٠ متر
منار	بعدان	٣١٨٨ متراً
حميم	في عزلة الأفيوش من العدين	٣١٧٩ متراً
حيد عيسى		٣١٢٩ متراً
تعكر (جبلة)	بمنطقة إب	٣٠٩٤ متراً
صبر	المشرف على تعز	٣٠٧٠ متراً
دمت	إب	٣٠٠٤ أمتار
بعدان	بمنطقة إب	٣٠٠٠ متر

ثانياً :

القمم التي يتراوح ارتفاعها بين ألفين وثلاثة آلاف متر بحسب ترتيب درجة ارتفاعها :

نقم	المشرف على صنعاء	٢٧٠٠ متر
بوعان	غربي صنعاء	٢٧٥٠ متراً
الصلو (من المعافر)	بمنطقة الحجرية . لواء تعز وبه (حصن الدَّمْلُوة المشهور)	٢٦٦٠ متراً
الأشمور	بمنطقة حجة	٢٦٥٠ متراً
براش	بمنطقة شرق صنعاء	٢٥٧٠ متراً
حبيش	بمنطقة إب . سمارة ـ بمنطقة إب . وكان يعرف بصيْد ، وعبره نقيل (ممر) سمارة	٢٥٥٠ متراً
ريمة	بلاد ريمة	٢٤٥٠ متراً
القاطرة	بمنطقة تعز	٢١٨٠ متراً

سلاسل الجبال الغربية والجنوبية
والداخلية ومواقع الجبال

١ ـ سلسلة الجبال الغربية أو جبال (السراة)

تشكل هذه الجبال سلسلة متصلة متعددة الخطوط ، ومحاذية للبحر الأحمر غرباً ، وللمحيط الهندي جنوباً .

تبدأ هذه السلسلة جنوب الحجاز في عسير ، ثم تمتد جنوباً وتعرض خطوطها باتجاه باب المندب ، ثم تتحول بعد ذلك شرقاً بمحاذاة المحيط الهندي مؤلفة بذلك زاوية تتفق مع زاوية جنوب غرب الجزيرة العربية بشكل هلالي معكوف باتجاه شمال الشرق (الهلال السعيد) .

إن هذه الجبال الشاهقة القمم والمتعددة الخطوط ، تصمد بوجه الغيوم التي تجلبها الرياح الموسمية من المحيط الهندي ، أو التي تتجمع من رطوبة البحر الأحمر الشاملة لمنطقة تهامة ، والتي تحولها الحرارة الشديدة إلى غيوم تتكاثف فوق الجبال عند الظهر ، ثم تنفجر منها الأمطار بعد الظهر مباشرة .

وهذه السلسلة العريضة كثيرة التداخل فيا بينها ، مما أدى إلى تشكيل الهضاب العديدة (القيعان) بين الجبال ، كما أنها تشكل عدة جبال في داخل البلاد وراء تلك الهضاب .

٢ ـ الجبال الداخلية

تشكل الجبال الداخلية أو جبال السراة الشرقية حاجزاً طبيعياً صامداً بوجه الصحراء يمنع امتدادها إلى الهضاب اليمنية الخصبة ، كما يلتقط مما تسرب من السحب وأمطارها القليلة الواصلة من الجنوب والغرب .

ويمكن اعتبار الجبال الداخلية هذه كل ما كان موقعه شرقي جبل النّبي شعيب .

جبل النّبي شعيب

هو أعلى جبل في اليمن ، وفي شبه جزيرة العرب قاطبة ، بما في ذلك جبال لبنان ، ويعرف أيضاً بجبل حضور وارتفاعه ٣٧٦٠ متراً عن سطح البحر . ولا تسقط عليه الثلوج إلا نادراً لكونه شمال خط الاستواء (درجة ١٤) .

ويقع جبل النّبي شعيب في أواسط اليمن غربي صنعاء .

وتتألف سلسلة السراة الداخلية بالنسبة لجبل النبي شعيب من الجبال الآتية :

جبل عيبان وهو بالشرق من جبل النبي شعيب .

وجبال بني بهلول ، وبلاد الروس ، وخولان العالية ، وجبل صيلان القائم بين صرواح ومأرب ، وجبال مراد ، وجبال المصعبين شرقي بيحان ، وجبال الجوبة .

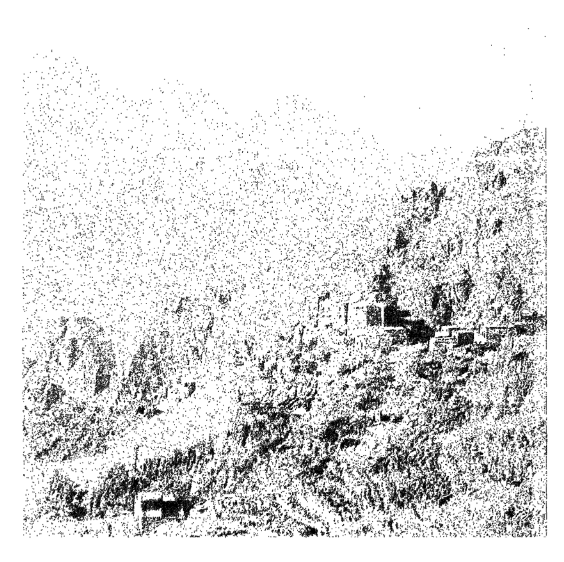
والجبال المطلة على الجوف ومنها عمران ، وناعط ، وريدام ، وجبل اللوز ، وجبال ذو حسين وذو محمد . وكذلك جبال سفيان وحاشد والجبل الأحمر . وجميع هذه الجبال جافة قلما تصلها الأمطار .



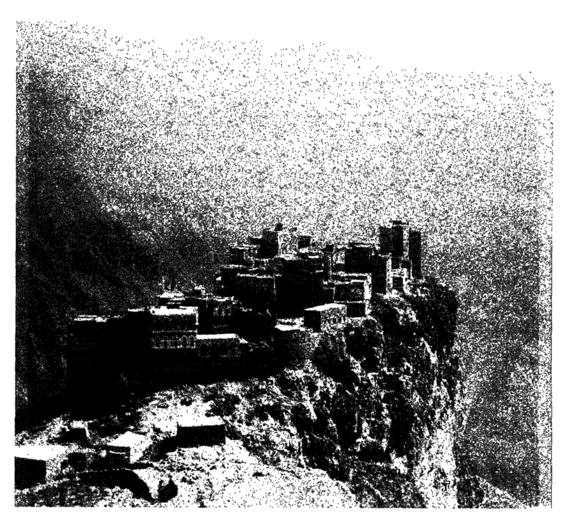
أحد مناظر بلاد الهلال السعيد

من أوصاف اليمن

جَبَــلٌ وادٍ وسهــلٌ وجَبَــلْ … بنٌّ ورمــانٌ زبيبٌ وعسـلْ
سعيــدةٌ خضراءُ ، أنسٌ وعمـلْ … وصَفَــاءُ الجــوْ ، بَلْسَمْ للعِلَـلْ
فيها فخرٌ واعتزازٌ ، فيها جبريلٌ قطنْ … هــذه الأوصــاف أوصــاف اليمنْ

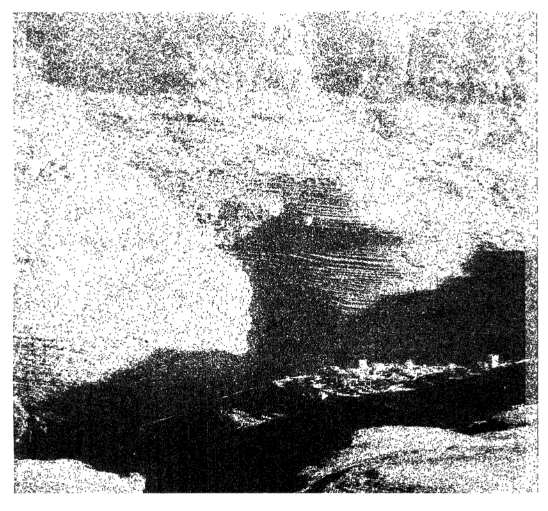


لوحة طبيعية في إحدى المناطق
الجبلية
من سلسلة جبال السراة الغربية



حراز

وكأنها جزء لا يتجزأ من قمة هذا الجبل المشرف على المدرجات الزراعية (الجرف) التي قدّها ابن حراز في عرض الجبل ، وكافح العوامل الطبيعية لحمايتها من الأمطار الجارفة ، وحوّل مسكنه إلى معقل منيع .



استغلال الجبال

تمكن اليمني من تحويل هذه الجبال الجرداء الصماء إلى تربة زراعية خيِّرة ، بفضل جده ومكافحته المستمرة للعوامل الطبيعية ، وهي في الصورة تنتظر موسم الأمطار التي تحولها إلى مزارع خضراء .

مواقع جبال اليمن الغربية ابتداءً من الجنوب الغربي

ونورد فيما يلي تحديداً لمواقع **جبال اليمن** باتجاه **البحر الأحمر والمحيط** ، وفقاً لتوزيعها على مناطق **اليمن** المختلفة ، وذلك تسهيلاً لتعيين مواقعها :

تعز : جبل صبر وارتفاعه ٢٨٠٠ مترٍ ، وفي سفحه تقع مدينة **تعز** .

وتشمل هذه المنطقة الجبلية على عدة جبال أخرى كثيرة الارتفاع وعديدة الوديان وهي التالية :

جبل حَبَشي ، جبل سامِع (الهرمي الشكل) ، **جبل قَدسْ** .

وفي الجنوب ، تقع جبال **التربة** ، **والمقاطرة** ، **وشَرجب** ، **وجبران** ، **وحَيفان** ، **والْقَبيِّطة** ، وتؤلف هذه الجبال سلسلة متجهة نحو **عدن** حيث تطل على **لحج والمحيط الهادي** .

وفي شمالي غربي **تعز** يقوم **جبل شَرْعب** ، **وجبال مَقْبنة** ، **والعدِين** ، **وصَهْبان** ، **والسَّيْرة** ، **وبعدان** . ومعدل ارتفاع هذه الجبال نحواً من ألفي متر عن سطح البحر .

ويلي **جبال تعز** باتجاه الشمال :

جبال آنس ، وتشتمل على ما يلي :

جبل ضُوران ، جبل أشيع أو جبل ظفار ، جبل الْهَان ، جبل الشَّرق ، جبال عُتمة ، ومنها **جبال رازح**(٭) ، **وجبال حميّر** .

جبال وصّابين ، وهي جبال **وصاب** ، ومنها **المصباح** ، **وبني حَطّامْ** .

جبال رَيْمة ، وهي **جبال الْجِيْ** (**الجبين**) ، **والسّلفيـة** ، **والْجَعْفَرية** ، **وكُسْمة** ، **وبلاد الطعام** . ويتراوح ارتفاع جميع هذه الجبال بين ٢٠٠٠ ـ ٢٨٠٠ مترٍ .

جبال حراز ، تقع شمال **جبال ريمة** ، وتشمل على : **حصن بَيْـح** ، **وحصن شبام** ، **الحيطين بمدينة مناخة** ، **وجبل صعفان** ، **وجبل مسار** ، **وجبل بني إسْماعيل** . وترتفع **جبال حراز** نحواً من ثلاثة آلاف متر .

جبال المحويت ، وهي جبال بلاد غَيل ، ومدينة المهرين بالسفح الغربي منها ، وجبال حفاش ومِلْحان ، وجبال الظّاهر ، وجبال الطرف .

(٭) وهو من ناحية عتمة مشهور غير (رازح بلواء صعدة) .

أما في الشرق من سلسلة **السراة** ، فيقع القسم الداخلي من هذه السلسلة ، وهو يتألف من عدة مجموعات من الجبال :

جبال كوكبان ، وتشمل على : **جبل الضّلاع** (ضلع) (اسمه قديماً **ذخار**) ، **جبل بني حِبشْ** (اسمه قديماً **تيس**) ، **جبل حصن ثّمات** ، **جبل شَاحِذْ** ، **جبال القِرانع** (تحتضن مدينة الطويلة) ، **جبال أكناف** وفيها حصن براش الباقر . وارتفاع هذه الجبال نحواً من ٣٠٠٠ متر . **ومدينة كوكبان** نفسها ترتفع ٢٨٠٠ متر . أما **مدينة الطويلة** فارتفاعها ٢٤٠٠ متر .

جبال الحدا ، وتشمل على : **جبال ضركام** ، **والأعماسْ** ، **وضلع** .

جبال خولان ، وتشتمل على : **جبال اللّوز** ، **وجبال الطّيال** ، **وجبل الْخَضراء** ، **وجبل عضية** ، **وجبل كَنِنْ** .

جبال بني حَشيش ونهم ، وتشتمل على : **جبال رجام** ، **وجبال حريب** ، **وجبل أيوب** ، **وجبل شبام** ، **وجبل الغراس** (**ذي مَرْمَرْ**) ، **وجبل صرع** ، **وجبل ذياب** .

جبال أرحب ، وتشتمل على : **جبل ذِيْبِيْن** ، **وبيت مِرّان** ، وارتفاعها ٢٥٠٠ ـ ٢٦٠٠ م .

جبال هَمْدان ، وتشتمل على : **جبل الرّيان** ، **جبل المنقب** ، **وجبل الكبار** ، **وجبل بريش** ، وهي تتوسط **بلاد همدان** ، ومتوسط ارتفاعها نحو ٢٨٠٠ متر .

جبال سَنْحان ، وتشتمل على : **جبل الخَطَفه** ، وهو يطل على **حزيز** ، **وجبل رُهْم** ، وكلاهما جنوب **صنعاء** .

جبال بلاد الرُّوس ، ومنها **جبل غَيْمان** .

جبال الحيمة ، وتشتمل على : **جبل العَرْ والأحبوب** ، وهي متصلة **بجبل النبي شعيب** .

جبال عمران ، وتشتمل على : **جبل عِيّال يزيد** ، **وجبال دَعّان ويَشِيْع** ، **وجبال ظهر حاشد** ، **وجبال بني صَرِيْم شمال ريدة** ، **وجبال وَرْوَرْ وظفار شمال ذيبين** ، وارتفاعها ٣٠٠٠ متر ، **وجبل ناعط** .

جبال حُوْث ، وتشتمل على : **جبل رميض** الذي يطل على مدينة **حوث** ، **وجبال ذو خيران** ، **وجبال العَمشية** ، ومنها **الجبل المفلوق والجبل الأحمر** ، يطل على **الجوف** ، **جبل اللوز** ، **وجبل برط** .

جبال حَجّة ، وتشتمل على : **جبال مَسْور** ، وهي سلسلة جبال تقع جنوب **حَجّة** ، **جبال**

الشَّرفَين وحَجُور ، وهي سلسلة شمال غربي **حجة** ، **جبـال كُحْلان وبني موهب وقَيْـدان والأشمور** ، وهي سلسلـة شرق شمال **حجـة** ، **جبـال وشَحَـة وكُشَرة** (**شمال الشَّرَفَين**) ، **جبـال الأهْنُـوم** ، وهي سلسلة تقع شمال **حجـة** (**حصن شَهارة** ٢٠٠٠ م) . ومتوسـط ارتفـاع هـذه الجبـال ٢٥٠٠ م ، ومنهـا **جبل مَسْوَر** .

جبال صَعْدة ، وهي تشتمل على :

جبـال خـولان بن عـامر (٢٨٠٠ متر) ، **وجبـال الكَرْب والمِفْتـاح** ، **وجبـال مُرّان والجُمْعـة وحَيْدان وعُرو** .

وجبال جُماعة وقطاير وما إليها ، وشرقاً **جبل سَحار الشام** ، **وجبال باقم وأبواب الحَدِيدْ** .

وجبال رازح ، **وجبل حرم** ، وهو أعلى جبل في **رازح** ويرتفع ٢٨٠٠ متر ، ويليه غربـاً **جبـال النضير والقلعة والضيعة** .

جبال بني عُوير جنوب صَعْدة ، **وجبل تَلَمُّص والعبلا** وكذلـك **جبل ظفـار وكَهْلان** ، **وجبل ولعان** .

جبل براش ، **وجبال وادِعَة** ، **وجبال العُشَاش** ، **وجبل فرد شمال همدان** .

سلسلة جبال **الجنوب والشرق** من بلاد **اليمن الطبيعية** حتى **حدود سلطنة عُمان**

أما في الجنوب ، فهنـاك **جبـال الصبيحـة** ، ثم **الحواشب والضـالع ويـافع العليـا والعواذل** ، ثم **العوالق وحضرموت** ، ويأتي بعد ذلك شرقاً **جبال المهرة** المتصلة بجبال **سلطنة عمان** الشقيقة ، ومنها **الجبل الأخضر** وفيه قمم تزيد على ٣٠٠٠ متر (٩٩٠٠ قدم) .

ونذكِّر بأن مجموعة **جبال اليمن** الداخلية والغربية تعرف باسم **جبال السراة** . وعرضها من الغرب إلى الشرق نحواً من مئتي كيلومتر . وأما سلسلة جبـال الجنوب الشرقي فتعرف بـاسم **جبـال حضرموت والمهرة وظفار** ولها عدة أسماء محلية .

وأكثرية **جبال اليمن** تعتبر بركانية ، مـاعـدا بعض مـا كان منهـا في المنـاطق الـداخليـة . وإننـا سنلخص التقرير الجيولوجي عن **اليمن** في نهـايـة هـذا التعريف ، لإيضـاح أنواع أرض الجبـال وتربـة السهول والقيعان .

الوديان

١ ـ الأودية في تهامة باتجاه البحر الأحمر « الميزاب الغربي »

هناك أودية عديدة تجلب مياه الجبال وهضابها (القيعان : جمع قـاع ، وهو الأرض السهليـة بين الجبال) ، ثم تصل بها إلى بداية السهل الساحلي **تهامة** حيث تروي مساحة محدودة ثم تنقطع .

وبعض هذه الأودية غزيرة المياه ، يصل في بعض الأحيان ما فاض منها إلى **البحر الأحمر** ، وأما الأنهر الرئيسية التي تشكل المصدر الأول لري **تهامة** فهي التالية من الشمال إلى الجنوب :

وادي مَور ، وهو أكبر الأودية باتجاه **البحر الأحمر** ، **وادي سُرْدُد** ، **وادي سِهام** ، **وادي رِمَـاع** ، **وادي زَبِيْد** ، **وادي خُمى** ، **وادي يَاول والجُمعة أو حَيْدان** ، **وادي رسيان أو البرح** ، **وادي مَوْزع** .

وبين الأودية الصغيرة التي قد تصل مياهها إلى **البحر الأحمر** في أيـام الفيضـان ، نعـدد منهـا من الشمال إلى الجنوب :

وادي حَرَضْ ، ويأتي من **جبال وشْحة وجنوب خولان** ، **وادي حيران** ويـأتي من **جبـال كُشَر** وما جاورها ، **وادي الشّعاب** ، يأتي من **جبال مستبـا** ومـا جـاورهـا ، **وادي بَوْحَل** ، يـأتي من غلب **بلاد الشرف** ، **وادي القور** ، يـأتي من **حَجُـور كُعَيْـدنـة** ، **وادي خميس** ، يـأتي من **جبـال حَجُـور** ، **وادي تِيَـاب** ، يـأتي من **جبـال مَحَـان** ، **وادي الحَوْض** ، يـأتي من غرب **جبـل مِلْحَـان** ويسـاهم بري **الزّيْدِيّة** ، **وادي جَاحِفْ** ، يأتي من **جبال بلاد الطّعام وجنوب بُرَع** ، **وادي كِلابة** ، يأتي من **جبـال رِيْمة** ، **وادي اللاديّة** ، يأتي من غربي **جبال ريمة** ويروي أرض **الزَّرَانِيْق** ، **وادي عَلُوجة** ، يأتي من **جبال كُسْمَة** وما جاورها ويروي أرض **الزّرانيق** ، **وادي سَحْمَل** ، يأتي من **جبال المِصْباح** ويصل إلى حدود **زَبِيْد** ، **وادي الصّنْع** ، يأتي من **بني حَطّام** .

٢ ـ الأودية التي تسيل جنوباً باتجاه المحيط الهندي

إذا استثنينـا بشكل خـاص **وادي بنـا** أو **ميتم** وهـو **رأس وادي تبن** الـذي يـأتي من **جبـال إب** ، ويروي **لحج** ، **ووادي بَنّـا** الـذي يروي **أبين** ، **والمكيراس في بلاد العـواذل** والـذي ينصب من **جبـال يريم** ، فإن جميع الوديان الأخرى التي تسيل باتجاه المحيط (بحر الجنوب) تعتبر قليلة الأهمية .

ونـذكر من تلـك الوديـان : **وادي سمر في بلاد الـواحـدي** ، **وادي الضيـق في العـوالـق** ، **وادي ميفعة** ، **وادي الدار** ، **ووادي شاهر** ، **ووادي الأتبية** ، وتنصب جميعها في **البحر العربي** .



وادي برع على الطريق بين المخا وتعز

أحد الوديان المروية في المناطق الوسطى التي ترتفع بين ٦٠٠ وألف متر عن سطح البحر ، حيث تنفّذ المشاريع الزراعية الخيّرة الملائمة لبناء الحواجز والسدود وتجربة البذور والمزروعات الجديدة .

٣ ـ الاودية التي تسيل باتجاه الربع الخالي

وادي خب يـأتي من شرقي **الجوف** ويتجـه إلى **نجران** شمالاً حيث يتـلاشى بين الرمـال ، **وادي الجوف** وطـولـه ٦٠ كيلـومتراً وهـو يسيـل من **وادي الميـذاب** شمالاً إلى **وادي رغـوان** جنـوبـاً ، ومن روافده : **وادي مذاب** ، **ووادي وهران** ، **والخارد** ، **وغيل مراد** ، ومياه هذا الوادي تتلاشى في نهايتـه باتجـاه الجنوب الشرقي على نحو مئـة كيلومتر عن **مـأرب** ، **وادي الجوبـة** على بعـد ٦٠ كيلومتراً جنوب غرب **مأرب** ، **وادي أذنة أو وادي مأرب** الـذي تـأتي ميـاهـه من أغلب السفوح الشرقيـة **لجبال اليمن** والسهول الـداخليـة الجنوبيـة ، وهو الـذي يمر في **جبل بلـق** ، حيث أنشئ السـد الشهير بـ**سـد مـأرب** وتسيل مياهه شرقـاً إلى بعـد ٧٠ كيلومتراً من **مـأرب** ، لتتجمع في منخفض بـالصحراء بـاتجـاه **صـافر** حيث تضيع في الرمال .

اجتهاد حول مصير مياه الميزاب الشرقي

وهي الوديان التي يميل المؤلف للاجتهاد بأن مياهها التي تغور بعد خروجها من مناطق **الجوف** على ارتفاع يزيد على ألف متر عن سطح البحر لتصل بعد تسربها تحت البادية والرمال إلى **الأحقاف** وبعض أطراف **الربع الخالي** المنخفضة لتشكل واحات بلاد **عاد وثمود** التي اجتاحتها رمال **الرملة** أي رمال صحراء **الربع الخالي** في تاريخ سحيق بالقدم مما قضى أو فرَّق **العرب البائدة** .

وفقاً للبحث المتعلق **بالربع الخالي** المنشور في القسم الثالث من هذا الكتاب ونعتقد أن مياه الميزاب الشرقي هي المياه التي جمعها **شداد بن عاد** ليجرها في نفق تحت الأرض مسافة أربعين فرسخاً إلى **إرم ذات العماد** .

القيعان

وهي الهضاب والسهول الواقعة في المرتفعات بين الجبال

مفردها « قاع »

كشف بارتفاع القيعان الكبرى

قاع يريم ٢٤٠٠ متر .

قاع معبر ٢٣٠٠ متر .

قاع زراجة ٢٢٠٠ متر .

قاع صنعاء ٢١٠٠ متر .

قاع صعدة ١٧٠٠ متر .

قاع جنوب بني شعيب ٢٧٠٠ ـ ٢٩٠٠ متر .

وتحمل هذه السهول الممتدة بين الجبال أسماء أخرى ، وذلك نسبة لموقعها بالقرب من منطقة تحمل اسماً مختلفاً وهي : **قاع الحقل ، قاع بكيل ، قاع سهمان ، قاع جهران ، قاع البون ، قاع سحار .**

وتكثر الينابيع والغيول في أنحاء متفرقة من هذه المنطقة الداخلية من البلاد ، وهي مما يتجمع في الجبال المحيطة بها .



نموذج لإحدى مدن المنطقة الوسطى
مدينة جبلة



القرى الزراعية العامرة المتناثرة على رؤوس الجبال وأطراف القيعان والوديان

وقول الشاعر :

وفي الجنـــة الخضراء من أرض يَحصُبٍ ثمـانـون سـدآ تقـذف المـاء جـاريـا

ومنطقة (يحصّب) هي بين الجبال المواجهة للمحيط الهندي والبحر الأحمر معاً ، وقد عمم عليها عهد النهضة الجديد الكهرباء والمواصلات على أنواعها ومنها السلكية التي ترى على الصورة ، وكذلك المنشآت الحديثة كما نرى في الصور التالية .

المناطق الداخلية
التي تصل إلى الربع الخالي
مروراً برملة السبعتين والأحقاف

المناطق الداخلية

تتميز هذه المنطقة بجفاف جوها وقلة أمطارها ، لذا تنحصر الزراعة فيها ببعض الوديان التي تنهمر فيها السيول ، وبعض الهضاب (القيعان) التي تستغل في المياه الجوفية ، فالحبوب فيها لا تعطي أكثر من مواسم واحد ، وكثيراً ما ينقطع فيها (الطعام) في سنوات الجفاف ، حيث لا تكفي الأمطار لإيصال النبات إلى القوة اللازمة لإعطاء الثمرة .

لذا يرتكز اقتصاد هذه المنطقة على الأودية القليلة الدائمة المياه ، وعلى المناطق ذات المياه الجوفية الوافرة ، وحيث تتعدد المواسم ويرتفع المحصول .

وبهذه المنطقة تنمو الكرمة لاكتفائها بكميات قليلة من المياه ، لذا تجود هنا أنواع العنب المتاز ، كما تنمو في الوديان إلى جانب **القضب** الذي لا غنى عنه للحيوان ، وأشجار الفواكه المتنوعة كالأجاص (الكمثرى) أو العنبروت ، والسفرجل ، والخوخ (الأجاص) والدراق (الفرسك) والمشمش (البرقوق) .

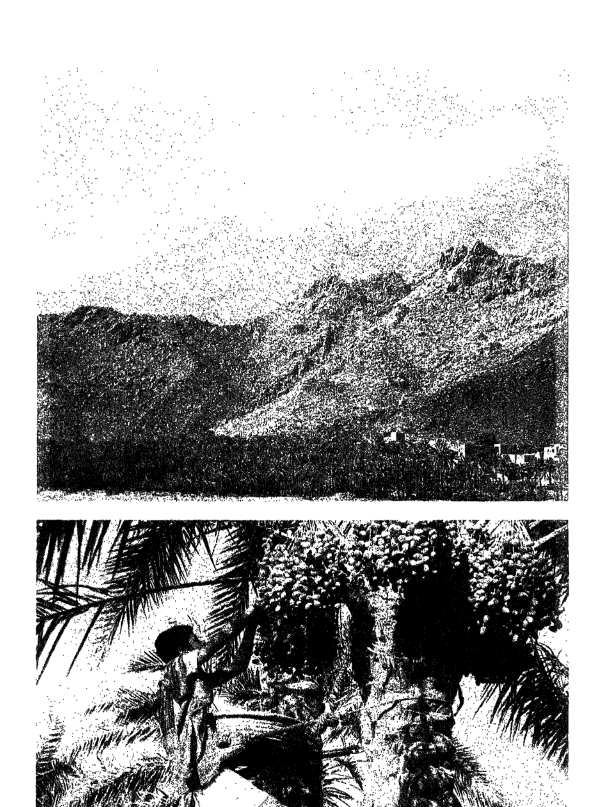
كما تزرع الخضروات بأنواعها ، وفي بعض المناطق تصلح زراعة البطيخ (الحبحب) والشمام ، والخيار وغيره من الأنواع التي لا تحتاج إلى الكثير من المياه .

٥ ـ الهضبة الشرقية :

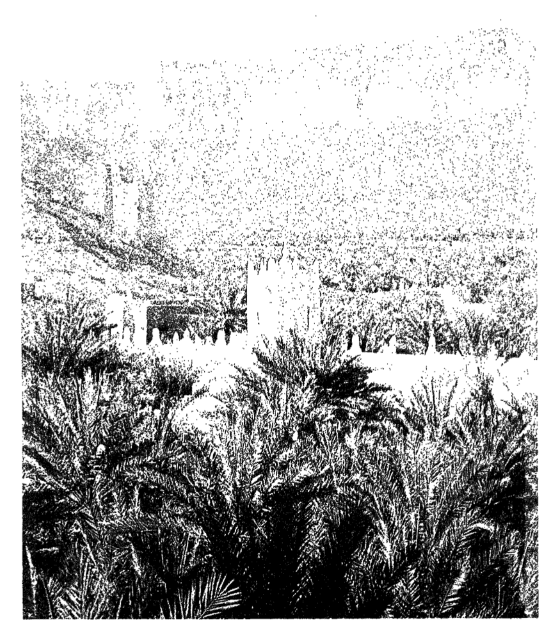
تقع هذه المنطقة بين السهول الجبلية والوديان الممتدة من الغرب لتتصل لصحراء **الربع الخالي** من الشرق ، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي ٨ ملايين هكتار .

وتنتشر الزراعة في بعض المناطق التي يتيسر بها ينابيع المياه (الغيول) ، أو عن طريق حفر الآبار الارتوازية التي تزايد عددها أخيراً حيث قد يصل عدد الآبار في كامل أنحاء **اليمن** إلى ١٥٠ ألف بئر ، كما أن منطقة **مأرب** تشهد عمليات استصلاح واسعة نتيجة لتنفيذ مشروع **سد مأرب** التاريخي الذي سنأتي على وصفه وفوائده .

أما منطقة **الجوف** فإن استصلاح الأراضي فيها فيشمله مشروع التنمية الريفية **للجوف** الذي يهتم أيضاً بوادي **الخارد** ، ويحتوي على إقامة السدود للتخزين ، وعلى استغلال وادي **مذاب** ، وهو ما يعتبر



إحدى واحات المناطق الجافة وأفضل أنواع النخيل



الانسجام بين المبنى والجبال والحصن
واحة النخيل في المناطق الداخلية الجافة
وكأنها سجادة مبسوطة بين الجبال القاحلة . وكأن لا بد لها من حصن منيع يحميها نظراً لأهميتها الحيوية فقد
جاء في الحديث الشريف « لا يجوع بيت وفيه تمرة » .

من أهم وديان **الجوف** ، وكذلك وادي **الملتقى بين الخارد الكبير والخارد المتوسط** في منطقة **نهم** ، وكذلك **الخارد الصغير** في منطقة أرحب ، وجميعها قابلة للاستغلال الزراعي المكثف لاعتدال مناخها .

الربع الخالي

ونظراً لاعتبار **اليمن** من الدول المتصلة تاريخياً وجغرافياً وبشرياً واقتصادياً **بالربع الخالي** ، وهي المطلة عليه وهو المرتبط بها ، بما يصله إلى تحت سطحه من مياهها .

وعلماً بأن هناك من يعتبره بعداً طبيعياً للمناطق الشرقية من بلاد **اليمان** أو بلاد **عدن الجزيرة** ، وكما أن هناك من يميل لاعتباره **العمق الطبيعي لليمن** وفقاً لما نقلناه في كتابينا الصادرين عام ١٩٦٢ م وعام ١٩٧٢ م (الأول بالعربية ، والثاني بالإنجليزية) .

ونظراً لاتساع رقعة **الربع الخالي** ، واعتباره من قبل مراجع علمية جدّية **الأرض التي لا يملكها أحد** رأينا أن نخصص له في القسم الأول من هذا الكتاب عنواناً رئيسياً منفصلاً ، لا سيما وأن مساحات كبيرة من هذه المنطقة الصحراوية تشكل مادة غزيرة للأخبار المثيرة والأساطير ، وذلك لاعتبار الواحات التي كانت قائمة على أطراف **الربع الخالي** ، ربما شكلت في الماضي مسكناً **للعرب البائدة عاد وثمود** ، لجميع هذه الاعتبارات رأينا أن نخص **الربع الخالي** بعنوان مستقل نشرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب .

المناخ

إن مناخ **اليمن** يختلف باختلاف المناطق الطبيعية الرئيسية ، ويتحول ويتبدل على مسافات قصيرة ، وينتقل من المناخ الاستوائي إلى معتدل ومعتدل بارد ، ويمكننا تقسيمه على الشكل التالي :

١ ـ المناطق الساحلية إلى ارتفاع ٢٠٠ متر عن سطح البحر ، وهي شديدة الحرارة والرطوبة ، وتتراوح درجة الحرارة فيها بين ٢٥ و ٤٥ درجة سنتغراد ، ومواعيد انخفاض الحرارة هو في الشتاء وفي الليل ، وارتفاعها في الصيف والنهار ، ومن مدن هذه المناطق : **الحديدة ، وعدن ، ولحج ، وزبيد** حيث لا تهطل الأمطار فيها إلا نادراً وأكثر ما يهطل منها في شهر آب / أغسطس .

٢ ـ المناطق المنخفضة الارتفاع والتي تتراوح بين ٣٠٠ـ١٠٠٠ متر عن سطح البحر ، وهو أقل رطوبة وحرارة من المناطق الساحلية ، بمعدل يتراوح بين درجتين وعشر درجات (من مدنها **باجل ومدينة العبيد**) ، ولا تهطل الأمطار فيها إلا قليلاً .

٣ ـ المناطق المتوسطة وتتراوح بين ١٠٠٠ـ١٥٠٠ متر عن سطح البحر ، وهي قريبة إلى المناخ المعتدل وتتراوح درجة الحرارة فيها بين ١٥ـ٣٠ درجة مئوية . ومن مدنها **تعز وإب وذي سفال** ، وهي كثيرة الأمطار حيث تهطل إلى مئة سنتيمتر في السنة . وربما تزيد عن ذلك في بعض المناطق المعرضة كمدينة **إب ووادي جبيش** .

٤ ـ المناطق العليا الجبلية والتي يزيد ارتفاعها عن ١٥٠٠ متر عن سطح البحر ، وهي المشابهة لمناخ **بلاد البحر الأبيض المتوسط** . وتتراوح درجة الحرارة فيها بين الصفر و ٢٥ درجة ، ومن مدن هذه المنطقة : **صنعاء ، وذمار ، ويريم** ، وكثيراً ما تكون مغطاة بالغيوم في ساعات الظهيرة .

٥ ـ المناطق الداخلية والتي يسيطر عليها المناخ **القاري** حيث تهبط درجة الحرارة ليلاً في الشتاء إلى تحت الصفر ، وترتفع في النهار إلى ٤٠ درجة ، وتتعدل درجة الحرارة العليا في القيعان والسهول المرتفعة في هذه المناطق الداخلية . ومن مدن هذه المنطقة **مأرب وصعدة** . وهي قليلة الأمطار وشديدة الجفاف .

ملاحظات عامة حول المناخ

إن الهضاب والجبال الغربية تتمتع بأفضل أنواع المناخ ، لأن ارتفاعها يحميها من رطوبة الساحل وشدة حرارته ، حيث تأتي أمطارها الغزيرة لتحولها إلى مناطق خضراء دون أن تحجب عنها الشمس

يوماً بكامله طول العام ، وعرض هذه المنطقة الجبلية نحواً من ٦٠ إلى ٧٠ كيلومتراً ، وهذه المنطقة التي تنعم بالشمس دون الحرارة وبالأمطار دون دوامها هي مما ساعد على إعطاء اليمن ألقابها العديدة : **اليمن الخضراء** ، **اليمن السعيدة** ، **بلاد اليُمن والبركة** ، **البلاد المقدسة** ، **العربية السعيدة** ، إلخ .. ومن بين مدن هذه المنطقة : **صنعاء وشبام والطويلة ويريم** ، **وإب** ، **وتعز** ، **وذي سفال** ، **وحجة** ، **ومناخة** ، **وثلا** وغيرها ، مما يتراوح ارتفاعه عن سطح البحر ما بين ١٣٠٠ متر في **تعز** وثلاثة آلاف متر في **ثلا** .

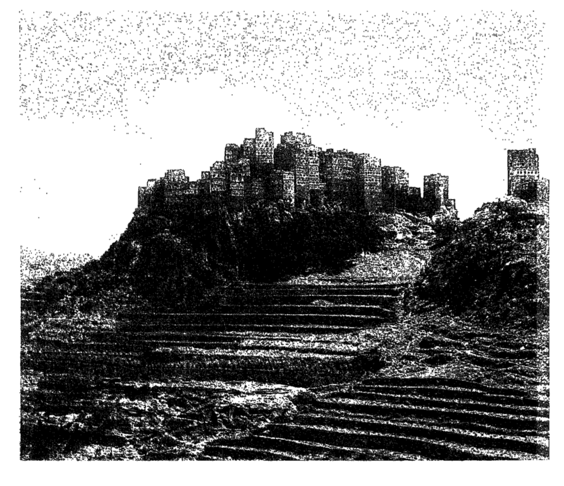
☆ ☆ ☆

كلمات منسّقة حول وصف طبيعة اليمن

في ريـــاض العُرب ، أجمـــلُ زنبقـــةْ
عَ مـــدى العين ، جبـــالٌ شـــاهقـــةْ
في أعـــاليهـــا ، قُرىً متـــألقـــةْ
سُفـــوحُهـــا ، حـــدائـــقٌ معلّقـــةْ
سحبٌ وأمطـــارٌ ، وشمسٌ مُشْرقـــةْ
ومبانٍ شعشعتْ فوق القِمَمْ
هذه الأوصافُ أوصاف اليمنْ

أوحت الصور التالية بهذه الكلمات المنسّقة لأحد المعجبين **باليمن** .

☆ ☆ ☆

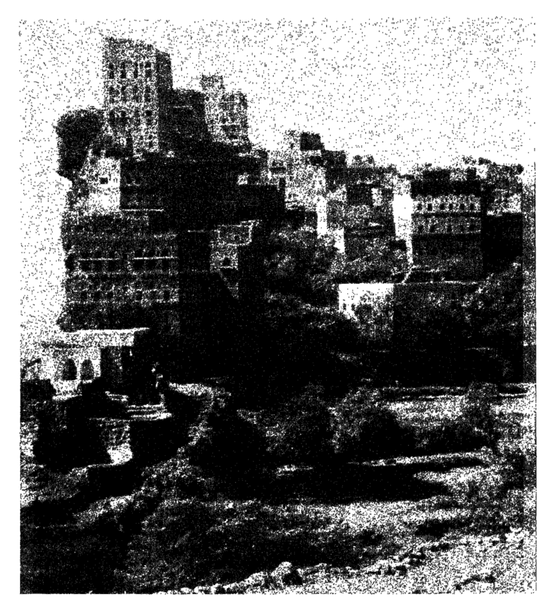


القرية والمدرّجات والجبال الشاهقة
في المرتفعات الغربية



سُحبٌ وأمطارٌ وشمسٌ مشرقةٌ

من ميّزات بلاد إب والعدين وريمة والحيتمين
وسواها العديد من مناطق اليمن الخضراء



قرية الكاهل بالقرب من مناخة

لا يكتفي اليمني بالسكن في أعالي القمم ، بل يبني عليها ليعلو على الأعالي

ومبـــــانٍ شَعشعتْ فـــوق القُممْ   هـــذه الأوصـــافُ أوصـــافُ اليمنْ

موسم الأمطار وفصول السنة وهي مختلفة بالنسبة لمواقعها في شمال الجزيرة وأطراف البحر المتوسط

إن موقع **اليمن** الجغرافي في جنوب **جزيرة العرب** المتصل **بالمحيط الهندي** على مسافة لا تقل عن ثلاثة آلاف كيلومتر بالنسبة لليمن الطبيعية يجعلها خاضعة للإقليم الخاص بالمناخ الهندي ، المتصل اتصالاً مباشراً بتأثير الرياح الموسمية ، التي تتجه في الشتاء من البر إلى البحر ، وفي الصيف من البحر إلى البر ، مما يحول المناطق المجاورة **للمحيط الهندي** إلى أراضي جافة مشمسة في الشتاء وممطرة في الصيف .

وبذلك تنفرد **اليمن وجبال عُمان** بين البلدان العربية بالاستفادة من الأمطار عند الحاجة إليها أي في الصيف ، وهذا ما يجعل الربيع الفعلي في **اليمن** في فصل الخريف أي بعد الأمطار الصيفية .

أما فصل الربيع الحقيقي ، أي نيسان / أبريل ، وأيار / مايو ، وحزيران / يونيه فهي أشهر الحرارة المتعبة لحلول موسم العواصف على المناطق الساحلية ، حيث يحصل هبوب رياح عاصفة تحمل معها رمال الساحل إلى مسافات وارتفاعات كبيرة ، وقد تدوم تلك العواصف في **تهامة** والمناطق المشرفة عليها عدة أيام متوالية ، وتؤثر على الرؤية لدرجة أنها تمنع الانقشاع تماماً عدة ساعات .

لذا يمكن اعتبار فصل الربيع في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية معادلاً لفصل الصيف وفقاً لإقليم **اليمن** .

وهكذا تكون الفصول في **اليمن** وفقاً للمناخ فيها كما يلي :

فصل الربيع : كانون الثاني / يناير ، وشباط / فبراير ، وآذار / مارس .
فصل الصيف : نيسان / أبريل ، وأيار / مايو ، وحزيران / يونيه كما رأينا آنفاً .
فصل الخريف : تموز / يوليه ، وآب / أغسطس ، وأيلول / سبتمبر .
فصل الشتاء : تشرين الأول / أكتوبر ، وتشرين الثاني / نوفمبر ، وكانون الأول / ديسمبر .

وهكذا يبدو جلياً أن فصول السنة تختلف في **اليمن** اختلافاً تاماً عما هي عليه في العالم الشمالي أي **بلاد البحر الأبيض المتوسط** وما يليها ، وكذلك البلدان الأوربية وأمريكا الشمالية .

أنواع مواسم الأمطار

كثيراً ما تبدأ الأمطار (بعد انقطاعها في فصل الشتاء) في أواسط شباط / فبراير ، وتدوم إلى

آذار / مارس ، وربما إلى نيسان / أبريل ، ثم تنقطع لتعود في شهري تموز / يوليه ، وآب /أغسطس .

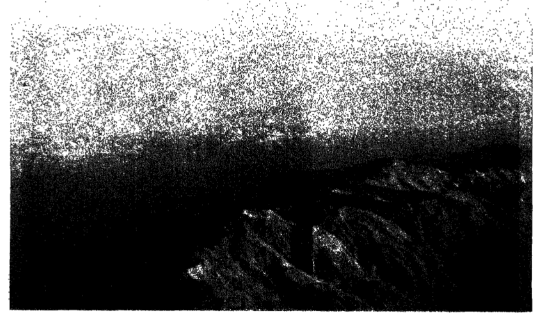
أما أمطار تموز / يوليه ، وآب / أغسطس ، فتتأثر بالتيارات الهوائية التي تصعد من الساحل الحار إلى المرتفعات الباردة في الصباح ، وتتحول إلى أمطار عاصفة بعد الظهر مباشرة .

ومن اليسير على المرء في المناطق المواجهة لساحل **البحر الأحمر** أن يراقب تشكيل الغيوم وسرعة تجمعها عند الظهر ، وتوقع هطول أمطارها الغزيرة بعد ذلك .

ويساعد تبادل التيارات الهوائية بين الجبال الباردة والساحل الشديد الحرارة على إيجاد جو متقلّب كثير الصواعق ، وهو مما يفسِّر خطورة الملاحة في **البحر الأحمر** ذو الشواطئ الضحلة ، والذي يضم العديد من الجزر .

وهكذا كثيراً ما تتحول الوديان الجافة إلى أنهار غزيرة المياه ، تجرف كل ما يعترضها من حواجز وصخور كبيرة ، ثم لا تلبث بعد ساعات قليلة أن تجف وكأن شيئاً لم يكن .

والقول الذي يصف هطول الأمطار بأنها من أفواه القرب ينطبق تماماً على هذا النوع من الأمطار العاصفة ، التي كثيراً ما تحدث في **اليمن** . وتصبح هذه الأمطار خطيرة إذا تحولت إلى بَرَدْ يتساقط بقوة مما يؤثر على الزرع والحيوان .



جودة المناخ الذي اعتبرته دائرة المعارف «لاروس» وكذلك «يونيفرساليس» أفضل مناخ في جزيرة العرب وهو مما ساعد ولا شك على حسن انتشار كل بقعة تمكّن اليمنى من استغلالها لتحفظ أو لتمتص الأمطار الصيفية وتحوّل المدرجات «الجرف» إلى جنان بين الجبال.

أهمية مضيق باب المندب

لمحة عن تاريخ باب المندب لإظهار أهميته

الاحتلال البرتغال لجزيرة ميون (يريم) التي تشكّل مفتاح مضيق باب المندب ، ومحاولتهم إذلال المسلمين ودك أماكنهم المقدسة

في عام ١٥٠٩ م حاول القائد البرتغالي **البوكرك** بعد غزوه ودكه للمراكز اليمنية ـ العمانية على أطراف **شرقي إفريقيا** احتلال **عدن** ، حيث فشل بذلك فشلاً ذريعاً وخسر اثنان من كبار ربابنة أسطوله الضخم ، وذلك عندما تمكنوا مع عدد من جنودهم من اقتحام أسوار الميناء ودخولهم إلى المدينة ، حيث انتصر عليهم المدافعون اليمنيون وقطعوهم إرباً إرباً ، مما حمل **البوكرك** للتراجع وتنظيم حملة بحرية جديدة ، استناداً إلى أوامر وصلته من ملك **البرتغال** ، ترمي لتوجيه الأسطول البرتغالي بكامله إلى **جدة** بقصد احتلال أماكن الإسلام المقدسة ، ودك **مكة المكرمة** وكذلك قبر سيد المرسلين ﷺ ، وذلك لضرب معنويات المسلمين بالصميم والإيقاع بهم نهائياً في **شمال إفريقيا** وسائر بلاد الإسلام المتصدية للعدوان الصليبي .

وقد تمكن **البوكرك** من احتلال جزيرة **ميون** التي تشكل مفتاحاً لمضيق **باب المندب** ، ورفع عليها صليباً ، ثم أطلق عليها اسم جزيرة **صليب فيرا** تخليداً للربان **فيرا** الذي كان قد قضى نحبه في محاربة المسلمين في **إفريقيا** .

وتفيدنا المراجع الإيطالية التي ذكرت هذه الحملة تفصيلاً أن أسطول **البوكرك** الرهيب ، اقترب فعلاً من ميناء **جدة** الذي كان مفتوحاً دون أية تحصينات باتجاه البحر ، وذلك أن تحصينات **جدة** كانت مختصرة على الجهات الداخلية لحمايتها من هجمات الغزو البرية ، ولم تكن مهدده قبل ذلك من أي هجوم بحري أجنبي ، قبل وصول الغربيين إلى **المحيط الهندي** ، لكنه ما إن اقترب الأسطول المهاجم من **ساحل الحجاز** حتى تعرض لعاصفة هوجاء لم يعرف (**البوكرك = أبو القرق** ، عند العرب) لمثلها مثيلاً ، فقصفت بسفنه الضخمة وأعادتها جنوباً ، فبعضها رمت به الرياح على شاطئ الدناكيل المعادي الوعر والخالي من المياه العذبة ، والبعض الآخر قذفت به العاصفة إلى جزيرة **كمران** اليمنية ،

وقد هلك نتيجة ذلك العديد من ملاحي الأسطول وقادته ، حيث سقط في البحر من سقط ، ومن أنقذ من الوقوع في البحر الساخط ، تعرض للجوع والمرض ، وخاصة للموت من الظمأ .

كما تفيدنا المراجع الإيطالية أن بعض البحارة لجأ لشرب مياه البحر ، أو رموا بأنفسهم فيه للتخلص من شدة الظمأ والحر .

أما الذين لجؤوا إلى جزيرة **كمران** اليمنية ، فقد قطعوا أشجار النخيل العديدة التي كانت تغطي الجزيرة للاستفادة منها بشكل أو بآخر .

تدخل الجراكسة ثم العثمانيين واحتلالهم بلدان البحر الأحمر وما إليها حتى عمان ، وكانت غايتهم الأولى التصدي للبرتغاليين

ولما وصلت أخبار تلك المحاولة الفاشلة إلى **القاهرة** ، أثارت مشاعر المسلمين وأدت لاتخاذ **الجراكسة** ، الذين كانوا يحكمون **مصر** ، التدابير العسكرية اللازمة ، ومنها تجهيز أسطول رهيب في **البحر الأحمر** واحتلال **جدة** ثم تحصينها لأول مرة باتجاه البحر .

ثم تابع **الجراكسة** احتلالهم لشواطئ **البحر الأحمر** ، ومنها **شواطئ اليمن** ، حيث استقروا فيها ، إلى أن أخذ **العثمانيون** مكانتهم في **مصر والحجاز واليمن** وسائر المشرق العربي .

وهكذا يبدو جلياً أن وصول **العثمانيين لليمن** لم يكن في الأصل على الأقل بدافع توسيع الإمبراطورية بقدر ما كان يرمي لحماية الطريق إلى أماكن الإسلام المقدّسة ، والتي كانت معرّضة عن طريق **المحيط الهندي** بعد وصول المستعمرين الصليبيين إليه في بداية القرن السادس عشر ، وذلك بعد تعرفهم على طريق **رأس الرجاء الصالح** .

ومن الأمانة في ذكر التاريخ التنويه إلى أن العثمانيين زوّدوا بعد تلك المرحلة سلاطين **عمّان** بالمدفعية والأسلحة النارية التي ساعدتهم للتصدي بنجاح لهجمات **البرتغاليين** وسواهم ، مذكّرين أن **الدولة العثمانية** كانت في القرن السادس عشر وحتى نهاية السابع عشر أكثر دول العالم تقدماً في صناعة الأسلحة النارية ، وكذلك في مجال التنظيم والانضباط العسكري ، مما سمح لها بطرق أبواب **ڤيينا** مرتين ، ومحاربة إمبراطوريتين معاديتين معاً هما **الإمبراطورية الروسية (بلاد الموسكوف) والإمبراطورية النمساوية الهنغارية** .

المدنية اليمنية الإسلامية ،
ومواجهة الاستعمار البرتغالي في المحيط الهندي
وأهمية جزيرة (ميون) مفتاح البحر الأحمر

احتلال البرتغاليين لجزيرة (ميون) ثم تبعثر أسطولهم في البحر الأحمر

ظلت **اليمن بلاد سبأ وحمّير** ، وكذلك **أكسوم** وهي (**بلاد الراهب يوحنا**) شيئاً من الأساطير لدى الغربيين ، وانقطعت علاقاتها المباشرة مع عالم **البحر المتوسط** ، ويمكن تفسير ذلك للعوامل الاتية :

أولاً : بسبب الحروب المستمرة بين **الروم والفرس** التي دامت نحو أربعة قرون ، استفادت منها **تدمر** ثم **الحيرة وسورية** الداخلية .

ثانياً : الفتوحات الإسلامية والصراع الدائم بين دول الإسلام والروم ، ثم الحروب الصليبية التي قطعت إلى حد كبير المواصلات في شرقي **البحر المتوسط** ، وكذلك في بداية العهد العثماني .

ثالثاً : وصول الاستعمار البرتغالي والأوروبي إجمالاً إلى **المحيط الهندي** عن طريق **رأس الرجاء الصالح** (بداية القرن السادس عشر الميلادي) .

وكانت **اليمن** وأهل **حضرموت** ، بصورة خاصة ، قد استعادوا المكانة التي سبق أن تمتعوا بها قبل وصول **روما إلى المحيط الهندي** ، بعد قضائها على **دولة الأنباط العرب** شريكة سبأ ، وبدؤوا من جديد بالاتجار مع مراكزهم التقليدية على شواطئ **المحيط الهندي بشرقي إفريقيا** في **بلاد الهند** وما إليها ، وكذلك في الجزر المتواجدة في هذا المحيط الدافئ الخيّر حتى **الجزر الفلبينية** ، وكان ذلك بعد أن طردت **الإمبراطورية الإسلامية الروم** من **مصر وسورية** وكامل المشرق ، وقطعت بذلك دربهم إلى **البحر الأحمر** ومنه إلى **المحيط الهندي** . ثم ازدهرت تلك المراكز التجارية اليمنية العمانية على أطراف **المحيط الهندي** بشكل رائع ومنقطع النظير في العهد الإسلامي ، حيث تمكن المسلمون بعد إبعاد **الروم** كما ذكرنا عن تلك المراكز القديمة .

أوصاف مضيق باب المندب وأهميته

يمتد مضيق **باب المندب** بطول ما يقرب من خمسين كيلو متراً وذلك وفقاً لقانون البحار الجديد الذي يعتبر المياه الإقليمية تمتد إلى مسافة ١٢ ميلاً بحرياً من الشاطئ ، أو ما يعادل ٢٣ كيلومتراً من كلا الشاطئين المتقابلين مجموعها ٤٦ كيلومتراً ، وما كان دون ذلك يعتبر مضيقاً وهكذا يمتد المضيق شمالاً ليواجه **جزيرة فاطمة** غرباً وإلى وسط الساحل الممتد على الشاطئ اليمني بين **ميناء ذباب وميناء المخا** .

ويبدأ المضيق جنوب **جزيرة بريم (ميون)** ، ويمتد شمالاً إلى ما يقرب من نصف المسافة بين **بريم والمخا** جنوب **جزر حالب وفاطمة** ، وأكثر الأمكنة ضيقاً على طول المضيق بكامله وهي الممر الذي يحيط بجزيرة **ميون (بريم)** ، **حيث لا يزيد هناك عن ٢٦ كيلومتراً بين الساحلين اليمني وجيبوتي** .

والممر الرئيسي بين **ميون (بريم)** والساحل ، هو الممر الغربي المواجه لساحل **جيبوتي** بعرض ١٦ كيلومتراً وعمق يصل إلى مئتي متر . أما الممر الشرقي بين **ميون (بريم) والساحل اليمني** فلا يتجاوز ثماني كيلومترات وعمقه لا يزيد على ٢٥ متراً في وسطه ، مما يجعله أقل أهمية من الممر الغربي .

وأما **جزيرة ميون (بريم)** فتقدر مساحتها بثماني كيلومترات مربعة ، وهي كافية لتحويلها إلى حصن مشابه لما هو عليه **جبل طارق** .

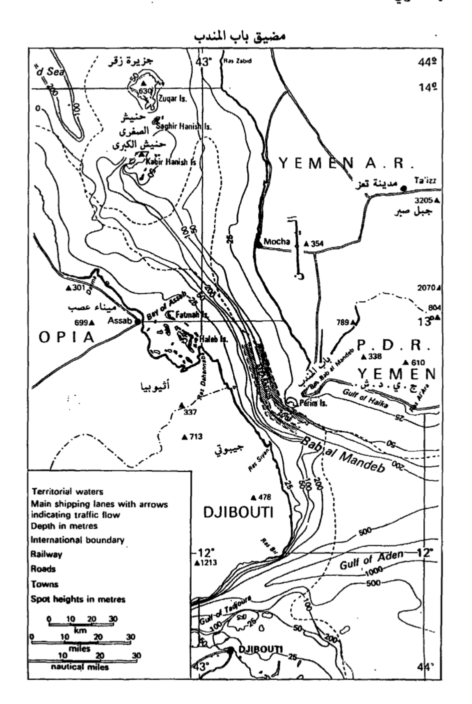
وتفيد المراجع المعتمدة أنه لا يوجد إحصاء بعدد السفن التي تمر في هذا المضيق الحيوي المماثل بأهميته التجارية والاستراتيجية **لقناة السويس** ، ولكن المراجع تقدّر أن عدد السفن التي عليها أن تمر بهذا المضيق يمكن أن يكون معادلاً على التقريب لعدد السفن التي تجتاز **البحر الأحمر** وإليه بواسطة **قناة السويس** .

ويقدر عدد هذه السفن بعشرين ألف سفينة سنوياً ، أو ما يعادل ٥٥ سفينة باليوم الواحد لعام ١٩٨٧ م .

ويحسن التذكير هنا أن قانون البحار الجديد الذي أقر عام ١٩٨٢ يعتبر المرور بالمضائق (مروراً

عابراً) ، وهو بذلك لم يعد عبوراً حراً ولا عبوراً مقيداً ، لكنـه يخضع لبعض الشروط التي نص عليهـا (المرور العابر = الترانزيت) . وكيفية تطبيق هـذه الشروط وإمكان تطبيقهـا عمليـاً يعطيـان هـذا الممر المائي العالمي الأهمية التي يعطيه إياها موقعه المشابه بنظرنـا لأهميـة موقع **قنـاة السويس** . ومن البديهي أن يكون موضوع حق تطبيق قانون المرور العابر متصل بقوة ومناعة الدول المشاطئة للمضيق ونوع تحالفها الدولي .

مضيق باب المندب



لمحة عن طبقات الأرض
(جيولوجيا)
تقرير الخبير جوكنز وسواه

لم يكتمل إلى الآن حسب علمنا وضع خريطة جيولوجية دقيقة **لليمن** بحدودها السياسيـة ، وكانت الدراسات الأولية التي قام بها المهندس الجيولوجي البلجيكي **جوكنز** المنتدب لدراسة جيولوجيـة **اليمن** ، من قبل منهاج المساعدات الفنية التابعة للأمم المتحدة في عام ١٩٥٦ م ، وكذلك الدراسات التي حققها المهندس الجيولوجي للبترول المستر **دون بوجل** ، وأيضاً الدراسات التي حققتها إحدى شركات المعـادن السويدية **بوليدن** عـام ١٩٦١ م ، وكانت كل هـذه الـدراسـات الأخيرة التي لم تصلنـا قـد غيَّرت هـذا التقسيم ، ومن المعلوم أنها توصلت لاعتبار **اليمن** غنية بالمعادن والهايدروكاربونية .

١- السهول والقفار القديمة التكوين وهي ساحل **تهامة** وسهول المشرق التي تشكل القعر للبحيرات الجيولوجية القديمـة . وتحتوي هـذه المنـاطق على جبـال من الملح في منطقـة **الصليف إلى اللحيـة** على ساحل **البحر الأحمر** قرب **الحديدة** ، وفي منطقة **صافر** على بعد مئة كيلومتر شرقي **مأرب** .

٢- منطقة الجبال الشرقية والغربية وهي حديثـة التكوين جيولوجيـاً ، وبينهـا منـاطق بركانيـة حديثة في منطقة **عمران** وفي منطقة **صرواح ومأرب** .

٣- تتخلل منطقـة الجبـال عـدة أنواع من الطبقـات الجيولوجيـة : وهي تتـألف من **الليموستون والسندستون** ومن **الغرانيت** .

٤- توجد بين **عمران وصعدة** في أواسط اليمن وشمالها منطقة (جوراسية) .

٥- وتوجـد في منطقـة **الراهـدة** ، **ورداع** ، **ومـاويـة** ، **وجبل التيل** ، **وأمشجيـة** جنوب **صعدة** طبقة **كريتاسيك** .

٦- وفي منطقـة **حجـة** ، **وشهـارة** ، **وصعيـد صعـدة** ، **وشمال الجوف وبجوار حريب** ، **ومـأرب** ، **والحجرية** طبقات **متشابكة = كومبلكس** ، أي إنها محتفظة بمختلف حلقات التكوين الجيولوجي .

يستنتج مما تقدم واستناداً إلى المراجع المحدودة أعلاه ما يلي :

أولاً : إمكان وجود البترول في **تهامة** حيث يجري البحث والتنقيب الآن . ومما يشجع على الأمل هو عثور **السعودية** أخيراً على النفط في بعض المناطق الممتدة على **البحر الأحمر** .

ثانياً : وجود علامات جيولوجية عديدة ترجح إلى حد كبير العثور على طبقات بترولية في منطقة **صافر** (مئة كيلومتر شرقي **مأرب**) وقد حصل بالفعل اكتشاف حقول نفط تشابه حقول النفط الموجودة في **السعودية** و**بلاد الخليج** ، ويجري الآن استغلالها محلياً وتصدير منتوجاتها إلى الخارج كما هو مذكور تحت عنوان آخر عن البترول و**اليمن** . (انظر ص : ٣٥٨) .

ثالثاً : وجود طبقات بوتوم زيتية في منطقة **صنعاء** وشرقي **جبال السراة** ، لكنه يتعذر استغلالها لصعوبات فنية واقتصادية .

رابعاً : الفحم الحجري موجود بنسبة ضعيفة جداً وغير تجاري في رجام بالقرب من **صنعاء** .

خامساً : الجبس موجود في شمال **وادي السر** غير منتظم ، أما في الشمال على بعد ٢٠ كيلومتراً جنوب غربي **صعدة** فتوجد طبقة منه غنية .

سادساً : الحديد موجود بعدة أمكنة :

١ـ بين **كوكبان ووادي لاعة** وهو غني بالإيماتيت أي معدن أصل الحديد .
٢ـ بين **حريب وزراجة** توجد مناجم **إيماتيت** صافية .
٣ـ في منطقة **صعدة** حيث يوجد مادة المنغنيز .

سابعاً : التيتان ، يوجد على مسافة خمسة كيلومترات شمال شرق **صعدة** ممزوجاً بالحديد .

ثامناً : المانيتيت ، يوجد في منطقة **حريب** .

تاسعاً : النحاس ، عثرت الشركة السويدية على هذا المعدن في المشرق شمال غربي **حريب** ، لكنه كان بنسبة ضئيلة في المكان السطحي الذي عثر عليه فيه ٢٪ .

عاشراً : تربة السمنت : توجد في جميع المناطق **الجوراسية** وهي عديدة وواسعة المساحة ويفضل الخبراء استثمار المنطقة المجاورة للبحر **بتهامة** .

حادي عشر : الرخام : يوجد في عدة مناطق ومنه الأسود الذي يكثر في منطقة **حجة** ، ومنه الأصفر في شمال **صنعاء** وفي المشرق ، والأبيض في منطقة **صعدة** وبجوارها .

مرمر : جبال **حجة** ، **جنوب صعدة** (يستعمل لأضرحة القبور) ، شبام ، الغراس ، بني حشيش وفيها الرخام (القمري) .

ثاني عشر : الكوارتز : الرمل الصافي الصالح لصناعة الزجاج ، يوجد منه نوع ممتاز بمنطقة **مَجْز (لواء صعدة) .**

وقد جاء في مؤلف **اليمن الكبرى** ذكر المعادن في المناطق التالية :

الحديد : بني حشيش ، وادي ضهر إلى السِّر جبل كوكبان ٤٠ـ٥٠٪ ، لواء صعدة ٦٠ـ٧٠٪ (وجدير بالذكر أن سكان جماعة يستخروجونه ويصهرونه في أفران بدائية) .

الجبس : رجام الغراس ، الأهجر جنوب كوكبان ، نيسا (بين حجة وشهارة وحبور والمحابشة وثلا) (جنوب صعدة) .

القمري : الألبستر : الغراس والحرة .

الفحم : رجام .

بوتيم زيتية : جبل ذياب شمال هجرة السر .

ملح : جنوب اللحية ، توجد سلسلة من جبال الملح ، وهي امتداد لمالح الصليف ، وكذلك في منطقة صافر (شرقاً) باتجاه الربع الخالي .

العقيق : قضاء آنس في (بني قشيب) وجبل الهان .

هذا مع العلم بأن جميع الدراسات الجيولوجية المذكورة لا تزال غير مكتملة ، ونظراً لحاجة **اليمن** إلى البحث الدقيق عن المعادن وسواها ، فقد قام عهد النهضة الجديد بإعطائه العناية المناسبة .

خرائط شركة كروب الألمانية الغربية ودراسات أخرى

كانت هذه الشركة العالمية الأهمية قد أرسلت بعثة خبراء بحثاً عن المناجم ، ثم عادت **لألمانيا** ، حيث وضعت خرائط مفصلة لما تعرفت عليه ، ولا نعلم مصير تلك الخرائط ، وكان المفروض أن ترسل الشركة نسخة منها إلى الحكومة اليمنية في العهد الماضي[1] .

كما قامت شركة **بوليدن** BOLIDEN السويدية بإجراء بعض الدراسات الجيولوجية السطحية . ولا نعلم مصير الدراسات التي أجرتها **بوليدن** المذكورة .

وكان المهندس الجيولوجي **كارل توتشل** قد تجول مراراً بعدد من مقاطعات **اليمن ووديانها .**

كما قامت بعض الجهات العربية المختصة من مصر ثم من الجزائر بإجراء دراسات جيولوجية بالتعاون مع الحكومة اليمنية .

---

(١) يوجد منها نسخة في هيئة المساحة الجيولوجية التابعة لوزارة النفط .



مدينة (حجة) الحصينة التي تعلو ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ، وقد اشتهرت قلعتها المنيعة بالنسبة لتاريخ الثورة اليمنية ، وأيضاً بالنسبة لحروب اليمن الناجحة ضد السلطة العثمانية



مدينة (ثلا) المحمية بالجبال الشاهقة والوديان السحيقة والمسالك الوعرة ، وترتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر . شكلت (ثلا) ملجأ وحصناً منيعاً لعدد من القادة المناضلين .

الزراعة الحديثة

كانت **اليمن** في الماضي تكتفي بالعيش على الزراعة التقليدية والهجرة المحدودة وقليل من الحرف . وظلت الزراعة تتمتع بالمكانة الأولى للدخل والاهتمام القومي إلى أن أخذت مكانتها مادة جديدة ، وهي المتمثلة بالاغتراب وتحويلات المغتربين التي أدت لتدعيم الاقتصاد عامة وتنفيذ العديد من المشاريع .

ومع ذلك فيمكننا اليوم (بداية عام ١٩٨٨) اعتبار الزراعة المادة الاقتصادية الرئيسية بعد مادة العنصر البشري وتحويلاته وسلعة النفط التي ظهرت أخيراً وهي على اتساع .

ونظراً لأهمية الزراعة رأينا لحسن التعرف عليها تقسيم **اليمن** الزراعية إلى ثلاثة أقاليم أو مناطق طبيعية مع عرض للإمكانات والإنتاج والمشاريع الزراعية .

وتتألف المنطقة الأولى من **سهول تهامة** ، والمنطقة الثانية تتألف من الجبال المعرّضة للأمطار ووديانها وقيعانها الواسعة ، والمنطقة الثالثة تتألف من المناطق الداخلية القليلة الأمطار أو حتى المحرومة منها .

المنطقة الأولى : تهامة البحر الأحمر

تسمى **تهامة** المنطقة الساحلية المنخفضة الممتدة بين ساحل **البحر الأحمر** والجبال ، ويتراوح عرضها بين ٤٠ و ٦٠ كيلومتراً ، وذلك من جنوب **جبال حايبل إلى باب المندب** .

ويرتفع هذا السهل المستطيل إلى ١٥٠-٢٠٠ متر عن سطح البحر عند اتصاله بسفوح الجبال ، وهو مؤلف في أغلبيته من تربة صالحة للزراعة ، وناتجة عن تفتيت الجبال والطمي ، باستثناء بعض المساحات المتصلة بالبحر ، حيث طغت رمال الشواطئ على أقسامه الداخلية ، فحولتها إلى صحارى محدودة المساحات .

لذا فإنه كلما تيسرت المياه لهذا السهل الفسيح ، أكان ذلك أمام الوديان أو في بعض الواحات المعتمدة على المياه الجوفية ، تحولت هذه السهول إلى مناطق زراعية كثيرة الحاصلات دائمة الاخضرار وعديدة المواسم لشدة الحرارة فيها . وتتميز هذه المنطقة كغيرها من المناطق اليمنية المسطحة أو الممتدة بين الجبال بوفرة مياهها الجوفية .

كما يتميز هذا الإقليم باستمرار الحرارة والرطوبة حيث تقارب درجة الحرارة فيه صيفاً (من ٤٠ إلى ٤٥ درجة مئوية) ، ولا تتدنى كثيراً في الشتاء (٢٥ـ٣٠ درجة) وتعطي أراضيه لغاية ثلاثة محاصيل في السنة ، عندما يتيسر الري بفائض الأمطار على الجبال أو بالمياه الجوفية كما ذكرنا ، أو نتيجة لبناء السدود في مرحلة النهضة الحاضرة .

أما الأمطار في هذه المنطقة فشبه معدومة ، وقد يمر العام بكامله دون هطول أكثر من ثلاثة إلى ستة سنتيمترات من مياه الأمطار ، وهذا لا يمنع هطول أمطار غزيرة عاصفة في بعض الأحيان ، أو في بعض السنوات ، وهو مما لا يمكن الاعتماد عليه في الزراعة . لذا فإن هذا الإقليم يعتمد على ما يصله من مياه الأمطار التي تهطل بغزارة على الجبال وتصل إليه بواسطة الوديان المتجهة نحو **البحر الأحمر** ، وتستفيد أيضاً من المياه الجوفية الوافرة كما ذكرنا بفضل ما يتسرب إلى التربة من فائض الوديان . وتقوم الحكومة ببناء العديد من السدود التحويلية وخاصة السدود المخصصة لتغذية المياه الجوفية ، لتأمين ضخ المياه المتزايد جداً لسهولة حفر الآبار ورفع المياه بواسطة الآليات العصرية ، وتأييد الدولة للتنمية الزراعية .

وتعتبر السهول المروية في **تهامة** من أخصب الأراضي إطلاقاً ، لأنها مؤلفة من الطمي الذي تجلبه السيول بكثرة سنوياً ، ولأن الحرارة والرطوبة الشديدتين اللتين تختص بها هذه المنطقة من **اليمن** ، هي مما يساعد على سرعة نمو المزروعات والحصول على عدة غلات سنوية كما أشرنا .

وينمو في هذه المنطقة القطن (السكاليدس) الذي تعمل الحكومة على تشجيع زيادة مساحات زراعته . كما ينمو السمسم والذرة والدخن وقصب السكر والموز والقنب والمنجا والنخيل والتنباك والأرز ، علماً بأن العهد الجديد يعمل على تشجيع الزراعة في **تهامة** وسائر **اليمن** بشتى الوسائل ، ومنها تقديم القروض للتنمية الزراعية مع إنشاء المشاتل وإدخال أنواع جديدة من الأغراس . ولا تزال هذه المنطقة بحاجة إلى إنشاء المزيد من السدود ومجاري تحويل المياه بشكل ثابت ومنظم ، وكذلك استغلال المياه الجوفية المتوفرة بكثرة ، وعلى أبعاد قريبة من سطح الأرض ، وكذلك اختبار أنواع المزروعات الاقتصادية الملائمة للإقليم والتربة . لذلك لم تهمل الجهات المختصة هذه الناحية ، كما سنرى في الفصل الذي سنخصصه لبناء السدود وتوابعها من حواجز وأقنية .

وأما أغنى الأراضي المستثمرة في **تهامة** بواسطة المشاريع الجديدة التي نفذت أو التي هي تحت التنفيذ فعديدة ، منها **وادي زبيد ووادي رماع ووادي رسيان ووادي سردُد ووادي مَور** وهو الأوسع ، ذلك أن الحكومة أنشأت هيئة متخصصة لتطوير **تهامة** ، وقامت بإنشاء مراكز للإرشاد الزراعي ، كما شيدت السدود والحواجز المائية والقنوات التي امتدت إلى عشرات الكيلومترات ، وقدمت القروض الزراعية بواسطة بنك للتسليف الزراعي ، وغير ذلك مما تتطلبه التنمية المنشودة .

منطقة الجبال المعرّضة للأمطار

ووديانها الواسعة الواقعة في الغرب والجنوب من **اليمن** . وتمتاز هذه المنطقة بكثرة أمطارها الصيفية وجودة مناخها وطبيعتها المعتدلة المناخ .

وسكان هذه المنطقة معروفون بنشاطهم وحبهم لأرضهم وعنايتهم الفائقة بها . ففي هذه المنطقة تكثر الجلول (المدرجات) المبنية من أعلى الجبل إلى أسفله بمهارة وجد عظيمين ، للمحافظة على التربة وزراعتها . وكثيراً ما يكون المدرّج ضيقاً بحيث لا يتسع لزراعة أكثر من شجرة واحدة . وقام اليمني في هذه المناطق بأقصى ما يمكن تحقيقه منذ أقدم العصور ، وأصبح من المتعذر إيجاد مساحات جديدة لاستصلاحها ، كما يصعب استعمال الآليات الحديثة في تلك المدرجات ، ومع ذلك فلا يزال المجهود مستمراً لزيادة الرقعة المحدودة ، وكذلك لتنويع المحاصيل وزيادة الإنتاج .

وأما وديان هذه المنطقة العديدة والمتسعة ، فتحتاج إلى توجيه مياه الأمطار إليها أو حجز السيول لريها ، وهو ما تعمل الجهات المختصة لتحقيقه باهتمام بفضل بناء السدود والخزانات على أنواعها ، وإعادة بناء ما كان قائماً في العهد الحميري وما سبقه .

وفي هذه المنطقة يظهر نشاط اليمني المزارع على أوضح وجه ، ويبدو للمتأمل بطبيعة الجبال ووديانها بأنها وليدة لنشاط سكانها الذين حاربوا الطبيعة وسيولها الجارفة لمدة آلاف السنين ، ليحافظوا فيها على التربة الصالحة للزراعة وحمايتها من السيول . ولولا بناء الحواجز سنوياً في الوديان وإعادة بناء جدران (المدرجات) التي كثيراً ما تتهدم ، لتحولت أغلبية تلك الجبال المزروعة حالياً والوديان المتربة إلى صخور جدباء .

كما تتميز هذه المنطقة بإنتاج أفضل أنواع البن ، وكذلك شجرة القات ذات الأهمية الاقتصادية والانعكاسات الاجتماعية ، كما سنرى تحت العنوان المتعلق بكل من هاتين الشجرتين تحت عناوين منفصلة في القسم الثالث من هذا الكتاب .

ويضاف إلى زراعة شجرتي البن والقات في هذه المنطقة الغنية من **اليمن** ، زراعة مجموعة من الأشجار المثمرة والجذور والخضروات والنباتات العديدة . وهنا يزرع البرتقال وجميع أنواع الحمضيات ، وكذلك الرمان والموز ، كما تزرع في هذه المنطقة أنواع البطاطس وقصب السكر ، وأنواع الخضروات ، والورس الذي تؤخذ منه مادة للصباغة ، مما سنوضحه في باب التنمية الزراعية .

المنطقة الداخلية القليلة الأمطار

تنمو في نواحي هذه المنطقة القليلة المياه الأنواع التي تكتفي بشيء من الري ، ومنها أشجار اللوز

والأعناب العديدة الأنواع الجيدة ، والتي يستمر موسمها من نيسان / أبريل إلى كانون الأول / ديسمبر . كما تصلح لتربية الماشية . ويشمل هذا الإقليم منطقة وادي الجوف الخصب الذي ينخفض باتجاه المشرق ، وتتجمع فيه المياه من المنحدرات المتجهة شرقاً . وتصلح بها الزراعات الغنية بشكل مماثل لما عليه في تهامة ، مع جودة المناخ في هذه المناطق الجافة .

وينمو في هذه الوديان الفسيحة العديد من النباتات التي تحتاج إلى جو دافئ وأرض خصبة ، ويعتبر **وادي الجوف** مركز ازدهار **اليمن** في التاريخ القديم ، حيث يسيل **نهر الخارد** وعدد من الروافد ، وكانت هذه المنطقة إلى بداية عهد النهضة الحاضرة في منتهى الإهمال ، وأغلبية مياهها تغور بالأرض دون الاستفادة منها كما يجب . وبالجانب الآخر من **الجوف** باتجاه الجنوب الشرقي بنى الأقدمون على مضيق نهر **أذنه سد مأرب** الشهير الذي حول مساحات شاسعة شبه صحراوية إلى جنات غناء ، وقد أعاد العهد الجمهوري أخيراً بناء **سد مأرب** ، وهو مما سنأتي على ذكره مع المشاريع الزراعية الإنشائية .

وهكذا يبدو جلياً أن **اليمن** بلد زراعي من الطراز الأول لاختلاف مناخه وتنوع أقاليمه ومناطقه الزراعية ، وبذلك تعددت أنواع نباتاته ، وصلح للزراعات الغنية كالقطن والحمضيات والأشجار المثمرة والخضروات المتنوعة التي تناسب للتصدير ، لحصولها في غير مواعيد أمثالها في البلاد الشمالية العربية وغير العربية الأخرى ، وأيضاً لإنتاجها كل ما تحتاج إليه البلاد المجاورة التي نمت بسرعة نتيجة لغناها بموارد البترول ، والتي تنقصها أمثال هذه الموارد الزراعية التي تستوردها من كل مكان بأسعار مغرية .

وكان ضعف المواصلات أو فقدانها بالمفهوم العصري ، وعدم الاستقرار والاطمئنان ، وعدم التوجيه العلمي والاقتصادي في العهد السابق ، قد حال دون نمو الموارد الزراعية ، وانتعاش هذا الركن الأساسي في الاقتصاد اليمني .

لذا قامت سلطات العهد الجديد بإنشاء مراكز للتنمية الزراعية لا تقتصر على **تهامة** وحسب كما رأينا ، بل تشمل كامل البلاد ، وعلى نطاق واسع ، وهي تعتمد على الخبرة الفنية والمعرفة الحديثة .

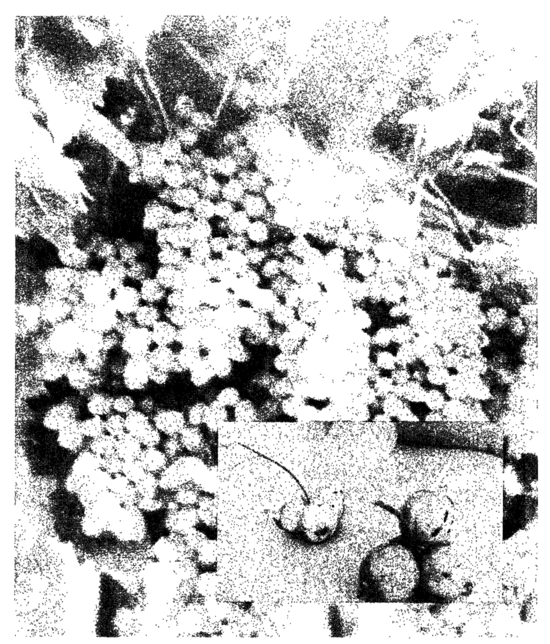
كلية الزراعة

قام رئيس البلاد في بداية هذا العام ١٩٨٨ بوضع الحجر الأساسي لأبنية كلية الزراعية والمنشآت العديدة التابعة لها ، والتي تشمل جميع الاختصاصات المتعلقة بهذا المجال الحيوي ، وقد ألحق بهذه الكلية كل ما يؤمن التعمق بالدراسات التطبيقية من مختبرات ومشاتل ووسائل البحث العلمي الحديثة ، لكي تتمكن هذه الكلية الناشئة من تزويد البلاد بالكوادر المطلوبة لتأمين ازدهار الزراعة ، وكذلك المعلومات التي ستتمكن من تحصيلها علمياً ، لنشرها على المزارعين للاستفادة من حصيلتها المنشودة المتفقة مع طبيعة ومناخ **اليمن** على اختلاف مناطقه المتعددة .



اليمن بلد زراعي وأغلبية أبنائه مزارعون تقليدياً
وتطلعنا هذه الصورة على مدى اهتمام رئيس البلاد بنفسه بكل ما هو مستحدث أو معتنى به في هذا القطاع الحيوي .





ظهرت اليمن منذ القدم بإنتاجها لأفخر أنواع العنب الذي كان ولا زال يحوّل إلى زبيب ممتاز وهو في المناطق الداخلية أنواع بعضها خال من البذور وهو الذي كان مرغوباً ويصدر مع العسل الأسود وسائر السلع اليمنية النادرة بواسطة القوافل المنظمة إلى أنحاء الجزيرة وما حولها من بلدان .

كما أنتجت اليمن وتنتج أميز أنواع الفواكه منها التين والكمثرى والتفاح وغيرها .

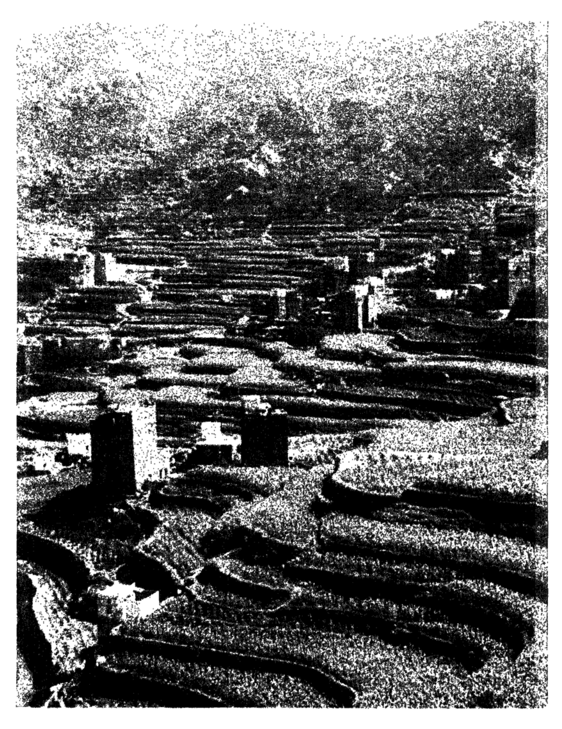
أوصاف اليمن

وبأعناب تدلتْ منها عناقيدُ العنبْ فيها مذاقٌ واحمرارٌ واصفرارٌ كالذهبْ

فيها تين وكمثرى عنها ياقوت كتبْ وبخور وعطور ، خير إنتاج العربْ

زرع وإعمار على مرّ الزمن

هذه الأوصاف أوصاف اليمن



ليس مسكن القروي في هضاب اليمن وجبالها بالبيت البدائي الهزيل ، لكنه من المباني الحجرية المصقولة أو المزخرفة متعددة الطبقات ، وقد خصص الدور الأرض للحيوان وعلفه ، وقلما نرى في أنحاء العالم منازل للمُزارع والقَروي يضاهيها عنايةً ، حيث اعتاد القَروي في أقطار العالم ومنها الغربي المتقدم السكن على مستوى الماشية .



يمو التفاح في العديد من مناطق اليمن العليا ، وقد أدخلت أخيراً الأنواع الجديدة التي تتحمل النقل والتخزين .

العناية الزراعية والاهتمام بالسدود

انطلاقاً مما سبق ذكره بالنسبة للزراعة والمكانة التي تمتعت بها اليمن ، أعطت حكومة اليمن (ج.ع.ي) عناية مثلى بالزراعة ، وكذلك بالثروتين الحيوانية والسمكية . وقد تمثلت هذه العناية بإنشاء وزارة متخصصة لهذا المجال الحيوي ، وكذلك بتأسيس بنك للتسليف الزراعي . ثم أنشأت أخيراً كلية الزراعة التي جئنا على ذكرها .

وبعد أن أكملت الوزارة المختصة ، وهي وزارة الزراعة والثروة السمكية مهمة تنظيم جهازها الإداري وتزويده بالخبرات والكفاءات اللازمة ، اهتمت بتخصيص عنايتها في مجالات عديدة ، منها وقاية المزروعات والتنمية الزراعية ، وكل ما يتعلق بتأمين حاجات الري من سدود متنوعة وخزانات وقنوات ، وغير ذلك مما له صلة بتطوير الزراعة ، ومنها مراكز الدراسات والمشاتل ، وتحضير الكوادر الوطنية ، لتحقيق الطموحات المرتقبة لاستغلال جميع إمكانات البلد . ولتحقيق هذه الغاية الزراعية أنشأت الوزارة هيئات إقليمية متخصصة لدراسة وتنفيذ مشاريع المنطقة العائدة لكل هيئة وهي عديدة .

وينضوي تحت نطاق الاهتمام بالزراعة مشاريع العناية بالثروة الحيوانية ، ومنها ما يتعلق بتسمين الأغنام وتوفير الألبان وتنمية المراعي ، وأيضاً العناية بالدواجن .

أما بالنسبة للري فتفيدنا المعلومات الرسمية بنهاية عام ١٩٨٧ أنه تم بناء ١٤ سداً بعضها لحفظ المياه وتحويلها ، والبعض الآخر بقصد تغذية المياه الجوفية ، كما تم بناء عدد مماثل من الخزانات .

وهناك عشرات السدود التخزينية والتحويلية والخاصة بتغذية المياه الجوفية لا تزال تحت التنفيذ أو قيد الدرس ، وتشمل جميع أنحاء الجمهورية في مناطقها الطبيعية الثلاث التي أشرنا إليها ، وذلك إلى جانب العديد من الحواجز والآبار الارتوازية .

السدود على أنواعها والحواجز المائية

وفي الجنـــة الخضراء من أرض يَحْصُب   ثمانون سداً تقذف الماء جارياً

يردد اليمنيون هذا البيت من الشعر الذي وصف ما كانت عليه بلاد **يَحْصُب** في صدر الإسلام ، وهي المنطقة الجنوبية الوسطى من اهتمام وعناية بحفظ المياه ، ويتوثبون لإعادة بناء ما كان قائماً ، وإضافة كل ما يمكن تحقيقه في هذا المجال من مشاريع إن في **يحصب** أو سائر أنحاء البلاد .

ومن شأن بناء هذه السدود والخزانات وحفر الآبار وتنويع الزراعات واختيار ما يناسب التربة والمناخ أن تؤدي إلى زيادة الرقعة الزراعية بشكل ملحوظ ، وكذلك إلى تحسين الإنتاج كماً ونوعاً مما يضمن الاكتفاء الذاتي المنشود ، والذي نص عليه ميثاق اليمن الوطني كهدف من أهداف الشعب وأهل الحكم .

سد مأرب

وأهم هذه السدود وأعظمها يظل دون شك سد مأرب الجديد الذي تم بناؤه على مسافة خمسة كيلومترات من السد التاريخي الذي كان قائماً بعهد **سبأ وحمير** ، والذي يمكن اعتباره أول إنجاز من نوعه في العالم أجمع .

ونظراً لمكانة هذا السد المعنوية والاقتصادية ، سنفرد له عنواناً رئيسياً في هذا العرض الجغرافي المصور .

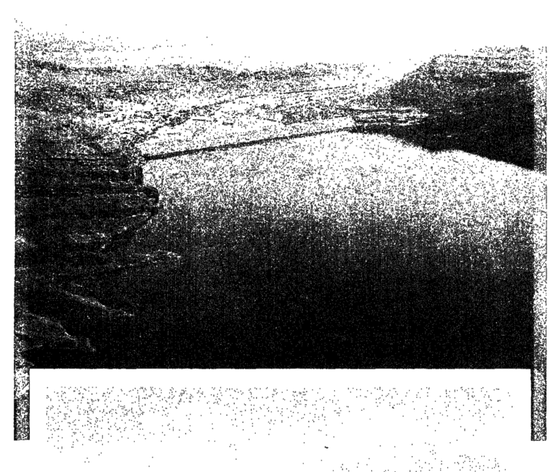
لمحة عن سد مأرب الجديد

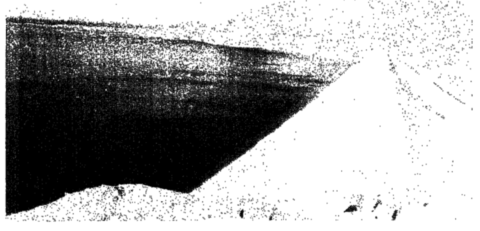
عند تدشينه بنهاية عام ١٩٨٦ م وقبل استثمار مياهه لري المناطق المجاورة

ترتفع منطقة سد مأرب ما يقرب من ألف ومئة متر عن سطح البحر . ومن المخطط له إقامة منتجعات سياحية على ضفاف البحيرة للانتفاع أيضاً بميزات مناخ **مأرب** الصحراوي الصحي .

حدثان هامّان انشرح لهما صدر اليمنيين في العهد الجديد أكثر من سواهما ، وهما تصدير النفط من **ساحل البحر الأحمر** بعد إنجاز خط أنابيب اخترق البلاد من شرقها إلى غربها بطول ٤٤٠ كيلومتراً ماراً بعدة مرتفعات جبلية وصل أعلاها إلى ٢٦٠٠ متر عن سطح البحر .

أما الحدث الأهم والذي يعتز اليمني ويفاخر به ، هو إعادة بناء **سد مأرب** العظيم . وقد تم اختيار الموقع بحيث لا يطغى على بقايا آثار السد التاريخي الذي يعود بناؤه إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد ، والذي انهدم لآخر مرّة عام ٥٧٠ بعد الميلاد .





سد مأرب الجديد وقد امتلأ بالمياه بفترة وجيزة

حصل تدشين (سد مأرب) بنهاية عام ١٩٨٦ م في عهد الرئيس العقيد علي عبد الله صالح .

سد مأرب الجديد

تعرّف الأولون منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف عام على الموقع المناسب لتجميع مياه السيول التي تجري شرقاً ابتداء من القيعان والجبال التي تؤلف **جبال السراة** الشرقية ، وتسيل باتجاه **الربع الخالي** ، لتمر في نهاية المطاف بمضيق يقع بين **جبلي البلق** ، حيث اختاروه موقعاً لبناء سد عظيم ، أصبح الأول من نوعه في العالم (حوالي ٨٥٠ قبل الميلاد) .

ولما جاء عهدنا الجديد لم نكن بحاجة لدراسة جيوفيزية شاملة للتعرف على الإمكانات والموقع المناسب ، لأن الأقدمين وفروا علينا هذه المهمة .

وعندما تقرر إعادة بناء **سد مأرب** التاريخي حصل الاتصال بالمؤسسات الفنية الأجنبية المتخصصة لإجراء الدراسات الجديدة ، ثم توكيلها بأعمال التنفيذ ، استناداً إلى التقنية الحديثة ، مع استعمال الخامات الجديدة كالإسمنت المسلح سوى ذلك وبوسائل النقل والتنفيذ الآلية ، علماً بأن الأجداد الأقدمين قاموا بأنفسهم بالتعرف على الخامات والإمكانات ليحققوا دون عون أو دعم خارجي من أي نوع **سد مأرب** التاريخي .

والمهم الآن أن مرحلة الوعي واتساع الرؤية والاستقرار الذي تنعم به البلاد ، حرصت على إعادة بناء السد وحققته ولها الفضل بذلك . لكن الأمانة تقضي بالإشادة بجهد وعلم الآباء الأولين ، لأنهم كانوا أكثر من الأحفاد المعاصرين معرفة وإتقاناً للتكنولوجيا التي كانت متقدمة جداً آنذاك عندما كانوا محتكرين لهندسة استغلال المياه والانتفاع بها ، والتي لم نمتلك في عالمنا الثالث حتى الآن تقنيتها ، مما جعلنا نضطر للجوء إلى الآخرين ، وذلك بانتظار حصولنا عليها من جديد وهو ما تسعى إليه اليمن والعالم العربي المعاصر بجد واجتهاد .

وصف السد الجديد

يقع السد الجديد على مسافة ١١ كيلومتراً غرب مدينة **مأرب** ، ويبعد ثلاثة كيلومترات عن السد القديم ، مما يسمح بالمحافظة على آثار أحد أهم وأقدم معالم الحضارة الإنشائية المفيدة في العالم .

ويمتد جسم السد على مسافة ٧٦٣ متراً بارتفاع ٣٩ متراً ، كما يلحق بالسد الرئيسي أربعة سدود تحويلية . وتصل طاقة السد التخزينية إلى ٣٩٠ مليون متر مكعب . وأما مساحة البحيرة التي خلفها السد فتبلغ ٤٠٥ كيلو مترات مربعة .

ولا ندري إذا كان الأولون قد تمكنوا بوسائلهم القديمة من قياس المساحة التي تتساقط عليها الأمطار والتي تجري باتجاه السد ، إنما أطلعنا الخبراء الذين قاموا بقياسها ، أن هذه المساحة تعادل تسعة آلاف كيلو متر مربع ، ونعتقد أن الأولين تعرفوا ولا شك على اتساعها وحدود المواقع التي تتجمع مياه الأمطار فيها ، ثم تسيل باتجاه السد ، وقد ذكر الأخباريون أن عدد الوديان التي تنساب إلى موقع السد يصل إلى سبعين وادياً .

أما الفائدة التي نتجت عن بناء **سد مأرب** الجديد فتتمثل أولاً بري مساحات شاسعة تحت السد ، تعيد إلى **الجنتين** روعتها ، وتبلغ مساحة الأراضي التي تستفيد من الري بستة آلاف هكتار مروية وعشرة آلاف هكتار محصولية . أما الأقنية الرئيسية اللازمة لتأمين توزيع مياه الري ، فقد بلغ طولها ٥٨ كيلومتراً عدا القنوات الفرعية العديدة .

ومعلوم أن وجود مثل هذا البحيرة سيغذي المياه الجوفية ، مما يسمح بحفر آبار جديدة وعديدة ، كما سيساعد على تخفيف جدة الجفاف حولها ، ويساعد على تربية أنواع السمك الذي سيؤمن توالده في البحيرة غذاءً ودخلاً إضافياً . كما أن وجود مثل هذه البحيرة من المياه العذبة في منطقة صحية جافة شبه صحراوية سيشكل عنصراً سياحياً هاماً ، ومكاناً مناسباً لإنشاء المنتجعات وممارسة الهوايات المتصلة بها ، ومنها صيد السمك بعد تربية أفضل أنواعه المتأصلة .

وبالإضافة إلى الفوائد المذكورة تحسن الإشارة إلى أن إعادة بناء السد ستؤدي حتماً إلى درء مفعول الفيضانات التي كانت تجرف التربة وتعرضها للتصحر .

وهكذا يمكن القول أن **سد مأرب** والسدود الأصغر منه التي تم بناؤها ، والتي هي قيد التنفيذ أو تحت الدراسة ، ستعتبر من أعظم منجزات عهد النهضة اليمنية الحديث .

المساحة الزراعية والمحاصيل

قدّرت المصادر الرسمية مساحة الأراضي اليمنية الصالحة للزراعة بما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف مليون هكتار ، أو ما يقارب من عشرين بالمئة من كامل مساحة **اليمن** (ج.ع.ي) التي اعتبرت مساحتها عشرين مليون هكتار .

أما الأراضي المستغلة حالياً فهي تقرب من مليون ونصف هكتار ، وهناك ما يقرب من ثلاثة ملايين هكتار قابلة للإنتاج الزراعي ، عندما تتوفر لها الأمطار ، فإذا اعتبرنا مجموع ما هو صالح للزراعة الدائمة والأراضي القابلة للزراعة تصل إلى ما يقرب من خمسة ملايين هكتار أي ربع مساحة الجمهورية ، علماً بأن الوصول إلى هذا الرقم الأقصى يحتاج إلى جهود مستمرة ، مع متابعة إنشاء السدود

والخزانات على أنواعها ، والأقنية وحفر الآبار واستصلاح الأراضي بالإمكانات الآلية العصرية ، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بمراعاة عنصر الزمن ، علماً بأن الأراضي التي تنبت فيها أعشاب العلف بفضل وصول الأمطار إليها بصورة غير مستقرة لتعرضها لمواسم الجفاف هي متسعة ومخصصة للمراعي . وأما الأراضي التي تنبت فيها الأشجار الحراجية فهي قليلة ومحدودة المساحة والإنتاج . وكانت مقتصرة على شجرتي السنط والطلح التي تشكل عنصر الأدغال الأساسي ، والتي لا يجوز القضاء عليها للحفاظ على التوازن الطبيعي (الأيكولوجي) . أما الأحراج ذات الأشجار الباسقة وهي قليلة وربما كانت متوفرة في الماضي قبل أن يقضي عليها الإنسان ، بدليل وجود بقية حيوانات كالقرود وأنواع الفهود الكاسرة والذئب والثعلب والضب والتي يقتضي نوع حياتها وجود مساحات كبيرة من الغابات والأراضي غير المستثمرة زراعياً . وهذا ما يؤكد ضرورة المحافظة على ما تبقى من أشجار النباتات الحراجية التي من شأنها المحافظة على توازن الطبيعة والمناخ ، وهو ما تدركه الجهات المختصة وتعيره العناية المناسبة .

وهي تعمل جاهدة على زيادة مساحة الغابات بشتى الوسائل الحديثة المتوفرة ، مع اختيار أنواع الأشجار الملائمة للمناخ والتربة .

يوم الشجرة

ولتشجيع الاهتمام بالأشجار والعناية بتعميق غرسها عينت الحكومة يوماً من شهر آذار للاحتفال بعيد الشجرة يقوم أثناءه رئيس البلاد بغرس شجرة ترمز للعناية بها والحفاظ عليها والعمل على إكثارها .

المحاصيل وأنواع الحبوب

كان ولا يزال محصول الحبوب الغذائية لتأمين حاجة الإنسان المادةالزراعية الأولى التي يعنى بها اليمني في مختلف أنحاء البلاد . وكان **الحب** أو **الطعام** إلى عهد قريب يشكل هذه المادة الحيوية ، وكانت من نوع الذرة البيضاء الصغيرة الحبوب ، وإسمها العلمي **سورجو** الهندي . وهي تحتاج إلى قليل من الري ، وهي سريعة النمو ، كما يؤمن ساقها المرتفع وأوراقها العديدة علفاً مرغوباً من الحيوانات .

ويأتي بعد طعام **الحب = السورجو** نوع **الشامي** وهو الذرة الكبيرة الحبوب التي تنمو على كوز ، والتي تسمى في الغرب **مايس** ، وهي التي كان دخولها إلى **أوربا والبحر المتوسط** بعد اكتشاف **أميركا** ، ثم وصلت إلى **اليمن** عن طريق الشمال ، وهي **شامي** أي التي وصلت من **بلاد الشام** . لكن الذرة **الشامي** تحتاج إلى كمية أوفر من المياه ، ولا تصلح إلا حيث تتأمن الكمية لنموها ، لذلك بقيت المساحات المزروعة بها محدودة .

القمح لم يكن القمح البر من الحبوب المنتشرة زراعتها كثيراً . إنما جاء العهد الجديد ليعطي هذا المحصول عناية تتفق مع أهميته الغذائية ، وأصبح من المحاصيل الرئيسية ، لاسيا وأن أنواعه تعددت بفضل وثبة علوم الزراعة الحديثة .

والشعير والدخن وكلاهما مما تنتجه الأرض اليمنية تقليدياً ، ولاغنى عنها ، خاصة لتغذية الحيوانات الداجنة .

الخضروات

البطاطس من المعلوم أنه من المحاصيل التي استوردتها **أوربا** من **أمريكا** كالشامي والبطاطس ، وغير ذلك من الأنواع التي اكتسبها العالم القديم من العالم الجديد . وهكذا فإنه لم يكن من المحاصيل الغذائية التقليدية إلى أن زاد الاهتمام به في المرحلة الأخيرة ، لاسيا وأن أنواعه تعددت ، وأصبح بالإمكان تأقلم البطاطس بتربة لم يكن في الماضي من المأمول نموه فيها ، وهو ما تعنى به الجهات المختصة بنجاح .

وبالنسبة **للطماطم والبصل والبامية والبقول الجافة والخضروات على أنواعها** ، وهي عديدة ، فإن الاهتمام بتوسيع رقعة الأراضي التي تنتج هذه السلع الزراعية التي من شأنها تزويد المطبخ اليمني بعناصر تغذية مفيدة يزداد باستمرار ، وأصبحت الأسواق ممتلئة بهذه الخضروات التي يمكن لأي مزارع تنبيتها لتأمين حاجته منها ، وإرسال ما فاض منها إلى الأسواق المحتاجة لها ، وهي مشجعة للمزارع ، لسرعة نموها وسهولة تسويقها ، وربما يصبح بعضها قابلاً للتصدير ، مع تيسير المواصلات وسرعتها ، ونمو العديد من أنواعها في أوقات لا تنمو في بلدان قريبة أو بعيدة أخرى .

الفواكه

العنب اليمني وأنواعه الممتازة عديدة ، وأشهرها البياض ، ويتم تحويل بعضها إلى زبيب خال من البذور ، وقد اتسعت زراعة العرائش ، لتشمل مساحات جديدة لم يكن من المرتقب تحويلها إلى مزارع يانعة .

تعدد الفواكه نظراً لتعدد أنواع المناخ الذي يختلف وفقاً لدرجة الارتفاع عن سطح البحر ، ومدى جفاف ونوع التربة ، فيمكن القول أن جميع أنواع الفواكه التي تنمو في المناطق الحارة والمناطق المعتدلة تنمو أيضاً في أنحاء **اليمن** ، وفقاً لحاجتها من الرطوبة والشمس . فالبرقوق والتفاح والأجاص تنمو في المرتفعات ، ويليها في الوديان الوسطى أنواع الحمضيات ، ثم عنب الشام **البابايا** والرمان والموز وقصب السكر والتين والصّبار **البكس** ، ثم التمور على أنواعها في المناطق المنخفضة والجافة .

لكنه نظراً لعدد السكان المتزايد ، وخاصة لارتفاع مستوى المعيشة والاستهلاك ، فإن محصول هذه الفواكه ينحصر استهلاكه في الوقت الحاضر على المواطنين .

أهمية البن لقد خصصنا له عنواناً رئيسياً نظراً للمكانة التي تمتع بها تاريخياً في **اليمن** . إنما انخفاض الأسعار أدى إلى إهمال إنتاج هذه السلعة حيث تدنى مجموع الإنتاج إلى ما يقرب من أربعة آلاف طن سنوياً ، وهو زهيد جداً بالنسبة للإنتاج العالمي .

ينمو **القطن** أو **العطب** في **تهامة** منذ الأزمنة القديمة ، وكان الفضل لليمنيين بنقل زراعته إلى البلدان المحيطة **بالبحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)** ، وقد أدخلت على زراعته تحسينات عديدة من حيث اختيار الأنواع الممتازة ، ومنها **السكاليدس** ، أو من حيث العناية بالري والقطاف ومكافحة الحشرات . وأما كميته فلا تزال محدودة نسبياً ، حيث لا يزيد الإنتاج عن أربعة إلى خمسة آلاف طن سنوياً .

لمحة تاريخية حول الزراعة عندما شكلت بعض منتجاتها مصدراً هاماً للدخل وعنصراً للثراء والازدهار بفضل اللُّبان والمُر قبل البن والقات .

تعرفنا في العهد التاريخي القديم على سلعتين رئيسيتين من إنتاج أدغال **اليمن** وتربتها ، وهما اللُّبان والمرّ ، اللتان كانتا أغلى من الفضة والذهب . وقد شكلتا العمود الفقري آنذاك للتجارة العالمية عبر الصحراء ، ذلك أن الأولى كانت تعتبر شبه مقدسة لاستعمالها عند **الفراعنة** في الطقوس الدينية ، وقد أطلق عليها لقب **عطر الآلهة** . أما السلعة الثانية وهي المرّ على أنواعه ، فإنها استعملت لتحنيط الموتى من العظماء ، كما شكلت مع اللبان عنصراً أساسياً في المستحضرات الطبية . وقد علمنا من الصحف الأولى أنها كانت تستعمل كشراب من شأنه إزالة الشعور بالآلم ، بعد تحضيرها لهذا الغرض ، حيث جاء بالإنجيل ، أنه عرض على النبي **عيسى** عليه السلام بعد الحكم عليه بالإعدام صلباً أن يتناول شراب المرّ لكي لا يشعر بآلام الصلب ، لكنه رفض الشراب ليتحمل الآلام حتى النهاية .

ونظراً لأهمية اللّبان والمرّ على نمو التجارة الخارجية اليمنية في الألفين قبل الميلاد غالباً أكثر من ذلك بكثير لتزامن الحاجة إليها مع الطقوس الدينية الفرعونية وتحنيط الموتى ، واحتكار اليمنيين لتلك التجارة الزاهرة مع ما توصل إليه اليمنيون من الانفراد باستيراده من بلدان **المحيط الهندي** ، ثم احتكار **اليمن** لتجارة البن مدة لا تقل عن ثلاثة قرون ، رأينا تخصيص ثلاثة عناوين رئيسية لشجرات **اليمن** الثلاث وهي اللبان والمرّ والبن . كما سنلحق بهذا الموضوع المتعلق بالزراعة بحثاً عن القات سننشره في القسم الثالث من هذا الكتاب ، وذلك نظراً للمكانة التي تتمتع بها هذه الشجرة اقتصادياً واجتماعياً ، ويمكن تشبيهها بشجرة **الكوكا في أميركا اللاتينية** ، **والكولا في إفريقيا** .

الثروة الحيوانية والسمكية

الثروة الحيوانية

يمكن اعتبار الماشية من نتاج الخيرات الزراعية ، فلولا انتشار الزراعة ومنها المراعي والعلف ، لما أمكن لأي بلد أن يؤمن حاجته كاملة أو جزئياً من اللحوم المغذية والمرغوبة تقليدياً ، وأهمها الغنم والماعز .

ولكي نأخذ فكرة عن أهمية الثروة الحيوانية في **اليمن** (ج.ع.ي) عدنا إلى المراجع الاقتصادية وأجهزة إحصائها ، حيث حصلنا عام ١٩٨٦ عن دار المعارف البريطانية على الأرقام التالية :

الماعز : ٢٢٢٧٠٠٠ أي نحو مليونين وربع المليون .
الأغنام : ١٨٢٣٠٠٠ أي أكثر من مليون وثلاثة أرباع المليون .
البقر : ٩٥٠٠٠٠ أو ما يقارب من مليون رأس .
الحمير : ٥٢٠٠٠٠ أي أكثر من نصف مليون .
الجمال : ٦٠٠٠٠ ستون ألف جمل .

ونظراً للدور الذي تلعبه الثروة الحيوانية بالنسبة للاقتصاد والاكتفاء الذاتي ، فقد قامت الجهات المختصة بإنشاء قسم خاص بإجراء الدراسات للتعرف على السلالات المناسبة ، وتأمين احتياجاتها الغذائية .

كما تم إنشاء مشروع خاص بالمراعي والأغنام بمنطقة **ذمار** .

الثروة السمكية

من المعلوم أن **البحر الأحمر** غني جداً بالأسماك على أنواعها . لذلك تم عام ١٩٨٠ إنشاء مؤسسة متخصصة لتنمية الثروة السمكية ، ومن مهامها تطوير أساليب الصيد ، كما قامت المؤسسة ببناء مينائين مخصصين لتأمين حاجة الصيادين وسفنهم ، مع تقديم الخدمات اللازمة لحفظ السمك ، ومنها بناء المعامل المطلوبة لإنتاج الثلج الذي لا غنى عنه للحفاظ على الأسماك حال وصولها إلى قاعات تجميع وبيع الأسماك في المينائين المذكورين وهما **الحديدة والخوبة** . وكذلك توجد مخازن تبريد لحفظ الأسماك والجبري في **ميدي والمخا والخوخة** . ويقدر إنتاج صيد الأسماك بأكثر من ١٢ ألف طن في السنة ، لكنه على ازدياد بفضل شراء قوارب حديثة ، وهي سفن بلاستيكية مصممة خصيصاً لهذا الغرض .

المواصلات

إن اعتبرنا الطاقة بأنواعها التي أصبحت متوفرة في **اليمن** بفضل استخراج النفط والغاز بأنها عصب الاقتصاد ، فإن المواصلات لا شك شريان الحياة الاقتصادية بكاملها ، كما أن للمواصلات جانب بشري اجتماعي هام ، للتقارب بين المناطق والمشارب ، وتيسير الحصول على المعرفة بواسطة التجول والسفر .

وقد تجاوب عصر النهضة الحديثة لتلبية الحاجة إلى المواصلات ، فأعطاها العناية الملائمة ، التي تتمثل في مجالات ثلاثة : المواصلات البرية والمواصلات الجوية والمواصلات السلكية واللاسلكية ، يضاف إلى ذلك التسهيلات الخاصة بالنقل البحري وتأهيل الموانئ لذلك .

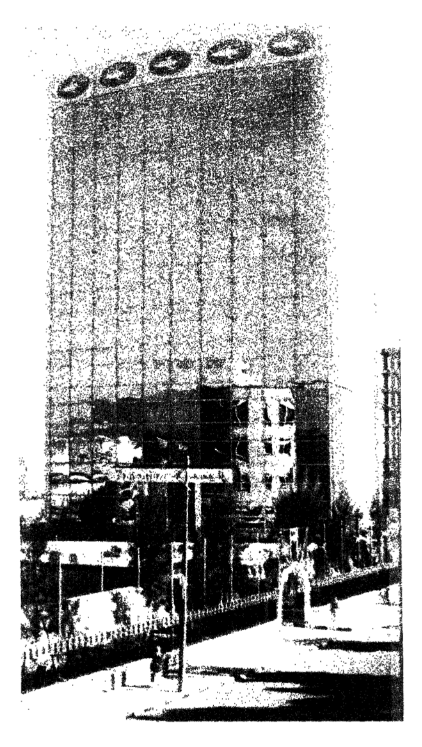
المواصلات البرية وأطوال الطرقات

تشمل شبكة المواصلات البرية التي اتسعت بشكل مذهل في السنوات العشر الأخيرة ربط جميع المحافظات بالعاصمة . وهذا ما تم إنجازه بطرق مسفلتة حديثة ، تتعرج فوق الجبال الشاهقة ، ويصل بعضها إلى ارتفاع ما يزيد على الثلاثة آلاف متر ، وأهم هذه الطرق هو ما يربط الساحل بالعاصمة **صنعاء** ، ومنها إلى المشرق اليمني حتى **مأرب** ، ومنها إلى **صافر** حيث حقول النفط المستثمرة حالياً ، وأيضاً من **مأرب** إلى **حريب** باتجاه الجنوب .

وتبلغ أطوال الطرقات المسفلتة ما يقرب من ألفين وخمس مئة كيلومتر . أما الطرق الحصوية وعددها يقارب الأربعين ، فتفيد المراجع بأن أطوالها حوالي ١٥٠٠ كيلومتر . ولتيسير الاستفادة من هذه الشبكة الكاملة للمواصلات ، فقد أنشئت مؤسسة خاصة بالنقل البري .

المواصلات الجوية

تتمثل المواصلات الجوية بالدرجة الأولى بما تؤمنه شركة الطيران الوطنية **اليمنية** من رحلات داخلية وعالمية منتظمة ، حيث ربطت **صنعاء** بعدة عواصم أوربية وآسيوية وإفريقية ، وأصبحت ببداية عام ١٩٨٨ م ترتبط بسبعة وعشرين مطاراً عالمياً ، وتعتبر **اليمنية** جسراً يربط بشكل دائم نحو مليون يمني يعيشون في الخارج ، ويتألف أسطول **اليمنية** من طائرات هي من أحدث الطائرات المعتمدة عالمياً .



مبنى شركة الطيران اليمنية (يمنية)

احترام الفن المعماري التقليدي الرائع لم يمنع شركة الطيران اليمنية (يمنية) من اعتماد الطراز المعماري المتقدم في بناء مقرها الرئيسي بصنعاء . وربما اعتبر رئيس اليمنية أن احترام الطابع القديم يجب أن لا يحول دون اقتباس الحديث ، ذلك أن الانتفاع من كل ماهو جديد ، ومنه الطيران يُشكل أحد أهم شروط التطور المنشود .

ويوجد في **اليمن** ثلاث مطارات دولية أهمها من حيث الاستعدادات الفنية وقوة تحمل الأرض هو مطار العاصمة **صنعاء** ، الذي يواجه حركة يومية مستمرة طوال أربع وعشرين ساعة . ويلي مطار **صنعاء** بالأهمية والاستعدادات الفنية مطار **الحديدة** الحديث ويليه مطار **تعز** .

أما الطائرات الداخلية فعديدة موزعة على مختلف المحافظات ، منها **مطار الجوف ومطار البقع ومطار مأرب ومطار البيضاء ومطار صعدة ومطار عبس** وغيرها ، مما يؤمن سرعة الاتصال الجوي في سائر أنحاء الجمهورية .

المواصلات السلكية واللاسلكية

ربما كانت الجهات المختصة بتأمين وإدارة المواصلات السلكية واللاسلكية من أكثر الجهات تطلعاً للمستقبل وتفهماً لأهمية هذه المواصلات ، لوضع **اليمن** على خريطة العالم المنفتح على كل ما هو متقدم وحديث .

فقد تمكنت **اليمن** (ج.ع.ي) في السنوات القليلة الأخيرة من تزويد مواصلاتها السلكية واللاسلكية بأحدث تجهيزات عصرية وصلت إليها التكنولوجيا في هذا المجال ، كما عممت شبكة الهاتف الآلي على جميع المدن والنواحي ، ثم لجأت لتزويد مراكز النقل اللاسلكي التي أنشئت على قمم الجبال الشاهقة لاستخدام محطات دائمة تعمل بالطاقة الشمسية .

كما توجد الآن ثلاث محطات للاتصال الدولي تعمل عبر ستين خطاً دولياً في الدقيقة الواحدة .

ثم كان تخصيص إحدى هذه المحطات للاتصالات الفضائية عبر القمر الصناعي العربي **عربسات** .

ولحسن استخدام جميع التجهيزات الحديثة ، فقد تم إنشاء معهد خاص للمواصلات لتأهيل الكوادر المحلية لاستمرار حسن الانتفاع بهذا المرفق المستند إلى صحة الإدارة وبعد الرؤية ، كما أشرنا إلى ذلك تحت عنوان التعليم .

تعدد المواصلات البرّية بواسطة الرحلات المنتظمة

تعددت وسائل المواصلات البرّية وتنظيمها بوساطة استعمال **الباصات** ، وترتيب رحلاتها ، وذلك بعد أن حصل شق وإصلاح وتعبيد أكثر من ألفي كيلومتر من الطرق الحديثة ، كما رأينا بمكان آخر .

لمحة عن التعليم على مختلف المستويات
الجامعة والمعاهد المتخصصة

التعليم على مختلف المستويات :

وكان على العهد الجديد أن يعطي هذا المجال العناية المطلوبة والتعاقد مع عشرات الآلاف من المدرسين، لتأمين الحصول على العلم والمعرفة لما يزيد في الوقت الحاضر عن مليون ونصف مليون طالب.

الجامعة وكلياتها

إن جامعة صنعاء أصبحت تضم أكثر من ثلاثة عشر ألف طالبة وطالب موزعين على ثماني كليات هي التالية : الآداب، التجارة والاقتصاد، الشريعة والقانون، العلوم، الطب، الهندسة، التربية. كما تم أخيراً تأسيس كلية الزراعة مع جميع ماتحتاج إليه ، وهو ماذكرناه عند الحديث عن الزراعة .

المعاهد المتخصصة

كما تم أخيراً تأسيس معاهد فنية متخصصة لتأمين حاجة مؤسسات المواصلات على أنواعها .

قطاعات العمل الجديدة

ونوضح على سبيل التذكير والمثل أن قائد الطائرة ومعاونه والميكانيكي المساعد والخبراء في الصيانة على الأرض والجهاز الإداري بكامله واستعمال الأنفورماتيك وأجهزتها الدقيقة تتطلب أعداداً كبيرة مؤهلة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمواصلات السلكية واللاسلكية التي اعتمدت في اليمن أحدث المعدات والوسائل ، مما أدى إلى إنشاء معهد خاص لتحضير الفنيين والكوادر اللازمة وغير ذلك مما لا غنىً عنه .

ولهذا الواقع بالنسبة للمواصلات الجوية والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وأيضاً المواصلات البرية بواسطة الحافلات العامة (الباصات) ، فإن عدداً غير قليل من المواطنين يمكن إدماجهم في حقل العمل الخاص ضمن المجتمع اليمني الحديث .

السياحة

أجمع أهل الجغرافيا ومؤلفو الموسوعات أن مناخ اليمن أفضل مناخ في كامل الجزيرة العربية . لذا نعتقد بأن السياحة ستشكل في المستقبل القريب قطاعاً رئيسياً هاماً في الاقتصاد اليمني ، وربما سيحتل المرتبة التي تأتي مباشرة بعد الزراعة وذلك للاعتبارات التالية :

أولاً: **المناخ الصحي** : الطقس المعتدل في المناطق الوسطى والجبلية حيث لا يمر يوم كامل دون أن تظهر فيه الشمس . ولما كانت الشمس هي مطلب السواح الأجانب الأول ، فالتعرف على أنهم سيتمتعون بها طيلة أيام إقامتهم **باليمن** مها طالت وفي جميع الفصول ، تشجعهم على زيارتها ، وأيضاً إطالة الإقامة بها وليس لمدة يوم أو يومين كما هي الحال بالنسبة للسياحة في البلدان التي تنحصر السياحة فيها للتعرف على معالمها وحسب .

ثانياً : **جاذبية التعرف على الآثار الفريدة من نوعها** والتي كانت إلى عهد قريب جداً مجهولة تماماً ، مما يفسح المجال أمام السائح للشعور بلذة الاكتشاف واستقراء معالم التاريخ القديم المجهول .

ثالثاً : **الطبيعة الخلابة** التي تسمح للسائح أن يمتِّع نظره برؤية جبال شاهقة ووديان سحيقة تتبدل مشاهدها مع تعدد تنقله في أنحاء البلاد .

رابعاً : **الهندسة المعمارية التقليدية** التي لم يتعرف على ما يماثلها في أي فن معماري معروف .

خامساً : **سهولة التجول بجميع أنحاء الجمهورية** بفضل شبكة مواصلات كاملة وحديثة ، مما يمكنه من الانتقال من شاطئ **البحر الأحمر إلى أطراف الربع الخالي** ، ومشاهدة **سد مأرب** بيوم واحد .

سادساً : **التسهيلات الفندقية** الاستفادة من تسهيلات الفنادق الحديثة التي انتفعت بكل ما هو جديد والتي شيدت وتشاد خصيصاً لإرضاء ومراعاة ذوق ورغبة السواح . وكذلك التسهيلات التي تُمكِّن السائح من الاتصال السلكي واللاسلكي والتلكس مباشرة مع بلاده وجميع أنحاء العالم ، بفضل شبكة المواصلات اللاسلكية والتلكسية وبواسطة الأقمار الصناعية **عربسات** .

سابعاً : **الجمع بين متعة السباحة والصيد** في مياه **البحر الأحمر** الدافئة طيلة أيام السنة .

ثامناً : متعة وتذوق المآكل الشهية ، بفضل تعدد أنواع الأطباق اليمنية ، وسهولة الحصول على



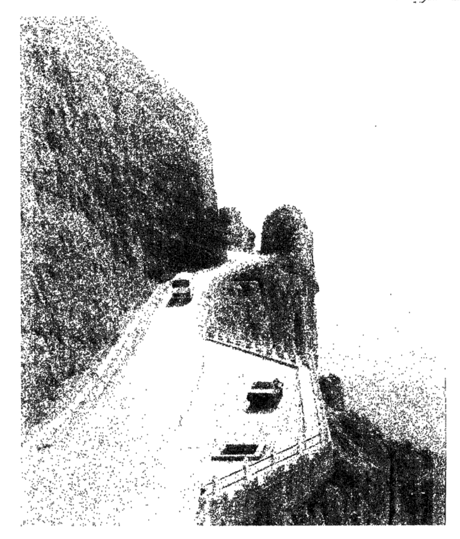
أحد جداول المياه في المناطق الوسطى (باجل) . السباحة فيها نعيم للأولاد وانشراح للصدر .



جبال رَيمة المطلة على تهامة البحر الأحمر وتتمتع بمختلف الأقاليم وفقاً لارتفاع مناطقها عن سطح البحر .

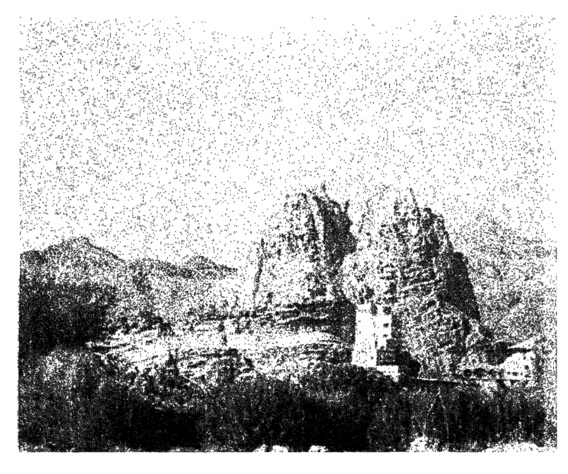
المواد الطازجة اللازمة للمطبخ اليمني طيلة أيام السنة ، ومذاقها الجيد الذي تعرف عليه الطباهي اليمني بتخصصه في اختيار أنواع التوابل التي تلائم كل نوع من أطباق اللحوم أو الأسماك أو الخضار ، بفضل خبرته التي تعود إلى آلاف السنين .

تاسعاً : وجود مياه معدنية في أقاليم متنوعة مما يضع اليمن في مرتبة مرموقة يساعد على إنشاء منتجعات عصرية .



الطرقات في المرتفعات

تمر أغلب طرقات اليمن عبر الجبال الشاهقة ، ويعتبر شقها في الصخر الأصم من الأعمال الإنشائية غير العادية ، ذلك أن بعضها يجتاز متعرجات عديدة ، ويحتاج إلى جهد وتكاليف يعادل في الكثير من الحالات عشرات أضعاف ما يحتاج إليه شق الطرقات في الأراضي المنبسطة .
بلغ عدد الطرق التي تم إنجازها حتى بداية عام ١٩٨٨ ستاً وعشرين ، وبلغت أطوالها ٢٣٠٠ كيلومتر مسفلتة ، أما الطرق الحصوية التي تم إنجازها فقاربت الأربعين طريقاً وصلت أطوالها إلى أكثر من ١٥٠٠ كيلومتر .



وادي ضهر

من يتأمل هذه الجبال الجرداء لا يخطر له على بال أن مياهاً غزيرة تجري بينها لتحول سفوحها ومتعرجاتها إلى جنات تنتج أفضل أنواع الفواكه والخضروات .

ويعتبر وادي ضهر أحد منتجعات العاصمة صنعاء لقربه منها . وقد تحول القصر المشرف على الوادي لفندق سياحي يتمتع زواره بالمناظر والجو الصحي لصفائه .



طراز اللباس النسائي

وهو يختلف بالنسبة للمدينة والريف ، وبين الشمال والجنوب ، ولا زال الحجاب الكامل أو الجزئي منتشراً في المدن لدى الأوساط المحافظة وهي الأغلبية الساحقة .

هنا فتاتان بالزي الشعبي التقليدي (نقلاً عن كتاب المؤسسة العامة للسياحة في (ج.ي.د.ش) ويقول أصحاب التفكير العصري إن الطهارة والعفة والحشمة لا تتعارض مع الرشاقة والأناقة والطهارة .

وتحسن الإشارة إلى أن المرأة وصلت إلى موقع الصدارة بالحكم في اليمن قبل الإسلام وبعده .

صوتهنَّ سلسبيلْ　　حشمةٌ وجهٌ جميلْ

عفَّةٌ ، خصرٌ نحيلْ　　فتنةٌ طرفٌ كحيلْ

رشاقة ، شجر النخيلْ　　رصانةٌ ، أدبٌ أصيلْ

طهارةٌ ، ولا مثيلْ　　وصلهنَّ مستحيلْ

أنت زوجٌ أو قتيلْ　　خَلْقٌ وأخلاقٌ معاً

هذه الأوصاف أوصاف اليمن



لا تتم النهضة بالشعارات والخطب بل بالعلم والعمل ، ولا يحصل التطور بغير اللجوء إلى التقنية ، وها هو رئيس اليمن الحديث يهتم بالحاضر و بالتحضير للمستقبل .

الجزر اليمنية

يحدد هذا الكشف موقع عدد كبير من الجزر اليمنية في **البحر الأحمر** ، وأهمها برأينا هو موقع **جزيرة الطير وأرخبيل الزبير وأرخبيل زقر والحنيش الكبرى والصغرى وجزيرة كمران** .

وتعتبر هذه الجزر اليمنية ذات أهمية استراتيجية واقتصادية ، وعلى الأخص **جزيرة الطير** لاحتواء قاع **البحر الأحمر** في الأعماق على وحول معدنية قدّرت قيمتها بـ٢٥ ألف مليون دولار ، علماً بأن موضوع استثمار هذه الثروة المعدنية الضخمة لا تزال موضع دراسات ووسائل تقنية مناسبة . وكانت الدولتان الشقيقتان **المملكة السعودية والسودان** قد أسَّستا شركة لاستغلال موارد قاع البحر في المياه التابعة لها والواقعة بين بلديهما .

وإننا نسجل تحت هذا كشفاً بالجزر اليمنية الواقعة في **البحر الأحمر** . ولا يمكن اعتبار هذا الكشف رسمياً وشاملاً لعدم حصولنا على مراجع معتمدة حول هذا الموضوع ، ومع ذلك اعتبرنا من الأفضل تسجيل ما حصلنا عليه أثناء المناقشات التي جرت ضمن نطاق مؤتمر قانون البحار المقرر من قبل الأمم المتحدة ، والذي انتهى بتوقيع الاتفاق الدولي حول قانون البحار لاعتماده بعد عام ١٩٨٢ م .

ـــ كشف مفصَّل للجزر اليمنية الصغيرة ، وهي التي أضيفت إلى الكشف المحتوي على **جزيرة الطير وجزيرة أبو علي** المحتوتين على فنار بني على كل منها في نهاية العهد العثماني ، وكذلك **جزيرة زقر وجزيرتي الحنيش الصغرى** ، ويليها جنوباً **الحنيش الكبرى** ، وما إليهما من جزر صغيرة جداً .

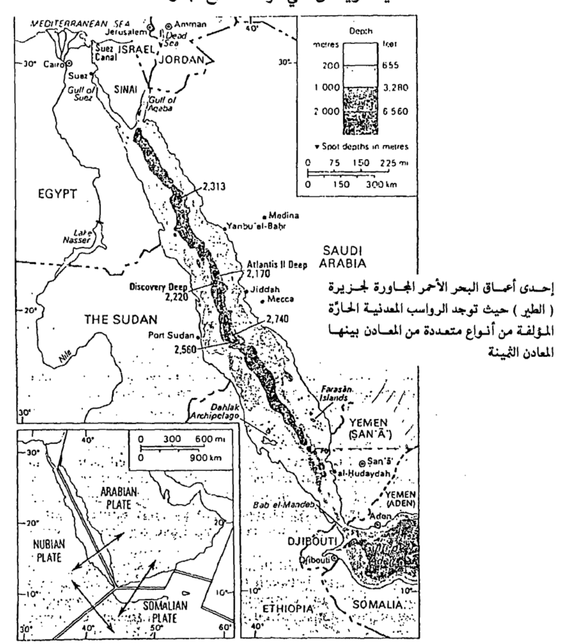
اسم الجزيرة	بعد الجزيرة عن الساحل اليمني	بعد كل جزيرة عن الأخرى وتحديد موقعها
رأس المجاملة	٢,١٥ ميل بحري	وتقع تجاه ميناء غلافقة
جزيرة المباخ	٢٣,٥ ميلاً	وتقع شمال شرق حنيش الكبرى ، وتبعد عنها بمسافة ٢ ميل .
جزيرة الدوران	٢٤ ميلاً	وتقع شمال شرق حنيش الكبرى ، وتبعد عنها بمسافة ٢,٥ ميل .
جزيرة رضا	٣ أميال بحرية	وتقع جنوب كمران ، وتبعد عنها بمسافة ٥,٢ أميال بحرية .
جزيرة كمران	١,٥ ميل بحري	وهي تحتوي على ميناء صيد وعلى مطار صغير .
جزيرة اكبان	١٠,٥ أميال بحرية	وتقع شمال غرب جزيرة كمران ، وتبعد عنها بمسافة ٣ أميال .
جزيرة البضى	١٠ أميال بحرية	وتقع شمال غرب كمران ، وتبعد عنها بمسافة ٥,٤ أميال .
جزيرة عقبان	٧,٥ أميال بحرية	وتقع شمال غرب البضى ، وتبعد عنها بمسافة ٤,٢ أميال .

اسم الجزيرة	بعد الجزيرة عن الساحل اليمني	بعد كل جزيرة عن الأخرى وتحديد موقعها
جزيرة كدمان الكبير	٨ أميال بحرية	وتقع شمال شرق البضى، وتبعد عنها بمسافة ٤ أميال.
جزيرة كدمان الصغير	١١,٢ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب كدمان الكبرى، وتبعد عنها بمسافة ٢,٨ ميل.
جزيرة المورك	٣,٥ أميال بحرية	وتقع شمال شرق كدمان الكبير، وتبعد عنها بمسافة ٣,٥ ميل.
جزيرة بوارد	٧,٣ أميال بحرية	وتقع شمال غرب المورك، وتبعد عنها بمسافة ٣,٨ أميال.
جزيرة تكفاش	١٢ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب بوارد، وتبعد عنها بمسافة ٣,٨ أميال.
جزيرة كتامة	٢٢ ميلاً بحرياً	وتقع جنوب غرب تكفاش، وتبعد عنها بمسافة ٥ أميال.
جزيرة تلاوين	١٣,٨ ميلاً بحرياً	وتقع شمال تكفاش، وتبعد عنها بمسافة ٢,٨ ميل.
جزيرة بوارد	٧ أميال بحرية	وتقع شمال شرق تكفاش، وتبعد عنها بمسافة ٣,٥ أميال.
جزيرة قصر	١٠,٨ أميال بحرية	وتقع شمال شرق تكفاش، وتبعد عنها بمسافة (١) ميل واحد.
جزيرة زريما	١٠,٥ أميال بحرية	وتقع شمال غرب الحمرة، وتبعد عنها بمسافة ٥,٥ أميال.
جزيرة حمر	٤,٨ أميال بحرية	وتقع شمال غرب ميناء اللحية.
جزيرة جواء	١٠ أميال بحرية	وتقع شمال زريما، وتبعد عنها بمسافة ٢,٥ ميل.
جزيرة زربان	١,٨ ميلاً بحرياً	وتقع شمال جواء، وتبعد عنها بمسافة ٥,٥ أميال.
جزيرة ياري	١٦ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب زريما، وتبعد عنها بمسافة ٣,٨ أميال.
جزيرة رافع	١٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب زريما، وتبعد عنها بمسافة ٣,٨ أميال.
جزيرة جريب	١٠,٥ أميال بحرية	وتقع شمال شرق ديما، وتبعد عنها بمسافة ٣,٥ أميال.
جزيرة نحل	١٠,٥ أميال بحرية	وتقع شمال جريب، وتبعد عنها بمسافة (١) ميل واحد.
جزيرة دهابر	٤,٨ أميال بحرية	وتقع شمال شرق زريان، وتبعد عنها بمسافة ٤,٥ أميال.
جزيرة زحاء	١٢ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب نحل، وتبعد عنها بمسافة ٢,٥ ميل.
جزيرة داي	١٢ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب نحل، وتبعد عنها بمسافة ٢,٣ ميل.
جزيرة بجيس	٦,١٨ أميال بحرية	وتقع شمال شرق داي، وتبعد عنها بمسافة ٥,٢ أميال.
جزيرة أبو شجر	٨ أميال بحرية	وتقع غرب جنوب ميناء ميدي.
جزيرة عراب	٧,٥ أميال بحرية	وتقع شمال أبو شجر، وتبعد عنها بمسافة ٢ ميل.
جزيرة صهر (مادوجو)	٢٣ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب زحا، وتبعد عنها بمسافة ٩,٥ أميال.
جزيرة الفوشت	٢٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب صهر، وتبعد عنها بمسافة ٤ أميال.
جزيرة سانع	٣٠,٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب الفوشت، وتبعد عنها بمسافة ٤,٨ أميال.
جزيرة بكلان	١٩,٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب العزاب، وتبعد عنها بمسافة ١١ ميلاً.
جزيرة أرطين	٣١ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب بكلان، وتبعد عنها بمسافة ٤,٥ أميال.
جزيرة سمير	١ ميل بحري	وتقع شمال غرب أرطين، وتبعد عنها بمسافة ١,٥ ميل.
جزيرة البري	٣٦,٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب سمير، وتبعد عنها بمسافة ٣,٤ أميال.
جزيرة الرافع	٣٩ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب البري، وتبعد عنها بمسافة ١,٥ ميل.

اسم الجزيرة	بعد الجزيرة عن الساحل اليمني	بعد كل جزيرة عن الأخرى وتحديد موقعها
جزيرة دوحراب	٥٢,٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب الرافع الباري، وتبعد عنها بمسافة ١,٤ ميل.
جزيرة دوثلاث	٦٣ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب دوحراب، وتبعد عنها بمسافة ٦,٢ أميال.
جزيرة أم الحماد	١١,٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال شرق بكلان، وتبعد عنها بمسافة ٧ أميال.
جزيرة حرير أتوال	٥,٤ أميال بحرية	وتقع شمال شرق أم الحماد، وتبعد عنها بمسافة ٦ أميال.
جزيرة المعاشف	١٩ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب أم الحماد، وتبعد عنها بمسافة ٨,٤ أميال.
جزيرة نكال	٢٥,٥ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب المعاشف، وتبعد عنها بمسافة ٤,٥ أميال.
جزيرة مرين	٢٨ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب نكال، وتبعد عنها بمسافة ٢,٥ ميل.
جزيرة أبين	٣٠ ميلاً بحرياً	وتقع شمال غرب مرين، وتبعد عنها بمسافة ٢,٤ ميل.

خريطة توضح أعماق البحر الأحمر

ويفهم منها أن المنطقة الواقعة في المياه الاقتصادية لجزيرة (الطير) اليمنية تشتمل على أعماق سحيقة تزيد على ألفي متر تحت سطح البحر



إحدى أعماق البحر الأحمر المجاورة لجزيرة (الطير) حيث توجد الرواسب المعدنية الحارّة المؤلفة من أنواع متعددة من المعادن بينها المعادن الثمينة

وقد أفادت الأوساط العلمية المتخصصة أن أسفل أعماق البحر الأحمر السحيقة تحتوي على رواسب مؤلفة من مجموعة من المعادن وقدرت قيمتها بما لا يقل عن ٢٥ ألف مليون دولار لاحتوائها أيضاً على الفضة والذهب .

عطفاً على ماسبق بالنسبة للجزر نذكر أدناه ماجاء بدائرة المعارف البريطـانيـة حول الوحول أو الرواسب المعدنية المتواجدة في قاع البحر الأحمر .

تفيدنا دائرة المعارف البريطانية أن رواسب البحر الأحمر المعدنية تحتوي بنسب على عـدة معـادن منها النحاس والفضـة والـذهب ، وأن وزن هـذه الرواسب التي اكتشفت يقـدَّر بخمسين مليون طن ، ويقدر ثمنها بخمسة وعشرين ألف مليون دولار ، وبما أن هذه الرواسب المعدنية هي كنايـة عن وحول حارَّة فإنه من الممكن ضخُّها إلى سطح البحر (أو اليابسة) تماماً كما يحصل ضخ النفط من الأعماق .

وفيما يلي النص بكامله بلغة دائرة المعارف المذكورة .

The economy. Resources. Three major types of mineral resources are found in the **Red Sea region:** petroleum deposits, evaporite deposits (sediments laid down as a result of evaporation, such as salt, gypsum, and dolomite), and **the newly discovered heavy metal deposits in the bottom oozes of the Atlantis II and Discovery deeps,** which lie between 21°15′ and 21°30′ N. The oil and gas deposits are being exploited to varying degrees by the nations adjoining the sea. The evaporites are utilized only very slightly, primarily on a local basis. Of the heavy metal deposits, none of which had been touched, those contained on the sediments of the Atlantis II Deep alone were estimated as having **a $25,000,000,000 value.** The sediment of the Discovery Deep also has a significant metalliferous content but at a lower concentration than that in the Atlantis II Deep. These deposits are in the form of fairly fluid oozes, with an average of about 85 percent brine. The average analysis of the Atlantis II Deep deposit reveals an iront content of 29 percent; zinc 3.4 percent; copper 1.3 percent; lead 0.1 percent; silver 54 parts per million; and gold 0.5 parts per million. The total brine-free sediment estimated to be present in the upper 30 feet of the Atlantis II Deep is about 50,000,000 tons. These deposits appear to extend to a depth of 60 feet below the sediment surface, but the quality of the deposits below 30 feet is unknown.

The recovery of sediment located beneath 5,700 to 6,400 feet of water poses problems. But since most of these metalliferous deposits are fluid oozes, it is anticipated that it may be possible to pump them to the surface much the same way as oil. There are also numerous proposals for drying and beneficiating (treating for smelting) these deposits after recovery. It would indeed seem that exploitation is now feasible, provided international agreements can resolve legal difficulties.

الربع الخالي

وهل شكلت واحاته وأطرافه بلاد **عاد وثمود** وهم **العرب البائدة** ؟

وهل **إرم ذات العماد** المندثرة كانت من منشآتهم ؟

وهل أن النهر الذي سيق إليها بنفق تحت الأرض كان مشكّلاً من المياه التي حصل تجميعها من ميزاب **اليمن** الشرقي بمنطقة **مأرب** قبل إنشاء السد ؟ وهو النفق الذي امتد إلى أربعين فرسخاً أو ما يقرب من أربع مئة كيلومتر .

أي بحث أو كتاب ثقافة عامة كهذا ، يتولى التعريف على **اليمن** ككل تاريخياً وجغرافياً ، يعتبر بنظرنا ناقصاً إن لم يذكر **ربع جزيرة العرب الخالي** ، باعتباره امتداداً طبيعياً لبلاد اليمن ويشكل بعداً مكملاً لها ، علماً بأن هناك ميلاً لاعتبار هذا الجزء الشاسع من **جزيرة العرب** كبحر واسع تغطيه الرمال ، وهو ما يتفق مع تاريخه الجيولوجي . وفي هذه الحالة لا بد من الإشارة إليه وفقاً لما ذكرته المراجع كحد للأرض المأهولة أو القابلة للسكن أو المرعى المتصلة به تماماً ، كاعتبار البحر حداً للممالك والأقطار التي تصل شواطئها إليه ، وهو الذي يحتوي على مياه إقليمية ومنطقة اقتصادية . وتقوم الرمال هنا مقام المياه في البحار إذا صح التشبيه وحصل الاتفاق على ذلك . ذاكرين أن موضوع الحدود ومناطق الامتياز والانتماء القبلي نعتبره من الأمور السياسية ، وهو بالتالي خارج عن نطاق هذا الكتاب المقصود منه التعريف على **اليمن** ، كما ذكرنا بوضوح في الإيضاح .

ولإعطاء موضوع **الربع الخالي** حقه ، رأينا أن نخصص بحثاً كاملاً لهذه المنطقة الشاسعة القاحلة ، التي لا تخلو من ذكريات لماضٍ بعيد غريب ومثير يستحق الإشارة إليه . ذلك أن القبائل التي تتجول بأطرافه بين **المحيط الهندي والخليج** ، لا تزال تروي بأن أجدادها يرددون أخباراً يتناقلونها منذ القدم مفادها أنه كانت توجد في تلك الصحارى مدينة زاهرة تحيط بها مزارع النخيل **اسمها وبار** ، وهم يعرفون الدروب التي كانت تؤدي إلى هذه الواحة التي كانت عاصمة لبلاد **عاد** لكن **الله عز وجل** غضب على أهلها لفسادهم ، فطمرتها الرمال ، ولم يعد أحد يعرف مكانها . وهذا نقلاً عن كتاب **برترام توماس** ، وهو أول من اجتاز **الربع الخالي** عام ١٩٣١ م ـ كما سنرى ـ ووفقاً لما سمعه من مرافقيه .

وكان **نشوان بن سعيد الحِّميري** (ت ٥٧٣ هـ/١١٧٨ م) ، المؤرخ اليمني المعروف ، وهو من أهل القرن الثاني عشر ميلادي (المتوفى عام ١١٧٧ م) قد أشار إلى **وبار** وقوم **عاد** وأنها كانت من مشارق **اليمن** قبل اندثارها .

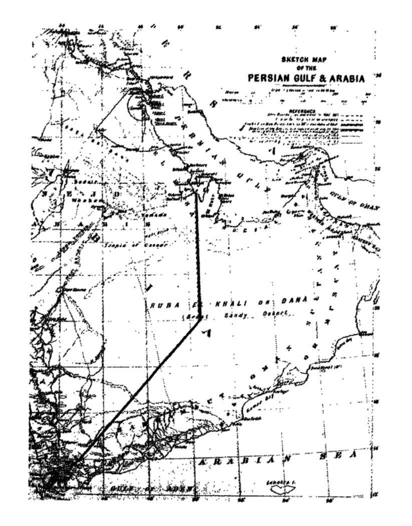
كما أشار العالم المكتشف **برترام توماس** المذكور ، وكذلك **هاري سان جون فيليبي** إلى روايات القبائل عن **وبار وعاد** وهذان المستشرقان هما اثنان من ثلاثة مستشرقين مغامرين ، اجتازوا **الربع الخالي** أو تجولوا بأطرافه كما سنرى لاحقاً . وقد دوّنوا ما عرفوه آنذاك عن **الربع الخالي** ، حيث ترك لنا كل منهم كتاباً وصوراً عن رحلته ، وهو مما سنأتي على ذكره تحت عنوان آخر في هذا الموضوع .

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المجال ، أن قبائل **حاشد وبكيل** اليمنية تعيد أنسابها إلى **شداد بن عاد** باني **إرم ذات العماد**. ، مما يمكن تفسيره بأن ما يسمى **بالعرب البائدة** لا تعني إبادتها ، بل فقدان مساكنها الأصلية وتفرقها ولجؤوها إلى أراضي **اليمن الشرقية** ، التي حمتها الجبال ومياهها من الزحف الصحراوي ، وكذلك هجرتها إلى جبال وشواطئ **عمان** ، وأيضاً إلى الشمال ، حيث استقرت **بشمال غربي الحجاز** ، وقد شكلت **حضارة اللحيانيين في واحات ثمود** وددان وسواهما ، وهم **الثموديون** الذين كتبوا بخط **أهل الجنوب** ، وبلغة أهل الشمال كما سنرى تحت العنوان التالي .

أصحاب خط أهل الجنوب وهم الذين اعتُبروا من العرب البائدة ينتقل مع أهل ثمود إلى الحجاز

لقد أخبرنا علماء اللغات السامية القديمة من المستشرقين ، أن **الثموديين** الذين حاربوا في القرن الثامن قبل الميلاد إلى جانب **سرجون البابلي** كانت كتاباتهم التي عثروا عليها **بشمال الحجاز** هي بخط أهل الجنوب إنما بلغة أهل الشمال .

فهل احتفظ **أهل ثمود** ، وهم ربما أصحاب **وبار وإرم ذات العماد** وهي **بالأحقاف** ، أو في **أطراف الربع الخالي** الأخرى بكتاباتهم وحضارتهم ، التي انتقلت معهم شمالاً بعد أن طمرت الرمال مساكنهم العامرة في الجنوب ، وهل أمثال الأعمدة التي اتصفت بها **إرم** وغيرها ، سيتم اكتشافها في الأحقاف ، وعليها كتابات تخبرنا ما كان عليه الأولون الذين نعتوا **بالعرب البائدة** ، وكانوا قبل خمسة آلاف عام متعاملين حتماً مع **الفراعنة** ، لاستعمال هؤلاء مواد التحنيط ، وهي المرّ واللبان التي لم تكن متوفرة في **وادي النيل** ، بل في بلاد **عاد وثمود** المتفرعة عن ما كان يسمى ببلاد **البونت** ، وهي كامل **جنوب الجزيرة وسواحل الصومال** . ونعلم اليوم أن إحدى المراكز أو المديريات في جمهورية (الشطر الجنوبي من اليمن) . تحمل اسم ثمود **(شمال حضرموت) وبجنوب الأحقاف .**



خطوط تقسيم الجزيرة العربية إلى مناطق نفوذ

ــ الخط الأحمر الأول وكان مستقيماً عند وضعه ، كما هو ظاهر على الخريطة الإيطالية المرفقة ١٩٠٣ - ١٩٠٥ م .

ــ الخط الأصفر الذي أحاط منطقة باب المندب ، والذي حدد مكان سلطة الدولة العثمانية وفقاً لاتفاقية يوليه ١٩١٣ م .

ــ الخط الأزرق الفاتح الذي وضع حدوداً وهمية بين جنوب اليمن وشمالها وهو الذي لم تعترف به اليمن وقد اجتاحته تركيا عام ١٩١٤ م .

ــ الخط الأحمر الأول بعد تعديله بإضافة خط أزرق مستقيم بين خط العرض عشرين وشمال قطر (اتفاقية يوليه ١٩١٣ م) .

ــ الخط الأحمر الدائري حول الكويت مع الإشارة بخطوط حمراء إلى الجزر الكويتية (اتفاقية يوليه ١٩١٣ م) .

ــ الخط الأحمر المقوس ، ثم مستقيم حول الكويت ، يحدد المناطق التابعة لحقوق القبائل الكويتية بالمراعي والتجول (يوليه ١٩١٣ م) .

ومعلوم أن جميع هذه الخطوط زالت بعد زوال الإمبراطوريتين اللتين وضعتاها

أسماء الربع الخالي وما يحيط به من صحاري وبوادي

كان **البريطانيون ثم العثمانيون** أول من اهتم بوضع الخرائط الحديثة نسبياً **لجزيرة العرب** ، بعد أن حددوا أسماء وأوصاف الصحارى المحيطة **بالرملة أو الرمال** ، كما يسمي أهل البادية المنطقة الرملية المقفرة الواقعة بين **نجد واليمن وعمّان** . وقد أطلق عليها **البريطانيون** اسم **امبتي كورتر أي الربع الخالي** . وذلك نتيجة لما سمعوا وشاهدوا من أن هذا الجزء الكبير من **جزيرة العرب** خالٍ من أية حياة أو نبات . ولما قدّروا أنه يشكل ما يقرب من مساحة ربع **جزيرة العرب** أطلقوا عليه اسم **الربع الخالي** ثم بدأ مترجمو الخرائط إلى العربية بنقل هذه التسمية السلبية بمعناها ، مما ساعد على اعتمادها من قبل أغلب المراجع الأجنبية الأخرى ، فأصبحت كلمة **الربع الخالي** مستعملة من قبل أهل الجغرافيا في الخرائط والمراجع الغربية ، ونستثني من ذلك الخرائط العثمانية ، وكذلك الإيطالية والفرنسية التي اطلعنا عليها وإحداها تعود لعام ١٧٢٠ م . وهي بداية حكم لويس الخامس عشر حيث اعتبرت تلك الخريطة كامل **جنوب جزيرة العرب** (**مملكة اليمن أو العربية السعيدة**) ROYAUME DU YEMEN OU L'ARABIE HEUREUSE وفقاً لما هو مسجل على تلك الخريطة التي لدينا نسخة عنها .

وتقدر مراجع دار المعارف البريطانية مساحة كامل **الجزيرة العربية** بمليون ميل مربع ، ومساحة **الربع الخالي** بمئتين وثلاثين ألف ميل مربع . أما **العرب** فلم يعرفوا هذه المنطقة بالتسمية الحاضرة المنقولة عن الإنكليزية ، وكذلك الخرائط العثمانية . وأما الخريطة الفرنسية المعتمدة من الجيش الفرنسي ، فكانت قد سجلت على كامل المنطقة اسم **جوف اليمن** .

الأحقاف

لقد أطلق أهل العلم من العرب على القسم الأعلى من **الرملة** والمتصل بها اسم **الدهناء** وأما القسم الأسفل فهو **الأحقاف** (وهناك ميل للاعتقاد بأن **إرم ذات العماد** كان موقعها في **الأحقاف** ، كما ذكرنا في مكان آخر ، وفقاً لما جاء على لسان الأخباريين الذين وصفوا هذه المدينة العجيبة ، التي جاء ذكرها بالقرآن الكريم) ، وقد اعتبر الأخباريون والمفسرون أنه توجد علاقة وثيقة بين أهل **عاد** الذين تمتعوا بثروة خيالية في بلاد طمرتها الرمال ، واستند العديدون إلى الآية الكريمة التي ربطت بين **عاد والأحقاف** وقوله تعالى : ﴿ واذكُر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ إلى آخر الآية الكريمة رقم ٢١ من سورة الأحقاف .

الرملة

أما بالنسبة لأهل البادية فظلوا يعرفون هذا القسم من الجزيرة كما رأينا تحت اسم **الرملة أو الرمال** ، ويفيدنا مكتشفوها من الأجانب بأن أحداً من أبناء البادية لا يعرفها باسم **الربع الخالي** ، وأن هذه التسمية مجهولة تماماً لديهم وبخلاف **الرملة** فإن الأراضي الصحراوية أو شبه الصحراوية الملاصقة **للرملة** ، فلكل منها اسمه وهو غالباً ما يكون متصلاً باسم القبائل التي تقطنها أو تتجول بأنحائها وتسيطر على آبارها النادرة .

والبدوي رجل صلب جبار لا يخشى الموت ولا يهاب الأعداء ، ويواجه العواصف الرملية ، وكأنها شيء طبيعي لا مفر منه ، إنما عندما يتكلم عن **الرملة** فكلامه يحتوي على شيء من الرعب والرهبة . ويفيدنا أول بريطاني يخترقها وهو **برترام توماس** بأن أهل البادية الذين رافقوه صرخوا **الرملة ، الرملة** وأسرعوا مبتعدين عن المنطقة التي يتميز بها **الربع الخالي** وذلك عندما اقتربوا من مكان معروف لديهم بأن تلك المنطقة هي من التي تحتوي على رمال مبتلعة ومتحركة وأصوات مخيفة تسمع بالقرب منها .

الرمال المغرّدة

ذلك أن أهل البادية قبل الإسلام وبعده يؤمنون بالجن . ولما كانت **الرملة** في أواسطها غير مأهولة من أي إنسان أو حيوان ، فهي بنظرهم لا بدّ وأنها مرتعاً للجن الذين يغنون فيها وتسمع أصواتهم في أطراف **الرملة** ، ذلك أنه عندما يقتربون منها كانت تصل في بعض الأحيان إلى مسامعهم أصواتٌ غير عادية كالغناء والصفير . وقد تحقق الرحالة البريطاني المذكور **برترام توماس** وهو أول مغامر أجنبي يقترب من **الربع الخالي** كما ذكرنا ، ثم يمر بأطرافه ويجتازه إلى الشمال الشرقي . قلنا لقد تحقق **توماس** من أن هناك أصواتاً وصفيراً كالغناء يخرج من بين الكثبان الرملية التي كثيراً ما تعمل بها العواصف ، ليصبح بعضها مجوفاً ، فعندما تعصف بها الرياح محمَّلة برمال البادية وترتطم بتلك الدخاليج يحصل تفاعل تخرج منه أصوات ، لا يعرفها من عاش في مناطق صحراوية أخرى لا تحتوي على هذه الظاهرة ، ومنهم أهل الصحاري الآخرون الذين ارتادوا البادية العادية التي تتخللها جبال وصخور ووديان وحتى طرقاقات وممرات كما هي الحال في شمال وجنوب **شبه جزيرة العرب** نفسها ، وكذلك في **الصحراء الكبرى في إفريقيا** . فهناك توجد إلى جانب الصحراء أراضٍ صخرية متحجرة ، أما هنا فرمال فوق رمال والمسافات شاسعة ، علماً أنه لم يكن في الماضي من الممكن قياسها ، وهي بالتالي فريدة ، وتفاعل رمالها مع الطبيعة فريد أيضاً . وهناك من فسّر هذه الأصوات بانجراف طبقة من الرمال فوق أخرى ، بفعل تفاوت درجات الحرارة الكبير بين الليل والنهار ، مما يؤدي إلى

الانزلاق وإلى أصوات غير مـألوفـة نـاتجـة عنـه ، لـذا أطلقوا عليهـا اسم الرمـال التي تغني SINGING SANDS أو **الرمال المغرّدة** ، وأفادوا أن أغنية الرمال قد تدوم لمدة دقيقتين .

وبالنسبة للأراضي الجرداء أو الرملية الأخرى المجاورة **للرملة** ، وتقع على أطرافها بل تحيط بهـا ، فيقسمها **العرب** إلى قسمين : النفود الكبرى والنفود الصغرى .

ويطلق على كامل المنطقة المنخفضة نسبياً اسم **الأحقاف** ويليها **البحر السافي** الذي قد تصل إليه بعض الأمطار . وتحتوي **الأحقاف** في بعض المناطق على تربة ممزوجة بـالرمـال ، مما يسمح للجمل أن يعيش فيها لاحتواء قسم من جوانبها على نباتات شوكية وشيء من الأعشاب ، عنـدمـا تتمكن رطوبـة **المحيط الهندي** من الوصول إليهـا عن طريق **وادي حضرموت** ، ذلـك أن **جبـال عُمان والمهرة وقـارة وجبال حضرموت** نفسها تقف حاجزاً دون وصول الرطوبة إلى ما وراءها بالنسبـة **للمحيـط الهنـدي** ، علماً بأن هناك بعض السيول تتدفق أحياناً من تلك الجبال باتجاه الصحارى الداخلية التي تتوسـط بين الجبال والدهناء ، كما أن مياه **ميزاب اليمن الشرقي** تغور باتجاه **الأحقاف** وما جاورها .

« الأرض التي لا يملكها أحد »

وعندما جاء ذكر **الربع الخالي** في مرجع علمي شامل وُضع عن **العرب** من قبل **جامعـة برنستـون الأمريكية** برئاسة الدكتور **فيليب حتي** أتى وصفه **للربع الخالي** بأنها « **الأرض التي لا يملكها أحد** » .

ويقول ناشر كتب العلامة **فيليب حتي** عن مؤلفه المعتمد عالمياً **تاريخ العرب** في طبعته السـابعـة الصادرة عام ١٩٨٦ بأن الأستاذ **حتي** رئيس قسم الدراسات الشرقيـة بجـامعـة **برنستون** الأمريكيـة ، استنـد في وضع كتـابـه إلى مـا لا يقل عن ألف مرجع ، وقـد حـدد في خريطـة **للجزيرة العربيـة** في الصفحة ٤٢ من تلك الطبعة أسماء الصحارى الكبرى التي تتوسـط **شبـه جزيرة العرب** ، وهي **النفود والدهناء والأحقاف والربع الخالي** .

وعندما أتى مؤلف **تاريخ العرب** على ذكر الصحراء الشاسعـة التي تغطي ربع الجزيرة قـال : « لم يجرؤ قبل **برترام توماس** أي أوربي على اختراق **الربع الخالي** ، **الأرض التي لا يملكها أحـد في الجزيرة العربية** » . ولما عدنا إلى تفصيل لتصنيف الصحارى في خريطة الأستـاذ **حتي** وجـدنـا أن الأسماء التي اعتمدها بالخريطة التي نشرها عن طبيعة سطح أرض **جزيرة العرب** ، فوجدناه يقسم البراري فيهـا إلى ثلاثة أنواع ويصفها بالاختصار كالتالي :

أولاً ـ **النفود** ، وهي قفار متسعة ذات رمال بيضاء أو محمرّة تسفيها الرياح فتجعل منهـا كثبـانـاً أو تلالاً .

ثـانيـاً : **الـدهنـاء** ، وهي أرض رمليـة حمراء تمتـد من **النفود** شمالاً إلى **الربـع الخـالي** جنـوبـاً . (نلاحظ أنه يعتبر **الربع الخالي** حداً قائماً بذاته) .

ثالثاً : **الحرّة** ، وهي أرض من الحجارة الرملية تعلو سطحها حمم البراكين القديمة .

وعلى سبيل المقارنة ، فإنهم قدروا مساحة **صحراء النفود الكبرى** وهي شمال **الربع الخالي** باثنتين وعشرين ألف ميل مربع ، ويذكرون أن **النفود الكبرى** مثلهـا مثل **النفود الصغرى** تحتوي على قليل من الواحات ، وتحصل في بعض مناطقهـا على شيء من الأمطـار ، ممـا يسـاعـد على مرعى المـاشيـة ، بعكس **الربع الخالي** المحروم تماماً من المياه .

اخبار اطراف الربع الخالي
جغرافياً وتاريخياً

أهل الجغرافيا وذكرهم للربع الخالي
وهو أكبر صحراء في العالم أجمع

الدهناء أو الرملة أو الربع الخالي وأيضاً الأحقاف بلاد الزهور وجوف اليمن

أجمعت المصادر الموثوقة والمراجع الجغرافية والرحالة المستشرقون على أن المنطقة الرملية الواقعة جنوب - جنوب شرقي **الجزيرة العربية** تشكل صحراء رملية لا تتخللها أية حواجز طبيعية أو اصطناعية ، وتشكل أكبر صحراء متصلة في العالم أجمع .

إنما اختلفوا بعض الشيء في تحديدها . وبالتالي قياس مساحتها ، ذلك أن بعضهم أدخل فيها أجزاء من المناطق الصحراوية التي لا تشكل رمالاً تتناقلها الرياح ، والآخرون اقتصروا على قياس المناطق الرملية التي لا تشتمل على أية تربة قابلة لنمو الأعشاب ، وإنما تتألف من كثبان من الرمال التي يصعب على الإنسان أو حتى على الجمل أن يجتازها ، والتي قد ترتفع فيها الكثبان على علو قد يصل إلى خمس مئة قدم ، كما تتلاعب بها الرياح العاصفة فتنقلها من مكان إلى آخر .

وأما **الأحقاف** فهي من الأراضي غير المغطاة بالرمال بكاملها ، وهي أقرب إلى البادية منها إلى الصحراء ، ويوجد بأعلاها منطقة مميزة أطلق عليها في الخريطة الفرنسية اسم **بلاد الزهور** ، وكذلك **جوف اليمن** (راجع الخريطة الفرنسية المرفقة ص ٥١٢) .

الدهناء

يطلق أهل البادية اسم **الدهناء** على جميع الأراضي الرملية المستطيلة الشكل التي تبدأ بشمال **النفود الكبرى** وتمتد بين **الأحساء ونجد** باتجاه الجنوب ، حيث تتسع وتمتد بجميع الاتجاهات . وتقدر دائرة المعارف البريطانية طول هذه الصحراء بمسافة ٨٠٠ ميل بين **النفود الكبرى والربع الخالي** .

مساحة الربع الخالي

إنما المنطقة الشاسعة والمعروفة الآن باسم **الربع الخالي** ، اختلف أهل الجغرافيا بتقدير مساحتها ، فمنهم من حسبها ست مئة ألف كيلومتر مربع ، ومنهم من وصل بها إلى ثمان مئة ألف كيلومتر مربع ،

وفقاً للمراجع الفرنسية . أما المراجع البريطانية فقدرتها ما بين ٢٣٠ ألف ميل و ٣٠٠ ألف ميل مربع ، واعتمد المرجع الرسمي العربي الذي ذكرناه بمكان آخر هذا الرقم وهو ٣٠٠ ألف ميل مربع .

ويفيدنا أحدث مرجع بريطاني لمؤلفه LEBKICHER ومعاونوه في مؤلفهم المذكور أدناه ، بأنهم يقدرون طول **الربع الخالي** بسبع مئة وخمسين ميل ، وأقصى عرض له يصل إلى أربع مئة ميل باعتباره بيضاوي الشكل ، ويحسبون كامل مساحته بمئتين وخمسين ألف ميل مربع . أما موقعه فيحددونه في الصفحة ١٢٦ من كتابهم كما يلي[1] :

« **جبال عمان** شرقاً ، ثم **جبال ظفار وحضرموت** . وحددوه غرباً بسفوح **جبال اليمن والعربية السعودية** » .



توضح هذه الخريطة التي نشرت في كتاب Roy Libkicher موقع الربع الخالي وعدم وجود أية حدود بين ج . ع . ي وبين صحراء الربع الخالي وبواديه

---

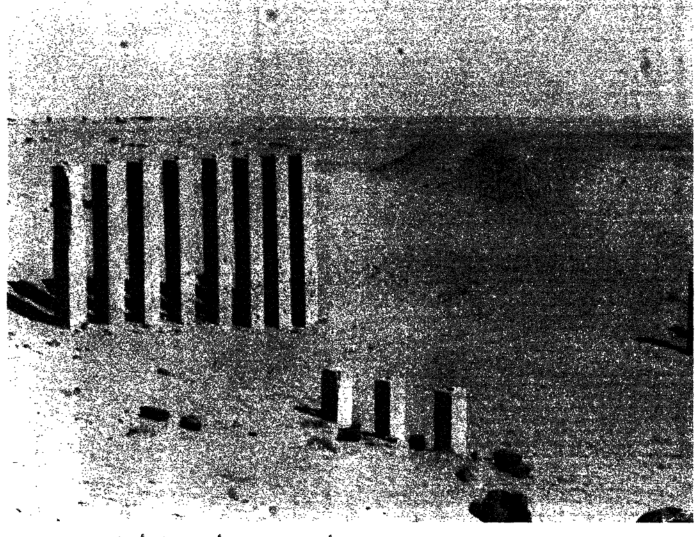
(١) P.126 THE ARABIA OF IBN SOUD BY LOY LEBKICHER, GEORGE RENZ, MAX STEINEKE. RUSSEL & MOORE Co, NEW YORK.



قافلة نقل الملح من صافر إلى مأرب
على أطراف الربع الخالي وإلى « سوق الملح » في صنعاء

سجل الرحالة المستشرق البريطاني (تيسجر THESIGER) بكتابه الذي وصف به رحلته عبر الربع الخالي يعاونه بأسفاره قبائل المشرق من آل رشيد وسواهم ما يلي :

« عرفت مدى اعتزازهم بأنفسهم وبقبيلتهم واحترامهم لكرامة الآخرين ، وكذلك كرم ضيافتهم التي تجلت ، بينما هم أنفسهم كانوا بحالة العوز ، وأيضاً اعتبارهم التعرف على الغريب بأنه من حسن الطالع . كما أنهم أسخياء بصرف المال الذي هم بأشد الحاجة إليه . وأما استقامتهم وشجاعتهم فهي مطلقة ، وكذلك مدى صبرهم وتحملهم المشاق ، وأيضاً تسامحهم مع طيبة النفس وانشراح الصدر » .



مثال واضح على إمكان طغيان الصحراء على الواحات والأراضي الزراعية وعلى أضخم المباني بأطراف الربع الخالي اليمنية



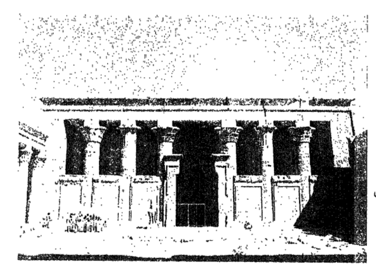
خريطة الجزيرة العربية كما رسمتها الجهات الفرنسية الرسمية

نلاحظ في الخريطة الرسمية كيف أن الخطوط الحمراء والزرقاء والخضراء التي سبق وضعها من قبل تركيا وإنكلترا في الأعوام ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ م ، والتي تعدلت باتفاقيات يوليه ١٩١٣ م قد زالت وابتعدت الخطوط الجديدة عن القديمة . وأصبحت الجزيرة العربية المقسمة بلون أحمر واحد . كما وضع حول الكويت خطوطاً تحدد المنطقتين الحايديتين . ومعلوم أن جميع هذه الخطوط قد تعدلت أو زالت بدورها استناداً إلى التفاهم الودي بين الأشقاء العرب .

وربما كان المكان الذي وضع بالخريطة تحت اسم (بلاد الزهور) هو الموقع الذي زهت فيه (إرم ذات العماد) وكانت عشرة فراسخ بعشرة .

سجلت الخريطة كلمة « جوف اليمن » في عمق المشرق اليمني متداخلاً مع الربع الخالي ، وهو يشتمل على صحراء الأحقاف وبحر السافي وبلاد الزهور . وقد لوّنا تلك المواقع المحيطة بالجوف اليمني بالأخضر .

معبد (أدفو) الذي ربما تزامن بناؤه مع بناء « إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » [الفجر ٨٩/٧-٨] والتي ربما طمرتها رمال الربع الخالي، وكانت مياهها تأتي من مخارج جوف اليمن حيث بني السد في المشرق اليمني ربما في القرن العاشر قبل الميلاد أو قبل ذلك .



معبد (أدفو) في أعالي وادي النيل وكان مطموراً تحت الرمال حتى ارتفاع يزيد على عشرين متراً ، كما هو ظاهر في وسط هذه الصفحة .



ويؤكد هذا الواقع وأمثاله إمكان طمر الرمال لمدينة ربما حصل بناؤها في العهد نفسه ، الذي تمّ فيه بناء « إرم ذات العماد » بأطراف الربع الخالي في منطقة (الأحقاف) أو في (بلاد الزهور) وهي التي ذكر الأخباريون أن أعمدتها ارتفعت مئة ذراع أي نحو ستين متراً ، وكانت تحتوي على عشرة الآف قصر ومحاطة بواحة عشر فراسخ في عشر أي ثمانون كيلومتراً من كل جهة وهو مايشكل مساحة تزيد على مساحة غوطة دمشق الشام . وذكر الأخباريون أنها كانت تقع في البلاد باليمن بين حضرموت وصنعاء . وكان شداد بن عاد قد أجرى إلى أرضه وادياً ساقه إليها تحت الأرض (نفق) أربعين فرسخاً - ٢٢٠ كيلومتراً . ثم أمر فأجرى من ذلك الوادي سواقي في تلك السكك والشوارع والأزقة تجري بالماء الصافي .

الاتصال بين المشرق والجنوب
والخليج عبر الربع الخالي

عاد وثمود

ولما كنا نعلم أن المنطقة الداخلية شمال **شبوة وحضرموت** تسمى حتى الآن **ثمود** ، وأن مركزها الإداري في (**ج ي د ش**) يحمل هذا الاسم التاريخي ، لذا أصبحنا نميل للاعتقاد أن بلاد **عاد** كانت مجاورة لها ومتعاونة معها ، عندما كانت طرق القوافل القديمة تصل بين **سبأ والجرها** على **الخليج العربي** ، وبالتالي يمكننا التأكد بعد أن حقق **برترام توماس** رحلته عبر **الربع الخالي** ، أن الاتصال بين داخل **اليمن والخليج** بمدة تقل عن شهرين كان أمراً معتاداً ، وكذلك فإن الاتصال بين عمق **اليمن وسبأ وثغور الخليج** ومنها **الجرها** كانت طبيعية رتيبة ، فإن تمكن الموظف المستشرق البريطاني **توماس** من اختراق **الربع الخالي** ابتداء من الساحل كما سنرى بمدة ٥٨ يوماً على الجمال ، فلا نستغرب أن يكون أهل القوافل المتأقلمين مع أسفار البادية كان بإمكانهم اجتياز المسافة التي تباعد بين **بلاد سبأ والخليج** بنصف تلك المدة وحسب ، وكان **سترابون** (٢٤ قبل الميلاد) الذي رافق الحملة الرومانية الفاشلة إلى **مأرب** قد ذكر ما يلي :

« ولقد أصبحت **السبأي والجرهاي** بما لهما من نصيب في تجارة الطيوب أغنى القبائل عامة ، فعندهما مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة إلخ ..» .

وهكذا نرى أن الربط بين **السبأي والجرهاي** يمكن تفسيره بأن هناك علاقة متماسكة بينهما ، لوجود اتصال طبيعي ، وربما كان فاصل وقت السفر بينهما لا يتجاوز الشهر الواحد ، وقد جاء في بعض المراجع العربية أنه كان يمتد إلى أربعين يوماً وحسب .

سبأ والجرهاي

واعتماداً على ما تقدم ونظراً للربط بين **السبأي والجرهاي** نميل للاجتهاد أنه كانت هناك درب أو أكثر تؤمن الاتصال مباشرة بين **سبأ والخليج** عبر **جنوب الربع الخالي** كما سبق وتوجد على طريق بعض مسالكه من بلاد **عاد** واحة مركزها « **وبار** » التي اندثرت وطمرتها الرمال ، وستظل كذلك إلى الأبد ، أو إلى أن يتمكن العلم بوساطة الصور التي تلتقط من الفضاء للتعرف على موقع « **وبار** » ،

وهو على ما يبدو ، ماتقوم به مؤسسة الفضاء الأميركية بوساطة مركبة الفضاء **تشالنجر** كما سنرى ، بالنسبة للتعرف على **الربع الخالي** من الأجواء العليا .

ويحق لنا أن نتساءل فيما إذا كانت قبائل **العبر** **والصيعر** اشتقت تسميتها نسبة لواحة وبار المندثرة والتي طمرتها الرمال ، وهل هذه القبائل تشكل بقايا **عاد** **وثمود** المذكورة بالقرآن الكريم ، والتي يعتبر واضعو تاريخ العرب القديم بأن **عاد** **وثمود** صُنِّفت **بالعرب البائدة** .

ومع ذلك لا يمكننا إهمال ما ذكره المستشرقون بقولهم إن **ثمود** قوم عرفهم التاريخ في مدونات **سرجون الثاني** (القرن الثامن قبل الميلاد) ، وعرفهم أيضاً كتاب اليونان والرومان باسم **ثموداي** ، كما التحق بجيش بيزنطة في القرن الخامس للميلاد فيلق من الخيالة **الثمود** ، وقد اعتبر هؤلاء الكتاب أن **شمال غربي الحجاز** كان يشكل بلاد **ثمود** التي اقترب منها **سرجون** في فتوحاته . إنما شيء لا يمنعنا من الاجتهاد أن أهل **ثمود** في الجنوب كانوا قد هاجروا إلى **شمال الحجاز** عقب اجتياح الرمال لبلادهم في مساكنهم الأصلية بجنوب الجزيرة ، وربما **إرم ذات العماد** كانت إحدى واحات **ثمود** أو إنها « **وبار** » التي تذكرها القبائل المجاورة **للربع الخالي** نقلاً عن الأجداد جيلاً بعد جيل .

أما **عاد** ، فإن المستشرقين يعتبرونهم من أهل جنوب الجزيرة باتجاه **حضرموت** . كما أننا لا نقر بأن أخبار **عاد** **وثمود** من الأساطير ، وقد جاء ذكرهما بالقرآن الكريم .

كما أننا لا نستغرب تغطية الرمال لواحة مزدهرة مهما اتسعت ممتلكاتها وأبنيتها واحتواءها على أرض كانت خصبة تكسوها الأعشاب والنخيل والأشجار الصحراوية ، لأننا نعلم اليوم علم اليقين مع الصور السينمائية كيف أن أجزاء كبيرة من أراضٍ تعود لدول معاصرة هلكت وتهلك بحكم زحف الصحراء عليها ، نتيجة لعوامل طبيعية وأهمها الجفاف المستمر ، لمدة طالت أكثر من المعتاد . كما أن العواصف الرملية الهوجاء قضت على المسالك وطمرت الآبار ، فاندثرت آثارها وهو ما حصل لأهل ثمود ، مما حمل من بقي من أهلها للنزوح . ولما وصل **سرجون** وكذلك أهل **بيزنطة** (الروم) إلى شمال الجزيرة كان بعض **الثموديين** قد استوطنوها ، بعد أن تصحَّرت بلادهم في عهد قديم ، ثم عرفوا فيما بعد في **بلاد الحجاز** **باللَّحانيين** الذين كانوا أصحاب حضارة وكتابة متقدمة كما أشرنا إلى ذلك ـ أما بالنسبة **لعاد** فنعلم أن بعض قبائل **اليمن** تعيد أنسابها إلى **شداد بن عاد** صاحب **إرم ذات العماد** ، ومنهم في اليمن قبائل **حاشد** **وبكيل** ومن انتسب إليها .

وهكذا فإن زالت بلاد عاد **وثمود** فإن أهلها لم يندثروا تماماً بل نزحوا وتفرقوا وانتقلت مدينتهم معهم بالسلوك ، وأيضاً بالكتابة والميراث الطبيعي للقابلية الحضارية كما أشرنا إلى ذلك .

هذا وقد أصبح موضوع الزحف الصحراوي في أيامنا يهدد العديد من البلدان وخاصة في

إفريقيا بأطراف الصحراء الكبرى ، وهو بالتالي من المواضيع التي تعالج حالياً على نطاق عـالمي . كما أن وزارة الزراعة اليمنية تعير هذا الأمر عناية خاصة . ونذكر على سبيل المثال وحسب الجهود الجبـارة التي يبذلها **القطر الجزائري** الشقيق لإنشاء حزام يمتد مسافة مئات الكليومترات يرمي لمحاولـة إيقـاف الامتداد الصحراوي الذي يطغى باستمرار على مساحات شاسعة مجاورة للرمال ، وبينها بطبيعـة الأمر واحات مزدهرة عامرة مهددة بالزوال إلى الأبد .

ومن الواضح لأهل المعرفة أن هناك حرباً في الطبيعـة دائمـة قـائمـة على أطراف الصحراء . فبينمـا تجلب الأمطار ثم السيول الطمي وحتى الحصى من الجبال باتجاه الصحراء لتحولها إلى أرض ذات تربـة معشبـة أو قـابلـة للاستثمـار الزراعي وللمرعى ، تقوم العواصف الرملية بعمل معـاكس حيث تقـذف الرمال بـاتجاه التربـة الخصبـة ، فتـارة تفوز السيول والطمي الـذي تحملـه على الرمـال فتبعـدهـا إلى صحرائها ، وطوراً تتمكن من التغلب على التربـة الخصبـة فتغطيهـا وتطمرهـا إلى حين أو إلى الأبـد . ويظهر مع الأسف أن الغلبة تـأتي مع الزمن لمصلحـة الصحراء . لـذلـك لا يستبعـد أن تكون المنـاطق اليمنية المجاورة للجبال وسيولها بـاتجـاه **الربع الخالي** من **جزيرة العرب** قـد شكلت في المـاضي البعيـد أراضٍ وواحات زاهرة ، ثم طغت عليهـا الرمـال التي قـذفت بهـا الصحراء الرمليـة المتحركـة ، بـاتجـاه اليابسة تماماً كما يحصل بين البر والبحر ، فتارة يتقدم البر ويطمر شيئاً من البحر ، وطوراً يمتص البحر شيئاً من البر ويتغلب عليه . وكما أن الغلبة مع الزمن كثيراً ما تكون على اليـابسـة لمصلحـة الصحراء ، فهي تكون في الساحل لمصلحة البحر الذي كثيراً ما قضى على شواطئ وموانئ عامرة معروفـة بمواقعهـا وأوصافها ، وأضحت أثراً بعد عين . ويؤكد لنا ذلك ما آل إليه مصير ميناء **قـانـا** الـذي كان عـامراً في **جنوب اليمن** على **المحيط الهندي** ، ثم تحول الآن إلى شاطئ خال من أيـة حيـاة وأصبح يُسمَّى **بئر علي** وحسب ، وهو الذي تعلوه خزانات ومجاري الري التي تم العثور على بقاياها على التلـة المعروفـة **بحصن الغراب** ، وعليه النقش المعروف الآن بهذا الاسم وهو الواقع فوق ميناء **قانا** المنـدثر ، وعليـه الرقُم التي ساعدت على تحديد موقع **قانا** ميناء جنوب الجزيرة المزدهر والذي جاء وصفـه بكتـاب **الطواف حول البحر الأرتيري** .

« وبار » المندثرة وهل هي « إرم ذات العماد »

سبق أن ذكرنا موقع **ثمود** ، وأن أحد مراكز المنطقة الداخلية من **حضرموت** باتجاه **الربع الخالي** تحمل هذا الاسم على خريطـة **ج.ي.د.ش. = الشطر الجنوبي** ولنـا أن نتسـاءل هل أن **ثمود** الحـاضرة هي كل ما تبقى من مراكز **عـاد وثمود** وهم **العرب البـائـدة** ، كما رأينـا واتفقت المصـادر على اعتبـارهم كذلك .

ويميل **برترام توماس** وهو أول أجنبي اخترق **الربع الخالي** من جنوبه إلى شماله كما أشرنا سابقاً للاعتقاد بأن **وبار** كانت مركزاً تجارياً بأطراف **الربع الخالي** حالياً ، ويقع على الطريق التي كانت تصل بين **اليمن وجرها** على **الخليج العربي** وهو المواجه **لبلاد فارس** .

لذا كان علينا أن نعود لسرد ما سجله **برترام** في الصفحة ١٦١ من كتابه عن **الربع الخالي** المذكور في مكان آخر .

قال **برترام توماس** أن البدو من **آل رشيد** الذين رافقوه في رحلته عبر **الربع الخالي** على الجمال أفادوا عندما وصلوا إلى أحد الممرات ، بأن ذلك المكان يشكل الطريق التي تؤدي إلى « **وبار** » وهي المدينة التي طمرتها الرمال ، كما أوضحوا له بأن « **وبار** » كانت وفقاً لما سمعوه من آبائهم مدينة زاهرة تحتوي على الأبنية وحدائق التمور ، كما كانت تحتوي على الفضة الصفراء (أي الذهب) ، إنما طمرتها الرمال ، بعد أن دب الفساد إلى أهلها ، فأهلكهم الله وحولهم إلى **نسناس** . وأفادوا بأن موقعها على مسافة عدة أيام إلى الشمال ، وقد حدد **توماس** موقع هذه الواحة وفقاً لما سمعه من مرافقيه ، وكما ذكره له العالم المستشرق **فيلبي** ، وقدّر أنه يمكن أن تقع هذه الواحة على تقاطع خط العرض ١٨ درجة وثلاثة أرباع وخط الطول خمسون ونصف درجة ، كما يعتقد **آل رشيد** أن « **وبار** » وربما « **عبار** » كانت المركز لأهل **عاد** ، ولنا أن نتساءل عن مصدر القول « **وأصبحت عبرةً لمن اعتبر** » ، وهل هو ناتج عن أخبار اندثار هذه الواحة بعد فساد أهلها وضلالهم .

التعرف على الربع الخالي
من قبل الرحالة الغربيين

اهتمت **بريطانيا العظمى** بالاستيلاء على أطراف **الجزيرة العربية** ، خاصة بعد أن أصبحت طريق الإمبراطورية إلى **الهند** تمرُّ **بقناة السويس** ، ثم ازداد اهتمامها بتلك الأراضي وبالجزيرة بكاملها بعد زوال **الإمبراطورية العثمانية** بنهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ م ، واستغلال النفط من **إيران** ثم من **العراق** ١٩٢٧ م ، وكذلك بناء المصافي في **البحرين** .

وكان **البريطانيون** قد تعرفوا على **الجزيرة** قبل الحرب العالمية وبعدها ، وتمركزوا على سواحلها ، فأحاطوها ابتداء من **الكويت** شمالاً إلى **عُمان ومسقط والجنوب اليمني** وحتى **جزيرة كمران** في البحر الأحمر غربي اليمن .

لكن المنطقة الصحراوية الواقعة بين **أعماق الجنوب وأطراف نجد وعمق اليمن** ظلت مجهولة ، وهي التي كانوا قد أطلقوا عليها اسم **الربع الخالي** . ثم ظل حلم اقتحام هذا **الربع الخالي** يراود بعض المغامرين ، لإرواء ظمئهم لزيادة المعرفة ، وليكتسبوا الشهرة العالمية ، بأنهم كانوا أول من اقتحم أو عبر هذه المنطقة الجافة الرهيبة ، لاسيا وأن اكتشافهم لها يؤدي خدمة للإمبراطورية التي كان **البريطانيون** يتسابقون للحصول على شرف خدمتهم لها ، نظراً لما يخلفه عليهم ذلك من جاه وتقدير . وربما ادعاء الملكية وفقاً للمفاهيم الاستعمارية التي كانت القاعدة مما شجعهم للإقدام على المغامرات .

المكتشفون والكتب التي سجلوا فيها معلوماتهم ومعاناتهم ومطالعاتهم

ظل إلى عهد قريب نسبياً أمر التعرف على الطبيعة بالوصول إلى **الربع الخالي** الوسيلة الوحيدة للحصول على المعلومات الموثوقة ، وكان ذلك طبعاً قبل تطور الطيران وأجهزة التصوير وسائر الأدوات والآليات المتقدمة التي تساعد للتعرف على سطح الكرة الأرضية وحتى على ما في باطنها بواسطة الأجهزة المعقدة التي تعمل من الأجواء ، ثم اتسعت المعرفة أخيراً حيث تمكنوا من الحصول على معلومات دقيقة بواسطة الأقمار الصناعية المتعددة والمتخصصة والتي من شأنها المساعدة على وضع الخرائط الصحيحة لكل ما يتعلق بالكرة الأرضية برها وبحرها ، وحتى كل ما يتعلق بجوها ككل ، بما في ذلك ما يتعلق بسرعة واتجاه رياحها ونوع تربتها ، وأعماق بحارها وتركيبها الجيولوجي وتاريخه .

إنما الذين سبقوا هذه المرحلة اتصلوا بأهل أطراف الربع الخالي « **الرمال** » الذين عرفوا بعض مسالكه وأخباره لمساعدتهم على اقتحامه ، وتدوين ما شاهدوه وما سمعوه ، فكان لهم فضل الاكتشاف ، واستحقوا أن نذكر لهم ماسجلوه لنا ، وهو لا يخلو من أهمية ، بالرغم من أنه أصبح بدائياً نسبة إلى ما وصل إلى معرفته نخبة من أهل العلم والجهات العليا المهتمة بالبحث عن موارد طبقات الأرض ، وكذلك لاعتبارات عسكرية لاستعانتهم بوسائل ومعلومات دقيقة لم تكن متوفرة في الماضي .

وقد تبين لنا أن مكتشفي **الربع الخالي** من الأجانب الذين سجلوا مغامراتهم ومعلوماتهم هم ثلاثة من البريطانيين .

برترام توماس BERTRAM THOMAS

كان **برترام توماس** قد شغل مناصب عليا في بلدان الشرق الأوسط في خدمة الإمبراطورية البريطانية ، ومنها وزير لدى عظمة سلطان مسقط وعُمان .

تجول **برترام توماس** حول **الربع الخالي** منذ عام ١٩٢٦ م ، وفي عام ١٩٣١ م اجتاز **الربع الخالي** من الجنوب إلى الشمال بمساعدة دليل من آل رشيد ، حيث اتخذ الطريق الداخلية التي تبدأ من **صلالة** على المحيط الهندي إلى **ميناء الدوحة** في شبه جزيرة قطر على الخليج العربي ، وبعبور **توماس** الربع الخالي من مصدر (اللّبان والمرّ) في **ظفار** إلى **أطراف الخليج** مستعملاً الجمال وسيلة نقل ، أثبت بشكل قاطع إمكان اجتياز هذه الصحراء من طرفها الجنوبي ، وهو ما كان يشكل إحدى طرق قوافل اللّبان والتوابل وسواها باتجاه شمال شرقي **الربع الخالي وبلاد فارس** بواسطة **ميناء جرهاي** المركز التاريخي الزاخر . ودامت رحلته هذه ثمانية وخمسين يوماً تعرف أثناءها على جميع المراحل ، ولا نقول الواحات ، لأنها ليست كذلك ، وشاهد الدروب التي طمرتها الرمال ، واستمع إلى أخبار أهل البادية المتصلين بالربع الخالي الذين رافقوه . ثم وضع كتاباً من ٣٠٤ صفحات هو الأول من نوعه ، يحتوي على خريطة للدرب الذي سلكه بين **صلالة والدوحة** عبر المناطق الصحراوية الملاصقة **للربع الخالي** ، وأعطى لكتابه عنواناً ملفتاً للنظر وهو :

(العربية السعيدة عبر الربع الخالي في جزيرة العرب)

(ARABIA FELIX ACROSS THE EMPTY QUARTER OF ARABIA)

وقد نشر الكتاب في **لندن** عام ١٩٣٨ عن « **دار النشر READERS UNION** » ، كما احتوى الكتاب على تحديد المسلك أو الممر الذي شرح له دليله بأنه يؤدي إلى واحة **وبَار** المندثرة تحت الرمال ، كما شرح تفسيره للغناء الذي يحصل بتفاعل الرمال ، وهو ما أطلقوا عليه بالإنكليزية اسم (الرمال المغردة) كما سنرى .

وكذلك جرَّب بواسطة سلك من المعدن الرمال الناعمة التي ابتلعته حالاً عندما رمى به على سطحها ، وقد أطلق على هذا النوع من الرمال بالإنكليزية اسم (الرمال السريعة QUICK SAND) . وقد قدر **توماس** مكان **وَبار** المطمورة بأنه يقع على تقاطع درجة الطول خمسون ونصف مع درجة تقارب تسعة عشر عرض شمال كما رأينا .

هاري سان جون فيلبي H.S.JOHN PHILBY

وكان ثاني مكتشف بعد **توماس** هو **فيلبي** المستشار البريطاني المشهور بعهد الملك **عبد العزيز آل سعود** . لا شك أن هذا المستشرق العالِم والسياسي الخطير هو أكثر الغربيين اطلاعاً على جزيرة العرب وكل ما يتعلق بها وبتاريخها القديم ، بما في ذلك تاريخ اليمن وسائر جنوب الجزيرة . وكان لمدة طويلة من المقرَّبين للملك **عبد العزيز** ، وشكل صلة وصل بين **بريطانيا** و**عاهل السعودية** . كما زار **فيلبي** اليمن أكثر من مرة ، وتعرف على علامات الحدود واحدة بعد الأخرى ، التي كان وضعُها **شمال اليمن** مع **المملكة العربية السعودية** على أساس معاهدة الطائف ، وسجل ذلك في كتابه (ARABIAN HIGHLANDS) ولا نعلم ما هي دقة معلوماته واجتهاداته في هذا المجال . كما وضع **فيلبي** أكبر عدد من الكتب عن **الجزيرة العربية** وعالج أوضاعها عن علم ومعرفة ودهاء . ومن مؤلفاته (بنات سبأ SHEBA'S DAUGTERS) الصادر عام ١٩٣٩ م عقب رحلة قام بها من **جنوب الجزيرة** الخاضع آنذاك للاحتلال البريطاني إلى **الحجاز** مروراً بالمشرق اليمني ، وكان **فيلبي** قد استوعب الكثير مما كان قد اطلع عليه أكبر مستشرق درس تاريخ **اليمن القديم** ، واستحصل على أعظم مجموعة من النقوش والآثار وهو **أدوارد جلازر** النمساوي . فإن كان **جلازر** أكثر المستشرقين جمعاً واطلاعاً على تراث اليمن القديم ، فإن **فيلبي** كان خير من استغل معلومات **جلازر** لوضع كتابه (بنات سبأ) ، والإشارة إلى **اليمن القديم** في مؤلفاته وجمع مئات النقوش الأخرى ، ومن بينها النقش الذي عثر عليه في **جنوب الرياض** في **مأسل الجمح** قرب **الداودمي** المذكور بمكان آخر (ص : ٢٢٢) والذي يعود للتبع اليمني **أبو كرب أسعد** .

كتاب فيلبي عن الربع الخالي :

يقول **فيلبي** في كتاباته ، ومنها مؤلفه تحت عنوان « الربع الخالي THE EMPTY QUARTER » الصادر عن دار (CONSTABLE AND CO LONDON) عام ١٩٣٣ م ، والذي يحتوي على صور وخريطة توضيحية ، ويتألف من ٤٣٣ صفحة أنه كان يحلم منذ عام ١٩١٨ م باجتياز **الربع الخالي** ، ليكون أول غربي يتعرف على هذه المنطقة المجهولة ، لكنه يعترف بأن صديقه ومنافسه

برترام **توماس** سبقه عام ١٩٣١ باكتشاف الصحراء المجهولة بالنسبة للغربيين ، وفي عام ١٩٣٢ تمكن **فيلبي** من تحقيق أمنيته بعد عام واحد من منافسه **توماس** .

وقد استعمل **فيلبي** لتحقيق أمنيته السيارة والجمال لمساعدته ، وهكذا تمكن من اجتياز **الربع الخالي** من الغرب ، أي من أسفل **وادي الدواسر** حتى شمال بلاد **المهرة** في الشرق ، وكان اختراقه لهذا البحر من الرمال عن طريق مسالك معروفة من القبائل مما سمح له باستخدام السيارة في اكتشافه حيث سار بمحاذاة خط العرض عشرين من **الربع الخالي** . أما **توماس** فكان قد اخترقه من الجنوب إلى الشمال الشرقي على الجمال كما ذكرنا .

ويفيدنا **فيلبي** في كتابه المذكور أعلاه الذي سرد فيه أخبار مغامرته عبر **الربع الخالي** أنه اتخذ درباً تمر شمال خط العرض عشرين وتنتهي تحته بقليل ، وقد بدأ رحلته من خط الطول ٤٢ إلى خط الطول ٥٢ درجة أي أنه اعتبر **الربع الخالي** ممتداً إلى مسافة عشر درجات بالقرب من خط العرض عشرين .

ويمكن اعتبار ما كتبه **فيلبي** عن **الربع الخالي** رواية خيالية لواقع عاشه هذا المغامر البريطاني العالم ، ونذهب بعيداً بالقول إن الذي يرغب بالتعرف على **الجزيرة العربية** ، وأيضاً السياسات التي تلاعبت بها ، وكذلك نشأة **المملكة العربية السعودية** وفتوحات المغفور له الملك **عبد العزيز** وأعماله الهامة ، وأيضاً تاريخ حركة الموحدين الوهابية وغير ذلك ، فعليه أن يطلع أولاً على ما كتبه **فيلبي** وهو كثير ، تماماً كالذي يرغب بالتعرف على أقصى ما هو معلوم عن تاريخ **اليمن القديم** ، عليه أن يطلع على حصيلة **أدوارد جلازر** وهذا أمر عسير ، ذلك أن حصيلة **جلازر** موزعة بعضها معلوم والآخر مجهول ، بخلاف كتابات **فيلبي** الحديثة العهد وآخرها يعود لعام ١٩٥٤ بعد أن كان الملك **عبد العزيز** قد أبعده عن المملكة ولجأ إلى **لبنان** ، حيث سنحت لنا الفرصة للتعرف على هذا المرجع **لجزيرة العرب** شخصياً ، وتحققنا من وضوح ودقة ذاكرته ، وكان قد تجاوز السبعين من عمره وهو ممتلئ حيوية ورغبة في الاطلاع .

ويلفريد سيزيجير WILFRED THESIGER

كان هذا المغامر المستشرق آخر البريطانيين الثلاثة الذين اجتازوا أو عبروا **الربع الخالي** وهو مؤلف كتاب (الرمال العربية ARABIAN SANDS) الصادر عام ١٩٥٩ في **لندن** عن دار النشر (LONGMAN) ، وهو ابن وزير بريطانيا العظمى المفوض المعتمد **بأديس أبابا** عاصمة **الحبشة** ، وكان بحكم نشأته في **أثيوبيا** وثم استلامه بعض مناصب الإمبراطورية في **السودان** ، وتنقله في

الدناكيل واجتماعه بالمسؤولين عن مكافحة الجراد ، قد شعر كما يقول بشوق للتعرف على **الربع الخالي** . ثم كانت ترجمة كتاب **سيزيجير** المذكور إلى الفرنسية تحت عنوان (صحراء الصحارى) .

وبالفعل تمكن هذا المغامر البريطاني من التجول في أنحاء **الربع الخالي** جنوباً ، ثم دار حول **الربع الخالي** بكامله ، وهكذا أصبح الوحيد الذي طاف حول **الربع الخالي** حيث بدأ رحلته من الجنوب ثم الجنوب الغربي ، شرقي اليمن ثم الشمال جنوب نجد ، ثم شرق الربع الخالي ، ليعود إلى الجنوب . وذكر أنه شاهد الرمال التي تبتلع من يمر عليها غربي **عُمان** في صحراء **أم السميم** .

وهو كما يقول في كتابه لم يكن يفكر بوضع كتاب عن رحلته ، ولم يسجل كامل تحركاته بدقة خلافاً لما فعله زميلاه اللذان سبقاه ، أي **توماس** و**فيلبي** . وهكذا كثيراً ما اعتمد على ذاكرته لوضع كتابه مع الخرائط التي احتوى عليها هذا المرجع ، وهو مؤلف من ٣٢٦ صفحة مضافاً إليه خريطة كاملة توضح المسالك التي مرّ بها ، ليطوف حول **الربع الخالي** ، والتعرف على الكثير مما كان يرغب الاطلاع عليه ، وكان ذلك في الأعوام الأربعة بين أعوام ١٩٤٦ و ١٩٥٠ م .

الأرامكو

بعد أن اتسع نطاق الامتياز الممنوح للشركة العربية الأمريكية المعروفة تحت اسم ARAMCO ليشمل مساحة شاسعة من **الربع الخالي** ، جهزت **الأرامكو** (الشركة العربية الأمريكية) بعثة للبحث والتنقيب في عمق « **الرملة** » زودتها بمعدات وآليات صممت خصيصاً لأداء مهمتها التي تحتاج إلى تكييف الهواء الملائم ، ليتمكن الخبراء والعمال من تحمل قساوة الجو ، ونشرت آنذاك صوراً لمحطة الأبحاث المحاطة بكثبان الرمال . ويبدو أن مهمة البعثة كانت مقتصرة للتعرف على طبيعة تلك المنطقة جيولوجياً ، وتقدير ما يمكن أن تحتوي عليه من مخزون موارد الهيدروكربير بأنواعه وغير ذلك .

وإن نشرت **الأرامكو** صورة المحطة فلا نعلم ولا نظن بأنها نشرت نتائج أبحاثها ، علماً بأنها نشرت إلى جانب الصورة رسماً لطبقات الأرض في تلك المنطقة . وإننا نعتبر من البديهي أن مثل تلك النتائج تظل ملكاً للمكتشف يحرص على الاحتفاظ بها .

شركة أكسون الضخمة واستعدادها لصرف المال إذا كان النفط لن يخرج (وربما كانت الغاية الحد من تخمة الإنتاج وتأثير ذلك سلبياً على الأسعار)

كما نذكر هنا ما جاء بكتاب **دافيد هاودون** DAVID HAWDON صفحة ٢٤ نقلاً عن **بلير** BLAIR أن شركة **أكسون** الأمريكية ، وهي إحدى الأربعة الكبار كما يسمونهم اليوم ، كان **موقفها**

عندما اطلعت على إمكانات مخزون النفط الكبير في عُمان ، أنها مستعدة لصرف المال إذا ما تأكدت من أنه يؤدي إلى عدم إيجاد النفط هناك . وذلك حسب اجتهادنا وافتراض حسن النية لتفادي حصول تضخم بالإنتاج وانعكاسه على الأسعار[1] .

التعرف على الربع الخالي من الأجواء العليا

ولقد علمنا أخيراً من إحدى كبريات الصحف في مقال[1] ، جاء فيه أنها اطلعت على تقرير يعود لشهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٤ ظل سرياً مدة ثلاثة أعوام كانت قد وضعته إدارة الأبحاث الفضائية الأمريكية مفاده أن مركبة الفضاء **تشالينجر** كانت قد اكتشفت بواسطة كاميرات الاستطلاع الفضائي على أن منطقة **الربع الخالي** شكلت في الماضي السحيق موطناً لنهر قديم تدفقت مياهه في مجرى امتد طوله لمسافة ألف ميل ، ولما استفسرت الجريدة عن ذلك من مصدر رسمي أفاد أنه لا توجد حتى الآن خرائط عن **الربع الخالي** . وأن هناك دراسة للخرائط تعكف عليها وزارة البترول ، كما أفاد هذا المسؤول العربي[2] بأن **الربع الخالي** يتكون من منطقة شاسعة مليئة بالرمال وتبلغ مساحتها ٣٠٠ ألف ميل مربع ، وتقع **بجنوب المملكة** ، ويعتقد المصدر المذكور[2] أن المنطقة مليئة بالزيت الخام بالإضافة إلى الآثار التاريخية .

---

(1) WHEN THE POSSIBILITY OF FINDING RESERVES IN OMAN WAS DISCUSSED, EXXON'S ATTITUDE WAS THAT THEY PUT MONEY IN IT IF IT WAS CERTAIN THAT WEREN'T DOING TO GET SOME OIL (Blair, 1877 P.133 Quoting Howard Page of Exxon).

(2) THE CHANGING STRUCTURE OF THE WORLD OIL INDUSTRY, P.24

(١) جريدة الشرق الأوسط الصادرة بلندن بتاريخ ١٩٨٦/١١/١٧ م.

(٢) هو وكيل وزارة المعارف لشؤون الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية .

العودة للتحدث عن إرم ذات العماد بعد أن اطلعنا على أوصاف الربع الخالي واكتشافه والكتابة عنه مطولاً من قبل ثلاثة من المغامرين البريطانيين

الربع الخالي ومدينة إرم

رأينا مما سبق أنه ظلت هذه المدينة المندثرة أسطورة خيالية إلى أن جاء ذكرها بالقرآن الكريم وكان قد روى الأخباريون عن **العرب البائدة** أنها كانت لأهل **عاد** وأن **شداد بن عاد** بناها في **الأحقاف** التي تقع بأطراف **الربع الخالي** في بقعة زراعية أجرى إليها المياه مساحتها عشرة فراسخ في عشرة فجعل جدرانها من الجزع اليماني وغشاها بصفائح الفضة المموهة بالذهب ، وبنى داخل المدينة مئة ألف قصر على عمد من الزبرجد والياقوت طول كل عامود مئة ذراع ، وأصبحت تعرف باسم **إرم ذات العماد** . كما نقلنا ذلك قبل هذا تفصيلاً تحت عنوان آخر .

إرم ذات العماد وفقاً لما جاء بدائرة المعارف الإسلامية

ولمحاولة التعرف على موقع **إرم** وهل هي في الجنوب وأطراف الربع الخالي ، وربما كانت مزدهرة قبل قيام **دولة معين** ، بفضل موقعها على الطريق إلى الخليج ، وبفضل ما كانت تحتوي عليه تلك البقعة من الفضة الصفراء (الذهب) ، كما رأينا على لسان **آل رشيد** الذي رافقوا الرحالة **توماس** .

لجأنا إلى دائرة المعارف الإسلامية التي أطلعتنا على مايلي :

« إن المسلمين كثيراً ما يجعلون **إرم** تشير إلى جنوب بلاد العرب الذي كان قوم **عاد** ينتسبون إليه . وكان **لعاد** ابنان **شداد وشديد** ، فلما مات **شديد** خلص الأمر **لشداد** وملك المعمورة ، ودانت له ملوكها ، ولما سمع بحديث الجنة ابتنى على مثالها مدينة في بعض صحارى **عدن** ، وكانت حجارتها من الذهب والفضة ، وأسوارها محلاة بالحجارة الكريمة .. إلخ .

وإننا نميل للاجتهاد أن كلمة **عدن هنا كانت تشير إلى جميع المناطق الجنوبية (العدنية) من الجزيرة .**

ولما أنكر شداد ما دعاه إليه النبي **هود** عزم على الخروج إلى مدينته جاءته صرخة من السماء قضت عليه وعلى قومه ، وهم على مسيرة يوم من **إرم** وغارت تلك المدينة في جوف الرمال .

هذا ونعتبر الإشارة إلى أنها غارت في جوف الرمال تبعد بنظرنا نهائياً اجتهاد البعض أن **إرم** كانت قائمة مكان **دمشق** ، ذلك أن **دمشق** ليست متصلة بأية رمال فهي مبنية على سفوح جبل قاسيون ومحاطة لمسافات بعيدة **ببادية الشام** وهي ليست صحراوية وهو ما تؤيده الروايات التالية .

اجتهاد حول إرم ذات العماد
وموقعها على أطراف الربع الخالي

تساؤل حول أطراف الربع الخالي والمشرق اليمني

وهل شكلت بلاد الأحقاف وبلاد الزهور في المشرق اليمني بأطراف الربع الخالي ممالكاً زاهرة في الماضي السحيق بعهد شداد بن عاد ثم أتى عليها الجفاف بسبب الزحف الصحراوي مما قضى عليها وشرَّد أهلها وهم قبائل عاد وثمود ؟

ويمكن أن نقارن بين المأساة الطبيعية نتيجة للجفاف الذي استمر وهو الذي تعرضت له بلاد (الساحل) بأطراف (الصحراء الكبرى) الأفريقية في السنوات القليلة الماضية حيث توفي إثر هذه الكارثة العديد من السكان وهلكت الماشية بمئات الآلاف بعد جفاف مراعيها ، وقد تشرد أصحابها وتحولت مساحات شاسعة من أراضٍ ذات زرع وأشجار ومراع إلى أرض صحراوية رهيبة المنظر . وقد نشرت المجلات والتلفزة صوراً مؤلمة كما آلت إليه تلك البقاع والبوادي الآهلة سابقاً . وقد هلك الكثيرون بالرغم من المساعدات الإنسانية الخيِّرة ولم تتمكن تلك المساعدات من الحؤول دون تصحُّر مئات الكيلومترات المربعة في البلدان المجاورة للصحراء الكبرى الأفريقية .

ولا نستبعد أن تكون كارثة طبيعية مماثلة أو أكثر منها ضراوة قد حصلت في عهد قديم لأهل النبي هود وشرَّدت عاداً وثمود لا سيما وأنه توجد في القرآن الكريم إشارة لذلك وهو الأمر الذي يفسح مجالاً للاجتهاد بأن شداد بن عاد كان قد بنى مدينة خيالية الأوصاف هي إرم ذات العماد التي نميل للاعتقاد بأن رمال الربع الخالي الرهيبة هي التي طمرتها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعثات الآثار التي تعمل حالياً في المشرق اليمني عثرت وفقاً لما بلغنا على بقايا جدار تحت التربة والرمال يمتد طولاً إلى أكثر من مئة كيلومتر . ولنا أن نتساءل فيما إذا كان قد حصل بناء هذا الحائط المترامي الأطراف كحاجز لمنع امتداد الزحف الصحراوي أو لجمع مياه الميزاب الشرقي لتحويلها بنفق عظيم ينقل المياه تحت الأرض لحمايتها من التبخُّر لإيصالها إلى بلاد الزهور أو الأحقاف وذلك وفقاً لما رواه ياقوت عن إرم ذات العماد ـ كما سبق ـ التي شيدها شداد بن عاد عندما دانت المعمورة لهذا الملك الأسطوري الأهمية .

اجتهاد وتكملة للتساؤلات

عن ﴿ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ [الفجر ٨٩/٧ ـ ٨]

وهل هي في الأحقاف التي جاء ذكرها بكتاب الله الكريم وهي بأطراف الربع الخالي ؟؟

وهل حاجز المياه الضخم الذي اكتشفت آثاره في بادية الجنتين له صلة ببلاد الزهور في أعماق المشرق اليمني ؟؟

بعد أن اطلعنا على أوصاف **الربع الخالي** وأطرافه وأخباره وصلته باليمن باعتباره ممراً قد استعملت مسالكه لإيصال **مشارق اليمن بساحل الخليج وميناء الجرها** الذي ذكره **الإغريق** ، بأنه يشكل مع **مأرب** أغنى بلاد العالم قاطبة . رأينا أن نحاول البحث عن **إرم ذات العماد** التي لم يعد وجودها من نسج الخيال والأساطير قبل الإسلام ، بعد أن جاء ذكرها بالقرآن الكريم ، ثم جاء وصفها على لسان المفسرين .

تمهيد

نعلم اليوم علم اليقين مكان **سد مأرب** القديم **والجنتين** ، وقد كان اكتشاف آثار السد من قبل الغربيين منذ أكثر من مئة عام على يد الصيدلي الفرنسي **أرنو** . ثم جاء العهد الجديد ليبني بالقرب من السد القديم سداً جديداً كان تدشينه في نهاية عام ١٩٨٦ م كما هو مذكور بهذا الكتاب .

ثم علمنا أخيراً أن إحدى بعثات الآثار اكتشفت بالقرب من السد حاجزاً ضخماً سبق إنشاؤه مرحلة بناء السد ، وهو السد الذي يعود على الأغلب لبداية القرن العاشر قبل الميلاد أي إلى قبل ثلاثة آلاف عام .

ونعلم أن مكان السد يرتفع عن سطح البحر بألف ومئة متر ، وكان حساب المساحات التي تغذي السد بالمياه وهي فسيحة ، قد تزيد مياهها في سنوات الخير بالأمطار الغزيرة عن إمكانات استيعابه ، وكذلك إمكانات استيعاب السد القديم .

وقد أخبرنا أهل الجغرافيا الذي درسوا مناطق المشرق اليمني والربع الخالي ، أن هناك مناطق صالحة للمرعى تنخفض عن مكان السد بكثير ، حيث ارتفاعها عن سطح البحر لا يزيد على أربع مئة متر أي يصل إلى سبع مئة متر دون مستوى **الجنتين** ، كما أن هناك منطقة تصلها المياه الجوفية بعد رفعها من الآبار سميت **ببلاد الزهور** .

ونعلم أيضاً أن **بلاد الأحقاف** تصلح للمرعى ، وتحتوي على المياه الجوفية ، وهي منخفضة بالنسبة لمخارج مياه الميزاب الشرقي لليمن ، حيث يزيد ارتفاعه على ألف متر عن سطح البحر في مخارج **الجوف** ، وكذلك بموقع السد كما رأينا .

إذن لا شيء يمنعنا من الاستنتاج أن المياه الغزيرة التي تغور في المشرق اليمني وهو مرتفع تصل إلى بعض البراري إلى سطح الأرض أو إلى تحت سطح الأرض بقليل حيث يمكن استخراجها بحفر الأقنية أو الآبار .

من هنا جاء الاجتهاد التالي :

أقام قدماء **المصريين** في أعالي **وادي النيل** وواحاته منشآت حضارية مذهلة ، وكان من الصعب تصديق صحة وجودها وأهميتها لتشييدها منذ أكثر من خمسة آلاف سنة (بناء أهرام الجزيرة الأكبر يعود إلى عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد) ، وقد أكد خبراء الآثار بأن بناء الأهرامات في أعالي النيل ومنها **سقارة** سبقت بناء **أهرامات الجيزة** بمدة طويلة ، وأن مدنية الفراعنة بدأت في الجنوب وهو الأقرب من **بلاد أكسوم وجنوب الجزيرة** . ثم اندثر **الفراعنة** وزالت معالمهم وحتى لغتهم ، وبقيت أخبارهم التي تلاعب بها الأخباريون ، وجاء أهل المعرفة ليصبحوا مختصين بالآثار الفرعونية ، وليكتشفوا ما كان بعيداً عن التصديق ولا زال مدهشاً ولغزاً ، ولم تظهر كامل معالمه .

فما الذي يمنع من الاجتهاد أنه كان قد حصلت في تلك المرحلة من التاريخ القديم مرحلة حضارة وتقدم ، حققها القوم الذين تعاملوا مع بناة الأهرامات والمعابد الخيالية ، وقاموا بأعمال مماثلة لها من حيث الأهمية إنما بهندسة ومفاهيم مختلفة عن **الفراعنة** ، علماً بأن هناك من يميل للاجتهاد بأن أوائل الفراعنة وصلوا هم أنفسهم من بلاد متحضرة سبقت إنشآتها إنشآتهم ، وهو مما لا نستغربه ، لاعتبار الفراعنة بأن بلاد اللبان هي المقدسة لديهم ، وما تقديسهم لها وعنايتهم بمنتوجاتها ، إلا لأنهم ربما كانوا قد وصلوا منها قبل استقرارهم عن طريق **أكسوم** أولاً بأعالي **وادي النيل** ، وذلك قبل سيرهم منه شمالاً باتجاه مصبه في **البحر الأبيض** ، وتوحيد حكمهم لكامل الوادي بمرحلة لاحقة ، وبناء عاصمتهم **شمال الدلتا** .

الموقع

وهكذا أصبحنا نميل للاعتقاد أنه حصل في عهد العرب البائدة **عاد وثمود** ازدهار حضاري منقطع النظير إلا في **مصر** وبلاد **ما بين النهرين** وربما قبل **مصر وبابل** . وكان موقع **عاد وثمود** كما تشير إليه الأسماء إلى يومنا هذا هو في المشرق اليمني .

وبعد أن اطلعنا على تفسير الآيات القرآنية الشريفة عدنا إلى **ياقوت** وسواه ، الذين نقلوا إلينا أخبار المخبرين مع علاّتها ، وذهبنا بذلك إلى الاجتهاد والاستنتاج ، وكذلك إلى المفسّرين الموثوقين .

أخبرنا **ياقوت** أن **إرم** هي من بناء **شداد بن عاد** ، وعلمنا من عدة مراجع أن **عاد** هي من المشرق اليمني ، كما أن القرآن الكريم جمع بين **عاد وثمود** مراراً ،. وقد تقدمت **ثمود** على **عاد** في بعض الآيات الكريمة ، كما تقدمت **عاد** على **ثمود** في آيات كريمة أخرى ، مما يدل على التقارب بينهما .

كما أن جغرافية **بطليموس** لم تباعد بين ديار **عاد** وديار **ثمود** .

أما **التفسير الكاشف** للعلامة **محمد جواد مغنيّة** فيفيدنا استناداً إلى مجمع البحرين ومراجعه أن **عاداً** كانت بين جبال من **بلاد اليمن** ، ونميل لتفسير ذلك أنها كانت بين سلسلة **جبال السراة وجبال المهرة وحضرموت** ، وهي يمنية من **بلاد يمان** أو **اليمن** بالمفهوم القديم أيضاً . وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ [الأحقاف ٢١/٤٦] . ويقول المفسرون « إن ديارهم كانت قريبة من بلد قومك لأنهم سكنوا **الأحقاف** » .

أما **الطبري** فكتب بالنسبة لذكر **إرم ذات العماد** ما يلي :

« وقال آخرون بل قيل ذلك لبناء بناه بعضهم فشيّد عمده ورفع بناءه ـ ذكر من قال ذلك : حدثني **يونس** : قال أخبرنا **ابن وهب** قال : قال **ابن زيد** في قوله **إرم ذات العماد** ، قال **عاد قوم هود** بنوها وعملوها حين كانوا في **الأحقاف** ، قال **لم يخلق مثلها** ، مثل تلك الأعمال في البلاد ـ قال وكذلك في **الأحقاف** في **حضرموت** ثم كانت **عاد** وثم **أحقاف الرمل** » .

وصف إرم ذات العماد

ولنعد إلى **ياقوت الحموي** لنطلع على بعض ما وصل إليه من أخبار عن هذه المدينة التي كانت خيالية عجيبة . قال **ياقوت** : « بعد أن دانت المعمورة **لشداد بن عاد** قال لكبرائه :

« إني متخذ في الأرض صفة الجنة ، فوكَّل بذلك مئة رجل من وكلائه ، وتحت كل رجل منهم ألف من الأعوان ، وأمرهم أن يطلبوا « فضاء فلاة من أرض اليمن » ويختاروا أطيبها تربة ومكنهم من الأموال .. ثم وجه إلى جمع ما في أرضهم من الذهب والفضة والدر والياقوت .. ثم بنى تلك المدينة وأمر بالدر والياقوت والجزع والزبرجد والعقيق ففصص بها حيطانها . ثم أجرى إليها (وادياً ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخاً) ثم أمر فأجري من ذلك الوادي سواق في تلك السكك والشوارع والأزقة تجري بالماء الصافي ، وأمر بحافتي ذلك النهر وجميع السواقي فطليت بالذهب الأحمر .. وجعل ارتفاع تلك البيوت في جميع المدينة ثلاث مئة ذراع في الهواء (١٦٠ متراً) ، (وهو ما يعادل بالتقريب ارتفاع **غمدان**) .

قصة عبد الله بن قلاّبة

كما اطّلعنا على قصة عبد الله **بن قلاّبة** التي قصها على معاوية وسلّمه الجواهر التي عثر عليها والتي نختصرها كالتالي ، وهي طويلة :

« إنه خرج من **صنعاء** في بغاء أبل ضلت ، فأفضى به السير إلى آثار مدينة مذهلة ، ولما سأل **معاوية (عبيد به شرية الجرهمي)** وهو العالم والفلكي اليمني المعتمد لدى **معاوية** ، أجاب **الجرهمي** إنها **إرم ذات العماد** التي جاء ذكرها بالقرآن الكريم » .

أما الاجتهاد الذي اعتبر **دمشق** بأنها كانت المقصودة فهو مرفوض منطقياً ، لأنه لا يعقل القول إلى أنه ذهب إلى مكان هو فيه ، يضاف إلى ذلك أن **دمشق** ليس مجاورة للصحراء فهي تقع على طرف بادية غير رملية وجبال شاهقة ، لذا إن طمرها بالرمال مستبعد .

وأما الاجتهاد الآخر الذي اعتبر أن **الإسكندرية** هي **إرم ذات العماد** فهو غير وارد أيضاً ، لأنها واقعة على شاطئ البحر وهي مهددة بطمرها بالمياه وليس بالرمال ، إضافة إلى أن تاريخ **الإسكندر الأكبر** الذي أمر ببنائها مرفأ على الشاطئ المصري معروف ومسجل تفصيلاً في المراجع اليونانية ، ولم تذكر تلك المراجع بأن **الإسكندرية** قد بنيت على أنقاض مدينة مذهلة بآثارها ، وهو مما كان لا بد الإشارة إليه من قبل رجال القلم والعلم الذين رافقوا **الإسكندر** في فتوحاته .

الاستنتاج

كانت **مصر** كما نعلمه اليوم قد شيدت منذ خمسة آلاف عام (بداية الألف الثالثة قبل الميلاد) ماهو مذهل وعجيب ، ولماذا نستغرب أن يكون أهل الجنوب الذين كانوا يؤمّنون حاجة **المصريين** من اللبّان والمرّ والذهب والند وغير ذلك ، قد قاموا بأعمال إنشائية على المستوى والأهمية نفسها ، إنما

الاختلاف هو بالفلسفة المعتمدة آنذاك ، فبينما كان أهل **فرعون** منهمكين بما سيحصل لهم بعد موتهم ، ويبذلون أقصى جهودهم المادية والعلمية المتقدمة لتخليد أجساد موتاهم وتأمين عودتهم إلى الحياة ، كانت فلسفة **العرب البائدة** معارضة لذلك تماماً حيث كان اهتمامهم بالحياة الدنيا وتأمين الرفاهية فيها بالبناء والجمال والتمتع ، وقد دام ذلك حتى أيام **هيرودوتس** ثم **سترابون وبلينوس** الذين أخبرونا بأن « أهل **سبأ** يحبون الحرية ويتمتعون بالحياة كل التمتع » .

وهكذا فإننا نميل للاعتقاد بأن المكان الذي تمّ اختياره لبناء مدينة خيالية كان في إحدى واحات أطراف الربع الخالي **الأحقاف** أو (**بلاد الزهور**) التي كانت تصلها المياه الجوفية التي تفور في مخارج وديان شرقي اليمن لتظهر على سطح الأرض أو على عمق منخفض مما سمح بفتح خندق كبير أو نفق تحت الأرض يحمي المياه من التبخر (سمي نهراً من قبل بعض الأخباريين) بعد جمعها ، ثم تحويلها إلى سواقي لتساعد على نشوء واحة تحولت إلى جنة خضراء (عشرة فراسخ بعشرة) كما وصفوها وبنوا عليها تلك المدينة الخيالية التي لامثيل لها في المعمورة ، والتي تناقل أوصافها الأخباريون مع التنافس في المبالغات ، وربما أيضاً مع عدم التنافس بالمبالغة ، إذا ماقارنا بما حصل اكتشافه في **مصر والعراق** ، وبما بدأنا باكتشافه في المشرق اليمني ، وبالذي علمناه على سبيل المثال عن **قصر غمدان** الذي ارتفع أيضاً إلى ما يقرب من ١٦٠ متراً ، وهو ارتفاع القصور التي ذكر الأخباريون أن **شداد بن عاد** قد شيدها في **إرم ذات العماد** ، وذكروا مع مبالغة الأخباريين المعتادة أن عددها كان عشرة آلاف قصر .

ونأمل أن تتمكن وسائل العلم والبحث الحديثة بواسطة الأقمار الصناعية وسواها ، أن تعرفنا على موقع هذه المدينة الأعجوبة لتصبح أهم معالم حضارات العرب البائدة ، وربما شكل اندثارها عن طريق تغطيتها بالرمال العاصفة عنصراً إيجابياً ، حماها من التبعثر النهائي ، لتضاهي بأهميتها الأهرامات ومعابد الملوك **بوادي النيل** ، أما حاجز المياه الضخم الذي اكتشف أخيراً بالقرب من **سد مأرب** وسبق بناء السد على ما يبدو بمدة طويلة ، فربما كانت الغاية منه تزويد واحة **إرم** بالمياه التي تتجمع وراء الحاجز لتغذية المياه الجوفية ، أو كما ذكرنا لتجميع المياه اللازمة لتأمين استمرار وصولها بواسطة قناة ضخمة تحت الأرض ، وهي المياه التي كانت تغور في البادية قبل إنشاء الحاجز ، فتحولت إلى **الوادي** وهو النفق الضخم الذي حصل حفره لإنشاء **إرم** ولتزويدها بالمياه الصافية بواسطة قناة لساقية تصل إليها من تحت الأرض على مسافة أربعين فرسخاً ، كما نقله أهل الأخبار **لياقوت الحموي** والله أعلم .

وأما الواحة التي أحاطت بها ، وهي إذا ماصحت الرواية بأنها كانت عشرة فراسخ بعشرة ، وهو أوسع من سهول **غوطة دمشق** اليانعة ، فربما نشأت نتيجة لظهور المياه التي كانت تغور عند خروجها

من وديان **أذنة** ، وأيضاً من **بلاد الجوف** (وهي **الخارد** وروافده) وكانت بعد تسللها تحت الرمال تخرج أو تستخرج في مكان منخفض من **الأحقاف** ، وهكذا فإن الأمر ليس بمستغرب ، ذلك أن وديان **أذنة والخارد** ترتفع أكثر من ألف متر فوق سطح البحر بينما السهول الشرقية الجرداء حالياً أو المغطاة بالرمال فارتفاعها دون ذلك ، وبعضها يصل إلى أربع مئة متر فقط ، وهي على الأغلب من البوادي ، ولم تكن صحارى رملية قبل أن تجتاح الرمال الزاحفة إليها باستمرار من **الربع الخالي** ، وهو الذي يشكل أكبر صحراء رملية على وجه البسيطة .

ومع ذلك فإن ثروة واحة **إرم** الزراعية وموقعها على درب القوافل الأولى لا يفسر أن كل تلك العظمة التي تمتعت بها **إرم** ونعلم أن **تدمر والبتراء** ازدهرتا بشكل خيالي بفضل عامل وقوعهما كمحطة لا بدّ منها على طريق القوافل بين الجنوب والشمال بالنسبة **للبتراء** ، وبين الشرق والغرب بالنسبة **لتدمر** ، ويمكن أن يكون الأمر كذلك بالنسبة **لإرم** على الطريق الصحراوي بين الجنوب والخليج وبلاد ماوراء النهرين . إنما روايات **آل رشيد** من أن **وبار** كانت تحتوي على (الفضة الصفراء) يضيف عنصراً ممكناً آخر يفسر تمتع **إرم** بالثروة الخيالية ، وهو ربما كانت **إرم** تحتوي أيضاً كمثيلتها **وبار** على معدن الذهب ، أو ربما كانت هي نفسها **إرم** المذكورة بالقرآن الكريم .

كما يحسن بنا أن نعود إلى ماكتبه **ياقوت** عن أن **شداد بن عاد** ساق إلى المدينة التي أرادها أن تشابه الجنة وادياً تحت الأرض مسافة أربعين فرسخاً (أي ٤٠٠ كيلومتر) ، ونعتقد أن المياه التي كانت تتدفق من وادي **الجوف وأذنة** لتسيل في قنال تحت الأرض ، ولتصل إلى الواحة التي شيدت عليها مدينته العجيبة بأطراف **الربع الخالي** . وقد علمنا أن **الفراعنة** حفروا في تلك المرحلة قناة وصلت **النيل بالبحر الأحمر** ، فلا نستغرب ذلك ، لاسيا وأن علاقة **شرقي اليمن بوادي النيل** كانت وثيقة لاضطرار **الفراعنة** تحصيل السلع الأساسية لتحنيط موتاهم من بلاد **البونت** .

ويفيدنا الدكتور **جواد علي** في موسوعته (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) أن **عاد بن عوص بن أرم** هم من العرب البائدة ، وكانت منازلهم **بالأحقاف** ، وهو الرمل مابين **عُمان إلى الشحر** إلى **حضرموت** إلى **عدن آبين** .

وأما **ياقوت** فيقول إن **إرم** كانت **باليمن** بين **حضرموت وصنعاء** ، وأن **شداد بن عاد** خلّف على ملكه ابنه **مرثد بن شداد** ، وكان يملك **حضرموت وسائر أرض العرب** .

ونفهم من هذه الأخبار أن **شداد** وابنه **مرثد** كانا يسيطران على بلدان اللّبان والمرّ ، وهما يشكلان السلعة الأولية التي يمكننا تشبيهها بالنسبة لأهميتها آنذاك بسلعة النفط والغاز حالياً ، مع

العلم أن أهميتها دامت آلاف السنين ، بينما من غير المرتقب أن تدوم أهمية سلعة النفط أو حتى وجودها أكثر من مئتي عام وحسب .

ويمكننا هنا أيضاً أن نتساءل هل كان ذهب **أوفير** الذي اشتهر بأيام **النّبي سليمان** ٩٥٠ قبل الميلاد ، يأتي من أطراف **الربع الخالي** عن طريق **ظفار** ، وسمي **أوفير** لوصوله إلى **فلسطين** من أحد موانئ **ظفار** المندثرة ، وأن **أوفير** هو تحريف لكلمة **ظفار** حالياً ، وفقاً لما ذكرنا تحت عنوان آخر . كما يحق لنا أن نعتبر بناء **سد مأرب** كسبب لحجز المياه التي كانت قبل بنائه تتسلل تحت التربة أو تساق في قنال تحت الأرض لتصل إلى واحة **إرم** نتيجة الفيضانات السنوية . لكنه بعد بناء السد في القرن العاشر قبل الميلاد ، وربما قبل ذلك أيضاً حصل استغلال تلك المياه في الجنتين ، فانقطعت عن التسرب إلى الواحة أو تناقص ما كان يصلها ، مما ساعد الرمال على تغطيتها مع أراضيها وقصورها ومناجمها ، لأنه كانت تحصر المياه عند خروجها من وديان **اليمن** لتحويلها بأنفاق تحت الأرض ، لتصل إلى **بلاد عاد وثمود** وفقاً لاجتهادنا بهذا الشأن .

كما نلفت النظر إلى أن **برترام توماس** الذي اجتاز **الربع الخالي** توقف مع مرافقيه في واحة اسمها **آبار العويفرة** وهو يميل للاعتقاد بأن اسمها العربي القديم هو **عفر** الذي تحرف وأصبح **أوفير** وهو مصدر الذهب المذكور بالتوراة .

وأصبح بنظرنا من المحتمل أن تتمكن أجهزة تصوير **تشالنجر** أو سواها للتعرف على طبقات الأرض ومصير المياه الجوفية التي تخرج من **شرقي اليمن** ، ووصولها إلى مناطق منخفضة واقعة حالياً تحت طبقة ربما كثيفة جداً من الرمال ، إما بواسطة التسرب والانسياب الطبيعي ، أو بواسطة قنال تحت الأرض كالنفق الذي حفره **شداد** لإيصال المياه بواسطته إلى مدينته الخيالية في **الأحقاف** . هذا ولا نستغرب أن تكون الأقمار الصناعية قد أصبحت على اطلاع كامل لما هو تحت رمال **الرملة** وما إليها ، وإنما مثل هذه المعلومات تظل ملكاً لمن حصل عليها ، وله الحق بنشرها أو عدم ذلك وفقاً للمناسبات التي نجهلها .

أما المبالغات التي جاءت بوصفها إرم على لسان الأخباريين فهي من طبيعة ذكر الأحداث أو المواقع حيث كان كل محدث أو مخبر يتبارى مع من سبقه في الإضافات والمغالاة ، لتصبح روايته سابقة ومثيرة ، أكثر من رواية الآخرين ، ولكن المبالغات والمغالاة لاتغير حقيقة أصول الرواية ، لاسيا بعد أن جاء ذكرها في القرآن الكريم . وعلى سبيل المثال ، فإنه لولم يحفر العرب القناة بعهد الخليفة **عمر** ، رضي الله عنه ، التي كان **الفراعنة** قد شقوها قبل احتلال المسلمين **لمصر** لما اقتنعنا بأنه كانت توجد قناة فتحها **الفراعنة** لتربط **البحر الأحمر بالنيل** منذ خمسة آلاف سنة .

نظرة على الانتفاضات والعهد الجديد
ثم الانجازات الحديثة

خلفيات الأحداث

تمكنت قبيل الحرب العالمية الثانية فئة من الشباب الواعي المتوثب والمفكرين المخلصين من السفر إلى الخارج ، حيث تعرفت على التطور النسبي الذي كانت البلدان العربية الأخرى قد حققته ، فاستاءت بالمقارنة من الأوضاع المتخلفة التي كانت تعاني منها **اليمن** ، وأرادت تبديلها مهما كلف الأمر من جهد وتضحيات . وبدأت بغرس البذور التي من شأنها تبديل الأوضاع وتحقيق النهضة المنشودة . ثم كان تأسيس جامعة الدول العربية حافزاً لهذه الفئة الواعية المتطلعة للتطور ، لكنها أخطأت عندما اعتبرت أن الجامعة ستشكل دعماً أو سنداً لحركتها التقدمية . وكان عليها أن تنتظر فرصة ملائمة أخرى ، وهذا ما حصل مساء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م .

وكانت قد نمت بذور الثورة بعهد الإمام **يحي حميد الدين** ثم أينعت بشكل انتفاضة الدستور الأولى عام ١٩٤٨ حصلت بالتعاون مع منافسيه على الإمامة أدت إلى مقتله ثم قتل السيد **عبد الله الوزير** ومقتل العديد من شهداء التقدم وزج بعضهم في السجون وهذا ما سيتبين من تسلسل الأحداث في القسم الرابع والأخير من الكتاب . ثم تلتها عدة انتفاضات في عهد خلفه الإمام **أحمد** ، مما أدى فيما بعد لقيام ثورة أيلول / سبتمبر عام ١٩٦٢ بعهد ابنه **محمد البدر** بعد وفاة أبيه بأسبوع واحد . وكان لتيار ثورة **مصر** الجامح مفعوله الإيجابي الذي شكل حافزاً وسنداً فعالاً للزخم الذي تمتعت به الحركة الوطنية اليمنية ، وهي التي تمخضت عن قيام نظام جمهوري حديث بمفاهيمه الدستورية والتوعية الشعبية واهتمامه بتحضير الكوادر اللازمة لتطبيق الديمقراطية العصرية وتأسيس أجهزة الحكم المتقدمة التي تعنى بجميع احتياجات ومتطلبات المواطنين ، مما ساعد على سرعة النجاح مدعوماً بما قدمه المغترب اليمني من تحويلات ومساهمات أمَّنت حاجة البلاد . وقد استفاد من الازدهار المالي الذي عمَّ **الجزيرة العربية** وما حولها بفضل دخل النفط الخيالي والانفتاح على العالم .

ذاكرين بشكل عام احترام الدستور والميثاق الذي يربط المواطن بالحاكم ، والحاكم بالشعب ، لتحقيق الأهداف المحددة بالميثاق وطريقة الحكم المثلى المنصوص عليها بالدستور .

وكان من المتعيَّن علينا في هذا الموضوع المتعلق **باليمن** الاقتصادية والإدارية ، أن نلقي نظرة على المنجزات التي توصل إلى تنفيذها **اليمن** الجديد في عصر النهضة الحاضر ، وهو العهد الذي تلا عهد

اليقظة وعهد النضال ، ثم مرحلة الوئام التي نفذها ثلاثة من حكماء **اليمن** ، لكننا رأينا رغبة في الإيجاز والحصر والترتيب المنطقي أن نذكر الإنجازات في إطار الجغرافيا الاقتصادية وفقاً لنوعيتها .

أما بالنسبة لتاريخ المرحلة الأخيرة ، فرأينا أن نترك أمر استعراضها للذين ساهموا بخلقها ، ولديهم وثائقها ، ومعرفة خلفياتها وظروفها ، ليسجلوا بأنفسهم دقائقها للتاريخ ، ذاكرين بأن الجهات المسؤولة العليا ، تقوم بتشجيع مسجلي التاريخ الحديث ، ليخبرونا عن جهودهم وجهادهم ، وليطلعوا أبناءهم على حقيقة الانتفاضة التي أوصلت **اليمن** إلى ماهي عليه الآن .

العهد الجديد وقد اعتمد النظام الجمهوري

اليمن الجديد

انتفع العهد الديمقراطي الجديد من تعطش الشعب للاستفادة من نتاج العصر الحديث علمياً واقتصادياً واجتماعياً ، باذلاً لتحقيق أمانيه مالاً وجهداً ودعماً مثالياً ، لاسيا وقد تيسر له من أخلص لوطنه واستند إلى الحلم والحنكة السياسية لتسيير دفة سفينة **اليمن** بوعي وحصافة .

وها هي **يَمَن** اليوم التي كان عليها منذ سنوات قليلة أن تبذل أقصى المستطاع لكي تلحق بالركب ، تعمل جادة موفقة بفضل جهد أبنائها المستمر إن في بلاد الاغتراب الشقيقة وسواها أو في الداخل .

هذا ولا بدّ أن خروج النفط أخيراً من مخزونات حقولها الطبيعية سيشكل عاملاً إضافياً ، مما سيساعد **اليمن** ولا شك على تسابقها مع الركب ، مما يؤهلها لاحتلال المركز اللائق بها في الصدارة .

وما مساهمتنا المتواضعة عن طريق كتابنا هذا للتعريف على **اليمن** وتذكير اليمني بأمجاد حضارته واتساع رقعتها التي عمت **جزيرة العرب** وخارجها ، والدور العظيم الذي لعبه رجالها في خدمة الدين الحنيف ، وسرعة انتشاره بعون من الله إلا حافزاً له وللجيل الصاعد بشكل خاص ليتطلع إلى الأمام بوثوق ، وللاستمرار في وثبته التاريخية المجيدة الحاضرة ، يعاونه على ذلك الاستقرار الذي لا بدّ منه لتأمين النجاح .

ولتأكيد ممارسة الحكم الجمهوري الديمقراطي حصل أخيراً في صيف عام ١٩٨٨ م . انتخاب مجلس شورى ، استناداً إلى أحدث طرق الانتخابات ، مما جعل الجمهورية العربية اليمنية واحدة من بلدان العالم الثالث القليلة جداً ، التي تجاوزت مرحلة الحكم الفردي أو العسكري أو التعسفي ، وقد أثبتت بذلك أنها تمكنت بمدة وجيزة من سبق أغلبية مثيلاتها بالسير في اتجاه الحكم الشعبي المتطور ، وأصبح

على الكثيرين اتخاذها كقدوة ، وليس عليها أن تقتدي بعد هذا الخطوة الجبارة بأي بلد من بلدان العالم السائر في طريق النمو والازدهار بمعناه العميق .

نظام الحكم والتقسيم الإداري

﴿ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾ [النمل ٣٢/٢٧] .

نظام الحكم : شوري

تعتمد **الجمهورية العربية اليمنية** منذ قيام ثورة ٢٦ أيلول / سبتمبر ١٩٦٢ نظام حكم شوري جمهوري ، يستند إلى دستور متطور دائم ، منبثق عن الشريعة الإسلامية ، ويعود بصيغته النهائية لعام ١٩٧٠ ، بعد تعديلات أدخلت على ما سبقه من إعلان الدستور المؤقت عقب قيام الثورة .

التمثيل الشعبي

يمثل المواطنين في هذا النظام الديمقراطي مجلس مؤلف من ١٥٩ عضواً (مجلس الشعب التأسيسي ثم مجلس الشورى) ، وينص الدستور على أن مجلس الشورى هو أعلى هيئة تشريعية للدولة ، ويتولى مراقبة أعمال السلطة التنفيذية ، كما يتوجب على الحكومة حصولها على ثقة المجلس الذي يحق له سحب ثقته منها .

رئاسة الجمهورية

في أواخر عام ١٩٧٨ م انتخب مجلس الشعب التأسيسي العقيد / **علي عبد الله صالح** رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة لمدة خمس سنوات ، وعند انتهائها حصل تجديد انتخابه لمدة مماثلة .

وفي يوليه عام ١٩٨٨ حصلت أول انتخابات عامة أدت لقيام مجلس شورى حصل فيه تجديد آخر للرئيس **علي عبد الله صالح** بـ١٥٢ صوتاً من أصل الـ١٥٩ .

الميثاق

بعد أن تمت انتخابات وتعيين أعضاء مؤتمر شعبي واسع النطاق (ألف عضو) ، حصل إقرار ميثاق وطني منبثق عن رغبة وتطلعات المواطنين المنتسبين لجميع القطاعات التي تتمثل في القاعدة الوطنية الواسعة . وقد عيَّن الميثاق الأهداف التي تم تحديدها تفصيلاً ، وهي التي التزم بها كل مواطن وحاكم باعتمادها والعمل لتحقيقها . كما عين المؤتمر الشعبي لجنة دائمة تسهر على تنفيذ أهداف الميثاق ، وتضم اللجنة الدائمة ٧٥ عضواً خمسين منتخبين ، و ٢٥ تم اختيارهم من قبل القيادة السياسية .

التقسيم الإداري

تتكون **الجمهورية العربية اليمنية** حالياً (عام ١٩٨٨ م) من إحدى عشرة محافظة وهي : **صنعاء ، الحديدة ، تعز ، صعدة ، حجة ، ذمار ، إب ، البيضاء ، المحويت ، مأرب ، الجوف .**

ـــ وتتكون المحافظة من عدة أقضية ، أقلها قضائين ، وأكثرها ستة أقضية ، ومجموعها أربعون قضاء .

ـــ وينقسم القضاء إلى نواحي عددها ١٩٧ ناحية .

ـــ والنواحي تنقسم إلى عِزل وعددها ١٧٤٧ عزلة .

ـــ وتحتوي العزل على قرى مختلفة العدد مجموعها ١٨ ألف قرية ، كما تتبع القرى محلات مجموعها في كامل الجمهورية ٢٦٨٩٦ محلّة .

مجلس الوزراء

يتألف مجلس الوزراء من رئيس ونواب الرئيس وعدد من الوزراء يتناسب عادة مع عدد الوزارات المتخصصة .

جهاز التخطيط المركزي

يقوم هذا الجهاز الذي يرأسه عادة رئيس بدرجة وزير بوضع الدراسات والمخططات التي من شأنها صحة عمل الجهاز الإداري وتنظيمه ، ورفع المستوى العام من جميع نواحيه ، وفي مختلف المجالات . ويعود له الفضل في وضع مناهج العمل الإنمائي بشكل مخططات شاملة بدأت عام ١٩٧٣ م ولمدة ثلاث سنوات ، ثم أعقبتها خطتان خمسيتان ناجحتان .

مجالس بلدية ومجالس محلية

تعنى هذه المجالس بالشؤون البلدية وتنفيذ مخططات معينة بقصد التطوير ورفع المستويات الاجتماعية والاقتصادية .

نقابات وأندية

ذات أنشطة محددة متنوعة ومتعددة وفقاً لغاياتها ، وهي ذات صفة جمعيات أو تعاونيات . وهي بتصاعد مستمر .

لجان الوحدة بين الشطرين

تعتبر الوحدة اليمنية هدفاً قومياً معتمداً من قبل الشعب والحكام ، وتعمل **الجمهورية العربية**

اليمنية (الشطر الشمالي من اليمن وهي التي حافظت على تسميتها في **الأمم المتحدة** ومنظماتها بكلمة : يمن) كما تعمل **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** (الشطر الجنوبي) منذ قبل مرحلة استقلالها وبعده على تحقيق الوحدة المنشودة من الجميع .

أعمال اللجان

استمر عمل اللجان كما حصل على دفع جديد لهذا العمل الوحدوي نتيجة انعقاد القمة اليمنية في **الكويت** بشهر آذار/مارس ١٩٧٩ م .

وتشير المعلومات التي تنشر عن أعمال اللجان بأنها تتقدم ، وقد توصلت أخيراً لإنجاز تحضير مشروع دستور الوحدة . كما حققت اللجان خطوات واسعة في مجالات عديدة ، منها : تسهيل النقل والانتقال والتنقل والتعاون التجاري وتوحيد المناهج التعليمية وسوى ذلك .

٤ـ اتفاقيات التعاون والاستثمار المشترك بين الشطرين

حصل يوم ٤ مايو ١٩٨٨ م التوقيع بين رئيسي الشطرين على اتفاقية لإقامة مشروع استثماري مشترك في منطقة الأطراف بين الشطرين في محافظة **مأرب وشبوة** ، يشتمل على مساحة قدرها ٢٢٠٠ كم مربع ومتابعة الخطوات الوحدوية .

مجلس الشورى

حصل في يوليه ١٩٨٨ تنفيذ أحد بنود الدستور الرئيسية ، وهو انتخاب مجلس شورى ، وهو الحدث التاريخي الذي وطده الحكم الجمهوري ، استناداً إلى تنظيم عمليات انتخابات بواسطة الاقتراع السري ، اشترك فيها المواطنون والمواطنات على حد سواء ، ويتألف مجلس الشورى من ١٥٩ عضواً .

وقد تمّ في أول اجتماع يعقده المجلس انتخاب رئيس للجمهورية ، حيث أعيد انتخاب الرئيس القائد العقيد **علي عبد الله صالح** لمدة خمس سنوات جديدة ، وفقاً لما نص عليه الدستور الدائم .

وثيقتا التعاقد على تحقيق الوحدة

اتفاقية القاهرة ثم اتفاقية طرابلس ، وبعدهما اجتماع الكويت ، وخطوات أخرى على طريق الوحدة المنشودة

وكان قد حصل التوقيع **بالقاهرة** وبإشراف جامعة الدول العربية في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٢ م على مستوى رؤساء الوزراء على اتفاقية من شأنها تحقيق الوحدة المنشودة . وقد نصت على تشكيل ثماني لجان تحضيرية ، ومنها لجنة لإعداد الدستور الموحد .

وفي ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر من ذلك العام (١٩٧٢) حصل توقيع اتفاقية إضافية ، وقعها رئيسا الشطرين ، أضافت إلى اللجان الثانية لجنة تاسعة للتنظيم السياسي .

وتلى اتفاقيتا **القاهرة وطرابلس** اجتماع عقد في **الكويت** ٢٨ـ٣٠ آذار / مارس ١٩٧٩ بين رئيسي الشطرين المتعاهدين على الوحدة ، حيث أكدا على ضرورة إنجاز أعمال اللجان ، وخاصة مشروع دستور الدولة الواحدة .

وسننشر مع المرفقات نص اتفاقية الوحدة ، ونص دستور الوحدة .

السياسة والعلاقات الخارجية

الارتباطات الدولية والعلاقات الخارجية

ترتبط اليمن بالمنظمات التالية :

١ـ عضوية جامعة الدول العربية ١٩٤٦ م .
٢ـ عضوية الأمم المتحدة ١٩٤٧ م .
٣ـ منظمة المؤتمر الإسلامي ١٩٦٩ ، واستضافت عام ١٩٨٤ مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية .
٤ـ جميع المنظمات التي تشكل أسرة الأمم المتحدة ، ومنها : منظمة الصحة العالمية ومركزها **جنيف** ، والاتحاد الدولي للمواصلات السلكية واللاسلكية ومركزها **جنيف** ، والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية ومركزها **جنيف** ، ومنظمة ومكتب العمل الدولي ، ومركزها **جنيف** . وكذلك منظمة الأغذية والزراعة ومركزها **روما** ، ومنظمة اليونسكو ومركزها **باريس** ، وكذلك منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ، ومركزها **ڤيينا** . وتتعاون أيضاً مع البنك الدولي ومشتركة بمنظمة الطيران المدني . كما أنها متعاقدة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومتطوعي الأمم المتحدة وتتعاون أيضاً مع صندوق الأنشطة السكانية ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ، وكل جهاز مفيد متصل بالمنظمات الدولية .

٥ـ حركة عدم الانحياز .

السياسة العامة

تمثل سياسة **الجمهورية العربية اليمنية** بتمسكها بسياسة التضامن المطلق بالنسبة للعالم العربي ، وتعمل في جميع المناسبات لتدعيمه ، والتأييد الفعلي للقضية الفلسطينية باعتبارها قضية العرب الأولى .

السياسة الخارجية

إعطاء أولوية الاهتمام للمجال العربي مع علاقة خاصة ومتكافئة بشبه الجزيرة العربية على أساس خدمة الوحدة العربية باعتبار التعامل ضمن هذه الدائرة يخدم وضع اللبنات السليمة في صرح الوحدة العربية . كما تعاونت أخيراً عام ١٩٨٩ مع الدول الشقيقة الثلاث : **مصر والعراق والأردن** لتأليف مجلس التعاون العربي وقد ترك هذا المجلس أبوابه مفتوحة لانضمام دول شقيقة أخرى وذلك ضمن نطاق **جامعة الدول العربية** واحترام ميثاقها .

المجال الإسلامي

كانت **الجمهورية العربية اليمنية** من مؤسسي منظمة المؤتمر الإسلامي ، وهي مستمرة بالمساهمة والتعاون في مجال هذه المنظمة وكل ما هو متفرع عنها ، وللإعراب عن مدى حيويتها واهتمامها بهذا المؤتمر ، استضافت عام ١٩٨٤ م مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية .

عدم الانحياز

تمارس **الجمهورية العربية اليمنية** سياسة عدم الانحياز في المجال الدولي بمعناه الصحيح الكامل ، استناداً إلى نصوص **الميثاق الوطني** ، الذي ينص على (تضامن دول العالم الثالث والالتزام التام بمبادئ عدم الانحياز ..) .

ويمكن اعتبار ممارسة **اليمن** في مجال عدم الانحياز مثالاً للعلاقات الدولية المتوازنة لواقعيتها ومرونتها ، الأمر الذي جعلها تحتفظ بعلاقات ودية مع المجموعات الدولية ومختلف الدول العظمى على اختلاف أنظمتها وميولها وعقائدها ، الأمر الذي يتطلب ولا شك الكثير من الإدراك والحكمة والدبلوماسية بمعناها الصحيح .

التمثيل الخارجي

تشير مراجع وزارة الخارجية في بداية عام ١٩٨٨ إلى وجود ٤٩ بعثة تمثيلية **للجمهورية العربية اليمنية** ، يقوم بعضها بالتمثيل غير المقيم مع ٥٤ دولة ، وهو مما يغطي تمثيل **اليمن** في مختلف قارات العالم .

وأما البعثات المعتمدة في صنعاء فوصل عددها إلى ٤٢ بعثة .

المؤسسة العسكرية

كان العهد الجديد أن يعطي القوات المسلحة والأمن العام عناية خاصة ، لا سيما وأن الثورة التي

يعود لها الفضل لوجوده قامت على أيدي الجيش الوطني الذي خرج منتصراً في بداية عام ١٩٦٨ م بعد حصار للعاصمة صنعاء .

وهكذا اهتم العهد الجمهوري بتأسيس العديد من المدارس العسكرية ، مع تنوع اختصاصاتها كمدارس المدفعية والمدرعات والمشاة والإشارة ومدارس قوى الأمن والمظلات والصاعقة والشرطة العسكرية وغيرها .

كما حصل تأسيس وحدات الطيران والبحرية والمهندسين والإدارات المختلفة اللازمة لتأمين حاجات المؤسسة العسكرية المتعددة الجوانب ، مما يؤهلها لتشكل دعامة الوطن الأولى الحامية لكيانه .

خدمة العلم

وفي عام ١٩٧٩ صدر قانون خدمة الدفاع الوطني التي من شأنها تدريب جميع أبناء الأجيال الصاعدة للدفاع عن بلدهم ، وكذلك إزالة ما كان يشكل تقسيماً للمجتمع الوطني ، وتباعداً بين أبناء الوطن الواحد ، بالاعتماد على مفاهيم فئوية أو مذهبية أو قبلية بائدة .

المؤسسة الاقتصادية العسكرية

قامت القوات المسلحة بإنشاء مؤسسة اقتصادية عسكرية تؤمن حاجاتها وحاجات المجتمع في عدة مجالات صناعية وزراعية ناجحة ، بفضل الانضباط والشعور بالمسؤولية الذي تتميز به عادة الجهات العسكرية بطبيعة تكوينها وغاياتها الوطنية السامية .

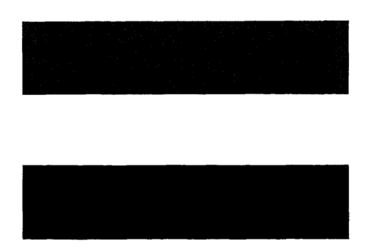
الإنجازات

تمكنت البلاد من تحقيق إنجازات حضارية في جميع المجالات ، وإننا نترك للراغبين بالتعرف عليها تفصيلاً أمر الاتصال بالجهات الإعلامية التي أنشأتها الحكومة خصيصاً للقيام بهذه المهمة ، وقد أثبتت هذه الجهات كامل كفاءتها بمناسبة عيد الثورة الفضي سبتمبر ١٩٨٧ م حيث أصدرت العديد من النشرات والكتب والمعلومات والصور ، مما يشرح صدر كل يمني وعربي .



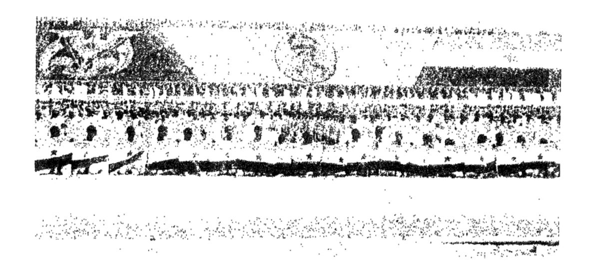
الأوصاف الرسمية لشعار
الجمهورية العربية اليمنية

يتمثل شعار الجمهورية في نسر يرمز إلى قوة الشعب وانطلاقه في أفق التحَرر باسطاً جناحيه على العلم الوطني ومرتكزاً على قاعدة كتب عليها (الجمهورية العربية اليمنية) كما نقش به رسم يمثل سدّ مأرب وشجرة البن باعتبارهما مِن أبرز خصائص اليَمن .



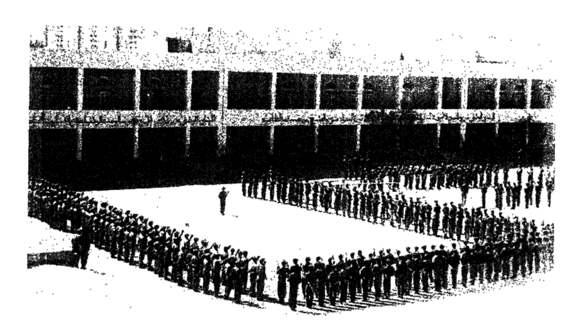
الأوصاف الرسمية لعلم
الجمهورية العربية اليمنية

العلم الوطني للجمهورية العربية اليمنية مكوّن مِن ثلاثة ألوان :
الأسود : ويرمز إلى عهد الظلم والحكم الرجعي السابق .
والأبيض : ويرمز إلى مبادئ الثورة ونقائها وبهِ نجمٌ أخضر يَرمز إلى اليمن الخضرَاء ورخائِها .
والأحمر : ويرمز إلى الثورة .
ويكون العَلم مستطيل الشكل عرضه ثلثا طوله يتكون من ثلاثة مستطيلات متساوية الأبعاد بطول العلم .
أعلاها باللون الأحمر وأوسطها باللون الأبيض وثالثها باللون الأسود .



يمكن اعتبار مؤسسة الدفاع الوطني بفروعها من أهم مراكز نشاط القوى الفتية وأكثرها تنظيماً وكفاءة ، كما هي عليه في أكثر الدول الحديثة ، حيث كثيراً ما تشكل مؤسسة الدفاع والأمن الوطني وما يتصل بها أفضل جهاز كامل التنظيم والانضباط .

وقد شكل قانون خدمة العلم الإجبارية المطبقة على جميع أبناء الجيل الصاعد عنصراً هاماً من عناصر التوعية والوحدة والوئام ، ومحاربة رواسب المذهبية والفئوية القبلية .



لا يتمتع أي بلد بكرامة ولا تكون لكلمته وزناً إن لم يدعمه جيش مخلص مؤمن مدرب ومجهّز

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [الأنفال ٨/٦٠]

اليقظة خشية الغفلة بعد أن أصبح أمر الخط الفاصل الموروث غير ذي موضوع

لقد أصبح علينا أن نعيد إلى الذهن أنه ما أن استقل الشطر الجنوبي من **اليمن** بفضل جهاد أبنائه بالتعاون ومساندة إخوانهم في الشمال بعد حصول ثورة سبتمبر ١٩٦٢ م ، حتى أعلن المناضلون في الجنوب بإجماعهم على اعتبار الاستقلال عن الحكم الاستعماري متصلاً مع تحقيق الوحدة اليمنية ، كما أن أهل الجنوب ساندوا إخوانهم في الشمال في حركتهم الموفقة لإقرار نظام الحكم المتطور .

واستمر الهدف الصادق بقصد تحقيق الوحدة غاية معلنة إلى أن حصل احتكاك أوجد حاجة لوضع وثيقة رسمية اشتركت فيها جميع الجهات المسؤولة ضمن نطاق جامعة الدول العربية **بالقاهرة** ، أدت إلى خروج اتفاقية الوحدة إلى حيز الوجود ، ثم تأكدت اتفاقية الوحدة **بطرابلس في ليبيا** ، وكذلك بمناسبات أخرى ، كما شرحنا ذلك بمكان آخر من هذا الكتاب .

وهكذا أصبح موضوع وجود خط فاصل أو ما شابه ذلك غير وارد ، إلا إذا أدى التقسيم الإداري الداخلي لاعتبار بعض أجزائه حدوداً إدارية تفصل بين المحافظات الجديدة ، ضمن نطاق وحدة البلد المرتقبة بفارغ الصبر من جميع المواطنين .

لذا نرى الاهتمام شاملاً بأعمال لجان الوحدة التي سنشير إليها لاحقاً ، على أمل استمرار العمل عن طريق المشاركة بين الشطرين الشمالي والجنوبي ، مع الهدوء والوعي والتحضير الواقعي ، وعلى جميع المستويات وفي مختلف المجالات ، لترقب اغتنام الفرصة التي لا بد ستسنح في الوقت المناسب للوصول إلى الأمنية ، مع تفادي خطر الصراع والتدخل الخارجي ، الذي كثيراً ما يحصل بصورة غير مباشرة وبالواسطة الملائمة ، لاسيا وأن العدو يتربَّص فرصة حصول الثغرة التي تمكنه من الدخول لإلهاب النعرات والخلافات التي لا يخلو منها أي مجتمع في العالم ، علماً بأن سلاح أعداء الأمة العربية والإسلامية بكاملها الأخطر والأكثر فعَّالية . هو الفوضى والاقتتال وفقدان الاستقرار لذا فإنه من البديهي أن العدو يخطط بالخفاء إلى كل ما يؤدي لهلاك البلاد والعباد بهذه الوسيلة وهذا صحيح ، ليس بالنسبة **لليمن** وحسب ، بل لكل بلد عربي وإسلامي ، والذي حصل من **تشاد** إلى **أفغانستان** وفي الخليج إلى القرن الإفريقي **والسودان** ، وتفتيت **لبنان** هو لا شك مما عمل العدو لاستغلاله بشكل أو بآخر ، هذا إن لم يكن العدو هو في الأصل من وراء تلك الأحداث أو بعضها على الأقل .



هذه صنعاء تجمع بين القديم والحديث

وقد تزاوجت في هذه الساحة العامة خصائص العمارة التقليدية والعمارة العصرية ، وهي تعكس الرغبة في احترام الأصالة باقتباس الجديد دون التنكر للقديم .

القسم الثالث

مطالعات
واجتهادات وابحاث

مطالعات واجتهادات وأبحاث
ذات صلة بمواضيع الكتاب

لافتين النظر إلى أن هذا المؤلف ومواضيعه المتصلة جميعها باليمن هو كما عرَّفناه :

كتاب ثقافة عامة

وقد كانت معالجة كل موضوع على هذا الأساس ، ووفقاً لهذا المفهوم . أما الذي يرغب التعمق بدراسة أي من المواضيع المدرجة في هذا القسم ، فعليه أن يعود إلى المراجع المتخصصة ، وهي مفندة في كتب المراجع (البيبلغرافيا) المذكورة في القسم الرابع من هذا الكتاب ، وقد زاد عددها على ألف ومئتي مرجع .

علماً بأنه لم يتيسر لنا الاطلاع سوى على عدد قليل جداً من المراجع المشار إليها ، لذا سيظل باب البحث والدرس والاطلاع مفتوحاً على مصراعيه أمام كل باحث وشغوف بزيادة الاطلاع والمعرفة ، كما شرحنا ذلك تحت عنوان (إيجاز والمراجع بآخر هذا الكتاب) ، وتحت عنوان : (تمهيد وإيضاح في بدايته) .

اجتهاد لدوافع الهجرة اليمنية

لقد ساعد جهد اليمني المستمر ، وصراعه مع العوامل الطبيعية ، ومنها الأمطار الجارفة على تحويل الجبال الصماء إلى مزارع ومراع وقرى ، تحتوي على مبان متعددة الطبقات .

كما أن عامل جودة المناخ وصفاء الجو خير مساعد للتغلب على الأمراض ، وبالتالي تكاثر السكان ، ولما كانت البقعة التي أمكن استصلاحها محدودة بالرغم من الجهود ، فكان لا مفر من اللجوء إلى الهجرة ، وهو ما يفسر بنظرنا أن **اليمن** كانت دائماً ومنذ أقدم العصور مصدراً للموجات البشرية التي كانت تصعد من وقت لآخر إلى بلاد **الهلال الخصيب** ، وهو ما كان يتم أثر مرحلة جفاف قاسية أو هجمات للجراد متتالية تقضي على كل ما هو أخضر من عشب أو شجر ، أو حروب أهلية ، أو الزحف الصحراوي ، أو حريق الأدغال ، أو كوارث طبيعية كالزلازل والفيضانات ، ومنها ما أدى إلى انهدام الحواجز المائية وأشهرها انفجار **سد مأرب** في مراحل قديمة وفي مرحلته الأخيرة . إنما يظل برأينا أن التفجر السكاني الناتج عن جودة المناخ هو بين أهم أسباب الهجرة ، أما الاعتبار بأن انفجار **سد مأرب** هو السبب الوحيد للهجرات ، فهو اجتهاد مرفوض ، لأن هجرات أهل **الجنوب** إلى **الشمال** سبقت ، كما عاصرت وجود السد الذي دام ١٤٠٠ عام ، وانهدم مراراً واستمرت بعده ، وعلى كلٍ فإن عدد المستفيدين من السد لا يمكن أن يشكل سوى نسبة ضئيلة من سكان جنوب **جزيرة العرب** ، ذلك أن مساحة « الجنتين » تظل محدودة بالمقارنة مع المساحات المروية الأخرى من بلاد **سبأ** ، والتي تقدر حالياً بمليون ونصف مليون هكتار في **الجمهورية العربية اليمنية** (الشطر الشمالي) وحدها ، بينما المساحة التي تستفيد من السد لم تكن لتتجاوز على أعظم تقدير خمسين ألف هكتار ، ذلك أن المساحة التي ستستفيد من السد الجديد لا تتجاوز العشرين ألف هكتار .

أما التركيز على ذكر الهجرة التي حصلت عقب انهدام **سد مأرب** نتيجة للسيل العرِم ، فناتج بنظرنا عن ذكرها **بالقرآن الكريم** ، وهو أصدق المراجع ، وأسماها مع إهمال ذكر سواها من هجرات سبقت السيل العرِم ، واتجهت شرقاً إلى **شط العرب** وسائر أنحاء **بلاد الرافدين** ، ومنها **الحيرة** جنوب غرب **الفرات** ، **وعربستان** شرقاً ، **والأنبار والموصل** شمالاً ثم سائر أنحاء **الهلال الخصيب** ، وصولاً في **العمق السوري** إلى **حوران ووادي الأردن** .

ذلك أن الأنصار وهم **الأوس والخزرج** اتجهوا إلى **الحجاز** وأقاموا فيه ، باعتباره ممراً ومركزاً

للتجارة العالمية عبر **الجزيرة** ، وليس للاستقرار به بأعداد كبيرة ، لأنه محدود الأراضي الخصبة ، بخلاف **بلاد الهلال الخصيب التي استوعبت الهجرة بأعداد كبيرة . علماً بأن ركائز الأوس والخزرج** وهم فرع من الأزد حافظوا على مساكنهم في **اليمن** بدليل إرسالهم وفداً لمبايعة سيد المرسلين (ﷺ) ، كما رأينا بمكان آخر من هذا الكتاب .

عاد وثمود وأطراف الربع الخالي

أما بالنسبة **لعاد وثمود** وهم الذين اعتبروا **العرب البائدة** فأصبحنا نميل للاجتهاد بأن بلادهم الأولى كانت في الأحقاف وواحات الربع الخالي **كعبر أو قبار وبلاد الزهور** ، ثم زحفت عليها الصحراء فطمرت واحاتها الخصبة الزاهرة ، ومنها **إرم ذات العماد** وهو مما حملهم للهجرة الجماعية ، إما إلى جوف **اليمن** المتصل بهم ، والذي لم يشمله الزحف الصحراوي ، أو ذهبوا شرقاً إلى **عمان** ، وشمالاً إلى بلدان **الخليج والرافدين** بطريق **البحرين (الإحساء حالياً)** ، أو إلى **غربي الحجاز** حيث تعاونوا فيما بعد مع الفاتحين من **الفرس** وسواهم ، وهو ما يفسر وجود أعداد من **الثموديين** الذين انضموا إلى قوات **سرجون** ، وهو الذي حمل المستشرقين على اعتبار بلاد **ثمود** واقعة أصلاً غربي **الحجاز** ، وسجلوا ذلك فيما كتبوه دون أن يتأكدوا من أن وصول **الثموديين** وهم أصحاب حضارة وكتابة عرفوا أيضاً **باليمانيين** . ويفيدنا العلامة **حتي** نقلاً عن المستشرق **دوسو** أن الكتابات **الثمودية** التي وجدت **بالحجاز** تعود للقرن الخامس قبل الميلاد هي كتابات عربية نموذجية وحروفها تشاكل الأبجدية الجنوبية العربية ، لكن لغتها عربية شمالية وفقاً لما أشرنا إليه سابقاً ، وبما أنه من الثابت أن بلاد **عاد** هي في الجنوب بأطراف **الربع الخالي والمشرق اليمني** ، فلا بد أن بلاد **ثمود** الأصلية كانت أيضاً هناك نظراً لما جاء ذكره في القرآن الكريم الذي ماذكر **عاد** إلاّ وذكر **ثمود** معها ، وكذلك جاء ذكر كلمة **ثمود** قبل كلمة **عاد** بأكثر من آية كريمة ، مما يدل على عدم تباعد هذين الشعبين جغرافياً على الأقل . فإن هاجرت **ثمود** جماعياً **إلى الحجاز** ، ونقلت معها ماكسبته من حضارتها القديمة ، فيغلب الظن أن أهل **عاد** هاجروا أولاً إلى جوف **اليمن** ، ومما يؤكد ذلك هو انتساب قبائل **الجوف إلى شداد بن عاد** حتى يومنا هذا . ومعلوم أن مركز ثمود مازال قائماً في (ج ي د ش) .

بابل وآشور والزحف الصحراوي :

هذا ويجب أن لا نهمل ماتوصل إليه الباحثون المتعمقون من أن منبع الجنس السامي **هو جنوب جزيرة العرب** ومنه انتقلوا إلى بلاد **بابل وآشور** حيث أسسوا مدنيات وإمبراطوريات **بابل وآشور** ، ولا نستبعد أن هذه الأقوام السامية كانت أصلاً من الجنوب العربي الذي اضطرت للابتعاد عنه نتيجة للزحف الصحراوي الناتج عن امتداد مساحة **الربع الخالي** باتجاه الجنوب.

الادب واليمن

الشاعر والشعر والبلاغة ، والأدب والأديب والإبداع ، هي من الكلمات التي يحلو لليمني استعمالها بالمناسبات الاجتماعية ، فاليمني الأديب يجب وجوباً أن يهتم بالشعر إلى جانب علمه بالفقه وحفظ القرآن الكريم وربما ترتيل الآية عند تلاوتها امتثالاً للأمر بذلك ، كما أن النغم والموسيقى هما من الأمور المحببة لليمني في المدينة والريف معاً ، أما في الأوساط المتأدبة فلابد لليمني المنتسب إليها أن يكون قد حاول نظم الشعر ، فإن تبين له بأنه غير موهوب في هذا الفن ، فعليه أن يكون من حفظة الشعر . وتزداد قيمة المرء أدبياً إذا أحسن إلقاء الشعر بتوقيع ونبرات تتفق مع المعنى . والشاعر في **اليمن** كما في التاريخ العربي يتمتع بمكانة مرموقة وصلت باثنين على الأقل من شعراء العرب لدرجة ادعاء النبوة . أما في الريف فيأخذ الشعر التقليدي القديم « **الحُميني** » وهو مماثل لما هو معروف بالزجل مكانة الشعر التقليدي الموزون ونقصد هنا الشعر الذي ينظم في أنحاء العالم العربي على نسق المعلقات ، والذي أصبح يسمى بالشعر العمودي أو شعر التفعيل المقفّى ، وهو نسق أشهر شعراء العرب المعروفين من **المتنبي** إلى **أحمد شوقي** . ذلك أن الشعر (**الحُميني**) وهو الشعبي ، يختلف عن شعر المعلقات ، لعدم ارتباطه بالأوزان التي اتبعت منذ عهده الأول في وسط **الجزيرة** .

الموسيقى والغناء

إن أهم ما يتميز به الشاعر اليمني أو الذي يهوى الشعر ويردده هو طريقة الأداء مع التقطيع بشكل موسيقي يتفق مع المعنى ، مما يحوّل راوي الشعر إلى مُطْرِب ، والمستمع إلى مُطْرَبْ .

وعندما تجمع الظروف عدداً من رجال منطقة واحدة وتحصل مناسبة ولو عادية ، فلابد أن يُسمع غناء يخرج من المجموعة تلقائياً بكلمات شعرية (حمينية) شعبية ، تليها حركات جسدية متناسقة مع النغم ، ونلاحظ بأن هذا الغناء قد انتقلت موسيقاه إلى جميع المستمعين إليه ، فيطربون وتتحرك به مشاعرهم دون أن يفهموا كامل معناه وكثيراً من كلماته ، التي غالباً ماتكون ذات صيغة ولهجة محلية . إنما موسيقى الكلمات عند غنائها تجعل امتداد الطرب يجمع بين المغنيين التلقائيين والمستمعين الطفيليين ، فيتحسسون ويتجاوبون بالنغم والألفاظ أكثر من فحواها ، ويسمّى هذا النوع من الغناء الموسيقى الجماعي (الزامل والحادي والبالة) .

وأنواع آلات الموسيقى المستعملة حالياً هي على الأغلب العود ، ونوع من الربابة والمزمار .

أما العلاّمة (**فيليب حتّي**) وهو الذي ساعده منصبه كرئيس لقسم الدراسات الشرقية بجامعة « **برنستون** » الأميركية من الاستناد والانتفاع من جميع التسهيلات التي تقدمها الجامعة والمراجع التي جمعتها هذه الجامعة العالمية عن العالم العربي ؛ فيفيدنا بمؤلفة الفريد « تاريخ العرب » مدوناً ما يلي :

« لا ريب أن عرب **الجنوب** كانت لهم أنواع خاصة من الغناء وآلات الموسيقى التي لم يصلنا عنها إلا القليل » .

وبالنسبة لأواسط **الجزيرة** حيث كانت تعلق المعلقات السبع ، فإن هذا العلاّمة يفيدنا قائلاً :

« كان الشعراء ينشدون أشعارهم بتوقيع وشكل من الغناء ، كما يبدو أن أكثر المغنّين في الجاهلية كنّ من النساء ، وقد جاء في الأغاني أسماء بعضهن » .

وأشعار **الخنساء** الرقيقة الصيغة والمعنى ، وهي التي عاصرت سيد المرسلين ﷺ فأجادت في رثاء أخيها صخر ، وقد انتشرت قصائدها ، لأنها كانت تنشد في المآتم ، يساعدها على ذلك صفاؤها ودقة أوزانها .

وإذا عدنا إلى الشعر (الْحُميني) الشعبي في المدن وغنائه ، فيبدو للملاحظ أن لليمني أشعاراً وأنغاماً تتفق مع مهنته ونوع نشاطه ، فالذي يواكب الجمل أثناء رفعه المياه من البئر بسيره في الاتجاهين بالنسبة للبئر ، يغني للجمل ولنفسه غناءً مريحاً عذباً مريحاً للأعصاب ، الأمر الذي يساعد برأينا هذا الحيوان القوي والوديع معاً ، للمواظبة على حركته الرتيبة ، كما يساعد مواكب الجمل على عمله الممل الذي يسمى (الْمَسْنى)، ولا نعلم أصل هذه الكلمة التي نعتقد بأنها من لغات اليمن القديمة التي انطوت مع توحيد لغة العرب .

أما الذي يمارس أعمالاً صناعية كالحرف اليدوية والتعدين التقليدي ، فإن أغانيه تختلف تماماً عن كلمات (الْمَسْنى) ، وأيضاً موسيقى الكلمات متنوعة ، وكذلك الجنود فإن أغانيهم وموسيقاهم مختلفة ومتنوعة ، متأثرة بالمناطق التي ينتمون إليها ، وهي تستحق برأينا التسجيل ، لكي لا يندثر هذا التراث الموسيقي غير المكتوب ، الذي قد يضيع نهائياً بتأثير ماتردده الإذاعة وسواها من وسائل تسجيل الغناء الحديث ، وهو يختلف كثيراً عن غناء أهل المهن ورجال القتال ، وسائر الأغاني التقليدية الموروثة بلحنها وموسيقى كلماتها المعبّرة .

رقصة البرع :

وهي الرقصة التي يستعمل فيها المشتركون جنّابيهم ويحركونها ويتحركون معها على الأنغام الموسيقية ، بشكل تتمثل فيه الرجولة والخفة والاعتزاز والحركات الحربية ، مع الزهو والعنفوان ، وقد سمّاها من أعجب بها من الغربيين (رقصة الخناجر) .

أدب المراسلات الدبلوماسية
الإسلامية اليمنية

سيطرت **الدولة العثمانية** بعد أن خلفت **المماليك** على العالم العربي بأغلبية أقطاره ، فانحطت اللغة العربية ، وأصبحت اللغة التركية لغة التعامل الرسمي والمراسلات الديبلوماسية ، وانخفض مستوى لغة قريش وآدابها إلى أدنى الدرجات ، وتمركز عهد الانحطاط الأدبي العربي في أنحاء الإمبراطورية العثمانية ، حيث انحصر تعليم اللغة العربية على القرآن الكريم والحديث الشريف . ووصلت المغالاة بالقضاء على اللغة العربية وآدابها من قبل **الأتراك** في عهدهم الأخير إلى أن منعوا التعليم بغير لغة **العثمانين** التركية .

وكانت **اليمن** الطبيعية ومنها « **عُمان** » القطر الوحيد ، باستثناء **المغرب الأقصى** التي نجت من هذا التعسف ، بفضل كفاحها المستمر ، وحافظت بذلك على الأدب العربي ، إن شعراً أو نثراً ، كما أن **النصارى** من **العرب** كانوا معفيين من الإجراء التركي القاضي على مسح اللغة العربية وآدابها ، مما سمح لهم أيضاً بالاستمرار في الاعتماد على لغة القرآن الكريم وآدابها ، إن بدراساتهم أو بمعاملاتهم ، الأمر الذي أفقد التعَامل باللغة العربية رسمياً إلى حد كبير . كما يجب أن لا ننسى الدور الضخم الذي لعبه الأزهر الشريف في الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وكل ما اتصل بها من فقه وآداب ، وكذلك **جامع الزيتونة بتونس** .

وبالنسبة **لليمن** ، فقد استمر الاهتمام بالشعر واستعمال الفصحى بالمراسلات والمعاملات ، خاصة من قبل أهل الإدارة والفقه ، ذلك أن **بني عثمان لم** يتمكنوا من التمركز في **اليمن** ، وقد علمنا في عنوان آخر أن الملك **المؤيد من آل رسول** كان يحتفظ بمكتبته في **تعز** بمئة ألف مخطوطة ويستخدم عشرة مترجمين يعملون دون انقطاع ، كما وصلنا عن العديد من حكام **اليمن** أنهم نظموا القريض وتراسلوا به ، وتحتوي الكتب المختصة بتاريخ **اليمن** على العديد من الأمثلة .

بقي علينا أن نتعرف على أدب الإدارة والمراسلات بلغة الضاد ، كما كانت عليه في **جنوب الجزيرة** ، حيث بدت الكتابات الحكومية مختصرة ومقتضبة ، متأثرة بنمط المراسلات الموروثة عن نهج التعامل في مرحلة صدر الإسلام ، وإننا نورد هنا على سبيل المثال بعض ما وصل إلينا عن هذا الأدب

البليغ المختصر ، الذي يذكرنا بأيام الخليفة **عمر** و**خالد بن الوليد** ، وهو النمط الذي ينطبق عليه القول : « خير الكلام ما قل ودلّ » .

وللدلالة نورد ما كتبه **الإمام المنصور بن حسين بن القاسم** إلى قائد الحملة البحرية المشتركة بين **الإنجليز والهولنديين** التي تمكنت من احتلال ميناء **المخا** وقلعتها الحصينة ، مما أدى في النهاية إلى انسحاب قوات المعتدين عام ١٦٤٨ م بعد أن حصلوا من الإمام على الرسالة التالية :

« الحمد لله ، إلى الأقربين منا مودة ، **الإنكليز وهولندة** . وصل كتابكم وتحققناه ، والعامل رفعناه ، والسلام على من اتبع الهدى » .

كما نذكر هنا بمناسبة الأدب المتصل بالإدارة والحكم بيت الشعر الذي قاله **يحيى بن صالح السحولي** (ت ١٢٠٩هـ/١٧٩٥م) عندما عُيّن قاضياً من قبل الإمام المنصور ، وكان هذا القاضي لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر :

وما الحداثة عن حلم بمانعة   قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

ونذكر أيضاً ما قاله الشاعر اليمني في تلك المرحلة من تاريخ **اليمن** ، واصفاً حملة **الأتراك** الفاشلة ضد **بلاد شرعب** ، ونورده هنا لطرافته حيث قال :

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم   إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً

وقد تحلى بالأدب والشعر ، وحتى بالمراسلات الشعرية ، عدد من الأئمة والحكام الذين كانوا يتمتعون بنظم الشعر وإنشاده بمختلف المناسبات .

ونذكر على سبيل المثال ما وصلنا من شعر الاعتزاز والفخر والمبالغات ، وهو من خصائص الأدب العربي التقليدي ، حيث أعطانا **الملك المجاهد** ، وهو من **آل رسول** ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ، نموذجاً من هذا النوع من الأدب بقوله :

نحن بنينا العز بأطراف القنا   ليس بالعجز المعالي تقتني
نحن بالله ملكنا اليمنا   كل فخر يدعي الناس لنا
أعرق العالم بالملك أنا

نمط من المراسلات الدبلوماسية
في نطاق الأدب الإسلامي

نميل للإشارة هنا أنه عندما كان العالم العربي حول **حوض البحر المتوسط** يئن من حكم **المماليك** ، ثم من السيطرة **العثمانية** ، ويمر بمرحلة انحطاط اللغة والأدب ، كان أهل **جنوب الجزيرة** محافظين على الأدب والفقه ، وقد اتصفت آنذاك مراسلاتهم بالأدب الإسلامي المطوّل .

وكان من ميزة الرسائل الدبلوماسية أن تتصف بالمرونة والأدب والليونة شكلاً مهماً ، كان ما تنطوي عليه من شدة وحزم بالمعنى .

وقد رأينا للدلالة على ذلك أن نستشهد بالرسالتين اللتين تم تبادلها في ١١٩٤ هـ/ نهاية القرن الثامن عشر ميلادي ، بين **سلطان عُمان أحمد بن سعيد وعامل المخا القاضي صالح العماري** ، وفيما يلي نص الرسالة والجواب عليها .

نص الرسالة الديبلوماسية الإسلامية الصبغة والصياغة ، وهي من **سلطان عُمان أحمد بن سعيد إلى عامل المخا القاضي صالح العماري :**

« من إمام المسلمين ورأس المجاهدين **أحمد بن سعيد** أسعد الله بتقواه وسلك به إلى رضاه ، إلى عالي الجناب وصفوة الأحباب العالم النبيه والكامل الفقيه والعامل الصالح **علي بن صالح** . سلام أرق من الغمام ، وأطيب من عرف الخزام ، وبعد : فإنا نحمد الله على كل حال ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله خير آل ، ثم لتعلم أيها الرجل العاقل واللبيب الكامل ، أنه اتصل بمسامعنا العلية وبلغ إلى سدتنا السنية ، من رعايانا المترددين إلى بنادر **اليمن** ممن يكتسب بالتجارة وهو المكسب الحسن ، بأنه بدع عليهم بدع عديدة بعضها في **بندر الحديدة** وبعضها في **بندر المخا** المحفوف بالخير والرخاء ، وكنا في شغل بالجهاد لأعداء الله من الطائفة الأفرنجية ، محتفلين بتجهيز الأجناد والعسكر في البر والبحر ، واستطاعت المنابذة في العامين الأولين حتى منّ الله علينا بالنصر والظفر ، فأخذتهم جنودنا المنصورة أخذة رابية ، ولم يبق لهم في البر ولا في البحر باقية .

لذا لم نكتب إليكم في الموسمين بما شكاه رعايانا ، ولا أنبهناكم بما وقع عليهم من الضيم ، وهم في كنفنا وحمانا ، ولقد كنا نهم بتجهيز بعض أملاكنا المحدودة للقتال ، وأن نأمر بشحنها من المال والرجال ، ونوجهها إلى بنادر **اليمن** ، لا بغياً على أهلها ولا طمعاً في أخذها ، إلا أن جزاء سيئة بسيئة مثلها ، وقد علمت أيها الكامل غب الفتنة ومآل عاقبة المحنة ، وما يسفك فيها من الدماء ، ويستحيل من الدهماء ، وهب هب بعض غيظنا وسكن ما كان يطيش بحلمنا ، ما أخبرنا به الولد ماجد من

كالك ووفور عقلك ونباهتك ، وشكراً لرعايانا إياك بحسن المعاملة والعدل ، الـذي بـه تتوفر الخيرات والبركات ، فأنا مع ما بلغنا إذن لمن لم نأذن له بالتجارة في **البصرة** ، بأن ينفذوا إلى بنادركم بالتجارة ، ووفرنا إرسال الخشب إلى **المخا** للبضائع المختارة .

وليس ذلك إلا لوصف الولد **ماجد** وغيره من الوافدين ، فلما تحققنا رجاجة مكاتبتـك وصح لنـا حسن ملاحظتك ، وجهنا بكتابنا هذا في مركبنا **فتح الخير** صحبة الولد **راشد بن ماجد** ، وأوصينـاه مشافهة بما يلقيه إليك ويتلوه عليك ، فـإن ينحسم الشقـاق ويحصل الوفـاق فنعما هو ، وإن يكن إلا ما قد كان فقد أعذر من أنذر .

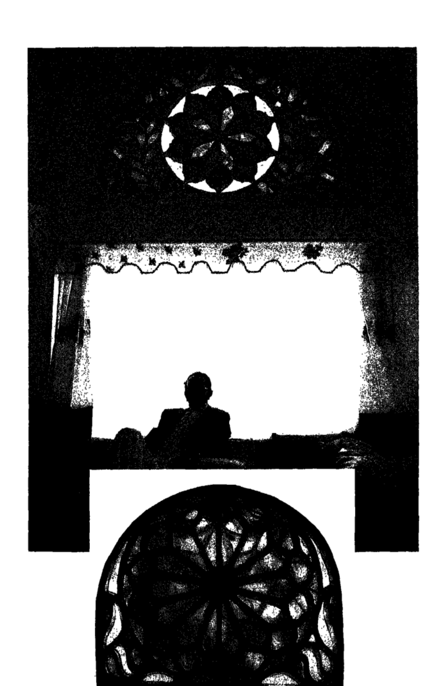
ولا الكتب إلا المشرفيـــة عنـــدنـــا ولا رســــــــل إلا الخميس العرمرم

والله المستعان وعليه التكلان ، حرر في شهر ربيع الأول سنة ١١٩٤ هـ .

وهذا نص الرسالة الديبلوماسية الإسلامية جواباً على رسالة السلطان ، وهي كرسـالـة السلطـان لطيفة بالشكل وأكثر منها عنفاً بالصياغة وبالمعنى . والرسالتـان تمثلان بنظرنـا مـا كان قـد وصل إليـه أدب المراسلات الـديبلومـاسيـة الإسـلاميـة في البلـدان العربيـة ، التي لم تتـأثر بـالحكم العثمـاني وآداب مراسلاته :

« الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام وعلى آله حلفاء الحق بنص الكتاب وقرنـاء الذكر بلا ارتياب .

إلى حضرة الإمام الماجد **المجيد أحمد بن سعيد** شيـد الله مجـده وأدام سعـده ، وبعـد : فـإنـه وصل الرقيم والمكتوب العظيم ، وفهمنا ما شرحتم وتصفحنا ما ذكرتم ، وصرحتم بشكوى رعـايـاكم ممن يفـد إلى البلاد الإمـاميـة من تلقـائكم . فـاعلم أبقـاك الله وتولاك أن **لليمن** ملكاً يتحـامى الملوك بحمى حمـاه . ويرهبه كل من سواه ويغشاه . ويذل لسطوته كل من ناواه ولا يرضى بالجور فيما تولاه ، ولا بالظلم في كل من حواه ، ولا يأخذ بدعة في مملكتـه ولا إسقـاط عـادة في بلاد دولتـه . وأمـا مـا ذكرتم من عشور الحـديـدة فهو مستمر على مـا سلف ، ومتبـوع على أثر السلف ، ومـا أبنتم في مرقـومكم من أي جهـة كان الظلم ، بل تركتم التفصيل وأجلتم . وأما عشور **المخا** فما ثمة بدعة ولا نرضى بهـا قـط ، ونحن لـذا أمرنـاهم بذرع الطيقان فقط ، لأن التخمين لا يخلو من مجـازفـة ، إمـا عليهم أو على بيت المـال . فحصل منهم التضرر بذلك والاضطراب ، وأنشدك الله هل هذا الخطأ أم صواب ، وأما ما أودعتم في غضون الكتاب في الأبراق والأرعاد وذكر الجهاد والأجناد ، فلقد كدنا أن تقول بـالله العجب من بعوضـة تطن في أذن فيل ، ولقد حشمنا المجلس الجليل ، وكففنا لسان القلم عن التطويل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .



المفرج : صالة الاستراحة والاستقبال والزجاج الملون الذي يشكل تحفاً فنية للزينة ساعد على إسداء بهجة على المبنى من الداخل أو الخارج .

وكثيراً ما يعلو النافذة نافذة صغيرة مقفلة بلوح من المرمر الشفاف (الأباسترو) الذي يسمح للنور بالدخول دون سواه .

المفرج : صالة التأمل والانشراح التي كثيراً ما تكون في الطبقة العليا من المبنى ، حيث يمتد النظر بعيداً للتمتع برؤية المدينة والطبيعة . وربما يكون المفرج منفصلاً ومبنياً في حديقة السكن وأمامه .

اللُّبان واليمن

البلسم : فصيلة الأشجار التي تنتج (اللّبان) وأنواع (الميعة) النادرة والثمينة :

ثلاث شجرات كان لها أكبر الأثر على اقتصاد **اليمن** ، وشهرتها العالمية ، وسياستها ، ونوع الحياة فيها ، وأول هذه الشجرات هي النوع الذي يستخرج منه اللُّبان وكذلك النوع الذي يستخرج منه المرّ .

وتحمل البلسم عدة أسماء كما سنرى ، كما أنها تتألف من عدة أنواع ، كل منها تنتج مادة رتنجية متشابهة معروفة من قبل المختصين بتحصيلها وتسويقها واستعمالها : وقد جاء في القرآن الكريم ﴿ خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل ﴾ [سبأ ١٦/٣٤] صدق الله العظيم . ويعتقد البعض أن ﴿ الخمط والأثل ﴾ هي من أنواع الأشجار التي تنتج مادة اللبان أو الميعة .

كما جاء ذكر اللّبان وتجارته وازدهار المناطق التي صدرته ، والمكانة المقدسة التي تمتعت بها في مراجع عديدة ، خاصة عند قدماء المصريين الذين قدسوا البخور وهو ما يحرق من اللّبان ، لكونه ذا صلة بطقوسهم الدينية التي لا تتم بدونه مما حمل على تسميته **عطر الإله** كما تعدد ذكر **اليمن** عند المؤرخين الغربيين بأنها بلاد البخور والعطور ، ومعلوم أن البخور لا زال مستعملاً في الطقوس الدينية إن في الكنيسة أو في الكنيس وسائر المعابد ، وكذلك إن في الغرب أو في **الشرق الأقصى** ، وأيضاً بمناسبات اجتماعية عديدة عند **العرب** وعند **اليمنيين** بصورة خاصة وحتى يومنا هذا .

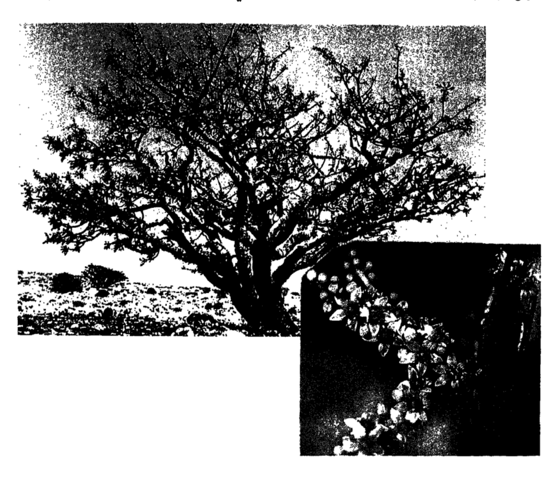
فما هي هذه الشجرة التي ذهب أسطول الفراعنة قبل خمسة آلاف عام أو أكثر لجلب محصولها من **بلاد البونت** حيث يبدو أنه لولا حرصهم للحصول على اللّبان لما حفروا ترعة (قنال) بين **النيل والبحر الأحمر** لتتمكن سفنهم من الوصول مباشرة إلى مصدرها في جنوب هذا البحر الذي تعددت أسماؤه قبل أن يلقب **بالأحمر** ، حيث كان يسمى **البحر الأرتيري** ثم **القلزم** ، وهو الذي يمتد إلى ما بعد **مضيق باب المندب** ليصل إلى كامل سواحل **إفريقيا الشرقية** حتى **بلاد الموزمبيق** ، والمضيق الذي يفصل **جزيرة مدغشقر** عن **إفريقيا** ، كما يلتف حول كامل **جنوب الجزيرة العربية** حيث يحمل في أيامنا هذه في تلك المناطق اسم **بحر العرب** .

المُرُّ واللُّبان

شجرة اللُّبان وأشجار المُرُّ وسائر الأنواع التي تنتج المادة الصمغية الراتنيجة ، عديدة ومختلفة بأشكالها ، ولا زال علماء النباتات يدرسون فصائلها المنتشرة في جنوب الجزيرة والصومال ، وأيضاً في جزيرة سقطرة التي قيل إنها كانت تساوي وزنها ذهباً لشدة غناها باللبان وأنواع نادرة من المُرُّ النافع المرغوب .

الأشجار التي يستخرج اللبان من تشقق في جذوعها متعددة الأنواع والأسماء ، لكنها تنتمي في علم النبات إلى فصيلة (البوسواليا) أو البلسم ومنها أيضاً (المرّ) الذي يستعمل كمخدر أو علاج للجراح ، واسمه العلمي (كوميفراميرة COMMIPHORA MYRA MYRRHE) .

يطلق على أنواعها أسماء مختلفة هي : الطلح والأثل والسنط والفتنة . تعتبر بعضها من فصيلة (الأكاسيا) التي تغرس على أطراف الصحارى لتحملها الجفاف بقصد حماية الأراضي الزراعية من أخطار الزحف الصحراوي .



وتعتبر الصموغ المستخرجة من أنواع الأكاسيا أو (أقاصيا) من مستوى منخفض بالنسبة للبان الأصيل الذي أطلق عليه علماء النبات (OLIBANUM) أي : اللبان .

زهرة أحد أنواع شجرة اللبان (البوسواليا) وهو اسمها العلمي (أوليبانوم BOSWALLIA OLIBNUM) .

شجرة اللبان بوسواليا أوليبانوم يقوم المستثمر بفتح شق في ساق أو جذوع الشجرة ليحملها على إبراز (الصمغ العربي) أو الميعة ، وهي اللبان ، ومنه البخور .

ويوجد نوع آخر من هذه الفصيلة لا يورق وأغصانه مكسوة بالأشواك عوضاً عن الأوراق .

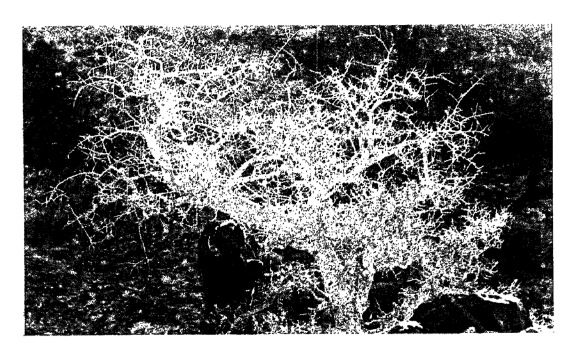
رواية المؤرخ بلينوس عن روائح أدغال اليمن

عندما أخبرنا المؤرخ اليوناني **بلينوس** أن **بلاد سبأ** كلها كانت تفوح منها الروائح الزكيـة ، نميل لتفسير ذلك أن كامل المناطق المجاورة **لمأرب** التي زارها الفاتح الروماني **يوليوس جالوس** عـام ٢٤ قبل الميلاد ، كانت مغطاة على مسـاحـات شـاسعـة بهـذا النوع من الشجر ، وهو الـذي شكل الأدغـال التي ذكرها **سترابون** عند حديثه عن **مأرب** .

تفسيرنا لرواية بلينوس وسترابون

لما كان اللبان يخرج من شقوق الشجرة بعد استمرار الجفاف ، فإن **الصمغ العربي** أو الميعـة يتعرض بطبيعـة الأمر لحرارة الشمس التي تعمـل على تبخيره ، وهكـذا يخرج من اللبـان الروائـح العطرة التي ذكر **سترابون** بأنها كانت تفوح من كل البلاد . ومن المعتقد أن مساحات شاسعة من البادية والوديـان المجاورة **لمأرب** كانت مكسوة بهذه الأشجار التي تتحمل الجفـاف ، لكنهـا تتشقق عنـد اشتـداده لتخرج **الميعة** طبيعياً من تلك الشقوق وهي أميز الأنواع .

وقد درَّ **اللبَّان والمر** على البلدان المنتجة له ما يدرّه النفط في أيامنا هذه على بلدان إنتاجه .



(أوليبانوم شوكي)

نوع من أنواع أشجار اللبان الشوكية النادرة

احتكر أهل جنوب الجزيرة إنتاج وتجارة (اللبان والمرّ) مدة لا تقل عن ألفي عام ، مما شكّل العنصر الرئيسي لازدهار (سبأ) وتوسع مراكزها ، لتشمل كامل الواحات الواقعة على طريق القوافل بين المحيط الهندي وبحر الروم (الأبيض المتوسط) ، وكان اللبان أثمن من الفضة والذهب ، وربما كانت السبب لازدهار الواحات المجاورة للربع الخالي ، إلى جانب معدن الذهب من بلاد (أوفير) أو ظفار ، والتي كانت تشمل برأينا بلاد (عاد وثمود) ، وهي موطن العرب البائدة ، وربما كانت تحتوي إحدى واحاتها على مدينة (إرم ذات العماد) المذكورة في القرآن الكريم حيث يوجد التبر الصافي الذي لا يحتاج إلى صهر .

اللُّبان : عطر الآلهة عند الفراعنة

استعمال اللُّبان كبخور عند وجهاء العرب



كا كان ولا يزال يستعمل في المعابد والكنائس ، وكان أثمن من الفضة والذهب عند الفراعنة ، قبل نشوء طرق القوافل البرية ، التي بدأت بعد وصول الجمل إلى الجزيرة عام ١٢٠٠ ق.م . وخاصةً بعد ازدهار هذه الطرق ونقلها لسلع أخرى عديدة ، كالتوابل والمعادن والعاج وسائر السلع الثمينة والنادرة وتجدر الإشارة إلى ما ذكره مؤرخو الإسكندر المقدوني ، من أن هذا الفاتح العالمي أعرب عن بهجته العظمى بعد حصار غزة واحتلالها ، نظراً لما عثر عليه فيها من مخزون اللُّبان والمَر الذي لا يقدر بثمن .وقد شكلت غزة المنيعة والغنيّة آخر طريق اللُّبان والمرُّ والتوابل ، التي كانت تصلها من بلاد سبأ عن طريق (البتراء) عندما كانت عاصمة للأنباط العرب شركاء سبأ .

مكانة اللبان (الصمغ العربي) التجارية
في أيامنا ، ومصادره الجديدة ،
ومجالات استعماله

يفيدنا كتاب أوكسفورد للنباتات الغذائية THE OXFORD BOOK OF FOOD PLANTS ، وكذلك كتاب النباتات الطبية الرئيسية MAJOR MEDICIN PLANTS JULIA. F. MORION الأمريكي ، أن الصمغ العربي بأنواعه يستعمل حالياً إلى جانب حرقه كبخور في شتى المستحضرات الطبية والتجميل ، وكذلك في صناعات الغذاء ، ومنها بصورة خاصة ما يتعلق بما هو معجون ، كما أنه عنصر هام في صناعة التصوير بالطباعة ، وأيضاً لمزج المصنوعات . كما يستعمل مع الصمغ المعتاد المتصل بالطوابع البريدية وغير ذلك .

ويفيد المرجع الأمريكي المذكور أن **الولايات المتحدة** تستورد سنوياً أحد عشر ألف طن من الصمغ العربي من مصادره المتعددة حالياً ، كما تفيد بأن النوع المسمى **بالطلحة** يستورد من **نيجيريا** وغربي **مصر** و**السودان** وهو المستعمل في المجال الصناعي .

كيفية تحصيل اللبان

يتم تحصيل اللبان بفتح شق ضيق في لحاء الشجرة وساقها الرئيسي ، ثم تسيل منه مادة لزجة ، وعندما تجف هذه المادة **الصمغ** على جذع الشجرة ، تتحول آنذاك إلى مادة راتنجية جامدة ، فيحصل قشطها عندئذ لتستعمل كبخور عَطِر وغير ذلك ، ونعلم الآن - كما رأينا وسنرى - في مجال الطب ، أن هناك عدة أنواع من شجرة البلسم **الأكاسيا** ، أما الأنواع التي تعود إلى فصيلة **بوسواليا** فتنمو جميعها في جنوب **جزيرة العرب وبلاد الصومال (بلاد البونت)** ، وهي التي تنتج نوع اللبان الأبيض الذي لا ينمو حالياً إلا في منطقة **ظفار** وما إليها - كما رأينا - .

العناية باللُّبان ومدى الحرص عليه في الإسكندرية :

ولدلالة على المكانة التي كانت تتمتع بها هذه المادة النادرة باعتبارها أيضاً مادة حيوية للعلاج ، كما هي على الأخص ما اعتبر **عطر الآلهة** عند **الفراعنة** ، الأمر الذي يفسِّر المرتبة السامية التي تمتَّع بها اللُّبان في **مصر** ، من مكانة دينية وطبية .

وللتعبير والدلالة على ذلك نورد هنا ما جاء ذكره بكتاب : **الطب التقليدي المقدس** تحت عنوان **طب الأهرامات** . حيث دوّن هذا المؤلف القيم نقلاً عن **بلينوس** اليوناني ـ الروماني مايلي :

... أما في **الإسكندرية** حيث كان يحصل التناهي بالاهتام باللبان (وهو الصمغ الراتنجي العربي) ، فيضاعفون عنايتهم بحراسة المختبرات التي تستعمله ، حيث تختم الألبسة الداخلية للعمال **الكلسونات** ، وتغطى رؤوسهم بقناع أو بشبكة دقيقة الحلقات ، ولا يسمحون للعمال بالخروج من المختبر إلا وهم عراة مجردون من اللباس .

ويؤكد لنا هذا الوصف للتدابير بقصد المحافظة على هذه المادة أنها كانت لا شك أثمن من الذهب الذي كان مستعملاً بكثرة بعهد **الفراعنة** ، كما أن مرورها بمختبرات يفيد بأنها كانت تستعمل لمستحضرات أخرى غير حرقها لعطرها كبخور . وإذا كان الذهب هو معدن لا يفنى فإن اللبان يفنى بسبب استعماله للمعالجة أو التحنيط ، وكذلك لحرقه في المعابد بكثرة ، نظراً لاتساع تلك المعابد ومدى العناية بطقوسها ، لذلك كان لابد من مواصلة السعي لتجديد الحصول على هذه السلعة التي يؤدي استعمالها لهلاكها ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للذهب .

اللبان والطب :

أما استعمال اللبان حالياً في المجال الصحي في البلدان المنتجة له ، فقد أفادتنا المصادر العلمية المذكورة آنفاً بما يلي :

يستعمل اللبان حالياً وتقليدياً في البلدان المنتجة له ، لمعالجة مرض **السيلان ـ جونوريا ، ومرض الزهار ـ الديزتاريا ، ومرض الجزام ـ لايروزي** ، والالتهابات والدمل والحروق .

أما في عالم الصيدلة الحديث فيدخل استعمال اللبان لمعالجة الإسهال والزحار والسعال والتهاب الحنجرة ، وخاصة كمادة لربط عناصر العلاج ببعضها ، ولتحضير حبوب العلاج ، وأيضاً في العلاجات التي يحصل مصّها بالفم .

كما تفيدنا المراجع الطبية ، إن الراتنج الذي يستخرج من الطلح ، وهي شجرة شوكية لها أوراق كالعرعر ، تنتج صمغاً شبيهاً بالمصطكا ، ويستخدم بصفته العطرية . وأن شجرة الطلح هي إحدى أنواع البوسواليا ، كما يستعمل الأطباء التقليديين في **إفريقيا** خشب هذه الشجرة القريبة من البلسم ، وهو البنفسجي اللون لمعالجة المرض الأفرنجي (السيلان) .

المرّ واكتشاف العالم (فورسكال) شجرة منه في وادي سُردد ، وخبر استخراج مادة مخدِّرة عرضت على السيد المسيح عليه السلام

أما المرّ ، وهو مادة رتنجية صمغية ، فيستخرج كاللبان من شقوق أشجارها ، وأما اسم المرّ العلمي فهو (COMMIPHORA MYRA) وهو يستخدم كعلاج منذ أقدم العصور ، ومادة المرّ الصمغية مثلها مثل اللبان نادرة ، ومن العسير جداً الحصول عليها حيث أن أشجارها تنمو في الجبال القاحلة الجرداء ، لكن الشجرة تجد لنفسها مكاناً بين الصخور . وتفيد المراجع الإيطالية التي حاولت التعرف على أماكن نمو هذه الشجرة النادرة في مواقعها في **الصومال** الذي كان خاضعاً للحكم **الإيطالي** قائلة :

إن أبناء المنطقة يسيرون على أقدامهم بين الصخور الجبلية مسافات طويلة قبل الوصول إلى موقع الشجرة الذي يعتبرونه ملكاً لهم ويحتفظون بسرية موقعه .

وقد ذكر **فورسكال** عالم النبات الدانمركي الذي زار **اليمن** عام ١٧٧٦ م - كما رأينا في مكان آخر - بأنه شاهد شجرة المرّ في **وادي سردد** ، وقد أصبحت هذه الشجرة تحمل اسم **فورسكال** في مراجع النباتات العلمية .

وكانت قد أفادتنا الصحف الأولى :

« أنه كان رجال العلم والدين بعهد **السيِّد المسيح عليه السلام** يقدمون لمن يُحكم عليه بالإعدام صَلْباً شراباً مستخرجاً من المرّ ، يجعل من يتناوله عديم الشعور بالألم . وقد عرضوا على **سيدنا عيسى عليه السلام** تناول المرّ قبل صلبه ، فامتنع عن تناول شراب المرّ ، لكي يتحمل الألم حتى النهاية .

ومن هذه القصة يمكننا التعرف على أهمية هذه المادة التي من شأنها إزالة الشعور بالألم ، مما يقوم مقام المخدر عند إجراء العمليات الجراحية ، وكان ضمن مهمة **فورسكال** التعرف على مصدر شراب المرّ المذكور بالإنجيل . ولنا أن نتساءل هل القول (ذقت الأمرَّين) يقصد به تناول المرّ وكذلك الآلام ؟

أهمية شجرة اللبان ، وتأثيرها على المواصلات العالمية وازدهار المدنيات ، وربما في عهد (عاد وثمود) :

تحسن الإشارة بالإضافة لما سبق ، إلى أن هذه الشجرة الحرجية ، والتي تنمو طبيعياً في مناطق جرداء ، وهي من فصيلة (**الأكاسيا**) وتسمى محلياً : الأثل أو السنط أو الطلح ، قد لعبت أو بالأحرى الصمغ الذي يستخرج من ساقها ، لعب دوراً هاماً في التاريخ القديم .

ذلك أن هذه الشجرة المتعددة الأنواع كما ذكرنا ، والمتعددة الأسماء ، تنتج مادة اللبان التي تستعمل بخوراً عطرياً ، كما تستعمل في المستحضرات الطبية ، وأيضاً للتحنيط وللتجميل ، إنما أهميتها

الكبرى تعود للحاجة إليها في الماضي في عمليات التحنيط التي كانت تمارس ليس على الفراعنة وحسب ، بل على جميع العظماء والميسورين .

ولا ينمو نوع معين من هذه الشجرة ، النادرة في العالم أجمع ، إلا في بلاد **البونت** التاريخية ، أي في البلدان التي تقع على شاطئ **المحيط الهندي** بعد **باب المندب** ، أي **الشاطئ الإفريقي** وهو **الصومال** **والشاطئ الآسيوي** ، وهو الممتد في أسفل **جنوب الجزيرة العربية** حتى **عُمان** ، لكن علماء النبات وسواهم اكتشفوا أنواعاً أخرى تنمو في مناطق متعددة ، إنما تظل مع ذلك أهم المناطق التي تنمو فيها (الأكاسيا = البوسواليا) هي **ظفار** المتصلة مع **بلاد حضرموت** ، حيث ينمو النوع الأبيض الجيد وفقاً لما سبق ذكره ويطلق عليه الفرنسيون اسم (الصمغ العربي GOMME ARABIQUE) ، وهو الطّلح الجنوبي الذي لم يعرف قدماء المصريين بديلاً عنه ، وهو الذي كانوا أيضاً يتطيبون به ويعتبرونه من إنتاج البلاد المقدسة .

ونظراً لمدى اهتمام قدماء المصريين ومنذ آلاف السنين بتحصيل اللّبان من مصادره البعيدة ، جعل البعض يميل للاعتقاد بأن أصل الفراعنة جاء من تلك البلدان المقدسة لديهم عن الطريق الغربية ، أي طريق بلاد **أكسوم** بالحبشة وأعالي النيل .

وكان أول ما وصل إلينا عن تسجيل **الفراعنة** لتحصيلهم اللّبان من مصادره هو ما ذكر عن **ساهوري** في بداية الألف الثالث قبل الميلاد (٢٧٤٣ ـ ٢٧٣١) ، حيث رأس حملة بحرية بطريق **البحر الأحمر** إلى بلاد تفيض لباناً . ويتضح من ذلك أنه وصل إلى بلاد **البونت** أي **الصومال** **وجنوب الجزيرة العربية** . وكان ذلك حتماً قبل مرحلة وصول تلك السلع الثمينة إلى الشمال عن طريق القوافل البرية ، لأن الجمل لم يصل إلى **الجزيرة** حتى ١٣٠٠ أو ١٢٠٠ قبل الميلاد مع **الميتانيين** أو **المديانيين** وهم من قبائل أواسط آسيا الذين رافقوا حملات **الآشوريين** .

وفي مرحلة لاحقة ذكر لنا **الفراعنة** في تراثهم المسجل أنه بعد أن وحّدوا الجزء الأكبر من **وادي النيل** ، بما في ذلك **بلاد النوبة (كوش)** القريبة من **الحبشة** و**بلاد أكسوم** ، نظموا حملات عديدة إلى هاتين المنطقتين من بلاد **البونت** ، للحصول أيضاً على المرّ والصموغ العطرة والراتنج والأخشاب الزكية الرائحة .

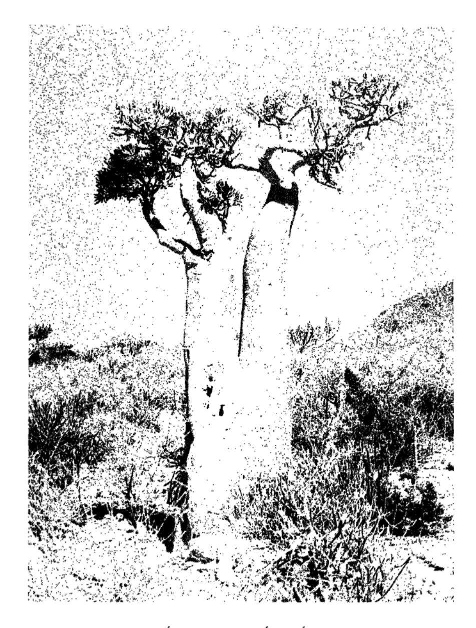
وكنا قد نوهنا إلى أن الملكة **حتشبسوت** جرّدت حملة إلى بلاد **البونت** عام (١٥٠٠ قبل الميلاد) ، وتُعتبر هذه الفرعونة أول ملكة يذكرها لنا التاريخ القديم .

أما خليفتها **تحتموس الثالث** وهو الفاتح الفرعوني الأكبر ، فتطلعنا الرّقم الفرعونية ، أن حملاته

الموفقة على تلك الأرجاء عادت حاملة هـذه المـادة الثمينـة ، وأيضـاً طرائف العـاج والأبنوس والأرفـأ وجلود الفهود .

وهكذا فـإننـا نعلم علم اليقين مما سجلـه فراعنـة مصر للتـاريخ بـأن **المصريين** كانوا أول من جرّد الحملات للحصول على اللّبـان ، وعلى السلع التي كانت تتـواجـد في أطراف **المحيـط الهنـدي** عن طريـق **البحر الأحمر** الخطر . ولكننا لانعلم فيما إذا كان قـد تمّ الحصول عليهـا عنوة من أهل **البونت** ، أو على أساس تبـادل تجـاري ، وهو مـا نميل لاعتماده لأكثر من سبب ، ومن أهمهـا بعـد المسـافـات ، وصعوبـة المواصلات ، ووعورة المناطق ، التي تجعل من سكانها أصحاب بأس وعنفوان وكفاءة في القتال بوديـان وجبال وأدغال تساعدهم على الصمود والنجاح .

كما نعتبر أن هذا الاتصال المباشر والمستمر بين **فراعنة النيل** قبل خمسة آلاف عـام ، عنـدمـا كانوا يقومون ببناء الأهرامات الأولى والمعابد الضخمة في **الكرنك** و**أعالي النيل** و**بلاد الكوش** القريبة نسبياً من **بلاد أكسوم** التي تعاملت مع **اليمن** منذ القـدم ، وبين أهل **جنوب جزيرة العرب** أدى إلى حصول هذه المنطقة من **جزيرة العرب** على ثروة خياليـة ، كما سـاعـد على ازدهـار حضـارة لاتقل شـأنـاً عن حضارة الفراعنة المذهلة ، وربما كانت تلـك الحضـارة من نوع مختلف عن حضـارة **وادي النيل** ، وهو ما يفسر ازدهار منطقة **ظفـار** و**أطراف الربع الخالي** **شرقي اليمن** ، حيث شيّـد **شـداد بن عـاد** أعجب مدينة عرفها التاريخ ، وهي **إرم ذات العماد** التي نميل للاعتقاد بأن ملك شرقي اليمن سـاق إليهـا الميـاه التي تفيض من **اليمن** باتجاه **الربع الخالي** ، لإيصالها إلى واحـة بنى فيهـا مـدينتـه العجيبـة التي لم يخلق مثلها في البلاد ، كما سنذكر ذلك في موضوع **الربع الخالي** ، وربما تزامن ذلك الازدهـار المنقطع النظير مع أول مراحل بناء المعابد والأهرامات في أعالي **وادي النيل** كما ذكرنا ، أي عندما انتشر تحنيـط الموتى وبناء المعابد المدهشة التي ليس لضخامتها مثيل حتى يومنا هذا ، وذلك قبل الميلاد بثلاثة آلاف عام ، كما هو مقرر من قبل أهل الاختصاص ، وكما نشير إلى ذلك في مكان آخر .



شجرة (التنين أو دم الأخوين) وهي من الأشجار النادرة
التي لا تنمو إلا في سقطرة واسمها العلمي : DRAGOV'S BLOOD

- يستخرج منها نوع من أنواع المرّ المستخدم في المستحضرات الطبية النادرة .

- والمرُّ المستخرج من (دم الأخوين) مماثل في مفعوله للمرّ المنتشر بالأطراف الجنوبية الجافة من جنوب الجزيرة والصومال ، وكان من مصادر ثروة اليمن ، وقد تعذّر في الماضي وصول العلماء إلى أمكنة نمو هذه الأشجار لدراستها عن كثب ، لوعورة الأماكن وحرص السكان على إبعاد أي أجنبي يقترب من مواردهم التي أصبحت شبه معدومة .

وكان يستخرج من المرّ شراباً من شأنه إزالة الشعور بالألم ، وربما يؤدي إلى التخدير ، وقد علمنا من الإنجيل بأنه عرض على المسيح عليه السلام أن يشرب المرّ لكي لا يشعر بمرارة وآلام الصلب فرفض . كما يعتقد أهل الاختصاص أن المرّ كان يستعمل في تحنيط الموتى .

البن واليمن

لما كانت **اليمن** أول من صدّر البن إلى العالم ، ونظراً للمكانة التي تبوأتها زراعته وتجارته فيها ، ولاعتباره جزءاً من شعارها ، رأينا أن نخصه ببحث كامل .

يعود الفضل لانتشار استعمال البن (القهوة) في العالم إلى **اليمن** ، التي بدأت بتصديره منذ بداية القرن السادس عشر ، ثم عمّ العالم أجمع ، وذلك لاحتوائه على مادة الكافيين المنبهة المنعشة ، والمستعملة حالياً في مستحضرات ومشروبات عديدة منها (الكوكا كولا) وأمثالها المنتشرة في أنحاء المعمورة .

انتقلت شجرة البن إلى **اليمن من الحبشة** حيث تنمو طبيعياً ، وذلك على ماهو مؤكد قبيل القرن الخامس عشر ميلادي ، وأطلق على حبيباتها المغلية (قهوة = بن) ، وهي تسمى كذلك في **اليمن** حتى الآن ، وبما أنها وصلت إلى العالم الغربي عن طريق **القسطنطينية** ، وكذلك عن طريق **القاهرة** ، فقد أطلق عليها أهل الغرب آنذاك لقب (خمر المسلمين) أو نبيذ الإسلام .

ويعتقد بعض المؤرخين بأن الاسم العربي للقهوة يرجع إلى **كفا** ، وهو اسم منطقة في **أثيوبيا** ، حيث ينمو فيها البن بشكل طبيعي كما ذكرنا ، ولكن كلمة قهوة استخدمت باللغة العربية قبل الإسلام ، وهي تفيد الخمرة ، ويبدو أن **اليمنيين** أتوا بشجرة البن من **الحبشة** خلال القرن الخامس عشر ، وزرعوها في أعالي الجبال بالمناطق المعرضة للأمطار .

ويعزى مفعول البن المنعش إلى المركب القلوي الذي تتضمنه حبوبها بنسبة تتراوح من ٠,٧٥ بالمئة إلى ١,٥٪ من وزنها .

بدأ تناول البن للمرة الأولى في **الجزيرة العربية** في بداية القرن السادس عشر ميلادي ، حيث أن المسلمين المتزمتين كانوا يدّعون بأن البن هو شراب مسكر ، وهو بالتالي مما يحرمه القرآن الكريم ، فقاطعوا تناوله مؤقتاً ، ثم اكتفوا بالنصح بعدم تناوله .

نمط من الإعلان عن البن (القهوة) في المتحف البريطاني ، ثم انتشار زراعته في العالم

أما في **أوروبا** ، فإن الإشارة الأولى المسجلة للقهوة وردت في عام ١٦٥٢ م على شكل نص محفوظ الآن في **متحف لندن** (BRITISH MUSEUM) ، وقد جاء في النص ما يلي :

« القهوة تنشط الفكر وتنير الذهن ، إنها دواء لتقرح العيون ، ولداء الاستسقاء ، وداء المفاصل والأسقربوط ، وللوقاية من هذه الأمراض ومعالجتها فهي لاتسبب أي إسهال أو أي إمساك » .

كما علمنا من المراجع **البريطانية** أن أول سفينة تحمل عَلَم هذه المملكة بقصد تحصيل البن كان في عام ١٦٠٩ م .

وكان قد عرف البن في **عدن** حوالي عام ١٥٠٠ ميلادي ، ويبدو أن **الأتراك والفرس** كانوا أول من تناول القهوة بعد **العرب** . وفي عام ١٦٣٠ م قام **وليم بورت** وهو أحد عملاء شركة **الهند الشرقية** في **أصفهان** بتوجيه رسالة إلى شركته ، يحثها فيها على أن تشتري حبوب البن للاتجار بها ، وفي عام ١٥٥٤ م نجد أن المقاهي كانت قد انتشرت في **القسطنطينية** ، ثم أقفلت لفترة تحت تأثير الفقهاء القادمين من **الحجاز** ، والذين كانوا يدّعون بأن القهوة شراب مسكر ، وأن الدين الإسلامي يحرمها كالكحول . وحوالي عام ١٦٣٣ م ابتدأت **البندقية وأمستردام** ببناء المقاهي ، وكذلك مدينة **مرسيليا** الفرنسية التي كانت قد أقامت علاقات تجارية وثيقة مع **القاهرة** لاستيراد البن اليمني منها ، وكانت **القاهرة** آنذاك أكبر مركز لتصدير البن العربي إلى **أوروبا** إلى جانب التوابل .

وفي عام ١٦٧٩ م قامت كلية الطب التابعة لجامعة (**ليون** LYON) في **فرنسا** بإجراء دراسة عن (القهوة CAFE) وأثرها على صحة سكان **مرسيليا** ، وكانت نتيجة هذه الدراسة الطبية أن (القهوة) ضارة بالنسبة لصحة معظم سكان **مرسيليا** .

أما في **باريس** فلقد أدخلت القهوة على يد أحد سفراء الإمبراطورية **العثمانية** الذي كان يقدمها لزواره تكريماً وترحيباً ، ثم افتتحت المقاهي ابتداء من عام ١٦٦٩ م لعلية القوم ، حيث أصبحت نوادي وملتقى للشعراء والكتاب والفنانين فيتناولونها ليتشبهوا بسفير (الباب العالي) ، وكانت آنذاك **الإمبراطورية العثمانية** أعظم مملكة في العالم ، وكان بالتالي سفيرها في **باريس** أعظم شخصية أجنبية **بفرنسا** .

وفي بداية القرن التاسع عشر (١٧٠٨ ـ ١٧١٠) قام تجار المرفأ الفرنسي الواقع على **المحيط الأطلسي** ، وهو (**سان مالو** SAN MALO) بمنافسة **بريطانيا وهولندا** باستيراد البن مباشرة من **المخا** ، في حين أن زملاءهم في **مرسيليا** كانوا يستوردونه عن طريق **القاهرة** .

وفي عهد الملك **لويس** الخامس عشر المتوفي عام ١٧٧٤ أمر هذا الملك باستقدام عدد من شجيرات البن ، وزرعت في حديقة قصر **اللوفر** الملكية الشتوية ، ومن ثم نقلت إلى مستعمرة (**المارتينيك** MARTINIQUE) الفرنسية .

أما في **أميركا الشمالية** ، فإن مدينة **بوسطن** كانت أول مدينة افتتح فيها مقهى عام ١٦٧٠ م ، تلتها **نيويورك** عام ١٧٣٧ م . وإذا كانت المقاهي في **باريس** مركزاً لتجمع الشعراء ورجال الآداب ، فإنها أصبحت سريعاً في **أميركا** مراكز لتجمع السياسيين ، ويؤكد المؤرخون بأن المقهى الشهير في **نيويورك** ويدعى مقهى التجار (MERCHANTS COFFEE HOUSE) كان مكان ولادة **اتحاد الولايات الأميركية** .

وتفيدنا مصادر تاريخ **باريس** أنه كان قد أصبح عدد المقاهي قبيل الثورة (عام ١٧٨٩ م) ألفا منتدى متخصص بتقديم القهوة أو يحمل اسم قهوة (كافيه CAFÉ) .

أما اليوم فكلمة (كافي أو كوفي) فتعني الحانة التي تقدم فيها المرطبات وسائر المشروبات على أنواعها ومنها الروحية ، وأيضاً بعض المآكل الخفيفة التي يتم تناولها صباحاً مع القهوة .

وهكذا أجمعت المصادر التاريخية على أن **اليمن** كانت المصدر الوحيد للبن في العالم حتى نهاية القرن السابع عشر ميلادي ، وبعد محاولات عديدة نجح **الهولنديون** في نقل شجرة البن إلى جزر **جافا وسيلان** ، وأدخل البن إلى **هاييتي وسان دومانغ** في عام ١٧١٥ م ، وإلى **البرازيل** في عام ١٧٢٧ م . ثم انتقل البن من **الجزر الهولندية وجزر المحيط الهادي** الأخرى إلى جميع أنحاء العالم ، إلى أن وصل مؤخراً إلى **إفريقيا الغربية والوسطى** .

ويؤكد الخبراء أن الفرق في المناخ ونوع التربة يؤدي إلى إنتاج أنواع عديدة من البن الذي يتطلب مناخاً حاراً ورطباً ، وإنما أفضل درجات الحرارة تتراوح بين ٦٥ درجة إلى ٧٥ درجة فهرنهايت . وتبدأ أشجار البن بالإنتاج بعد ثلاثة أو أربع سنوات من غرسها ، ويدوم عطاؤها حتى أربعين سنة ، ولكن المزارعين يفضلون استبدال الأشجار بعد ١٢ إلى ١٥ سنة لكي يضمنوا جودة المحاصيل وإنتاجية عالية .

وفي بعض المزارع الواسعة كالتي في **البرازيل** وسائر البلدان التي لديها مساحات شاسعة ، يترك المزارعون حبيبات البن معلقة على الأغصان إلى أن تذبل وتجف ، ومن ثم يقومون بهزّ الأشجار فتتساقط الحبيبات على شباك خاصة . إنما أفضل أنواع البن هي التي يقوم المزارعون بقطفها عن الأشجار ، بعد أن تصل الحبيبات إلى درجة النضوج المطلوبة . ولهذا السبب تتحلى المزارع الصغيرة في **اليمن** بشهرة واسعة .

ولأشجار البن فتنة في فترة الإزهار لروعة جمالها ، ذلك أن زهورها تبدأ بيضاء ، ولا تدوم كذلك إلا أياماً معدودة ، ثم تتحول إلى حبوب خضراء ، وفي النهاية تتحول إلى حمراء لّماعة .

أنواع البن

وللبن أنواع عديدة ، وهناك ثلاثة أنواع تجارية معروفة تحت الأسماء التالية : (برازيل BRAZIL) و (روبوستا ROBUSTA) و (آرابيكا ARABICA) والأخيرة هي الأفضل ، وما زال بن (الموكا) يعتبر من أفضل أنواع البن إن لم نقل الأفضل ، ويعزى تفوقها إلى نوعيتها ورائحتها ، وإلى عوامل أخرى كارتفاع المناطق المزروعة وصغر حجم الشجيرات ، مما يسمح بقطفها باليد ، ويساعد على اختيار الحبيبات الناضجة ، مع تأجيل القطاف للحبيبات الخضراء ، وعلينا أن ننوه أيضاً أن هناك أصنافاً عديدة من البن داخل **اليمن** نفسها ، وتختلف أنواعها باختلاف مناطق إنتاجها .

البن في اليمن

وتعتبر المنطقة الجبلية في **اليمن** موطن زراعة البن ، لأن هذه الشجرة الثمينة والجميلة تحتاج من ٧٠ إلى ١٠٠ سنتيمتر مياه سنوياً ، وإلى ارتفاع عن سطح البحر لا يقل عن ٨٠٠ متر ولا يزيد على ألف وخمس مئة ، كا تحتاج هذه الشجرة إلى عناية خاصة ، وإلى كمية من حرارة الشمس محدودة خاصة عندما تكون صغيرة .

وقد عرف **اليمني** كيف يعتني بشجرة البن ، وكيف يظلل غروسها الصغيرة وينقلها من مكان إلى آخر قبل أن يزرعها نهائياً في موضعها الدائم الملائم .

كانت شجرة البن في **اليمن** مصدر ثروة رئيسية قبل أن تنتقل إلى العالم الجديد ، وتصبح زراعتها في بلاد ، **كالبرازيل** مثلاً ، تغطي أضعاف أضعاف المساحة المزروعة بها في **اليمن** .

إنما ظل البن اليمني ، من حسن الحظ ، محافظاً على النوع الفاخر الذي عرف به قروناً عديدة ، والذي أعطى اسمه لأطيب أنواع البن في العالم وهو (موكا) .

وبن (الموكا) هذا أخذ تسميته من ميناء **المخا** على **البحر الأحمر** ، عندما كانت السفن **الهولندية والبرتغالية** وغيرها تنقله إلى **أوروبا** ، حيث اشتهر إلى يومنا هذا .

ولا يزال البن اليمني الطيب الرائحة واللذيذ النكهة مطلوباً في الأسواق العالمية بأسعار أعلى من أسعار سائر أصناف البن المنتشرة في العالم .

ومن أفخر أنواع هذا البن اليمني ، النوع المعروف بالمطري أي الذي ينبت في بني مطر ، وهو يتميز بحبته الصغيرة السريعة الانكسار في وسطها المشقوق .

ومن مناطق زراعة البن الممتاز : **وادي حريب** ، **القراميض** ، **وادي لاعة** ، **والمحويت** ، **والحيمة** ، **وريمة** ، **والعدين** وغيرها .

ونظراً لسعة انتشار شجرة البن في العالم ، كما رأينا ، وانتقالها من **أميركا اللاتينية** ، إلى **إفريقيا الغربية والوسطى** ، وأيضاً إلى **الشرق الأقصى** ، فقد أصبح إنتاجها أكثر من الاستهلاك العالمي ، مما حمل بعض البلدان المنتجة للبن **كالبرازيل** ، على أن يعرض محصوله في الأسواق العالمية بأسعار متفاوتة ، تتناسب مع مستوى أسعار المعيشة في البلدان المختلفة لتسهيل تسويقه .

وهكذا فإن وجود هذا التنافس الضخم لأسواق البن ، وأيضاً عدم وجود سياسة زراعية في العهد الماضي ، وشدة الضغط على المزارعين من السلطات وعدم اطمئنانهم ، كل ذلك أدى إلى تقهقر زراعة شجرة البن في **اليمن** وانخفاض محصولها القومي إلى النصف أو أقل في العشرين عاماً الماضية ، إنما الأمل بالسوق العربية المشتركة ، ليفتح مجالاً كبيراً أمام البن اليمني ، لأنه مصدر البن الوحيد في العالم العربي ، والعرب مولعون بتناوله ، ويفرقون بين الجيّد وسواه . وكذلك الأمر بالنسبة للتجار والخبراء ، فهم يعرفون أنواعها تماماً ونكهتها ، ويفرقون بينها ، ويقدّرون التفاوت بأسعارها ، ومنها المطري والصنعائي ، وأيضاً ماهو معروف تجارياً **بحديدة واحد** ، **وحديدة اثنين** .

ومن عوامل امتياز البن اليمني هو كما ذكرنا قطف الحبيبات باليد قبل جفاف قشرتها الحمراء وذبولها ، ذلك أن اليمني قلّما يستهلك حبات البن بل يستهلك قشرة الحبات حيث يغليها ثم يتناولها كالشاي تماماً ويسمي ذلك « شاهي قشر » ، وشاهي القشر يقدم للضيوف في كل مكان ، كما يقدم الشاي في البلدان الأخرى ، وهكذا فإن اليمني يستهلك القشرة ويصدر الحبوب ، الأمر الذي يساعد للحفاظ على نوعية البن المصدر ، ذلك أن الحبيبة التي يحصل قطفها حال نضوجها وقبل ذبولها ، تحتفظ بنكهتها أكثر من التي تجف على الأغصان وتقع على الأرض . ولليمني مصلحة مباشرة بذلك ، لأنه يحصل على القشرة المرغوبة منه قبل ذبولها وجفافها كما ذكرنا . ويبدو أن هذا الواقع ينفرد به اليمني دون سواه في البلدان المنتجة للبن في سائر أنحاء العالم .

وإذا كانت **المخا** هي المرفأ الذي كانت تصدر منه القهوة إلى جميع الأنحاء ، فإن مدينة **بيت الفقيه** هي المدينة التي كانت تتجمع فيها محاصيل البن ، وكانت مركزاً ضخماً لتجارة هذه السلعة المرغوبة . لكنه من المؤسف بالنسبة لجميع منتجي البن هو مدى تعاظم انتشار زراعة البن في العالم ، مما أدى إلى انهيار أسعاره .

تقاليد تناول البن اليمني في الجزيرة العربية :

إن ارتشاف القهوة في الجزيرة العربية ، وخاصة في البادية ، لا يمكن تشبيهه بما هو حاصل في الغرب ، حيث يتناولها الغربيون وهم على حافة (بار) المقهى ، أو على المائدة المعدة للجلوس في المقهى أو في المطعم ، عندما ينهي أهل الغرب طعامهم بتناول فنجان كبير من القهوة المغلية العادية أو من القهوة المغلية والمضغوطة على الطريقة الإيطالية (اكسبريسو) . وقد لجأ الغربيون أخيراً لاستعمال الأجهزة الكهربائية المعدة خصيصاً لهذه الغاية ، وأصبح شرب القهوة عندهم كشرب أي منعش آخر .

فعند العرب ، وفي البادية بالذات ، فلتناول القهوة طقوس وعادات وأصول ورموز أصبحت من التقاليد الموروثة .

وكان العربي لعهد قريب لا يستهلك غير البن العدني ، ذلك أن بن اليمن أصبح يسمى في المرحلة الأخيرة (بن عدني) عوضاً عن (بن المخا) ، ذلك أن **عدن** أخذت الدور الذي كانت قد تمتعت به **المخا** مدة مئات السنين ، بعد أن خسرت **المخا** مكانتها التاريخية ، وتدهورت أهمية هذا الميناء لحساب منافسه وهو **ميناء عدن** الطبيعي ، وكانت **إنكلترا** قد أكملت تجهيزاته ، وهكذا انتهى دور **المخا** كميناء مؤهل لاستقبال السفن وتصدير البن ، لاسيا بعد أن قصفته مدفعية الأسطول الإيطالي عام ١٩١٢ م ، في الحرب الإيطالية العثمانية وقضت عليه آنذاك ، وبينما اسم (**المخا MOKA**) ظل باقياً بأذهان الغربيين ، أخذ اسم **عدن** مكانته عند **العرب** ، وأصبح البن العدني هو الممتاز والمطلوب ، ذلك أن العالم العربي أصبح يستورد البن اليمني عن طريق **عدن** ، فأطلقوا عليه اسم (البن العدني) الذي لا يعادله بنظرهم أي بن آخر يستحق العناية التي يعطيها ابن البادية لتناول القهوة . أما في السنوات الأخيرة وبعد انفتاح **اليمن** على العالم الخارجي ، فقد أصبح البن المصدَّر من **اليمن** يطلق عليه اسم (بن يمني) .

ونعود هنا لوصف اهتمام أهل **الجزيرة العربية وبلاد الشام (الهلال الخصيب)** بالتمتع في تعاطيهم (القهوة) . فتحميص حبيبات البن بعد تنقيتها بعناية له أصول ، بحيث تصبح الحبيبات متعادلة في لونها بعد التحميص ، والبن المحمّص لا يحسن الاحتفاظ به طويلاً قبل دقّه بالمهباج الخشبي وليس طحنه بمطحنة معدنية لتحويله إلى مسحوق ونسبة السحق تكون وفقاً للأمزجة ، وكذلك نسبة التحميص .

المهباج والموسيقى

أما الآنية التي تدق فيها حبيبات البن المحمص فتسمى المهباج كما رأينا ، وهي مصنوعة من الخشب الصلب الرنّان ، فعندما تطرقه المطرقة التي هي من النوع نفسه تخرج منه دقات رنّانة ، وهكـذا فـإن دق القهوة وليس طحنها يتم بواسطة المهباج ، وتشكل الدقات عليه عندما تكون مرنَّمة وموقعـة شيئـاً من الموسيقى ، وتتجاوب مع التوقيع بضرباته المتنوعة ذات النغم ، وهكذا يبدأ الانتعاش بالتعامل مع تناول القهوة في البادية وما حولها قبل تنـاولهـا ، فرائحـة البن عنـد تحميصـه تضفي على النفس عبقـاً منعشاً يسبق مفعول الكافيين بعد تناول القهوة ، كما أن موسيقى المهبـاج عنـد دقهـا التي تنـدمج أيضـاً بالرائحة ، فتزيد من ينتظر تناول فنجان القهوة شغفاً برشف الفنجان .

وكما أن لـذة تنـاول الطعـام يسبقهـا تحضيره وعرضـه بعنـايـة ، كـذلـك الحـال بـالنسبـة للحب والشراب ، فكل له مقدمـاتـه وأصولـه ولبـاسـه وآنيتـه ، وكـذلـك القهوة لهـا أصول وطقوس وآنيـة ، ولشربها وكؤوسها أشكال وقواعد معروفة ومحترمة معتمدة لدى أهل البادية وحضرها على السواء .

ولا مجال هنا لشرح قواعد تناول فنجان القهوة ، ولكننا ذكرنـا هـذه العنـايـة بتنـاول البن عنـد العرب ، ذلك لتفهم مدى اهتمامهم بحسن اختيار المـادة الأوليـة ، وهي حبيبـات البن ، التي إن لم تكن يمنية الأصل أو عدنية كما كانوا يسمونها إلى عهد قريب فهي لا تستحق بنظرهم هذه العنـايـة الفـائقـة ، وأصبحوا بمجرد شم رائحتها عند التحميص يعرفون إذا كانت يمنية أو مغشوشة أي جـاءت من المصـادر الأخرى العديدة في العالم .

أما اليوم وقـد فتحت أبواب **اليمن** على **البحر الأحمر** بوسـاطـة مينـاء **الحـديـدة** وكـذلـك **المخا** ، فأصبح البن يُعلن عنه في العالم العربي تحت اسم **بن اليمن** كما سبق ذكره أو قهوة يمنية ، ومع ذلـك فـإن سوق البن اليمني لا تزال مفتوحة أمام شركات تحضير البن وتسويقه عـالميـاً تحت أسماء متنوعـة لمـاركات عديدة وشهيرة . حيث تضيف كل شركة نسبة قليلـة من بن **الموكا** لإعطـاء السلعـة المعـدة للاستهلاك محلياً أو للتصدير نكهة وطعماً معيناً معلوماً ومرغوباً من قبل المستهلكين ، تماماً كما هي الحال بـالنسبـة (لخلطة) دخان السجائر أو السيجار المؤلف كل نوع منه من عـدة نسب مـدروسـة ، بـالنسبـة لأنواع ومصادر سلعة التنباك (الدخان) التي تدخل في تصنيع السيجارة أو السيجار .

معلومات وأرقام

البن ومكانته الحاضرة :

نظراً للمكانة التي تمتع بها البن في **اليمن** تاريخياً والسمعة الجيدة التي لا يزال بن (المخا) يتمتع بها حالياً ، رأينا أن ندرج المعلومات مع الأرقام التالية لإلقاء نظرة عامة على هذه السلعة الهامة .

الإنتاج العالمي :

حسبت مصادر الإحصاء الدولية كمية إنتاج البن في العالم لعام ١٩٨٧ بستة ملايين طن ، كما اعتبرت إنتاج **اليمن** في الوقت الحاضر بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف طن .

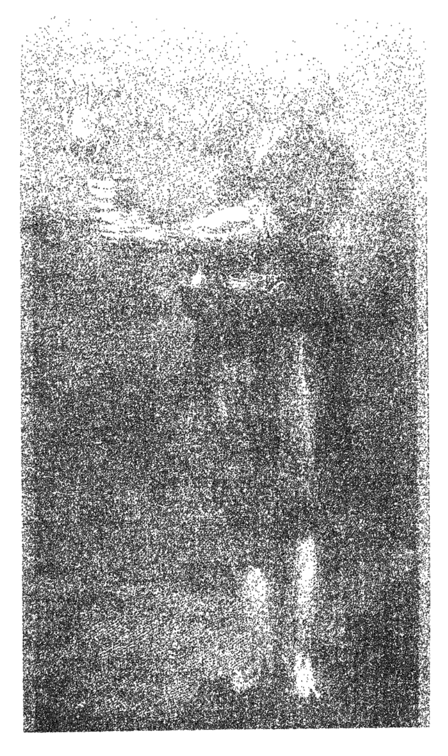
ولم نحصل على أي تقدير لكمية إنتاج البن اليمني في الماضي عندما كانت **اليمن** المصدر الوحيد لهذه السلعة في العالم وعندما كانت أسعاره تعادل حتماً أضعاف أضعاف ماهي عليه الآن .

أزمة تصريف البن وانخفاض أسعاره

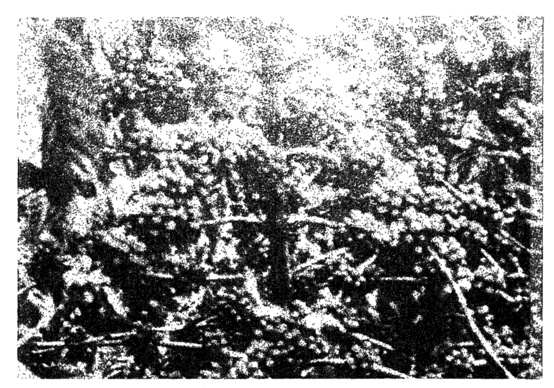
تجلت أزمة تسويق البن لزيادة الإنتاج على الاستهلاك منذ عام ١٩٣١ م ، حيث اضطر بلد **كالبرازيل** آنذاك لاستعمال فائض الإنتاج الضخم كمحروقات لقاطرات السكك الحديدية ، مما حمل **البرازيل** وسائر الدول المنتجة لإنشاء (مؤسسة البن) بقصد دراسة مشكلاته ، والاهتمام بتحديد إنتاجه وتسويقه ، لحمايته من استمرار انهيار أسعاره ولكن دون جدوى تذكر .

منظمة التجارة والتنمية للأمم المتحدة ومشكلة البن

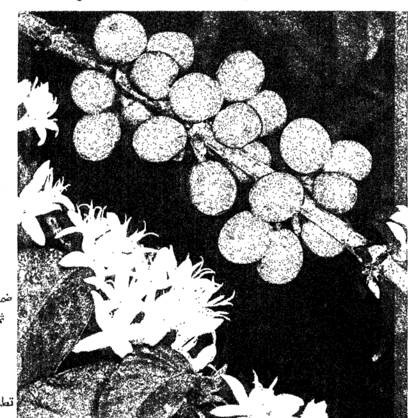
ومنذ إنشاء منظمة التجارة والتنمية **اليونكتاد** ومعالجة انهيار أسعار السلع الرئيسية التي تعتمد عليها الدول النامية موضوعة على بساط البحث . ومن أهم هذه السلع البن والكاكاو والنحاس ، لكنه للآن لم توفق المنظمة الدولية بإيجاد الحل الناجع لحماية أسعار هذه السلع من الاستمرار بالانهيار ، لاسيا وأن عدد الدول المنتجة تزايد في القرن الأخير ، ليشمل أغلبية بلدان جنوب الكرة الأرضية تقريباً .



بائع قهوة البن المتجول في القسطنطينية عندما كانت أعظم وأغنى عواصم العالم ، ويعود تاريخ هذه اللوحة الفنية الشهيرة لعام ١٧٠٧ م . وكانت اليمن في تلك الفترة تشكل المصدر الوحيد في العالم لسلعة البن ، وكانت بالتالي تتحكم بأسعاره .



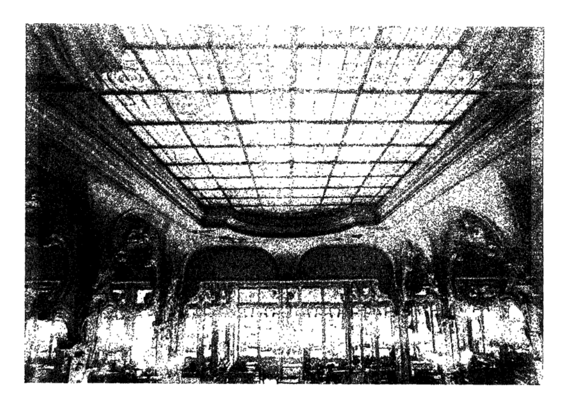
عناقيد البن على شجرة كاملة النمو بعد نضوج أغلبية الحبيبات



تتجمع زهرة البن
مع ثمارها الخضراء والحمراء
الناضجة على غصن واحد

حبيبات البن
ضمن قشرتها التي تنمو خضراء
ثم تتحول بسرعة إلى حمراء

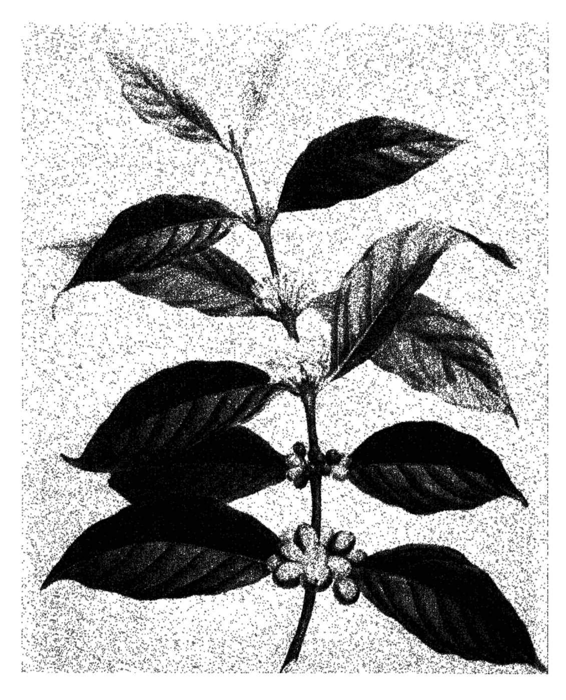
ها هي الزهور
تطل عليها من جديد، لتأخذ
مكان الحبيبات الناضجة



المتهى : مشرب البن في باريس في القرن الماضي

وكان مشرب البن ينافس سواه بالصالة المتميزة وبروعة الهندسة وفنون الزخرفة ، لتصبح لائقة بروادها من الطبقة الراقية العليا ، حيث كانت مخصصة حتى بداية هذا القرن ليجتمع فيها نخبة القوم من مفكّرين وأدباء وشعراء ورجال الفن والحكم . وكان ارتياد مثل هذه المقاهي التي اشتهرت في العالم من علامات ارتفاع المستوى الاجتماعي للذي يرتادها ويتناول فيها (خمر الإسلام) ، وقد أطلق على مثل هذه القاعات الشهيرة اسم (كافيه تورك) أي المقهى التركي .

وكان عدد (الكافيه تورك) قد وصل إلى ألفين في باريس بعهد نابليون وبداية القرن التاسع عشر.



غصن شجرة البن وهي من الأنواع النادرة التي يحتوي غصنها على جميع مراحل نمو الثمرة بأن واحد ، يحتوي هذا الغصن كسواه على الزهور والحبيبات الخضراء والناضجة الحمراء ، وهو مايزيد في جمال مزارع البن لكونها دائمة الخضرة والزهرة والثمرة .

القات واليمن

رأينـا في الفصل الخـاص بـالبن أن الفضل يعـود **لليمن** بـالتعرف على هـذه الثمرة التي تحتـوي على (الكافيين) المنبهة والمنعشة ، المستعملة الآن في العديد من المستحضرات والمشروبـات ، ولا غنى عنهـا في هذه المجالات الصحية والاجتاعية .

كما نعلم أن بـلاد **البيرو** في **أميركا الجنـوبيـة** ، كانت قـد أطلعت العـالم على ثمرة « الكـوكا » التي يستعملها أهل البلاد الأصليين كمنبه . وقد علمنا أيضاً أن ثمرة « الكولا » تستعمل للغـايـة نفسهـا من قبل أهل المناطق التي تنمو فيها هذه الشجرة بعدة بلدان **إفريقية** .

ثم قـام صيـدلي أميركي في نهـايـة القرن المـاضي بـالجمع بين العنصر المستخرج من ثمرة « الكـوكا » الأميركية ، والعنصر المستخرج من « الكولا » الإفريقيـة ، ثم أضـاف إلى ذلـك شيئـاً من « الكافيين » وهو العنصر الذي يحتوي عليـه البن (الكافيـه) ، وأصبح بعـد ذلـك المزيج المختلـط الكاكاو من عنصر (الكـوكا) وعنصر (الكـولا) وشيء من عنصر القهـوة (الكافيين) ، مـع بعض الغـاز ليتحـول إلى المشروب الشهير الناتج عن هـذا المزيج من المنعشـات ، وليصبح أكثر المشروبـات في العـالم انتشـاراً كما وأصبحت كيفية تحضيره سراً محفوظاً لا يقدر بثمن .

والسؤال الآن هل سيـأتي اليوم الـذي يستعمل فيـه العنصر الرئيسي النـادر المستخرج من القـات وهو (الكاتين) ، الـذي لا يحتوي أي نبـات آخر عليـه ، بـالإضـافـة إلى العنـاصر الأخرى ، أو منفرداً ليصبح شراباً منعشاً يحتوي على ميزات هذه الشجيرة وأوراقها وجذورها ، وتصبح **اليمن** مرة أخرى من المستثمرين المستفيـدين من شجرة ثـالثـة غير شجر البلسم والمرّ في العهـد القـديم وشجرة البن في القرون الأخيرة . كما تجدر الإشارة هنا إلى ماذكرناه لاحقاً بموضوع دراسة القات من الناحية العلمية البحتـة ، حيث تبين لنا أن بعض الدول تستعمله في المستحضرات أو العقاقير التي تؤدي لتنشيط الجهاز العصبي ، أو لقطـع الشهيـة لتنـاول الطعـام ، ومعلـوم أن مشكلـة محـاربـة السمنـة في البلـدان الغنيـة تعتبر من المعضلات التي يصعب التغلب عليهـا ، وهي التي تـؤدي إلى متـاعب صحيـة خطيرة ، ومنهـا الـذبحـة القلبية المميتة .

علماً بأن المشكلة الرئيسية التي تواجه (القات) هي مماثلة للمشكلة التي واجهها البن في بداية عهد انتشاره ، عندما اعتبره بعض المجتهدين في **الحجاز** بأنه مماثل للخمرة ، فحرموا استعماله كما حرّم تنـاول البن بعد ذلك في **القسطنطينية** نفسهـا ، بتـأثير المجتهـدين المتطرفين ، ودام تحريمهم لـه إلى أن اكتفوا بتقديم النصح بعدم تناوله .

مطالعة حول استعمال القات

يردد زوار اليمن من العرب والأجانب القول والكتابة بأن استعمال القات هو آفة رهيبة تشوه المجتمع وتحول دون تقدمه ورقيه ، وتؤثر على تحقيق النهضة التي يتم الإعلان عنها .

لذلك تحرَّينا إجراء هذه المطالعة حول القات وعادة مضغه ، ووصلنا مبدئياً قبل الخوض في لب الدراسة والموضوع إلى الملاحظات التالية :

أولاً : حققت اليمن في هذا العقد وثبة عملاقة في جميع المجالات ، مع أن استعمال القات ازداد لأضعاف ما كان عليه قبل النهضة .

ثانياً : إن التدخين المستعمل ليل نهار في المجتمعات الغربية لم يحل دون تقدمها ، بالرغم من أخطاره المحققة ، التي يمكن اعتبارها داء عضالاً ، علماً بأنه ليس للتدخين أية إيجابيات صحية أو اجتماعية ويشكل خطراً شديداً على الصحة العامة ويعتبر من أهم أسباب انتشار بعض أنواع السرطان .

ثالثاً : لاشك أن سلبيات القات الصحية والاقتصادية حقيقية ، لكن إيجابياته الاجتماعية واضحة ، كما أنه ربما كانت إيجابياته الصحية تعادل سيئاته العديدة والأكيدة .

رابعاً : إن اعتبار (القات) من المخدرات ، لم يحصل نتيجة لدراسة علمية معتمدة من قبل منظمة الصحة العالمية ، ذلك أن تعاطيه يشكل منبهاً منعشاً ، كما أنه لم تحصل المقارنة بين سيئاته وسيئات منبهات أخرى عديدة مألوفة وغير محظور استعمالها .

وللتأكد من ذلك وتوضيحه لجأنا إلى عرض المعلومات التالية :



أغصان القات الفتية

« كاتا إيديلوس » **CATHA EDULIS**

أغصان القات المشوقة القوام بالنسبة لعشّاقها العديدين ، وهي ذات أوراق ملساء لماعة في طرف الغصن ، ويؤدي مضغها في اليمن واستهلاكها بأشكال أخرى بشرقي إفريقيا (وهو ما نفضله على المضغ غير المستحب) إلى شعور بالانتعاش الذهني والراحة النفسية لاحتوائها على عنصر (الكاتيين) الذي ينفرد به القات .

وللقات في اليمن أنصاره وخصومه ، وقد سمّاه الباحث الأمريكي (ج. كندي) (زهور الجنّة) في كتاب خصصه لموضوع القات أعطاه بعنوانه التسمية نفسها .

وإن أطلق أهل القرن السادس عشر في الغرب على البن لقب (خمر الإسلام) فيمكن اعتبار وريقات القات المنعشة وتربونها الرطب (كولا) أهل اليمن وشرقي إفريقيا ، مع حسناتها النفسية والاجتماعية المستحبة وسيئاتها الاقتصادية والصحية الأكيدة .

معلومات عامة وعلمية عن القات

لا شك أن زراعة القات مكان البن يمكن اعتبارها إلى حد ما من أسباب تدهور إنتاج البن في **اليمن** ، ذلك إلى جانب انخفاض أسعار البن عالمياً بعد أن ازداد الإنتاج عن الإستهلاك . لذلك أصبح علينا أن نتعرف على القات وهو شجرة محدودة الحجم نسبياً اسمها العلمي **كاتا إيديليوس** CATHA EDULIS تنمو في أماكن مماثلة إلى حد كبير للتي ينبت فيها البن ، ولكنها لا تتطلب القدر نفسه من العناية والاهتمام ، ولهذا فضّل المنتجون زراعتها بدلاً من البن ، ذلك أنها تبدأ بالإنتاج قبل البن (في السنة الثانية أو الثالثة بعد غرسها) ويتم استهلاكها محلياً وفوراً ، ولكنها **تفوّت** على البلاد فرصة الحصول على نقد أجنبي بالغ الأهمية ، يضاف إلى ذلك أن جني محصول البن وإعداده للتصدير يتطلب جهداً أكبر بكثير من جني القات الذي تجمع أطراف أغصانه بسرعة وترسل إلى البيع مباشرة في الأسواق المحلية ، ويتم كل هذا في غضون فترة قصيرة .

وبالمقارنة فإن شجرة القات يحصل قطاف أغصانها ثلاث مرات في السنة ، بينما شجرة البن لا تعطي أكثر من محصول واحد .

وصف شجرة القات وخصائصها علمياً

إن شجرة القات صغيرة تنبت أصلاً في **إفريقيا** ، وعلى وجه التحديد في **أثيوبيا وكينيا** ، وكانت قد دخلت **اليمن** قبل دخول البن ، قادمة من **أثيوبيا** ، وتشير المراجع العربية إلى أن القات كان يستخدم في **اليمن** منذ القرن الثالث عشر ، في حين أن البن لم يعرف قبل القرن الخامس عشر .

تنمو شجيرات القات أصلاً وبالتحديد بشكل برِّي في منطقتين من **شرق إفريقيا : هرار في أثيوبيا ، وميرو في كينيا** ، ويؤكل القات في **أثيوبيا** بعد تحضيره على شكل عجينة يضاف إليها بعض العسل أو على شكل مسحوق **الكَري** ، وورد في **مجلة أوستراليا الطبية** أن القات شراب مسكر (وهذا لا يتفق مع التدقيق العلمي) ، علماً بأنه يمكن تحويله إلى مسكر كالعديد من الثار والنباتات بعد تخميرها .

لقد وضعت خلال السنوات الماضية دراسات علمية عديدة عن القات وأثره المخدر . وفي عام ١٩٥٩ نشر **غونتر برينسمان** BERNSMANN GUNTER أطروحة باللغة الألمانية عن القات عنوانها :

. ZUR KENNTNIS DER ZNHALTSSTOFFE VON CATHA EDULIS (RORSKAL)

كما أن مجلة المخدرات الصادرة عن **الأمم المتحدة**، **نشرت عدة دراسات عن القات**. **وقد كتب الدكتور ميشيل تريلو** TRELLU في إحداها تحت عنوان : **الميزات النباتية للقات** : القات شجيرة من نوع الشاي أو الماتي (هو نبات في **أميركا الجنوبية** يستعمل كالشاي) غصونها صغيرة أوراقها ملساء ، وتنبت على تلال وسفوح الجبال ، تشذب عادة لكي تعطي غصوناً شابة وأوراقاً طرية . يستخدم القات كمنبه بطريقتين : إما أن تمضغ أوراقه الطازجة كما في **اليمن** ، أو أن تستخدم هذه الأوراق لصنع أشربة صومالية محلية تسمى « **تلا** » ، وهي تشبه البيرة ، أو **تدجى** وهو نوع من النبيذ **في الصومال** .

عناصر مركبات القات كيميائياً

ويتضمن القات ثلاث مركبات شبه قلوية **الكاتينين** CATHININE **والكاتدنين** CATHIDININE وهما غير معروفتان . أما المركب الثالث ، فهو **الكاتين** CATHINE C10 H18 N20 ، والذي تعزى إليه ميزات القات الخاصة .

وفي عام ١٩٣٠ م حدد **والفرز** WALFERS عنصر **الكاتين** على أنه مادة -D-NORPSEUDO ZOO-EPHEDRINR الذي هو **أفدرين بلاتيل وأورتيدين** مؤكسدة ، كما يعيد **والفرز** المذكور أن درجة السمّيّة في **الكاتين** منخفضة على الأقل بالنسبة للأوربيين .

وفي النهاية ، فإن تقرير الدكتور **تريلو** يؤكد على أن القات يتمتع بالخصائص العصبية الأولية للكوكائين ، ويجمع ولكن بكميات صغيرة بين خصائص المورفين (دون أثرها المخدر) وخصائص الكوكائين المنعشة للقلب والحافزة للعضلات . وأن تعاطي القات يؤدي لدى الإنسان إلى شعور بالبهجة أو الاغتباط شبيه بالشعور الذي ينتج عن شرب الكحول .

وقدم الدكتور **كرفينكانت** KERVINGANT رأياً مماثلاً عن القات ، عندما كتب في المجلة نفسها في عدد مايو - يونيو ١٩٥٩ م : « هناك شك حول ما إذا كان تعاطي القات يؤدي إلى الإدمان كالمخدرات » ، كما يضيف هذا الاختصاصي قائلاً : « إنه قد يكون من الأصح أن نتكلم بالنسبة للقات عن عادة وليس عن إدمان » .

أما في **الصومال الفرنسية** فيقول الاختصاصي أنه : « في خلال ثلاث سنوات دخل إلى المستشفى رجل واحد فقط ، كان يعاني من عوارض التسمم ، وبعض حالات الاضطراب المعدية كالإمساك والبرد ، وعولجت كلها بوقف تعاطي القات ، ولم تكن هناك أي آثار أخرى ولا أي جروح داخلية . ودلت الدراسات المخبرية على أن الآثار الفيزيولوجية للقات تشبه الآثار الناتجة عن ثمرة جوزة الهند وليس ورق جوزة الهند » .

إن كل ماسبق يشير على أن التعاطي المزمن للقات ، ليس له أي أثر مخيف ومباشر على الجسم الآدمي ، ولا على جهازه المركزي .

كما يحسن بنا أن نشير إلى تقرير تقدم به طبيبان سوفيتيان : **الدكتور غالكين** GALKIN **والدكتور ميرونيشيف** MIRONICHEV من معهد **لينين** الطبي في **موسكو** والذي جاء فيه :

« عندما يبدأ المرء بمضغ أوراق القات ، فإن طعمها يبدو له كريهاً ويشعر بالدوخة ، والتسرع بضربات القلب ، والتعب وبعض الآلام في المعدة ، ولكن تدريجياً يزول هذا الشعور غير المستحب ، ويحل مكانه شعور بالنشوة ، ووضوح الرؤية ، والطاقة الفائقة ، والشجاعة ، وتحسّن كبير بالمزاج » .

القات في كتاب علمي طبي آخر

ولإكمال بحثنا عن موضوع القات ، ونظراً للمكانة الاجتماعية والاقتصادية والصحية التي تتبوؤها هذه الشجرة في **اليمن** ، عدنا إلى مؤلف **كوكوارو** الجامع ، الذي يستعرض فيه بشكل واقعي لجميع النباتات التي تنمو في **شرقي إفريقيا** ، وتستعمل لغايات طبية ، واستعماله كعلاج تقليدي وعنوانه : (النباتات التي تستعمل في المجال الطبي في **شرقي إفريقيا**) وترجمة ماذكرته هذه المجموعة بالنسبة للقات **كاتا إيديليوس** ، وهو الاسم العلمي ، هي التالية :

ـــ المصدر **كاتاإيديلوس** هو بلاد **شمبا وكيكيويو ومارو ومساي** .

ـــ تقطف أصغر الأغصان الطرية وتحزم برباط ـ يكون طول الأغصان الطرية بين ١٥ و ٣٠ سنتيمتراً ، يتناول المستهلك غصناً واحداً في كل مرة ، ثم يبعد عنه أوراقه الخضراء ولحاء الغصن الطري ويمضغ ذلك معاً . وأما عصير اللحاء فيتم ابتلاعه .

ـــ يحصل اللجوء إلى تعاطي القات منبهاً إلا أنه يجعل متعاطيه منتشياً ومبتهجاً ، ويكون على الأغلب مسالماً .

ـــ من المعتقد أنه يشكل علاجاً فعالاً ضد مرض الملاريا (الحمى) ، وكذلك للسعال .

ـــ وأما استخلاص جذوره بواسطة الغلي فتعتبر علاجاً للضعف العام ، ويكفي كأس واحد من المستخلص المغلي لهذه الغاية .

ـــ وأما الأوراق والجذور معاً فتستعمل ضد الزكام (الأنفلونزا) بينما تستعمل الجذور لوحدها علاجاً لأوجاع المعدة .

ـــ واستخلاص المغلي من الجذور ولحاء الأغصان معاً ، يستعمل علاجاً ضد مرض السيلان (من الأمراض التناسلية) .

ـــ وتمضغ الأوراق منبهاً ومضعفاً لشهية الطعام وللشعور بالجوع وموقظاً يؤدي إلى الأرق (فهو مانع للنوم) .



كثيراً ما تأخذ شجيرة القات مكان شجرة البن في مرتفعات اليمن الوسطى لكنها تستطيع النمو أيضاً في مناطق أخرى ، غير التي تصلح لشجرة البن ، وهي لا تتطلب العناية والجهد نفسها ، وقد تنمو في أراضٍ تبدو وكأنها غير صالحة للزراعة .

بائع أغصان القات وناقله ومستهلكه يحرصون على حماية ترابينه الرطبة من جفاف الجو ، ويحيطونه بكل وسيلة من شأنها المحافظة على رطوبة وريقاته المرغوبة . وربما سيلجؤون لاحقاً إلى استعمال أكياس من المواد الملائمة ، أو المثقوبة ، وغير ذلك من وسائل الترطيب الحديثة .

أنصار القات ـ وأخصامه

أما في اليمن ومجتمعاتها السياسية والاقتصادية والتربوية فلم يحصل اتفاق حول تعاطي القات أو عدمه ، وإننا نرى أن للقات في اليمن أنصاره وخصومه ، حيث يقول أنصار القات بأنه يؤدي بالمرء إلى حالة من الارتياح والانشراح ، وأنه منبه للنشاط الذهني ، ومن حسناته كونه إنتاجاً وطنياً يساعد على الحركة الاقتصادية ، ولا يشكل عبئاً على الميزان التجاري مع الخارج ، في حين أن مبالغ كبيرة تنفق شهرياً بشكل غير شرعي على استيراد مواد محظورة وهي محرمة كما نعلم . ولولا القات لكانت هذه المبالغ أعلى ، وأن تعاطي القات أقل خطراً بكثير من المشروبات المحظورة المحرمة التي تؤدي إلى الإدمان ، بخلاف القات الذي هو عادة فحسب ، وهم يضيفون أن مجالس القات تجعل المرء إنساناً اجتماعياً مزوحاً ، أكثر تفهماً وانفتاحاً على الآخرين ، في حين أن تعاطي سواه يجعل المرء إنساناً أنانياً ومعادياً . أما أضراره فهي أقل بكثير من التدخين الذي أثبت العلم بأنه من أسباب انتشار مرض سرطان الجهاز التنفسي الخطير وسواه من الأمراض .

ويقول أعداء القات أنه من الأفضل غرس أشجار البن بدلاً من القات ، وتحصل البلاد بذلك على دخل من العملة الأجنبية ، ويقول الأولون أنه من الممكن أن يزرع القات والبن معاً ، وأن البلاد الأوروبية مثلاً لا تستطيع أن تقلع كل الأراضي المزروعة بكروم العنب ، ومنه النبيذ ، وأن تزرع أشجار أخرى مكانها . لاسيا وأن هناك أراضٍ حصل ويحصل استصلاحها بفضل زراعة القات ، ولولا القات لبقيت مهملة ، وعلى كل حال يعتبر أعداء القات أنه أقل خطراً من المشروبات الروحية والكحول والتدخين ، لكنهم يحاربونه للضرر الذي يلحقه بصحة المواطن وبالاقتصاد الوطني ، وقد اتخذت بعض السلطات مؤخراً إجراءات عملية من أجل الحد من تعاطي ومن زراعة القات . والجدل البنّاء حول هذا الموضوع لا يزال قائماً ، ونعتقد أنه سيستمر إلى أن يوجد الحل الوسط الذي يجمع بين الاستمرار بزراعة وتعاطي القات بشكل معتدل ، مع تشجيع زراعة البن أو الأشجار الاقتصادية الأخرى التي يمكن زراعتها في المناطق نفسها . وهناك من يميل للقول أن خير الأمور أوساطها ، والمهم هو التعرف على كيفية الوصول إلى هذا الوسط واتخاذ الإجراءات المؤدية إليه .

هذا وقد وصل إلى اليمن في العامين الماضيين أحد البحاثة الأميركيين لدراسة القات من جميع

جوانبه ، ووضع بعد ذلك كتاباً عن القات في **اليمن** يحمل عنواناً مثيراً وهو **زهرة الجنة** ، واسم المؤلف : **جون كندي** JOHN G.KENNEDY المنتسب إلى **جامعة كاليفورنيا** . ولم نطلع للآن على أي تعليق علمي على هذا المؤلف الحديث العهد (١٩٨٧) . وقد بدا لنا بأن المؤلف لم يخرج بدراسته إلى أي استنتاج كامل الإيجابية أو السلبية .

ذرائع معارضي القات وأنصاره

يقول معارضو القات أنه من أسباب انحدار زراعة البن في **اليمن** هو انتشار شجرة القات في المناطق التي تنمو فيها شجرة البن نفسها . ويعود تفضيل المزارع لهذه الشجرة على زراعة شجرة البن إلى أن شجرة البن تحتاج إلى عناية أكبر ومدة أطول ، إذ إنها لا تعطي محصولاً تجارياً قبل السنة الخامسة من عمرها ، بينما شجرة القات يمكن استغلال أوراقها الصالحة للمضغ ، كما رأينا ، منذ عامها الثاني أو الثالث . ولما كان مستهلك **القات** يعيش محلياً فأمر تصريف حاصلها مضمون ، ولا يخضع كثيراً إلى تلاعب أو احتكار التجار ، كما كانت عليه الحال بالنسبة للبن . وهناك عامل آخر يضاف إلى تفضيل زراعة القات وهو السهولة . فالبن حبوب تقطف وينزع عنها القشر ويوضب ، بينما **القات** أغصان صغيرة تقطع بسهولة وتعرض كما هي على المستهلك ، بعد حمايتها من الحرارة والجفاف .

وهكذا فإن المنطقة التي تصلح لزراعة القات والبن معاً أصبحت موضع تنافس بين هاتين الشجرتين ، مع العلم بأن شجرة القات تصلح أيضاً في المناطق الأكثر ارتفاعاً من المناطق الصالحة للبن (١٢٠٠ ـ ٢٧٠٠ متر) ، وأيضاً في الأراضي الأقل خصوبة .

ويقول خصوم القات أنه من المؤسف جداً أن تكون الغلبة للقات على البن ، لأن الفرق بينهما هو كالفارق بين الأسود والأبيض بالنسبة للاقتصاد الوطني والدخل الوطني والصحة العامة ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً ـ أن ثمرة البن مغطاة بقشرة فيها شيء من الحلاوة ومنعشة ، تستعمل في **اليمن** مغلية كالشاي وتسمى **قهوة قشر** ، ولا يستعمل اليمني في المدينة أو الأرياف مادة مغلية غير هذا الشراب المنعش الذي يرافقه في بيته وفي أسفاره .

وأما بذرة حبة البن (صافي البن) فهو ما يصدر إلى الخارج بأغلبيته ، لأن استعمال البن المعروف في خارج **اليمن** غير مستحب فيها ، ولا يغلى البن في البيوت اليمنية إلا نادراً ، وذلك لتقديمها إلى الضيوف الأجانب الذين لم يعتادوا على استعمال **قهوة القشر** .

وهكذا يشكل البن مادة للتصدير ، مما يساعد ثمنه على تحسين الميزان التجاري في حال زيادة

إنتاجه وأسعاره ، كما أن قشرة البن تستعمل منعشاً وطنياً يغني عن استيراد الشاي .

ثانياً ـ إن مراكز تنقية وتعرية البن وصناعة **الزنابيل** لتوضيبه ، أوجدت في بعض المدن حركة صناعية دائمة ، تساعد على تشغيل عدد من العمال ، كما أن عملية تصديره إلى الخارج تساهم في إنعاش الموانئ والمواصلات البرية والبحرية .

ثالثاً : إن **القات** يستعمل منبهاً متعباً للأعصاب وهو ككل منبه آخر ينعش في البداية ولكنه يتعب في النهاية .

رابعاً ـ إن مضغ أوراق القات (لأن شجرة القات لا تثمر بل تستعمل أوراقها الطرية ممضوغة بحيث تتخمر في الفم) يسبب إلى جانب المتاعب العصبية والجنسية تلفاً في الأسنان من جراء التخمر ، كما أنه يقطع القابلية لتناول الطعام فيخلق عدم شهية كاذبة ، مما يساهم في إضعاف المقاومة الصحية والبنية الطبيعية .

ونظراً لأهمية الموضوع واستمرار الجدل حوله والانطباع السيء الذي يأخذه الأجنبي عن تعاطي اليمني للقات كما ذكرنا ، رأينا أن نتعمق بشرح مختلف الآراء والاجتهادات حول هذه الظاهرة الاجتماعية اليمنية ، لنصل في نهاية المطاف إلى التعرف على ما توصل إليه أهل العلم في نطاق الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية .

حجج أنصار القات

يقول أنصار القات ، كما رأينا ، بأن تعاطيه ، أو مضغه بالأحرى ، بالنسبة لليمني يعيد الحيوية والنشاط والشعور بنشوة تساعد على التغلب على الكسل ، كما ينقلون عن جهات علمية بأنه يثير الغدة الكظرية التي تفرز مادة **الأدرينالين** المفيدة للأوردة ، وكما يذكرون بأن عنصر **الكاتيين CATHINE** يثير غدة البنكرياس التي تفرز مادة **الأنسولين** مما يقلل نسبة السكر بالدم ، وبالتالي فيمكن اعتباره من علاجات مرض السكري الخطير ، كما تعمل وريقات القات على تهدئة الحالة النفسية والعصبية ، وتحول دون الانفعالات ، كما أنه يساعد على العمل والإنتاج الفكري .

أما بالنسبة للناحية الاقتصادية فإن الإنفاق على القات يُبْقي عملة البلاد على تداولها ، مما يساعد على استقرار العملة ، وعلى تحقيق مشاريع عمرانية واقتصادية في الريف المنتج لهذه السلعة .

كما يعتبرونه أفضل وأقل خطراً على الصحة من السجائر والكحول ، ويعارضون تصنيفه بين المخدرات لأنه منبّه وحسب .

ويقدرون المساحة المزروعة بالقات في **اليمن** بـ٤٧ ألف هكتار ، وقيمة الدخل الناتج عن زراعته ونقله والاتجار به بمبلغ ١٢٠٠ مليون دولار ، وهو لا شك مبلغ ضخم جداً بالنسبة لأي من البلدان النامية .

ويرددون ما جاء ذكره بأن كامل هذا المبلغ يظل في دائرة الاقتصاد الوطني ، ويساعد على تحريك عجلة الزراعة والنقل والتجارة ، ويؤمن دخلاً وفيراً لميزانية الدولة ، نظراً للرسوم المتزايدة التي تتقاضاها عنه .

كما يعتقد أنصار هذا الاجتهاد أن الموضوع يستحق التأمل قبل الحكم ، حيث يقولون إن سلبيات القات من الناحية الصحية يمكن أن تعالج بالتحديد من أوقات وأيام استعماله وزيادة الرسوم عليه ، وغير ذلك من تدابير ، وأما بالنسبة لإنتاجه ، فيمكن حظر توسيع رقعة زراعته على الأراضي التي لا تكون زراعة البن فيها ناجحة ، ومن نوعية لا تتفق مع سمعة البن اليمني **موكا** ، وبالتالي لا يسمح بزراعة القات سوى في الأراضي المناسبة له ، مع حظر تحويل الأراضي المعروفة بحسن إنتاج نوعية البن إلى مزارع قات ، وهذه أمور يمكن دراستها وتطبيقها .

مقارنته مع مساوئ التدخين وسواه ، واعتباره عنصراً سلبياً لكنه لا يشكل إدماناً ، بل هو عادة ممقوتة من العديدين

ويشيرون إلى أنه لا يمكن مقارنة القات وتعاطيه مع سواه من المنبهات ، حيث تبين أن التدخين (الذي حرّمته من حسن الحظ بعض المذاهب) مضرّ جداً بالصحة ، وأنه كثيراً ما يؤدي إلى أحد أنواع مرض السرطان الرهيب ، وقد قامت أخيراً بعض الدول والجهات العلمية بمحاربة تعاطي التدخين بجميع الوسائل الممكنة ، كما منع استعماله في المؤسسات الدولية ، وأهمها منظمة الصحة العالمية ، وكذلك فعلت الجامعات ، وأما في بلجيكا فقد منعت السلطات أخيراً التدخين في جميع الأمكنة العامة ، ومنها المطاعم وسواها ، كما أن منظمة الصحة العالمية بدأت تعير موضوع التدخين اهتماماً عالمياً ، ونظمت مؤتمراً إقليمياً عام ١٩٨٨ في القاهرة لهذه الغاية . لكن الأمر بالنسبة للقات فهو مختلف ، لأن للقات إيجابيات صحية إلى جانب سيئاته الأكيدة ، بينما لا توجد أية إيجابيات للتدخين .

وبالنسبة للكحول وتعاطيها ، وهو المحرم شرعاً ، وأضراره تفتك اجتماعياً بملايين العائلات ، وتؤدي إلى وفيات لا حصر لها ، فقد اتخذت أخيراً إحدى الدول العظمى أقسى التدابير للحد من استعمال **الفودكا** وأمثالها ، وتخفيف وطأة مساوئها على المجتمع . أما في **اليمن** فمحاربة تعاطي الكحول جارية شرعياً وعلمياً ، وليس القات مسكراً ، وهو بالتالي غير محرم . كذلك الحال بالنسبة للتدخين ، ولا يشكل القات إدماناً بل عادة ، بخلاف الكحول والتدخين والمخدرات الخطيرة ، وهو على كل عادة

ممقوتة من قبل العديد من المواطنين والمسؤولين ، لكن صفته تنحصر باعتباره عادة غير مستحسنة ، يجب معالجتها بهذه الصفة ، ومن المغالاة اعتبارها مرضاً اجتماعياً وصحياً خبيثاً ، كمرض الإدمان على المخدرات والكحول المنتشر عالمياً .

ويذكر أنصار القات أن الجهات المعنية المسؤولة في الغرب وسواه ، لم تحرم أو تمنع منعاً قاطعاً تعاطي ما يؤدي إلى الأمراض والهلاك وفساد المجتمع ، بل اكتفت باتخاذ التدابير الكفيلة بالحد من التدخين وإدمان الكحول ، وبالرغم من شدة محاربتها للمخدرات ، فمرض انتشارها متفش وعلى ازدياد ، لذلك فإن التناهي بالمحاربة لا يشكل علاجاً ناجحاً .

ويجب أن لا ننسى بأن الإنسان لا بد له من المرور بمراحل متعبة ذهنياً ، لا سيا وأن متطلبات العصر الحديث تزايدت ، وكذلك عدد المرهقين بسبب نشاطهم الذهني ، فهم مهددون بالانهيار العصبي الخطير ، إن لم يلجؤوا إلى ما يبعدهم عن المشاكل والإرهاق والهموم ولو لعدة ساعات وحسب ، وبالمناسبة فهل يجوز والحالة هذه اعتبار القات وسيلة ، كي لا نقول إنما هو علاج لتفادي الذبحة القلبية الناتجة عن الإرهاق ، وكذلك تفادي حصول الانهيار العصبي وعواقبه الوخيمة . ويحسن بنا أن نذكر أيضاً أن الفئة المؤمنة من المجتمع الإسلامي التي تمارس فريضة الصلاة مع الخشوع التام والإيمان المطلق قد تتمكن من التغلب على متاعبها والإرهاق بالابتعاد عن همومها أثناء الصلاة والابتهال إلى الله مما يريح أعصابها ويغنيها عن تعاطي أي وسيلة كيماوية أو نباتية من أي نوع لإراحة الأعصاب وتفادي المتاعب النفسية وعواقبها الوخيمة ، ولكن ماهي نسبة المؤمنين الذين يقيمون الصلاة بخشوع مريح للأعصاب ؟

ويذكرون دائماً بأن أخطار التدخين الذي يؤدي إلى السرطان المميت وأخطار الكحول ، لا يقاسان بشيء مع أضرار القات الذي هو أقرب للشاي والبن **والماتي والكوكا والكولا** ، كما أنه مسجل في مراجع الطب باعتباره مادة طبية ، تماماً كما هو مدرج ضمن إحدى أنواع المواد المخدرة في بعض المراجع ، لكنه غير مدرج بين المواد المسكرة والمحرمة شرعاً .

وهناك من يعلن بأنه ليس من أنصار القات ، لكنه من مؤيدي اتخاذ التدابير الفعالة التي تحد من تعاطيه ، بعد دراسة علمية واجتماعية واقتصادية ، تستند إلى الواقع ، وليس إلى النظريات بل وتعالج الموضوع على أساس « إذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع » ، وأن جميع المجتمعات لا غنى لها عن منبّه أو منعش تلجأ إليه للترويح عن النفس ، علماً بأن الإكثار من تعاطي أي شيء أكان طعاماً أو علاجاً أو شراباً لا بد وأنه يؤدي إلى ضرر أكيد . « وكثر التناهي غلط ، وخير الأمور الوسط » .

الشيء بالشيء يذكر

ولطرافة الموضوع التالي نذكر ما وصلنا حول انتشار شراب الكوكاكولا بعد الحرب العالمية الثانية

في **أوروبا الغربية** ، حيث حظرت **السويد** استعماله والترخيص بإنشاء مصانع لتعبئته ، ثم أرادت فرنسا بالاستناد إلى تقارير مختبراتها أن تسير في النهج نفسه ، لكن الأميركيين المحتكرين لهذه السلعة أبلغوا الفرنسيين بأن مختبراتهم أكدت أن تعاطي شراب **الشمبانيا** مضر للصحة ، وهو النبيذ المتميز من إنتاج **فرنسا** ، والذي تصدر منه **فرنسا للولايات المتحدة** عشرات الملايين من الزجاجات ، ويشكل دخلاً أساسياً من الصادرات الفرنسية للعالم أجمع ، وخاصة **للولايات المتحدة** . وهنا تناسى الفرنسيون موضوع محاربة مشروب **الكوكاكولا** لكي يتناسى الأميركيون محاربة الشمبانيا الفرنسية وانتهت المشادة بسلام .

القات في الأدب اليمني

رأينا أن ننقل هذا العنوان عن كتاب قيّم صدر أخيراً بقلم الأديب الشاعر **أحمد عبد الرحمن المعلمي** ، حيث شرح فيه المؤلف المواقف المتباينة من القات ، وما كتب عنه في مجالي الفقه والأدب .

وإننا نكتفي هنا بذكر موقفين متعارضين من قبل عَلَمين من رجال الفقه والعلم وهما من أصحاب الفضيلة المعترف بمكانتها في **اليمن** وخارجها ، وهما شقيقان من **آل الأرياني** .

نشر القاضي **علي بن يحيى الأرياني** (١٩٠٣ م) قصيدة أفتى فيها بتحريم القات كما وصف مفعوله قائلاً : « ألا إن هذا القات أوله سكر وآخره حزن كما تفعل الخمر » .

أما فضيلة القاضي **عبد الرحمن بن يحيى الإرياني** فلم يوافق على اجتهاد القاضي **علي** ، واستشهد بأن أحد مراجع الفقه الإسلامي في **اليمن** وهو العلامة القاضي **محمد الشوكاني** (ت ١٢٥١ هـ/١٨٣٥ م) كان يصلّي والقات في فمه .

وأما الشاعر **علي بن عبد الله الإرياني** فله بيت من الشعر يردده خصوم القات حيث يقول :

تـولعْتم بـالقَـاتِ والقَـاتُ قـاتِـلٌ وفي حَـذْفِ حَرْفِ اللاّمِ مِنْـهُ دَلائِـلُ

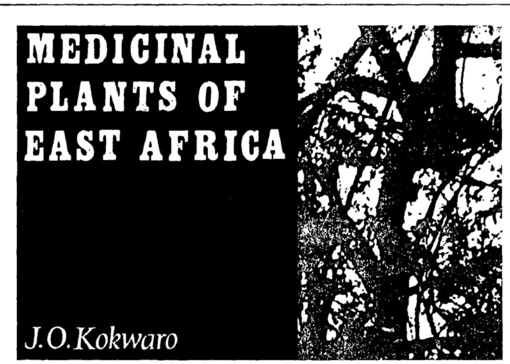
وقال شاعر الشام الكبير **سليمان العيسى** معادياً القات ما يلي :

سُم بـه وطن الأحرار يقتـات سم يـدمر من عـاشـوا ومن مـاتـوا
متى ستلفـظ عنـك الـداء يـا بلـدي متى سيُعـدم هـذا المجرم القـات

فأجاب عليه الشاعر الأديب الأستاذ **أحمد يحيى العماد** مناصراً للقات بما يلي :

يـا شـاعر العرب تروى عنـك أبيـات إليـك وحـدك منهـا يشتكي القـات
فلم يكن مجرمـاً حتى تحـاربـه كـلا ولا فيـه لـو أنصفت عـلاّت
لـو تمضـغ القـات يـومـاً لن تسميـه سمّاً وقلت لنـا من قـاتكم هـاتـوا

القات في كتاب علمي طبي يعود لعام ١٩٧٦
عنـوانـه (النبـاتـات الطبيـة في شرقي إفريقيـا)
لمـؤلفـه (كـوكـوارو J.O.KOKWARO)



CELASTRACEAE

Catha edulis — *Celastraceae* 51

MUANDAMA (Shambaa), MUIRUNGI (Kikuyu), MURAA (Meru), OLMERAA (Masai)

Cuttings of the youngest branches (suckers) are made and tied into bundles. The suckers are about 15–30 cm. long. The consumers take one cutting at a time, remove the leaves and peel the green bark off which they chew. The liquid from the bark is swallowed and although it is mainly taken as a stimulant, making one feel elated and generally peaceful, it is nevertheless supposed to be an effective cure for malaria and coughs. A decoction from the roots is taken as a remedy for general body illness, one cup being sufficient. Leaves and roots are used for influenza, while roots alone are used for stomach troubles. A decoction of both the roots and bark is used to treat gonorrhoea. Leaves are chewed as a stimulant and to allay hunger and prevent sleep.

هنا صورة غلاف الكتاب ، وما جاء به عن القات والبلدان التي ينمو فيها بشرقي إفريقيا ، واستعماله فيها كعلاج لعدد من الأمراض .

black catechu An astringent obtained from the heartwood of *Acacia catechu* of the Leguminosae family. It has been used as an antidiarrheal agent and in tanning. Also called *catechu nigrum, cutch.*

catechu nigrum BLACK CATECHU.

pale catechu CATECHU.

catechuic acid CATECHIN.

catelectrotonus [CAT- + ELECTRO- + TONUS] A s… reduced threshold in excitable tissue in the vicinity of … electrode.

catenated [L *catenat(us)*, past part. of *catenare* … a chain + English *-ed*, suffix denoting past … the links in a chain by being in the form … one passing through another.

catenoid CATENULATE.

catenulate [Late L *catenul(a)*, d… Chainlike; composed of indi… rangement: characteristic … gal spore groupings. A…

caterpillar [Middle E… *lose* (from Late L *catta* … a hair) hairy cat] The la… CATERPILLAR DERMATITIS.

catgut An absorbable surgical … the treated and preserved conne… called *catgut suture, surgical gut.*

carbolized catgut Catgut derived fr… of animals and treated with phenol, now…

chromic catgut Catgut that has been he… trioxide to increase its strength and durab… *chromicized catgut.*

chromicized catgut CHROMIC CATGUT.

formaldehyde catgut Catgut treated with hot form… now obsolete.

IKI catgut IODINE CATGUT.

iodine catgut Catgut treated with a 1:100 mixture of io… and potassium iodide. Also called *IKI catgut.*

iodochromic catgut Catgut treated with iodine, potassium iodide, and potassium dichromate.

silverized catgut Catgut treated with silver to improve strength and durability and to decrease elasticity.

cath- CATA-.

cath 1 cathartic. 2 catheter.

catha The freshly dried leaves of *Catha edulus*, an evergreen shrub native to northeastern Africa and Arabia. It is chewed and ingested for an effect of euphoria and general excitement. Tea prepared from the leaves, and the oil expressed from the seeds, are also stimulating. This plant is a source of the alkaloid cathine (norpseudoephedrine). Also called ***Arabian tea, khat, flower of paradise.***

cathaeresis CATHERESIS.

catharometer [Gk *katharo(s)* clean, pure, true + -METER] An instrument that measures and records the thermal conductivity of air.

catharsis [Gk *katharsis* (from *katharein* to take down) a cleansing, purge] 1 The expulsion of feces aided by an osmotic, irritant or stimulant agent taken orally or by enema; purgation. 2 The reexperiencing of repressed memories with their associated emotions so that they no longer need be released in disguised form as symptoms; the therapeutic discharge of repressed material and its associated affect. Also called *cathartic method, psychocatharsis* (outmoded).

cathartic 1 Causing or promoting catharsis. 2 An agent which causes or promotes movement of the bowels.

bulk cathartic A cathartic derived from natural or semisynthetic polysaccharides or cellulose derivatives which acts by adding bulk to and hydrating the feces.

lubricant cathartic A cathartic which acts by hydrating and thereby lubricating the feces.

saline cathartic A cathartic consisting of magnesium salts, sulfates, phosphates, or tartrates which acts by retaining water … the intestinal lumen by osmotic forces. Also called *saline …ative.*

…lant cathartic A cathartic which acts by stimulating …otility and secretion of fluid and electrolytes from the …cosa.

…d An active ingredient in senna that has laxative … called *cathartinic acid.*

CATHARTIC ACID.

…) a holding, keeping hold of] To invest, …sychic energy toward an object that may … the self as well as the intrapsychic …al object.

…rench urologist, 1873–1945] 1 …athelin's method. See under

…e, usually situated in ly… … an acid pH optimum … us other enzymes are

…*atharein* to take down) a …ous flesh] Weakness or pros… …. Also *cathaeresis.*

…ic. 2 Causing weakness or prostra-

… a thing let down or put in] A long, thin, …strument, usually flexible and with one or …at is inserted into a body cavity, such as the the purpose of drainage or for the administration …tic or therapeutic agents.

…tipped catheter A catheter fitted with an acorn-shaped …pter for insertion into a tubular orifice for injection of con…rast material at the time of radiographic examination, as for insertion into the orifice of the ureter during retrograde ureterography and pyelography to prevent backflow of the contrast medium.

catheter à demeure INDWELLING CATHETER.

angulated catheter A catheter whose forward end is bent.

balloon catheter A catheter with two lumens, the tip of which is equipped with a collapsible balloon. The balloon is inflated after insertion into a vessel in order to extract a thrombus or embolus, or, occasionally, to occlude blood flow.

bicoudate catheter A catheter that is bent twice near the tip. Also called *catheter bicoudé.*

catheter bicoudé BICOUDATE CATHETER.

Bozeman's catheter BOZEMAN-FRITSCH CATHETER.

Bozeman-Fritsch catheter A uterine catheter with a double current for flushing and aspiration. Also called *Bozeman's catheter, Fritsch catheter.*

Braasch bulb catheter A surgical catheter with a spherical tip and a long firm base. It serves the dual purpose of dilatation and calibration.

cardiac catheter A long, fine, flexible tube, usually radiopaque, designed for insertion into a peripheral blood vessel through which it can then be manipulated under x-ray control into the heart. There it is used for registration of pressures, sampling of blood, or rapid injection of radiopaque substances which will outline the chambers and blood vessels of the heart. Also called *intracardiac catheter.*

coaxial counterflow single needle blood access catheter A catheter with two lumens for use in single-needle hemodialysis.

INTERNATIONAL DICTIONARY OF MEDICINE AND BIOLOGY
IN THREE VOLUMES
Volume I
A WILEY MEDICAL PUBLICATION
JOHN WILEY & SONS
New York • Chichester • Brisbane • Toronto • Singapore

القات في الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية

ولكي نتعمق بالتعرف على القات من قبل جهات الاختصاص الدولية ، لجأنا إلى قسم المخدرات في الأمم المتحدة ، وكان مقر هذا القسم في **جنيف** ، ثم انتقل أخيراً إلى المركز الدولي التابع للأمم المتحدة في **فيينا** .

تبين لنا أن المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة سبق له أن تبنى تقرير الدورة الرابعة والعشرين لمكافحة المخدرات الذي يقترح إجراء أبحاث علمية عن القات ، ثم حصل تأليف لجنة فنية لهذه الغاية ، أصدرت بعد الدراسة عدة تقارير سنوية .

وقد جاء في التقرير الأول لعام ١٩٧٤ تحت عنوان (دراسة عن التركيب الكيماوي للقات) ما يلي :

« وبالرغم من أن دراسة القات من الناحية الكيماوية تعود إلى عدة عقود ، إنما التعرف العلمي على هذا النبات لا يزال ناقصاً جداً » .

ثم تلا هذا التقرير عدة تقارير علمية دقيقة ، وفي كل تقرير يظهر للجنة الخبراء الباحثين وجود عناصر جديدة في القات لم تكن معروفة من قبل .

الكاتين :

فبينما كان التركيز في الماضي على وجود عنصر (الكاتين) المعروف منذ مدة طويلة (CATHINE D - NOR - PSEUDOEPHEDRINE) .

الكاتيدين :

وإذ بهم يعثرون على مادة أخرى أطلقوا عليها اسم (كاتيدين ـ د CATHIDINE D) ، كما تبين لهم أن أوراق القات الطازجة تحتوي على ١٧ عنصراً من (حامض الأمينه Acides aminés) وكذلك عناصر (التانين TANNINS) وغيرها . كما تبين لهم أن الأوراق تبدأ بفقدان الكثير من عناصرها بعد قطفها ، بحيث تفقد مفعولها كلية بعد ثلاثة أيام من تاريخ قطفها .

الكاتينون :

وفي تقرير لجنة الأبحاث عن القات لعام ١٩٧٥ م تمّ العثور على عنصر جديد لم يكن معروفاً في الماضي أطلقوا عليه اسم (كاتينون CATHINONE) .

الكاتيدولين :

كما عثر على عنصر آخر أطلقوا عليه اسم (الكاتيدولين CATHEDULINE) .

بوليستر :

وفي تقرير عام ١٩٧٧ م أفادت الدراسات أن (القات) يحتوي على تركيبة ألكلويديه ALCALOIDE) هي من نوع مادة (البوليستر) المعروفة والمنتشرة جداً لاستعمالها خيطان للنسيج ، ومعلوم أنه قلما تخلو الأنسجة الحديثة من احتوائها على خيطان (البوليستر) سبب مختلفة .

ثم توصل آخر تقرير يصدر عن دراسات القات لعام ١٩٧٧ وعام ١٩٧٨ الذي نشرته مختبرات خدرات التابعة لقسم المخدرات في الأمم المتحدة **بجنيف** إلى استبعاد وجود عناصر (آزوتية) في نات ، وهي مما قد يكون لها تأثير على الجهاز العصبي المركزي ، ومما كان وجوده قد يؤدي لإدراج نات على كشف المواد المخدرة المحظورة الخاضعة للرقابة الدولية . وتخلص تقارير مختبرات المخدرات ، أن القات يحتوي على العديد جداً من المركبات ، وأهمها هو ماذكرناه آنفاً :

الكاتين	CATHINE
والكاتينون	CATHINONE
والكاتيدين ـ د	CATHIDINE-D
والكاتيدولين	CATHEDULINE
البوليستر	ALCALOIDE-POLYSTER

القات في منظمة الصحة العالمية :

تمّ إدراج (القاتين) على الجدول الثالث للعناصر المؤثرة على الحالات النفسية المعروفة تحت تسمية (PSYCHOTROPES) من قبل منظمة الصحة العالمية .

لكنه تحسن الإشارة هنا إلى أن تقرير الخبراء الذين أوكل إليهم موضوع دراسة القات علمياً ، سجل على صفحة غلافه ما يلي :

« يحتوي هذا التقرير على وجهات نظر مجموعة من الخبراء ، وهو لا يشكل بالضرورة القرارات المعتمدة من قبل منظمة الصحة العالمية » .

Introduction

Le Laboratoir des stupéfiants des Nations Unies, se conformant au désir exprimé par la Commission des Stupéfiants (1), poursuit des recherches sur la composition chimique du **Catha edulis** (khat).

En 1974, une étude préliminaire a été entreprise en vue de déterminer le type de substances qui composent le khat et à rechercher les méthodes permettant le plus efficacement de les séparer. On a ensuite procédé à l'isolation systématique des constituants de la plante à l'état frais. Les résultats ainsi obtenus ont été exposés dans des communications antérieures (voir 2, 3, 4, 5, 6). Au cours des dernières années, la recherche sur la composition chimique du khat a suscité un intérêt croissant; c'est ainsi que certaines équipes de recherche ont déjà publié les résultats de leurs travaux (voir 7, 8, 9, 10).

Un grand nombre de substances ont été isolées à partir du khat au cours d'une période assez brève. La plupart d'entre elles contiennent de l'azote et n'ont pas été jusque là observées dans la nature.

On a donc jugé utile de dresser la liste complète des substances qui ont été isolées à partir du khat au cours des trois dernières années. Cette liste est donnée ci-après. A l'exception des cathédulines et de la cathidine d, toutes ces substances ont été isolées au Laboratoire des stupéfiants des Nations Unies*. Précisons que certaines structures fiqurant sur cette liste ont un caractère encore incomplet ou provisoire et exigent confirmation. Il est cependant évident que les substances azotées tirées du khat appartiennent à deux groupes principaux:

- les dérivés de la phénylalkylamine et des corps qui lui sont apparentés.
- les alcaloïdes de type polyester à poids moléculaires élevés.

Les résultats publiés à ce jour montrent que le khat contient une série de substances azotées tès complexes. Il pourrait donc faire partie des espèces possédant la composition qualitative d'alcaloïdes la plus complexe. De plus, on ne peut pas exclure, à priori, la possibilité que les substances azotées exercent une action quelconque sur le système nerveux central.

Bande 5. Par extraction du solvant on a obtenu une résine incolore (1,80 g) contenant (CCM) les composé suivants: cathéduline-2, -3, -4, -5 et -6. Une CPPL avec du E/H a donné, aprés six oprations, de la cathéduline-2 pure (99 mg), qui a été ajoutée au matériel

(*) Au cours de ces travaux, une collaboration étroite s'est établie entre le Laboratoire, le Département de chimie de l'Université de Nottingham, Royaume-Uni et les Instituts Nationaux de Santé, Bethesda, Etats-Unis d'Amérique.

de la bande 4, et de la cathéduline-6 (81 mg) se présentant sous la forme d'une solide incolore; max (éthanol): 217 (46000), 265 (17550) et 287 nm (épaulement, 6800); I.R. ($CHCl^3$): 3470, 3000, 1750, 1725, 1595, 1570, 1515, 1470 cm_{-1}. En utilisant la même méthode de CPPL, on a obtenu une bande de cathéduline-5 qui contenait une grande quantité de cathéduline-6 en raison du chevauchement des bandes. Une CCM n'a pas permis d'obtenir de la cathéduline-5 pure à partir de cette fraction, mais par une longue CCM (8 opérations) avec du E/A, on a obtenu ce composé à l'état pur sous la forme d'un solide incolore (8,8 mg) à partir de la bande principale de cathéduline-3 et de cathéduline-4, dans laquelle il se trouvait lui-même comme impureté en raison du chevauchement. On a séparé avec difficulté le reste des constituants de la bande principale par CPPL avec du CE32/A, en isolant les alcaloïdes dans chaque bande et en répétant l'opération jusqu'à l'obtention, par CCM, de composés purs. Cette méthode a permis d'isoler de la cathéduline-3 (27 mg) et de la cathéduline-4 (145 mg) - composés incolores. La cathéduline-3 a donné les résultats suivants: a D_{20}-44,8° (C=0,27 chloroforme); max (éthanol): 215 (40570), 268 (13010) et 293 nm (infl., 5890); I.R. ($CHCl^3$): 2990, 1750 (épaulement), 1730 (épaulement), 1720, 1590, 1460 cm_{-1}. Pour la cathéduline-4, les résultats ont été les suivants: a D_{27}-37° (C=0,56, chloroforme); max (éthanol): 215 (41204) et 268 nm (12038); I.R. ($CHCl^3$): 3377, 1756, 1725, 1683, 1594, 1568, 1466 cm_{-1}.

Résumé

Le khat d'origine éthiopienne contient au moins neuf alcaloïdes, Six d'entre eux, les cathédulines-2, -3, -4, -5, -6 et -8 ont été séparées et purifiées. Des proposition concernant la structure complète de deux d'entre eux, la cathéduline-2 et la cathéduline-8 sont avancées dans la présente communication.

Remerciements

Nous sommes très heureux de l'intérêt que M. O. J. Braenden et M. K. Szendrei, du Laboratoire des stupéfiants des Nations Unies, portent à l'avancement des travaux de recherche en cours.

تقرير لجنة الخبراء التابعة لمنظمة الصحة العالمية لعام ١٩٧٣
ـ التقرير التاسع عشر ـ

كما عثرنا في التقرير التاسع عشر رقم ٥٢٦ للجنة الخبراء المختصة بموضوع الإدمان على استعمال العقاقير تحت رقم (٦) مستحضرات من (كاتا إيديليس فورسك) ، وربما كان المقصود بذلك العقاقير التي تدخل فيها هذه المادة (المرفق ربطاً بهذا) .

كما اطلعنا في مرجع آخر على اسم بلدين يستوردان (القاتين) هما **ألمانيا الديمقراطية وجمهورية كوريا** كما ذكرنا .

ولا نعلم فيما إذا كان هذان البلدان يستعملان (القاتين) لتحضير العقاقير المنبهة التي تُعطى للرياضيين أو العسكريين عند الحاجة لذلك ، أم أنها تدخل في مستحضرات طبية وحسب ، بقصد قطع الشهية لتناول الطعام لدى المصابين بزيادة الوزن ، أو ربما لأعراض أخرى .

القات في المعجم الدولي للطب والبيولوجيا :

ثم عثرنا في هذا المعجم المعتمد عالمياً صفحة ٤٧٦ على ذكر (كاتا إيديليس) واعتباره منبهاً ومنعشاً (المرفق ربطاً بهذا) .

معجم (مرتندال) المتخصص الصادر عن لندن عام ١٩٨٢ م

إن هذا المرجع يصف القات تحت رقم ١٢٥٣٨ بأنه مثير للجهاز العصبي المركزي ويضيف بأنه يؤدي إلى الإدمان (المرفق ربطاً بهذا) .

دائرة المعارف البريطانية :

وتكتفي دائرة المعارف البريطانية بإفادتنا أن القات منبه بعد مضغه .

3. TERMINOLOGY

The Committee accepted the following definitions and usages for the purposes of its report[1].

Drug dependence. A state, psychic and sometimes also physical[2], resulting from the interaction between a living organism and a drug characterized by behavioural and other responses that always include a compulsion to take the drug on a continuous or periodic basis in order to experience its psychic effects, and sometimes to avoid the discomfort of its absence. Tolerance may or may not be present. A person may be dependent on more than one drug.

Psychic dependence. A condition in which a drug produces «a feeling of satisfaction and a psychic drive that require periodic or continnous administration of the drug to produce pleasure or to avoid discomfort»[3].

Physical dependence. «An adaptive state that manifests itself by intense physical disturbances when the administration of the drug is pended... These disturbances, i.e., the withdrawal or abstinence sysdromes, are made up of specific arrays of symptoms and signs of psychic and physical nature that are characteristic for each drug type»[3].

Drug control. National law or international agreement governing and restricting production, movement, and use of a drug to medical and scicntife needs in the interest of public health and for the prevention of drug abase.

Dependence-producing drug. A drug having the capacity to interan with a living organism to produce a state of psychic or physical dependence or both. Such a drug may be used medically or nonmedically withom necessarily producing such a state. The characteristics of a state of drug dependence, once developed, will vary with the type of drug involved. Some types of drug, including those present in tea and coffee, are capacity of producing drug dependence in a very broad sense. The existence of such a state is not necessarily harmful in itself. There are, howe several types of drug that, because they can produce substantial central nervous stimulation or depression, or disturbances in perception, mo thinking, behaviour, or motor function, are generally recognized as having.

Catha (kath.ah). Arabian, African or Abyssinian tea; the dried leaves of Catha edulis Forsk. (family Celastraceae), a small tree of Abyssinia and Arabia. It is a stimulant narcotic, causing excitation of the central nervous system. The leaves are chewed by the Arabs as a stimulant. [Ar.Khat].

---

(1) The explanations given for the terms «drug dependence» and «drug control» are taken from Wld Hlth Org. techn. Rep. Ser., 1969, No. 407, p. 6. Those for the terms «dependence-producing drug» and «nonmedical use of drug» are taken from Wld Hlth Org. techn. Rep. Ser., 1973, No. 516, pp. 8 and 9.

(2) The Committee believes there are some situations in which physical dependence may occur in the absence of significant psychic dependence. This view was also physical in the fourteenth report of the WHO Expert Committee on Mental Health (Wld Hlth Org. techn. Rep. Ser., 1967, No. 363, p. 8).

(3) Eddy, N. B., Halbach, H., Isbell, H. & Seevers, M. H. (1965) Bull. Wld Hlth Org 32, 723.

the capacity, under certain circumstances of use, to produce individual and public health and social problems. Drugs of the types listed below can produce substantial effects and problems of the kinds mentioned above. As used in this report, the term " dependence-producing drug(s) " means one or more drugs of the following types: [1]

(1) alcohol-barbiturate type – e.g., ethanol, barbiturates, and certain other drugs with sedative effects, such as chloral hydrate, chlordiazepoxide, diazepam, meprobamate, and methaqualone;

(2) amphetamine type – e.g., amphetamine, dexamphetamine, methamphetamine, methylphenidate, and phenmetrazine;

(3) cannabis type – preparations of *Cannabis sativa* L., such as marihuana (bhang, dagga, kif, maconha), ganja, and hashish (charas);

(4) cocaine type – cocaine and coca leaves;

(5) hallucinogen type – e.g., lysergide (LSD), mescaline, and psilocybin;

(6) khat type – preparations of *Catha edulis Forssk*;

(7) opiate type – e.g., opiates such as morphine, heroin, and codeine, and synthetics with morphine-like effects ...ch as methadone and pethidine; and

(8) volatile solvent type – ... acetone, and carbon tetrachloride.

WORLD HEALTH ORGANIZATION
TECHNICAL REPORT SERIES
No. 526

WHO EXPERT COMMITTEE
ON DRUG DEPENDENCE
Nineteenth Report

WORLD HEALTH ORGANIZATION
GENEVA
1973

Nonmedical use ... dence-producing drugs of the types no... indicated.

Epide... ease or condition in a popul... ribution.

Incidence ... ions develop during a define...

Prevalence rat...

(*a*) point prevale... ne in relation to a defined p...

(*b*) period prevalenc... eriod of observation expressed in...

Central case register.[2] A ... ases " maintained by a " central " agency. A " ca... mple, a patient with

[1] For a more complete discussion see ... Halbach, H., Isbell, H. & Seevers, M. H. (1965) *Bull. Wld Hlth Org.*, 32, 721.

[2] *Wld Hlth Org. techn. Rep. Ser.*, 1967, No. 365, p. 11 (section 3).

كشف رسمي بأسماء البلدان
المستوردة للقات لتصنيعه

III. CATHINE - CATINA

MANUFACTURING COUNTRIES - PAYS FABRICANTS - PAISES FABRICANTES (kg)

Countyr-Pays-Paises		1982	1983	1984	1985	1986
German Dem.Rep.-Rép.dém.allemande-Rep.Dem.Alemana	MA					2300
Total	MA					2300

IMPORTS - IMPORTATIONS - IMPORTACIONES (kg)

Country-Pays-Paises	1982	1983	1984	1985	1986
Rep.of Korea-Rép.de Corée-Rep.de Corea					40
Total					40

حصيلة بحث موضوع القات في مرجع علمي عن النباتات الطبية

HANDBOOK OF MEDICINAL HERBS BY (James A. DUKE)

الصادر عام ١٩٨٥

وقبل إقفال بحث موضوع القات عدنا إلى مكتبة منظمة الصحة العالمية لنطلع على ماذكره آخر مرجع علمي للنباتات المرفق بهذا عنوانه واسم مؤلفه **جيمس دوك** . وقد استحصلت عليه مكتبة المنظمة عام ١٩٨٦ م ، ولاحظنا في هذا المرجع أنه خصص صفحة كاملة لبحث موضوع القات تحت رقم (٧٤) ، وقد انتهى هذا البحث العلمي الدقيق إلى ملاحظة ظريفة يتساءل فيها المؤلف إمكان استعمال القات والكوكا معاً لتخفيف الوزن ، حيث أنه ذكر في بداية البحث ، أن القات يماثل في مفعوله (الكوكوا) في السماح لمتعاطيه الامتناع عن تناول الطعام لمدة طويلة .

ونظراً لدقة الدراسة واحتوائها على مصطلحات علمية عديدة ، لم نسمح لأنفسنا بترجمتها تاركين ذلك لأهل الخبرة ، لذا أضفنا إلى هذه الحصيلة صورة عن الصفحة ١٠٤ من المؤلف المذكور ، وهي التي تنتهي كما أشرنا باقتراح الجمع بين الكوكا والقات يحمل المستحضر على سبيل المثال اسم (كوكاكاتا COCA CATA) .

74. CATHA EDULIS Vahl (CELASTRACEAE) – Khat

Source of a stimulant which predates coffee in Arabia by more than a century. Like cocoa it allows the user to go without food for extended periods. Yemen and Aden tribes retire every evening for khat breaks. sometimes rather extended. Daily export of khat to Aden lies behind the founding of the Ethiopian Airlines[54]. Tradition says its use as a social stimulant originated in the Harar region of Ethiopia[122]. The wood is pale yellow to dark brown in color. moderately hard and strong. and suitable for cabinetry. It is also useful for making high-class blotting paper[1].

Reported to be anorexiac. aphrodisiac. astringent. CNS-stimulant. narcotic. poison. and stumulant. khat is a folk remedy for asthma. chest ailments. cough. debility. diabetes. flu. lethargy. and stomach ailments[32]. Cathine is said to open the bronchial passages, curb the appetite, and raise the blood pressure.

Per 100 g, the leaves are reported to contain 5.2 g protein, 2.7 g fiber, 1.6 g ash, 290 mg Ca, 18.5 mg Fe, 1800 ug ß-carotene equivalent, 0.05 mg thiamine, 0.05 mg riboflavin, 14.8 mg niacin, and 161 mg ascorbic acid[122]. Leaves contain three alkaloids, d-norisoephedrine, formerly called cathine (0.27%), cathinine (0.15%), and cathidine (0.32%), besides reducing sugars, tannin, and a volatile oil[1]. Myricitin resins, mannitol, dulcitol, caoutchouc, up to 14% catechins, vitamins B and C are also repoted from the plant. Seeds contain 50% oil[33]. Krikorian and Getacum gives a historical tabulation of the compounds in khat[123]. Emboden states that scopolamine is the active principle[54]. Elsewhere he lists the filoowing «euphoriants»: dexedrine (I thought that was synthetic), ephedrine, d-norpseudoephedrine, and pervitin[54].

Toxicity – Emboden classifies the plant as a narcotic stimulant leading to hallucinations. ending in somnolence[54], stupidity, laziness, mindlessness, even insanity[33]. Addition of 0.1% khat extract to a rooster's diet decreased semen output and sperm concentration. Semen priduction stopped completely agter 63 days treatment, but the testis regained normal function after withdrawal of khat extracts[127]. The Bulletin on Narcotics[125] devoted an entire issue of 99 pages to khat with emphasis on chemistry and pharmacology. Khat in humans induces mydriasis, tachycardia, extrasystoles, elevated blood pressure, transient facial and conjunctival congestion, headache, hyperthermia, increased respiration (through central stimulation, bronchodilation, and counterregulation of hyperthermia), inhibition of micturition, yet increased diuresis (from intake of large quantities of fluids together with khat). Reinforcing effects include euphoria, logorrhea, improvement of association, excitement, and insomnia. «Toxic psychosis occurs very rarely, if at all»[125]. Would that the obese Jim Duke could chew khat and coca, dare I call it **«coca cata»** instead of lunch.

for ornamental forms of the genera *Euonymus* and *Celastrus* (bittersweet) Fruit of the family is often colourful. Leaves are frequently leathery and flowers are small, with four to five sepals and petals; alternating between the petals, stamens rise from a usually conspicuous nectar disk.

Khat (*Catha edulis*) is a slender, straight, East African tree reaching a height of 25 metres (80 feet), with large oval, usually opposite, finely toothed leaves. The slightly bitter leaves are chewed for a stimulant they contain.

Paxistima (or *Pachystima*), five species of low, often creeping, North American shrubs, includes *P. canbyi*, with evergreen leaves and small, greenish flowers.

Celastrales, order of flowering plants, belonging to the class known as dicotyledon (*q.v.*, characterized by two seed leaves). Its members are chiefly trees belonging to 12 families, 147 genera, and about 2,000 species. Four of the families—the Aquifoliaceae (holly), Celastraceae (staff-tree), Icacinaceae (icacina), and Hippocrateaceae (hippocratea)—are broadly distributed in the world and contain about 90 percent of the species. They are components of forests, requiring moderately rich soil.

A brief treatment of Celestrales follows. For full treatment, *see* MACROPAEDIA: Angiosperms.

Many of the 300 species of the holly family (Aquifoliaceae) are native in the tropics of Central and South America and the warmer regions of Asia. Several well-known hollies, however, range northward into southern Europe and the eastern United States. *Ilex aquifolium*, the European holly, grows 50 feet (16 metres) tall and furnishes valuable wood for veneers. It is used for decoration and hundreds of horticultural varieties are available for ornamental plantings.

The American holly (*I. opaca*) is widely distributed in the warmer areas of the eastern United States and is grown in commercial orchards for its red, yellow, or black berry-like fruits. Wood of this species is valuable in cabinetmaking and interior-finishing. *I. opaca*, with more than 1,000 horticultural varieties, is also used as an accent tree, for street plantings, wind barriers, and even for bonsai. The dried leaves of *I. paraguariensis* are used in South America to prepare a caffeine-rich beverage, yerba maté.

Of the 55 genera in the staff-tree family (Celastraceae), *Celastrus* and *Euonymus* are best known in the Northern Hemisphere. *Celastrus scandens*, the American bittersweet, is a shrub that can twine on a trellis or overrun a wooded area by climbing into tall trees. In autumn its dry capsules open to reveal bright orange clumps of berry-like arils that are often used for their colour in dry bouquets.

Many of the Asiatic species and cultivars of *Euonymus* are evergreen. *E. fortunei*, native to central and western China, has yielded many types of ground covers, hardy as far north as New England. Cultivars of the European spindle tree (*E. europa*) attain heights of 20 feet (6 metres) and display arils ranging in colour from orange to lavender-pink.

The Icacinaceae family is comprised of tropical trees and vines with its major centre of distribution in the Southern Hemisphere. A few species of its 58 genera (and 400 species), such as *Pennantia* and *Villarsia*, are cultivated locally as ornamentals.

Members of the Hippocrateaceae, a family of woody vines and slender trees, are native chiefly to South America but are also found in Africa. Latex ducts, producing a milky sap, occur in many members.

In *Celastrus* and *Euonymus* a unique, asexual method of reproduction has evolved. In addition to the embryo that is formed by fertilization of the egg within the ovule, another embryo may arise from the inner seed-coat area. Thus the two embryos are derived by different processes; the first is sexual and the other asexual (apomictic) The second embryo is, in reality, an internal bud that carries only the attributes of the plant that produced it Both embryos may establish themselves as seedlings when the seed germinates.

Many genera in this order produce flowers singly in the axil of a leaf (angle between stem and petiole). Others, as in the hollies, produce flower clusters (inflorescences), usually consisting of relatively few flowers. A model flower of this group possesses from four to six sepals, petals, and stamens (male) in each whorl. Sepals and petals may be partially united basally. The pistil (female) is comprised of three to six carpels, differentiated into a basal, swollen ovary and a lobed, pollen-receptive stigma. Each chamber of the ovary, which is superior in position, produces two ovules.

Following pollination and fertilization, the ovule becomes the seed and the ovary the fruit. In the hollies the fruit, though fleshy, is not a true berry; it is a drupe, or drupaceous berry. Among other families of the Celastrales, fruit types range from dry fruits that split in half to samaras (winged fruits).

Several kinds of flowers may be produced in hollies and other members of the Celastrales. Male flowers, containing only functional stamens, and female flowers, in which only the pistil is fully developed, can occur on a plant that also produces perfect (bisexual) flowers. This diversity increases the chances of pollination.

Seven families of this order develop a unique nectar-secreting disk placed below, between, or above the stamens. Disk position aids in distinguishing families from each other; hollies lack the disk.

It is generally agreed that the four major families of this order form a coherent group. Many structural aspects of the minor families have not been studied in detail. Features unifying the families of the Celastrales include simple leaves, one or two ovules in each ovary chamber, and the presence of nectar disks near stamens. Families are separated on the basis of the following attributes: presence or absence of stipules; vine habit; type of inflorescence; distribution of staminate, pistillate, or perfect flowers; structure of pistil; curvature of ovule; and the characteristics of the seed.

Celaya, city, south central Guanajuato state, north central Mexico. It is in the fertile Bajío region on the Mexican Plateau, 2½ mi (4 km) north of the Río de la Laja and 5,774 ft (1,760 m) above sea level. Founded as Purísima Concepción de Celaya in 1571, the city played an important role in 19th-century Mexican history when it changed hands several times during Mexico's struggle for independence from Spain. Gen. Álvaro Obregón defeated Pancho Villa at Celaya in 1915. With irrigation waters now available from the upper Río Lerma, Celaya has become an important agricultural and livestock-raising centre and Guanajuato's third largest city. Corn (maize), beans, wheat, and chick-peas are the principal crops, and cattle, pigs, and goats are raised. Dairying and the manufacture of candy (it is famous for its *cajetas de Celaya*, made of burnt sugar and milk) and textiles provide additional income. Lying approximately 30 mi west of Querétaro and about 50 mi southeast of Guanajuato city, the state capital, Celaya is a major railroad and highway junction.

Francisco Eduardo Tresguerras (1765–1833), architect, sculptor, painter, and poet, was born and did much of his work there. The church of Nuestra Señora del Carmen (1807), considered his best work, is outstanding for the beauty of its dome. His other works include the Independence Monument in the main plaza, a bridge over the Laja, and altars in the colonial church of San Francisco (1715), where he is buried. Pop. (1979 est.) 111,000.

Celaya, Battle of (April 1915), decisive military engagement in the wars between revolutionary factions following the Mexican Revolution of 1911. One of the bloodiest battles in Mexican history, it was fought at Celaya, Guanajuato state, Mex., between forces led by Álvaro Obregón and those led by Pancho Villa. In the course of the civil wars, Venustiano Carranza and Villa had gained ascendancy over the other revolutionary leaders, and Obregón supported Carranza. After two assaults involving intense fighting, Villa's cavalry, the most formidable contingent among the revolutionary armies, failed to capture Obregón's positions, which were protected by trenches, barbed wire, and machine guns. His forces decimated, Villa then retreated northward, leaving Carranza and his supporters in virtual control of Mexico, though he continued his bandit rebel activities in the north until Carranza was overthrown in 1920.

Celebes, Bahasa Indonesia SULAWESI, one of the four Greater Sunda Islands, Indonesia. A curiously shaped island with four distinct peninsulas that form three major gulfs—Tomini (the largest) on the northeast, Tolo on the east, and Bone on the south—Celebes has a coastline of 3,404 mi (5,478 km) and an area, including adjacent islands, of 87,897 sq mi (227,654 sq km). The island is very mountainous, with some active volcanoes, but there are large plains on the southern peninsula and in the south central part of the island on which rice is grown. The highest peak is Bulu (mount) Rantekombola, or Mario, at 11,335 ft (3,455 m). Major deep lakes (*danau*) are



Rice paddies on Celebes Island, Indonesia
Georg Gerster—Rapho/Photo Researchers

Towuti, Poso, and Matana, the latter having been sounded to 1,936 ft. The rivers are short and unimportant.

Geologically, Celebes lies between the two shelves of the Australian and Asian continents. The broad central block is a complex of igneous rocks, in the southeastern corner of which occurs a broad band of volcanic detritus known as tuff, dating from more than 65,000,000 years ago; it is fringed occasionally by coral limestone. The southern ridge of Celebes has an axis of schist and quartzite, while the volcanic Minahasa area differs structurally from any other part of the island. The climate is hot but tempered by sea winds; annual rainfall varies from 160 in. (4,050 mm) in Rantepao (southwest central section) to 21 in. in Palu (a rift valley near the western coast).

Generally, fauna is more Asian than Australian. Species unique to Celebes include the babirusa, or pig deer; the black-crested baboon; and the anoa, or dwarf buffalo. A distinct difference exists between the freshwater fish of Borneo and Celebes. Much of Celebes is still heavily forested, showing many floral resemblances to the Philippines but more Asian in the west and more Australian in the east.

Seven major ethnic groups inhabit Celebes: the Toala, Toradja, Buginese, Makasarese, Mi

Catha. Kat; Kath; Khat; Miraa; Abyssinian, African, or Arabian Tea.

CAS – 71031-15-7 (cathinone).

The fresh or dried leaves of Catha edulis (Celastraceae), containing cathine (see p.1692), cathinone ($C^9H^{11}NO = 149.2$), celastrin, choline, tannins, and inorganic salts.

Catha is an excitant of the central nervous system and is used in northern and eastern Africa as a stimulant, the leaves either being chewed or used as an infusion. Dependence on catha has been reported.

Preparations of the catha type were dependence-producing. Nineteenth Report of WHO Expert Committee on Drug Dependence, Tech. Rep. Ser. Wld Hlth Org. No 526, 1973.

Further references: Z. Maresová, Vnitr, Lék., 1976, 13, 753, W. Luqman and T. S. Danowski, Ann intern. Med, 1976, 85, 246; P. Kalix, J. Pharm. Pharmac., 1980, 32, 662 ((–)-cathinone).

Cathine. (+)-Norpseudoephedrine, threo-2-Amino-1-phenylpropan-1-ol.

$C^9H^{13}NO=151.2$.

CAS – 492-39-7; 36393-56-3.

Cathine is a constituent of catha (p.1692) and has been used as an anorectic agent.

The chemistry and pharmacology of cathine. R. A. Heacock and J. E. Forrest, Can. J. pharm. Sci., 1974, 9, 64.

Cathine was excreted unchanged in the urine 30 to 50 minutes after ingestion of the synthetic drug, about 40% being recovered in the urine within 6 hours. Trace amounts were detected 24 hours later.– C. K. Maitai and G. M. Mugera, J. pharm. Sci., 1975, 64, 702. Cathine 60 mg by mouth produced a mean peak plasma concentration in 6 healthy subjects of 200 ng per ml after 1.3 hours. Cathine could not be detected in the plasma after 24 hours.– F. Frosch, Arzneimittel-Forsch., 1977, 27, 665. The bioavailability of cathine from capsules or sustained-release dragees.– idem, 1076.

Proprietary Names of Cathine and Cathine Hydrochloride.

Adiposetten N (Reiss, Ger); Amorphan Depot (Heumann, Ger); Miniscap M.D. (Cooper, Switz); Minusin Depot (Otto Jann, Switz); Mirapront N (polystyrol-divinylbenzol-sulphonic acid derivative) (Mack, Illert., Ger); Nco-Soldana (Girol, Switz); Nobese (Restan, S.Afr); Reduform (Para-Pharma, Switz).

معجم العناصر المخدرة والمواد التي لها تأثير على الحالة النفسية والخاضعة تحت الرقابة الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة

صدر عام ١٩٨٣ عن منظمة الأمم المتحدة مرجع رسمي ننشر ربطاً بهذا صورة لغلافه ، وهو محرر بلغات العمل الرسمية (مع مرفق باللغة العربية) .

ولم نعثر في هذا المعجم على اسم (الكاتين أو كاتا إيديليس) أو ما يشابهه ، مع أننا عثرنا في صفحته الأخيرة وهي بالعربية على ورقة (الكوكا ص ٣١٦) .

مخبر الأمم المتحدة للمخدرات

كما ننشر ربطاً الصفحتين الرئيسيتين من تقرير مختبر الأمم المتحدة للمخدرات اللتين تختصران بعض ماتوصل المختبر للتعرف عليه علمياً ، ونظراً لاحتوائها على مصطلحات علمية بحتة ، لم نتوغل بمحاولة ترجمتها حرفياً ، تاركين لأهل الاختصاص موضوع التعرف على حصيلة الدراسات المخبرية .

القات في إحصائيات مجلس رقابة المخدرات لعام ١٩٨٦ التابع للأمم المتحدة ، ومقره حالياً مدينة (فيينا) عاصمة النمسا

جاء في الإحصاء المذكور تحت رقم ٤٦ وعنوانه (مواد منعشة للجهاز العصبي المركزي) ما يلي :

إن مادة (الكاتين) تحتوي على خصائص (أنوريكسيك ANOREXIQUES) وهي العناصر التي تساعد على قطع الشهية لتناول الأطعمة ، لذلك حصل في عام ١٩٨٦ إدراج مادة (الكاتين) في الجدول رقم ثلاثة .

ويضيف التقرير الإحصائي المذكور ما يلي :

لقد أعلنت **جمهورية ألمانيا الديمقراطية** أنها صنّعت ٢٣٠٠ كيلوغرام من مادة (الكاتين) ، كما أن **جمهورية كوريا** استوردت أربعين كيلوغراماً من هذه المادة .

مرفق

Eticyclidine	اتيسيكليدين
Eticyclidine hydrocholoride	اتيسيكليدين هيدروكلوريد
Ethchlorvynol	اثكلور فينول
Tilidine	(+) (اثيل ترانس ـ٢ـ ثنائي ميثيل أمينو) ـ١ـ فينيل ـ٣ـ سيكلوهكسين ـ١ـ كربوكسيلات ، تيليدين
Glutethimide	٢ـ اثيل ـ٢ـ فنيل ـ غلوتاريميد ، غلوتيثيميد
Ethchlorvynol	اثيل ـ٢ـ كلوروفينيل اتينيل كاربينول ، اثكلورفينول
ETHylmethylthiambutene	٣ـ اثييل مثيل أمينو ـ١ ، ١ـ ثنائي ـ (٢ ثينيل) ـ١ـ بيوتين ، اثيل مثيل ثيامبوتين
Pentobarbital	٥ـ اثيل ـ٥ـ (١ـ مثيل بيوتيل) حمض باربيتيوريك ، بنتوباربيتول
Amobarbital	٥ـ اثيل ـ (٣ـ مثيل بيوتيل) حمض باربيتيوريك ، أموبابيتال
Ethylmethylthiambutene	اثيل مثيل ثيامبوتين هيدروكلوريد
Ethylmethylthiambutene hydrochloride	اثيل مثيل ثيامبوتين هيدروكلوريد
Methylphenobarbital	٥ـ اثيل ـ١ـ مثيل ـ٥ـ فنيل ـ حمض باربيتيوريك ، مثيل فينوباربيتال
Dioxaphetyl butyrate	اثيل ـ٤ـ مورفولينو ـ٢، ٢ـ ثنائي فنيل بيوتيرات ، ثنائي أوكسافتيل بيوتيرات
Ethylmorphine	اثيل مورفين
Ethylmorphine	٣ـ اثيل مورفين
Ethylmorphine phenylethylbarbiturate	اثيل مورفين فنيل اثيل باربيتيورات
ethylmorphine camphosulfonate	اثيل مورفين كامفو سلفونات
Ethylmorphine methyliodide	اثيل مورفين مثيل ايوديد
Ethylmorphine hydrobromide	اثيل مورفين هيدروبروميد
Ethylmorphine hydrochloride	اثيل مورفين هيدروكلوريد
Ethinamate	اثينامات
Ethinamate	١ـ اثينيل سيكلو هكسانول كاربامات ، اثينامات
Amphetamine adipate	أديبات الأمفيتامين

أديبات الدكسامفيتامين	Dexamphetamine adipate
ورقة الكوكا	Coca leaf
وسيط البثيدين أ	Pethidine intermediate A
وسيط البثيدين ب	Pethidine intermediate B
وسيط البثيدين ب هيدروبروميد	Pethidine intermediate B hydrobromide
وسيط البثيدين ب هيدروكلوريد	Pethidine intermediate B hydrochloride
وسيط البثيدين ج	Pethidine intermediate C
وسيط المورأميد	Moramide intermediate
وسيط الميثادون	Methadone intermediate



القسم الرابع

تسلسل العهود والاحداث

تسلسل العهود والأحداث

أهم المراحل والعهود والأحداث التي مرت بها اليمن
منذ فجر التاريخ حتى بداية عام ١٩٨٨ م

استناداً إلى عدد من المراجع الغربية والصحف اليمنية والعربية بالإضافة إلى وثائقنا الخاصة . أما أهم المراجع الغربية وأوثقها فكانت التالية :

واشنطن ـ ميدل إيست جورنال	THE MIDDLE EAST JOURNAL
لندن ـ دائرة المعارف البريطانية	ENCYCLOPAEDIA BRITANICA
نيويورك ـ ميدل إيست نيوزليتر	THE MIDDLE EAST NEWSLETTER
باريس ـ سجل الأحداث المعاصرة	LES CAHIERS DE LORIENT CONTEMPORAIN
لندن ـ سجل الأحداث (كيسنغ) العالمية	« KESSING » RECORD OF WORLD EVENTS
نيويورك ـ ملف الأحداث	FACTS ON FILE

مع الإشارة إلى أننا غير مطمئنين لدقة جميع المراجع وتاريخ ونوع الأحداث ، لكننا مع ذلك أقدمنا على نشر بعض لما جمعناه عن تسلسل العهود والأحداث ، مع تركيزنا على الفترة الأخيرة ، لكي نفتح الباب أمام التصحيح والتصويب ، ليحصل اعتماده بعد ذلك في الطبعة القادمة التي نأمل بأنها ستصبح مرجعاً يمكن العودة إليه مع الاطمئنان إلى دقته . وقد لجأنا إلى اختصار الأسماء وتفادينا استعمال الألقاب ، لكي لا يكون هذا القسم ثقلاً على الكتاب .

العهد القديم[☆]

٢٧٤٣ ـ ٢٧٣١ ق.م. :	جاء ذكر **اليمن** (باعتبارها من بلاد **البونت**) بمناسبة وصف القائد والربان الفرعوني **شاهوري** لحملته البحرية إلى بلاد **البونت** التي تفيض لباناً (وهي الساحلان **اليمني والصومالي**) .
١٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م. :	توجد عدة مراجع مستندة إلى الأخباريين تشير إلى أن بلاد **عاد وثمود** هي في الواقع بلاد **اليمن الشرقية** ، ومنها واحات مندثرة كواحة **وبار** وواحة **إرم ذات العماد** .
١٥٠٠ ق.م. :	جاء ذكرها بعهد الفرعونين **تحتمس الثاني وتحتمس الثالث** وكذلك الملكة **حتشبوت** .
١٤٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م. :	تم التعرف على مملكتي **قتبان (وادي بيحان) وشبوة (عاصمة حضرموت)** في العصر الحديث وكذلك في الفترة نفسها وازدهار إمبراطورية **الآشوريين** السامية الأصل .
١١٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م. :	تنظيم رحلات القوافل عبر الصحراء بعد وصول الجمل إلى **شبه جزيرة العرب** عن طريق **الميتانيين** الذين خلفوا **السومريين** ومدنيتهم .
٩٨٠ ـ ٩٥٠ ق.م. :	ملكةسبأ ، المعروفة **ببلقيس** عند **العرب** ، تزور **سليمان الحكيم** .
٩٥٠ ـ ٦٢٠ ق.م. :	ساد حكم **السبئيين** بشكل يؤكد وصولهم إلى مرحلة حضارية متقدمة ، كما حصل التعرف على العاصمتين **صرواح ومأرب** وهي المرحلة التي تم فيها بناء العاصمتين **صرواح** ثم **مأرب** ، والتي تم فيها أيضاً بناء أقدم جزء من **سد مأرب** .
	ـ **وربما كانت معين** قد ورثت ممالك **العرب** البائدة في **وبار وإرم ذات العماد** على أطراف **الربع الخالي** .
٧١٥ ق.م. :	تذكر المصادر **الآشورية** صلة حاكم **سبئي بسرجون الثاني** .

(☆) هذه تواريخ تقريبية ويختلف العلماء حولها إلى اليوم .

٦٨٥ ق.م. :	تذكر المصادر **الآشورية** أن **سنحريب** استلم هدية من الحاكم **السبئي كرب إلو** .
	تم العثور في حوض **الفرات الأسفل** على أختام ونقوش تشير إلى وجود علاقات تجارية مع ممالك **سبأ ومعين** في تلك المنطقة .
٦٢٠ ـ ١١٥ ق.م. :	ظهور العهد الثاني من مُلك **سبأ** . وأصبحت **مأرب** العاصمة .
	إكمال بناء السد الكبير . واستخدام تقنيات البناء والري على أفضل وجه . تنظيم طرق القوافل التجارية .
١١٥ ق.م ـ ٢٧٥ م :	العهد **الحميري** الأول .
	أصبحت **ظفار** عاصمة **حمير** ، وانتعشت المراكز التجارية في **الحجاز** إلى الجنوب من **البتراء** . وأسس **الحميريون** مملكة في **الحبشة أكسوم** . وأصبحت لغة الكتابة **الحميرية** في **أكسوم** هي **الأمهرية** .
٥٠ ق.م. ـ ١٠٠ م :	العهد **الحميري** الأول يقضي على دولتي **قتبان وأوسان** .
٢٤ ق.م :	قام القائد الروماني **إيليوس جالوس** بقيادة حملة من ١٠٠٠٠ رجل ووصل إلى **مأرب** . ويروي **سترابون** أن حملة **جالوس** كانت فاشلة . وكان **إيليوس جالوس** والياً على **مصر** بعهد **أغسطس قيصر** ومدعوماً من الأنباط وسار في ركب الحملة عدد من التجار اليهود والمرتزقة .
٧٠ م :	تعلّم اليوناني **هيبالوس** ، من العرب التغير المنتظم للرياح الموسمية .
٢٧٥ ـ ٥٢٥ م :	العهد الحميري الثاني عندما أصبح لقب ملوك اليمن **التُّبّع** . وأصبح يضاف إلى اسم التّبع سائر البلاد ، وهي **سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات** وأعرابهم في **تهامة** الداخلية والساحلية . ولوحظ في تلك الفترة وجود ٣٢ ملكاً .
٣٤٠ ـ ٣٥٠ م :	وصول المسيحية إلى **اليمن** .
٥١٧ ـ ٥٢٥ م :	اعتنق الملك الحميري **ذونواس** الديانة اليهودية ، واعتبر المسيحيين محابين للأحباش ، ثم قام بتدمير كنائسهم وقتلهم وذبحهم وحرقهم في (الأخدود) .
	أصبحت **صنعاء** عاصمة **اليمن** .
٥٢٥ ـ ٥٧٥ م :	**أبرهة** الحبشي الأكسومي يبني الكاتدرائية الكبرى في **صنعاء** التي عرفت باسم (الكليس = القليس) ودعوة **الفرس** لمناهضة **الأحباش** .

٤٥٢ ـ ٥٧٠ م : إعادة بناء **سد مأرب** (والذي يعود للقرن العاشر قبل الميلاد) . لكن في عام ٥٧٠ م تهدم السد للمرة الأخيرة .

٥٧٠ م : (عام الفيل) الذي قام فيه **أبرهة** بمحاولة الوصول إلى الكعبة المكرمة ، وقد ارتد على أعقابه بعد إصابة جيشه بوباء الجدري .

٦٢٨ م : دخول الإسلام إلى **اليمن** بعهد **باذان الفارسي** .

الحكم في العهد الإسلامي إلى عهد الإمام يحيى واتفاقية دَعّان

٦٢٨ ـ ٦٦١ م : وصل عدد الولاة في عهد النّبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين إلى ٢١ والياً ، وقد قسمت **اليمن** إلى ثلاث ولايات : **صنعاء ـ الْجَنَد ـ حضرموت** .

٦٦١ ـ ٧٥٠ م : وفي عهد الأمويين وصل عدد الولاة إلى ٢٢ والياً .

٧٥٠ ـ ٨٢١ م : وصل عدد الولاة في العهد العباسي إلى أربعين .

٨٢١ ـ ١٠١٢ م : دولة بنو زياد وعاصمتها **زبيد** .

٨٤٠ ـ ١٠٠٣ م : دولة (**بني يعفر**)(☆) .

٨٩٨ ـ ١٩٦٢ م : وصول الأئمة إلى **اليمن** وأولهم **الهادي يحيى بن الحسين** وآخرهم **محمد بن أحمد بن يحيى حميد الدين** وتزامن حكمهم مع حكم العديد من الحكام والسلاطين .

١٠١٣ ـ ١١٥٠ م : دولة (**بني نجاح**)(☆) .

١٠٦٦ ـ ١١٣٨ م : دولة (**بني الصليحي**)(☆) .

١٠٩١ ـ ١٠٩٩ م : حكم السيدة **أروى بنت أحمد الصليحي** .

١٠٧٨ ـ ١١٧٤ م : حكم (**بني زريع**)(☆) .

١٠٩٩ ـ ١١٧٤ م : (**بنو حاتم**)(☆) .

١١٥٨ ـ ١١٧٤ م : حكم (**بني مهدي**) وقد تزامن مع حكم (**بني زريع**) و (**بني حاتم**) والهاشميين .

١١٧٤ ـ ١٢٢٩ م : نشوء دولة **الأيوبيين** . وقد اختار **طوران شاه** أحد أخوان **صلاح الدين الأيوبي** مدينة **تعز** (**عدينة**) عاصمة له .

(☆) من الملاحظ تزامن بعض هذه الدويلات مع بعضها في مناطق مختلفة من اليمن ، واستمر وجود حكم الأئمة في الشمال طيلة هذه الفترة بين مدّ وجزر .

١٢٢٩ ـ ١٤٥٤ م : دولة (**بني رسول**) وقد ورثوا **الأيوبيين** .

١٤٥٤ ـ ١٥١٧ م : حكم (**بني طاهر**)(*) ووصول الجراكسة من **مصر** .

١٥٣٨ ـ ١٥٦٨ م : الاحتلال العثماني الأول .

١٥٦٩ ـ ١٦٣٦ م : الاحتلال العثماني الثاني .

١٨١٨ ـ ١٨٤٠ م : الأسطول المصري بقيادة **إبراهيم باشا** يسيطر على **تهامة** .

١٨٤٠ م : الانسحاب المصري .

١٨٤٩ ـ ١٩١٩ م : الاحتلال العثماني الثالث (قتال مستمر) .

١٩١٥ م : سيطر الأتراك واليمنيون على **لحج** .

١٩١٨ م : معاهدة مدروس التي وقعت بين **تركيا** و**إنكلترا** والتي نصت على نزوح الأتراك عن **اليمن** .

١٩١٩ ـ ١٩٤٨ م : حكم الإمام **يحيى حميد الدين** الذي كان يتمتع بحكم ذاتي محدود منذ اتفاقية دعّان عام ١٩١١ م ، ثم استقل نهائياً عام ١٩١٩ م ، ودخل **صنعاء** في العام التالي .

تسلسل لأهم الأحداث التاريخية بعد اتفاقية (دعّان) ١٩١١ م
ثم جلاء الأتراك ١٩١٨ ـ ١٩١٩ إلى قيام الجمهورية العربية اليمنية ١٩٦٢ م

١٩١٨ ـ ١٩١٩ م : جلاء **الأتراك** عن اليمن بطريق عدن . وكان الوالي بصنعاء **محمود نديم** ، قد تلقى من الجنرال **ستيورات** ، والي عدن برقية يطلب فيها تنفيذ نصوص معاهدة فرساي ، وكذلك معاهدة مودروس (البند السادس عشر الذي نشرنا نصه بالمرفقات) . ثم احتل **البريطانيون ميناء الحديدة** بالاتفاق مع **الإدريسي** .

١٩٢١ م : تخلي **الإنكليز** عن **الحديدة** للإدريسي (**السيد حسن بن علي الإدريسي**) .

١٩٢٥ م : احتلال الإمام **يحيى للحديدة** وطرد الإدريسي واستعادة بعض مناطق عسير ومحاصرة أهم مدنها .

١٩٢٦ م : عقد معاهدة مع **إيطاليا** ٢٤ صفر ١٣٤٥ هـ/٢ أيلول/سبتمبر ١٩٢٦ م ، واعترافها بالإمام **يحيى** ملكاً على **اليمن** .

١٩٢٨ م : عقد معاهدة صداقة وتجارة مع **الاتحاد السوفييتي** ، ١٧ جمادى الأول ١٣٤٧ هـ/تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٨ م .

١٩٣١ م : اتفاقية صداقة مع الحكومة العراقية .

١٩٣٤ م : عقد معاهدة مع **بريطانيا** ، ٢٦ شوال ١٣٥٢ هـ/١١ شباط/فبراير ١٩٣٤ م ، واعترافها بالإمام **يحيى** ملكاً على **اليمن** .

١٩٣٤ م : عقد معاهدة الطائف مع الملك **عبد العزيز آل سعود** ، ٦ صفر ١٣٥٣ هـ/٢٠ أيار/مايو ١٩٣٤ م .

الانضمام إلى معاهدة الأخوة العربية والإسلامية مع **العراق والسعودية** .

١٩٣٩ م : اشتراك **اليمن** بمحادثات **القاهرة** الخاصة **بفلسطين** .

١٩٤٥ م : انضمام **اليمن** إلى عضوية الجامعة العربية صفر ١٣٦٥ هـ/تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٥ م .

٢٧ فبراير ١٩٤٦ م : أرسل الأحرار برقية للرئيس **ترومان** لعدم الاعتراف بحكومة لاتمثل

أماني الشعب بتوقيع **الزبيري ولقمان** عن حزب الأحرار **اليمنيين** .

٤ مارس ١٩٤٦ م : الرئيس **ترومان** يعترف بالإمام ملكاً على **اليمن** استناداً إلى اقتراح وزير خارجيته **دين أشيسون** .

١٩٤٦ م : عقد معاهدة مع **المملكة المصرية** ، نيسان/أبريل ١٩٤٦ م .

٤ مايو ١٩٤٦ م : عقد أول اتفاقية مع **الولايات المتحدة** بشكل تبادل رسائل بين مبعوث أميركي **وعبد الكريم المطهر** (مرفقة بهذا) .

١٩٤٧ م : قبول **اليمن** عضواً في هيئة الأمم المتحدة ، ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩٤٧ م .
ثورة **اليمن** الدستورية الأولى .

١٩٤٨ م : مقتل الإمام **يحيى** ٧ ربيع الثاني ١٣٦٧ هـ/٢٢ شباط/فبراير ١٩٤٨ م .
كما كان تشكيل وزارة من ١٩ وزيراً برئاسة **سيف الحق إبراهيم** (راجع المرفق بهذا) .

١٩٤٨ م : تولي الإمام **أحمد حميد الدين** عرش أبيه ، ٣ جمادى الأول ١٣٦٧ هـ/١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨ م ، وإعدام الإمام **عبد الله** الوزير ومناصريه والعديد من رجال الثورة الأولى .

١٩٥١ م : البيان اليمني البريطاني (كانون أول/ديسمبر) الذي أدى إلى :
اعتماد اتفاقية التعايش (**موديس فيفندي**) ١٠ آذار/مارس ١٩٥١ م ، (المرفقة بهذا) .

١٩٥٣ م : الانضمام إلى منظمة الصحة العالمية (٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر) .

١٩٥٣ م : الانضمام إلى منظمة الأغذية والزراعة ٩ كانون الأول/ديسمبر .

١٩٥٥ م : ثورة المقدم **أحمد يحيى الثلايا** وتنصيب سيف الإسلام **عبد الله** إماماً ، ٢٥ آذار/مارس ١٩٥٥ م .
استعادة المُلك ، ٢٧ آذار/مارس ١٩٥٥ م من قبل الإمام **أحمد** ثم إعدام الشهداء **الثلايا** ورفاقه وأخوي الإمام الأميرين **عبد الله والعباس** .

١٩٥٦ م : عقد حلف ثلاثي بين **اليمن ومصر والسعودية** (ميثاق جدة) ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٥٦ م (ضد حلف بغداد) .

١٩٥٦ م : زيارة **البدر لروسيا وتشيكوسلوفاكيا والصين** وعقد اتفاقات تعاون (١١ تموز/يوليه ١٩٥٦ م) .

١٩٥٧ م : العدوان البريطاني على منطقة **حريب** ووصول بعثة برئاسة **الأمين**

العام المساعد لجامعة الدول العربية - **أحمد الشقيري** - ٤ ذي القعدة ١٣٧٦ هـ/٣ نيسان/أبريل ١٩٥٧ م .

١٩٥٨ م : توقيع ميثاق الاتحاد مع **الجمهورية العربية المتحدة في دمشق** ، ١٦ شعبان ١٣٧٧ هـ/٨ آذار/مارس ١٩٥٨ م .

١٩٥٨ م : انتهاء العمل في ميناء **الحديدة** .

١٩٦٠ م : ١١ أغسطس وفاة وزير الدولة السياسي ، العالم القاضي **محمد بن عبد الله العمري** وأعضاء الوفد الذي كان برئاسته إثر سقوط طائرتهم الروسية قبل وصولها مطار **موسكو** بوقت قصير .

١٩٦٠ م : محاولة قتل الإمام **أحمد** وإصابته في **الحديدة** ، ١٠ شوال ١٣٨٠ هـ/٦/ آذار/مارس ١٩٦٠ م .

١٩٦١ م : قرار حلّ الاتحاد مع **مصر** ، ١٩ رجب ١٣٨١ هـ/٢٧/ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦١ م .

١٩٦٢ م : الانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ٢ نيسان/أبريل ١٩٦٢ م .

١٩٦٢ م : مساء ١٨ سبتمبر/أيلول ١٩٦٢ م أعلن البدر أن وفاة والده الإمام **أحمد** حصلت مساء الثلاثاء ثم تمّ دفنه **بصنعاء** ١٩ سبتمبر/أيلول ١٩٦٢ م .

١٩٦٢ م : مساء ٢٦ سبتمبر/أيلول ١٩٦٢ م إعلان الثورة وإلغاء نظام الإمامة وقيام الحكم الجمهوري ونشوء **الجمهورية العربية اليمنية** . مسودة برقيات التبليغ (مرفق بهذا) .



التوقيع في دمشق على ميثاق الاتحاد مع رئيس الجمهورية العربية المتحدة الفقيد جمال عبد الناصر وبحضور رئيس جمهورية سورية السابق شكري القوتلي في ٨ مارس (آذار) ١٩٥٨ . ويُرى المؤلف وراء الرئيس الراحل حاملا نسخة عن وثيقة الميثاق قبيل التوقيع عليها

تسلسل لأهم الأحداث منذ عام ١٩٥٩ م
قبيل ثورة ١٩٦٢ م ، حتى بداية عام ١٩٨٨ م

١٩٥٩ م :	**الولايات المتحدة** تفتح أول سفارة لها في صنعاء .
١٩٦١ م :	
١٥ تشرين أول / أكتوبر	الإمام **أحمد** يطلب مبايعة ولي العهد ابنه **محمد البدر** إماماً من بعده .
١٧ تشرين الثاني / نوفمبر	الإمام **أحمد** يجدد انضمام **اليمن** لمدة ثلاث سنوات أخرى إلى **الجمهورية العربية المتحدة** ، ويسمي **أحمد محمد باشا** مندوباً **لليمن** لدى مجلس اتحاد الدول العربية .
٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر	عودة ولي العهد **محمد البدر** من **سويسرا والقاهرة** ، بعد إجراء مباحثات مع الرئيس **عبد الناصر** .
٦ كانون الأول / ديسمبر	انتهاء العمل بالطريق الإسفلتي من **الحديدة** إلى **صنعاء** ، وكان هذا الطريق السريع بطول ٢٣١ كم قد أنشئ بمساعدة قرض من **الصين الشعبية** .
٢٦ كانون الأول / ديسمبر	إعلان قطع العلاقات الدبلوماسية بين **الجمهورية العربية المتحدة واليمن** .
١٩٦٢ م :	
١٣ كانون الثاني / يناير	طعن القائم بالأعمال البريطاني **رونالد بيلي** في **تعز** .
٢٢ كانون الثاني / يناير	تسمية **حسن إبراهيم** وزيراً للخارجية بدلاً من **عبد الرحمن أبو طالب** .
٥ شباط / فبراير	وصول **أحمد باشا** إلى **القاهرة** حاملاً رسالة من ولي العهد **محمد البدر** إلى الرئيس **عبد الناصر** للإعراب عن رغبة الحكومة **اليمنية** بإعادة العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفراء .
٢٦ نيسان / أبريل	انضمام **اليمن** إلى **منظمة الأمم المتحدة** للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) .

٥ حزيران / يونيه	افتتاح **ميناء الحديدة** الجديد رسمياً بقرض وعون من **الاتحاد السوفيتي** .
١٩ أيلول / سبتمبر	إعلان وفاة **الإمام أحمد** (٢٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ هـ / ١٩ أيلول / سبتمبر ١٩٦٢) ، عن عمر يناهز الـ ٧١ عاماً ، وتسمية ولي العهد **سيف الإسلام البدر** خلفاً له .

الثورة

٢٦ أيلول / سبتمبر	الزعيم (المشير فيما بعد) **عبد الله السلال** يرأس مجلس قيادة يقلب نظام الحكم بثورة ناجحة ، **والإمام البدر** يهرب إلى المناطق الشمالية الجبلية ويجمع أعواناً ومرتزقة وبدء الحرب الأهلية . الثورة تعلن انتهاء حكم الإمامة وقيام جمهورية ديمقراطية تقدمية عربية . قيام **الجمهورية العربية اليمنية** وسقوط الملكية ٢٧ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ ، ٢٦ أيلول / سبتمبر ١٩٦٢ م ، ثم صدور البيان رقم ٢ الصادر عن مجلس قيادة الثورة . تأليف مجلس الثورة من الضباط الآتية أسماؤهم : ـ الزعيم العميد **عبد الله السلال** ، قائد الثورة ـ الزعيم العميد **حمود الجائفي** . ـ المقدم **عبد الله جزيلان** . ـ الرئيس النقيب **عبد اللطيف ضيف الله** . ـ الرئيس النقيب **محمد قائد سيف** . ـ الرئيس النقيب **محمد المأخذي** . ـ الملازم **علي عبد الغني** . ـ الملازم **محمد مفرح** .
٢٧ أيلول / سبتمبر	راديو **القاهرة** يعلن أن ستين عضواً من عائلة الإمام لقوا حتفهم .
٢٨ أيلول / سبتمبر	تأليف حكومة جديدة للجمهورية : ـ **عبد الله السلال** رئيساً للوزراء وقائداً عاماً للجيش . ـ **محسن العيني** وزيراً للخارجية .

	ـ **محمد الزبيري** وزيراً للتربية
	ـ **عبد اللطيف ضيف الله** وزيراً للداخلية .
	ـ **حسن العمري** وزيراً للنقل .
٣٠ أيلول / سبتمبر	**الجمهورية العربية المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية يعترفان بالجمهورية اليمنية .**
٦ تشرين الثاني / أكتوبر	وزير الخارجية ـ **محسن العيني** ـ يعلن في **القاهرة** الاتحاد بين **اليمن والجمهورية العربية المتحدة .**
٧ تشرين الأول / أكتوبر	تسمية **عبد الرحمن البيضاني** نائباً لرئيس الوزراء .
١٥ تشرين الأول / أكتوبر	**البدر** يبعث ببرقيات إلى الدول العربية بأنه مازال على قيد الحياة .
١٧ تشرين الأول / أكتوبر	راديو **مكة** يذيع نبأ تصديق **الإمام البدر** على تشكيل حكومة برئاسة عمه **الحسن** .
٢٩ تشرين الأول / أكتوبر	إنشاء المصرف الوطني (البنك اليمني للإنشاء والتعمير) .
٣١ تشرين الأول / أكتوبر	النظام الثوري يسمي **عبد الله السلال** رئيساً للجمهورية ورئيساً لمجلس الوزراء ، و**عبد الرحمن البيضاني** نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية .
٢ تشرين الثاني / نوفمبر	**البيضاني** يصرح أن القوات المسلحة اليمنية جاهزة لغزو **المملكة العربية السعودية** وضرب قصور **الرياض** .
١٦ تشرين الثاني / نوفمبر	**اليمن** توقع حلفاً دفاعياً مع **الجمهورية العربية المتحدة** .
١٩ كانون الأول / ديسمبر	**الولايات المتحدة الأمريكية** تعترف **بالجمهورية العربية اليمنية**
٢٠ كانون الأول / ديسمبر	**الأمم المتحدة** توافق على اعتماد ممثلي **الجمهورية العربية اليمنية**
	ـ السفير **محسن العيني**
	ـ السفير **عدنان ترسيسي**
	السفير **محسن العيني** ـ وزير الخارجية قبل ذلك ـ يلقي كلمة **الجمهورية العربية اليمنية** يوم انتهاء دورة **الأمم المتحدة** .
٢٧ كانون الأول / ديسمبر	**اليمن** توقع اتفاقيتين مع **اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية** لدراسة المشاريع الصناعية ، ومشاريع استخدام التربة والمياه الجوفية .
١٩٦٣	الحرب الأهلية **اليمنية** تتحول إلى صراع دولي بعد وصول القوات **المصرية** لمساعدة الجمهوريين ، و**المملكة العربية السعودية** ترسل

السلاح والمعدات لمساعدة الملكيين ومعهم مرتزقة أجانب كخبراء .

٢٧ كانون الثاني / يناير — الرئيس **السلال** يوقع اتفاقية مع وكالة التنمية الدولية الأمريكية لإكمال طريق **المخا - تعز - صنعاء** ، وللمساعدة في مشاريع الري .

١٢ شباط / فبراير — **اليمن** تطلب من **المملكة المتحدة** إغلاق مفوضيتها خلال سبعة أيام .
- إبعاد نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية - **عبد الرحمن البيضاني** إلى **القاهرة** . الرئيس **السلال** يتسلم وزارة الخارجية إضافة لمنصبه ، وإقرار بعض التغييرات في الحقائب الوزارية .

١ آذار / مارس — وصول الدكتور **رالف بنش** ، ممثل الأمين العام **للأمم المتحدة يوثانت** إلى **اليمن** بمهمة لتقصي الحقائق ولمدة ثلاثة أيام .

١٠ آذار / مارس — الملكيون **اليمنيون** يناشدون **يو ثانت** إرسال **رالف بنش** لزيارتهم .

٢٤ آذار / مارس — رئيس الجمهورية يعلن تمسكه بالوحدة العربية .

١٣ نيسان / أبريل — إعلان الدستور المؤقت .

١٧ نيسان / أبريل — الرئيس **السلال** يعلن رغبته الانضمام إلى الاتحاد بين **الجمهورية العربية المتحدة وسورية والعراق** .

نيسان / أبريل — تأليف مجلس الرئاسة والمجلس التنفيذي .

٢٥ نيسان / أبريل — صدور مراسيم جمهورية بإنشاء مجلس رئاسة يضم :
- ١٣ من شيوخ القبائل ، و ١٦ عضواً لشؤون القبائل ، ومجلساً تنفيذياً يضم ١٣ عضواً برئاسة **عبد اللطيف ضيف الله** .

٣٠ نيسان / أبريل — تكليف الميجور جنرال **كارل فون هورن** بإنشاء لجنة مراقبين دوليين .

٢ أيار / مايو — **فون هورن** يغادر **صنعاء** بعد زيارة استغرقت ثلاثة أيام .

٢٨ أيار / مايو — **البدر** يعلن استئناف العمليات الحربية .

٢٩ أيار / مايو — وزير الخارجية الأمريكي **دين راسك** يعلن عن اتفاق يمكّن القوات **المصرية** من الانسحاب من **اليمن** . سيتم التوصل إليه خلال الأيام القليلة القادمة .

١ حزيران / يونيه — وصول الرئيس **السلال إلى القاهرة** ، وبدء المباحثات مع الرئيس **عبد الناصر** .

٣ حزيران / يونيه — **يوثانت** يبلغ مجلس الأمن أن تكاليف إرسال بعثة مراقبين من **الأمم المتحدة إلى اليمن** لمدة ٤ أشهر تقدر بـ : ٨٠٧ ٥٠٠ دولار .

١١ حزيران / يونيه	مجلس الأمن يصوت على قرار إرسال المراقبين إلى **اليمن** ، **والاتحاد السوفييتي** يتغيب عن جلسة التصويت .
١٣ حزيران / يونيه	صدور بيان مشترك عقب زيارة الرئيس **السلال** إلى **سورية** ، حيث أعلن انضمام اليمن إلى الاتحاد الجديد بين **الجمهورية العربية المتحدة وسورية** .
	فون هورن يصل إلى **صنعاء** برفقة المجموعة الأولى من مراقبي **الأمم المتحدة** .
١٦ حزيران / يونيه	الرئيس **السلال** يعرب ، خلال زيارته **للعراق** ، عن رغبته الانضمام إلى مشروع الاتحاد بين **الجمهورية العربية المتحدة وسورية والعراق** .
٢٤ حزيران / يونيه	عودة الرئيس **السلال** إلى **اليمن** قادماً من **القاهرة** .
٢٩ حزيران / يونيه	الرئيس **السلال** يوسّع مجلس الوزراء .
٢٣ تموز / يوليه	التوقيع على اتفاقية الحصانة الدبلوماسية للأمم المتحدة .
٢٤ تموز / يوليه	السفير **محسن العيني** يقدم أوراق اعتماده للرئيس **الأميركي جون كندي** .
١٥ آب / أغسطس	وصول الرئيس **السلال** إلى **القاهرة** ونقله إلى مستشفى **الإسكندرية** .
٢٧ آب / أغسطس	استقالة **فون هورن** من مهمة قيادة المراقبين .
٢١ أيلول / سبتمبر	الرئيس **السلال** يجتمع مع الرئيس **عبد الناصر** .
٢٢ أيلول / سبتمبر	البوليس **المصري** يعتقل **عبد الرحمن البيضاني** بعد وصوله من **عدن** ، عقب اتهامه بالتآمر من قبل راديو **صنعاء** ، أثناء زيارته **لعدن** .
٢٧ أيلول / سبتمبر	الرئيس **السلال** يدشن افتتاح المطار الدولي اليمني في **الرحبة** ، والذي بني بمساعدة مالية من **الاتحاد السوفييتي** .
١ تشرين الأول / أكتوبر	وصول **عبد الخالق حسونة** ، الأمين العام **لجامعة الدول العربية وناصر الهاني** ، من **العراق** ، إلى **عَمّان** بعد زيارتها **لجدة بالمملكة العربية السعودية** حيث أجريا مباحثات وساطة .
٥ تشرين الأول / أكتوبر	الرئيس **السلال** يعيّن نائبين آخرين للرئيس .

١٩٦٣

٦ تشرين الأول / أكتوبر	وصول بعثة جامعة الدول العربية للوساطة إلى **صنعاء** .
٣١ تشرين الأول / أكتوبر	الأمين العام الأمم المتحدة **يو ثانت** يقرر تمديد مهمة مراقبة الأمم المتحدة **باليمن** لغاية ٤ كانون الثاني / يناير .
٣ تشرين الثاني / نوفمبر	وصول الرئيس **السلال** إلى مستشفى **القاهرة** بعد إصابته بنوبة قلبية .
٦ تشرين الثاني / نوفمبر	اتفاق بين **اليمن وألمانيا الديمقراطية** لإقامة قنصلية عامة لكلا البلدين في **برلين الشرقية وصنعاء** .
٢ كانون الأول / ديسمبر	وصول السنيور **سبينيللي** ، ممثل الأمين العام للأمم المتحدة إلى **صنعاء** .
١١ كانون الأول / ديسمبر	**سبينيللي** يجري مباحثات مع **الأمير فيصل** في **الرياض** .
٢١ كانون الأول / ديسمبر	**سبينيللي** يجتمع بالرئيس **عبد الناصر** في **القاهرة** .

١٩٦٤

٧ كانون الثاني / يناير	تعيين مكتب سياسي يضم : **حسن العمري - عبد الرحمن الأرياني - محمد محمود الزبيري - محمد علي عثمان - أحمد محمد نعمان - عبد القوي حاميم - عبد السلام صبرة - عبد الغني مطهر** .
٢٩ كانون الثاني / يناير	**سبينللي** يجتمع في **الرياض** مع الأمير **فيصل** ، ضمن جولة جديدة من المباحثات .
٥ شباط / فبراير	تعيين لجنة عليا للنقد برئاسة وزير المالية **عبد الغني علي** ، ومنحها صلاحية إصدار الأوراق المالية لفئات الريال و ٥ و ١٠ ريالات .
١٠ شباط / فبراير	صدور مرسوم بتشكيل مجلس تنفيذي برئاسة اللواء **حسن العمري** . **حسن مكي** يخلف **مصطفى يعقوب** كوزير للخارجية .
١٠ آذار / مارس	وصول الرئيس **عبد الله السلال** إلى **موسكو** .
٢٤ آذار / مارس	توقيع معاهدة صداقة لمدة ٥ سنوات بين **الاتحاد السوفييتي واليمن** . وتوقيع اتفاقية المساعدة الاقتصادية والفنية .
٣١ آذار / مارس	وصول الرئيس **السلال** بزيارة رسمية إلى **براغ** .
٢ نيسان / أبريل	توقيع معاهدة صداقة وتعاون بين **اليمن وتشيكوسلوفاكيا** .
٨ نيسان / أبريل	الرئيس **السلال** يوقع معاهدة صداقة وتعاون بين **اليمن وبلغاريا** عقب زيارة رسمية استغرقت ٤ أيام .



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والمشير عبد الله السلال يحييان الجماهير أثناء زيارة الرئيس عبد الناصر لصنعاء في ٢٣ - ٢٨ ابريل (نيسان) عام ١٩٦٤

٢٣ نيسان / أبريل	وصول الرئيس **عبد الناصر** إلى **اليمن** بزيارة غير معلن عنها .
٢٨ نيسان / أبريل	إعلان دستور جديد **لليمن** . الرئيس **عبد الناصر** يعود **للقاهرة** .
٢٩ نيسان / أبريل	إعلان تسمية **حمود الجائفي** رئيساً للوزراء ، **حسن العمري** نائباً للرئيس ، **أحمد محمد نعمان** رئيساً لمجلس الشورى .
٣ أيار / مايو	الإعلان عن حكومة جديدة ، **الجائفي** رئيساً ، **محسن السري** وزيراً للخارجية .
٤ أيار / مايو	**سبينيللي** يجري مباحثات مع الرئيس **السلال** .
١١ أيار / مايو	وصول الرئيس **السلال** إلى القاهرة بمناسبة الاحتفال بانتهاء المرحلة الأولى من سد **أسوان** .
٢٨ أيار / مايو	الرئيس **السلال** يختتم زيارة رسمية **لرومانيا** . وتوقيع معاهدة للتعاون التقني والثقافي في **بوخارست** . وصول الرئيس **السلال** إلى **بودابست** .
١ حزيران / يونيه	وصول الرئيس **السلال** إلى **بكين** .
٩ حزيران / يونيه	**الصين الشعبية واليمن** يوقعان معاهدة للصداقة واتفاقيات للتعاون الثقافي والاقتصادي والتقني .
١١ حزيران / يونيه	وصول الرئيس **السلال** إلى **موسكو** قادماً من **برلين** .
١٦ حزيران / يونيه	التوقيع على وثيقة مؤتمر **الأمم المتحدة** للتنمية والتجارة .
٢٨ حزيران / يونيه	الرئيس **السلال** يعلن عن المطالب الشعبية العاجلة للاتحاد مع **الجمهورية العربية المتحدة** .
٣ تموز / يوليه	في تقريره لمجلس الأمن ، **يو ثانت** يقول « إن إجراء فض الاشتباك لوحده كان مخيباً للآمال .
٤ تموز / يوليه	**الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية** توافقان على تمديد آخر لمهات **الأمم المتحدة في اليمن** لمدة شهرين .
١١ تموز / يوليه	الرئيس **السلال** يطير إلى **القاهرة** .
٢٤ تموز / يوليه	**الأردن** يعترف **بالجمهورية العربية اليمنية** .
٣١ تموز / يوليه	إعلان الميزانية العامة الأولى للدولة بمجموع قدره : ٣٢,٨٨٩,٠٠٠ ريالاً يمنياً .

٢٤ آب / أغسطس	نائب رئيس **الجمهورية العربية المتحدة** ، المشير **عبد الحكيم عامر** ، **وأنور السادات** يصلان إلى **اليمن** .
١ أيلول / سبتمبر	الأمين العام **للأمم المتحدة** يعلن أن هيئة الأمم المتحدة ستنسحب من **اليمن** في ٤ أيلول / سبتمبر .
٤ أيلول / سبتمبر	**الصين الشعبية** تعلن عن منح **اليمن** قرضاً بقيمة ١٠ ملايين جنيه استرليني لإنشاء : (١) طريق من **صنعاء** إلى **صعدة** (بطول ٢٠٠ ميل) ، (٢) معمل للنسيج ، (٣) مدرسة فنية **بصنعاء** ، (٤) مستشفى .
٤ أيلول / سبتمبر	**هنغاريا** تعلن منح **اليمن** قرضاً بقيمة ٣٠٠ ٠٠٠ دولار .
٩ أيلول / سبتمبر	الرئيس **عبد الناصر** يتباحث مع الأمير **فيصل** في **جدة** حول القضية **اليمنية** .
١٤ أيلول / سبتمبر	صدور بيان بعد مباحثات **عبد الناصر ـ فيصل** ، يعلن : أن **المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة** ستقومان بإجراء اتصالات للوصول إلى حل سلمي في **اليمن** .
١٢ تشرين الأول / أكتوبر	**اليمن** تحتج لدى مجلس الأمن حول الانتهاكات **البريطانية** لحدودها .
١٤ تشرين الأول / أكتوبر	الإعلان في **القاهرة** عن بدء المباحثات السلمية بين الملكيين والجمهوريين .
٣١ تشرين الأول / أكتوبر	وفد الملكيين يغادر **جدة** إلى **أركويت** في **السودان** .
٥ تشرين الثاني / نوفمبر	الإعلان عقب مباحثات **أركويت** عن الموافقة على وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٨ تشرين الثاني / نوفمبر .
١٩٦٥	انضمام **اليمن** لمنظمة العمل الدولية .
١ آذار/مارس :	**الاتحاد السوفياتي** يوافق على تمويل توسيع زراعي في **وادي سردد** بقيمة ١٠,٠٠٠ روبل .
١ نيسان/أبريل :	اغتيال الزعيم الوطني والشاعر الكبير القاضي **محمد محمود الزبيري** ، النائب السابق لرئيس الوزراء ووزير التربية والتعليم في **جبل برط** شمال اليمن وكان قد استقال من الوزارة في ١٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٤ م .
٥ نيسان/أبريل :	الإعلان عن قيام الطيران المصري بضرب **ميناء جيزان** السعودي .

٢٠ نيسان/أبريل : استقالة حكومة اللواء **حسن العمري** .
ـ تكليف الأستاذ **أحمد محمد نعمان** بتشكيل الحكومة الجديدة .
ـ تشكيل مجلس رئاسي من خمسة أعضاء .

٢٤ نيسان/أبريل : الإعلان عن حكومة جديدة من ١٨ عضواً . منهم اثنان فقط من ضباط الجيش .

٨ أيار/مايو : نائب الرئيس **حسن العمري** ، يعلن عن رغبته في الذهاب إلى **موسكو** للتفاوض لتزويد **اليمن** بالطائرات السوفياتية .

٢٢ أيار/مايو : **سورية واليمن** توافقان على إنشاء سفارات لهما في البلدين .

٢٧ أيار/مايو : **واشنطن** تنفي قيام **الولايات المتحدة** بمدّ القوات الملكية بأية مساعدة عسكرية .

٢٨ أيار/مايو : تشكيل مجلس أعلى للدفاع من ١٨ عضواً . ولجنة من سبعة أعضاء لشؤون القبائل .
ويضم المجلس (برئاسة **الجايفي**) : الأستاذ **أحمد محمد نعمان والرعيني والشيخ عبد الله الأحمر ومحسن العيني** .

٨ حزيران/يونيه : الأستاذ **نعمان** يصل إلى **القاهرة** لبدء مباحثات في **الجمهورية العربية المتحدة** .
محمد أحمد نعمان ، ابن رئيس مجلس الوزراء اليمني ، يعلن في الكويت أن **الكويت** ستتوسط بالخلاف مع الملك **فيصل** .

١٩ حزيران/يونيه : الملك **حسين** ، ملك الأردن ، يتقدم بمقترحات للسلام في **اليمن** .
الجزائريون يستمرون بجهود الوساطة .

٢٣ حزيران/يونيه : التقارير تشير إلى أن **الجمهورية العربية المتحدة** تحاول بالقوة سحب ستة وزراء من الحكومة **اليمنية** .

١ تموز/يوليه : استقالة الأستاذ **نعمان** .

٣ تموز/يوليه : وصول **العيني** إلى **القاهرة** برفقة ١٨ شيخاً .

٤ تموز/يوليه : وصول القاضي **عبد الرحمن الأرياني** إلى **القاهرة** يرافقه ١٢ شيخاً .

٦ تموز/يوليه : الرئيس **السلال** يشكل حكومة جديدة برئاسته .

٩ تموز/يوليه : الرئيس **السلال** يطير إلى **القاهرة** للتباحث مع **عبد الناصر** .

١١ تموز/يوليه : الرئيس **السلال** يغير قراره ، ويعلن عن حكومة جديدة .

١٢ تموز/يوليه :	منع **العيني** و**نعمان** من مغادرة **القاهرة** .
١٨ تموز/يوليه :	الرئيس **السلال** يطلب من **العمري** تشكيل حكومة جديدة .
٢٠ تموز / يوليه	حكومة **العمري** تضم : **عبد الله جزيلان** و**محمد علي عثمان** نواباً للرئيس ، و**مصطفى يعقوب** وزيراً للخارجية .
٢٦ تموز / يوليه	الملك **فيصل** يستقبل وفداً من **اليمنيين** غير الملكيين .
٢٩ تموز / يوليه	وصول **عبد الحكيم عامر** و**أنور السادات** إلى **صنعاء** للتباحث مع الرئيس **السلال** و**العمري** .
	صَبري **الخولي** يغادر للتباحث مع الملك **فيصل** .
	حجز الأستاذ **أحمد نعمان** والرئيس **عبد الرحمن الأرياني** في **القاهرة** .
٢ آب / أغسطس	**حسن العمري** و**عبد الأمير** يلتقيان في **صنعاء** .
٣ آب / أغسطس	**العمري** يقول : على الجمهوريين شن حرب حاسمة ضد عدوهم الوحيد ، **المملكة العربية السعودية** .
٤ آب / أغسطس	**اليمن** تتهم ، في رسالة إلى **مجلس الأمن** ، القوات **البريطانية** في **بيحان** بإحراق مدينة **قعطبة** .
١٢ آب / أغسطس	الأستاذ **نعمان** يصرح في **القاهرة** إن الطريق الوحيد لإنهاء الخلاف في **اليمن** هو عقد مؤتمر سلام يحضره **اليمنيون** بكافة اتجاهاتهم .
١٨ آب / أغسطس	الرئيس **السلال** يطير إلى **الإسكندرية** للتباحث مع الرئيس **عبد الناصر** . وشارك في الاجتماعات عن الجانب **اليمني العمري** ، **الأرياني** ، **نعمان** و**الجايفي** .
٢٠ آب / أغسطس	عودة ٨ من الزعماء **اليمنيين** الـ ٣٧ الذين يشاركون في مؤتمر **الطائف** إلى **اليمن** .
٢٤ آب / أغسطس	الرئيس **عبد الناصر** و**الملك فيصل** يوقعان في **جدة** اتفاقاً لإنهاء ثلاث سنوات من الحرب في **اليمن** .
	وينص الاتفاق على انسحاب القوات **المصرية** خلال ١٣ شهراً من **اليمن** ، وتوقف **السعودية** عن مساعدة الملكيين ، وانعقاد مؤتمر للمصالحة الوطنية في فترة لاتتجاوز تاريخ ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٦ .

١٩٦٥

٢ أيلول / سبتمبر	الملك **فيصل** يصرح بأنه لا يؤيد عودة **الإمام البدر** إلى السلطة .
٤ أيلول / سبتمبر	تشكيل مجلس رئاسي من ستة أعضاء برئاسة المشير **عبد الله السلال** وعضوية الأستاذ **أحمد نعمان** ، والقاضي **الأرياني** ، **وحسن العمري** **وحمود الجايفي ومحمد علي عثمان** .
٩ أيلول / سبتمبر	**الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية** توافقان على تشكيل لجنة مشتركة لمراقبة تطبيق اتفاق **جدة** .
١١ أيلول / سبتمبر	لجنة السلام تجتمع في **صنعاء** .
٢٨ أيلول / سبتمبر	الملكيون يعلنون تسمية ٢٥ موفداً لمؤتمر **حرض** .
٦ تشرين الأول / أكتوبر	**العمري** يبدأ جولة تستغرق شهراً واحداً للعواصم العربية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية **السوفياتية** وجمهورية **الصين الشعبية** .
١١ تشرين الأول / أكتوبر	توافد ٣٥ عضواً من العائلة السابقة الملكية إلى **جدة** .
٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر	افتتاح مؤتمر **حرض** ، القاضي **الأرياني** يترأس الجمهوريين **وأحمد الشامي** يترأس الملكيين .
٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر	**العمري** يزور **حرض** .
٢ كانون الأول / ديسمبر	**الأرياني** يرفض اتفاق السلام في **جدة** كما قررته **الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية** ، وليس **اليمنيون** .
١٥ كانون الأول / ديسمبر	**الأرياني** يطلب تأجيل المؤتمر لمدة شهرين .
٢٤ كانون الأول / ديسمبر	تأجيل مؤتمر **حرض** . ـ قرارت مؤتمر**حرض** مرفقة بهذا

١٩٦٦

١٢ كانون الثاني / يناير	الرئيس **عبد الناصر** يستقبل سفير **العربية السعودية** في **القاهرة** .
١٨ كانون الثاني / يناير	**الأرياني** والوفد المرافق له يغادرون **القاهرة** إلى **صنعاء** .
١٢ شباط / فبراير	**العمري** ينفي نبأ استقالته .
١٦ شباط / فبراير	وفد جديد من **الجمهورية العربية المتحدة** يزور **صنعاء** .
٢١ شباط / فبراير	الإعلان عن طلب **الملك فيصل** مساعدة **الولايات المتحدة** إذا ما استأنفت **الجمهورية العربية المتحدة** الحرب في **اليمن** .
٣ آذار / مارس	القوات الملكية تعلن أن ثلاثين ضابطاً من **القوات المصرية** قتلوا ، وأن ٢٣ آخرين أسروا في ضواحي **صنعاء** .

١١ آب / أغسطس	الإعلان عن قيام **العمري** بمحاولة احتلال راديو **صنعاء** والمطار لكن السفير **المصري** في **صنعاء** ، أحبط المحاولة باستخدام قوات إضافية .
١٢ آب / أغسطس	وصول الرئيس **السلال** إلى **صنعاء** بعد إقامة دامت ٩ أشهر في **مصر** . والزعماء يبرقون للرئيس **عبد الناصر** مستنكرين احتلال **صنعاء** .
١٧ آب / أغسطس	الرئيس **السلال والعمري** يتصالحان ويصرحان بأنهما (أصبحا كلاً واحداً) .
١٩ آب / أغسطس	الإعلان عن مشروع حل بموجب المقترحات **الكويتية** .
١٦ أيلول / سبتمبر	إعلان استقالة رئيس الوزراء ، **حسن العمري** .
١٨ أيلول / سبتمبر	الرئيس **السلال** يتولى رئاسة الوزراء ، **وعبد الله الجزيلان** نائباً لرئيس الوزراء ، **ومحمد سلام** وزيراً للخارجية .
٢٢ أيلول / سبتمبر	الرئيس **السلال** يبعد سفير **اليمن** لدى **الأمم المتحدة محسن العيني** ، وكذلك الدكتور **محمد سعيد العطار** ، وكان **العيني** قد تقدم باستقالته قبل قرار إبعاده .
٣٠ أيلول / سبتمبر	الرئيس **السلال** يؤكد أن **العمري** وعدداً من الوزراء السابقين قد اعتقلوا في **القاهرة** . (وكان ٤٠ زعيماً سياسياً قد رافقوا **العمري** إلى **القاهرة**) .
٤ تشرين الأول / أكتوبر	السفير السابق ، **محمد نعمان** ، ابن رئيس الوزراء الأسبق ، **أحمد نعمان** يدعو الدول العربية للتدخل لدى **مصر** للإفراج عن الزعماء المحتجزين ، (وكان والده الأستاذ **أحمد** رئيس الوزراء السابق من بين المحتجزين) .
٦و٧ تشرين الأول/أكتوبر	الرئيس **السلال** يطرد ١٣٥ ضابطاً .
٨ تشرين الأول / أكتوبر	اصطدامات بالنيران والقنابل اليدوية في **صنعاء وتعز** .
٩ تشرين الثاني / نوفمبر	نائب رئيس الوزراء ، **جزيلان** ، يعلم **الجمهورية العربية المتحدة** أن الوساطة **الكويتية** أصبحت بلا جدوى ، والتقارير تشير إلى أنه طلب من **مصر** إعدام **العمري ونعمان** وغيرهم من **الجمهوريين**

١٢ كانون الثاني / يناير	**السوفييت** يتعهدون بتقديم مساعدة فنية لإنشاء مشروع تطوير الثروة السمكية .
١٧ كانون الثاني / يناير	توقيع بروتوكول تجاري جديد مع **الجمهورية العربية المتحدة** لزيادة حجم التجارة إلى ٣ ملايين جنيه **مصري** .
٢٦ كانون الثاني / يناير	الرئيس **السلال** يعين ولده ، العقيد **علي السلال** ، سفيراً **لليمن** في **موسكو** .
٢٧ كانون الثاني / يناير	**المملكة العربية السعودية** تتهم **مصر** بقصف **نجران** .
٢٦ نيسان / أبريل	قصف بعثة وكالة التنمية الدولية **الأمريكية** بعد اتهام الحكومة **اليمنية** للعاملين فيها بتحضير قذائف البازوكا في أحد مستودعات الذخيرة في **تعز** .
٢٨ نيسان / أبريل	**الولايات المتحدة** تنفي المزاعم **اليمنية** ، وتعلن عن سحب بعثة الوكالة ، وجميع المواطنين **الأمريكيين** ، ووقف أية مساعدات للبلد .
٣٠ نيسان / أبريل	الحكومة **اليمنية** توسع مدى مياهها الإقليمية من ٣ إلى ١٢ ميل بحري .
٢ حزيران / يونيه	بعد الادعاء بقيام الطيران **المصري** بإلقاء قنابل الغاز ، أعلنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر « أن بضعة علامات تشير إلى استخدام قنابل الغازات السامة » .
٤ حزيران / يونيه	وزير الخارجية **اليمني** ، يعلن عن موافقة **اليمن** لتبادل السفراء مع **العراق** .
٦ حزيران / يونيه	قطع العلاقات الدبلوماسية مع **الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة** .
٢٧ تموز / يوليه	ناطق بلسان **البيت الأبيض** يعلن في **واشنطن** عن قلق حكومته من تقارير عديدة تشير إلى استخدام الغاز .
١٣ آب / أغسطس	الرئيس **السلال** يتبرأ من اتفاقية ١٩٦٥ **السعودية ـ المصرية** لوقف إطلاق النار .
٣١ آب / أغسطس	**الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية توافقان على تشكيل لجنة من العراق والسودان والمغرب** لمراقبة انسحاب القوات **المصرية** من **اليمن** . الرئيس **السلال** يعلن رفضه لتطبيق اتفاقية ١٩٦٥ .

٢٦ أيلول / سبتمبر	الإعلان بأن انسحاب القوات **المصرية** من **اليمن** سيكتمل في ١٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٧ .
٤ تشرين الأول / أكتوبر	البعثة العربية المشكلة في ٣١ آب / أغسطس (بموجب مؤتمر **الخرطوم** لرؤساء الدول العربية) تغادر **صنعاء** إلى **القاهرة** بعد مظاهرات عدائية .
٦ تشرين الأول / أكتوبر	الإعلان بأن **الجمهورية العربية المتحدة** ستظل مخلصة للحلف الدفاعي بعد انسحاب قواتها من **اليمن** .
١٢ تشرين الأول / أكتوبر	الرئيس **السلال** يشكل حكومة جديدة مسنداً لنفسه رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية ، وضمت وزارته الجديدة المقدم **عبد الله الضبّي** وزيراً للداخلية ، والدكتور **محمد سعيد العطار** وزيراً للاقتصاد ، والشيخ **محمد علي عثمان** وزيراً لشؤون الرئاسة .
٢٩ تشرين الأول / أكتوبر	اتحاد الجمهوريات الاشتراكية **السوفياتية** يوافق على تشغيل خط الطيران التجاري المباشر بين **موسكو واليمن** .
٥ تشرين الثاني / نوفمبر	القاضي **عبد الرحمن الأرياني** يحل محل المشير **عبد الله السلال** . تشكيل مجلس رئاسي من ٣ أعضاء برئاسة **الأرياني** ، ويضم : الأستاذ **أحمد محمد نعمان ومحمد علي عثمان** . **محسن العيني** رئيساً للوزراء ، **عبد السلام صبرة** نائباً لرئيس الوزراء ، **حسن مكي** وزيراً للخارجية ، والدكتور **العطار** وزيراً للاقتصاد .
٦ تشرين الثاني / نوفمبر	**محسن العيني** يعلن عن مفاوضات قريبة مع الزعماء الملكيين ،لكنه لن يسمح بالمشاورات مع العائلة المالكة .
١٠ تشرين الثاني / نوفمبر	وصول **العيني** إلى **القاهرة** في جولة لشرح ما جرى في **اليمن** ولإقامة علاقات أخوية مع **مصر** ، حسبما كلفه بذلك رئيس المجلس الجمهوري ، القاضي **الأرياني** .
١٦ تشرين الثاني / نوفمبر	**العيني** يعلن أن **الجمهورية العربية المتحدة** وافقت على المحافظة على الاتفاقات التجارية .
١٩ تشرين الثاني / نوفمبر	الأستاذ **أحمد نعمان** يعلن استقالته من مجلس الرئاسة .

١٩٦٧

٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر	**العيني** يعلن عن وصول الطائرات **السوفياتية** لدعم القوات الجمهورية .
٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر	**اليمن الجنوبي** يعلن استقلاله بـ **جمهورية اليمن الجنوبي** .
٥ كانون الأول / ديسمبر	راديو **صنعاء** يعلن عن معارك عنيفة تدور حوالي **صنعاء** .
٧ كانون الأول / ديسمبر	الناطق بلسان الملكيين يعلن أن القوات الملكية أعطت مهلة ٤٠ ساعة للجمهوريين (للخروج من **صنعاء** أو التعرض للإبادة) .
١٨ كانون الأول / ديسمبر	استقالة حكومة **العيني** ، والفريق **حسن العمري** يصبح رئيساً للوزراء .
٢٧ كانون الأول / ديسمبر	الدبلوماسيون الأجانب ينسحبون من **صنعاء** إلى **تعز** .

١٩٦٨

كانون الثاني / يناير	اللجنة الدولية للصليب الأحمر تبلغ عن قتال ضار قرب **صنعاء** وعن عدد كبير من الضحايا .
٦ كانون الثاني / يناير	الإعلان عن قطع كافة الطرق المؤدية **لصنعاء** من قبل **الجمهوريين** . والجمهوريين يعلنون عن انتصار على القوات الملكية في معركة جديدة قرب **صنعاء** .
٧ كانون الثاني / يناير	وزير الخارجية الدكتور **حسن مكي** . يبرق **ليوثانت** (للمساعدة في وقف نزيف الدم بسبب التدخل **السعودي** في **اليمن**) .
٢٩ كانون الثاني / يناير	المبعوث **الجزائري** ، **شريف بلقاسم** ، يعلن أن **الجزائر** قررت منح **اليمن** ١٠ ملايين دينار جزائري .
٨ شباط / فبراير	**صنعاء** تعلن عن إعادة فتح ميناء **الحديدة** بعد حصار الملكيين له مدة سبعة أيام .
٧ آذار / مارس	**الجمهوريين** يأسرون قافلة عربات محملة بالمعدات العسكرية في أحد الموانئ الشرقية .
١٤ آذار / مارس	**العمري** ينهي زيارة إلى **الجمهورية العربية المتحدة** .
٦ حزيران / يونيه	الصندوق **الكويتي** يوافق على تقديم قرض بقيمة ١٩٠٠٠٠ دينار **كويتي** لتمويل مشروع وادي **زبيد** .
٢٢ حزيران / يونيه	**العمري** يدلي للصحافة في **بيروت** أن **اليمن** مستعدة لتسوية خلافاتها مع **المملكة العربية السعودية** .

١٩٦٨

٤ تموز / يوليه	القاضي **عبد الرحمن الأرياني** يوافق على البقاء في الرئاسة حتى يتم تعيين رئيس جديد .
٣١ تموز / يوليه	الحكومة تعلن عن وقف التعامل بالعملة المعدنية الصادرة عقب الثورة بعد تاريخ ١٦ أيلول / سبتمبر .
٣ آب / أغسطس	وفد من **اليمن الجنوبي** يزور **صنعاء** ، والبلدان يتفقان على تنسيق أنظمتها الصناعية ، وعدم الدخول أطرافاً في المعارضة في كلا البلدين .
١٦ آب / أغسطس	**العمري** يستقيل من منصب القائد العام ويخلفه **الجايفي** .
١٨ آب / أغسطس	**العمري** يسحب استقالته .
١٥ أيلول / سبتمبر	**العمري** يشكل حكومة جديدة . **يحيى جغمان** يصبح وزيراً للخارجية .
١٨ أيلول / سبتمبر	عودة البدر إلى الجزء الشمالي من **اليمن** .
١٩ أيلول / سبتمبر	**العمري** يطلب من **العربية السعودية** أن تتخلى عن مفهومها العدائي **لليمن** .
٢٦ أيلول / سبتمبر	البلاد تحتفل بالذكرى السنوية السادسة للثورة .
٥ تشرين الأول / أكتوبر	**العمري** ينهي زيارة من خمسة أيام **للاتحاد السوفياتي** .
١٤ تشرين الأول / أكتوبر	قوات من الجمهوريين والملكيين تشتبك قرب **صنعاء** .
٢٤ تشرين الأول / أكتوبر	القوات الجمهورية ترغم الملكيين بعد معركة حامية على التراجع عن طريق **صنعاء - تعز** .
١١ تشرين الثاني / نوفمبر	**الأرياني** ، رئيس المجلس الجمهوري يطلب من **اليمنيين** التمسك بالوحدة ، قائلاً إن نظامه أصبح جاهزاً للتباحث مع مؤيدي الإمام البدر .
٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر	نقل **عبد الرحمن البيضاني** ، السفير في **لبنان** ، ثم تقديمه استقالته .
٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر	**العمري** يعلن أن المرتفعات المحيطة **بصنعاء** أصبحت تحت حماية القوات الحكومية .
٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر	**العمري** يعلن عن تشكيل لجنة لإحلال السلم مع مؤيدي الملكيين .
١ كانون الأول / ديسمبر	صدور مرسوم جمهوري باعتماد الميزانية الجديدة بقيمة ٨٤٢ ٧٠٥ ١٠٢ ريال .

١٩٦٨

١٠ كانون الأول / ديسمبر	وصول وفد اقتصادي **سوفياتي** إلى **صنعاء**
٢٥ كانون الأول / ديسمبر	رئيس المجلس الجمهوري القاضي **عبد الرحمن الأرياني** ، يقول : « إن الوحدة يجب أن تتم مع **اليمن الجنوبي** » .

١٩٦٩

٤ كانون الثاني / يناير	وزير الخارجية **يحيى جغمان** ، يعلن عن أمله بعودة العلاقات الدبلوماسية مع **الولايات المتحدة الأمريكية** .
١١ كانون الثاني / يناير	وصول وفد **ألماني غربي** للتباحث حول تجديد (مشاريع زراعية ومشاريع أخرى) .
١٢ كانون الثاني / يناير	فتح طريق **صنعاء - تعز** للحركة المدنية .
٢٦ كانون الثاني / يناير	مقتل النقيب عبد الرقيب عبد الوهاب ، قائد تمرد آب / أغسطس في **صنعاء** .
٢ شباط / فبراير	**يحيى جغمان** ، وزير الخارجية ، يوضح أن (المسؤولية الكاملة في فشل التوصل إلى وحدة **اليمنين** تبقى على عاتق **جنوب اليمن**) .
٢٠ شباط / فبراير	المبعوث الخاص **للجمهورية العربية المتحدة** ، **حسن صبري الخولي** ، يعلن أن مباحثاته مع القاضي **الأرياني والعمري** كانت (ناجحة جداً) خلال زيارته **لليمن واليمن الجنوبي** من أجل تفهم القضايا مع **اليمنيين** .
٢٣ شباط / فبراير	وزير خارجية **اليمن الجنوبي** ، **فيصل الشعبي** ، يزور **صنعاء** للتباحث .
٢٤ شباط / فبراير	الناطق الرسمي **السعودي** يعلن أن بلاده ستعترف **باليمن** إذا (وجد نظام حكم اختاره الشعب **اليمني** بحرية) .
٢٥ شباط / فبراير	إقرار إنشاء مجلس وطني مؤقت .
١٥ آذار / مارس	استقالة مجلس الرئاسة ومجلس الوزراء .
١٧ آذار / مارس	المجلس الوطني يعقد أول اجتماع له .
٢١ آذار / مارس	المجلس الوطني ينتخب القاضي **عبد الرحمن الأرياني وحسن العمري ومحمد علي عثمان** كأعضاء في مجلس الرئاسة الثلاثي .
٣ نيسان / أبريل	**العمري** يشكل حكومة جديدة . **أحمد قائد بركات** يصبح وزيراً للخارجية .

١٩٦٩

٦ نيسان / أبريل	تـأليف حكـومـة جـديـدة في **اليمن الجنـوبي** ، **فيصل الشعبي** رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية .
٧ حزيران / يونيه	فرض ضريبة بقيمة ٥ في المئة على المستوردات مخصصة للدفاع .
٨ تموز / يوليه	استقالة **حسن العمري** لأسباب صحية .
٩ تموز / يوليه	تعيين **عبد السلام صبرة** نائباً لرئيس الوزراء .
١٥ تموز / يوليه	الإعلان عن إقامة العلاقات الدبلوماسية مع **ألمانيا الغربية** ومساعدة جزئية **ألمانية** للبلاد .
٣٠ تموز / يوليه	الرئيس القـاضي **عبـد الرحمن الأريـاني** يطلب من **محسن العيني** تشكيل الحكومة .
٢ أيلول / سبتمبر	تأليف حكومة جديدة برئـاسـة **القرشمي** ، وتعيين **يحيى جغمان** نـائبـاً لرئيس الوزراء للشؤون الخارجية والاقتصادية .
٢ تشرين الأول / أكتوبر	احتلال مناطق **صعدة** من قبل الجمهوريين .
٢٣ تشرين الأول / أكتوبر	**ألمانيا الغربية** تعلن أنها ستمنح **اليمن** (مسـاعـدة اقتصـاديـة مستمرة) تصل إلى ٥ ملايين دولار في السنة .
٤ تشرين الثاني / نوفمبر	إعادة انتخاب القاضي **عبد الرحمن الأرياني** لمدة ثمانية أشهر .
٦ تشرين الثاني / نوفمبر	تعيين **محسن العيني** قائداً للقوات المسلحة .
١٢ تشرين الثاني / نوفمبر	الإعلان عن معارك جديدة في منطقة **صعدة** .
٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر	التقـارير تشير إلى قتـال بين **السعـوديين واليمن الجنـوبي** في منطقـة **الوديعة** .
٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر	وفد **يمني** برئاسـة نـائب رئيس الوزراء ينهي زيـارة استغرقت خمسة أيام إلى **ألمانيا الغربية** ، وقع خلالها على أربع اتفاقيات تقنية ، وعلى اتفاق يقضي بمنح **اليمن** ٢٥ مليون مارك ، منها عشرة ملايين مساعدة سلعية .
٢٦ كانون الأول / ديسمبر	وفـد **يمني جنوبي** ينهي زيـارة **لليمن الشمالي (ج . ع . ي)** استغرقت ثلاثة أيام للتباحث حول الاشتباكات مع **العربية السعودية** .

١٩٧٠

١ ـ ١٠ ك ٢ / يناير	الإعلان عن توقف القتال بين الملكيين والجمهوريين .

١٩٧٠

١ شباط / فبراير	الرئيس الأرياني يقبل استقالة رئيس الوزراء القرشمي ويعين عبد السلام صبرة نائباً لرئيس الوزراء .
٣ شباط / فبراير	وزارة الخارجية تصدر بياناً تضمنه (الرغبة المخلصة بإقامة علاقات مع المملكة العربية السعودية) .
٥ شباط / فبراير	تشكيل حكومة جديدة . محسن العيني رئيساً ووزيراً للخارجية ، وصبرة نائباً للرئيس ، ويحيى جغمان نائباً للرئيس .
١٧ شباط / فبراير	راديو الملكيين يعلن أن القوات الملكية احتلت صعدة في ١٤ شباط / فبراير .
٢٠ شباط / فبراير	العراق يمنح اليمن قرضاً بقيمة ٣ ملايين دولار لمدة خمس سنوات .
٢١ آذار / مارس	محسن العيني ، رئيس الوزراء ، يحضر مؤتمر القمة الإسلامي بجدة .
٢٢ أيار / مايو	الجمهورية العربية اليمنية تصبح عضواً في صندوق النقد الدولي .. عودة ٣٠ زعيماً ملكياً برئاسة أحمد الشامي إلى صنعاء ، وتعيين الأستاذ أحمد محمد نعمان وأحمد الشامي أعضاء في مجلس الرئاسة ، وتعيين ستة وزراء .
٧ حزيران / يونيه	تعيين يحيى جغمان نائباً لرئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية .
٤ تموز / يوليه	مجلس الرئاسة يعيد انتخاب القاضي عبد الرحمن الأرياني لمدة ثمانية أشهر .
٢٤ تموز / يوليه	فرنسا تعلن اعترافها بحكومة الجمهورية العربية اليمنية .
٢٩ تموز / يوليه	بريطانيا تعترف بالجمهورية العربية اليمنية .
٢ آب / أغسطس	توقيع اتفاق إنشاء خط طيران نظامي مع المملكة العربية السعودية .
٩ آب / أغسطس	تعيين عبد الله الضبي وزيراً للداخلية .
٩ أيلول / سبتمبر	إيران تعترف بالجمهورية العربية اليمنية .
١١ تشرين الأول / أكتوبر	تبادل السفراء مع المملكة العربية السعودية . (القاضي اسماعيل بن أحمد الجرافي أول سفير للجمهورية العربية اليمنية لدى الرياض) .

١٩٧١

٢٥ شباط / فبراير	رئيس الوزراء ، محسن العيني ، يقدم استقالة حكومته استعداداً

للانتخابات العامة ، والطلب من الوزراء البقاء في مناصبهم تحت رئاسة نائب رئيس الوزراء للشؤون الداخلية ، **عبد السلام صبرة** ، حتى إتمام عمليات الانتخابات .

١٠ آذار / مارس — بدء الانتخابات لاختيار الممثلين في المجلس التأسيسي .

١٥ نيسان / أبريل — صدور مرسوم بتسمية ٨٦ عضواً في المجلس التأسيسي الجديد ، و ١٥ عضواً آخر تم انتقائهم عقب انتخابات اتحاد التجارة .

٢٦ نيسان / أبريل — تعيين مجلس رئاسة من ٣ أعضاء : القاضي **عبد الرحمن الأرياني** ، **حسن العمري** ، **محمد علي عثمان** .

٣ أيار / مايو — الإعلان عن تشكيل حكومة جديدة برئاسة الأستاذ **أحمد محمد نعمان** ، رئيساً ووزيراً للخارجية .

٢٥ أيار / مايو — وصول نائب رئيس الوزراء ، **عبد السلام صبرة** ، إلى **موسكو** بزيارة رسمية .

٣ حزيران / يونيه — **ألمانيا الغربية** توافق على قرض **لليمن** بقيمة ٣١ مليون مارك لبناء مطار وتعبيد طرق .

١٢ حزيران / يونيه — الرئيس القاضي **الأرياني** يقوم بزيارة رسمية إلى **المملكة العربية السعودية** .

١٦ حزيران / يونيه — عودة الرئيس **الأرياني** من **المملكة العربية السعودية** بعد زيارته الرسمية التي دامت خمسة أيام .

٨ تموز / يوليه — الإعلان عن موافقة البنك الدولي والصندوق الكويتي لتقديم منحة بقيمة ٢٠٠٠٠٠ دولار لتمويل فريق خبراء اقتصادي .

٢٠ تموز / يوليه — استقالة رئيس الوزراء الأستاذ **أحمد محمد نعمان** ، معلناً أنه (لا يمكنه تحمل مسؤولياته بسبب الصعوبات المالية) .

٢١ تموز / يوليه — مظاهرات في **صنعاء** تطالب بالإصلاح و (حملة على الفساد) .

٢٠ آب / أغسطس — تكليف اللواء **حسن العمري** بتشكيل حكومة جديدة .

٢٢ آب / أغسطس — **ألمانيا الغربية** توافق على قرض إضافي بقيمة ٢ مليون جنيه استرليني لمشروع طريق **صنعاء - تعز** ، وبذلك يصبح إجمالي القرض ٨,٢ مليون جنيه استرليني .

٢٤ آب / أغسطس	تشكيل حكومة جديدة . **حسن العمري** ، رئيساً ـ **محمد سعيد العطار** نائباً للرئيس لشؤون المالية ووزيراً للاقتصاد ـ **عبد الله الأصنج** للخارجية .
٤ أيلول / سبتمبر	استقالة **العمري** من منصبه كرئيس للوزراء ومن مقعده في مجلس الرئاسة ، وقبول الاستقالة بجلسة طارئة لمجلس الرئاسة . وسبب الاستقالة هو إسناد مسؤولية قتل أحد المصورين من قبل **العمري** .
١٨ أيلول / سبتمبر	تشكيل حكومة جديدة : **محسن العيني** رئيساً ووزيراً للخارجية ـ **إبراهيم الحمدي** ، نائباً للرئيس للشؤون الداخلية .
١٢ تشرين الأول / أكتوبر	**العراق** يوافق على قرض بقيمة ٣ ملايين دينار **لليمن** ، عقب زيارة الرئيس القاضي **الأرياني** .
١٦ كانون الأول / ديسمبر	**العيني** ، يعلن عن مساعدة سوفياتية لتوسيع معمل الإسمنت ومصنع تعليب الأسماك ، ومساعدة لبناء جامعة .
١٨ كانون الأول / ديسمبر	الرئيس القاضي **الأرياني** يغادر **موسكو** عقب زيارة استغرقت ١١ يوماً رافقه فيها **محسن العيني** .



زيارة الرئيس القاضي عبد الرحمن الإرياني ومعه رئيس وزرائه الاستاذ محسن العيني
الى الاتحاد السوفييتي في ١٨ ديسمبر ١٩٧١

١٩٧٢

١١ كانون الثاني / يناير	وصول فريق من مؤسسة النقد الدولي لدراسة الأوضاع الاقتصادية .
١٣ كانون الثاني / يناير	الرئيس **الأرياني** يطير إلى **باريس** لإجراء فحوص طبية .
٣ آذار / مارس	التقارير تفيد أن **الاتحاد السوفييتي** منح اليمن مساعدة بقيمة ٣٥ مليون دولار .
٨ آذار / مارس	إغلاق الحدود بين **اليمن الجنوبي والجمهورية العربية اليمنية** .
أيلول / سبتمبر	أواخر سبتمبر : حصل النزاع على الحدود بين **الجمهورية العربية اليمنية** وبين الشطر الجنوبي (**جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية**) .
تشرين الأول / أكتوبر	انتقل القتال إلى مائدة المفاوضات بعد وساطة **الجامعة العربية** وفي نطاقها **بالقاهرة** ، حيث حصلت محادثات وتوقيع أول اتفاق يرمي لتحقيق الوحدة بين شطري **اليمن** في ١٣ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٢ . وتأليف لجان تعمل لهذه الغاية .
تشرين الثاني / نوفمبر	حصل التوقيع على اتفاقية الوحدة اليمنية في **طرابلس (ليبيا)** يوم ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٢ . وقد اعتبرت هذه الاتفاقية تكملة لاتفاقية القاهرة ثم تحسنت العلاقات اليمنية مع الكتلة الغربية ، واستعادت **صنعاء** علاقاتها الدبلوماسية مع **الولايات المتحدة** التي كانت مقطوعة منذ حرب ١٩٦٧ العربية ـ الإسرائيلية .
كانون الأول / ديسمبر	استقالة وزارة **محسن العيني** معلناً أن مجلس الشورى حال دون تحقيق اتفاقية الوحدة التي كان قد وقعها في **طرابلس (ليبيا)** في ٢٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٢ . وخلفت وزارة **العيني** وزارة القاضي **عبد الله الحجري** .

١٩٧٣

مساعدات وافتتاح مطار **صنعاء** .

حصل في هذا العام بعض التحسن في الاقتصاد بفضل بداية مرحلة زيادة الدخل من العاملين في **المملكة العربية السعودية** وبلدان **الخليج** ، وذلك بفضل ارتفاع أسعار النفط ، وبداية توسيع المشاريع العملاقة في **الجزيرة العربية** .

كما قدمت **الصين** قرضاً جديداً قيمته عشرة ملايين جنيه استرليني لتنفيذ طريق **صنعاء - صعدة** ، وكانت في الماضي أول من قدم مساعدة من هذا النوع في العهد الإمامي لشق وتعبيد الطريق الرئيسية التي ربطت **الحديدة بصنعاء** ، مما شكل عنصراً أساسياً في مرحلة الثورة وما بعدها لوصول الأسلحة الثقيلة إلى **صنعاء** .

وكذلك فعلت **الإمارات العربية المتحدة** بتقديمها سبعة ملايين جنيه استرليني لتنفيذ مشاريع تعليمية .

وقامت **المملكة العربية السعودية** بتقديم مساعدات سخية لتنفيذ مشاريع صحية وتعليمية .

ولم يتخلف **الاتحاد السوفياتي** عن الإسهام بتقديم مساعدات إضافية قدرها ٣٢ مليون جنيه استرليني .

وقدمت الحكومة **البريطانية** مساعدة عملية فنية ، وذلك بإجراء مسح للموارد الطبيعية بواسطة سلاح الطيران البريطاني للمساهمة بوضع خريطة كاملة عن **اليمن** كانت لاتزال معدومة الوجود .

وبمناسبة عيد الثورة الوطني ٢٦ أيلول / سبتمبر ١٩٧٣ تم افتتاح مطار **صنعاء** الدولي الذي ساعدت **ألمانيا الغربية وإنكلترا** بتنفيذ بنائه وتقديم تجهيزاته .

نيسان / أبريل

في ٣٠ أبريل سقطت طائرة كانت تقل وزير الخارجية في (الشطر الجنوبي) **محمد صالح العولقي** و ٢٣ من مرافقيه وقتل من كان عليها (ومعظمهم سفراء أو دبلوماسيين جنوبيون) .

أثناء حرب أكتوبر مع **إسرائيل** ساعد **اليمن الجنوبي** القوات البحرية **المصرية** على إغلاق **مضيق باب المندب** .

وقد حصل بعض التبدل في سياسة **صنعاء (الجمهورية العربية اليمنية)** بعد انتقال الحكم من **العيني** إلى **الحجري** مما باعد بين حكام **عدن** وميولهم اليسارية وبين الحكم الجديد في **صنعاء** .

هذه الميول المختلفة لم تمنع استمرار المفاوضات بين **عدن وصنعاء** بقصد تحقيق الوحدة المنشودة والمعلن عن التمسك بها .

١٩٧٣

أيار / مايو — التوقيع على وثيقة الوحدة المنشودة عقب اجتماع عقد بين ممثلي شطري **اليمن في تعز** يوم أول أيار / مايو ١٩٧٣ .

حصل اغتيال أحد أعضاء المجلس الجمهوري **الشيخ محمد علي عثمان** ووجهت التهمة آنذاك إلى فئة من خارج الحدود .

أيار / مايو — واشتد النزاع بين مؤيدي السياسة السابقة ومؤيدي السياسة الحاضرة ، أي بين أنصار تطبيق اتفاقية الوحدة الموقعة **بطرابلس** وبين خصومها . وحصلت حوادث تخريب عديدة ذهب ضحيتها وفقاً لما أعلن آنذاك ما يقارب ألف قتيل .

لكن المساعي لرأب الصدع بين **صنعاء وعدن** انتهت بتوقيع اتفاق بين رئيسي الشطرين لإيقاف مظاهر النزاع والتحضير لجو وئام أفضل مما يؤدي إلى تحقيق الوحدة المنشودة من الطرفين .

١٩٧٤

آذار / مارس — استمر القاضي **عبد الرحمن الأرياني** رئيساً للمجلس الجمهوري وفي ٣٠ آذار / مارس تم تعيين **حسن مكي** رئيساً للوزراء خلفاً للقاضي **عبد الله الحجري** .

ولم تمض أسابيع قليلة بعد رئاسته لمجلس الوزراء ، ترأس **حسن مكي** وفداً رفيع المستوى توجه إلى **المملكة العربية السعودية ودول الخليج** عارضاً متاعب البلد المالية وشارحاً الحاجة لدعمها .

١٣ حزيران / يونيه — استولى العقيد **إبراهيم الحمدي** على السلطة دون عناء وأعلن العمل بالدستور الدائم وإلغاء المجلس كما ألغى حركة حزب التنظيم السياسي للاتحاد الوطني .

أعلن الرئيس **الحمدي** دستوراً مؤقتاً ومجلس قيادة واسع الصلاحيات .

١٨ حزيران / يونيه — غادر الرئيس السابق القاضي **عبد الرحمن الأرياني اليمن** ليستقر في **دمشق بسورية** .

تشرين الأول / أكتوبر — انضم **محسن العيني** لمجلس القيادة بصفة رئيس حكومة ، إنما بالرغم من حصول الاستيلاء على السلطة يوم ١٣ حزيران / يونيه استمر الحكم في **صنعاء** متجاوباً مع **المملكة العربية السعودية** بعهد **إبراهيم الحمدي** .

١٩٧٤

٢٦ ـ ٣٠ ت ١ / أكتوبر — عقد مؤتمر القمة العربية في **الرباط** حيث نفى ممثلو الشطر الجنوبي (**عدن**) أن يكونوا قد أجّروا **جزيرة بريم** على مدخل باب المندب لمصر .

١٩٧٥

كانون الثاني / يناير — قرار مجلس القيادة إنهاء مهمة **محسن العيني** كرئيس للحكومة (يوم ١٦ كانون الثاني / يناير) وفي ١٥ من الشهر ذاته تم تعيين **عبد العزيز عبد الغني** رئيساً للحكوْمة .

آب / أغسطس — زار محافظ البنك المركزي سابقاً ورئيس الوزراء بعد ذلك **عبد العزيز عبد الغني** ، **المملكة العربية السعودية** التي كانت قد وصلت إلى بحبوحة مالية منقطعة النظير .
وعقب هذه الزيارة الودية أعلنت المملكة عن تقديمها مساعدات مالية **للجمهورية العربية اليمنية** قيمتها ٢٧٣ مليون دولار .
وقد تدهورت العلاقات بعد ذلك بين **صنعاء** و**عدن** دون أن تؤدي إلى قطع زيارات لجان الوحدة .

١٩٧٦

تميز هذا العام باستمرار التعاون المالي بين **الجمهورية العربية اليمنية** وبين **المملكة العربية السعودية** ، وحصلت إشارات واضحة لتوثيق هذا التعاون وتعداد جوانبه ، ومنه تسديد عجز ميزانية الدولة .
وحصل اتجاه لتزويد الجيش بمعدات وتجهيزات عسكرية من طرف آخر غير مصدر الكتلة الشرقية المعتادة ، حيث ذكرت المصادر المعلنة أن **اليمن** ستشتري من **الولايات المتحدة** أسلحة بما قيمته ١٣٩ مليون دولار ، ولكن الرئيس **إبراهيم الحمدي** أعلن أكثر من مرة بأن علاقات بلاده مع **الاتحاد السوفييتي** الودية مستمرة ودائمة .

كما أنه إثر زيارة بعثة عسكرية رفيعة المستوى **لباريس** ذكرت الأخبار أن **اليمن** تنوي شراء أسلحة من **فرنسا** .

٩ ـ ١١ آب / أغسطس — حصل نزاع بالنسبة للمياه الإقليمية حيث حجز زورق حربي **أثيوبي** ثلاثة صيادين **يمنيين** .

١٩٧٦

تشرين الأول / أكتوبر	زار **ألمانيا الاتحادية** نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية **يحيى جغمان** ، حيث حصل على قرض قيمته ١٣ مليون دولار .
٦ تشرين الأول / أكتوبر	حصلت **اليمن** على تمديد القرض الذي سبق أن قدمه **العراق لليمن** وقيمته ١٥ مليون دولار .
٣١ تشرين الأول / أكتوبر	زار **المملكة العربية السعودية** العقيد **إبراهيم الحمدي** رئيس مجلس القيادة .
٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر	أعلنت **اليمن** إغلاق مجالها الجوي فوق **باب المندب** عقب اختراقه من قبل طائرات حربية في الأيام العشرة السابقة .
٢٠-٢٨ كانون الأول/ديسمبر	زار العقيد **الحمدي الصين وكوريا .**

١٩٧٧

١٥ شباط / فبراير	زيارة رئيس مجلس الرئاسة في الشطر الجنوبي **لصنعاء . سالم ربيع علي** ، واجتماعه بالرئيس **الحمدي .**
١٦ شباط / فبراير	تقرر تعيين مجلس مشترك بين شطري **اليمن** ، يجتمع كل ستة أشهر ، ويكون على مستوى وزراء .
١٧ شباط / فبراير	اجتمع وزير خارجية **الجمهورية العربية اليمنية** ، **عبد الله الأصنج** ، بالملك **خالد** في **لندن .**
٤ آذار / مارس	عاد **عبد الله الأصنج** إلى **صنعاء** بعد زيارة دامت ثلاثة أسابيع قام بها **لسورية وفرنسا وإنكلترا وليبيا .**
١٧ آذار / مارس	زيارة **الشيخ زايد آل نهيان لصنعاء** دامت أسبوعاً أجرى خلالها محادثات ثنائية .
٢٠ آذار / مارس	**عبد العزيز عبد الغني** ، رئيس الوزراء ، يزور **السعودية** ثم **لندن** حيث اجتمع بالملك **خالد .**
٢٢ آذار / مارس	اجتمع رؤساء **السودان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والصومال والجمهورية العربية اليمنية** في **تعز** للتشاور بشأن الأمن في **البحر الأحمر .**
١٠ نيسان / أبريل	اغتيال القاضي **عبد الله الحجري** ومعه زوجته والوزير المفوض **عبد الله الحامي** في **لندن .**
	قام وزير الخارجية السعودي ، **الأمير سعود الفيصل** ، بزيارة **لصنعاء .**

١٩٧٧

٢١ أيلول / سبتمبر — نائب رئيس الجمهورية المصرية **حسني مبارك** يزور **صنعاء** ويجتمع بالعقيد **الحمدي** .

١١ تشرين الأول / أكتوبر — مقتل **إبراهيم الحمدي** وأخيه **عبد الله** في ظروف غامضة ثم تعيين **أحمد الغشمي** رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً .

١٣ تشرين الأول / أكتوبر — اجتماع الرئيس **الغشمي وسالم ربيع علي بصنعاء** .

١٩٧٨

كان العقيد **أحمد الغشمي** قد استلم السلطة عقب مقتل سلفه العقيد **الحمدي** وأخيه في ١١ أكتوبر ١٩٧٧ م .

ثم أعلن **الغشمي** في فبراير من هذا العام عن انتخاب مجلس وطني مؤلف من ٩٩ نائباً ، وحددت مدة المجلس الجديد بثلاث سنوات .

وبعد انتهاء مرحلة الانتخابات للمجلس ألغي مجلس القيادة ، ثم انتخب **أحمد الغشمي** رئيساً للجمهورية لمدة خمس سنوات في أبريل .

٢٤ حزيران / يونيه — لم يدم حكم الرئيس الجديد طويلاً حيث قتل يوم ٢٤ يونيه بانفجار بواسطة حقيبة ملغومة قتل معه بواسطتها مندوب كان قد وصل لتوه من **عدن** .

وأعقب هذا الحادث اختيار مجلس قيادة من أربعة أعضاء لتسيير شؤون الحكم منهم العقيد **علي عبد الله صالح** رئيس الجمهورية فيما بعد .

وما لبث المجلس الوطني أن اجتمع وانتخب العقيد **علي عبد الله صالح** رئيساً للجمهورية بأغلبية ساحقة يوم ١٧ تموز / يوليه ١٩٧٨ .

٢٦ حزيران / يونيه — قتل رئيس جمهورية **اليمن الديمقراطية الشعبية** في **عدن سالم رُبَيّع علي** واستمرت العلاقات الودية بين **عدن** وجاراتها جيدة .

١٩٧٩

منذ بداية هذا العام وقبل ذلك حصل نزاع وصراع في بعض المناطق المتجاورة للخط الفاصل بين **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** وبين **الجمهورية العربية اليمنية** وهو الخط الموروث عن عهد الاحتلال البريطاني .

أدت هذه المناوشات في كانون الثاني / يناير إلى الاقتتال بين القوات

المسلحة لشطري **اليمن** وأعلن عن وقوع عدد من القتلى . واعتبرت **صنعاء** أن الجبهة الديمقراطية الشعبية وراء هذا الاقتتال بين الإخوة الذي ذهب ضحيته ١١٥ جندياً يوم ٢٤ شباط / فبراير ١٩٧٨ م .

٢٦ شباط / فبراير — أعلن أن قوات الجنوب احتلت مدينتي **قعطبة وحريب** وما بعدهما بفضل حصول الجنوب على أسلحة **سوفياتية** وتدريب مناسب .

أزعج هذا القتال وخشيت عواقبه كل من **المملكة العربية السعودية** المجاورة ، وكذلك **الولايات المتحدة الأمريكية** .

وضعت **المملكة العربية السعودية** قواتها في المناطق المجاورة **لليمن** تحت الاستعداد .

كما أرسلت **الولايات المتحدة** في تلك الآونة حاملة الطائرات **كونستيلليشن** إلى **بحر العرب** المجاور .

استنفرت **الجامعة العربية** ورؤساء دولها جهودها الدبلوماسية التي أدت لعقد مؤتمر تفاهم ومصالحة بين زعماء الشطرين في **الكويت** التي عرفت دائماً كيف تحافظ على علاقات طيبة مع الجميع بفضل سياسة تقليدية مرنة .

أدى مؤتمر **الكويت** يوم ٤ آذار / مارس ١٩٧٩ إلى عودة قوات الطرفين للخطوط الفاصلة السابقة للاقتتال ، ثم التوقيع على اتفاقية لإقرار الوحدة من قبل الرئيس **علي عبد الله صالح** والزعيم الجنوبي **عبد الفتاح إسماعيل** . وكان هذا الاتفاق بين **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والجمهورية العربية اليمنية** في **الكويت** تأكيداً لاتفاقيات الوحدة التي سبق أن وقعها الطرفان في **القاهرة وبطرابلس (ليبيا)** عام ١٩٧١ م .

١٩ آذار / مارس — تم انسحاب القوات إلى مراكزها السابقة .

٢٩ مارس / آذار — تم التوقيع على اتفاقية الوحدة بين شطري **اليمن** من قبل الرئيسين المذكورين في **الكويت** . ثم حصلت مفاوضات لتحقيق الوحدة المقررة دامت خمسة أيام ٢١ - ٢٦ أبريل ، ثم حصل تعديل وزاري رئيسي وقد أسند فيه منصب وزير الخارجية إلى الدكتور **حسين بن عبد الله العمري** الذي شغل بعد ذلك عدة مناصب وزارية أخرى .

١٩٨٠

١٥ تشرين الأول / أكتوبر — أسند منصب رئاسة الوزراء للدكتور **عبد الكريم الأرياني** الذي كان قد شغل عدة مناصب وزارية ومناصب أخرى .

عين القاضي **عبد الكريم العرشي** نائباً لرئيس الجمهورية .

وأصبح رئيس الوزراء السابق **عبد العزيز عبد الغني** النائب الثاني لرئيس الجمهورية .

شباط / فبراير — حصل التعاون بين شطري **اليمن** ، الشمالي والجنوبي ، على توحيد رسوم المواصلات البريدية والهاتفية .

أدى الصراع على أطراف **اليمن** إلى انخفاض الدخل من عائدات العاملين في الخارج . وأفادت المراجع المالية الدولية أن الفائض الذي كانت قد تمتعت **اليمن** بالوصول إليه وهو لعامي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ : ٤٢٥ مليون دولار .

انخفض العائد عام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ، وتم تحول هذا الفائض إلى عجز يقدر بمبلغ ٩٠ مليون دولار . وكانت قد ارتفعت قيمة المواد المستوردة إلى ٣٠ في المئة سنوياً .

١٩٨١

تشرين الأول / أكتوبر — زار الرئيس **علي عبد الله صالح موسكو** واتفق معها على إعادة جدولة القروض السابقة .

١٩٨٢

حصلت مناوشات منذ بداية هذا العام مع **الجبهة الوطنية الديمقراطية** التي يعتقد بأن **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** تساندها . وكانت قد بدأت هذه المناوشات بالقرب من الخط الفاصل بين الشطرين منذ عام ١٩٨١ م . كما صدر حكم بالخيانة العظمى على وزير الخارجية السابق **عبد الله الأصنج .**

١٣ كانون الأول / ديسمبر — لكن الحدث الهام والتاريخي في هذا العام هو حصول زلزال عنيف يوم ١٣ ديسمبر ١٩٨٢ م في محافظة **ذمار** ذهب ضحيته ٢٨٠٠ قتيل و ١٥٠٠ جريح ، وأدى إلى تدمير جزئي أو كامل لثلاث مئة قرية وتشريد آلاف من المواطنين في المنطقة .

١٩٨٣

نيسان / أبريل	أعلنت المصادر المالية أن احتياطي **اليمن** الذي كان قد وصل إلى ٤٢٨ مليون دولار بدأ بالانخفاض .
أيار / مايو	أعيد انتخاب الرئيس **علي عبد الله صالح** بالإجماع . وكان قد أعلن يوم ١٨ أيار / مايو بأنه غير مرشح أو راغب بإعادة انتخابه .
	انخفض هذا العام الدعم المالي **السعودي** للميزانية ، لكن الدخل من العاملين **بالمملكة** وبلدان **الخليج** قدرت قيمته بمليار و ٢٠٠ مليون دولار .
آب / أغسطس	حصلت مداولات ومحادثات بين ممثلين عن شطري **اليمن** اعتبرت ناجحة ، وأدت إلى إقرار مبدأ حرية التجول بين الشطرين **عدن وصنعاء** .
	عقد رئيس منظمة التحرير الفلسطينية محادثات مع رئيسي **اليمن** : **الجمهورية العربية اليمنية واليمن الديمقراطية الشعبية** ، يبدو أنها تعلقت أيضاً بوضع القوات الفلسطينية التي كانت قد لجأت إلى كل من شطري **اليمن** .
	في ١٣ آب / أغسطس حصل اجتماع بين الرئيسين **علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد** للتداول بشأن الوحدة اليمنية .

١٩٨٤

١٥ شباط / فبراير	حصل اجتماع للمجلس اليمني الأعلى على مستوى الرؤساء ، حضره الرئيس **علي عبد الله صالح** عن الشطر الشمالي والرئيس **علي ناصر محمد** عن الشطر الجنوبي .
٣٠ نيسان / أبريل	أنهى الرئيس **علي عبد الله صالح** زيارة رسمية **لفرنسا** أعقبتها زيارة **للسعودية والعراق** .
تموز / يوليه	الإعلان عن وجود النفط بكميات تجارية في منطقة **مأرب** .
١ تشرين الأول / أكتوبر	**الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان** يصل إلى **اليمن** بزيارة رسمية استغرقت أربعة أيام .
٩ تشرين الأول / اكتوبر	الرئيسان **اليمني والسوفياتي (علي عبد الله صالح وكونستانتين تشيرنيينكو)** وقعا معاهدة صداقة وتعاون مدتها عشرون عاماً .
تشرين الثاني / نوفمبر	حوّل بعض **اليمنيين** طائرة ركاب إلى **طهران** حيث تم اعتقالهم .



الرئيس الفرنسي ميتران يرحب بالرئيس اليمني علي عبد الله صالح في زيارته الرسمية لفرنسا



الرئيس علي عبد الله صالح في زيارته الرسمية للاتحاد السوفييتي

١٩٨٤

عقد اتفاقية مع شركة (**دغوش**) **التركية** قيمتها ٧٥ مليون دولار لإنشاء **سد مأرب** .

١٩٨٥

٩ شباط / فبراير — أعلن الرئيس **علي عبد الله صالح** عن اكتشاف البترول في **حوض مأرب (الجوف)** ، وأنه من المتوقع أن ينتج عشرين مليون برميل سنوياً عام ١٩٨٩ .

٥ آذار / مارس — اجتماع بين الرئيسين **علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد في صنعاء** أثناء زيارة الأخير دامت ثلاثة أيام .

٢٥ أيلول / سبتمبر — صرح الرئيس **علي عبد الله صالح** أن شركة (**هنت**) للبحث واستغلال النفط الأميركية اكتشفت حقلاً اقتصادياً للنفط في منطقة **مأرب الشرقية** . وقدر مخزون هذا الحقل بثلاث مئة مليون برميل .

كما أعلن عن وجود كمية تجارية من الغاز الطبيعي .

كما أعلن عن إنشاء خط أنابيب لنقل النفط إلى **البحر الأحمر** .

١٤ تشرين الثاني / نوفمبر — حدث تعديل وزاري جرى بموجبه عدة تعيينات وزارية في ١٤ تشرين الثاني / نوفمبر حيث عين الدكتور **حسن محمد مكي** نائباً لرئيس الوزراء ، واحتفظ معظم الوزراء بحقائبهم السابقة .

١٩٨٦

١٣ يناير ١٩٨٦ م والأيام القليلة التي عقبت حصل قتال عنيف بين فئتين متصارعتين على السلطة ذهب ضحيته ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل ومدني ثم حصل لجوء أعداد كبيرة من أنصار فئة **علي ناصر محمد** إلى الشطر الشمالي .

قدّر عدد المقاتلين والنازحين من الجنوب إلى الشمال بين ١٥ ألفاً و ٤٠ ألفاً .

شباط / فبراير — أعلن رئيس الوزراء **عبد العزيز عبد الغني** يوم ٢٥ شباط / فبراير أن حكومته لا تزال متمسكة بتوحيد شطري **اليمن** وذلك عقب الأحداث الدامية التي حصلت في **عدن** ، وأدت إلى ما لا يقل عن عشرة آلاف قتيل وجريح ، ونزوح أكثر من هذا العدد إلى **الجمهورية العربية اليمنية** .

نيسان / أبريل

- اتصالات بين الشطرين تتعلق بـانعكاسـات أحـداث **عـدن** الـداميـة ولجوء أعداد كبيرة من المقاتلين إلى الشطر الشمالي .
- بتـاريـخ ١٠ ـ ١٢ نيسـان / أبريـل زيـارة نـائب الرئيس الأمريكي لليمن **جـورج بـوش** وقـد أعلنت بعض الصحف أن الرئيس **علي عبد الله صالح** اعتذر عن قبول دعوة لزيارة **واشنطن** عقب فضيحة (**إيران** جيت) المتعلقة بصفقة الأسلحة الخفية مع **إيران** .

تموز / يوليه

إنشاء وزارة جديـدة للاقتصـاد في **اليمن** ، أسنـدت حقيبتهـا إلى **أحمد الخادم الوجيه** . وحصل تبديل وزيرين : **أحمد قـائـد بركات وفؤاد الأغبري** .

تشرين الأول / أكتوبر

- أعلنت الحكومة أن سياستها في استمرار التعـاون مع الكتلـة الشرقيـة والغرب على قدم المساواة لم تتبدل .
- أعلن عن الانتهاء من إنجاز المرحلة الأولى **لسد مأرب** الذي قد خطط له ليؤمن ري واستصلاح نحو عشرين ألف هكتار من بادية **مأرب** .
- كما حصل لأول مرة في تاريخ **اليمن** استغلال ثروتها البترولية وإنشاء مصفاة تكرير للنفط في منطقة **مأرب** الشرقيـة . وكان البترول قـد اكتشف بكميات تجارية منذ عام ١٩٨٤ م ، وكـذلـك عثر على وجود كميات وافرة من الغاز الطبيعي .

وقد أعلن رسمياً أن البترول الذي كان اكتشافه والتعرف على نوعيتـه ومخزونه التقريبي من قبل شركـة (**هنث**) **الأمريكيـة** وذلـك منـذ عـام ١٩٨٤ م سيكـون نقلـه إلى **البحر الأحمر** بـواسطـة أنبـوب . وسيصبح المشروع نافذاً عام ١٩٨٧ م .

حصـل هـذا العـام إعـلان نتيجـة الإحصـاء السكاني وهي كالتـالي بـالأرقـام المنتهيـة بصفر ٩,٣٠٠,٠٠٠ مليـون نسمـة منهم ٨,١٠٠,٠٠٠ مليون مقيم و ١,٢٠٠,٠٠٠ مليون مغترب .

ومن ٣ إلى ٧ تشرين الأول قام الرئيس **علي عبد الله صـالح** بزيـارة رسمية **للمملكة العربية السعودية** .

شاهد هذا العام اهتماماً مضاعفاً بالنسبة للبحث عن الآثار وحمايتها ، واعتبار **صنعاء** القديمة تراثاً فنياً عالمياً يجب الحفاظ عليـه ، استنـاداً

١٩٨٦

إلى قرار وعون من منظمة **الأمم المتحدة** المتخصصة (**اليونسكو**) .

٢٠ ـ ٢٢ ك ١ / أكتوبر — زيارة رئيس الوزراء التركي **توجورت أوزال** إلى **اليمن** للمشاركة في احتفالات تدشين المرحلة الأولى **لسدّ مأرب** العظيم ، والذي تقوم شركة (**دغوش**) **التركية** بتنفيذه . وتقرر تأليف لجنة تعاون اقتصادي بين البلدين .

قام الرئيس **علي عبد الله صالح** بتدشين المرحلة الأولى من **سد مأرب** بمشاركة سمو الشيخ **زايد آل نهيان** رئيس دولة **الإمارات العربية** .

١٩٨٧

٢٢ ك ٢ / يناير — حصل في **صنعاء** التوقيع على اتفاق تعاون تعليم عالي وتكنولوجي مع **بولندا** .

٢٨ شباط / فبراير — وافق مجلس الشعب على ميزانية الدولة التي وصلت إلى أكثر من ستة آلاف مليون ريال ، وتنطوي على عجز قيمته ٣١٥٠ مليون ريال .

أواسط مارس — قام الرئيس **علي عبد الله صالح** بزيارة إلى **ليبيا** في طريقه إلى القمة العربية في **الجزائر** ، حيث أجرى محادثات مع العقيد **معمر القذافي** .

٦ نيسان / أبريل — صرح الرئيس **علي عبد الله صالح** أن بلاده ستبدأ بتصدير ١٥٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف برميل من النفط يومياً ، ابتداء من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٧ م .

٣ ـ ٤ مايو — وقع الرئيس **علي عبد الله صالح وعلي سالم البيض** أمين عام الحزب في الشطر الجنوبي على وثيقة جديدة تؤكد السير في الخطوات الرامية لتحقيق الوحدة .

٧ مايو — أعلن الأمين العام **علي سالم البيض** إجلاء جميع قواته التي كانت مرابطة في المنطقة المتصلة **بشبوة** .

وكان قد حصل الاتفاق بين الشطرين الشمالي والجنوبي من **اليمن** على الاستغلال المشترك للنفط الذي تبين وجوده في منطقة **شبوة** ، وتقدر المساحة التي يشملها مشروع الاستغلال المشترك بمقدار ٢٢٠٠ كيلومتر مربع مع اعتبار منطقة الاستغلال منزوعة السلاح .

٢٣ يوليو — وصل السيد **علي سالم البيض** أمين عام الحزب في الشطر الجنوبي إلى **صنعاء** ، حيث أجرى محادثات مع الرئيس **علي عبد الله صالح** .

١٩٨٧

٢٦ ـ ٢٩ سبتمبر: قام الرئيس الأثيوبي **منجستو هيلامريم** بزيارة إلى **صنعاء** ، ليشارك مع العديد من الشخصيات باحتفالات العيد الفضي للثورة . وقد أجرى محادثات مع الرئيس **علي عبد الله صالح** .

نظّمت في العاصمة وأنحاء البلاد مهرجانات رسمية وشعبية احتفالاً بمرور ٢٥ عاماً على قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م .

بداية أكتوبر: لجأ وزير العدل الجنوبي **جعفر عبد الله شوطح** إلى الشطر الشمالي .

١٠ ـ ١٢ أكتوبر: قام رئيس الوزراء **عبد العزيز عبد الغني** بزيارة إلى **العراق** .

أكتوبر ـ نوفمبر: أنشأ المفوض السامي للاجئين التابع **للأمم المتحدة** مكتباً في **اليمن** للعناية بشؤون اللاجئين الذين وصلوا من الجنوب عقب الأحداث الدامية التي جرت في يناير ١٩٨٦ م .

اعتبر المكتب أن عدد اللاجئين يقدّر بثمانين ألف شخص ، وكانت هناك تقديرات بأن المحاربين الذين وصلوا بأسلحتهم إلى الشمال يتراوح عددهم بين خمسة آلاف وخمسة عشرة ألف مقاتل .

٢ ـ ٥ ديسمبر: قام رئيس الوزراء **عبد العزيز عبد الغني** بزيارة إلى **ليبيا** على رأس وفد مؤلف من ١٤ عضواً لبحث مجالات التعاون المشترك .

١٩٨٨

١٠ مايو: إصابة السفارة الأميركية **بصنعاء** بقذيفة أحدثت أضراراً مادية وحسب .

٢٢ ـ ٢٤ مايو: قام الرئيس المصري **محمد حسني مبارك** بزيارة إلى **صنعاء** أجرى خلالها محادثات مع الرئيس **علي عبد الله صالح** .

٥ يوليو: حصل انتخاب مجلس الشورى المؤلف من ١٥٩ عضواً منهم ٣١ كان تعيينهم بقرار رئيس الجمهورية بناء على الدستور الدائم .

١٧ يوليو: اجتمع مجلس الشورى ، وقرر إعادة انتخاب الرئيس **علي عبد الله صالح** رئيساً للجمهورية لخمس سنوات أخرى . (١٥٢ عضواً صوتوا لمصلحته ، وامتنع اثنان ، وتغيّب خمسة أعضاء) .

٣١ يوليو: تأليف وزارة جديدة برئاسة **عبد العزيز عبد الغني** مع التبديل بالحقائب ، وقد شمل التعديل ستة وزراء ، واحتفظ نائب رئيس مجلس الوزراء الدكتور **عبد الكريم الأرياني** بوزارة الخارجية .

٣ ـ ٤ أغسطس	قام الرئيس **علي عبد الله صالح** بزيارة إلى **العراق** ، حيث أجرى محادثات مع الرئيس **صدام حسين** .
١٥ نوفمبر	أعلنت ج.ع.ي إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع **مصر** .
٣١ يوليو	صدور قرار جمهوري بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٨٨ م يقضي بإعادة تشكيل الحكومة على النحو التالي :

برئاسة **عبد العزيز عبد الغني** .

١ ـ دكتور **حسن محمد مكي** نائباً لرئيس الوزراء .

٢ ـ دكتور **عبد الكريم الأرياني** نائباً لرئيس الوزراء وزيراً للخارجية .

٣ ـ دكتور **محمد سعيد العطار** نائباً لرئيس الوزراء وزيراً للتنمية رئيساً للجهاز المركزي للتخطيط .

٤ ـ **مجاهد يحيى أبو شوارب** نائباً لرئيس الوزراء .

٥ ـ **عبد الله الكرشمي** وزيراً للأشغال والنقل .

٦ ـ دكتور **عبد الله بركات** وزيراً للداخلية .

٧ ـ القاضي **علي علي السمان** وزيراً للأوقاف والإرشاد .

٨ ـ **أحمد علي المحنّى** وزيراً للنفط والثروات المعدنية .

٩ ـ دكتور **عبد الوهاب محمود عبد الحميد** وزيراً للاقتصاد والتموين والتجارة .

١٠ ـ **محمد الخادم الوجيه** وزيراً للمواصلات والاتصالات اللاسلكية .

١١ ـ **يحيى حسين العرشي** وزيراً للدولة وشؤون الوحدة .

١٢ ـ المهندس **أحمد محمد الآنسي** وزيراً للتربية والتعليم ، ورئيساً للهيئة العامة للمعاهد العلمية .

١٣ ـ **إسماعيل أحمد الوزير** وزيراً للشؤون القانونية ومجلس الشورى .

١٤ ـ **محسن محمد العلفي** وزيراً للعدل .

١٥ ـ **أحمد محمد لقمان** وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل .

١٦ ـ **حسن أحمد اللوزي** وزيراً للإعلام والثقافة .

١٧ ـ دكتور **محمد أحمد الكباب** وزيراً للشباب والرياضة .

١٨ ـ **محمد عبد الله الجائفي** وزيراً للخدمة المدنية والإصلاح الإداري .

١٩ ـ **علوي صالح السلامي** وزيراً للمالية .

٢٠ ـ المهندس **جمال محمد عبده** وزيراً للكهرباء والمياه .

٢١ ـ المهندس **محسن علي الهمداني** وزيراً للبلديات والإسكان .

٢٢ ـ دكتور **ناصر عبد الله العولقي** وزيراً للزراعة والثروة السمكية .

٢٣ ـ دكتور **محمد علي مقبل** وزيراً للصحة .

١٩٨٨

كما صدر قرار جمهوري بتشكيل المجلس الاستشاري على النحو التالي :

١ ـ عبد الكريم عبد الله العرشي	**٢ ـ عبد العزيز عبد الغني**
٣ ـ دكتور حسن مكي	**٤ ـ دكتور عبد الكريم الأرياني**
٥ ـ دكتور محمد سعيد العطار	**٦ ـ مجاهد يحيى أبو شوارب**
٧ ـ عبد الله بن حسين الأحمر	**٨ ـ حسين محمد الدفعي**
٩ ـ حسين عبد الله المقدمي	**١٠ ـ محمد إسماعيل الحجي**
١١ ـ علي قاسم المؤيد	**١٢ ـ محمد عبد الله الأرياني**
١٣ ـ يحيى محمد المتوكل	**١٤ ـ محمد سالم باسندوه**
١٥ ـ سنان عبد الله أبو لحوم	**١٦ ـ محمد أحمد الجنيد**
١٧ ـ محمد أحمد منصور	**١٨ ـ دكتور عبد العزيز صالح المقالح**
١٩ ـ أحمد أحمد الرحومي	**٢٠ ـ دكتور أحمد محمد الأصبحي**
٢١ ـ يحيى لطف الفسيل	**٢٢ ـ محمد عبد الوهاب جباري**
٢٣ ـ ناجي عبد العزيز الشايف	**٢٤ ـ عبد الله حسين الحلالي**
٢٥ ـ أحمد جابر عفيف	

١٩٨٨

٨ حزيران / يونيو — وجه رئيس الجمهورية العربية اليمنية العقيد / علي عبد الله صالح الدعوة لمجلس الشعب التأسيسي للاعداد لانتخابات مجلس الشورى والتي تمت بنجاح في يوم ٠٠ من شهر يوليو ١٩٨٨ م .

١٩٨٩

١٦ شباط / فبراير — أُعلن في بغداد قيام مجلس التعاون العربي ويضم إلى جانب اليمن كلاً من الجمهورية العراقية وجمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية .

٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر — تم في عدن التوقيع على اتفاقية بين الشطرين لإقرار مشروع دستور دولة الوحدة وذلك في زيارة تاريخية لرئيس الجمهورية العربية اليمنية العقيد / علي عبد الله صالح لعدن .

١٩٩٠

٢٣ كانون الثاني / يناير — قام رئيس الجمهورية العقيد / علي عبد الله صالح على رأس وفد رسمي







كبير بزيارة رسمية للولايات المتحدة الأمريكية استمرت اسبوعاً حيث أجرى محادثات رسمية ناجحة مع الرئيس الأمريكي جورج بوش والادارة الأمريكية حول العلاقات الثنائية والعربية والدولية .

٣١ كانون الثاني / يناير

قام الرئيس علي عبد الله صالح بزيارة قصيرة لفرنسا أجرى خلالها محادثات رسمية مع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران أُعلن أنها تميزت بالمودة والصراحة والتفهم المشترك للعلاقات الثنائية والاقليمية والدولية .



زعماء مجلس التعاون العربي الأربعة في بغداد ـ فبراير ١٩٨٩

ملحق بتسلسل الأحداث التي سبقت

مقتل الإمام يحي حميد الدين

سبق مقتل **الإمام يحي** وصول خبر وفاته إلى **عدن** ، حيث كان « الأحرار » قد اتخذوها مركزاً لهم ، واختاروا سيف الإسلام **إبراهيم** الابن الشامن **للإمام يحي** رئيساً لهم ، وأعطوه لقب (سيف الحق) ، وذلك بعد لجوئه إلى **عدن** وانضمامه للأحرار . ثم حصل تشكيل وزارة والإعلان عنها مشكّلة كما هو مبين أدناه ، لكنه تبين بعد ذلك أن خبر الوفاة كان كاذباً ، الأمر الذي أحرج البعض وأوقع بالبعض الآخر ، وهو ماأدى إلى تنفيذ عملية اغتيال **الإمام يحي** ومعه وزيره الأول القاضي **عبد الله بن حسين العمري** وأحد أحفاد الإمام .

أما توزيع الحقائب الوزارية فكان مقرراً أن يكون كالتالي :

الأمير إبراهيم بن يحي	رئيساً للوزارة
حسين بن علي عبد القادر	وزيراً للدفاع
السيد حسين الكبسي	وزيراً للخارجية
الشيخ محمد نعمان	وزيراً للداخلية
عبد الرحمن الشامي	وزيراً للشؤون الاجتماعية
محمد راغب بك	مستشاراً عاماً
عبد الوهاب نعمان	وزيراً للصحة
علي بن حمود	وزيراً للعدل
أحمد بن أحمد الجرافي	وزيراً للشؤون الاقتصادية والمعادن
الخادم بن أحمد الوجيه	وزيراً للمالية
عبد القادر بن عبد الله	وزيراً للأوقاف
محمد محمود الزبيري	وزيراً للمعارف
أحمد بن أحمد المطاع	وزيراً للتجارة
أحمد محمد نعمان	وزيراً للزراعة
حسين بن علي الويسي	وزيراً للمواصلات
علي بن إبراهيم	وزيراً للأشغال العامة

الأمير علي بن يحيى حميد الدين وزيراً للدولة
عبد الله عبد الإله الأغبري وزيراً للدولة
علي بن محسن باشا وزيراً للدولة

وقد حصلنا على هذا الكشف من المراجع التي نشرها الإخوان المسلمون بتاريخ ٢٢ فبراير ١٩٤٨ م في القاهرة .

مرفقات القسم الرابع

١ ـ اتفاقية (مودروس) حول استسلام الحاميات التركية ومنها ماكان باليمن ٣٠ **أكتوبر ١٩١٨ م** .

٢ ـ معاهدة الصداقة والتعاون مع بريطانيا ١١ **فبراير ١٩٣٤ م** .

٣ ـ معاهدة الطائف بين المملكة اليانية والمملكة السعودية ٢٠ **مايو ١٩٣٤ م** .

٤ ـ مذكرة حول الاعتراف بالإمام يحيى من قبل الولايات المتحدة بتوقيع وزير الخارجية (دين اشيسون) **أول مايو ١٩٤٥ م** .

٥ ـ نص الاتفاق (تبادل رسائل) بين الحكومة الإسلامية المتوكلية اليمنية والولايات المتحدة الأميركية ٤ **مايو ١٩٤٦ م** .

ونص برقية « الأحرار » والتعليق عليها .

٦ ـ اتفاقية النظام المؤقت (موديس فيفندي) مع بريطانيا ٢٠ **يناير ١٩٥١ م** .

٧ ـ نص اعتراف الولايات المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية ١٩ **ديسمبر ١٩٦٢ م** .

٨ ـ التصريح الأميركي بشأن تأييد الولايات المتحدة لدوام سلامة المملكة العربية السعودية ، ونهاية التدخل بشؤون اليمن الداخلية ٤ **آغسطس ١٩٦٥ م** .

٩ ـ تأييد الولايات المتحدة للمملكة العربية السعودية ٢٥ **أكتوبر ١٩٦٢ م** .

١٠ـ قرارات مؤتمر (خمر) ٢ ـ ٥ **مايو ١٩٦٥ م** .

١١ـ نص تحفظ (اليمن) بالنسبة لنص قرار استقلال (الجنوب العربي المحتل) ١٢ **ديسمبر ١٩٦٦ م** .

١٢ـ اتفاقية الوحدة اليمنية الموقعة بالقاهرة ١٣ **سبتمبر ١٩٧٢ م** .

١٣ـ اتفاقية الوحدة اليمنية وتأكيدها وتوسيعها بطرابلس ليبيا ٢٦ ـ ٢٨ **نوفمبر ١٩٧٢ م** .

١٤ـ الببلغرافيا اليمنية .

صورتان لعنوانين يحتوي كل مجمّع منهما على عدة مئات من الكتب والأبحاث مجموعها يزيد على ألف ومئتي عنوان .

١٥ـ المخطوطات التي تبعثرت : مكتبة الأمبروزيانا (نابولي) ـ الفاتيكان (روما) ، وفهرس جلازر بمكتبة المخطوطات (بفيينا) عاصمة النمسا .

١٦ـ عناوين بعض المخطوطات اليمنية التي يحتوي عليها فهرس جلازر وعددها (٢٥١) مخطوطاً .

١٧ـ كشف بأسماء أشهر المستشرقين الذين جاء ذكرهم بالكتاب .

اتفاقية (مودروس) ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ م

نصت المادة ١٦على استسلام الحاميات التركية في الحجاز واليمن وسورية وبلادالرافدين

ARMISTICE CONVENTION with Turkey concluded on behalf of Great Britain and Allied Powers. -Port Mudros, Lemnos, October 30, 1918.

Conditions of an armistice agreed to and concluded between Vice-Admiral the Honourable Sir Somerset Arthur Gough-Calthorpe, British Commander-in-Chief of the Mediterranean Station, acting under authority from the British Government, in agreement with their Allies, and His Excellency Raouf Bey, Turkish Minister of Marine, His Excellency Rechad Hikmet Bey, Turkish Under-Secretary for Foreign Affairs, Lieutenant-Colonel Saadullah Bey, Turkish General Staff, acting under authority from the Turkish Government.

I. Opening of Dardanelles and Bosphorus and secure access to the Black Sea.

Allied occupation of Dardanelles and Bosphorus forts.

II. Positions of all minefields, torpedo-tubes and other obstructions in Turkish waters to be indicated, and assistance given to sweep or remove them as may be required.

III. All available information as to mines the Black Sea to be communicated.

IV. All Allied prisoners of war and Armenian interned persons and prisoners to be collected in Constantinople and handed over unconditionally to the Allies.

V. Immediate demobilisation of the Turkish army except for such troops as are required for surveillance of frontiers and for the maintenance of internal order.

(Number of effectives and their disposition to be determined later by the Allies after consultation with the Turkish Government.).

VI. Surrender of all war vessels in Turkish waters or in waters occupied by Turkey; these ships to be interned at such Turkish port or ports as may be driected, except such small vessels as are required for police or similar purposes in Turkish territorial waters.

VII. The Allies to have the right to occupy any strategic points in the event of a situation arising which threatens the security of the Allies.

VIII. Free use by the Allied ships of all ports and anchorages now in Turkish occupation and denial of their use by the enemy. Similar conditions to apply to apply to apply to Turkish mercantile shipping in Turkish waters for purposes of trade and the demobilisation of the army.

IX. Use of all ship repair facilities at all Turkish ports and arsenals.

X. Allied occupation of the Taurus tunnel system.

XI. Immediate withdrawal of Turkish troops from North-West Persia to behind the pre-war frontier has already been ordered and will be carried out.

Part of Trans-Caucasia has already been ordesed to be evacuated by Turkish troops, the remainder to be evacuated if required by the Allies after they have studied the situation there.

XII. Wireless telegraphy and cable station to be controlled by the Allies, Turkish Government messages excepted.

XIII. Prohibition to destroy any naval, military or commercial material.

XIV. Facilities to be given for the purchase of coal and oil-fuel and naval material from Turkish sources after the requirements of the country have been met.

None of the above material to be exported.

XV. Allied control officers to be placed on all railways, including such portions of Trans-Caucasian railways now under Turkish control, which must be placed at the and complete disposal of the Allied authorities, due consideration being given to the needs of the population.

This clause to include Allied occupation of Batoum. Turkey will raise no objection to the occupation of Baku by the Allies.

XVI. Surrender of all garrisons in Hedjaz, Assir, Yemen, Syria and Mesopotamia to the nearest Allied commander; and the withdrawal of troops from Cilicia, except those necessary to maintain order, as be determined under clause V.

XVII. Surrender of all Turkish officers in Tripolitania and Cyrenaica to the nearest Italian garrison. Turkey guarantees to stop supplies and communications with these officers if they do not obey the order to surrender.

XVIII. Surrender of all ports occupied in Tripolitania and Cyrenaica, including Misurata, to the nearest Allied garrison.

XIX. All Germans and Austrians, naval, military and civilian, to be evacuated within one month from Turkish dominions; those in remote districts as soon after as may be possible.

XX. Compliance with such orders as may be conveyed for the disposal of the equipment, arms and ammunition, including transport, of that portion of the Turkish army which is demobilised under clause V.

XXI. An Allied representative to be attached to the Turkish Ministry of Supplies in order to safeguard Allied interests. This representative to be furnished with all information necessary for this purpose.

XXII. Turkish prisoners to be kept at the disposal of the Allied Powers. The release of Turkish civilian prisoners and prisoners over military age to be considered.

XXIII. Obligation on the part of Turkey to cease all relations with the Central Powers.

XXIV. In case of disorder in the six Armenian vilayets the Allies reserve to themselves the right to occupy any part of them.

XXV. Hostilities between the Allies and Turkey shall cease from noon, local time, on Thursday, the 31st October, 1918.

Signed in duplicate on board His Britannic Majesty's Ship Agamemnon, at Port Mudros, Lemnos, the 30th October. 1918.

ARTHUR CALTHORPE.
HUSSEIN RAOUF.
RECHAD HIKMET.
SAADULLAH.

معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل
بين اليمن وبريطانيا سنة ١٩٣٤ م

تاريخها ٢٦ شوال ١٣٥٢ هـ

١١ فبراير ١٩٣٤ م

المقدمة - بما أن لجلالة ملك **اليمن** حضرة الإمام من جهة وملك **بريطانيا** العظمى **وإيرلندا والممالك البريطانية** خلف البحار وقيصر **الهند** من الجهة الأخرى ، رغبة في الوصول إلى معاهدة على أساس الصداقة والتعاون لمنفعة الفريقين ، قد قررا عقد هذه المعاهدة وعينا بصفة المندوبين المفوضين - عن جلالة ملك **اليمن** حضرة الإمام حضرة صاحب السعادة القاضي **محمد راغب بن رفيق** .

وعن جلالة ملك **بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية** خلف البحار وقيصر **الهند** ، **وإيرلندا الشمالية** حضرة صاحب السعادة اللفتننت كولونيل **برنارد راودون ريلي س ي** أو ب ا المحترم .

عن **الهند** كذلك حضرة صاحب السعادة اللفتننت كولونيل **راودون ريلي س ي** أو ب ا المحترم . اللذين بعد تبليغ أوراق تفويضهما وتحقيق صحتها على شكل حسن اتفقا على ما يأتي :

المادة الأولى - يعترف جلالة ملك **بريطانيا العظمى وإيرلندا والممالك البريطانية** خلف البحار وقيصر **الهند** باستقلال جلالة ملك **اليمن** حضرة الإمام ومملكته استقلالاً كاملاً مطلقاً في جميع الأمور مهما كان نوعها .

المادة الثانية - يسود السلم والصداقة بين الفريقين المتعاهدين الساميين اللذين يتعهدان بالمحافظة على حسن العلائق بينهما من جميع الوجوه .

المادة الثالثة - يؤجل البت في مسألة الحدود **اليمنية** إلى أن تتم مفاوضات تجري بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة ، بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة ودية ، وباتفاق كامل ، بدون إحداث أي منازعة أو مخالفة ، وإلى أن تتم المفاوضات المشار إليها في الفقرة السالفة الذكر ، فالفريقان المتعاهدان الساميان يقبلان أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود في تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة ، ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان أن يمنعا بكل مالديهما من الوسائل أي تعد من قواتهما في الحدود المذكورة ، وأي تدخل من أتباعهما أو من جانبهما في تلك الحدود ، في شؤون الأهالي القاطنين في الجانب الآخر من الحدود المذكورة .

المادة الرابعة - سيعقد الفريقان المتعاهدان الساميان بعد العمل بالمعاهدة الحاضرة ما يلزم من المعاهدات لتنظيم الأمور الاقتصادية والتجارية على أساس المبادئ الدولية العامة مع التراضي والموافقة بينهما .

المادة الخامسة -

(١) رعايا كل من الفريقين المتعاهدين الساميين الذين يقصدون التجارة في بلاد الفريق الآخر يكونون تابعين للقوانين والأحكام المحلية ، ويتمتعون بالمعاملة التي يتمتع بها رعايا الدولة الأكثر رعاية نفسها .

(٢) كذلك سفن كل من الفريقين المتعاهدين الساميين وشحناتها ، تتمتع في موانئ الفريق الآخر بالمعاملة التي تتمتع بها سفن الدولة الأكثر رعاية نفسها وشحناتها ، وتعامل ركاب تلك السفن في موانئ بلاد الفريق الآخر بما تعامل به من كان في سفن الدولة الأكثر رعاية هنالك نفسها .

(٣) والغرض بهذه المادة يتعلق بجلالة ملك **بريطانيا العظمى وإيرلندة والممالك البريطانية** خلف البحار وقيصر **الهند** .

(أ) لفظة (بلاد) ينبغي أن يعد معناها مملكة **بريطانيا** العظمى المتحدة **وإيرلندا الشمالية والهند** وجميع مستعمرات جلالته والبلاد المحمية وجميع البلاد المنتدب عليها من قبل حكومة جلالته في **المملكة المتحدة** .

(ب) لفظة (رعايا) ينبغي أن يعد معناها جميع رعايا جلالته أينما سكنوا ، وجميع أهالي البلاد التي تحت حماية جلالته ، وكذلك جميع الشركات المؤسسة في أي بلد من بلاد جلالته تعتبر من رعايا جلالته .

(جـ) لفظة سفن ينبغي أن يكون معناها جميع السفن التجارية المسجلة في أي بلد من بلاد اتحاد الشعوب **البريطانية** .

المادة السادسة - هذه المعاهدة تكون أساساً لكل ما يكون الاتفاق عليه من المعاهدات المتتابعة بين الفريقين المتعاهدين الساميين حالاً واستقبالاً في معنى تقوية الوداد والصداقة ، ويتعهد الفريقان المتعاهدان الساميان بعدم إعطاء المساعدة لأي حركة ضد الوداد والاتفاق القائم الصميم بينهما .

المادة السابعة - يصادق على هذه المعاهدة بأسرع وقت ممكن بعد التوقيع ، وتتبادل حجج التصديق في **صنعاء** ، ويعمل بها من تاريخ تبادل حجج التصديق ، وفيما بعد تبقى معمولاً بها لمدة أربعين سنة ، وتقريراً لذلك وقع المندوبان المفوضان المشار إليهما إمضاءهما على المعاهدة الحاضرة ، ووضعا ختومهما عليها ، وقد نظمت هذه المعاهدة على نسختين باللغتين الإنكليزية والعربية ، وإذا نشأت شكوك في تفسير شيء من هذه المواد ، فالفريقان المتعاهدان الساميان يعتمدان النص العربي ، وحررت في **صنعاء اليمن** في اليوم ٢٦ من شهر شوال سنة ١١٥٢ للهجرة ، مقابلة يوم ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ للميلاد .

محمد راغب رفيق | **برنارد راودون رايلي**

معاهدة الطائف
بين المملكة اليمانية وبين المملكة العربية السعودية

تاريخها ٦ صفر ١٣٥٣ هـ
٢٠ مايو ١٩٣٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نحن **الإمام يحيى بن محمد حميد الدين** ملك **المملكة اليمانية** بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الإمام **عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود** ملك **المملكة السعودية** معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية ، لإنهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته ، ولتأسيس علاقات الصداقة الإسلامية بين بلاديهما ، ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته ، وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة وذلك في مدينة **جدة** في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاث مئة والألف ، وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي :

معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية
بين المملكة اليمانية وبين المملكة العربية السعودية

حضرة صاحب الجلالة الإمام **يحيى بن محمد حميد الدين** ملك اليمن من جهة .

وحضرة صاحب الجلالة الإمام **عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود** ملك **المملكة العربية السعودية** من جهة أخرى .

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ، ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ، ورفع شأنها ، وحفظ كرامتها واستقلالها .

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة .

وحباً في تثبيت الحدود بين بلاديهما ، وإنشاء علاقات حسن الجوار ، وربط الصداقة الإسلامية فيما بينهما ، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما .

ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة ، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة **الجزيرة العربية** ، قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما :

عن حضرة صاحب الجلالة ملك **اليمن** :

حضرة صاحب السيادة السيد **عبد الله بن أحمد الوزير** .

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك **المملكة العربية السعودية** :

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير **خالد بن عبد العزيز** نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء .

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق . وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول ، قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

المادة الأولى :

تنتهي حالة الحرب القائمة بين **مملكة اليمن والمملكة العربية السعودية** بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة ، وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين ، وبلاديهما ، وشعبيهما ، حالة سلم دائم ، وصداقة وطيدة ، وأخوة إسلامية عربية دائمة ، لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها ، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي تقع بينهما ، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق ، والاتفاق سراً وعلناً ، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة ، التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما .

المادة الثانية :

يعترف كل من الفريقين السابقين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً ، وبملكيته عليها ، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام **يحيى بن محمد حميد الدين** ملك **اليمن** لحضرة صاحب الجلالة الإمام **عبد العزيز** ولخلفائه الشرعيين باستقلال **المملكة العربية السعودية** استقلالاً تاماً مطلقاً ، وبالملكية على **المملكة العربية السعودية** ، ويعترف حضرة صاحب الجلالة

الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام **يحيى** ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة **اليمن** استقلالاً تاماً مطلقاً ، وبالملكية على **مملكة اليمن** . ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة .

إن جلالة الإمام الملك **يحيى** يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة **للمملكة العربية السعودية** من البلاد التي كانت بيد **الأدارسة** ، أو **آل عايض** ، أو في **نجران وبلاد يام** ، كما أن جلالة الإمام الملك **عبد العزيز** يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية واحتلال ، أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة **لليمن** من البلاد التي كانت بيد **الأدارسة** أو غيرها .

المادة الثالثة :

يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات ، بما فيه حفظ مصالح الطرفين ، وبما لا ضرر فيه على أيهما ، على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث ، ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

المادة الرابعة :

خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما .

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين **ميدي والموسم** على ساحل **البحر الأحمر** ، إلى جبال **تهامة** في الجهة الشرقية ، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية ، التي بين **بني جماعة** ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود **نقعة ووعار** التابعتين لقبيلة **وائلة** ، وبين حدود **يام** ، ثم ينحرف إلى أن يبلغ **مضيق مروان وعقبة رفادة** ، ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا **يام** من **همدان بن زيد وائلي** وغيره ، وبين **يام** ، فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من **المملكة اليمانية** ، وكل ما هو عن يسار الخط المذكور فهو من **المملكة العربية السعودية** ، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو **ميدي وحرض** وبعض قبيلة **الحرث والمير** وجبال **الظاهر وشذا والضيعة** وبعض **العبادل** وجميع بلاد وجبال **رازح ومنبه مع عرو آل مشيخ** وجميع البلاد ، وجبال

بني جماعة وسحار الشام يباد وما يليها ، ومحل مريصعة من سحار الشام ، وعموم سحار ونقعة ووعار ، وعموم وائلة ، وكذا الفرع مع عقبة نهوقة ، وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة ، وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها ، مما لم يذكر اسمه ، مما كان مرتبطاً ارتباط فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ هـ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية ، وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران ، مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفها من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة ، وسائر من هو في نجران من وائلة ، وكل ماهو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق ، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة ، وكل ماهو بين الجهات المذكورة وما يليها ، مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً ، أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ هـ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ماكان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز في يام ، والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية ، وحيث أن الحضن وزور وادعة ، ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر ذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد ، وسائر قبائل اليمن ، فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات ، وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات ، وكل ماذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة ، وكثيراً ما يميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين ، أما تعيين وتثبيت الخط المذكور ، وتمييز القبائل ، وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من الفريقين ، بصورة ودية أخوية بدون حيف ، بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

المادة الخامسة :

نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون ، وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين ، فإنها يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في

مسافة خمسة كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود .

المادة السادسة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر .

المادة السابعة :

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق ، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين ، ويرد كل ماثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة ، وضمان ماتلف ، وبما يلزم بالشرع ، فيما وقع من جناية قتل أو جرح بالعقوبة الحاسمة عن من ثبت منهم العدوان ، ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر .

المادة الثامنة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما ، وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة ، أو تفسير كل أو بعض موادها ، أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية ، وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة ، يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ، ولهذا الملحق القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة نفسها ، ويحسب جزءاً منها أو بعضاً متماً للكل فيها .

المادة التاسعة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل مالديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني أو شروع فيه ، أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر ، كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر ، وهي :

١ ـ إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير ، فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذي يقضي على فعله ، ويمنع وقوع أمثاله .

٢ ـ إن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير ، فإنه يلقى القبض

عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها ، ويسلم إلى حكومته الطالبة ، وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب ، وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب ، وفي الأحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار ، فإن الحكومة التي فرّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى أراضيها مرة أخرى ، وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته .

٣ ـ وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة ، فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى بطرده من بلادها ، وعده شخصاً غير مرغوب فيه ، ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

المادة العاشرة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً ، موظفاً كان أم غير موظف ، فرداً كان أم جماعة ، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده ، فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه ، فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ ، وإلقاء القبض عليه ، وتسليمه إلى حكومة بلاد الفار منها ، وفي حالة عدم إمكان القبض عليه ، تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها .

المادة الحادية عشرة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالوساطة ، ويعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق ، أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة .

المادة الثانية عشر :

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق الآخر .

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق ، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية .

المادة الثالثة عشرة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الإجرام والأعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) ، كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجؤوا أو انحازوا ، أو بأي شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر من كل جناية ومال أخذوا منذ لجؤوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائناً ما كان ، وبالغاً مابلغ ، وبعدم السماح بإجراء أي نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه ، وإذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد ، كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر لأجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة ، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر ، له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية ، بصلاح ذات البين ، والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الأمر ، حتى لا يحصل أي حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً .

المادة الرابعة عشرة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم ، أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم ، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والأملاك ، التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ، ولا يعرقل استثمارها ، أو أي نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها .

المادة الخامسة عشرة :

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث ، سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة ، أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر ، أو يضر ببلاده ، أو يكون من ورائه إحداث المشكلات والصعوبات له ، أو يعرض منافعها ومصالحها أو كيانها للأخطار .

المادة السادسة عشرة :

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة ، وأنهما لا يريدان بأحد شراً ، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهما ، في ظل الطمأنينة والسكون ، وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلادهما وأمتهما ، غير قاصدين بهذا أية عداوة على أية أمة .

المادة السابعة عشرة :

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

أولاً : الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً .

ثانياً : المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة .

ثالثاً : الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ، ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

المادة الثامنة عشرة :

في حالة حصول فتن واعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتي :

أولاً : اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة ، لعدم تمكين المتعدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه .

ثانياً : منع التجاء اللاجئين إلى بلاده ، وتسليمهم أو طردهم ، إذا لجؤوا إليها كما هو موضح (في المادة التاسعة والعاشرة أعلاه) .

ثالثاً : منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً : منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين .

المادة التاسعة عشرة :

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية ، وتزييد الاتصال بين بلاديهما ، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما . وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية ، بتوحيد الرسوم الجمركية في عموم البلادين ، أو بنظام خاص ، بصورة كافلة لمصالح الطرفين ، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه .

المادة العشرون :

يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن

وجدوا بـالنيـابـة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلـك ، في أي شيء ، وفي أي وقت ، ومن المفهوم أنه حينما يوجـد في ذلـك العمل شخص من كل الطرفين في مكان واحـد ، فـإنهما يتراجعـان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كلمة واحدة ، ومن المفهوم أن هذه المادة لاتقيد حرية أحـد الجـانبين بـاي صورة كانت في أي حق لـه ، كما أنـه لا يمكن أن تفسر بحجز حريـة أحدهما أو إضراره لسلوك هذه الطريقة .

المادة الحادية والعشرون :

يلغى ماتضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ على كل حال اعتباراً من تـاريخ هذه المعاهدة .

المادة الثانية والعشرون :

تبرم هذه المعاهدة وتصـدق من قبل حضرة صـاحبي الجلالـة الملكين في أقرب مـدة ممكنـة ، نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك ، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها ، مع استثناء مانص عليه في المادة الأولى من إنهاء حالـة الحرب بمجرد التوقيع ، وتظـل سـاريـة المفعول مـدة عشرين سنـة قمرية تامة ، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر الأولى التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولهـا ، فإن لم تجـدد أو تعـدل في ذلـك التـاريخ تظل سـاريـة المفعول إلى مـابعـد سـتـة أشهر من إعلان أحـد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل .

المادة الثالثة والعشرون :

تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة **الطائف** ، وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة ، بيـد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة وإشهاداً بـالواقع ، وضع كل من المنـدوبين المفوضين توقيعـه .
وكتب في مدينة **جدة** في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاث مئة والألف .

التوقيع : عبد الله بن أحمد الوزير

التوقيع : خالد بن عبد العزيز السعود

MEMORANDUM FOR THE PRESIDENT

Subject: **Plans for Recognition of the Yemen**

On May 1, 1945 the President, in reply to a memorandum from the Department of State of that date, informed Acting Secretary of State Grew that he approved of the Department's suggestion that the US recognize the Yemen.

In accordance with this decision the attached telegram to His Majesty Zaidi Imam Yehya of the Yemen has been drafted. It states that the Government of the United States would be pleased to discuss the possibility of establishing diplomatic relations with the Yemen, and suggests the sending of a mission to Sana'a for that purpose. Being addressed to a Chief of State, it is contemplated that the message will bear the President's name.

The British Government and the Government of Saudi Arabia have been informed of the proposed action of the United States towards the Yemen and have interposed no objection. Selection of the personnel and equipment and other preparations for the mission of recogmiation are progressing and can be completed soon after a favorable reply to this cable been received from the Imam.

DEAN ACHESON

Attachment:
Telegram to His Majesty
Zaidi Imam Yehya of the Yemen.

NE: RHSanger: avb
11:16:45

نص مشروع اعتراف الولايات المتحدة بالإمام يحيى ملكاً على اليمن ، وهو الذي يعود لأول مايو ١٩٤٥ م .

وكان المشروع بتوقيع دين آشيسون وزير الخارجية ، وقد تحقق عن طريق إرسال برقية بتوقيع الرئيس ترومان موجهة « لصاحب الجلالة الإمام الزيدي **يحيى** » للإمام يحيى حميد الدين .

الحكومة الإسلامية المتوكلية

صنعاء في ٣ جمادى الثانية ١٣٦٥ هـ / ٤ مايو ١٩٤٦ م

حضرة صاحب السعادة المستر وليام ألفرد ادي رئيس البعثة السياسية الخاصة الموفدة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى مملكة اليمن .

لي الشرف أن أفيد سعادتكم باستلامي لخطابكم المؤرخ في ٣ جمادى الثانية ١٣٦٥هـ / الموافق لـ ٤ مايو ١٩٤٦ والذي نصه كما يلي :

لي الشرف أن أبين فهم حكومتي للاتفاق الذي تم بعد محادثات جرت مؤخراً في **صنعاء** يوم ١٤ أبريل إلى ٤ مايو ١٩٤٦ م بين ممثلي جكومة **الولايات المتحدة الأمريكية** ، وبين حكومة مملكة **اليمن** ، بشأن التمثيل السياسي والقنصلي والصيانة القضائية والتجارة والملاحة كما هي موضحة أدناه وبناء على كتاب فخامة رئيس **الولايات المتحدة الأمريكية** بتاريخ ٤ مارس ١٩٤٦ إلى جلالة الإمام المتوكل على الله **يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن** ، والذي بموجبه اعترفت **الولايات المتحدة الأمريكية** باستقلال مملكة **اليمن** التام والمطلق وبناء على رغبة الحكومتين في تقوية عرى الصداقة السائدة بين الدولتين ، واحترام حقوق هذا الاستقلال المعترف به في الخطاب المذكور أعلاه كأساس لجميع علاقاتها ومعاملاتها ، والمحافظة على مبدأ أولي الأمم بالرعاية بمعناه التام والمطلق كأساس لعلاقاتها التجارية فإنها يوافقان على النصوص الآتية :

المادة الأولى - ستتبادل **الولايات المتحدة الأمريكية ومملكة اليمن** المثلين الدبلوماسيين والقنصليين ، وذلك في التاريخ الذي سيعين بالاتفاق بين الحكومتين .

المادة الثانية - يتمتع المثلون الدبلوماسيون لكل من الفريقين المعينون لدى حكومة الفريق الآخر أثناء إقامتهم في بلاده ، بكل الحقوق والامتيازات والإعفاءات والاستثناءات الممنوحة من مبادئ القانون الدولي المعترف بها عامة . ويسمح للموظفين القنصليين لكل من الفريقين المعينين لدى حكومة الفريق الآخر والمزودين بوثائق رسمية أن يقيموا في بلاد الفريق الآخر في الأماكن التي يسمح للموظفين القنصليين بالإقامة فيها ، حسب القوانين السارية في تلك البلاد ، ويتمتع هؤلاء المثلون بجميع امتيازات الشرف والإعفاءات التي يخولها العرف الدولي العام إلى الموظفين من ذات الرتبة ، ولا تكون معاملتهم في أي حال من الأحوال أقل رعاية من معاملة أمثالهم من موظفي أية دولة أخرى .

المادة الثالثة - يقبل ويعامل رعايا جلالة ملك اليمن في **الولايات المتحدة الأمريكية** ، ويقبل ويعامل مواطني **الولايات المتحدة الأمريكية** في مملكة **اليمن** بحسب مقتضيات وممارسات القانون الدولي المعترف به عامة . وفيما يتعلق بأشخاصهم وأمتعتهم وحقوقهم ، فإن هؤلاء الرعايا والمواطنين يتمتعون بأكبر قسط من حماية قوانين وسلطات الدولة ، ولا تكون معاملتهم في أي حال أقل رعاية مما يعامل به رعايا أي دولة أخرى . رعايا صاحب الجلالة الموجودون في **الولايات المتحدة الأمريكية** ومواطنو **الولايات المتحدة الأمريكية** الموجودون في مملكة **اليمن** سيكونون خاضعين للقوانين والنظم المحلية ويتمتعون بالحقوق والحماية الممنوحة في هذه المادة الثالثة .

المادة الرابعة - فيما يتعلق بالرسوم والضرائب الجمركية والمصاريف من أي نوع كانت ، المفروضة أو المختصة بالتوريد والتصدير ، أو بتعبير آخر مما له مساس بالتجارة الملاحة ، أو فيما يتعلق بطريقة فرض مثل هذه الرسوم والضرائب وجميع القوانين والإجراءات المختصة بالتوريد والتصدير ، وبالمرور والتخزين ، وغير ذلك من التسهيلات يمنح كل من الفريقين معاملة أولي الأمم بالرعاية بلا قيد ولا شرط للمحصولات الزراعية والمواد والمنتوجات الصناعية الصادرة من بلاد أي الفريقين ، بقطع النظر عن النقطة التي تصل منها ، وللمواد المراد تصديرها لمقاطعات الفريق الآخر بقطع النظر عن طريق شحنها . كل أفضلية أو رعاية أو امتياز أو صيانة ، مما له علاقة بأي رسم أو ضريبة أو نظام خاص بالتجارة والملاحة ، مما سبق قد منح أو سيمنح من قبل **الولايات المتحدة الأمريكية** أو مملكة **اليمن** إلى دولة أخرى ، يمنح حالاً بلا قيد ولا شرط لتجارة وملاحة مملكة **اليمن والولايات المتحدة الأمريكية** ، على أنه يستثنى من نصوص هذه الاتفاقية الامتيازات المتعلقة بالرسوم الجمركية التي كانت قد منحتها أو سوف تمنحها **الولايات المتحدة الأمريكية** إلى **جمهورية كوبا** .

المادة الخامسة - يستثنى من نصوص المادة الرابعة من هذه الاتفاقية الامتيازات التي كانت قد منحت أو سوف تمنح بفضل اتحاد جمركي ينضم إليه أحد الفريقين إلى البلاد المجاورة لتسهيل حركة المرور عبر الحدود من **الولايات المتحدة الأميركية** أو البلدان التابعة لها أو ممتلكاتها لبعضهم البعض أو لمنطقة قنال **بناما** .

والبند الأخير يبقى نافذاً فيما يتعلق بأية امتيازات ممنوحة أو ستمنح فيما بعد من قبل **الولايات المتحدة الأميركية** والبلدان التابعة لها وممتلكاتها لبعضهم البعض ، بقطع النظر عن أي تغيير قد يحدث في الوضع السياسي لأي بلد من هذه البلدان أو الممتلكات .

لاشيء في هذه الاتفاقية يحول دون اختيار أو التزام كل من الفريقين بأن يتخذ وينفذ داخل منطقة سيادته التدابير التي تتعلق باستيراد الذهب والفضة أو بتجارة الأسلحة والذخائر والمعدات

الحربية وفي ظروف استثنائية كل المواد الحربية الأخرى . التدابير اللازمة طبقاً للتعهدات الخاصة بالمحافظة على السلام والأمن الدوليين واللازمة لوقاية مصالح أي الفريقين الضرورية حين حدوث طارئ أهلي ، القوانين المتعلقة بالهجرة والسفر والإقامة .

واقتضاء للحاجة ، ولئلا يكون في مثل هذه الظروف والأحوال تمييز من قبل أحد الفريقين ضد رعايا أو مواطني أو تجارة وملاحة الفريق الآخر ، وفي صالح رعايا أو مواطني وتجارة وملاحة فريق ثالث ، فإن نصوص هذه الاتفاقية لا تتناول التحرمات أو التحديدات التالية المفروضة لأسباب أخلاقية أو إنسانية المقصود بها وقاية الحياة أو الصحة البشرية أو الحيوانية أو النباتية التي تتعلق بتنفيذ قوانين الشرطة والإيراد المتعلقة بالبضائع المصنوعة في السجون .

المادة السادسة ـ يسري مفعول شروط هذه الاتفاقية على كل البلاد الواقعة تحت سيادة أو سلطة أي الفريقين باستثناء منطقة **قنال بناما** .

المادة السابعة ـ تبقى هذه الاتفاقية سارية المفعول إلى أن تبدل باتفاقية تجارية أوسع شمولاً أو بعد مضي ثلاثين يوماً على تاريخ إصدار إشعار كتابي من قبل أحد الفريقين للفريق الآخر بإلغائها بحسب الأسبقية . وعلاوة على ذلك ، فإن كلاً من الفريقين يمكن أن يلغي المادة الأولى ، المادة الثانية ، المادة الثالثة أو المادة الرابعة بعد مضي ثلاثين يوماً على تاريخ إصدار إشعار كتابي .

وإني بالنيابة عن حكومة **اليمن** أفيدكم ، بموافقة حكومتي على النصوص المذكورة في هذه الاتفاقية ، والتي تعتبر سارية المفعول من تاريخ هذا التوقيع .

عبد الكريم مطهر

وزير خارجية مملكة اليمن بالنيابة

ننشر تحت هذا نص برقية (الأحرار) بالإنجليزية مع ملاحظة البيت الأبيض عليها ثم تعليقنا على كامل موضوع برقية الأحرار .

وهذا نص البرقية التي تعود لشهر فبراير عام ١٩٤٦ الموجهة إلى رئيس الولايات المتحدة هاري ترومان ويليها ملاحظة الجهات المختصة عليها في البيت الأبيض وهي المسجلة على البرقية تحت أحرف C.P.G ولا نعلم ماهي الجهة المختصة التي توقع بالأحرف الثلاثة المذكورة .

THE WHITE HOUSE
Washington

MK123 52 via MacKay Radio

Aden, Feb. 27, 1946:

The President
Washington, D.C.

The Yemen popdlation refuses all pacts made by the present Yemen government which does not represent the nation's will. We request you to remember your statements that you will not make any pacts with governments which do not represer.t their nations.

Free Yemen Party,
Zobairi and Noman.

5-6 years ago; a growing group — pro-modernization; leaders (one word illegible) an influential minority; possibly led by one of Imam's sons.
CPG

تعريب :

البيت الأبيض
واشنطن

عدن ٢٧ فبراير ١٩٤٦ م — عن طريق (ماكي راديو)

الرئيس - واشنطن د . س — MK 123 52

إن الشعب اليمني يرفض جميع الاتفاقيات التي تعقد مع الحكم الحاضر الذي لا يمثل الإرادة الوطنية .

الإشارة إلى موضوع البرقية التي نشرناها على الصفحة السابقة كوثيقة رسمية من الوثائق السرية للبيت الأبيض مع ذكر موقع البرقية التاريخي بالنسبة للعلاقات اليمنية الأميركية

تشكل هذه البرقية بنظرنا أول وثيقة أجنبية رسمية مسجلة تشير لوجود حركة مناهضة لحكم الإمام يحي حميد الدين علماً بأن تاريخ هذه البرقية لا يشكل بداية مرحلة معارضة الحكم الإمامي الموروث منذ عهد اتفاقية (دعان) لعام ١٩١١ كما أن ملاحظة الجهات الأميركية الرسمية المسجلة تحت نص البرقية تفيد بأن الحركة قامت منذ خمس أو ست سنوات وتضم مجموعة من مؤيدي التقدم العصري وهم زعماء لأقلية ذات نفوذ (INFLUENTIAL) ربما كانت بقيادة أحد أبناء الإمام .

وإن اعتبرنا هذه البرقية بأنها أول مستند أجنبي ذلك أنها وجدت مسجلة في الوثائق الرسمية التي تعطيها الحكومات صفة السرية وهي التي لا يتم نشرها إلا بعد مرور الزمن كما يمكن اعتبار هذه الوثيقة كنقطة انطلاق رئيسية تتجاوز النطاق اليمني والعربي وهي هامة لخطورة عواقبها آنذاك على موقعها من قبل النظام القائم التقليدي العتيق الذي تزامن مع فجر المحاولات التقدمية والثورية التي كان عليها أن تنتظر ستة عشر عاماً بعد تاريخ البرقية قبل تحقيق (الأماني الوطنية) وهو ما حصل في سبتمبر عام ١٩٦٢ م .

ويجدر التذكير هنا بأن أول اتفاقية عقدت بين الولايات المتحدة و « الحكومة الإسلامية المتوكلية » تعود إلى ٤ مايو ١٩٤٦ كما وأن أول رسالة يوجهها رئيس الولايات المتحدة (هاري ترومان) آنذاك إلى (جلالة الإمام المتوكل على الله يحي بن محمد حميد الدين ملك اليمن) تعود إلى ٤ مارس ١٩٤٦ .

وهكذا تكون برقية الأحرار قد سبقت اعتراف أميركا بملك اليمن بأسبوع كامل وكان إرسالها قبل شهرين وأسبوع من تاريخ الاتفاقية المشار إليها والتي سننشرها بالكامل في نهاية هذا التعليق وهي بتوقيع (عبد الكريم مطهر وزير خارجية مملكة اليمن بالوكالة) .

كما أن إرسال برقية (الأحرار) في تلك المرحلة تفيدنا بأن (الأحرار) كانوا على علم آنذاك عن وجود اتصالات بين إمام اليمن والحكومة الأميركية من شأنها أن تؤدي إلى اعتراف أميركا بالإمام يحي حميد الدين ملكاً على اليمن وهو ما حصل بعد تاريخ البرقية بفترة وجيزة الأمر الذي أعطى للإمام مكانه دولية إضافية ودعماً واسعاً لسلطانه وهو مما يزعج الفئة المناوئة لحكمه الذي كانت هذه الفئة المتطلعة إلى التقدم تعتبره ثقلاً يحول دون تقدم البلاد والأخذ بمستجدات العصر والتقدم .

إيجابيات برقية (الأحرار)

يمكننا مع مرور الزمن والنظر إلى الوراء مع التعمق بالاجتهاد اعتبار هذه البرقية والصدى الذي أحدثته وسيلة إعلامية ناجحة بالنسبة لليمنيين المتطلعين آنذاك لأوضاع جديدة تتفق مع المستوى الذي وصلت إليه بعض البلدان العربية المتقدمة نسبياً بالرغم من تخلفها وخضوعها للاستعمار .

حيث أضافت البرقية بعداً جديداً لحركة (الأحرار) ساعدت على توسيع قاعدتها مع إعطاء شيء من الأمل للجيل الصاعد الذي تحوّل فيما بعد إلى جيل ثوري مستعد للتضحية في سبيل تحقيق أوضاع جديدة يتساوى فيها المواطنون ويعملون ليس للتحرر والتخلص من عهد قديم لم يعد متفقاً مع متطلبات العصر وحسب بل ليتمكن أيضاً من السير في ركب التقدم والتنافس في هذا المجال .

ولا يسعنا إغلاق هذا التعليق دون الإشارة إلى ما لمسناه في حينه من أن برقية (الأحرار) الموجهة لرئيس الولايات المتحدة كان لها دوياً في الأوساط اليمنية والعربية ربما أكبر منها بكثير وذلك لاهتمام الإعلام البريطاني ـ الأميركي بها وهو الذي كان عقب الحرب العالمية محتكراً لوسائل الإعلام الصحفية والإذاعية وربما كانت له بذلك مآرب أخرى يجهلها (الأحرار) كما كان للبرقية أيضاً مردوداً إيجابياً آخر بالنسبة لموقف الإمام يحيى المتردد قبل اتخاذه قرار الانضمام إلى جامعة الدول العربية التي كان يميل لاعتبارها صنيعة بريطانية بزعامة فاروق بن فؤاد ملك مصر الطموح وقيادة رجل الدولة المعروف بدهائه وهو الباشا نوري السعيد .

وقد اعتبر الإمام آنذاك أنه في حال عدم الانضمام إلى الجامعة فإن الملك فاروق وجماعة نوري باشا السعيد سيناصرون (الأحرار) الذين كانوا قد بدأوا بإجراء اتصالات ـ ولو محدودة ـ بالزعماء العرب المتوافدين على القاهرة كما أن ابن الإمام سيف الإسلام إبراهيم الذي لقبه الأحرار (سيف الحق) كان قد انضم إليهم واستقر في عدن فهال الإمام هذا الواقع ثم أسرع باتخاذ قرار الانضمام إلى الجامعة العربية وكان قبل ذلك قد أرسل السيد حسين الكبسي باعتباره مراقباً ليس له صلاحية المساهمة بالمناقشات وهو الوضع الذي أعطى لممثل الإمام لدى جامعة الدول العربية لقب (المستمع) .

حول النزاع على واحة البريمي

اتفاقية ولجنة التحكيم

وزارة الخارجية

مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية تحكيم

مقدمة

إن حكومة المملكة المتحدة البريطانية العظمى وإيرلندا الشمالية وحكومة المملكة العربية السعودية ،

بالنظر لوجود نزاع فيما يتعلق بموقع الحدود المشتركة بين البلاد العربية السعودية وأبو ظبي ، وفيما يتعلق بالسيادة في واحة البريمي .

وحيث أن أبو ظبي دولة تحمل حكومة المملكة المتحدة مسؤولية تدبير علاقاتها الخارجية ، وحيث أن سمو السلطان سعيد بن تيمور قد عين حكومة المملكة المتحدة لتقوم نيابة عنه بالتفاوض وعمل الإجراءات لأجل تسوية النزاع فيما له علاقة بأراضي واحة البريمي التي يطالب بأنها تخص مسقط وعمان .

وبالنظر لأنه ثبت عدم إمكان حل النزاع بطريقة المفاوضات المباشرة ،

ولأن الرغبة مع ذلك تتجه إلى إيجاد حل دائم بالطرق السلمية تمشياً مع ميثاق الأمم المتحدة ومع الصداقة التقليدية والنية الحسنة اللتين قامتا بينهما طويلاً .

قد قررنا لذلك إحالة النزاع على هيئة تحكيم مستقلة وغير متحيزة .

ولهذا الغرض اتفقنا على ما يلي :

المادة الأولى

تتكون هيئة التحكيم من خمسة أعضاء يجرى اختيارهم كما يلي .

أ) يعين كل من الطرفين في هذه الاتفاقية عضواً واحداً في الهيئة فإذا تعذر على أحد الطرفين تعيين العضو الخاص به خلال (٦٠) يوماً من التاريخ الذي تصبح فيه هذه الاتفاقية نافذة المفعول ،

يجوز للطرف الآخر أن يطلب من رئيس محكمة العدل الدولية إجراء هذا التعيين .

ب) يتم اختيار الأعضاء الثلاثة الآخرين ، الذين لم يكون أحد منهم مواطناً تابعاً لأحد الطرفين باتفاق العضوين المعينين بموجب الفقرة (أ) من هذه المادة . ويقوم العضوان المذكوران باختيار أحد هؤلاء الثلاثة رئيساً للهيئة . فإذا لم يكتمل تشكيل الهيئة أو لم يعين الرئيس خلال مدة (٩٠) يوماً من تاريخ إخطار الطرف الذي أجرى تعيين آخر العضوين المعينين ، بالتطبيق للفقرة (أ) ، للطرف الآخر ، يجوز لأي الطرفين أن يطاب من رئيس محكمة العدل الدولية القيام بالاختيار أو التعيينات اللازمة .

جـ) إذا ما توفي أحد أعضاء الهيئة أو استقال أو أصبح عاجزاً عن العمل قبل صدور حكم الهيئة تشغل الخلوات بالطريقة المبينة في هذه المادة للتعيين الأول .

د) إذا كان رئيس محكمة العدل الدولية موطناً تابعاً لأحد الطرفين أو ممنوعاً عن القيام بالعمل المنصوص عليه في الفقرتين (أ) و (ب) من هذه المادة ، يجوز أن يطلب من نائب رئيس المحكمة القيام بالإجراء اللازم ، ويكون التعيين أو التولية أو الاختيار الذي يقوم به رئيس أو نائب رئيس المحكمة بمقتضى هذه المادة نهائياً وملزماً للطرفين .

المادة الثانية

يطلب من الهيئة أن تقرر .

أ) موقع الحدود المشتركة بين البلاد العربية السعودية وأبو ظبي ، فيما بين الخط الذي طالبت به **الحكومة العربية السعودية** في سنة ١٩٤٩ والخط المطالب به باسم أبو ظبي في مؤتمر الدمام في سنة ١٩٥٢ .

ب) السيادة في المنطقة الداخلة في دائرة مركزها قرية البريمي ويمر محيطها عبر نقطة تلاقي خط العرض ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة شمالاً مع خط الطول ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة شرقاً .

المادة الثالثة

يمثل كل من الطرفين إمام الهيئة بوكيل يكون مسؤولاً عن الإجراءات فيما يخص ذلك الطرف ، ويجوز أن يعاون الوكيل من يراه هذا الأخير لازماً من المستشارين والموظفين .

المادة الرابعة

تنتظر اللجنة ، أثناء مباشرتها إجراءاتها وفي أعدادها لحكمها ، بما يجب من الرعاية إلى جميع

اعتبارات القانون والواقع والإنصاف ، ذات الأثر في الموضوع ، مما يوجه الطرفان نظر الهيئة إليها بمقتضى المادتين (٥) و (٦) ، أو مما يظهر للهيئة نتيجة لمباشرتها للسلطات المخولة إليها بمقتضى المادة السابعة . وبصفة خاصة ـ دون أن يكون في ذلك تحديد ـ ستأخذ الهيئة بعين الاعتبار الأمور الآتية ، حيثما ترى أنها ذات أثر في الموضوع :

أ) الوقائع التاريخية المتعلقة بحقوق حضرة صاحب الجلالة ملك **المملكة العربية السعودية** وآبائه وأجداده ، وحقوق الحكام الآخرين ذوي الشأن وآبائهم وأجدادهم .

ب) الولاء التقليدي لسكان المنطقة ذات الشأن .

جـ) التنظيم القبائلي ، وطرق حياة القبائل الساكنة في المنطقة ذات الشأن .

د) ممارسة السلطة وأي نشاط آخر في المنطقة ذات الشأن .

هـ) أية اعتبارات أخرى يوجه أي الطرفين نظر الهيئة إليها .

المادة الخامسة

أ) على كل من الطرفين أن يقدم للهيئة في آن واحد ، خلال مدة (٦) شهور من تاريخ يمينه رئيس الهيئة في أقرب وقت بعد تأليفها ، مذكرة تفصيلية يعرض فيها وجهة نظره في شأن الأراضي والحدود المتنازع عليها والاعتبارات التي يستند إليها .

ب) يكون لكل من الطرفين بعد انقضاء المدة المحددة في الفقرة (أ) من هذه المادة وفي خلال مدة (٦) شهور أخرى ، الحق في أن يقدم للهيئة رداً على المذكرة المقدمة من الطرف الآخر .

جـ) يجوز للهيئة ، إذا ماتراءى لها ذلك ، وبناء على طلب أي من الطرفين تمديد إحدى المدتين المشار إليها في الفقرتين (أ) و (ب) من هذه المادة أو كلتيهما .

د) تكون الهيئة مسؤولة عن إيصال مذكرة ورد كل طرف إلى الطرف الآخر ، وعليها إخطار الطرفين بعدد الصور اللازمة .

هـ) باستثناء مانص عليه في الفقرة (ب) من المادة السابعة أو الفقرة (ب) من المادة العاشرة لن تقدم إلى الهيئة أية آراء (عروض) مكتوبة بعد رد كل من الطرفين ، إلا إذا أمرت الهيئة بخلاف ذلك . وفي هذه الحالة يجب التزام القيود التي تقررها الهيئة . وإذا أجيز لأحد الطرفين ، بمقتضى هذه الفقرة ، تقديم أي عرض كتابي آخر فسوف يكون للطرف الآخر فرصة للتعليق عليه وتقديم المستندات المؤيدة لتعليقه .

المادة السادسة

أ) تنعقد الهيئة لسماع مرافعات الطرفين الشفوية بعد انتهاء الإجراءات الكتابية المنصوص عليها في المادة الخامسة ، وللهيئة أن تقرر الإجراءات والمواعيد الواجب اتباعها في هذا الشأن . وذلك مع مراعاة أن يكون لكل من الطرفين فرص متساوية لتسمعه الهيئة في كل من المناقشات الرئيسية والردود .

ب) ويجوز للهيئة ، بموافقة الطرفين ، الاستغناء عن المرافعات الشفوية .

المادة السابعة

أ) بالإضافة إلى ما يعرضه الطرفان عليها فإن للهيئة إذا مارأت فائدة في ذلك ، السلطة في أن تقوم من تلقاء نفسها باستدعاء الشهود (غير حكام الأراضي ذات الشأن) وإجراء التحقيقات وزيارة مواقع معينة داخل المنطقة المتنازع عليها .

ويجوز للهيئة أن تنتدب واحد أو أكثر من أعضائها أو تعين شخصاً أو أكثر من غير المتحيزين لسماع مثل هذه الشهادات أو لإجراء التحقيقات أو القيام بالزيارة المومى إليها . يعني « بالمنطقة المتنازع عليها » ، تلك المنطقة المشار إليها في المادة الثانية (ب) من هذه الاتفاقية وجميع الأراضي الأخرى التي تطالب بها كل من **البلاد العربية السعودية** و**أبو ظبي** فيا بين الادعاء **السعودي** عام ١٩٤٩ . والادعاء المقدم نيابة عن حاكم **أبو ظبي** في مؤتمر **الدمام** عام ١٩٥٢ .

ب) تخطر الهيئة كلا الطرفين بمباشرتها لاي من السلطات المبينة في الفقرة (أ) من هذه المادة عندما تقرر ذلك ، ويكون عندئذ لكل طرف الحق في تعيين ممثلين (لا يزيد عددهم عن أربعة لزيارة المنطقة المتنازع عليها) وذلك لحضور الإجراء المقرر أو لاستجواب أي شاهد تحت إشراف الهيئة أو الشخص أو الأشخاص المكلفين بالتحقيق ، وفي تسليم أية تقارير عن التحقيقات أو الزيارات والتعليق عليها شفوياً أو كتابة .

جـ) يجوز لكل من الطرفين أن يطلب من الهيئة مباشرة أي من السلطات المبينة في الفقرة (أ) من هذه المادة في شأن أي شاهد معين ، أو موقع خاص أو موضوعات تحقيق بالذات على أنه يجوز للهيئة أن ترفض الموافقة على مثل هذا الطلب إذا ارتأت ذلك .

المادة الثامنة

أ) يجب أن يشمل كل ما يعرضه أي من الطرفين على الهيئة خطياً بياناً يقرر فيه صحة الوثائق المقتبس منها أو المشار إليها في العرض ، كما يجب أن يرفق بهذا العرض ، كلما أمكن ، صوراً لكل من

هذه الوثائق .

ب) يقدم كل طرف ، إذا أمكنه ذلك وبناء على طلب الهيئة ، الأصل أو صورة مصدقة لأية وثيقة مشار إليها فيما يعرضه كتابة أو شفوياً . فإذا ماعجز عن ذلك فعليه أن يشرح للهيئة أسباب هذا العجز ، على أن العجز في تقديم الأصل أو صورة مصدقة لأية وثيقة لن يحول دون نظر الهيئة فيها ، ولكن على الهيئة أن تدخل في حسابها هذا العجز عند تقديرها لقيمة الوثيقة المذكورة .

جـ) يرجع إلى الهيئة تقدير صحة أية وثيقة تعرض أثناء مباشرة الهيئة لأي إجراء بموجب السلطات المخولة لها بمقتضى المادة السابعة .

المادة التاسعة

أ) يقدم كل من الطرفين باللغتين الإنجليزية والعربية مايعرضه كتابة على الهيئة أو أية وثيقة ملحقة به ، مع ترجمة لذلك إلى أية لغة أو لغات أخرى قد تطلبها الهيئة .

ب) يقوم الطرفان بمرافعاتها الشفوية باللغة الإنجليزية أو العربية . وعلى الهيئة أن تتخذ الترتيبات للترجمة الكتابية والشفوية حسبما تراه ضرورياً .

جـ) تقوم الهيئة بحفظ محضر لكل جلسة تعقدها ، عدا الجلسات المتعلقة بمداولاتها الخاصة وتوضع صور لكل محضر تحت تصرف الطرفين في أقرب وقت ممكن .

المادة العاشرة

أ) للهيئة الحق ، إذا ما رأت ضرورة لذلك ، في أن تعمل على أخذ رأي خبير أو خبراء يرجع اختيارهم إليها .

ب) يكون رأي الخبير الصادر بمقتضى الفقرة (أ) من هذه المادة ، إما كتابة ويبلغ إلى الطرفين أو شفوياً أمام الهيئة وفي حضور الطرفين ، وفي كلتا الحالتين يكون للطرفين تحت إشراف الهيئة الحق في التعليق على الرأي وعلى استجواب الخبير أو الخبراء المسؤولين عنه .

المادة الحادية عشرة

يجوز للهيئة ، إذا مارأت ذلك مناسباً ، تعيين مواقع الحدود المتنازع عليها قسماً قسماً وإصدار حكمها على كل قسم عندما تكون قد أتمت إعداده ، وذلك دون أن تنتظر حتى تكون في مركز يسمح لها بإصدار حكمها بالنسبة للحدود المتنازع عليها جميعها .

المادة الثانية عشرة

للهيئة سلطة الفصل في جميع مسائل إجراءات غير المنظمة في هذه الاتفاقية ، بما في ذلك سلطة تحديد تواريخ وأماكن جلساتها وتقرير ما يكون منها علنياً أو غير علني .

المادة الثالثة عشرة

أ) تصدر الهيئة حكمها وجميع قراراتها في مسائل الإجراءات بأغلبية الأصوات .

ب) على الهيئة إبداء أسباب حكمها .

جـ)يصدر الحكم باللغة التي تختارها الهيئة ، ويطبع ويقدم إلى الطرفين في آن واحد . كما يقدم إلى الطرفين في ذات الوقت ترجمة للحكم باللغة الإنجليزية أو العربية أو إذا كان الحكم قد صدر بلغة أخرى ، بكلتا اللغتين العربية والإنجليزية ، وعلى الهيئة أن تبين النص أو النصوص التي يجب اعتبارها معتمدة ، ويصدق رئيس الهيئة على النسخة الأصلية للحكم وعلى جميع الترجمات الرسمية لها .

د) يكون حكم الهيئة نهائياً وملزماً للحكومتين (بما في ذلك الحكام الذين تعمل حكومة المملكة المتحدة نيابة عنهم) ويكون الحكم غير قابل للاستئناف .

المادة الرابعة عشرة

أ) يشمل حكم الهيئة تعيين لجنة من الخبراء مكونة من عضو يعينه كل من الطرفين ورئيس محايد تعينه الهيئة ، وذلك لرسم خط الحدود ، الذي عينته الهيئة ، على الطبيعة ، فإذا لم يعين أحد الطرفين عضوه في اللجنة خلال (٩٠) يوماً من التاريخ الذي تطلب فيه منه الهيئة ذلك ، يصبح هذا التعيين من حق الهيئة .

ب) تقوم لجنة التخطيط المعينة كما سلف ، بإقامة ما تراه من العلامات وباتخاذ الإجراءات الأخرى التي تراها لازمة لرسم خط الحدود بطريقة تتناسب مع احتياجات المناطق المختلفة التي يمكن أن يمر منها الخط ، ويكون لرئيس اللجنة ، في البقاع التي تتصف فيها طبيعة الأرض بصعوبات غير عادية للتخطيط ، السلطة في الترخيص بانحرافات طفيفة في الخط الذي عينته الهيئة ، على أن لا تزيد تلك الانحرافات في موقع واحد على كيلومتر من أي جانب من جانبي الخط أو خمسة كيلومترات طولاً .

جـ) تبذل لجنة التخطيط جهدها لإتمام عملها خلال سنتين شمسيتين من تاريخ حكم الهيئة . وعند إنجاز عملها تقدم اللجنة لكلا الطرفين تقريراً كاملاً عن نشاطها ، كما تقدم الخرائط والصور الشمسية والبيانات الأخرى التي تساعد ، على المحافظة بدقة فيما بعد على خط الحدود .

د) تعطى لأعضاء لجنة التخطيط أتعاب تحددها الهيئة وقت تعيينهم ، وتوزع الأتعاب وجميع مصروفات اللجنة وأعمالها على الطرفين بالتساوي ، وتدفع بالطريقة التي يتفق الطرفان واللجنة عليها .

هـ) في حالة وفاة العضو السعودي أو العضو البريطاني في اللجنة ، أو عجزه عن العمل أو استقالته تقوم حكومته بتعيين من يخلفه في بحر (٩٠) يوماً من تاريخ تسلمها الأخطار بذلك ، فإذا ماعجزت عن القيام بهذا التعيين ، جاز للطرف الآخر أن يطلب من رئيس محكمة العدل الدولية إجراءه ، وفي حالة وفاة الرئيس المحايد أو عجزه عن العمل أو استقالته جاز لكل من الطرفين أن يطلب من رئيس محكمة العدل الدولية تعيين من يخلفه ، وإذا كان رئيس محكمة العدل الدولية موطناً تابعاً لأي من الطرفين أو كان عاجزاً عن العمل فيما تقصده هذه الفقرة ، يجوز أن يطلب من نائب رئيس المحكمة اتخاذ الإجراء اللازم .

المادة الخامسة عشرة

يجوز لكل طرف بعد صدور حكم الهيئة ، أن ينشر أياً من الأعمال المتعلقة بالقضية .

المادة السادسة عشرة

أ) للهيئة السلطة في تعيين من تراه من الموظفين وتحديد مرتباتهم ، والسلطة في استئجار الأمكنة وشراء المهمات حسبما يتبين لها ضرورته ، وكذلك للهيئة السلطة في عمل جميع الترتيبات التي تستلزمها الجلسات التى تعقدها لسماع أقوال شفوية أو لإجراء الزيارات التي تقوم بها لمواقع معينة ، هي أو أي شخص أو أشخاص تعينهم الهيئة بمقتضى الفقرة (أ) من المادة السابعة .

ب) تتمتع سجلات الهيئة وأوراقها وأمتعة أعضائها الخاصة ، كما تتمتع سجلات كل من الوكيلين وأوراقه وأمتعته الخاصة ، بالحصانة ، وهي معفاة من جميع الرسوم والتفتيش والإجراءات المطبقة عند اجتياز الحدود .

المادة السابعة عشرة

أ) يتفق الطرفان على ما يستحق دفعه لرئيس الهيئة وأعضائها الآخرين من نفقات وأتعاب .

ب) يساهم الطرفان في تحمل أتعاب الرئيس وأعضاء الهيئة ونفقاتها بالتساوي وتدفع الأتعاب والنفقات بالكيفية وفي التواريخ التي ينفق عليها الطرفان مع الهيئة ، وعلى الهيئة عقب صدور حكمها ، أن تقدم حساباً نهائياً عن جميع النفقات المنصرفة .

المادة الثامنة عشرة

يتحمل كل طرف النفقات التي يقتضيها عرض قضيتها ومباشرتها أمام الهيئة .

المادة التاسعة عشرة

للهيئة سلطة الفصل في أية مسألة قد يثيرها تفسير أي من أحكام هذه الاتفاقية .

المادة العشرون

تصبح هذه الاتفاقية نافذة المفعول من تاريخ توقيعها .

وإشهاداً بما ذكر فإن الموقعين أدناه ـ المفوضين بذلك تفويضاً صحيحاً من قبل حكومتيهما ـ قد وقعا على هذه الاتفاقية .

حرر من نسختين في جدة في اليوم التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وسبعين هجرية ، الموافق لليوم الثلاثين من شهر يوليو عام ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين ميلادية باللغتين العربية والإنجليزية وكلا النصين معتمد بالتساوي .

سفير جلالتها البريطانية
فوق العادة والمفوض   وزير خارجية المملكة العربية السعودية

إحالة النزاع حول (البريمي) على لجنة تحكيم

II

The Saudi Arabian Minister for Foreign Affairs to her Majestys at Jedda

[Arabic text - Texte arabe]

وزارة الخارجية

مكة المكرمة

ياصاحب السعادة

يسرني أن أخبركم بأنني قد استلمت كتاب سعادتكم بتاريخ اليوم ونصه كالآتي :

ياصاحب السمو

أتشرف بأن أعلمكم أن حكومة صاحبة الجلالة ، بالنيابة عن حاكم أبو ظبي وسمو السلطان سعيد بن تيمور ، توافق على إحالة النزاع على الحدود المشتركة بين المملكة العربية السعودية وأبو ظبي ، وفي السيادة على منطقة البريمي إلى التحكيم ، وذلك بدون الإخلال بادعاءات أي من الفرقاء ، بالشروط الآتية :

١ ـ ينسحب تركي بن عطيشان وجماعته من منطقة البريمي إلى أرض سعودية غير متنازع عليها وتنسحب إلى أراضي غير متنازع عليها في دول الساحل قوات ساحل الصلح العماني والقوات المسلحة الأخرى وكذلك الموظفون الذين أدخلوا إلى المنطقة بعد أغسطس ١٩٥٢ وتحل الجماعات المحلية المسلحة . تستبدل القوات المنسحبة بقوة بوليسية صغيرة يساهم فيها كل جانب بما لا يزيد عن (١٥) رجلاً وذلك للعمل بالمنطقة .

٢ ـ تتمركز القوة البوليسية المشار إليها في الفقرة الأولى في منطقة البريمي في خيام في أي مكان يتفق عليه الجانبان لا يقع داخل القرى . ويكون عمل هذه القوة حفظ السلام والنظام بين القبائل في منطقة البريمي ، وسوف لاتتدخل بأي شكل من الأشكال في الشؤون الداخلية والإدارة والسياسة لأي قبيلة من القبائل ، وسوف تتحرك للعمل فقط في حالة الاشتباك أو الإخلال بالنظام بشرط أن يوافق على ذلك قواد الجماعتين المشكلتين للقوة .

٣ ـ تسحب من المناطق الأخرى المتنازع عليها قوات ساحل العماني والقوات المسلحة الأخرى ووكذلك الموظفون الذين أدخلوا في تلك المناطق بعد أغسطس ١٩٥٢ وتحل الجماعات المحلية المسلحة .

٤ ـ لن يدخل أي جانب من الجانبين موظفين إضافيين أو قوات إضافية في منطقة البريمي أو في المناطق الأخرى المتنازع عليها ، ويتعهد الفريقان بالامتناع عن الأعمال التي تخل بإجراء تحكيم عادل وغير متحيز . ومن المعلوم أن القيود على دخول موظفين إضافيين لا تسري على الموظفين الحكوميين المشتغلين بالتحكيم أو على الأشخاص الذين تطلب إليهم هيئة التحكيم الحضور . ومن المتفق عليه أيضاً أن الهيئة ستكون لها الصلاحيات والسلطة للإشراف على تنفيذ هذه الاتفاقية وإصدار حكمها في المسائل الناتجة عن تطبيقها وإصدار الأوامر واتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة في هذا الصدد .

٥ ـ ولغرض عمليات الزيت فقط وبدون الإخلال بحقوق أي الفريقين في نزاع الحدود فإن المنطقة الواقعة بين الادعاء **السعودي** عام ١٩٤٩ والادعاء المقدم نيابة عن حاكم **أبو ظبي** في ١٩٥٢ سوف تقسم كما يلي :

(أ) في المنطقة المحدودة غرباً بخط الطول الشرقي ٥١ درجة و ٣٥ دقيقة وجنوباً بخط العرض الشمالي ٢٣ درجة و ١٥ دقيقة وشرقاً بخط مستقيم يصل نقطتي النهاية الشرقيتين للخط **السعودي** عام ١٩٤٩ وخط **أبو ظبي** عام ١٩٥٢ يجوز لشركة استثمار البترول **ساحل الصلح** المحدودة وشركة دارسي للتنقيب المحدودة إجراء عمليات للزيت خلال فترة التحكيم .

(ب) وفي المنطقة المحدودة شرقاً وغرباً بذات الخطين المذكورين في الفقرة (أ) من هذه المادة وشمالاً بخط العرض الشمالي ٢٣ درجة و ١٥ دقيقة وجنوباً بخط العرض الشمالي ٢٣ درجة و .. دقيقة لن يسمح بإجراء أية عمليات للزيت خلال فترة التحكيم .

(ج) وفي المنطقة الواقعة غرباً من خط الطول الشرقي ٥١ درجة و ٣٥ دقيقة وكذلك في المنطقة المحدودة شمالاً بخط العرض الشمالي ٢٣ درجة و .. دقيقة وشرقاً بذات الخط المذكور في الفقرتين الآنفتين (أ) و (ب) يجوز لشركة الزيت العربية الأميركية إجراء عمليات للزيت خلال فترة التحكيم .

ومن المفهوم أنه لن تجري في أية حال من الأحوال أية عمليات للزيت في منطقة البريمي خلال فترة التحكيم .

٦ ـ سوف يسري مفعول هذه الشروط من التاريخ الذي تسري فيه اتفاقية التحكيم وسيتم الانسحاب المشار إليه في الشرطين الأول والثالث خلال شهر واحد من ذلك التاريخ .

٧ ـ لغرض تنفيذ الشروط الآنفة الذكر فإن (منطقة البريمي) تعني المنطقة الداخلة في دائرة يكون مركزها في قرية البريمي ويمر محيطها عبر نقطة تلاقي خط العرض الشمالي ٢٤ درجة و ٢٥ دقيقة

وخط الطول الشرقي ٥٥ درجة و ٣٦ دقيقة . ويعني (بالمنـاطق المتنـازع عليهـا) منطقـة البريمي وجميع الأراضي الأخرى التي تطالب بها كل من البلاد العربية السعوديـة وأبو ظبي فيما بين الادعـاء السعودي عام ١٩٤٩ ، والادعاء المقدم نيابة عن حاكم أبو ظبي في مؤتمر الدمام عام ١٩٥٢ .

فإذا كانت حكومـة صـاحب الجلالـة توافق أيضـاً على هـذه الشروط فـإني أقترح أن يشكل هـذا الكتاب مع جواب سموكم الملكي بهذا الخصوص اتفاقاً قيماً بين حكومتينا ملزماً لجميع الأطراف المعنيين .

ووفقاً للاقتراح الوارد في كتاب سعادتكم فإن حكومة حضرة صـاحب الجلالـة الملـك المعظم تعتبر أن ذلك الكتاب وهذا الرد يشكلان اتفاقاً بين حكومتينا ملزماً لجميع الأطراف المعنيين .

وتقبلوا يا سعادة السفير تأكيداتي المجددة لعظيم تقديري » .

وزير الخارجية

حضرة صاحب السعادة المستر ج . س بلهام

سفير صاحبة الجلالة البريطانية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاقية عام ١٩٥١ مع بريطانيا

تاريخها ٢٠ يناير ١٩٥١ م

صاحب المعالي :

لي الشرف أن أشير إلى المحادثات التي جرت بين ممثلي حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة المتوكلية اليمنية ، وممثلي حكومة حضرة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة ، وهذه المحادثات ابتدأت في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٥٠ م ، وانتهت في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ م ، ونتيجة لهذه المحادثات تم الاتفاق على تقديم مقترحات لنظام مؤقت إلى الحكومتين ، تحتوي على عشر مواد نصها كالآتي :

مشروع اقتراح لنظام مؤقت مع اليمن

(موديس فيفندي)

١ ـ أن يتم تبادل التمثيل السياسي بين البلدين بالطريقة العادية في أقرب وقت ممكن قبل نهاية سنة ١٩٥١ م .

٢ ـ تقوم حكومة حضرة صاحب الجلالة بالتعاون مع حكومة جلالة الإمام لتنمية الشؤون الاقتصادية والثقافية والتعليمية والصحية ، وجميع المسائل الأخرى التي قد تطلب الحكومة اليمنية التعاون فيها .

وتبذل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ما في وسعها من جهد إذا طلبت اليمن إليها ذلك في تقديم مساعدة الخبراء الفنيين ، أو أية مساعدة فنية أخرى ، تطلب في شأن هذه المسائل .

٣ ـ وللوصول إلى تسوية ماوقع من حوادث أو منازعات في أماكن مختلفة من مناطق الأطراف ، وهي الحوادث والمنازعات التي كانت محلاً للبحث بين الحكومتين ، توافق الحكومتان على إنشاء لجنة مشتركة ، تتألف من عدد متعادل من ممثلي الحكومتين ، ويكون اختصاصها ما يأتي :

تبين على الطبيعة (أي على وجه الأرض) دون إخلال بالتحفظات الواردة في الفقرة رقم ٧ من

هذا الاتفاق ، ومركز كل من الطرفين في جميع المناطق المتنازعة كما كان قائماً سنة ١٩٣٤ م ، وكما هو قائم في الوقت الحاضر . وللجنة أن توصي بناء على نتائج تحقيقها بحلول للحوادث أو المنازعات على نحو ما يقتضيه تطبيق معاهدة سنة ١٩٣٤ م ، أو على نحو ماتقتضيه العدالة على حسب الأحوال .

٤ ـ إذا لم توفق اللجنة إلى الوصول إلى اتفاق في شأن أية مسألة من المسائل التي تعرض عليها وفقاً للفقرة السابقة ، تقوم الحكومتان بعد التشاور بينهما باختيار مندوب محايد ، أو تقوم كل منهما باختيار مندوب محايد ، وتكون مهمة المندوب المحايد ، أو مهمة المندوبين المحايدين مساعدة اللجنة في الوصول إلى توصية بالإجماع .

٥ ـ يتم تعيين اللجنة وتتولى وضع منهاج عملها في أسرع وقت ممكن ، وتعين الحكومتان بناء على ذلك تاريخ بدء هذا العمل ، وتقوم اللجنة من حين إلى حين بتقديم تقارير عن مدى تقدم العمل إلى الحكومتين .

٦ ـ إلى أن تتم اللجنة عملها في المناطق المتنازعة ، تمتنع الحكومتان عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير الوضع القائم في الوقت الحالي في المناطق المتنازعة . وفي تطبيق هذه المادة يكون مفهوماً أنه لا يوجد في الوقت الحاضر في بلدة **شبوة** أية قوات عسكرية أو هيئات إدارية .

٧ ـ من المفهوم بين الحكومتين أن قبولها لأي حل توصي به اللجنة وفقاً للفقرة رقم ٣ لن يخل بمطالب أي من الحكومتين على أساس تفسيرها لمركزها من الناحية القانونية ولا بأية مطالب تتصل بالتسوية النهائية المنصوص عليها في المادة الثالثة من معاهدة سنة ١٩٣٤ م . وإذا لم يتم الوصول إلى اتفاق في شأن نتائج تحقيق اللجنة ، تستمر الجهود للوصول إلى تسوية وفقاً لأحكام المادة ٣٣ من ميثاق **هيئة الأمم المتحدة** .

٨ ـ تتخذ الحكومتان من الإجراءات وفقاً لتشريع كل منهما ، ومع الاعتداد بالظروف المحلية ، ما يكفل درء أية دعاية موجهة (إيحائية) أو هدامة ، يكون من شأنها التأثير على العلاقات الودية بين البلدين أو أية دعاية تشين رئيس الدولة أو العائلة المالكة .

٩ ـ تدرس الحكومتان في الوقت المناسب بقصد الوصول إلى اتفاق أية اقتراحات معينة يقدمها أي من الطرفين في شأن المجرمين الفارين .

١٠ ـ بمجرد بدء عمل اللجنة المنصوص عليها في المادة ٣ من هذا الاتفاق ، وإلى أن تتم هذه اللجنة عملها توافق حكومة حضرة صاحب الجلالة على إخلاء دار الجمرك في **نجد مرقد** . وتوافق **الحكومة اليمنية** خلال الفترة نفسها على ألا تشغل البناء الذي هدم بالقرب من دار الجمرك .

لقد عرض الوفد اليمني هذه الاقتراح على حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك **المملكة المتوكلية اليمنية الإمام أحمد المعظم** ، وحكومة حضرة صاحب الجلالة ملك **المملكة المتوكلية اليمنية** ، قد أقرت هذا الاقتراح ونصوصه ، التي وافق عليها حضرة صاحب الجلالة **الإمام أحمد المعظم** .

لقد أمرتني حكومتي أن أخبر معاليكم رسمياً بالموافقة النهائية على نص هذا الاقتراح الذي وافقت عليه (حكومة **المملكة المتوكلية اليمنية**) .

بالإضافة إلى ذلك فإن حكومة جلالة ملك **المملكة المتوكلية اليمنية** مستعدة أن تبدأ بمفاوضات بالإجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الاتفاقية .

وإذا وافقت حكومة حضرة صاحب جلالة ملك **المملكة المتحدة المعظم** على هذه الاقتراحات ، يكون لي الشرف أن أقترح بأن المذكرة هذه وجواب معاليكم عليها تعتبر مكونة لاتفاقية بين الحكومتين .

الرجاء أن تقبل ياصاحب المعالي التأكيدات بأعلى احترامي .

صاحب المعالي المستر أرنست بيفن
وزير خارجية حضرة صاحب الجلالة
وزارة الخارجية ـ لندن ١٩٥١/١/٢٠ م

القاضي محمد العمري
وزير دولة
وكيل وزير خارجية حكومة اليمن

نص اعتراف الولايات المتحدة الأميركية بالجمهورية العربية اليمنية
١٩ ديسمبر ١٩٦٢ م

1. United States Recognition of the Yemen Arab Republic: Statement by the department of State, december 19, 1962.

In view number of confusing and cuntradictory statements which have cast doubt upon the intentions of the new regime in Yemen[1] the United States Government welcomes the reaffirmation by the Yemen Arab Republic Governmet of its intention to honor its international obligations, of its desire for normalization and establishment of friendly relations with its neighbors, and of its intention to concentrate on internal affairs to raise the living standards of thé Yemeni people.

the United States Government also is gratified by the statesmanlike appeal of the Yemen Arab Republic to Yemenis in adjacent areas to be law-abiding citizens and its undertaking to honor all treaties concluded by previous Yemeni governments. This, of course, includes the Treaty of Sana'a concluded with the British Government in 1934[2], which provides reciprocal guarantees that neither party should intervene in the affairs of the other across the existing international frontier dividing the Yemen from territory under British protection.

Further the United Stated Government welcomes the declaration of the United Arab Republic signifying its willingness to undertake a reciprocal disengagement and expeditious phased removal of troops from Yemen as external forces engaged in support of the Yemen royalists are removed from the frontier and as support of the royalists is stopped.

In believing that these dsclarations provide a basis for terminating the conflict over Yemen and in expressing the hope that all of the parties involved in the conflict will cooperate to the end that the Yemeni peoples themselves be permitted to decide their own future, the United States has today (December 19th) decided to recognize the Government of the Yemen Arab Republic and to extend that Government its best wishes for success and prosperity. The United States has instructed its Chargé d'Affaires in Yemen to confirm this decision writing to the Ministry of Foreign of the Yemen Arab Republic.

التصريح الأميركي بشأن تأييد دوام سلامة المملكة السعودية ، ونهاية التدخل بشؤون اليمن الداخلية ٤ أغسطس ١٩٦٥ م

III. United States Hopes for an End to the Yemeni Civil War, Supports Saudi Arabia: Deppartment of State Press Officer's News Conference, August 4, 1965.

We would very strongly hope that the talks which president Nasser has indicated are taking place with Saudi Arabia would lead to a where the Yemenis themselves would be able to decide their own national destiny, free from any outside interference. We welcome President Nasser's July 22 statement that his Government is prepared withdraw U.A.R. troops

(1) On Sept. 26, 1962, revolutionary army elements rose against the ruling Imam of Yemen and proclaimed a republic.

(2) Signed Feb. 11, 1934; 137 British and Foreign State Papers, 212.

from the Yemen within six months or less if peace is obtained. During the course of our erlations with the governments concerned we have frequently advised both sides to withdraw from their involvement in the internal affairs of Yemen. U.S. relations with Saudi Arabia have long been marked by friendship and mutual cooperation for the economic and social development of the country. We have clearly indicated our support for the maintenance of Saudi Arabia's integrity. We would deplore any extension of hostilities in the area. It has long been our stated policy that we are strongly opposed to the use of force or the threat of force in the Near East.

IV. zpresident Johnson Praises the Agreement Between Our Two Friends, (Saudi Arabia and the UAR) to End the Yemeni Civil War: News Conference, August 29, 1965.

in the Middle East, we are happy to see the statesmanlike agreement between King Faisal and President Nasser, which seems to offer great promise of a peaceful settlement in Yemen. This crisis has long been a very disruptive element in the relations between our two friends. We share their confidence that this long-festering issue is on the road to settlement by negotiation rather than force, and that is most encouraging.

نص تأييد أميركا للمملكة العربية السعودية / ٢٥ أكتوبر ١٩٦٢ م

SAUDI ARABIAN-UNITED ARAB REPUBLIC DISPUTE

II. United States Support for Saudi Arabia: Letter from President Kennedy to Crown Prince Faisal October 25, 1962.

Your Highness: As Your Highness assumes new and important responsibilities upon erturning to Saudi Arabia[1], wish to recall your visit to the White house on October 5. I then stated, and I want it understood clearly, that Saudi Arabia can depend upon the friendship and the cooperation of the United States in dealing with the many tasks which lie before it in the days ahead. The United has deep and abiding interest in Saudi Arabia and in the stability and progress of Saudi Arabia. Under your firm and enlightened leadership I am confident Saudi Arabia will move ahead successfully on the path of modernization and reform which it has already charted for itself. In pursuing this course you may be assured of full United States support for the maintenance of Saudi Arabia's integrity.

I am fully aware that in order to accomplish your goals you must have the requisite tranquility-an atmosphre devoid of recriminations and instigations from within or without. I share your concern at the tensions which in the area and which hamper your design to strengthen the fabric of government and society in Saudi Arabia. As I indicated to you in Washington, the United States to be helpful in fiding means of reducing these tensions.

I foresee for our two countries not merely the continuance of the cordial relationship which began so auspiciously during the reign of your illustrious father, Mis Majesty Abdul Azız Ibn Saud; rather I foresse the opening of a chapter in Saudi-United States relations in

(1) The Saudi Arabian Government announced on October 17, that King Saud had asked Prince Faisal to from a new cabinet.

which the common bond of enlightened self-interest isfirmly riveted by a common dedication to the inalienable rights of nam for self-fulfillment, progress and freedom.

I wish you success and send you my warmest regards. May God keep you and the Saudi people and grant you peace.

Sincerely

John F. KENNEDY

قرارات مؤتمر (خمر) للسلام

٢ ـ ٥ مايو ١٩٦٥ م

من أجل اليمن العزيز ، وفي سبيل شعبها العظيم ، وإذعاناً لقداسة الشريعة الإسلامية الغراء ، التي تدعو إلى حقن دماء المسلمين على أساس الحق والعدل . وحياطة لكرامة هذا الشعب ، والحفاظ على مقوماته كشعب حي يبني ويعمر ، وإيقافاً لعوامل التخريب والتدمير في ربوع اليمن ، والتمزق والتناحر بين أبناء الشعب وسعياً أمام المودة والإخاء ، والصداقة الشريفة النبيلة مع الأشقاء والجيران ، ووفاء لدماء الشهداء الذين سقطوا صرعى بأيدي المجرمين والمعتدين وهم يعملون للسلم في بلادهم ، وحسماً لأسباب المآسي التي تثكل النساء وتيتم الأطفال وتشوه الرجال ... من أجل هذا كله قامت الدعوة لعقد مؤتمر سلام بين أبناء اليمن يضعون فيه الحلول السلمية للخلافات القائمة بينهم ، ويمدون يد المودة والصداقة لجيرانهم ، حتى يعيش أبناء اليمن في سلام يعمرون أرضهم ويبنون بلادهم .

ولضمانة هذا السلام المأمول ودوام استمراره ، وحياطته من عوامل التخريب والإرباك ، تحددت الوسائل التي تكفل ذلك السلام وتصونه وتحميه في مطالب محددة دقيقة واضحة .

ومن أجل تنفيذها والالتزام بها في الداخل والخارج ، انعقد مؤتمر السلام الذي حضره كل رجالات اليمن من كل قبيلة ومنطقة في مدينة خمر بين يومي أول ورابع محرم الحرام عام ألف وثلاث مئة وخمسة وثمانون هجرية الموافق ما بين الثاني والخامس من مايو سنة ١٩٦٥ م ، وهو المؤتمر الذي دعا إليه أبو الأحرار وشهيد اليمن القاضي **محمد محمود الزبيري** .

اليوم ونحن نجتمع في هذا المؤتمر الكبير ، يطل علينا الله سبحانه وتعالى من علياء سمائه لينظر ماذا نحن صانعون بأنفسنا وبلادنا ..

تقرر ما يلي :

أولاً ـ تشكيل هيئة دائمة للسلم الوطني ، وتتولى الاتصال بشتى الطرق والوسائل ببقية القبائل المغرر بها ، سواء بالاتصال المباشر أو المراسلة ، للتوصل معهم إلى التفاهم الأخوي التام الذي يؤدي إلى إقرار السلام والوئام ووحدة الكلمة ، كما تتولى تقديم الاقتراحات اللازمة إلى الحكومة ، للقيام بالإجراءات اللازمة لتساعدهم على نجاح مهمتهم .

وتتألف الهيئة من تسعة أعضاء خمسة من المشايخ وأربعة من العلماء .

ثانياً ـ يمنح مؤتمر السلام اليمني الثقة للوزارة القائمة .

ثالثاً ـ يؤكد المؤتمر على رئيس الوزراء الالتزام بالبرنامج الذي أعلنه رئيس الوزراء مع الاهتمام بما يلي :

(أ) العمل بمختلف السبل والوسائل لإنهاء حالة الحرب وإقرار السلام .

(ب) تنظيم يحدد العلاقات مع الشقيقة الكبرى **الجمهورية العربية المتحدة** على هدي قرارات المؤتمر وروحه .

(جـ) السعي لإيقاف حالة التوتر في العلاقات مع الجيران .

(د) إنشاء الجيش الوطني ودعم قوى الأمن .

(هـ) تنمية ودعم الاقتصاد الوطني .

(و) العمل على تصحيح الأوضاع في جميع الأجهزة والدوائر الحكومية ، باختيار الأكفاء المخلصين ذوي النزاهة والاستقامة .

رابعاً ـ يؤكد المؤتمر ضرورة المبادرة بإرسال وفود إلى الدول العربية جميعاً من أجل التعاون على إنهاء حالة الحرب وإقرار السلام في **اليمن** .

خامساً ـ قرار المؤتمر تنفيذ المطالب الأساسية التي وضعها شهيدنا العظيم أبو الأحرار الأستاذ **محمد محمود الزبيري** ورفاقه المستقيلون في ٢ ديسمبر سنة ١٩٦٤ م ، وهذه هي المطالب الأساسية التي يجب أن تقوم الدولة على أساسها .

١ ـ تعديل الدستور .
٢ ـ إقامة مجلس جمهوري .
٣ ـ تأليف مجلس الشورى .
٤ ـ إعلان قيام تنظيم شعبي شامل .
٥ ـ تكوين جيش وطني قوي .
٦ ـ تأليف مجلس دفاع وطني .
٧ ـ تشكيل محكمة شرعية عليا تتولى محاكمة العابثين بأموال الدولة ومقدرات الشعب .

سادساً ـ تكوين لجنة متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر تتولى المهام الآتية :

(أ) مراقبة الحكومة والتعاون معها لتنفيذ قرارات المؤتمر .

(ب) العمل على اتخاذ الخطوات الكفيلة بانتخاب مجلس الشورى في أسرع وقت ممكن لا يتعدى ثلاثة أشهر .

(جـ) مزاولة اختصاصات مجلس الشورى المنصوص عليها في الدستور المعدل حتى يتم تشكيل المجلس .

سابعاً - يحيي المؤتمر نضال **جنوب اليمن** في سبيل الحرية والخلاص من أغلال الاستعمار ، ويهيب بالمنظمات الشعبية والقوى الوطنية لتوحيد كلمتها وضم صفوفها .

ثامناً - يشكر المؤتمرون باسم الشعب **اليمني الجمهورية العربية المتحدة** على ماقدمته من عون للثورة **اليمنية** ولشعب **الجمهورية العربية اليمنية** ، ويقدس الدماء الزكية وأرواح الشهداء الطاهرة التي حققت المعاني السامية للأخوة العربية .

تاسعاً - يرحب المؤتمر في تقدير وامتنان بالقرار الأخوي الذي أصدره المؤتمر الإسلامي المنعقد في **مكة المكرمة** ، وذلك بالسعي لإقرار السلام في **اليمن** .

عاشراً - يناشد المؤتمر **اليمنيين** جميعاً إنهاء أعمال العنف والتخريب ، وحل مشاكلهم بالسلم والإخاء والمحبة ، ويحتكموا إلى كتاب الله الذي يحرم سفك الدماء ، وينهى عن الشقاق والخلاف .

حادي عشر - يستنكر المؤتمر حادثة الغدر والخيانة التي اغتالت شهيد **اليمن** أبا الأحرار وداعية السلام الأستاذ **محمد محمد الزبيري** ، والمؤتمرون مصممون على أخذ الثأر من المتآمرين .

ثاني عشر - يوجه المؤتمر الشكر الخالص إلى الشيخ **عبد الله بن حسين الأحمر وقبيلة حاشد** على كرم الضيافة التي لقيها المجتمعون أثناء انعقاد المؤتمر .. وإليكم نص القسم الذي أقسمه المؤتمرون :

نقسم بالله العظيم ثم نقسم بشرفنا . وشرف شعبنا . وشرف قبائلنا . وشرف جيشنا . أن نحافظ على وحدة الوطن . ووحدة الكلمة . ووحدة الصف . ووحدة القلوب أخوة متعاونين وأن ننفذ قرارات مؤتمر السلام . وأن نجند أنفسنا ومن نمثلهم ، لتحقيق وتنفيذ هذه القرارات مهما كانت التضحيات ، والله على مانقول شهيد .

وقد ورد نص ترجمة التحفظ اليمني في الكتاب

United Nations
GENERAL ASSEMBLY
TWENTY-FIRST SESSION
Official Records



1490th PLENARY MEETING
Monday, 12 December 1966, at 3 p.m.
NEW YORK

16. I call on the representative of Yemen to speak in explanation of the vote before the vote.

17. Mr. TARCICI (Yemen) (translated from French): My delegation has adopted a special and consistent attitude towards the question of Aden. It would like to make that attitude clear and to have it noted in the General Assembly, as it did in the Fourth Committee [1620th and 1652nd meetings]. The draft resolution on the question of Aden [A/6557, para. 19], submitted to the General Assembly—that is, the draft dealing with the whole occupied part of South Yemen, including the port of Aden—is from the point of view of classic decolonization, a helpful and welcome document.

18. This draft resolution, however, views the problem it seeks to solve from one specific angle only—that which would entail ending colonization in a rather over-simplified fashion. It has not taken into consideration any of the historical, geographical, economic, social or other aspects and realities which argue in favour of the reunification of a nation and not of the arbitrary creation of a new nation, as announced by the United Kingdom delegation.

19. These indisputable facts, which have been expounded at length in the Committee, should, first of all, lead to the creation in the territory of conditions that would help to clear the whole region of the outmoded vestiges of colonization in order to prepare this occupied part of Yemen for free self-determination, freed of all the influences which the colonial Power has deliberately nourished for more than a

Office to come and create it at the last minute. The United Kingdom delegation also drew the frontiers of this so-called "new nation" on the basis of colonial occupation. In the same statement, the representative of the United Kingdom told us:

"Let me emphasize again our clearly stated policy that all the states of South Arabia, including the modern port and city of Aden and the wide stretches of the hinterland of the protectorate, should be included in the new independent State of South Arabia." 2/

23. The United Kingdom Government has apparently forgotten that for decades it has constantly exerted every possible and imaginable pressure on the Governments of Sana'a, with its various archaic or modern régimes, to get them to accept an unfortunate de facto

"My delegation was not able to support the resolution on Aden which has just been voted on, because we firmly believe that the real and total liberation of our country ... will not be attained unless the fundamental unity of Yemen within its natural frontiers, bringing together all our people now divided by colonialism, is achieved. We are convinced that only the unity of our country and people can really put an end to colonialism in all its forms. Such unity, in keeping with the natural aspirations of all our people, does not in any way imply that the south must be joined to the north or vice versa. These are national aspirations for the unity of the Yemeni people. They are shared by every section of the nation and in all parts of the country, whether occupied or free. The fragmentation of our people has reduced them to a state of defencelessness and is a handicap to their development and progress." [1277th meeting, para. 116].

1/ Quoted in English by the speaker.

2/ Quoted in English by the speaker.

16. I call on the representative of Yemen to speak in explanation of the vote be before the vote.

17. Mr. TARCICI (Yemen) (translated from French): My delegation nas adopted a special and constStent attitude towards the question of Aden. It would like to make that attitude cear and to have it noted in the General Assembly, as it did in the Fourth Committee [1620th and 1652nd meetings]. The draft resolution on the question of Aden [A/6557, para. 19], submitted to the General Assembly-That is, the draft dealing with the whole occupied part of South Yemen, including the port of Aden-is Irom the point or view of classic decolonization, a helpful and welcome document.

18. This draft resolution, however, views tne problem it seeks to solve from one specific angle only-that whhich would entail ending colonization in a rather over-simplified fashion. It has not taken into consideration any of the historical, geographical, economic social or other aspects and realities which argue in favour of the reunification of a nation and not of the arbitrary creation of a new nation, as announced by the United Kingdom delegation.

19. These indisputable facts, which have been expounded at length in the Committee, should, first of all, lead to the creation in the territory of conditions that would help to clear whole region of the outmoded vestiges of colonization in order to prepare this occupied part of Yemen for free self-determination, freed of all the influences which the colonial Power has deliberately nourished for more than a office to come and create it at the last minute. The United Kingdom delegation also drew the frontiers of this so-called «new nation» on the basis of colonial occupation. In the same statement, the representative of the United Kingdom told us:

«Let me emphasize again our clearly states policy that all the states of South Arabia, including the modern port and city of Aden and the wide stretches of the hinterland of the protectorate, should be included in the new independent State of South Arabia»(2).

The United Kingdom Government has apparenty forgotten that for decades it has constantly exerted every possible and imaginable pressure on the Governmemts of Sana'a, with its various archaic or modern régimes, to get them to accept an unfortunate de facto.

«My delegation was not able to support the resolution on Aden which has just been voted on, because we firmly believe that the real and total liberation of our country... will not be attained unless the fundamental unity of Yemen within its natural frontiers, bringing together all our people now divided by colonialism, is achieved. We are convinced that only the unity of our country and people can really put an end to colonialism in all its forms. Such unity, in keeping with the natural aspirations of all our people, does not in any way imply that the south must be joined to the north or vice versa. These are national aspirations for the unity of the Yemeni people. They are shared by every section of the nation and in all parts of the country, whether occupied or free. The fragmentation of our people has reduced them to a state of defencelessness and is a handicap to their development and progress.» [1277th meeting, para. 116].

---

(1) Quoted in English by the speaker.

(2) Quoted in English by the speaker.

نص الاتفاقية الأولى التي حدّدت قواعد الوحدة اليمنية

١٣ سبتمبر ١٩٧٢ م

في ١٣ ـ ٩ ـ ١٩٧٦ م اجتمع في القاهرة ، وفي رحاب الجامعة العربية ، رئيسا شطري اليمن للاتفاق على تحقيق الوحدة اليمنية ، وقد تمخض الاجتماع عن الخروج بقرارات تقضي بوضع الأسس لتوحيد الشطرين ، عرفت باتفاقية القاهرة هذا نصها .

اتفاقية القاهرة
الرامية لتحقيق الوحدة اليمنية

إن حكومة الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية باسم شعب اليمن الواحد . وباسم الأمة العربية ، وانطلاقاً من واقع المسؤولية التاريخية والمسؤولية القومية وإيمان بأن شعب اليمن وأرضه وحدة واحدة ، لاتقبل التجزئة والانقسام ، وأن هذه الحقيقة قد أثبتت نفسها على مر التاريخ ، برغم كل محاولات ترسيخ الانقسام ، وخلت الحواجز والسدود والحدود ، ووفاء لنضال وتضحيات الشعب اليمني على طول التاريخ في سبيل القضاء على نظام الإمامة الملكي المتخلف في شمال لوطن ، والسيطرة الاستعمارية في جنوبه . وحرصاً على تعزيز وتدعيم النضال الوطني التقدمي في ليمن ، وتأكيداً بأن الوحدة اليمنية هي الأساس في بناء مجتمع يمني حديث ، يضمن الحريات الديمقراطية ، لكافة القوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية ، وهي الأساس لبناء اقتصاد وطني مستقل ، ولحماية استقلال وسيادة اليمن في أي تدخل أو عدوان خارجي .. وتأكيداً بأن الوحدة اليمنية الشاملة بالإضافة أنها قضية المصير الحتمي ، هي قضية التقدم والحضارة والازدهار للشعب اليمني .. وثقة بأن الوحدة اليمنية الشاملة فوق أنها أمل كل يمني على طول رقعة اليمن في حاجة أساسية ، لتوطيد دعائم الاستقلال السياسي ، وبناء اقتصاد وطني مستقل ، وهي أيضاً ضرورة قومية ، لأنها تمكن اليمن من المساهمة في الكفاح الذي تخوضه الأمة العربية ضد التحالف الأمبريالي الصهيوني ، كما أنها تشكل خطوة جادة نحو تحقيق وحدة الأمة العربية بأسرها . وتجاوباً مع الجهود الصادقة التي بذلتها لجنة التوفيق العربية ، والمشكلة بقرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٢٩٦١ بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٣ م من أجل تسوية الخلافات بين شطري اليمن ، وهي الجهود التي تمثل اهتمام الأمة العربية بواقع شعب اليمن ومستقبله ، وعملاً بأحكام المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية فقد انفقت الحكومتان ، على قيام دولة موحدة تجمع شطري اليمن شماله وجنوبه ، وذلك وفقاً للأسس والمبادئ الواردة فيما بعد :

● مـادة (١) تقوم وحـدة بين دولتي **الجمهوريـة العربيـة اليمنيـة وجمهوريـة اليمن الـديمقراطيـة الشعبية** تذوب فيها الشخصية الدولية لكل منهما في شخص دولي واحد ، وقيام دولة **يمنية** واحدة .

● مادة (٢) يكون للدولة الجديدة :

أ ـ علم واحد وشعار واحد .
ب ـ عاصمة واحدة .
جـ ـ رئاسة واحدة .
د ـ سلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية واحدة .

● مادة (٣)

أ ـ نظام الحكم في الدولة الجديدة نظام جمهوري وطني ديمقراطي .

ب ـ يضمن دستور الوحدة جميع الحريات الشخصية والسياسية والعامـة للجماهير كافـة ، ولمختلف مؤسساتها ومنظماتهـا الوطنيـة والمهنيـة والنقـابيـة ، وتتخـذ جميع الوسـائل الضروريـة لكافـة ممـارسـة الحريات .

جـ ـ تضمن دولة الوحدة جميع المكاسب التي حققتها ثورة سبتمبر وأكتوبر .

● مادة (٤) كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة تتخذ الإجراءات اللازمـة نحو عقـد مؤتمر قمـة ، يجمع رئيسي الدولتين ، للنظر في الإجراءات الفورية اللازمة لإتمـام الوحـدة ، على أن يعقـد هـذا المؤتمر في الموعد الذي يحدده رئيسا الحكومتين .

● مادة (٥) يختار كل من رئيس الدولتين ممثلاً شخصيـاً لـه ، ويشرف هـذان الممثلان على أعمـال اللجان الفنية الواردة في المادة (٧) .

● مادة (٦) تستمر جامعة الدول العربية في تقديم مساعداتها اللازمة لإنجاح هذه الوحدة بنـاء على رغبة الدولتين .

● مادة (٧) يشكل مؤتمر القمة للدولتين اللجان الفنية المشتركة في عدد متسـاوٍ من ممثلي الـدولتين لتوحيد الأنظمة والتشريعات القائمة في كل منهما ، وتحديد فترة زمنيـة أقصـاهـا سنـة ، لانتهـاء هـذه اللجان من المهام المعهودة بها إليها ، وتبدأ هذه السنة من تاريخ توقيع هذا الاتفاق .

● مادة (٨) تشكل اللجـان الفنيـة المشتركـة من ممثلي الـدولتين على مستوى عـال ومن المختصين . ويحق لهذه اللجان تكوين لجان فرعية لتسهل أعمالها . وتتألف هذه اللجان من :

١ ـ لجنة الشؤون الدستورية .. وتختص بوضع مشروع الدستور .

٢ ـ لجنة الشؤون الخارجية والتمثيل الديبلوماسي والقنصلي : وتختص بتوحيد السياسة الخارجية للدولتين ، ووضع الأساس للسياسة الخارجية للدولة الجديدة الموحدة .

٣ ـ لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية : وتختص بالشؤون الاقتصادية والجمارك والتنمية الاقتصادية والنظام النقدي الموحد وميزانية الدولة .

٤ ـ لجنة الشؤون التشريعية والقضائية : وتختص بتوحيد التشريعات ووضع الأنظمة الموحدة للقضاء .

٥ ـ لجنة شؤون التربية والثقافة والإعلام وتختص بشؤون التعليم في كافة مراحله والثقافة والإعلام .

٦ ـ لجنة الشؤون العسكرية : وتختص بالدفاع والقوات المسلحة وتوحيدها .

٧ ـ لجنة الشؤون الصحية : وتختص بالشؤون العلاجية والمستشفيات وما إلى ذلك .

٨ ـ لجنة الإدارة والمرافق العامة : وتختص بنظام الحكم المحلي ومرافق الدولة وتسييرها .

● مادة (٩) عند انتهاء لجنة الشؤون الدستورية من وضع مشروع الدستور ، يطرح من قبل الدولتين على المجالس التشريعية المختصة للموافقة عليه طبقاً للأنظمة الدستورية لكل منهما .

● مادة (١٠)

أ ـ يقوم رئيسا الدولتين ـ بتفويض السلطتين التشريعيتين في القطرين بتنظيم عمليتي الاستفتاء على الدستور ، وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة طبقاً للدستور الجديد .

ب ـ تنفيذاً لذلك يشكل رئيسا الدولتين لجنة وزارية مشتركة تضم إلى عضويتها وزيري الداخلية في كلا الشطرين ، لكي تقوم بالإشراف على هذه الأعمال ، وذلك خلال ستة أشهر على الأكثر من تاريخ موافقة السلطات التشريعية في الدولتين على مشروع الدستور .. ويكون لهذه اللجنة كافة الصلاحيات اللازمة للقيام بمهمتها .

جـ ـ ويدعو رئيسا الدولتين جامعة الدول العربية لإيفاد ممثلين عنها للمشاركة في أعمال اللجنة .

● مادة (١١) تحل المجالس التشريعية في الدولتين فور إقرار مشروع الدستور الجديد بالاستفتاء الشعبي .

● مادة (١٢) في حالة موافقة الشعب على مشروع الدستور ، يمكن قيام الدولة الجديدة فوراً ، طبقاً للدستور .

● مادة (١٣) يعمل بأحكام الدستور الجديد فور إقراره .

● مادة (١٤) تنفيذاً لما ورد في بيان لجنة التوثيق وعملاً بأحكام المواد السابقة يقرر الطرفان التزامها الكامل بهذه الأحكام وتنفيذها .

● مادة (١٥) حررت هذه الوثيقة من ثلاث نسخ تسلم كل طرف النسخة الخاصة به ، وتحفظ النسخة الثالثة لدى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وقع هذه الوثيقة المندوبون المفوضون بذلك .

بيان طرابلس نوفمبر ٢٦-٢٨ عام ١٩٧٢ م

في الفترة من ٢٦ نوفمبر ١٩٧٢ م إلى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٢ اجتمع في **الجماهيرية الليبية** الزعيمان **اليمنيان** في إطار المشاورات الجادة لتقريب يوم الوحدة **اليمنية** أمل أبناء الشعب **اليمني** في كلا الشطرين . وقد خرج الزعيمان بمقررات هامة عرف ببيان **طرابلس** جاء فيه ما يلي : ترحيباً من الرئيسين **اليمنيين** على خلق الظروف الملائمة لسرعة إنجاز أعمال اللجان المشتركة اتفق على الأسس التالية :

١ - يقيم الشعب العربي في **اليمن** دولة واحدة تسمى **الجمهورية اليمنية** .

٢ - **للجمهورية اليمنية** علم واحد ذو الألوان الثلاثة الأحمر والأبيض والأسود .

٣ - مدينة **صنعاء** عاصمة **الجمهورية اليمنية** .

٤ - الإسلام دين الدولة وتؤكد **الجمهورية اليمنية** على القيم الروحية وتتخذ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع .

٥ - اللغة العربية هي اللغة الرسمية **للجمهورية اليمنية** .

٦ - تهدف الدولة إلى تحقيق الاشتراكية ، مستلهمة الطراز الإسلامي العربي وقيمه الإنسانية وظروف المجتمع **اليمني** بتطبيق العدالة الاجتماعية التي تحظر أي شكل من أشكال الاستغلال .. وتعمل الدولة عن طريق إقامة علاقات اشتراكية في المجتمع ، على تحقيق كفاية في الإنتاج وعدالة في التوزيع ، بهدف تذويب الفوارق سلمياً بين الطبقات ..

٧ - الملكية العامة للشعب أساس تطوير المجتمع وتنميته ، وتحقيق كفاية الإنتاج والملكية الخاصة غير المستغلة مصونة ولا تنزع إلا وفقاً للقانون وبتعويض عادل .

٨ - نظام الحكم في **الجمهورية اليمنية** وطني ديمقراطي .

٩ - ينشأ تنظيم سياسي موحد يضم جميع فئات الشعب المنتجة صاحبة المصلحة في الثورة ، للعمل ضد التخلف ومخلفات العهد الإمامي والاستعماري ، وضد الاستعمار القديم والجديد والصهيوني .. وتشكل لجنة مشتركة لوضع النظام الأساسي للتنظيم السياسي ولوائحه .

١٠ - يعين دستور **الجمهورية اليمنية** حدودها .

اتفاق عدن التاريخي
ومشروع دستور دولة الوحدة

(٣٠ نوفمبر ١٩٨٩ م)

تحتل قمة عدن الوحدوية التي انعقدت بين قيادتي شطري اليمن في الثلاثين من نوفمبر ١٩٨٩ م أهمية بالغة ومنعطفاً حاسماً في مسار قضية إعادة تحقيق وحدة الوطن اليمني أرضاً وشعباً كونها أنجزت خطوة نوعية متقدمة على طريق الوحدة الاندماجية الكاملة للوطن اليمني الواحد .. وهي اقرار إحالة مشروع دستور دولة الوحدة إلى السلطتين التشريعيتين ومن ثم بعد ذلك للاستفتاء الشعبي . ولأهمية ذلك والكتاب ماثل للطبع فقد رأينا - كالاً للفائدة - إضافة هذا الملحق مع المحضر الخاص (بشأن لجنة الحدود اليمنية) وكلاهما موقع من قبل الرئيس العقيد علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية (الشطر الشمالي) وأخيه علي سالم البيض عن الشطر الجنوبي .

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاق لقاء قمة عدن

ايماناً من كلا جانبيشطري الوطن بالوحدة اليمنية وأهداف ثورتي السادس والعشرين من سبتمبر والرابع عشر من اكتوبر الخالدتين ووفاءً لنضال الشعب اليمني وتضحيات شهدائه لبناء يمن موحد مستقل وتلبية للارادة اليمنية وحرصاً منهما على الدفع بالعمل الوحدوي بين شطري الوطن الواحد إلى مراحل متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة باعتبار أن الوحدة قدر ومصير شعبنا في الشطرين ، وانطلاقاً من تطلعات جماهير شعبنا اليمني في تحقيق الوحدة اليمنية أرضاً وانساناً ووصولاً إلى تحقيق كامل استقرار وأمن وتطور ونماء الوطن اليمني خاصة بعد أن أسهمت منجزاتنا الوحدوية في اثراء المناخ الوحدوي بمزيد من الأبعاد الوطنية والأخوية بما أفرزته من ممارسات وحدوية على النطاق الشعبي والحكومي والمؤسسات والهيئات العامة ، الأمر الذي جعل المواطن اليمني أكثر ترقباً للانتقال بقضيته الوطنية إلى وضع اللمسات الأخيرة لاعلان قيام دولة الوحدة ، وبناء على الاتفاقيات والبيانات الموقع عليها من قيادتي ومسئولي الشطرين ، واستمراراً في تهيئة المناخ السلمي والديمقراطي اللازمين لانجاز الخطوات

الوحدوية وصولاً لدولة الوحدة ، وتأكيداً على الالتزام بسياسة الحوار والتفاهم بين الشطرين ، وحماية الأمن والاستقرار ، ومواصلة للاتصالات واللقاءات الوحدوية بين الشطرين ، فقد تم خلال الزيارة التي قام بها الأخ العقيد علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام ، على رأس وفد رسمي وشعبي كبير للمشاركة في احتفالات الشعب اليمني بمناسبة العيد الثاني والعشرين لاستقلال جنوب الوطن اليمني . في الفترة من ٢٩ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩ م ، تم خلال ذلك المصادقة واقرار مشروع الدستور الدائم لدولة الوحدة ، الذي أنجزته اللجنة الدستورية المشتركة بتاريخ ١٩٨١/١٢/٣٠ م ، الموافق ٤ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ، من قبل قيادتي الشطرين ممثلة بالأخوين العقيد علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام ، وعلي سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، تنفيذاً لما ورد في ثانياً من اتفاقية الكويت ، وعلى أن تستكمل الاجراءات المتفق عليها في الاتفاقيات السابقة ، وعلى وجه الخصوص المواد التاسعة ، والعاشرة ، والحادية عشرة ، والثانية عشرة ، والثالثة عشرة من اتفاقية القاهرة ، وذلك من خلال اتخاذ الخطوات التالية :

أولاً :

أ ـ إحالة مشروع الدستور إلى مجلسي الشورى والشعب في شطري الوطن ، وذلك للموافقة عليه طبقاً للأنظمة الدستورية لكل منها خلال مدة زمنية أقصاها ستة أشهر .

ب ـ يقوم رئيسا الشطرين بتفويض من السلطتين التشريعيتين بتنظيم عمليتي الاستفتاء على مشروع الدستور ، وانتخاب سلطة تشريعية موحدة للدولة الجديدة طبقاً للدستور الجديد .

جـ ـ تنفيذاً لذلك يشكل رئيسا الشطرين لجنة وزارية مشتركة تضم إلى عضويتها وزيري الداخلية في كلا الشطرين لكي تقوم بالاشراف على هذه الأعمال ، وذلك خلال ستة أشهر على الأكثر من تاريخ موافقة السلطات التشريعية في الشطرين على مشروع الدستور ..
ويكون لهذه اللجنة كافة الصلاحيات اللازمة للقيام بمهمتها .

د ـ يدعو رئيسا الشطرين جامعة الدول العربية لايفاد ممثلين عنها للمشاركة في أعمال اللجنة .

ثانياً :

أ ـ استكمال كافة الاجراءات لتنفيذ اتفاق رمضان مايو ١٩٨٨ م ، ومنها مايتعلق بتنشيط أعمال المجلس اليمني الأعلى واللجنة الوزارية المشتركة ، واللجان الوحدوية القائمة بين الشطرين ، وتنفيذ نتائج الدورة الأولى لعام ١٩٨٩ م للجنة الوزارية المشتركة التي انعقدت في صنعاء بتاريخ ٢١ ـ ٢٣ مارس ١٩٨٩ م والاسراع في انجاز أعمال اللجان الوحدوية المشتركة خلال مدة زمنية أقصاها شهران .

ب ـالتأكيد على لجنة التنظيم السياسي الموحد بالاسراع في انجاز مهمتها التي بدأت في دورتها الأولى خلال فترة زمنية أقصاها شهران وذلك بما يكفل الاعداد لمستقبل العمل السياسي لدولة الوحدة في ضوء مشروع دستور دولة الوحدة وبما يسهم في تعزيز المسار الديمقراطي للعمل السياسي .

ثالثاً :

تلتزم قيادتا الشطرين بتنفيذ ماورد في هذا الاتفاق خلال الفترة الزمنية المحددة في مواده .

تم التوقيع على هذا في عدن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩ م الموافق الأول من جمادى الأولى ١٤١٠ هـ

علي سالم البيض

الأمين العام للجنة المركزية
للحزب الاشتراكي اليمني

العقيد / علي عبد الله صالح

رئيس الجمهورية القائد العام
للقوات المسلحة الأمين العام
للمؤتمر الشعبي العام

محضر اتفاق بشأن لجنة الحدود اليمنية

أثناء الزيارة التي قام بها الأخ العقيد علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام للشطر الجنوبي من الوطن ، على رأس وفد رسمي وشعبي كبير ، للمشاركة في احتفالاتنا الوطنية بمناسبة العيد الثاني والعشرين لاستقلال جنوب الوطن ، وذلك في الفترة من ٢٩ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩ م الموافق الأول من جمادى الاولى عام ١٤١٠ هـ وتأكيداً على حرص قيادتي الشطرين في التنسيق والتشاور حول كل مايتعلق بقضايا الحدود اليمنية ، فقد تم الاتفاق على تشكيل لجنة الحدود اليمنية من الاخوة التالية أسماؤهم :

١ ـ عبد الواسع سلام

٢ ـ أحمد محمد الارياني

٣ ـ مطهر مسعد مصلح

٤ ـ د. محمد عبد الملك العلفي

٥ ـ مسلم المنهالي

٦ ـ أحمد الخطابي

٧ ـ د. يحيى عبد الرحمن

٨ ـ محمد سعيد ظافر

٩ ـ محمد سعد

تم الاتفاق على هذا في عدن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩ م الموافق الأول من جمادى الأولى ١٤١٠ هـ

علي سالم البيض	العقيد / علي عبد الله صالح
الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني	رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام
عن الشطر الجنوبي من الوطن	عن الشطر الشمالي من الوطن

تابع للملحق بالمرفقات وتسلسل الأحداث

ننشر على الصفحات القليلة التالية بعضاً من الوثائق التي لها صلة بأحداث اليمن وهي التي ظلت سرِّية قبل السماح بنشرها لمرور الزمن عليها وقد استند إليها الصحفي والكاتب الشهير **محمد حسنين هيكل** في مؤلفه (سنوات الغليان) الذي نقلت عنه جريدة السفير اللبنانية .

وقد رأينا نشرها لنسلط شيئاً من الإضاءة على زاوية من زوايا الحرب الأهلية التي أعقبت قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ودامت حتى عام ١٩٦٧ . وقد حرصنا على الاكتفاء بنشر المراسلات التي سمحت الإدارة الأميركية وسواها بالاستناد إليها لمرور الزمن عليها كما ذكرنا . وإننا سننشر مرفقاً بهذا يحتوي على مسودات التبليغ عن قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لعثورنا عليها بين أوراقنا وهذه لم تكن سرِّية والعكس هو الصحيح أنها كانت مبعثرة وحسب .

مذكرة من (روبرت كومر) مستشار الرئيس كنيدي حول اليمن والسعودية عقب قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢

« ٤ أكتوبر ١٩٦٢

مذكرة إلى الرئيس ـ رجاء الاطلاع عليها قبل الغداء .

إن **فيصل** هنا في **الولايات المتحدة** لكي يراك . إن لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة تشير إلى أن موقف **سعود** يتهاوى بسرعة . **فيصل** هو الثاني في الصف . وهو هنا لكي يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده أن يعتمدا على **الولايات المتحدة** ، وتستطيع أن تتحدث بصراحة إليه .. (سطر محذوف) النقطة المهمة أن **فيصل** يريد بشدة نصف ساعة في حديث خاص معك لا يحضره أي من مرافقيه السعوديين . وهو يرغب في أن يتحدث إليك في مسائل تخص مستقبله الخاص ، لماذا لا تأخذه إلى الدور العلوي لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة . إن إنكليزيته معقولة وإذا أردت مترجماً أو إذا أراد هو فسوف يكون (**صباغ**) مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة .

من سوء الحظ أن التمرد في **اليمن** أوصل المخاوف السعودية من الناصرية إلى نقطة الغليان . إن أسرة **سعود** تعتقد أنها قد تكون هدف **ناصر** التالي ، إن **فيصل** يريد مساندتك من أجل جهد بريطاني ـ سعودي مشترك للعمل في **اليمن** وقد يكون من الصعب عليك أن تستجيب إلى طلبه في هذا الخصوص .

إن سياستنا الحالية في **اليمن** حتى الآن هي سياسة عدم التدخل ، وليس في إمكاننا عمل شيء على أي حال في الوقت الراهن . كما أن نظام الإمام كان أكثر النظم تخلفاً في العالم . ومن الواضح أن **ناصر** يؤيد التمرد كما أن إذاعاته لا تخفى عن **سعود** أنه الهدف التالي ، ومن هنا فإن السعوديين يشعرون أنهم مضطرون لرد الفعل ..... (ثلاثة سطور محذوفة) .

وعلى هذا الأساس فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام **فيصل** من **اليمن** إلى العلاقات الأميركية السعودية ، وفي هذا الصدد فإن أمامك :

أولاً ـ أن تؤكد **لفيصل** مرة أخرى مساندتنا للأسرة السعودية .

ثانياً ـ سياستنا تجاه ناصر .

وإذا استطعت نقل هاتين النقطتين إلى **فيصل** بوضوح أثناء الغداء فسوف يكون ذلك نجاحاً كبيراً .

إن **فيصل** كان في وقت من الأوقات موالياً لناصر ، ولكنه الآن شأن **سعود** يكرهه ويخشاه . وهو يشك في أننا غيرنا سياستنا العربية إلى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلنا المختار وأنا أحثك على أن تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك . إن تأييدنا **للسعودية** مؤكد ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير في العالم العربي . وتستطيع أن تشرح له أن سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية :

أ ـ رده إلى داخل بلاده .
ب ـ زيادة إمكانياتنا في الضغط عليه وهذا هو هدف مساعدتنا له .
جـ ـ إذا لم نساعده نحن فسوف يتجه إلى **السوفيات** وهذا سوف يكون ضاراً بمصالح أصدقائنا العرب في المنطقة .

وربما ألحت له إلى أننا نتوقع من **السعوديين** أنفسهم أن يتحركوا إلى الأمام بعض الشيء في اتجاه التحديث والتنمية . إن بعض الإصلاحات الداخلية هي أفضل طريق لمواجهة الناصرية ونحن سعداء أن هناك بعض المؤشرات المشجعة في هذا الاتجاه وإن كنا نتساءل عما إذا كانت سرعة أحداثها كافية .

أعتقد أيضاً أنه يتعين عليك أن تثير مسألة التمييز ضد **اليهود الأميركيين في السعودية** باعتبارها عاملاً يؤثر على صداقتنا . إن **سعود** كان قد وعدك في فبراير الماضي بأنه سيغير سياسته ولكننا لم نر أثراً لذلك . ونحن نفهم مشاعر **السعوديين** فيما يختص بإسرائيل ولكننا نأمل أن يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا . ولك أن تشرح له أن اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذاً على السياسة الأميركية . وعليه أن يعرف منك أن إسرائيل هنا لتبقى وسوف نعارض أي هجوم عليها . كما إننا سوف نعارض أي جهد إسرائيلي للتوسع . لا تجعل لديه أي شك في أننا سوف نواصل الوقوف بجانب أصدقائنا .

إمضاء

روبرت كومر

ملاحظة : مرفق مع هذا مجموعة من المذكرات تستطيع الاطلاع عليها إذا كان لديك وقت كما أن هناك تقريراً جديداً من الخارجية سوف يصلك عن آخر آراء **فيصل** » .

٤) اكتوبر ١٩٦٢
مذكرة الى الرئيس - رجاء الاطلاع عليها قبل الغداء.
ان فيصل هنا في الولايات المتحدة لكي يراك. ان لدينا مجموعة من التقارير المؤكدة تشير الى ان موقف سعود يتهاوى بسرعة. فيصل هو الثاني في الصف. وهوهنا لكي يعرف منك كيف يمكن له ولبلاده ان يعتمدا على الولايات المتحدة، وتستطيع ان تتحدث بصراحة اليه. (سطر محذوف) النقطة المهمة ان فيصل يريد بشدة نصف ساعة في حديث خاص معك لا يحضره اي من مرافقيه السعوديين. وهو يرغب في ان يتحدث اليك في مسائل تخص مستقبله الخاص، لماذا لا تأخذه الى الدور العلوي لفنجان قهوة بعد الغداء مباشرة - ان انكليزيته معقولة واذا اردت مترجما او اذا اراد هو فسوف يكون (صباغ) مترجم الخارجية تحت طلبك ليقوم بالترجمة.

من سوء الحظ ان التمرد في اليمن اوصل المخاوف السعودية من الناصرية الى نقطة الغليان. ان اسرة سعود تعتقد انها قد تكون هدف ناصر التالي، ان فيصل يريد مساندتك من اجل جهد بريطاني - سعودي مشترك للعمل في اليمن وقد يكون من الصعب عليك ان تستجيب الى طلبه في هذا الخصوص.

ان سياستنا الحالية في اليمن حتى الان هي سياسة عدم التدخل، وليس في امكاننا عمل شيء على اي حال في الوقت الراهن. كما ان نظام الامام كان اكثر النظم تخلفا في العالم. ومن الواضح ان ناصر يؤيد التمرد كما ان اذاعاته لا تخفى عن سعود انه الهدف التالي، ومن هنا فان السعوديين يشعرون انهم مضطرون لرد الفعل......
(ثلاثة سطور محذوفة).

وعلى هذا الأساس فقد يكون من الأفضل توجيه اهتمام فيصل من اليمن الى العلاقات الأميركية السعودية، وفي هذا الصدد فان امامك:

اولا - ان تؤكد لفيصل مرة اخرى مساندتنا للأسرة السعودية.

ثانيا - سياستنا تجاه ناصر.

واذا استطعت نقل هاتين النقطتين الى فيصل بوضوح اثناء الغداء فسوف يكون ذلك نجاحا كبيرا.

ان فيصل كان في وقت من الأوقات مواليا لناصر، ولكنه الآن شأن سعود يكرهه ويخشاه. وهو يشك في اننا غيرنا سياستنا العربية الى سياسة تؤيد ناصر باعتباره رجلنا المختار وانا احثك على ان تطرد هذه الفكرة من ذهنه بطريقة لا تحتمل الشك. ان تأييدنا للسعودية مؤكد ومن ذلك فنحن لن نتعامل مع ناصر باعتباره السيد الكبير في العالم العربي. وتستطيع ان تشرح له ان سياستنا تجاه ناصر قد رسمت لتحقيق الأهداف التالية:

أ - رده الى داخل بلاده.

ب - زيادة امكانياتنا في الضغط عليه وهذا هو هدف مساعداتنا له.

ج - اذا لم نساعده نحن فسوف يتجه الى السوفيات وهذا سوف يكون ضارا بمصالح اصدقائنا العرب في المنطقة.

وربما المحت له الى اننا نتوقع من السعوديين انفسهم ان يتحركوا الى الامام بعض الشيء في اتجاه التحديث والتنمية ان بعض الاصلاحات الداخلية هي افضل طريق لمواجهة الناصرية ونحن سعداء ان هناك بعض المؤشرات المشجعة في هذا الاتجاه وان كنا نتساءل عما اذا كانت سرعة احداثها كافية.

اعتقد ايضا انه يتعين عليك ان تثير مسألة التمييز ضد اليهود الأميركيين في السعودية باعتبارها عاملا يؤثر على صداقتنا. ان سعود كان قد وعدك في فبراير الماضي بانه سيغير سياسته ولكننا لم نر اثرا لذلك. ونحن نفهم مشاعر السعوديين في ما يختص باسرائيل ولكننا نأمل ان يتمكنوا بدورهم من فهم مشاعرنا. ولك ان تشرح له ان اهتمامنا بهذه القضية لا ينبع من جماعات ضغط تمارس نفوذا على السياسة الأميركية. وعليه ان يعرف منك ان اسرائيل هنا لتبقى وسوف نعارض اي هجوم عليها. كما اننا سوف نعارض اي جهد اسرائيلي للتوسع. لا تجعل لديه اي شك في اننا سوف نواصل الوقوف بجانب اصدقائنا.

امضاء
روبرت كومر

تبادل رسالتين بين الرئيسين جمال عبد الناصر وكنيدي حول اليمن والسعودية

نوفمبر ١٩٦٢

« البيت الأبيض ـ سري ١٧ نوفمبر ١٩٦٢

السيد الرئيس :

إنني حزين للخلافات التي نشأت بين دول ترغب **الولايات المتحدة** أن تحتفظ معها بأوثق علاقات الصداقة . كما أني شديد القلق من أن يؤدي الصراع على **اليمن** إلى تعريض استقرار المنطقة لخطر . وبناء على ذلك أناشد زعماء الدول المشتركة في هذا الصراع الآن أن يفكروا في المخاطر الكبرى التي يمكن أن تتحقق إذا ماسمحوا للتطورات الحالية بأن تمضي دون مراجعة . وبصورة شخصية وسرية فإني أقترح عليكم تنفيذ الخطة التالية للعمل من أجل تطبيع الموقف . وإني موجه رسائل مماثلة إلى جلالة الملك **حسين** وصاحب السمو **الأمير فيصل** وصاحب السعادة **عبد الله السلال** .

تتمثل العناصر الرئيسية للخطة التي أقترحها فيما يلي :

١ ـ انسحاب القوات الأجنبية من **اليمن** على مراحل وأن تكون مراحل متسارعة .

٢ ـ إنهاء المساندة الخارجية للملكيين .

٣ ـ سحب القوات التي أدخلت بعد ثورة **اليمن** إلى المنطقة المجاورة للحدود **السعودية اليمنية** على مراحل وأن تكون متسارعة .

وأتصور عند القيام بالانسحاب أن يكون هناك اتصال مباشر بين الأطراف المعنية مع قيام طرف ثالث بمساع حميدة ، وقد يكون من الممكن أيضاً إنشاء نظام للرقابة أو الإشراف على عملية فض الاشتباك بواسطة الأمم المتحدة . وسوف يكون ممثلو **الولايات المتحدة** في المنطقة على استعداد لبحث الخطط بحثاً أوفى .

وإني أقترح اتخاذ الخطوات المبدئية التالية :

١ ـ تصدر **الجمهورية العربية المتحدة** بياناً يشير إلى استعدادها لإجراء فض للاشتباك متبادل وسريع تقوم على أساسه بسحب قواتها على مراحل على أن يتم في أثناء ذلك : أ ـ نقل القوات **السعودية والأردنية** من منطقة الحدود ، ب ـ وقف المساندة **السعودية الأردنية** للملكيين اليمنيين .

٢ ـ تؤكد **الجمهورية العربية اليمنية** مجدداً وبصورة علنية نيتها احترام الالتزامات الدولية

والسعي لتطبيع علاقاتها مع جيرانها وإقامتها على أساس ودي والتركيز على الشؤون المحلية ، كما توجه **الجمهورية العربية اليمنية** نداء إلى **اليمنيين** في المناطق المجاورة ليتصرفوا كمواطنين ملتزمين بالقانون .

٣ ـ بمجرد إصدار البيانات المناسبة حسبما هو متصور فيما تقدم يمكن إعادة تنشيط فعل بعثة المعونة الأميركية **لليمن** كما تبادر **الولايات المتحدة** بإعلان اعترافها **بالجمهورية العربية اليمنية** .

وأثناء إجراء عملية فض الاشتباك المتصور ، فلنا طبعاً أن نأمل في ألا يشترك طرف من الأطراف في أنشطة تتعارض مع روح هذا التفاهم .

وإن لأتمنى تعاونكم السريع والفوري في هذه المهمة الحيوية قبل أن يدخل الصراع على **اليمن** مرحلة أشد خطورة . وليمنحنا الله جميعاً القوة والحكمة للسير بهذه المساعي المهمة إلى نهايتها الموفقة » .

المخلص

جون ف . كنيدي

« الجمهورية العربية المتحدة ـ الرئيس ١٨ نوفمبر ١٩٦٢

الرئيس جون ف . كنيدي :

إني شاكر لكم خطابكم بتاريخ ١٧ نوفمبر وما فيه من دلائل على اهتمامكم بسير الحوادث في العالم العربي .

على أنه لابد لي أن ألاحظ أن هذه أول مرة أسمح لنفسي فيها أن أناقش مشاكل العالم العربي مع طرف من خارجه . فلقد آثرت دائماً أن تبقى الخلافات الداخلية للعالم العربي في نطاقها المحلي ، برغم المحاولات المتكررة من جانب غيرنا لإخراجها من هذا الإطار .

وفي المشكلة التي طرأت أخيراً بعد الثورة **اليمنية** وما نتج عنها من مضاعفات وآثار على الحدود بين **الجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية** ، وجدت أنه لابد لي من الاستجابة لاهتمامكم ، نظراً لما أعرفه ، وما أكده لي السفير الأميركي في **القاهرة** الدكتور **جون بادر** ، من ارتباطاتكم الوثيقة **بالمملكة العربية السعودية** .

وأحب أن أؤكد لكم أنني قبلت من غير تردد اقتراحك البناء بتفادي الصدام على حدود **اليمن** ، ولقد كان ذلك أصلاً وأساساً هو الهدف الذي من أجله ذهبت قوات من **الجمهورية العربية المتحدة** إلى **اليمن** . . ولقد حاولنا ذلك سلماً بمختلف البيانات التي صدرت عن **الجمهورية العربية المتحدة** وعبرت عن سياستها تجاه الثورة الوطنية في **اليمن** ، وأبرزها البيان الذي أذيع من **القاهرة** في الساعات الأولى من يوم ٢٧ سبتمبر بضرورة عدم التدخل الخارجي في شؤون **اليمن** وترك الشعب اليمني حراً في

أعمال إرادته وصياغتها على النحو الذي يريده . ومن سوء الحظ أن صاحب الجلالة **الملك سعود** أخذ الأمر على غير وجهته الصحيحة . فلقد تصور الثورة في **اليمن** معركة بين النظامين الملكي والجمهوري ، ومن ثم فإنه بهذا التصور غير الصحيح اندفع بكل طاقته وإمكانياته إلى محاولة لغزو **اليمن** من الخارج . ولعلكم علمتم أن عدداً من الطيارين **السعوديين** الأحرار الذين كلفوا بأعمال عدوانية ضد ثورة **اليمن** قادوا طائراتهم إلى **القاهرة** بدافع من ضميرهم القومي ، وكانت هذه الطائرات أميركية الصنع ، كما أن حمولتها من الأسلحة والذخائر كانت لاتزال في صناديق المعونة الأميركية .

ولقد كان ذلك بالنسبة إلينا ـ فضلاً عما ينطوي عليه من نوايا عدوانية ـ دليلاً على أن نداءنا للجميع بالابتعاد عن حدود **اليمن** وعدم التدخل في شؤونه الداخلية ، وتجنب فرض الحرب عليه من وراء الحدود ، لم يجد أذناً صاغية في الرياض . ومن ثم كانت استجابتنا ضرورية لطلب حكومة **الجمهورية العربية اليمنية** بوضع بعض قواتنا تحت تصرفها لتشترك معها في الدفاع ضد الهجمات العنيفة التي تتعرض لها حدودها الشمالية في منطقة **صعده** في ذلك الوقت ، والتي اتخذت من منطقة **نجران** في **السعودية** قاعدة لها .

وأؤكد لك أن **الجمهورية العربية المتحدة** تملك الوثائق التي تثبت أن بعض الطيارين الأميركيين اشتركوا في عمليات نقل العتاد والجنود مابين **الأردن** و**السعودية** إلى حدود **اليمن** . على أننا نعرف أن هؤلاء الطيارين وقد كانوا في خدمة الخطوط الجوية السعودية ، كانوا يعملون تحت عقود ملزمة ، وفي إطار ظروف فرضت عليهم ماقاموا به . وربما لم تكن أبعاد المسؤولية عما فعلوا واضحة أمامهم » .

ومضى **جمال عبد الناصر** في رسالته إلى **كنيدي** يقول بالنص :

« إن **الجمهورية العربية المتحدة** لاتريد حرباً مع **السعودية** على حدود **اليمن** . فإن الخلاف التاريخي بين حكومة **المملكة العربية السعودية** وبين **الجمهورية العربية اليمنية** ليس خلافاً من النوع الذي يحسمه الصدام المسلح وإنما هو خلاف يضرب بجذوره في أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة في العالم العربي ومحاولة آمال المستقبل أن تنزع نفسها من بقايا الماضي ورواسبه ، فقد كنا ـ يعلم الله ـ حريصين على تجنب القوة حفاظاً على كل نقطة دم عربية . ومن حسن الحظ أن القوات المسلحة في **السعودية** و**الأردن** بذلت من جانبها جهداً واضحاً لتحذير الراغبين في العدوان . وقد تجلى ذلك في مجيء طلائع من الطيارين الأردنيين إلى **القاهرة** حيث لحقوا بزملائهم السعوديين ، وكان يتقدمهم القائد العام لسلاح الطيران الملكي الأردني » .

واستطرد **جمال عبد الناصر** بعد ذلك في رسالته فناقش مقترحات **كنيدي** وأبدى استعداداً للموافقة عليها بعد التشاور مع الحكومة اليمنية .

«البيت الابيض - سري ١٧ نوفمبر ١٩٦٢

السيد الرئيس

انني حزين للخلافات التي نشأت بين دول ترغب الولايات المتحدة ان تحتفظ معها بأوثق علاقات الصداقة. كما أني شديد القلق من ان يؤدي الصراع على اليمن الى تعريض استقرار المنطقة للخطر. وبناء على ذلك أناشد زعماء الدول المشتركة في هذا الصراع الآن ان يفكروا في المخاطر الكبرى التي يمكن ان تتحقق اذا ما سمحوا للتطورات الحالية بأن تمضي دون مراجعة. وبصورة شخصية وسرية فأني اقترح عليكم تنفيذ الخطة التالية للعمل من اجل تطبيع الموقف. واني موجه رسائل مماثلة الى جلالة الملك حسين وصاحب السمو الامير فيصل [٧] وصاحب السعادة عبد الله السلال.

تتمثل العناصر الرئيسية للخطة التي اقترحها في ما يلي:

١ - انسحاب القوات الاجنبية من اليمن على مراحل وان تكون مراحل متسارعة.

٢ - انهاء المساندة الخارجية للملكيين.

٣ - سحب القوات التي ادخلت بعد ثورة اليمن الى المنطقة المجاورة للحدود السعودية اليمنية على مراحل وان تكون متسارعة[٨].

واتصور عند القيام بالانسحاب ان يكون هناك اتصال مباشر بين الاطراف المعنية مع قيام طرف ثالث بمساع حميدة، وقد يكون من الممكن ايضا انشاء نظام للرقابة او لاشراف على عملية فض الاشتباك بواسطة الامم المتحدة. وسوف يكون ممثلو الولايات المتحدة في المنطقة على استعداد لبحث الخطط بحثا أوفى.

واني اقترح إتخاذ الخطوات المبدئية التالية:

١ - تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا يشير الى ستعدادها لاجراء فض للاشتباك متبادل وسريع تقوم على ساسه بسحب قواتها على مراحل على ان يتم في اثناء لك: أ - نقل القوات السعودية والاردنية من منطقة لحدود، ب - وقف المساندة السعودية الاردنية للملكيين يمنيين.

٢ - تؤكد الجمهورية العربية اليمنية مجددا وبصورة لمنية نيتها احترام الالتزامات الدولية والسعي لتطبيع لاقاتها مع جيرانها واقامتها على اساس ودي والتركيز على شؤون المحلية، كما توجه الجمهورية العربية اليمنية لنداء ، اليمنيين في المناطق المجاورة[٩] ليتصرفوا كمواطنين تزمين بالقانون.

٣ - بمجرد اصدار البيانات المناسبة حسبما هو متصور في تقدم يمكن اعادة تنشيط فعل بعثة المعونة الاميركية حن كما تبادر الولايات المتحدة باعلان إعترافها لجمهورية العربية اليمنية.

واثناء اجراء عملية فض الاشتباك المتصور، فلنا طبعا نأمل في الا يشترك طرف من الاطراف في أنشطة ارض مع روح هذا التفاهم.

واني لأتمنى تعاونكم السريع والفوري في هذه المهمة رية قبل ان يدخل الصراع على اليمن مرحلة أشد ورة. وليمنحنا الله جميعا القوة والحكمة للسير بهذه اعي المهمة الى نهايتها الموفقة.

المخلص

جون ف. كنيدي»

□

«الجمهورية العربية المتحدة - الرئيس
١٨ نوفمبر ١٩٦٢

الرئيس جون ف. كنيدي

اني شاكر لكم خطابكم بتاريخ ١٧ نوفمبر وما فيه من دلائل على اهتمامكم بسير الحوادث في العالم العربي

على انه لا بد لي ان الاحظ ان هذه اول مرة اسمح لنفسي فيها ان أناقش مشاكل العالم العربي مع طرف من خارجه. فلقد آثرت دائما ان تبقى الخلافات الداخلية للعالم العربي في نطاقها المحلي، برغم المحاولات المتكررة من جانب غيرنا لاخراجها من هذا الاطار.

وفي المشكلة التي طرأت اخيرا بعد الثورة اليمنية وما نتج عنها من مضاعفات وآثار على الحدود بين الجمهورية العربية اليمنية والمملكة العربية السعودية - وجدت انه لا بد لي من الاستجابة لاهتمامكم، نظرا لما اعرفه، وما اكده لي السفير الاميركي في القاهرة الدكتور «جون بادو»، من ارتباطاتكم الوثيقة بالمملكة العربية السعودية.

واحب ان أؤكد لكم انني قبلت من غير تردد اقتراحك البناء بتفادي الصدام على حدود اليمن، ولقد كان ذلك اصلا واساسا هو الهدف الذي من أجله ذهبت قوات من الجمهورية العربية المتحدة الى اليمن. ولقد حاولنا ذلك سلميا بمختلف البيانات التي صدرت عن الجمهورية العربية المتحدة وعبرت عن سياستها تجاه الثورة الوطنية في اليمن، وأبرزها البيان الذي أذيع من القاهرة في الساعات الاولى من يوم ٢٧ سبتمبر بضرورة عدم التدخل الخارجي في شؤون اليمن وترك الشعب اليمني حرا في اعمال ارادته وصياغتها على النحو الذي يريده. ومن سوء الحظ ان صاحب الجلالة الملك سعود اخذ الامر على غير وجهته الصحيحة. فلقد تصور الثورة في اليمن معركة بين النظامين الملكي والجمهوري، ومن ثم فانه بهذا التصور غير الصحيح اندفع بكل طاقته وامكانياته الى محاولة لغزو اليمن من الخارج. ولعلكم علمتم ان عددا من الطيارين السعوديين الاحرار الذي كلفوا بأعمال عدوانية ضد ثورة اليمن قادوا طائراتهم الى القاهرة بدافع من ضميرهم القومي، وكانت هذه الطائرات اميركية الصنع، كما ان حمولتها من الاسلحة والذخائر كانت لا تزال في صناديق المعونة الاميركية.

ولقد كان ذلك بالنسبة الينا - فضلا عما ينطوي عليه من نوايا عدوانية - دليلا على ان نداءنا للجميع بالابتعاد عن حدود اليمن وعدم التدخل في شؤونه الداخلية، وتجنب فرض الحرب عليه من وراء الحدود - لم يجد أذنا صاغية في الرياض. ومن ثم كانت استجابتنا ضرورية لطلب حكومة الجمهورية العربية اليمنية بوضع بعض قواتنا تحت تصرفها تشترك معها في الدفاع ضد الهجمات العنيفة التي تتعرض لها حدودها الشمالية في منطقة «صعده» في ذلك الوقت،

والتي اتخذت من منطقة نجران في السعودية قاعدة

وأؤكد لك ان الجمهورية العربية المتحدة تملك الو

التي تثبت ان بعض الطيارين الاميركيين اشتركو

عمليات نقل العتاد والجنود ما بين الاردن والسعودية

حدود اليمن. على أننا نعرف ان هؤلاء الطيارين

كانوا في خدمة الخطوط الجوية السعودية كانوا يعم

تحت عقود ملزمة، وفي اطار ظروف فرضت عليهم

قاموا به. وربما لم تكن ابعاد المسؤولية عما فعلوا واض امامهم».

ومضى «جمال عبد الناصر» في رسالته الى «كنيد. يقول بالنص:

« ان الجمهورية العربية المتحدة لا تريد حربا السعودية على حدود اليمن. فان الخلاف التاريخي حكومة المملكة العربية السعودية وبين الجمهورية العر اليمنية ليس خلافا من النوع الذي يحسمه الصدام المسا وانما هو خلاف يضرب بجذوره في اعماق الارض الاجتماعية السائدة في العالم العربي ومحاولة آمال المستق ان تنزع نفسها من بقايا الماضي ورواسبه، فقد كنا - بعد الله - حريصين على تجنب القوة حفاظا على كل قطرة د عربية. ومن حسن الحظ ان القوات المسلحة في السعودي والاردن بذلت من جانبها جهدا واضحا لتحذير الراغبي في العدوان. وقد تجلى ذلك في مجيء طلائع من الطيارين الاردنيين الى القاهرة حيث لحقوا بزملائهم السعوديين وكان يتقدمهم القائد العام لسلاح الطيران الملكي الاردني».

واستطرد «جمال عبد الناصر» بعد ذلك في رسالت فناقش مقترحات «كنيدي» وأبدى استعدادا للموافقة عليها بعد التشاور مع الحكومة اليمنية.

نص رسالتين من الرئيس جمال عبد الناصر إلى عبد الحكيم عامر

وقد ألغت الثانية التعليمات التي احتوت عليها الأولى

وذلك يوم ١٧ و ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ قبيل اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجمهوري وبسبب موضوع الاعتراف

ويعود اعتراف أميركا بالنظام الجمهوري ليوم ١٩ ديسمبر مما سمح للوفد الجمهوري المؤلف آنذاك من الأستاذ محسن العيني ومؤلف هذا الكتاب

وكان ذلك يوم ٢١ ديسمبر ١٩٦٢ وهو يوم انتهاء دورة الجمعية العمومية للأمم المتحدة

ويلي التحريرين ماكتبه الأستاذ هيكل ونقلناه عن صحيفة السفير اللبنانية

١٧ و ١٨ ديسمبر ١٩٦٢

● يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٢ ، وفي الوقت الذي كان فيه جون كنيدي على وشك إعلان اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الثوري في اليمن ، كان جمال عبد الناصر غير مقتنع بصدق نوايا الرئيس الأميركي ، وقد كتب بخط يده خطاباً إلى عبد الحكيم عامر الذي ذهب إلى اليمن ليشرف على معركة لتطهير أطراف الحدود اليمنية من إغارات وقعت عليها وتمكنت من احتلال بعض أراضيها . وبالذات في منطقة الجوف وكانت صورة المخطط الكامل للهجوم على الجمهورية العربية اليمنية أمامه كاملة ، فإن أجهزة التقاط الإشارات وحل الشفرات في المخابرات العامة كانت تتابع الأجواء في المنطقة وتتعقب معظم الموجات العابرة فيها . وكتب جمال عبد الناصر من القاهرة بخط يده إلى عبد الحكيم عامر في صنعاء يقول له بالحرف :

« عزيزي عبد الحكيم :

تقبل تحياتي ، وأرجو من الله أن يوفقنا ، وقلبي معك وأشعر باطمئنان ، وسينصرنا الله لأننا نحارب بلا هدف إلا قضية الحرية وتأكيدها ، وقضية الثورة التي هي حق لكل شعب مغلوب على أمره .

من تتبعي للإشارات الملتقطة أشعر أن العدو مستمر في الحشد وتكديس السلاح والذخيرة والمفرقعات في نجران ومنها يحولها إلى عبد الله بن الحسن ، والحسن ، وعبد الله بن الحسن . كما أن هناك طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدأت تصل إلى نجران . وصلت الطائرة الأولى أمس ، وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر ، والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر ، والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر . والمفهوم أن هذه الطائرات ستصل إلى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات إلى نجران وجيزان

والذخيرة بالسيارات . كذلك تكدس الآن متفجرات في نجران وجيزان ، كل هذا مع استمرار نقل الأسلحة والذخيرة إلى نجران وجيزان . وأنا الآن أشد اقتناعاً بأن علينا أن نهاجم نجران وجيزان وننقل معركتنا من الدفاع إلى الهجوم . وفي رأيي أن الوساطة الأميركية كانت خدمة الغرض منها تخفيف حماسنا واندفاعنا ومنعنا من القيام بأي عمل ضد قواعد العدو في السعودية » .

● وفي اليوم التالي ـ ١٨ ديسمبر ـ تأكد جمال عبد الناصر أن كنيدي على وشك الاعتراف فعلاً بحكومة الثورة في صنعاء وأن هذا الاعتراف على وشك أن يعلن خلال ساعات ، وكتب إلى عبد الحكيم عامر بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ وبخط يده يقول له :

« عزيزي عبد الحكيم :

تقبل سلامي وتحياتي . أكتب إليك الآن في المساء قبل سفر شمس عن التطورات الأخيرة بالنسبة لاعتراف أميركا بالجمهورية اليمنية وكذلك الغرب وتأثير ذلك . قابل علي صبري السفير الأميركي قبل ظهر اليوم . وتم الاتفاق على أن يعلن بياننا الساعة الحادية عشرة مساء . وعلى أن يصدر البيان الأميركي ظهراً باكراً بتوقيت واشنطن أو الساعة السادسة بتوقيت القاهرة . وقد أبلغ علي صبري السفير الأميركي أن سير الأمور في الأراضي السعودية على حدود اليمن وخصوصاً في نجران يدل على أن السعودية لن تلتزم بما جاء في جواب كنيدي عن الـ disngagment لأنهم يقدمون الأسلحة والذخائر ، إلخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الأموال وكان الرد أنهم سيضغطون لإنهاء تلك .....

عموماً بعد اعتراف أميركا أعتقد أن ما جاء في جوابي بالأمس أصبح الآن سابقاً لوقته أو في حاجة لإعادة النظر من جديد ، وفي رأيي أن الواجب أن نحاول سياسياً مرة أخرى للوصول إلى إيقاف النشاط السعودي ، وإذا لم يتحقق ذلك فالخطوة التالية تكون إنذاراً بهدم قواعد الدعوان ...

إني على يقين أن فيصل لن يسكت ولكن بعد ظهور العامل الجديد باعتراف الغرب وفيه كسب معنوي ومعناه أن الثورة اليمنية توطدت وعجزوا عن قهرها فالتوقيت يحتاج لبحث ... من المهم وضع السلال في الصورة عن نشاط السعودية على الحدود وهذا واضح في تقارير المخابرات الملتقطة حتى لا يطمئن إلى أن أميركا ستوقف كل شيء ضده في الحال . ففيصل سيعمل والبدر وكذلك الإنكليز باستمرار للضغط على الجمهورية اليمنية » .

ويوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ بعث جمال عبد الناصر ببرقية شفرية عاجلة إلى الرئيس عبد الله السلال يقترح عليه فيها قبول المقترحات الأميركية . ووافق السلال وفهمت القاهرة بعد ذلك أن الأطراف على الجانب الآخر قد وافقت أيضاً ، فقد أعلن أن الرئيس كنيدي عين ممثلاً خاصاً له لتنفيذ مشروعه الخاص بحل الأزمة في اليمن ، وهو السفير المخضرم الزورث بانكر ، كذلك كلفت الأمم المتحدة بإرسال

هيئة مراقبين وطار مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة وهو الدكتور رالف بانش إلى صنعاء لترتيب إجراءات عمل فريق المراقبين الدوليين .

وبعد أن قام الدكتور رالف بانش بجولة سريعة في اليمن عاد إلى صنعاء وكان أول تعليق له هو قوله مرتاعاً :

« لقد كنت حتى الآن أتصور أنني رأيت أسوأ صور التخلف في الكونغو ، ولكن ما رأيته هنا في اليمن أقنعني بأن هناك ما هو أسوأ في التخلف من الكونغو » .

وفي ساعة متأخرة من مساء يوم ١٩ ديسمبر أعلن الرئيس جون كنيدي أن حكومة الولايات المتحدة تعترف اعترافاً فعلياً وقانونياً بالجمهورية العربية اليمنية .

وأحدث ذلك الاعتراف رضاً عميقاً في القاهرة وفي صنعاء وفي مواقع أخرى من العالم العربي . ولكن عواصف الغضب ثارت في عواصم عربية أخرى وفي مراكز للمصالح والنفوذ خارج العالم العربي !

● يوم ١٧ ديسمبر ١٩٦٢، وفي الوقت الذي كان فيه «جون كنيدي» على وشك اعلان اعتراف الولايات المتحدةبالنظام الثوري في اليمن ـ كان «جمال عبد الناصر» غير مقتنع بصدق نوايا الرئيس الاميركي، وقد كتب بخط يده خطابا الى «عبد الحكيم عامر» الذي ذهب الى اليمن ليشرف على معركة لتطهير أطراف الحدود اليمنية من اغارات وقعت عليها وتمكنت من احتلال بعض أراضيها. وبالذات في منطقة «الجوف» وكانت صورة المخطط الكامل للهجوم على الجمهورية العربية اليمنية أمامه كاملة، فان اجهزة التقاط الاشارات وحل الشفرات في المخابرات العامة كانت تتابع الاجواء في المنطقة وتتعقب معظم الموجات العابرة فيها. وكتب «جمال عبد الناصر» من القاهرة بخط يده الى «عبد الحكيم عامر» في صنعاء يقول له بالحرف:

«عزيزي عبد الحكيم[١]

تقبل تحياتي، وأرجو من الله أن يوفقنا، وقلبي معك وأشعر باطمئنان، وسينصرنا الله لأننا نحارب بلا هدف الا قضية الحرية وتأكيدها، وقضية الثورة التي هي حق لكل شعب مغلوب على أمره.

من تتبعي للاشارات الملتقطة أشعر ان العدو مستمر في الحشد وتكديس السلاح والذخيرة والمفرقعات في نجران ومنها يحولهاالى عبد الله بن الحسن، والحسن، وعبدالله بن الحسن. كما ان هناك طائرات محملة بالسلاح والذخيرة من بلجيكا بدأت تصل الى نجران. وصلت الطائرة الأولى امس، وستصل الثانية يوم ٢٨ ديسمبر، والثالثة والرابعة يوم ٢٩ ديسمبر، والخامسة يوم ٣٠ ديسمبر. والمفهوم ان هذه الطائرات ستصل الى الطائف ومنها تنقل البنادق بالطائرات الى نجرانوجيزان والذخيرة بالسيارات. كذلك تكدس الان متفجرات في نجران وجيزان، كل هذا مع استمرار نقل الأسلحة والذخيرة الى نجران وجيزان. وأنا الآن أشد اقتناعا بأن علينا ان نهاجم نجران وجيزان وننقل معركتنا من الدفاع الى الهجوم. وفي رأيي ان الوساطة الاميركية كانت خدمة الغرض منها تخفيف حماسنا واندفاعنا ومنعنا من القيام بأي عمل ضد قواعد العدو في السعودية».

● وفي اليوم التالي ـ ١٨ ديسمبر ـ تأكد «جمال عبد الناصر» ان «كنيدي على وشك الاعتراف فعلا بحكومة الثورة في صنعاء وان هذا الاعتراف على وشك ان يعلن خلال ساعات، وكتب الى «عبد الحكيم عامر» بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ ـ وبخط يده[٢] يقول له:

«عزيزي عبد الحكيم

تقبل سلامي وتحياتي. أكتب اليك الآن في المساء قبل سفر شمس[٣] عن التطورات الأخيرة بالنسبة لاعتراف اميركا بالجمهورية اليمنية وكذلك الغرب وتأثير ذلك. قابل علي صبري السفير الاميركي قبل ظهر اليوم. وتم الاتفاق على ان يعلن بياننا الساعة الحادية عشرة مساء. وعلى أن يصدر البيان الاميركي ظهراً باكراً بتوقيت «واشنطن» او الساعة السادسة بتوقيت القاهرة. وقد أبلغ علي صبري السفير الأميركي أن سير الأمور في الأراضي السعودية على حدود اليمن وخصوصا في نجران يدل على ان السعودية لن تلتزم بما جاء في جواب كنيدي عن الـ disngagment* لأنهم يقدمون الأسلحة والذخائر، الخ ويدفعون المتسللين ويدفعون الأموال وكان الرد انهم سيضغطون لانهاء تلك.....

عموما بعد اعتراف اميركا اعتقد ان ما جاء في جوابي بالأمس أصبح الآن سابقا لوقته أو في حاجة لاعاده النظر من جديد، وفي رأيي ان الواجب ان نحاول سياسيا مرة أخرى للوصول الى ايقاف النشاط السعودي، واذا لم يتحقق ذلك فالخطوة التالية تكون انذارا بهدم قواعد العدوان....

أني على يقين ان فيصل لن يسكت ولكن بعد ظهور العامل الجديد باعتراف الغرب وفيه كسب معنوي ومعناه ان الثورة اليمنيةتوطدت وعجزواعن قهرها فالتوقيت يحتاج لبحث.... من المهم وضع السلال في الصورة عن نشاط السعودية على الحدود وهذا واضح في تقارير المخابرات الملتقطة حتى لا يطمئن الى أن اميركا ستوقف كل شيء ضده في الحال ففيصل سيعمل والبدر وكذلك الانكليز باستمرار للضغط على الجمهورية اليمنية».

ويوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ بعث «جمال عبد الناصر» ببرقية شفرية عاجلة الى الرئيس «عبد الله السلال» يقترح عليه فيها قبول المقترحات الاميركية. ووافق «السلال» وفهمت القاهرة بعد ذلك ان الاطراف على الجانب الآخر قد وافقت ايضا، فقد اعلن ان الرئيس «كنيدي» عين ممثلا خاصا له لتنفيذ مشروعه الخاص بحل الازمة في اليمن، وهو السفير المخضرم «الزورث بانكر»، كذلك كلفت الامم المتحدة بارسال هيئة مراقبين وطار مساعد السكرتير العام للامم المتحدة وهو الدكتور «رالف بانش» الى صنعاء لترتيب اجراءات عمل فريق المراقبين الدوليين.

وبعد ان قام الدكتور «رالف بانش» بجولة سريعة في اليمن عاد الى صنعاء وكان اول تعليق له هو قوله مرتاعا:

«لقد كنت حتى الآن اتصور انني رأيت أسوأ صور التخلف في الكونغو، ولكن ما رأيته هنا في اليمن اقنعني بأن هناك ما هو أسوأ في التخلف من الكونغو»[١٠].

□

وفي ساعة متأخرة من مساء يوم ١٩ ديسمبر اعلن الرئيس «جون كنيدي» ان حكومة الولايات المتحدة تعترف اعترافا فعليا وقانونيا بالجمهورية العربية اليمنية.

وأحدث ذلك الاعتراف رضا عميقا في القاهرة وفي صنعاء وفي مواقع اخرى من العالم العربي. ولكن عواصف الغضب ثارت في عواصم عربية اخرى وفي مراكز للمصالح والنفوذ خارج العالم العربي!

النص الكامل لرسالتين متبادلتين بين الرئيس كنيدي والرئيس جمال عبد الناصر في أوائل مارس ١٩٦٣

« البيت الأبيض

عزيزي الرئيس :

عندما انبريتم أنتم وأنا لما اعتبرناه معاً علاقة متبادلة تبشر بالخير ، اتفقنا على أنه من الضروري أن تستند علاقتنا إلى أقصى حد من الصراحة من الجانبين . أما وقد تابعت عن كثب طويل العذاب الذي سارت فيه أحداث اليمن ، فقد بت أخشى أن تكون هذه المسألة قد أثارت أسباباً لسوء الفهم ، وما لم نتحدث بصراحة مع بعضنا البعض فيها ، فإن الإساءة قد تلحق بعلاقاتنا الآخذة في النمو .

عندما وافقت **الجمهورية العربية المتحدة** على الاضطلاع بالتزامات معينة كان لدي الأمل بأنا أحرزنا تقدماً كبيراً ، لكنني الآن أستشعر أن هناك شكوكاً تثور عندكم من ناحية **الولايات المتحدة** . فقد تتصورون أن **الولايات المتحدة** بسبب امتناع **المملكة العربية السعودية** عن سحب مساندتها للملكيين ، كانت تتبع في **اليمن** سياسة مزدوجة . دعني أؤكد لكم تأكيداً قاطعاً بأن الأمر ليس كذلك . إننا عملنا وسنعمل كل ماهو ضروري لحماية مصالحنا الحيوية في **شبه الجزيرة العربية** ولكن حسابات ذلك قد تمت بأقصى دقة حتى لا يكون حرصنا على مصالحنا معناه في النهاية تأييد السياسات **السعودية** في **اليمن** .

ولعل ماهو أخطر من ذلك هو الإحساس المحتمل من جانب **الجمهورية العربية المتحدة** بأننا ينبغي أن نكون قادرين على إرغام **السعوديين** على فض الاشتباك في **اليمن** . ودعني أصارحك مرة أخرى بأننا كنا نحث **فيصل** على فض الاشتباك بإقناعه بأن ذلك يحقق مصلحته الخاصة . على أنكم تعرفون حق المعرفة بأن استعمال الضغط الإرغامي على أي زعيم من أصدقائنا ليس أسلوباً تأخذ به **الولايات المتحدة** ، ثم أن **فيصل** لن يستجيب له . وهو يرى في هذه اللحظة أن سياسته تجاه **اليمن** هي سياسة ضرورية للحفاظ على هيبة **المملكة العربية السعودية** بالذات . وأخشى أن تكون أقوال وأفعال **الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية** هي التي ساعدت على إقناعه بهذا الأمر . والواقع أننا كلما شعرنا في كل مرة بأننا نحرز شيئاً من التقدم نحو فض الاشتباك ، وجدنا أنفسنا نرتد على أعقابنا بسبب عمليات مثل الغارة على **نجران** . ومن المتعين أن أقول لك بكل صراحة بأن هذه الأفعال ـ كما تبدو لنا من هنا ـ لا تؤدي إلى تخويف **فيصل** بل تؤدي إلى إثارة حنقه . وفي

رأيي أن هذا الموقف يحتاج إلى صبر وإلى ممارسة تلك الحنكة السياسية التي أطريناها نحن وغيرنا فيكم في مناسبات سابقة .

وبالمثل فإن أسباب التردد في الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية من جانب الحكومة البريطانية إنما تنبعث بوضوح من قلق هذه الحكومة حول عدن ، كما أن التهديدات المتكررة التي رددها السلال لن تؤدي إلا إلى زيادة هذه المخاوف ، في حين أنني أثق أن عبارات التطمين إنما تساعد على تحقيق اعتراف الحكومة البريطانية بالجمهورية العربية اليمنية . وأنا أرغب رغبة صادقة في حدوث هذا الاعتراف ، ولكني لست في وضع يسمح لي بأن أضغط على الحكومة البريطانية لكي تعترف في مواجهة بيانات غير حكيمة تصدر من صنعاء .

وفي يقيني أننا قدمنا فعلاً برهاناً كافياً على صدق اهتمامنا بالعلاقات الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة . وقد تذكرون أننا بذلنا كل جهد لكي نتأكد من أن مصالحنا الخاصة في عدن وفي شبه الجزيرة العربية مفهومة من جانبكم . وإذا استطعنا تحقيق الفهم الكامل على الناحيتين فإنني لاأرى سبباً يعوق علاقات تبعث على الرضا بين بلدينا . وآمل أن يكون في وسع الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة السعي إلى تحقيق هذا الهدف بثقة وفهم متبادلين ، وعلينا أن نهتدي إلى صيغة تهيئ لفيصل سنداً علنياً ومقبولاً لفض الاشتباك . وفي وسع السفير بادو أن يوضح لكم أكثر ما يجول في خاطري . وإني لآمل أن يساعد هذا الخطاب على تصفية الجو بيننا علماً بأنه يوجد في بلدينا كثيرون يشككون فيما إذا كان من الممكن فعلاً قيام علاقات طيبة بيننا . وفي اعتقادي أن هؤلاء على خطأ ولكن علينا نحن أن نبرهن لهم بأنفسنا أنهم على خطأ » .

المخلص

جون كنيدي

وفي ٣ مارس ١٩٦٣ بعث جمال عبد الناصر برده على كنيدي . وجاء في رسالته بالنص ما يلي :

« عزيزي الرئيس :

شكراً لكم على رسالتكم الأخيرة التي حوت إيضاحات قيمة تتعلق بالجهود التي تبذلونها لإيجاد حل للمشاكل التي أعقبت ثورة اليمن . والحقيقة أنني أحسست أن هذه الرسالة في حد ذاتها دليل على متابعة سليمة للموقف في الشرق العربي ومضاعفاته السياسية ، بل وحتى عقده النفسية .

والواقع ، كما لاحظت في رسالتكم ، أنه كانت هناك شكوك حول مساعي الولايات المتحدة في مشكلة اليمن ، وكانت حجة هذه العناصر في شكوكها أن الولايات المتحدة لها ارتباطات مع قوى

معادية للقومية العربية وللثورة العربية تؤثر في سياساتها تأثيراً لا سبيل إلى تجاهله ومع أني شخصياً أتفق مع هذه العناصر الوطنية العربية في بعض ماتذهب إليه نتيجة لتجارب طويلة سبقت ، فإني أريد أن أقول لكم أنني بالنسبة لمسعاكم في مشكلة اليمن ، كنت مطمئناً إلى سلامة مقاصدكم وكان منطقي في ذلك ولقد شرحته بنفسي لكثيرين من رفاقي يستند على إحساسي بأن صدور المسعى الأميركي منكم شخصياً لابد أن يستبعد من فكرنا كل شك في أن تكون المحاولة كلها مجرد مناورة سياسية . وكان رأيي وما يزال أن **الولايات المتحدة** حتى وإن أرادت المناورة السياسية ليست في حاجة إلى الزج برئيس **الولايات المتحدة** نفسه في مثل هذه المحاولة » .

ثم مضى الرئيس بعد ذلك يقول أنه يريد « تحديد بعض النقاط العملية لتكون أمامكم وتحت نظركم هي على النحو التالي :

أولاً ـ إن **الجمهورية العربية المتحدة** ماتزال مفتوحة الفكر لكل مسعى يعزز السلام القائم على العدل .

ثانياً ـ إن **الجمهورية العربية المتحدة** لاتريد أن تتدخل في الطريقة التي قد تحاولون بها إقناع أصدقائكم بما ترونه مناسباً حتى لمصلحتهم أنفسهم ، ولا تملك **الجمهورية العربية المتحدة** أن تفرض ـ ولا حتى أن تشير ـ بشيء في هذا الصدد بغية إقناع **الأسرة المالكة السعودية** بعدم جدوى العدوان ، أو بإقناع **الحكومة البريطانية** بعدم جدوى تجاهل الحقائق ، ونحن نؤمن أن حركة التاريخ سوف تتولى نيابة عنكم وعنا إقناعهم بحتمية التطور .

ثالثاً ـ إن **الجمهورية العربية المتحدة** في إيمانها بحتمية التطور لاتجد نفسها بحكم مسؤولياتها العربية ، قادرة على الوقوف مكتوفة اليدين أمام محاولات متعددة وعدوانية للتصدي لحق شعوب الأمة العربية في صنع مستقبلها بالكرامة والحرية .

وفي الختام ـ يا عزيزي الرئيس ـ فإننا نسجل لكم بالتقدير العميق كل مشاعركم ومساعيكم الحميدة . ونتمنى من قلوبنا أن يكتب لها النجاح الذي تستحقه » .

إمضاء

جمال عبد الناصر

والبيت الأبيض

عزيزي الرئيس

عندما أنبريتم أنتم وأنا لما اعتبرناه مها علاقة متبادلة تبشر بالخير ـ اتفقنا على انه من الضروري ان تستند علاقتنا الى أقصى حد من الصراحة من الجانبين. أما وقد تابعت عن كثب طويل العذاب الذي سارت فيه أحداث اليمن، فقد بت أخشى ان تكون هذه المسالة قد أثارت أسبابا لسوء التفهم، وما لم نتحدث بصراحة مع بعضنا البعض فيها، فان الاساءة قد تلحق بعلاقاتنا الآخذة في النمو.

عندما وافقت الجمهورية العربية المتحدة على الاضطلاع بالتزامات معينة كان لدي الأمل بأنا أحرزنا تقدما كبيرا، لكنني الآن أستشعر ان هناك شكوكا تثور عندكم من ناحية الولايات المتحدة. فقد تتصورون ان الولايات المتحدة بسبب امتناع المملكة العربية السعودية عن سحب مساندتها للملكيين ـ كانت تتبع في اليمن سياسة مزدوجة. دعني اؤكد لكم تأكيدا قاطعا بأن الأمر ليس كذلك. اننا عملنا وسنعمل كل ما هو ضروري لحماية مصالحنا الحيوية في شبه الجزيرة العربية ولكن حساباتنا ذلك قد تمت بأقصى دقة حتى لا يكون حرصنا على مصالحنا معناه في النهاية تأييد السياسات السعودية في اليمن.

ولعل ما هو أخطر من ذلك هو الاحساس المحتمل من جانب الجمهورية العربية المتحدة بأننا ينبغي ان نكون قادرين على ارغام السعوديين على فض الاشتباك في اليمن. ودعني أصارحك مرة أخرى بأننا كنا نحث فيصل على فض الاشتباك باقناعه بأن ذلك يحقق مصلحته الخاصة. على أنكم تعرفون حق المعرفة بان استعمال الضغط الارغامي على أي زعيم من أصدقائنا ليس أسلوبا تأخذ به الولايات المتحدة، ثم أن فيصل لن يستجيب له. وهو يرى في هذه اللحظة ان سياسته تجاه اليمن هي سياسة ضرورية للحفاظ على هيبة المملكة العربية السعودية بالذات. وأخشى ان تكون أقوال وأفعال الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية هي التي ساعدت على اقناعه بهذا الأمر. والواقع إننا كلما شعرنا في كل مرة باننا نحرز شيئا من التقدم نحو فض الاشتباك ـ وجدنا انفسنا نرتد على أعقابنا بسبب عمليات مثل الغارة على نجران. ومن المتعين ان أقول لك بكل صراحة بأن هذه الأفعال ـ كما تبدو لنا من هنا ـ لا تؤدي الى تخويف فيصل بل تؤدي الى اثارة حنقه. وفي رأيي ان هذا الموقف يحتاج الى صبر والى ممارسة تلك الحنكة السياسية التي أظهرناها نحن وخبرنا فيكم في مناسبات سابقة.

وبالمثل فان أسباب التردد في الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية من جانب الحكومة البريطانية انما تنبعث بوضوح من قلق هذه الحكومة حول عدن، كما ان التهديدات المتكررة التي رددها السلال لن تؤدي الا الى زيادة هذه المخاوف، في حين أنني أثق ان عبارات التطمين ستساعد على تحقيق اعتراف الحكومة البريطانية بالجمهورية العربية اليمنية. وأنا أرغب رغبة صادقة في حدوث هذا الاعتراف، ولكني لست في وضع يسمح لي بأن أضغط على الحكومة البريطانية لكي تعترف في مواجهة بيانات غير حكيمة تصدر من صنعاء.

وفي يقيني اننا قدمنا فعلا برهانا كافيا على صدق اهتمامنا بالعلاقات الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة. وقد تذكرون اننا بذلنا كل جهد لكي نتأكد من أن مصالحنا الخاصة في عدن وفي شبه الجزيرة العربية مفهومة من جانبكم. واذا استطعنا تحقيق الفهم الكامل على الناحيتين فانني لا أرى سببا يعوق علاقات تبعث على الرضا بين بلدينا. وآمل ان يكون في وسع الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة السعي الى تحقيق هذا الهدف بثقة وفهم متبادلين، وعلينا أن نهتدي الى صيغة تهيء لفيصل سندا علنيا ومقبولا لفض الاشتباك. وفي وسع السفير بادو ان يوضح لكم أكثر ما يجول في خاطري. وإني لآمل ان يساعد هذا الخطاب على تصفية الجو بيننا علما بأنه يوجد في بلدينا كثيرون يشككون في ما اذا كان من الممكن فعلا قيام علاقات طيبة بيننا. وفي اعتقادي ان هؤلاء على خطأ ولكن علينا نحن أن نبرهن لهم بأنفسنا أنهم على خطأ.

المخلص

جون كنيدي»

وفي ٣ مارس ١٩٦٣ بعث «جمال عبد الناصر» برده على «كنيدي». وجاء في رسالته بالنص ما يلي:

«عزيزي الرئيس

شكرا لكم على رسالتكم الأخيرة التي حوت ايضاحات قيمة تتعلق بالجهود التي تبذلونها لايجاد حل للمشاكل التي أعقبت ثورة اليمن. والحقيقة انني احسست ان هذه الرسالة في حد ذاتها دليل على متابعة سليمة للموقف في الشرق العربي ومضاعفاته السياسية، بل وحتى عقده النفسية.

والواقع، كما لاحظت في رسالتكم، انه كانت هناك شكوك حول مساعي الولايات المتحدة فى مشكلة اليمن، وكانت حجة هذه العناصر في شكوكها ان الولايات المتحدة لها ارتباطات مع قوى معادية للقومية العربية وللثورة العربية تؤثر في سياساتها تأثيرا لا سبيل الى تجاهله ومع أني شخصيا اتفق مع هذه العناصر الوطنية العربية في بعض ما تذهب إليه نتيجة لتجارب طويلة سبقت فاني أريد أن أقول لكم أنني بالنسبة لمساعيكم في مشكلة اليمن، كنت مطمئنا الى سلامة مقاصدكم وكان منطقي في ذلك ولقد شرحته بنفسي لكثيرين من رفاقي يستند على احساسي بأن صدور المسعى الاميركي منكم شخصيا لابد أن يستبعد من فكرنا كل شك في أن تكون المحاولة كلها مجرد مناورة سياسية. وكان رأيي وما يزال أن الولايات المتحدة حتى وان أرادت المناورة السياسية ليست في حاجة الى الزج برئيس الولايات المتحدة نفسه في مثل هذه المحاولة».

ثم مضى الرئيس بعد ذلك يقول انه يريد ان يحدد بعض النقاط العملية لتكون أمامكم وتحت نظركم هي «على النحو التالي:

أولا ـ ان الجمهورية العربية المتحدة ما تزال مفتوحة الفكر لكل مسعى يعزز السلام القائم على العدل

ثانيا ـ ان الجمهورية العربية المتحدة لا تريد ان تتدخل في الطريقة التي قد تحاولون بها اقناع اصدقائكم بما ترونه مناسبا حتى لمصلحتهم أنفسهم، ولا تملك الجمهورية العربية المتحدة أن تفرض ـ ولا حتى أن تشير ـ بشيء في هذا الصدد بغية اقناع الأسرة المالكة السعودية بعدم جدوى العدوان، أو باقناع الحكومة البريطانية بعدم جدوى تجاهل الحقائق، ونحن نؤمن ان حركة التاريخ سوف تتولى نيابة عنكم وعنا اقناعهم بحتمية التطور.

ثالثا ـ ان الجمهورية العربية المتحدة في ايمانها بحتمية التطور لا تجد نفسها بحكم مسؤولياتها العربية، قادرة على الوقوف مكتوفة اليدين أمام محاولات متعددة وعدوانية للتصدي لحق شعوب الأمة العربية في صنع مستقبلها بالكرامة والحرية.

وفي الختام ـ يا عزيزي الرئيس ـ فاننا نسجل لكم بالتقدير العميق كل مشاعركم ومساعيكم الحميدة. ونتمنى من قلوبنا أن يكتب لها النجاح الذي تستحقه.

امضاء

جمال عبد الناصر»

بعض ماكتب عن المساعدات الإسرائيلية لمحاربة النظام الجمهوري في اليمن وفقاً لما نشرته صحيفة السفير اللبنـانيـة بتـاريخ ١٩٨٨/١٢/١٢ نقلاً عن كتـاب محمد حسنين هيكل (سنوات الغليان)

وعندما أدلى السيد عدنان خاشقجي بشهاداته في وقائع فضيحة (إيران غيت) سنة ١٩٨٧ وهي الفضيحة التي جرى فيها بيع سلاح إسرائيلي لإيران وحولت فوائضه إلى جماعات الكونترا في نيكاراغوا ، لفت الأنظار قوله أنه التقى بـ شيمون بيريز (مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي وقتها ورئيس وزراء إسرائيل ووزير خارجيتها فيا بعد) وتعرف إليه لأول مرة في باريس سنة ١٩٦٣ !!

وقد تأكد فيا بعد أن إسرائيل شاركت فعلياً في عمليات اليمن وتولت إسقاط أسلحة وذخائر لجيوب الملكين المحاصرة في جبال اليمن . وكانت تمارس هذا النشاط من قاعدة جيبوتي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي في ذلك الوقت وهي موقع حاكم في مواجهة اليمن على الشاطئ الآخر للبحر الأحمر ، وكان الاسم الرمزي لدور إسرائيل في عملية إسقاط الأسلحة والذخائر والمؤن على مواقع المرتزقة في اليمن هو : (مانغو) !

وإلى جانب ذلك قامت إسرائيل بنشاط على جبهة أخرى فقد استطاعت إسقاط أعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا إليها لكي يقوموا ببعض (العمليات الخاصة) في المجهود الحربي ثم يكون عليهم بعد ذلك أن يتسللوا لكي يذوبوا وسط الجماهير اليمنية في المدن أو القرى .

وعندما ادلى السيد « عدنان خاشقجي » بشهاداته في وقائع فضيحة « ايران غيت» سنة ١٩٨٧ وهي الفضيحة التي جرى فيها بيع سلاح اسرائيلي لايران وحولت فوائضه الى جاعات « الكونترا » في نيكاراغوا - لفت الانظار قوله انه التقى بـ « شيمون بيريز » (مساعد وزير الدفاع الاسرائيلي وقتها ورئيس وزراء اسرائيل ووزير خارجيتها فيا بعد) وتعرف اليه لاول مرة في باريس سنة ١٩٦٣!!!

وقد تأكد فيا بعد ان اسرائيل شاركت فعليا في عمليات اليمن وتولت اسقاط اسلحة وذخائر لجيوب الملكين المحاصرة في جبال اليمن. وكانت تمارس هذا النشاط من قاعدة « جيبوتي » الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي في ذلك الوقت وهي موقع حاكم في مواجهة اليمن على الشاطىء الاخر للبحر الاحمر، وكان الاسم الرمزي لدور اسرائيل في عملية اسقاط الاسلحة والذخائر والمؤن على مواقع المرتزقة في اليمن هو: «مانغو»!

والى جانب ذلك قامت اسرائيل بنشاط على جبهة اخرى فقد استطاعت اسقاط اعداد من اليمنيين اليهود الذين هاجروا اليها لكي يقوموا ببعض « العمليات الخاصة » في المجهود الحربي ثم يكون عليهم بعد ذلك ان يتسللوا لكي يذوبوا وسط الجماهير اليمنية في المدن او القرى.

وتتراوح تقديرات اعداد اليمنيين الاسرائيليون الذين جرى اسقاطهم بالمظلات ما بين ثلاثمائة واربعمائة فرد.

كانت لندن وباريس وواشنطن جميعا تتابع ما يجري، ولعلها وجدته اكثر ملاءمة لها من ظروف تضطرها الى التدخل المباشر. فهذا الذي يجري في اليمن - كالذي حدث قبله في الكونغو - يحقق لها مزايا بدون تكاليف ويوفر لها مطالب بغير مسؤوليات مباشرة:

كان زمام المبادأة ينتقل تدريجياً من ايدي حكومات كبرى لكي يستقر في ايدي مزيج غريب من القوى: اجهزة مخابرات - شركات بترول وسلاح وبنوك - تجار وسماسرة سلاح - مرتزقة - جماعات ضغط سياسي اوروبية وامريكية - قبائل عربية وعشائر [١٢]... الخ...

وتتراوح تقديرات أعـداد اليمنيين الإسرائيليين الـذين جرى إسقـاطهم بـالمظلات مـا بين ثلاثمئـة وأربعمئة فرد .

كانت لندن وبـاريس وواشنطن جميعـاً تتـابع مـا يجري ، ولعلهـا وجـدتـه أكثر ملاءمـة لهـا من ظروف تضطرها إلى التدخل المباشر . فهذا الـذي يجري في اليمن ـ كالـذي حـدث قبلـه في الكونغو ـ يحقق لها مزايا بدون تكاليف ويوفر لها مطالب بغير مسؤوليات مباشرة .

كان زمام المبادأة ينتقل تدريجياً من أيـدي حكومـات كبرى لكي يستقر في أيـدي مزيج غريب من القـوى : أجهـزة مخـابرات ـ شركات بترول وسـلاح وبنـوك ـ تجـار وسماسرة سـلاح ـ مرتـزقـة ـ جماعات ضغط سياسي أوروبية وأميركية ـ قبائل عربية وعشائر ... إلخ .

مسودات لوثائق تتعلق بقيام
ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢

مسودة وثائق تعود ليوم اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢
وحصول خطأ في تحديد يوم الثورة
برقيات التبليغ وبعض الأجوبة عليها

عثرنا بين أوراقنا على المسودات المرفقة للتبليغات البرقية وهي مما يعود لفجر قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

وقد تبين لنا بأنه حصل التبليغ الرسمي خلافاً للواقع حيث احتوى على خطأ وقعنا فيه وهو اعتبار قيام الثورة يوم ٢٧ سبتمبر وليس ٢٦ سبتمبر ، والواقع أن نيران الثورة اندلعت فعلاً مساء يوم الأربعاء ٢٦ سبتمبر في الساعة الحادية عشرة وربع ليلاً أي الساعة ٢٣,١٥ وهو قبل يوم ٢٧ سبتمبر بثلاثة أرباع الساعة .

وكنا قد سجلنا الوقت على هامش أوراقنا عندما بدأت إحدى المصفحات بإطلاق نار مدفعيتها على (دار البشاير) وكان الدافع للتسجيل هو الشعور بخطر الموقف وأهميته التاريخية وعدم اقتناعنا بأننا سنخرج منه سالمين .

أما (الدبابة) فقد وقفت تحت زاوية دار الضيافة المواجهة (لدار البشاير) وهو الموقع الذي اختارته لإطلاق قذائفها على قصر البدر وكان قد حصل قبيل ذلك بدقيقة أو دقيقتين قطع التيار الكهربائي ووقعت المنطقة ، ـ وهي الوحيدة التي كانت تنار بالكهرباء ـ بكاملها في ظلام رهيب يتخلله إشعاع نيران القذائف المتقطعة ، وكانت تلك الليلة خالية من أي بصيص لنور القمر ذلك أن الهجوم وقع قبيل نصف ليل ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٢ وهو التاريخ الهجري الصحيح وذلك لابتداء اليوم في التقويم الهجري بعد غياب الشمس بخلاف الغربي الذي يبدأ بعد نصف الليل كما هو معلوم .

ونظراً لأهمية ذلك اليوم وتلك الليلة في تاريخ تحوّل اليمن من حكم إمامي مذهبي عتيق إلى بداية الطريق لمرحلة النهضة الجديدة ثم حكم الشورى التقدمي . وقد رأينا أن ننشر على الصفحات التالية

صوراً عن تلك المسودات للبرقيات التي وجهت إلى الملوك والرؤساء العرب وإلى أمين عام جامعة الدول العربية وكذلك إلى رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة وإلى أمينها العام . وأيضاً مسودة برقية تحتوي على الأمر إلى ممثل اليمن لدى الأمم المتحدة ليقوم بإبلاغ أعضاء الأمم المتحدة حصول تطور الحكم من ملكي إلى جمهوري وذلك أن الدورة التاسعة عشرة للأمم المتحدة كانت قد بدأت أعمالها قبل عدة أيام .

كما نرفق صورة البرقية التي تنص على الأمر إلى الأخ القاضي إسماعيل الجرافي وكيل وزارة الخارجية (التي كان مقرها مواجه لمقر الإمام بمدينة تعز) ليقوم بإبلاغ الممثلين المعتمدين لدى اليمن واقع سقوط الملكية وقيام الجمهورية العربية اليمنية ، علماً بأن التمثيل الأجنبي كان مقتصراً على أربع دول هي : إنجلترا وأمريكا والاتحاد السوفييتي وإيطاليا . وقد تضمن التبليغ كما هو واضح من مسودة المرفقات بأن المجلس التأسيسي انتخب رئيساً له (فضيلة القاضي عبد الرحمن الأرياني والسيد أحمد المروني نائباً للرئيس) وكانت هذه المسودات قد حصل نقلها من قبل الأخ الأستاذ أحمد جابر عفيف بخطه المنمق الواضح بعد موافقة الأخوان المكلفون معنا بذلك من قبل الرئيس الزعيم عبد الله السلال بالصفة التي توصلنا لاختيارها وهي (رئيس مجلس الوزراء المتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية) .

ومن الأخوان الذين حضروا تلك الجلسة ووافقوا على النصوص المرفقة بهذا صور مشاريعها فكانوا : المغفور له الشهيد الشيخ محمد علي عثمان والمغفور له الشيخ يحي منصور والأستاذ أحمد جابر عفيف الذي كان اختياره آنذاك وزيراً للصحة . ثم علمنا بأن الرئيس (المشير فيما بعد) عبد الله السلال وافق على نصوص البرقيات بعد تصفحها وأمر ليكون سحبها دون تأخير ، ولا بد أن نصوص تلك البرقيات محفوظة لدى الجهات التي وجهت إليها تلك التبليغات .

الأجوبة على برقيات التبليغ

ولما كنا قد عثرنا أيضاً على أصول بعض الأجوبة على برقيات التبليغ ، فقد رأينا أن ننشرها كما حولت إلينا ، وهي بتوقيع رئيس الاتحاد السوفييتي نيكيتا خروتشوف تلتها برقية رئيس يوغسلافيا جوزيف تيتو .

وزارة ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢

استناداً للذاكرة

الزعيم عبد الله السلال : رئيسا للوزراء ووزيراً للدفاع يتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية .
الشيخ محمد علي عثمان : وزيراً للمالية .
العقيد عبد الله الجزيلان : وزيراً للداخلية .
الأستاذ محسن العيني : وزيراً للخارجية .
الأستاذ أحمد محمد نعمان : وزيراً للزراعة .
الأستاذ محمد محمود الزبيري : وزيراً للتربية والتعليم .
الأستاذ أحمد جابر عفيف : وزيراً للصحة .
الزعيم حمود الجايفي : وزيراً للدولة .
(وقد اعتذر الشيخ يحيى منصور عن قبول أية وزارة) .

المجلس التأسيسي

استناداً للوثائق

القاضي عبد الرحمن الأرياني : رئيساً .
السيد أحمد حسين المروني : نائباً للرئيس .

رقم ١

١ ـ فخامة محمد ظفران خان رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

٢ ـ معالي يوتانت أمين عام الأمم المتحدة .

نيويورك

لما كان الحكام ونظام الحكم السابق في اليمن لم يعودوا منسجمين مع متطلبات العصر والتطور والكرامة الإنسانية قام الممثلون الحقيقيون عن الشعب والجيش بتغيير نظام الحكم البالي والرجعي وتم تأسيس جمهورية ديموقراطية عصرية أطلق عليها اسم الجمهورية العربية اليمنية ، وقد اعترفت جميع فئات الشعب بالنظام الجديد . فباسم الجمهورية العربية اليمنية التي تتبنى جميع التزامات اليمن الدولية مع احترام ميثاق الأمم المتحدة نبلغكم هذا التطور في حكم اليمن راجين أن تتكرموا بإبلاغ ذلك رسمياً إلى جميع وفود الدول الممثلة في الدورة السابعة عشرة الحاضرة للأمم المتحدة . هذا وسنبلغكم برقياً أسماء أعضاء وفد اليمن الجديد للدورة الحاضرة كما سنزوده بأوراق الاعتماد حال توجهه إلى نيويورك . وقد فوضنا المجلس التأسيسي أن نمثل الجمهورية العربية اليمنية ريثما يتم إكمال وضع أجهزة الحكم الجديد موضع التنفيذ .

رئيس مجلس الوزراء

المتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية

سعادة السفير كامل عبد الرحيم

مندوب اليمن الدائم

نيويورك

باسم الجمهورية االعربية اليمنية التي قامت يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ بأخذ هذه التسمية بدلاً من اسم المتوكلية اليمنية السابق نطلب منكم أن تبلغوا رسمياً هذا التطور إلى رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة وأمينها العام وجميع الوفود الممثلة في دورة الأمم المتحدة الحاضرة وإليكم نص البرقية المرسلة إلى كل من رئيس والأمين العام للأمم المتحدة وأفيدوا بتنفيذ أمرنا هذا . وبأخذ العلم بما جاء في برقيتنا التالية والمطلوب منكم تبليغها بوسائل الوفد الدائم وبواسطة الأمانة العامة وهذا نصها :

نص البرقية ....

حضرة صاحب السيادة الرئيس جمال عبد الناصر

القاهرة

كلفنا ممثلو الشعب الحقيقيون تنفيذ رغبتهم في تغيير أوضاع الحكم الرجعية البالية والإطاحة بالطغيان الذي طالما أنّ منه شعبنا العربي الأبي النبيل فاشتركنا مع الشعب ومع كل جندي وصف جندي وضابط على تحقيق الأمنية التي انتظرنا طويلاً فرصة الحصول عليها فكانت ثورتنا على العهد البائد ناجحة منذ ساعاتها الأولى وقد تم يوم ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٢ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ تأسيس جمهورية ديمقراطية تحت اسم **الجمهورية العربية اليمنية** تعتمد أنظمة الحكم العصرية وتحافظ على كرامة الإنسان وحقوقه ، وتعمل على تأمين العدالة الاجتماعية والتطور وتشارك في بناء صرح الامة العربية الموحدة ، وتقف بوجه المغتصبين والمستعمرين وقد فوّضنا المجلس التأسيسي أن نمثل **الجمهورية العربية اليمنية** رسمياً ريثما يتم إكمال وضع أجهزة الحكم موضع التنفيذ والله يوفقنا جميعاً لخدمة شعبنا والأمة العربية .

رئيس مجلس الوزراء
المتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية

نص رد الرئيس جمال عبد الناصر على برقية الزعيم عبد الله السلال رئيس مجلس الوزراء المتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية

إن شعب الجمهورية العربية المتحدة تابع بكل اهتمام وعناية تطورات الأحداث الكبرى في اليمن ومحاولة الشعب والجيش إقامة حياة جديدة تحقق على أرض اليمن عزة الإنسان وكرامته . إن شعب الجمهورية العربية المتحدة يؤمن بأن هذا العصر هو عصر الشعوب وحدها تصنع بأيديها أقدارها وتحقق بإرادتها الحرة كل أمانيها .

إن الله جلّت قدرته خلق البشر أحراراً متساوين في الفرصة متكافئين في العدل ولا يرضيه جلّ وعلا أن تقف دون قدرته حواجز الاستعمار وطغيان الرجعية .

اعتراف الجمهورية العربية المتحدة
بالنظام الجمهوري وانعكاساته

في صباح السبت ٢٩ سبتمبر اتخذ مجلس الرئاسة برئاسة جمال عبد الناصر قراره بالاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية .

وفي يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ أعلنت الجمهورية العربية المتحدة اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية .

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية

بعونه تعالى نفذنا رغبة الشعب بتغيير الأوضاع الرجعية البالية في اليمن وطورنا نظام الحكم البائد إلى نظام جمهوري ديموقراطي عصري يحافظ على كرامة الإنسان وحقوقه وعلى العدالة الاجتماعية ، وأعلنا قيام **الجمهورية العربية اليمنية** ابتداءً من يومنا ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٢ الموافق ٢٧ أيلول ١٩٦٢

وقد فوضنا المجلس التأسيسي وهو الممثل الحقيقي للشعب بأن نسير الأمور ونستلم زمامها ريثما .يتم وضع أجهزة الحكم الجديد موضع التنفيذ ، ونرجو جلالتكم أن تأخذوا علماً بذلك ، وتأكدوا ياصاحب الجلالة أننا سنحافظ على جميع صلاة الأخوة القائمة بين شعبينا الشقيقين ودولتينا العربيتين .

رئيس مجلس الوزراء
المتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية

حضرة صاحب الجلالة ـ **الملك حسين بن عبد الله ـ ملك الأردن**
حضرة صاحب الجلالة ـ **الملك محمد الخامس ـ ملك المملكة المغربية**
حضرة صاحب الجلالة ـ **الملك إدريس السنوسي ـ ملك ليبيا**

نص البرقية للملوك الأربعة .

صاحب الفخامة ـ الرئيس اللواء فؤاد شهاب
رئيس الجمهورية اللبنانية

بعونه تعالى نفذنا رغبة الشعب بتغيير الأوضاع الرجعية في اليمن وطورنا نظام الحكم البائد إلى نظام جمهوري ديموقراطب عصري يحافظ على كرامة الإنسان وحقوقه ، وعلى العدالة الاجتماعية ، وأعلنا قيام الجمهورية العربية اليمنية في يوم ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٢ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ وقد فوضنا المجلس التأسيسي وهو الممثل الحقيقي للشعب بأن نسير الأمور ونستلم زمامها ريثما يتم وضع أجهزة الحكم الجديد موضع التنفيذ ، ونرجو فخامتكم أن تأخذوا علماً بذلك ـ وتأكدوا ياصاحب الفخامة أننا سنحافظ على جميع صلات الأخوة القائمة بين شعبينا ودولتينا الشقيقتين العربيتين

رئيس مجلس الوزراء
المتمتع بصلاحيات رئيس الجمهورية

صاحب الفخامة **محمد الربيعي رئيس مجلس السيادة العراقية بغداد**
صاحب الفخامة **اللواء عبد الكريم قاسم**
صاحب الفخامة **ناظم القدسي رئيس الجمهورية العربية السورية دمشق**
صاحب الدولة **خالد العظم رئيس مجلس الوزراء دمشق**
صاحب الفخامة **الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية تونس**
صاحب الفخامة **أحمد بن بللا رئيس وزراء الجمهورية الجزائرية**
صاحب الفخامة **اللواء إبراهيم عبود رئيس مجلس السيادة السودان**

دعوة المجلس التأسيسي

قرار رقم ..

دعى المجلس التأسيسي للانعقاد صباح غد الجمعة ٢٩ ربيع الثاني ١٣٨٢ الوافق ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ في قصر رئاسة الجمهورية لانتخاب رئيس له وتعيين مجلس وزراء مؤقت يعطي رئيسه سلطة وصلاحيات رئيس الجمهورية ريثما يتم وضع جهاز الحكم الجديد موضع التنفيذ وفقاً لما جاء بالقرار رقم ...

انتخاب رئيس المجلس التأسيسي ونائبه
انعقاد المجلس وتأليف الوزارة

بلاغ صادر عن المجلس التأسيسي :

انعقد المجلس التأسيسي الذي تم تعيينه بموجب القرار رقم ... ظهر يوم الجمعة وتم انتخاب القاضي عبد الرحمن الأرياني رئيساً للمجلس والسيد أحمد حسين المروني نائباً له . وبعد المداولة تقرر تأليف مجلس وزراء مؤقت يكون مسؤولاً أمام المجلس التأسيسي ريثما تتم مهمة المجلس التأسيسي المحددة بالقرار رقم ...

وإليكم أسماء رئيس وأعضاء مجلس الوزراء .

سعادة القاضي إسماعيل الجرافي وكيل وزارة الخارجية

تعز

يكون استدعاء جميع رؤساء البعثات السياسية الممثلة لـدينـا وإبلاغهم رسمياً سقوط الملكيـة في اليمن وقيام الجمهورية العربية اليمنية وبلغوهم فحوى برقيتنا التاليـة المرسلة إلى جميع ملوك ورؤسـاء الدول الصديقة .

نص البرقية .

سعادة القاضي إسماعيل الجرافي

اجتمع المجلس التأسيسي وانتخب رئيساً لـه فضيلـة القـاضي عبـد الرحمن الأريـاني والسيـد أحمـد المروني نائباً للرئيس ثم ألف المجلس وزارة جديدة على الشكل التالي ...

فيكون منكم تبليغ ذلـك إلى رؤسـاء البعثـات المعتمـدين لـدينـا ليبلغوا حكـومـاتهم أسماء أعضـاء الحكومة في عهد الجمهورية الجديدة

رئيس مجلس الوزراء

صديقنا الكبير نيكيتا خروتشوف
رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي الأفخم

كرملن

موسكو

استلمت بيد الغبطة والشكر برقيتكم المؤرخة أول أكتوبر ، التي تبلغوني بها رغبة شعوب **الاتحاد السوفييتي** النبيلة في أن ترى شعبنا المناضل يحقق أمانيه في تقوية استقلاله السياسي والاقتصادي والتي تعلمونا بها أيضاً بأن الحكومة السوفيتية تعترف بحكومة جمهوريتنا العربية اليمنية وتعلموني بها بأن الحكومة **السوفيتية** تعتبر أي تدخل في شؤوننا الداخلية أمراً لا يمكن التغاضي عنه . كما تعربون عن أملكم في زيادة توطيد العلاقات بيننا لمصلحة شعوبنا . وثقوا بأن برقيتكم هذه كان لها أطيب الوقع في نفسي وفي نفس كل يمني وأن **الجمهورية العربية اليمنية** ستسجل لكم هذا الموقف النبيل في أجمل صفحات تاريخها وأنا شخصياً لن أنسى هذا الموقف المشرف ماحييت وإني متأكد بأن تعاوننا الذي سيزداد مع الزمن سيؤدي إلى توطيد علاقات الود بين شعوبنا وحكومتنا .

وإني أعرب أخيراً عن تقديري العظيم وتقدير الشعب اليمني المجاهد لعواطفكم وعواطف شعوبكم نحونا واقبلوا ياسيادة الرئيس أصدق عواطف الود وأحر التمنيات .

رئيس مجلس الوزراء

والقائد العام

الزعيم

٤ أكتوبر ١٩٦٢

بعض المخطوطات اليمنية التي تبعثرت والتي يمكن إنقاذها

التاجر الإيطالي (كبروتي) والمخطوطات اليمنية العديدة المحفوظة في مكتبة (الأمبروزيانا AMBROSIANA) ، في (ميلانو) بإيطاليا . وفي مكتبة الفاتيكان بروما المخطوطات التي باعها (جلازر) لمكتبة (فينًا)

السنيور **كبروتي** هو أحد التجار الأجانب القلائل الذين تعاملوا مباشرة مع **اليمنيين** في بداية هذا القرن جيداً ، وحظي من قبل الوالي **العثماني** وممثليه في **الحديدة** على التصاريح اللازمة لتجوله في أنحاء **اليمن** وخاصة في مدن **تهامة** و**المناطق الوسطى** ، ليعرض عليهم السلع غير المتوفرة لديهم .

وبعد أن توفق بشراء بعض المخطوطات التي باعها بأسعار جيدة في **القاهرة** للمستشرقين وسواهم ، بدأ بشراء أية مخطوطة تعرض عليه دون أن تكون لديه فكرة عن أهميتها وموضوعها .

ثم مرّت البلاد بمرحلة جفاف وقحط وأصبح من الأيسر على السنيور **كبروتي** جمع أعداد كبيرة من المخطوطات التي كان يقايض بها ما كانت لديه من سلع غربية مصنعة رخيصة السعر أصلاً كالمرايات والأمشاط والحلي النسائية العادية ، وخاصة سلعة علب الكبريت . وعلى مر السنوات وتعدد الرحلات جمع السنيور **كبروتي** المئات العديدة من المخطوطات **اليمنية** ، ويبدو أن تكديسها لديه أصبح شيئاً من الهواية أو على أمل أن يبيعها بأسعار باهظة أو ملائمة في وقت مناسب .

وقبيل الحرب العالمية الأولى توفي **كبروتي** في مسقط رأسه وهي مدينة **ميلانو** الشهيرة ، تاركاً صالة كاملة مملوءة بالمخطوطات **اليمنية** . ثم اعتبرت هذه المخطوطات من ممتلكات بلدية **ميلانو** لسبب نجهله ، وربما كان ذلك وفقاً لوصية بذلك .

عرضت بلدية **ميلانو** هذه المئات من المخطوطات **اليمنية** التي شكلت حصيلة **كبروتي** للبيع لمن يرغب ، ثم وصل من **الفاتيكان** أهل الخبرة من الرهبان الشرقيين ، واختاروا عدداً من تلك الحصيلة ، تم شراؤها لمكتبة **الفاتيكان** الشهيرة .

وبقي عدد كبير جداً في **ميلانو** من الحصيلة دون أن يقدم أحد على شرائه ، لذا أقدمت مكتبة رهبنة **الأمبروزيانا** AMBROSIANA التابعة للدير الذي يحمل الاسم نفسه في **ميلانو** على شراء ماتبقى من الحصيلة ، وتخصيص غرفة بكاملها للاحتفاظ بالمخطوطات **اليمنية** العديدة ، والكثير منها قد فقد عناوينه واسم المؤلف ، وربما كان وضعها السيء سبباً لعدم إقدام خبراء **الفاتيكان** على شرائها .

وكان في المكتبة المذكورة عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ راهب متقدم بالسن يعرف العربية مكلفاً بالعناية بحصيلة **كبروتي** ومحاولة التعرف على المخطوطات ، وأسماء مؤلفيها ، ومواضيعها ، وحمايتها من التلف ، وهو الأهم .

وقد زار المؤلف برفقة المغفور له القاضي **محمد عبد الله العمري** المكتبة المذكورة حيث اجتمعنا **بالراهب** المذكور الذي أطلعنا على أخبار تلك الحصيلة ، والإعراب عن عجزه عن متابعة الاهتمام بها ، مع الاستعداد لتقديم جميع التسهيلات لمن يرغب بمعاونته .

المخطوطات اليمنية بمكتبة الفاتيكان :

وبالنسبة للمخطوطات التي اشترتها مكتبة **الفاتيكان** فهي لا شك مفهرسة ومحفوظة على أفضل وجه .

وكذلك الحال بالنسبة للمخطوطات المختارة التي تمكن المستشرق **أدوارد جلازر** من جمعها وبيعها إلى الجهات الأكاديمية الغربية .

أما المخطوطات **اليمنية** التي باعها **جلازر** لمكتبة **الإمبراطورية النمساوية** وعددها (٢٥١) ، فقد تسنى للمؤلف الاطلاع على فهرسها وسننشر بالملحقات صورة عن بعض صفحات حصيلة **جلازر** ، وهي المتعلقة بالمواضيع التاريخية ، ولم ننشرها بكاملها لعدم إثقال هذا الكتاب ، وبالنسبة لجميع هذه المخطوطات المحفوظة بالمكتبات **الأوربية** وبمكتبات **استنبول** ، فنعتقد أن الجهات المختصة في **اليمن** تعمل على تصويرها لإعادة صورها إلى مكانها الطبيعي في مكتبة جامعة **صنعاء** .

عنـاوين بعض المخطـوطـات اليمنيـة التي يحتـوي عليهـا فهرس (جلازر) المحفوظ بمكتبـة قصر (هـوفمبـور) بمدينـة (فيينـا) عاصمة النمسا ، وعددها (٢٥١) مخطوطة

حول فهرس المخطوطات اليمنية التي باعها المستشرق جلازر لمكتبة الإمبراطورية النمساوية بفيينا وعددها (٢٥١) مخطوطة .

وننشر هنا أربع صفحات فقط من الفهرس ، وهي المتعلقة بالمخطوطات المعنية بمواضيع تاريخية ومن بينها ما يلي :

١ ـ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية .
تأليف : بدر الإسلام محمد بن إسماعيل بن محمد الكبسي .
٢ ـ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون .
تأليف : (غير مذكور) وهي للمؤرخ ابن الديبع .
٣ ـ البرق اليماني في الفتح العثماني .
تأليف : قطب الدين المكي الحنفي .
٤ ـ ذخائر العقبى .
تأليف : (غير مذكور) .
٥ ـ الحدائق في أخبار ذوي السوابق من آل الرسول ﷺ .
تأليف : إسحاق بن يوسف .
٦ ـ سيرة الكازروني .
تأليف : (غير مذكور) .
٧ ـ خلاصة السير الجامعة لعجائب الملوك التبابعة وغيرهم من ملوك الأيام .
تأليف : نشوان بن سعيد بن سعيد الحميري .
٨ ـ سيرة الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين .
تأليف : عيسى بن لطف الله .
٩ ـ العبر في خبر من عبر .
تأليف : الحافظ الذهبي .



Beilage.

Kurzer Katalog

der

Glaser'schen Sammlung

arabischer Handschriften

verfasst von

Prof. Dr. Max Grünert (Prag)

Vgl. Max Grünert: Über Ed. Glaser's jüngste arabische Handschriften-Sammlung. Actes du Xème congrès international des orientalistes, session de Genève 1894. IIème partie S. 25–43.

Provenienz: vide Inventar Lit. II, fol. 11a
(29.11.1894)

168
(Glas. 126)
96.

Titel: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية
[illegible] II 818

Verfasser: بدر الاسلام محمد بن إسمعيل بن محمد الكِبْسي

Zustand: gr. 8°; sehr gut erhalten; Ahlw., Nr. 251.

Abschrift: 1293. Eine über Veranlassung eines türkischen General-Gouverneurs von Jemen verfasste Geschichte Jemens vom Beginne des Islams bis zur jetzigen Türkenherrschaft (1292 d.H. = 1875 n. Chr., vollendet 1876), ein sehr wichtiges Werk

---

169
(Glas. 246)
120.

Titel: Dasselbe Werk, doch ausserdem einen II. Band enthaltend von demselben Verfasser, aber über vorislamische Geschichte. Das 1. Blatt enthält das Buch betreffende geschichtl. Notizen von Glaser's Hand.
1 Exemplar dieses Werkes hat die königl. Bibl. in Berlin (ebenfalls durch Glaser.

170
(Glas. 127)
213

Titel: كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون

Verfasser: in der Hs. nicht genannt.

Zustand: kl. 4°; gut erhalten, vollständig.

Abschrift: ca 1100; Eine Geschichte Jemens bis zur Regierung des Sultans al-Malik Azzâfir Salâh-ed-din 'Âmir ben abd-al-wahhâb ben Dâ'ûd ben Tâhir; ein Werk, in Europa gewiss ein Unicum, zerfällt in 3 Abschnitte, jeder Abschnitt in mehrere Capitel.

171
(Glas. 252)
17.

Titel: كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني

Verfasser: قطب الدين المكّي الحَنَفي

Zustand: foliant; Prachtwerk; enthält die Geschichte der 1. Türkenherrschaft in Jemen; selbst in Jemen (nach Glaser's Ansicht) ein Unicum! Ist die Hs. Flügel Nr. 777 damit identisch?

Abschrift: ca 1100 [illegible]

172
(Glas. 216)
106.

Titel: } ذخائر العقبى (Geschichte Mekka's)
Verfasser: } [illegible] 694, 1294

Zustand: kl. 4°; ungebunden; alte, sehr deutliche Schrift.

Abschrift: 748

GAL I [illegible] / I 615.2

173
(Glas. 208)
28.

Titel: كـ' الترجمان المفتّح لكمائم البُستان الجامع لاسماء جماهير الصحابة والتابعين والائمة السابقين الخ.

Verfasser: عزّ الدين محمد بن احمد بن مُظَفَّر.

Zustand: fol. G II 186 | II 244

Abschrift: 1045. Nachrichten über allerlei hervorragende religiösgeschichtliche und gelehrte Persönlichkeiten u. Regenten vom Anfang des Islams bis zu des Verfassers Zeit, wie sehr [illegible] volles biograph.-histor. Werk; am Schluss [illegible], Vieles aus Našwân al-Ḥimjarî's Werken ausgezogen, so speziell über Gumdân u. die andern Ruinen Jemens, sehr schön und sehr deutlich geschrieben.

174
(Glas. 209)
102.

Titel: كـ' السِّمْط الثمين في مناقب أمّهات المؤمنين
Verfasser: محمد احمد بن عبد الله الطّبرى
Zustand: 4°; alt, wohlerhaltene Abschrift.
Abschrift: 748.

GAL I 361 / I 615.8

175
(Glas. 182)
14.

Titel: الحدائق فى أخبار ذوى السوابق من آل الرسول

Verfasser: اسحق بن يوسف
Zustand: fol. cf. GAL/S II 545/6
Abschrift: ca. 1190; Ein [illegible] Geschichtswerk, besonders für die Zeit vom 9. Jahrh. — 1184 [[illegible]]; [illegible] Blattrande [illegible] Buch den Titel تاريخ الخلفاء من أهل البيت; vorn [illegible] 12 Blätter الرسائل

176
(Glas. 220)
20.

Titel : كذ التجميس في أحوال أنفس النفيس
Verfasser : الحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري
Zustand : fol.
Abschrift : ca 1100 , vgl. Flügel 1177. GAL II 381 / S II 514

177
(Glas. 180')
8.

Titel : روح الروح
Verfasser : عيسى بن لطف الله GAL I 402 / S I 550
Zustand : fol. ; nicht angebunden ; unvollständig. [illegible]
Abschrift : ca 1050 ; eine [illegible] angelegte Handschrift [illegible] [illegible]] ; s. Ahlw., Nr. 952.

178
(Glas. 45)
137.

Titel : كذ المنقوة الاختيار من نفائس الأخبار في ما جاء من رسول الملك الجبار محمد سيد الاطهار
Verfasser : محمد بن عبد الله بن حمزة بن ابى النجم
Zustand : 4°
Abschrift : 1128

179
(Glas. 98)
112

Titel : } سيرة الكازروني
Verfasser : }
Zustand : 4°
Abschrift : 956

180
(Glas. 88)
178.

Titel : كذ خلاصة السير الجامعة لعجائب الملوك التبابعة وغيرهم من ملوك الأيام
Verfasser : نشوان بن سعيد بن سعيد الحميري (von [illegible] [illegible] [illegible] Genealogie [illegible] den Titel [illegible] [illegible] [illegible] geschaffen.)
Zustand : [illegible] ; GAL I 301 [illegible]
Abschrift : ca 1050

[illegible] GAL I 301

181 (Glas. 116) 208.

مرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون . — 1

Verfasser: جمال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن ابي الحسن بن صالح بن علي بن طاهر بن محمد بن الخطيب ابي يحيى عبد الرحمن بن نباتة الفارقي المصري . +768.

Zustand: gr. 8°; Prachthandschrift; Commentar eines Sendschreibens.

Abschrift: 1048 — GAL I 274.1 (u. II 485) GAL S. II 10

---

182 (Glas. 4) 39.

Titel: سيرة الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين

Verfasser: ؟ عيسى بن لطف الله [in einer Bemerkung ...]

Zustand: fol. [Titel und Verf. angegeben!]

Abschrift: 941.

---

183 (Glas. 97) 117.

Titel: } fehlt. Traditionen und alte geschichtliche Notizen;
Verfasser: } übrigens noch näher zu untersuchen!

Zustand: 4°; sehr altes Werk; am Blattschnitt: في أخبار العرب

Abschrift: 850 od. älter?

---

184 (Glas. 219) 19.

Titel: العبر في خبر من غبر

Verfasser: الحافظ الذهبي ؟ — GAL II 46; S. II 45 (6 ...)

Zustand: fol.

Abschrift: 1185; vgl. Fl. 810.

---

185 (Glas. 110) 90.

Titel: [ذيل تاريخ بغداد] entw. nach dem übergeschriebenen Titel

Verfasser: von ابن النجار . od. ein Abschnitt des ترجمة des ... in einem Theil [...] eines kolossalen ... Biographischen Lexikons; Anfang fehlt. cf. GAL I 329.

Zustand: gr. 4° — Abschrift 600; sehr schön geschrieben.

---

186 (Glas. 203) 116.

Titel: (I. 85. 1.) الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية

Verfasser: احمد بن محمد المحلي

Zustand: 4° altes Prachtexemplar (viele Verse!) — GAL I 325; S. I 560.

Abschrift: 639

كشف بأسماء أشهر المستشرقين الذين جاء ذكرهم بالكتاب
وفقاً للترتيب الأبجدي اللاتيني وبينهم مؤرخون

الاسم	Name
أغاثارشيدس	AGHATHARCHIDES
البرايت	ALBRIGHT
أندسالده	ANASALDE C.
أرشيبالد	ARCHBALD H.
آرنو	ARNAUD J.
بارتون	BARTON G.
بورتا	BORTA P.
بوركارت	BURCKHART J.
بيستون	BESSTON G.
كوجلان	COGHLAN
كروتندن	CRUTTENDEN
ديودوروس	DIODORUS
فريسنل	FRESNEL F.
جيسينوس	GESINUS W.
جلازر	GLAZER E.
هاليفي	HALEVY J.
هارتمن	HARTMAN M.
هومل	HOMMEL F. A.
هيرودوتوس	HERODOTUS
هوجارت	HOGARTH D. G.
هوتون	HUTTUM J.
أنجرمس	INGRAMS
جيم	JAME
كيتاني	KAETANI L.
لنجر	LANGER S.

الاسم	Name
لوكنبيل	LUCKENBILL
ليفي	LEVY M.
ماكل	MACKELL
موردتمان	MORDTMANN J.
مولر	MULLER D. H.
موزيل	MUSIL A.
نيبور	NIEBHUR G.
أولياري	OLEARI D.
أوزندر	OSANDER L.
فيلبي	PHILBY H.
بليني	PLINY
فيليبس	PHILIPS W.
راتجنس	RATHGENZ
راتجنس وهرمن	RATHJENS and HERMAN
روديجر	RODIGER E.
رودوكاناكيس	RODOKANAKIS N.
ريكمنس	RYCKMANS G.
سكوف	SCHOFF
سكوت	SCOTT H.
سيتزن	SEETZEN U.
ستراابون	STRABON
تيسيجر	THESIGER W.
توماس	THOMAS B.
ولستيد	WELESTED

كلمة في المراجع والمصادر

البـبـليوغـرافيـا

سجلنـا تحت عنوان (إيضـاح) وكـذلـك تحت عنوان (الغـايـة) أن هـدف هـذا الكتـاب هـو التعريف الصحيح على بلـد عربي عريـق بـالمدنيـة ، وعلى التراث الحضـاري الـذي ترعرع في جنـوب **جزيرة العرب** منذ آلاف السنين ، ثم امتد بواسطة الهجرة والتجـارة العـالميـة التي احتكر قسطـاً وافراً منها ليسير معها إلى أواسط **الجزيرة** وأعلاها ، كما امتدت الموجات البشرية لهذا البلـد العربي لتصل إلى أطراف **الجزيرة** وما بعدها ، حيث أسست ممالك وإمارات حضرية ، وهو ماحققته أيضاً على أطراف **المحيط الهندي** وجزره قبل الدعوة السماوية وبعدها ، حيث شكلت سنـداً للتوسع الإسلامي ومـدنيتـه المتـألقـة . كما يوجـد من يميل للاجتهـاد أن موجـات بشريـة من أهـل الجنـوب ، انتقلت عن طريـق **أثيـوبيـا** وغربي **وادي النيـل** لتستقر في **جبـال التـوروس** شمال **إفريقيـا** ، لتشكل شعب **البرابرة** في مرحلة سحيقة جداً من التـاريخ ، كما أن الموجـات البشريـة **السـاميـة العربيـة** التي اتجهت إلى الشمال الشرقي هي التي ألفت الممالك والإمبراطوريات **الآشورية والبابلية** وما تفرع عنها ، بـاعتبـار جنوب **الجزيرة** تشكل منبعاً للعرق السامي ، كما هو موضح بهذا الكتاب ، وفقاً لاجتهاد أهل الاختصاص .

ووجب هنا أن نذكر ونذكّر بأنه لكل حضارة عمق تاريخي متعدد المصادر ، ومنها بالنسبة **لليمن** مصادر **الهند والصين** ، نظراً لصلات جنوب **الجزيرة** بهذين البلدين العملاقين العريقين بالمدنية ، التي تعود بدورها إلى خمسة أو ستـة آلاف سنـة ، وهي التي قـامت منـذ أعمـاق التـاريخ بفضل موقع **اليمن** الجغرافي على **المحيط الهندي** وصلته **بالمحيـط الهـادي** ، ولاعتبـارات أخرى بشريـة وتجـاريـة سنـأتي على ذكرها ، مع الاقتناع بأن الحضارة لاتبنى على فراغ بل تستفيد مع جميع العنـاصر التي تسـاعـدهـا على التطور والازدهار .

التأقلم مع نوع الحياة العصرية ووسائلها ومتطلباتها

ولما كان العربي المعاصر قد تيسرت له سبل الإعلام والمعرفة بوسائل حـديثـة سهلـة وممتعـة ، لـذا ابتعد بالطبيعة كسواه من المعاصرين عن قراءة المؤلفـات الموسعـة لإرواء رغبتـه بـالاطلاع والمعرفـة ، لاسيا وأن متطلبات الحياة العصرية قد ازدادت بشكل ملحوظ ، خاصة بعد انتشار وسائل الترفيه التي

أصبح اللجوء إليها واستعمالها أمراً عادياً لا يمكن الاستغناء عنه ، ومنها أجهزة الاتصالات والمواصلات الحديثة التي لا تساعد أو تشجع القراءة الموسعة والاستقراء ، مع التأمل والمقارنة ، وأصبح المرء في كل مكان يكتفي بالاستماع إلى الإذاعات التي تعددت ، ووصلت إلى أقصى قرية ، وإلى كل منزل ومسكن ، لذا نعتبر المعاصر معذوراً لابتعاده عن قراءة الكتب المفصلة المملة ، ويكتفي بقراءة المجلات الجدية المتخصصة التي تروي ظمأه في كل مجال ، وبشكل ممتع جذاب ، بفضل إتقان التبويب الحديث والإخراج الجيد والصور الملونة ، وعلى يد اختصاصيين متفرغين من ذوي الكفاءة ، ناهيك عن التلفزة التي تشغل انتباه المتفرج ساعات طويلة ، وتزوده أفلامها الوثائقية بمعلومات مصورة واضحة ، لم يكن من الميسور الحصول عليها في الماضي . وأما ما كان مفصلاً فيعود لأهل الاختصاص وحسب .

ومن الأمانة الاعتراف أن بعض هذه الأفلام الوثائقية يستحيل الاستعاضة عنها بالكتابة . كما تجدر الإشارة إلى أنه يتم إسناد بحث وعرض الموضوع الذي تعالجه تلك الأفلام الوثائقية إلى كبار المتخصصين ، الذين تتيسر لديهم جميع المراجع الموثوقة والتي ساعدت وسائل التقنية المستحدثة على سرعة تحصيلها دون عناء ، وذلك بفضل (الكومبيوتر) الذي يتسع لحصر جميع المعلومات والعودة إليها بظرف دقائق أو حتى ثوان معدودة .

ولجميع هذه الاعتبارات حرصنا على الإيجاز كما تخلينا في آخر هذا الكتاب خلافاً لما هو معتاد عن سرد المراجع (الببليغرافيا) تفصيلاً ، واستعضنا عن هذا النقص المقصود بإعادة القارئ إلى مجمّعين صدرا أخيراً اختص كل منهما بإدراج إحصاء واف لأهم الدراسات المتعلقة باليمن ، وذلك في مختلف المجالات والمواضيع .

أمّا المجمع الأول (للببليغرافيا) عن اليمن فيحتوي على ١٦١ صفحة ، وعلى ٤٠١ مرجع وهو من تجميع (G. REX SMITH) كما هو مذكور على صورة غلاف المرفقة بهذا ، ويظهر عليها رقم التسجيل في مكتبة قصر الأمم المتحدة بجنيف .

كما احتوى مجمع المراجع الثاني على ستين صفحة ، وعلى ٧١١ مرجع ، يتعلق (باليمنين) وفقاً للعنوان وهو الذي قام بتجميعه (SIMONE L.MONDESIR) تحت رعاية جامعة (دَرَم DURHAM) البريطانية ، وقد أضفنا ربطاً بهذا الغلاف كل من المجمعين المذكورين للتيسير .

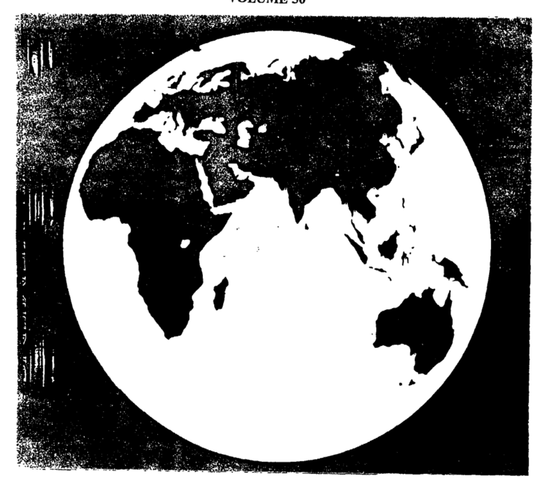
وبالنسبة لمن يرغب بالتعرف على المراجع التي اكتفينا بالاطلاع على بعضها في المكتبات ، لصعوبة تحصيلها مباشرة ، فيمكنه العودة إلى كشف المراجع (الببليغرافيا) الذي نشرناه في آخر كتابنا بالإنكليزية الصادر عام ١٩٧٢ م . تحت عنوان : (THE QUEEN OF SHEBA'S LAND) **وتقع (الببليغرافيا) فيه على ١٨ صفحة .**

وللذي يميل للتعمق بدراسة المواضيع التي تطرقنا إلى بعضها ويجيد الفرنسية ، فتسرنا الإشارة إلى أنه صدر عام ١٩٨٥ في **باريس** ، مؤلف يحتوي على ثلاثة مجلدات ، كَتَبه وجمع مواضيعه بالاشتراك مع عدد من الأساتذة المختصين صديقنا العلامة **جوزيف شلحود** . وقد نشر المؤَلِّف العلاّمة بنهاية الجزء الثالث كشفاً **يحتوي على ١١٢٥ مرجعاً** مما كان الاستناد إليها ، وعنوان هذا المؤلف القيّم الشامل بالفرنسية (جنوب **جزيرة العرب** L'ARABIE DU SUD) وهو صادر عن دار النشر في **باريس** (MAISONNEUVE ET LAROSE) .

كما ننشر بالإضافة إلى صورة غلاف المجمّعين الغربيين صورة لما نشرته (ببليوغرافيا الوحدة العربية) على صفحتين تحت عنوان مقالات ومؤلفات ، وهو نقلاً عن الصفحتين ٣٩٤ و ٣٩٥ من كتاب الببليوغرافيا المذكور .

WORLD BIBLIOGRAPHICAL SERIES

VOLUME 50



THE YEMENS

G. REX SMITH

CENTRE FOR MIDDLE EASTERN
AND ISLAMIC STUDIES

A SELECT BIBLIOGRAPHY OF YEMEN ARAB REPUBLIC AND PEOPLES' DEMOCRATIC REPUBLIC OF YEMEN

Compiled by
SIMONE LUCHIA MONDESIR

Price £3.00

[1977]

Occasional Papers Series
No. 5

مركز دراسات الوحدة العربية
ببليوغرافيا الوحدة العربية
١٩٠١ - ١٩٨٠ م

بيروت ، الكتب في المجلد الأول .

عبد الله الشماحي	اليمن ، السكان والحضارة القاهرة ١٩٧٢ م ، عالم الكتب .
أمين سعيد	اليمن ، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري . سلسلة كتب تاريخ العرب الحديث ١٩٥٩ م مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة .
محمد عمر الحبشي	اليمن الجنوبي ، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ عام ١٩٣٧ م . ترجمة الياس فرح ١٩٦٨ م دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
محمد بن علي الأكوع الحوالي	اليمن الخضراء مهد الحضارة ١٩٧١ م مطبعة السعادة ، القاهرة .
كامل محمود	اليمن ، شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م بيروت .
عبد الغني الرافعي	اليمن ظاهرها وباطنها سلسلة مقالات وبحوث مجلة الرابطة العربية ١٩٤٧ م ، القاهرة .
أحمد حسين شرف الدين	اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع الهجري إلى القرن العشرين . دراسة جغرافية تاريخية شاملة ، ١٩٦٣ م مطبعة السنة المحمدية .
أحمد فخري	اليمن ماضيها وحاضرها مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٥٨ م ، القاهرة .

مراجع مختارة

الدكتور حسين بن عبدالله العمري — المنار واليمن
(١٣١٥ ـ ١٣٥٤ هـ / ١٨٩٨ ـ ١٩٣٥ م)
دار الفكر / دمشق ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م

الصايدي (د . أحمد قائد
مئة عام من تاريخ اليمن
فترة الفوضى وعودة الأتراك

حسين بن علي الويسي — اليمن الكبرى كتاب جغرافي تاريخي ، ١٩٦٢ م
مطبعة النهضة العربية ، القاهرة .

صلاح الدين المنجد — اليمن والمتحدة بين الاتحاد والانفصال
وثائق ونصوص ، ١٩٦٢ م .
دار الكتاب الجديد .

نقلاً عن ببليوغرافيا الوحدة العربية
مقالات ومؤلفات

المحتوى

المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



